

إيران والإمبراطورية الشيوعية الموعودة

الأستاذ الدكتور
ليب سعيّد المنور

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ

تقسيم الدراسة



٥	المقدمة
٩	الإطار النظري للدراسة
	الفصل الأول
	دولة القلب المذهبي، وتطور هذا المفهوم تاريخيا حتى ما قبل قيام
٣٥	الثورة الإسلامية
	المبحث الأول: مفهوم دولة القلب المذهبي، والفروض الأساسية
٣٥	لفكرة الإمبراطورية الشيعية الموعودة.
	المبحث الثاني: الإمبراطورية الفارسية والتحول من مذهب أهل السنة
٥١	والجماعة إلى التشيع الصفوي.
	الفصل الثاني
٩١	الثورة الإيرانية والحلم الإمبراطوري
٩١	المبحث الأول: الحلم الإمبراطوري الشيعي في فكر الثورة الإسلامية
	المبحث الثاني: النماذج التي تناولت كيفية بناء الإمبراطورية الشيعية
١١١	بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران
	الفصل الثالث
١١٥	المذهب الشيعي ودولة الحلم الإمبراطوري
	المبحث الأول: المذهب الشيعي واستراتيجية بناء دولة الحلم
١١٥	الإمبراطوري
	المبحث الثاني: استراتيجية الحرب الاستباقية في المذهب الشيعي
١٢١	للتعجيل بإقامة الإمبراطورية الشيعية الموعودة
	المبحث الثالث: نظرية أم القرى: إيران مركز الإمبراطورية الشيعية
١٤٥	الموعودة على أنقاض مكة المكرمة

١٦٥	المبحث الرابع : دولة الحلم الإمبراطوري والتبشير بإمبراطورية المهدي الشيوعي لإخراج السنة من الظلمات إلى النور
٢٥٣	المبحث الخامس : دولة الحلم الإمبراطوري والهلكوست ضد أهل السنة والجماعة
	الفصل الرابع
٢٩٣	استراتيجية الإمبراطورية الشيعية الموعودة
٢٩٣	المبحث الأول : أهداف دولة الحلم الإمبراطوري
٣٠٣	المبحث الثاني : تفتيت العراق : أوجه التشابه في استراتيجية دولة الحلم الإمبراطوري وأمريكا وإسرائيل
	الفصل الخامس
٣٩٥	الإمبراطورية الشيعية الموعودة بين إشكاليات الواقع وآفاق المستقبل
٣٩٥	المبحث الأول : دولة الحلم الإمبراطوري بين استراتيجية التطبيق وآليات المواجهة
٤١١	المبحث الثاني : السيناريوهات المحتملة لمواجهة بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة
٤٥١	ملخص الدراسة
٤٩٥	ملاحق الدراسة
٤٩٥	ملحق (١) فهرس الأسماء الواردة في الدراسة
٥٣١	ملحق (٢) جدول يوضح السلالات والحكومات التي تعاقبت على حكم إيران
٥٣٣	ملحق (٣+٣ب) أمثلة على بعض رسائل أهل السنة إلى القيادة السياسية في إيران
٥٣٩	ملحق (٤) دراسة وزارة التخطيط العراقية لتوضيح النسبة الحقيقية للسنة في العراق
٥٤٧	مراجع الدراسة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كان لانطفاء شعلة فارس أثر بين في صعود نجم الدولة الشيعية بمراحلها المختلفة؛ حيث ما زالت أصداء هذا الانطفاء تلوح في مخيلة آيات الله العظام إلى عصرنا الحاضر، موقظة بشيء من العصية المذهبية والعرقية أحلام هذه الإمبراطورية الشاسعة في نشر فتنها الطائفية في مشارق الأرض ومغاربها. وما فتئت محاولاتها مستمرة في بلورة مضامينها المذهبية الضيقة، فبات أهل السنة والجماعة بين مطرقة الحلم الصهيوني وسندان الغول الشيعي المستثقل الغادر الذي تكذبه أحلامه، والمتغطرس الذي يبخسه مقامه، لا يدري أله ما يأتي أم عليه.

سيخرج المارد الشيعي من قمقم أحلامه عما قريب، نافثاً أحلامه التوسعية في إقامة إمبراطورية كسروية تملأ الخافقين سيادة وريادة، وسترتفع بولي الفقيه الشيعي إلى منصة رئاسة العالم الإسلامي، ولتمنحه التدبير ومقاليد المصير، لا سيما أن هذه الأحلام التي ظلت حبيسة هذا القمقم آمادا طويلة خرجت للتو مشرّبة بأعناقها وملوحة براياتها العنصرية، إيدانا بسطوع نجم الشيعة، . . . نيران التين الفارسي قد توعدت لخرق كل شيء حتى الرماد، في مقابل تحالفات عربية تجعجع بلا طحن لمواجهة هذا الخطر الدايم.

كتاب «إيران والإمبراطورية الشيعية الموعودة» يعرض في فصوله قصة الصعود الفارسي الشيعي لتكوين إمبراطورية ذات وزن مذهبي في الوقت الحاضر. والكتاب يعرض بين سطورهِ - بشيء من التفصيل - كيف انتصر الإسلام على الفرس، وشيد دولته على أنقاضها.

وقامت هذه الدراسة بصياغة عملية وصفية عن تاريخ التوجه الجغرافي للمذهب الشيعي، ورصد هذه الحركة ومسارها، والمراحل التاريخية التي عانت فيها الدولة الإسلامية إبان هذا الانتصار، مروراً بفترات التضعف التي ألمت بها. وتناولت الدراسة بالبحث والتحليل كيفية نجاح إيران في تحويل دولتها الفارسية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، وبالتالي حسم الصراع المذهبي لصالح مذهبية الدولة الشيعية، وكيف تمكنت من بناء مؤسسات الدولة الفارسية على هذا الأساس، متضمنة تكوين رؤية واضحة وتحليلية حول الأساليب والأدوات، والكشف عن أبرز الاستراتيجيات والعوامل والعناصر التي وظفتها وتوسلت بها لتحقيق فكرة شيعة الدولة ضمن نظرة تحليلية شمولية خدمت عملية البحث والتحليل.

نقدم هذا الكتاب تحت دوافع المخاوف والهواجس من ظهور القوة المذهبية (إيران) التي تحاول النمو كقوة شيعية تتبنى استراتيجية تسعى لتكوين إمبراطورية مذهبية شيعية عظمى يصعب إيقافها.

لهذا قامت هذه الدراسة بوضع التوصيات الكفيلة لاحتواء الخطر الشيعي قبل تناميهِ، خصوصاً أن تطورات مسار الأحداث والتحويلات السياسية أثبتت جدية إيران وسعيها لبناء نواة لفكر "جيواستراتيجي مذهبي" مرتبط بأن تكون إيران "الدولة الشيعية المركزية" في العالم، وهكذا فقد شكَّلت هذه الرؤية وما أحاط بها بحيث أصبحت موضوعاً للتفكير الجيواستراتيجي الذي باتت تسعى لتحقيقه مؤسسات صنع القرار الإيراني، موظفة الجبرية الجغرافية لإنجاح فكرة التصميم الهندسي للسياسات والاستراتيجيات للتبشير بالمذهب الشيعي وإحيائه، ومستفيدة - في الوقت نفسه - من الحارطة الديموغرافية للدول العربية، واحتمالات نجاح ذلك، و«السيناريوهات» المترتبة عليه.

تناولت هذه الدراسة - أيضاً - كيف طبقت إيران ذلك عملياً، وقامت بتوظيف ذلك في سياستها الخارجية، مستفيدة من سقوط جدار العزلة المذهبية،



خصوصاً بعد انهيار الحائظ السني العراقي . وحللت أبرز الوسائل التي تلجأ إليها - حالياً - لتطبيق فكرة إمبراطورية الحلم الشيعي من خلال مداخل الأزمات الإقليمية في المنطقة، وتناولت دور الولايات المتحدة وإسرائيل في دعم إيران لتحقيق هدفها، والأهداف الاستراتيجية التي ستحققها واشنطن وتل أبيب جراء ذلك، وكيف سيمهد ذلك لنشر مفهوم الفوضى الخلاقة التي تبشر بها الإدارة الأمريكية والتي تركز على نقل الصراع إلى الداخل العربي السني، وبالتالي إنجاح نظرية صراع الحضارات التي طرحها (هنتنغتون)، والتي أكد فيها أن الصراع الحتمي سيكون بين الحضارة الغربية والحضارات الصاعدة وفي مقدمتها - بالطبع - الحضارة الإسلامية، وبالتالي السعي لتصفية هذه الحضارة (الإسلامية) من الداخل قبل صعودها من خلال نقل الفوضى الخلاقة (الفتنة المذهبية) إلى داخل الحضارة الإسلامية، تمهيداً للتفرغ للحضارات المنافسة الأخرى، وهذا لن يتأتى إلا من خلال التوسل بالشيعة لتحقيق هذا الهدف.





الإطار النظري للدراسة



تبنى هذه الدراسة مفهوماً جديداً يركز على أهمية المذهب ودوره في قوة الدولة الإيرانية وتعزيز نفوذها ضمن الإطار الأشمل لهذا العنصر من خلال بناء المجال الحيوي وفق أسس " جيو استراتيجية مذهبية " جديدة.

إن موضوع دراسة الإمبراطورية الشيعية الموعودة الإيرانية، والذي جعل عنواناً لهذه الدراسة، يشكل في حقيقة الأمر حافزاً لنا لا لصعوبة الموضوع فحسب، بل لأن هناك حملة من التشكيك التي سادت قسماً كبيراً من الدراسات العربية والأجنبية، والتي شككت بوجود أدلة دامغة يمكن الاعتماد عليها من نفس المراجع والمصادر الفارسية يؤكد وجود هذه الفرضية أساساً، ما دفعنا بحماس لدراسة هذا الموضوع على اعتبار أن الإقدام عليه يُعتبر جرأة، لا سيما أن هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى الجهد والعناء للحيلولة دون التأثير بذلك التيار من المؤلفين، وتلك الدراسات والأبحاث التي سُخرت لخدمة أغراض ومآرب دفع أهل السنة ثمنها دوماً.

إيران ليست مجرد دولة فارسية قومية؛ بل هي دولة تمتلك نفساً مذهبياً توظفه حسب الحاجة والمصلحة، وفكرة " المجال الحيوي المذهبي " ^١ - إذا جاز لنا الاجتهاد " سياسياً " - تعدُّ مهمة؛ لأنها تضمن تحقيق الأهداف وفق فتاوى مذهبية فصلتها مراجع التقليد وفق مقياس مذهبي عن طريق ضمان ضم المحيط المجاور، ولكن ليس عسكرياً - هذه المرة - بل ضمن حلقة جديدة من سلسلة العناصر التي تُحقق الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ من خلال التوسل بالمذهب الشيعي، وهذا سيوفر لاستراتيجية إيران عوامل القوة التي تركز على مفهوم الدفاع عن أمنها

١ - (سوف نوضح مفهوم هذه الفكرة لاحقاً).

القومي خارج حدودها^٢، والمثقلة في الوقت نفسه بمصادر التوتر والأزمات، وهز لن يتحقق بالطبع إلا من خلال بناء " مصدات دفاع مذهبي^٣ خارج حدودها الجغرافية، إذ سوف تبدأ من خلال المدخل العراقي- حيث ترتبط إيران مع العراق بحدود برية طويلة^٤ - مروراً بالدول التي تمثل مقتربات "سلسلة الصدع المذهبي"^٥، وهي الدول التي تشكل حزاماً وحدوداً مذهبية ممتدة من إيران إلى العراق ودول الخليج العربي، وصولاً إلى لبنان واليمن... وهذه الدول في معظمها تمثل في الوقت ذاته كتلة الطاقة الروحية والمادية في العالم^٦.

٢ - عزت الله عزتى. جغرافياى نظامى إيران، تهران، إشارات سمت، ١٣٧٧، ص (١٢٣).

٣ - منوجهر فرهنگ، زندكى اقتصادى إيران، تهران، أبوريحان، بي تاريخ، ص ٩، عبد الحسين سعيديان، كشورهاي جهان، تهران، إنتشارات فجر إسلام، (١٣٧١، ص ٤٩).

٤ - (علي رزم آرا، جغرافياى نظامى شهرستانهاى مرزى، تهران، إنتشارات شهاب، ١٣٤٨، ص ٧٨).

٥ - (اصطلاح معناه: تلك الدول التي تمثل مقتربات سهلة وضعيفة بالنسبة لإيران، حيث تحوي هذه الدول أقليات شيعية تسهل بناء نقاط الارتكاز والمصدات المذهبية، وبالتالي تدعم عملية التمدد المذهبي الذي يدعم بناء إيران لمجالها الحيوي، بحيث تشكل بمجموعها صدعاً يهدد الدول العربية خاصة الدول التي تضم ضمن خارطتها الديموغرافية أقليات شيعية طامحة).

٦ - (تشير المصادر الفارسية دوماً إلى أهمية هذه الدول، حتى في المناهج التربوية للصفوف الأولى في المدارس الإيرانية، حيث تشير دوماً إلى أهمية العراق الروحية بالنسبة للشيعية، واعتبار أن إيران شريكة في حقول النفط والغاز مع الدول العربية المجاورة، وأن السكان في إيران هم امتداد لشعوب الدول المجاورة، وأن الشعب الإيراني يتأثر بالموقع الجغرافي، وهذا الأمر له دلالاته الخطيرة، وتناولت دراسات حديثة الأمور المتعلقة ببعض الدول المجاورة التي كانت جزءاً من إيران عبر عصور التاريخ، بهدف ترسيخ أهمية دول الجوار الجغرافي على اعتبار أنها تمثل كتلة الطاقة، وأن إيران مرتبطة بها جغرافياً وروحياً وتاريخياً. (جوزيف أبتون، تاريخ تمدن ايران، ترجمة مريم سعدي، تهران، إنتشارات دانشكاه، ص ٦٠ - ٦١).



تقع إيران جنوبي غربي قارة آسيا بين ٢٥ - ٤٠ درجة عرض شمال و٤٤ - ٦٣,٥ درجة طول شرق^٧، وتمثل من خلال موقعها المتميز حلقة الربط بين القارات الثلاث (آسيا، إفريقيا، أوروبا)^٨، وتزداد هذه الأهمية يوماً بعد يوم؛ فهي دولة شرق أوسطية، وهذا بدوره منحها مجموعة من المميزات الاستراتيجية الجيوبولتكية خاصة بما تتصف به منطقة الشرق الأوسط من مميزات على صعيد أهمية السياسة الدولية، الأمر الذي زاد من أهمية إيران^٩.

وتُشكل المياه الدولية جزءاً من الحدود الإيرانية؛ حيث تتمتع بموقع مُهم على الخليج العربي وبحر عُمان، وهذا - أيضاً - منحها أهمية استراتيجية، وسهل من عمليات النقل والتبادل التجاري؛ إذ أصبحت المنطقة سوقاً مُهماً، وعزز من أهميتها العسكرية التي منحها إياها ميزة الموقع الجغرافي^{١٠} من خلال ارتباط الخليج العربي^{١١} مع مضيق هُرمز واتصاله مع خليج عُمان والمحيط

٧ - منوجهر فرهنك، زندكى اقتصادى إيران، تهران، أبوريحان، بي تاريخ، ص ٩، عبد الحسين سعيديان، كشورهاي جهان، تهران، انتشارات فجر إسلام، ١٣٧، ص ٤٩).

٨ - (درة مير حيدري، موقعيت جمهورى إسلامى إيران وزبولتيك منطقة، مجلة مطالعات آسيابى مركزي وقفقاز، تهران، دفتر مطالعات سياسى وبين المللى، سال أول، ١٣٧١، ص ٩٤ - ٩٥).

٩ - (شمس الدين رحمانى. لولاي سه قارة، تهران، معاونت تحقيقاتي حوزة هنري، سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧١، ص ٥ - ٦).

١٠ - (سعيد كيوانشكوهي، موقعيت نظامي خليج فارس، تهلران، دفتر مطالعات سياسى وبين المللى، ١٣٦٩، ص ٤٦٥ - ٤٦٦).

١١ - (الخليج العربي هو حوض بحري مغلق، يشكل امتداداً للمحيط الهندي عبر بحر العرب، تحده إيران شرقاً، والعراق والكويت شمالاً، وشبه الجزيرة العربية غرباً. ويتصل ببحر العرب "خليج عُمان" بواسطة مضيق هرمز. حيث يبلغ طول الخليج حوالى (٥٧٠) ميلاً (٩١٧ كم)، وعرضه يختلف بين الشمال الغربي (١٢٥) ميلاً (٢٠١ كم) والجنوب الشرقي حوالى (٢٧٥) ميلاً (٤٤٣ كم). تبلغ مساحته نحو (٢٣٠) ألف كم^٢. متوسط عمقه (٣٥) متراً، ويصل في أقصاه إلى (١٠٠) متر =



الهندي^{١٢}، الأمر الذي أعطى إيران خصوصية على صعيد الاستراتيجية الدولية^{١٣}، وجعل هذه المنطقة تأخذ أهميتها في السياسة العسكرية^{١٤} بما يتصف به مضيق هرمز من أهمية استراتيجية، حيث يمتاز هذا المضيق بشكل هلال، ويتصل بدوره ببحر عُمان^{١٥}، ويعتبر هذا المضيق من أهم المضائق الدولية التي تقع في جنوب غربي آسيا، الأمر الذي منحه أهمية جغرافية عبر التاريخ^{١٦}، ولهذا المضيق أهمية اقتصادية كبرى؛ إذ يمر عبره (١٠) ملايين برميل من النفط يومياً، مع الأخذ بعين الاعتبار أن (٦٥٪) من احتياجات النفط تتركز في هذه المنطقة، و(٦٠٪) من الصادرات النفطية تمر عبر هذا المضيق^{١٧}.

=توجد داخل الخليج العربي عشرات الجزر (نحو ١٣٠) من أهمها: البحرين، وبوبيان، ووربه، وفيلكة، وأبو موسى، وطنب الكبرى، وطنب الصغرى، وهي أقرب إلى الشاطئ العربي من الخليج، كما توجد جزر أقرب إلى الشاطئ الإيراني، مثل: كيش، ولأفان، وهنغام، ومسندم، وسواها). (أحمد خوئي. همكرايهاى استراتييك در خليج فارس، مجموعه مقالات دومين خليج فارس، تهران، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي، ١٣٧٣، ص ٥٨).

١٢ - عزت الله عزتي. زوبولتيك، تهران، إنتشارات سمت، ١٣٦٨، ص ١٤٤).

١٣ - عزت الله عزتي، جغرافياي نظامي إيران، تهران، إنتشارات أمير كبير، ١٣٦٦، ص ١٤٤ - ١٤٥).

١٤ - (آلا سدير، درايسيدل وجرالد. اج، بليك. جغرافياي سياسي خاورميانه وشمال إفريقيا، ترجمة: درة مير حيدري، تهران، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي، ١٣٦٩، ص ١٧٨، ١٨٢).

١٥ - (همايون إلهي، خليج فارس ومسائل آن، تهران، قومس، ١٣٦٨، ص ١١١، محمد رضا نيا، خليج فارس ونقش استراتييك تنكة هرمز، تهران، إنتشارات سمت، ١٣٧١، ص ٣٢٤).

١٦ - (ريتجارد نيكسون: جنك واقعي وصلح واقعي، ترجمة عليرضا طاهري، تهران، إنتشارات كتابسرا، ١٣٦٣، ص ١٣٦ - ١٣٧).

١٧ - (بيروز مجتهدزاده: كشورها ومرزها در منطقة زيوبلتيك خليج فارس، ترجمة وتنظيم محمد رضا ملك، محمدي نوري، مباحث استراتييك، تهران، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي، ١٣٣٧، ص ٥٤ - ٥٥).



وعدا عن النفط فإن (٣٠٪) من الغاز الطبيعي يأتي - أيضاً - من هذه المنطقة؛ فالدول المستقلة في آسيا الوسطى والقوقاز تملك (٣٩,٨٪) من الغاز، وبالتالي فهي تعتبر المنطقة الثانية الكبرى من حيث الاحتياطي الغازي، خاصة مع تدفق الغاز عبر الأنابيب المارة إلى إيران تمهيداً لنقله إلى دولة أخرى^{١٨}، وتتمتع منطقة الخليج العربي بأهمية متميزة واستثنائية بالنسبة لأوروبا حيث إن ثلثي وارداتها النفطية تأتي من هذه المنطقة، ويتوقع أن تقوم هذه المنطقة بتأمين ما بين (٢٦ - ٢٨ ٪) من احتياجات العالم من النفط والغاز في سنة ١٩٢٠٢٠.

وقد زاد من أهمية موقع إيران الجغرافي إشرافها على مجموعة من الجزر هي: هرمز، لنجه، قشم، هنكام، طناب الكبرى والصغرى، وأبو موسى^{٢٠}، ومنح إطلالة إيران على شط العرب أهمية خاصة^{٢١}؛ إذ أعطت هذه الميزات المختلفة التي يتصف بها أهمية كبيرة بالنسبة لعملية الملاحة حتى بالنسبة للسفن الكبرى^{٢٢}.

هذه الميزات الجغرافية جعلت إيران تتمتع بموقع اتصالي بين مختلف الدول،

١٨ - (تومو ملاسو، نقش خليج فارس در اهميت استراتزيك اقيانوس هند، مجموعة مقالات دومين سمينار خليج فارس، تهران، دفتر مطالعات سياسي و بين المللي، ص (١٧).

١٩ - (جاسم الأحمد. النفط في الخليج العربي: رؤية مستقبلية، لندن، ٢٠٠٣، ص ٥٤ - (٥٥).

٢٠ - (الجزر الثلاث هي جزر إماراتية لا زالت إيران تحتلها حتى الآن).

٢١ - (يبلغ طوله على امتداد الحدود الإيرانية العراقية حوالي (١٠٠) ميل، وعرضه يتراوح ما بين (٤٥٠ - ١٢٠٠) متر، وعمقه حوالي (١٥ - ٣٥) متراً، وأحياناً يصل إلى حوالي (٤٥) متراً. كاظم بهرام. موقعيت أروند رود، تهران، إنتشارات تهران، ١٣٥٦، ص (١٦).

٢٢ - صادق نشأت. تاريخ سياسي خليج فارس، تهران، شركة نسبي كانون كتاب، بي تا، ص (٦١٧).



والدول العربية تقع ضمن المجال الإقليمي الاتصالي مع دولة القلب المذهبي (إيران)^{٢٣}، وهذا سوف يُسهل عليها عملية الملاحاة المذهبية^{٢٤}.

فرض العامل الجيوبولتيكي قدرا من الاستمرارية في التأثير على دولة القلب المذهبي لتحقيق أهدافها، ووضع أطرا جديدة تُسهل عليها عملية التفكير مجددا لبناء الإمبراطورية الشيعية، على اعتبار أن إيران تمتلك موقعا مهما وحساسا. وكغيرها من الدول فقد تأثرت سياستها الخارجية تجاه المنطقة العربية بمعطياتها الجغرافية الطامحة إلى الانقضااض، مستفيدة من مكامن الطاقة الروحية والمادية.

ومنذ بروز هذه الدولة كوحدة سياسية كانت سياستها الخارجية مُرتبطة بطبيعة الموقع الجغرافي الذي تشغله؛ فموقع إيران وحدودها يضعها في تماس مباشر مع دولة عربية في المنطقة تعتبرها فريسة سهلة بالنسبة لها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن حسابات توازن القوى تميل دوما لصالحها، حيث جعلت من محاولة سيطرة دولة القلب المذهبي على الإقليم أمراً ضروريا لضمان ديمومة استمرارها في تحقيق أهدافها.

٢٣ - (سوف تستخدم هذه الدراسة عددا من المفاهيم والتوصيفات، حتى نستطيع الانطلاق من خلال بنية مفاهيمية واضحة، إذ لا بد لنا من التعرف على معنى هذه المفاهيم ومدلولاتها المعرفية، ومن أبرز هذه المفاهيم: مفهوم "دولة الحلم الإمبراطوري، الإمبراطورية الشيعية الموعودة، دولة القلب المذهبي، دولة المجال الحيوي المذهبي". وهذه المفاهيم هي بالأساس للتعبير عن وصف دولة إيران، وهي تعكس مدلولات الخلفية المذهبية والإيديولوجية والقومية لنظامها الحاكم، على اعتبار أن هذه الصفات هي أصدق تعبير عن أهداف السياسة الخارجية الإيرانية، والتي تسعى إلى تحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع من خلال متغيراتها ومحدداتها الداخلية والخارجية (الإقليمية والدولية)، ويبلور سلوكها التدخلي خصوصا تجاه الأزمات الإقليمية والدولية، والذي يهدف في النهاية إلى بناء إمبراطورية مذهبية "شيعية"، عنصرية "فارسية"، تحدد مجالها الحيوي الطامح في النهاية إلى بناء "الإمبراطورية الشيعية الموعودة" (مستقبلا).

٢٤ - (مصطلح يقصد به قيام إيران بنشر المذهب الشيعي من خلال توظيف الجبرية الجغرافية التي توفرها الحدود المائية بين إيران والدول التي تشاطئها).



من هنا نجد أن هذه المعطيات الجغرافية المختلفة قد دعمت إيران لتكون دولة تمتلك دعائم لسياسة خارجية قوية ومؤثرة تجاه إقليمها أولاً. وبشكل عام يمكن القول إن الخصائص العامة للموقع الجغرافي الذي تتمتع به دولة القلب المذهبي جعلت منها دولة متميزة الموقع، بالإضافة إلى ذلك صارت همزة اتصال محوري بين مجموعة من الأقطار العربية التي يوجد بها أقليات شيعية كبيرة نسبياً والدول غير العربية التي تشكل فيها الأقليات الشيعية نسبة بسيطة مقارنة مع الدائرة الأولى، ووفق هذا المنظور فهي معنية بأن تكون نقطة الارتكاز لدولة القلب المذهبي^{٢٥} الذي يغذي الأطراف^{٢٦}.

بالإضافة إلى ذلك صارت همزة اتصال محوري للإمداد الشيعي بين مجموعة من الأقطار العربية مع غير العربية، ووفق هذا المنظور فهي معنية بقضايا الشيعة الذين يقطنون في هذه الدول، بالإضافة إلى امتلاكها موارد ضخمة دعمت موقعها المذهبي الإقليمي والدولي، الأمر الذي جعلها مؤهلة لممارسة تأثير تعتقد أنها تمثله على القطاعات الشيعية التي تعيش في دول الإقليم. وتبلغ مساحة إيران (١,٦٤٨,١٦٥) كم^٢، وهي تُشكل (١,٢٧٩٪) من مساحة العالم، و(٣,٤٢٧٪) من حجم مساحة قارة آسيا، وتبلغ الكثافة السكانية فيها - مقارنة بالعالم - (١,١٢٠٤٪)، أما الكثافة السكانية مقارنة بقارة آسيا فتبلغ (١,٧٤٣٨٪)، أما فارق التوقيت عن "غرينتش" فيبلغ (٣,٥) ساعة.

وترتبط إيران بحدود مُشتركة مع جيرانها تبلغ (٧٨١٧) كيلو متراً، وتمتد هذه الحدود من دهانة فاو حتى بندر عباس، ويبلغ امتدادها حوالي (١٣٥٩) كيلو متراً، ومن خليج كوادر حتى بندر عباس حوالي (٧٨٤) كيلو متراً، في حين تمتلك إيران مع جيرانها في حوض بحر الخزر حدوداً يبلغ طولها (٦٧٥) كيلو

٢٥ - (دولة النظام المركزي، والمقصود بها إيران).

٢٦ - (مصطلح يطلق على الأنظمة الفرعية "الهلال الخارجي"، وهي الدول الملاصقة وغير الملاصقة التي تمثل هدفاً للتوسع الإيراني).



مترا، وبالنسبة لحدودها المشتركة مع العراق فيبلغ طولها حوالي (١٣٣٦) كيلو مترا، في حين تبلغ مع تركيا حوالي (٤٨٨) كيلو مترا، ومع أفغانستان تبلغ (٣٧, ٨٥٥) كيلو مترا، أما مع باكستان فتبلغ (٨٥٢) كيلو مترا^{٢٧}.

من خلال ذلك يمكن تحديد منطقتين سياسيتين رئيسيتين بالنسبة للمجال الحيوي المذهبي: واحدة في الشمال، وتتمثل في: دول القوقاز، وبحر الخزر، وآسيا الوسطى، وهي تسمى باسم شمال غرب آسيا. أما المنطقة الجنوبية لإيران فهي دول الخليج العربية: الإمارات، الكويت، السعودية، قطر، البحرين، العراق، عُمان^{٢٨}. وتزداد أهمية هذين الموقعين - الشمالي والجنوبي - من خلال ما تملكه هاتان المنطقتان من احتياطي مذهبي (أقليات شيعية)، ومادي (نفطي وغازي كبير)، حيث تمثل دول حوض الخزر^{٢٩} المرتبة الأولى في العالم في

٢٧ - (عزت الله عزتي، جغرافياي نظامي إيران، تهران، انتشارات سمت، ١٣٧١، ص ١٤٤ - ١٤٥. علي رزم آرا، جغرافياي نظامي شهر استانهای مرزی، تهران، انتشارات شهاب، ١٣٣٨، ص ٢٧).

٢٨ - (مجموع مساحة الدول العربية الخليجية بالإضافة إلى إيران هو (٤,٥٤٦) مليون كلم^٢، حيث تشكل إيران نسبة (٣٥٪) منها، والدول العربية (٦٥٪). عزت الله عزتي، المرجع السابق، ص ٨١ - ٨٢).

٢٩ - (تبلغ مساحه بحر قزوين "دريای خزر" (٤٢٤) ألف كم^٢، وهي أكبر بحيرة تربط بين آسيا وأوروبا، وتمتاز مياهه بمزارتها وملوحتها، ويبلغ طول بحر قزوين (١٢٨٠) كم من الشمال إلى الجنوب، ويتراوح عرضه ما بين (١٦٠ - ٤٤٠) كم، أما عمقه فيبلغ في الشمال حوالي (١٥) مترا، ويصل إلى (١٠٠٠) متر في بعض المناطق. المرجع: عزت الله بيات، كليات جغرافياي طبيعي وتاريخي إيران، تهران، مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٩، ٢٥ - ٢٦. تحرص إيران على تسمية الخزر، وهذا الأمر له دلالاته ومغزاه الإمبراطوري، إذ إن إيران ما زالت - من خلال هذه التسمية - تعتبر أن منطقة بحر الخزر تقع ضمن مجالها الحيوي، فكلمة الخزر باللغة الفارسية معناها: قوم عاشوا في حاشية بحر الخزر وجبال القفقاز، حيث تمركزوا في منطقة تقع في شمال إيران، وشبه جزيرة القرم، حيث يقع بحر الخزر، وكانت عاصمتهم قبل الإسلام وفي عهد الفتوحات الإسلامية مدينة بلنجر، (فرهنگ معین، ٤٧٨/٥).



الاحتياطي المادي في مجال الغاز، والثاني روحيا (توزيع الشيعة بين هذه الدول وحجمهم). أما المنطقة الجنوبية فهي أغنى بقاع العالم بمصادر الطاقة المادية المتمثلة بالبتروول^{٣٠}، والأولى روحيا (ارتفاع نسبة الشيعة فيما بينهم).

تمتاز الحدود الإيرانية باتخاذها شكلاً رباعياً، حيث تتكون من أربعة أضلاع غير منظمة، أكبر هذه الأضلاع يقع في المنطقة الشمالية والجنوبية الشرقية، ويصل إلى حوالي (٢٢١٠) كيلومترات، وهناك ضلع صغير في الجهة الشمالية الشرقية باتجاه الجنوب الغربي يبلغ طوله حوالي (١٤٠٠) كيلو متر، مع استثناء الجزر الإيرانية الواقعة في الخليج العربي، إذ تشكل جزيرة قشم أكبر هذه الجزر؛ حيث يبلغ طولها حوالي (١١٥) كيلو متراً، وعرضها يتراوح ما بين (١٠ - ٣٥) كيلو متراً^{٣١}.

ومن هنا فإن الموقع الجغرافي يُفترض به أن يلعب دوراً مهماً في تفعيل التمدد المذهبي لإيران^{٣٢}، والتأثير على سلوك السياسة الخارجية الإيرانية- إذا أخذنا بعين الاعتبار حساسية هذا الموقع - وبما منحها ذلك من تنوع في الخصائص الجغرافية ووفرة في الموارد والإمكانات، هذا عدا عن امتلاك إيران لحدود طويلة تكاد تكون هي الأطول مقارنة مع الدول الأخرى، الأمر الذي أسهم في زيادة النفقات الدفاعية المخصصة لأمنها من ناحية، وللحفاظ على هيبتها المذهبية الشيعية ضمن محيط يشكل فيه السنة نسبة كبيرة من ناحية أخرى.

وتتحدد أهمية الخصائص الجيواستراتيجية لدولة القلب المذهبي من خلال امتلاكها خصائص الكتلة البرية الواسعة والبحرية الممتدة بحريا والتي تكفل لها

٣٠ - (طلال عتريس، جغرافية إيران السياسية، شؤون الأوسط، العدد ١٩٩٩، ٨٤، ص ٥ - ٤).

٣١ - (عبد الحسين سعيد يان: كشورهاي مهتاب، مرجع سابق، ص ٤٩).

٣٢ - (يقصد به نشر المذهب الشيعي والتشيع السياسي).



تحقيق عنصر الغزو والاقترام المذهبي^{٣٣}، إذ إن إيران أقرب لتكوين جزيرة مذهبية إقليمية^{٣٤} عظمى، تمهيداً لأن تكون إمبراطورية عالمية.

لكن أضلاع هذه الدولة لا تستطيع أن تقدم إطاراً دفاعياً مذهبياً منيعاً، خصوصاً أن مناطق الأضلاع الإيرانية المختلفة تعاني من وجود أقليات مذهبية سنية لم تستطع حتى هذا اليوم الاندماج مع أهداف الدولة المركزية وبرامجها وسياساتها، ولا تتوافق حتى مع تطلعاتها الجيومذهبية، يضاف إلى ذلك الخاصة الجيوستراتيجية العرقية المختلة بسبب وجود أقليات مذهبية شيعية لا تتفق - أيضاً - مع الدول الفارسية مثل: الأقلية الأذرية التي تشكل حوالي (٢٣٪) من عدد سكان إيران، وهم يطمحون إلى بناء دولة أذربيجان الكبرى، كذلك العرب السنة الذين يشكلون ما بين (٢٠-٢٥٪) من سكان إيران، ويتوزعون في المناطق التي تمثل عصب الطاقة في دولة القلب المذهبي (المناطق التي تمثل مصدر النفط والغاز). لكن المزايا "الجيوستراتيجية المذهبية" تبرز قوتها من خلال الاتصال بنقاط الالتحام المذهبي^{٣٥}، ومن أهمها: العراق - التي تمثل الشيعة فيها حوالي (٥٠٪) من سكانها - السعودية، قطر، البحرين، الكويت، أذربيجان، أفغانستان..

ومن هنا فإن الحدود المائية والبرية والمضائق تمثل المداخل والمخارج لدولة القلب المذهبي، لكنها في الوقت نفسه تمثل القوة والضعف بالنسبة لهذه الدولة. ويُمثل هذا الجوار الجغرافي - من الناحية التاريخية - جبهة من أهم جبهات

٣٣ - (التغلغل والتوسع المذهبي).

٣٤ - (منطقة شيعية تشكل - بالإضافة إلى إيران - مجموعة من الجيوب المذهبية الشيعية التي تتبع دولا بعينها، حيث تفترض دولة القلب المذهبي أنه يجب أن تنتمي إليها هذه الجيوب روحياً وسياسياً فيما بعد، انسجاماً مع فكرة الوحدة الجغرافية المذهبية التي تنشدها دولة القلب المذهبي، وتسعى إلى تحقيقها؛ تمهيداً لبناء إمبراطوريتها الشيعية الموعودة).

٣٥ - (يقصد به التماس والاتصال المذهبي).



الانتشار البشري المذهبي^{٣٦} المتعدد والمتنوع؛ فهو بمثابة منطقة الطرد التاريخية التي تدافعت هجراتها من أقدم العصور، حيث يمكن توصيف الأقليات المتواجدة في الهلال الإقليمي ما بين أقليات شيعة المذهب وإيرانية الأصل قد تلتقي مع الدولة المركزية الأم^{٣٧} وقد تختلف معها، وفي هذه الحالة فإن ما تحتاجه دولة القلب المذهبي هو تفعيل عناصر القوة الكامنة، وتوجيه القدرة على الاستغلال الفعال لهذه الأقليات، إضافة إلى حشد وتوظيف مختلف الموارد والطاقت بهدف استثمار الخصائص الجيواستراتيجية والديموغرافية والمذهبية والاقتصادية، بحيث تجعل من هذه الأقليات بالفعل شريانا تاجيا ينسجم مع أهداف قلب العالم الشيعي، ونواة للدولة المركزية الموحدة الأم إيران " أم القرى "، ويغذيه بأسباب المنعة والقوة.

أما فكرة تعديل "الحدود المذهبية والإيديولوجية"^{٣٨} لدولة القلب المذهبي فهو مرتبط باستراتيجية إيران وقدرتها على خلق فرص النجاح من خلال تهيئة الظروف والعوامل، وتوظيف مداخل الأزمات واستثمارها بهدف توسيع حدود قلب إيران روحياً ومذهبياً، وهذا لن يتم إلا من خلال التوجه نحو الغرب، والملاحة المذهبية - دون رخصة - باتجاه الجنوب، كل ذلك حتى ضم مساحات مذهبية واسعة غنية بمصادر الطاقة للسيطرة على هلال الطاقة، وبناء دعامة اقتصادية مذهبية (سكانية) لتقوية عناصر قوتها المادية، وبالتالي فإن إيران تهدف في النهاية إلى استغلال خصائص هذه المنطقة الاقتصادية التي تحوي مكونات شيعية استطاع بعضها بناء إمبراطوريات اقتصادية، خصوصاً في دول الخليج العربية؛ حيث تسيطر بعضها على القرار الاقتصادي في بعض هذه الدول، وكذلك استطاعت الموجات البشرية الطاردة ذات الأصول الإيرانية أن تتوزع جغرافياً في المناطق التي تمثل عصب الطاقة، والأخطر من ذلك أن قسماً كبيراً منها - وإن لم يكن يرتبط تنظيمياً مع إيران - إلا أنه يرتبط روحياً ومرجعياً بدولة القلب المذهبي تلك.

٣٦ - (تعني الكتلة البشرية الشيعية المنتشرة في المنطقة).

٣٧ - (إشارة إلى إيران).

٣٨ - (يقصد به التوسع الشيعي المذهبي والعقدي المرتبط به، خاصة من خلال بث الأفكار التي تسهم في تسهيل هذا الأمر).



وفي إطار النظرة التاريخية الشاملة فإن نواة دولة القلب المذهبي كانت قد تحركت - سابقاً- نحو الغرب منذ زمن الشاه تحت حجج وذرائع قومية، ولكنها أخفقت في المرات السابقة في أن تلتهم بعض دول الهلال الخارجي وفي مقدمتها دولة البحرين، لكنها قامت باحتلال الجزر الإماراتية كجزء من صفقة مع العالم الغربي، وفي طليعتهم الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يؤكد استعدادها لتقديم الصفقات كجزء من ثمن التفاوض بين الطرفين الإيراني والأمريكي.

ثم تابعت دولة القلب المذهبي - إيران - نفس الاستراتيجية بعد انتصار الثورة الإسلامية؛ حيث اندفعت نحو المنطقة من خلال التوسل بتصدير الثورة الإسلامية، تحت حجج وذرائع مختلفة. والمفارقة أن نفس الولايات المتحدة - التي رشحت إيران الشاه للقيام بدور الشرطي في المنطقة، وأغمضت الطرف عنها سابقاً، ودعمتها في هذا الاتجاه - هي الآن التي تدعم إيران "دولة القلب المذهبي" والثورة الشيعية في بناء هلالها الإقليمي من خلال تسهيل مهمة توسيع نفوذها في العراق والمنطقة، ومن الناحية الجيوستراتيجية فإن الغرب والولايات المتحدة - تحديداً - قد سمح لإيران بحيازة ما يرجح كفتها للقيام بهذا الدور؛ فبالإضافة إلى قاعدتها البرية الغنية بالموارد والإمكانات الفائقة التي تحوزها "إيران"، فقد دعمت تفوقها على دول الهلال الإقليمي من خلال غض الطرف عن امتلاكها للتكنولوجيا النووية والقدرات التسليحية فوق التقليدية^{٣٩}.

هذه الدراسة سوف تستفيد من النظريات السياسية، ولكن برؤية ومنهاج جديد في علم السياسة، وهو يركز على أهمية المذهب، ودوره في بناء قوة الدولة، وتعزيز نفوذها، وهيمنتها ضمن الإطار الأشمل لهذا العنصر من خلال السعي إلى بناء المجال الحيوي الخاص بها، وفق أسس "جيوستراتيجية مذهبية" جديدة.

٣٩ - (سوف نبحث هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).



يمكن القول بأن فكرة "المجال الحيوي" هي فكرة موجودة في الأصل في حقل الدراسات السياسية، وعادة ما يتم دراستها ضمن مجال الدراسات الاستراتيجية^٤، لكن الجديد في هذه الدراسة هو تحوير هذه النظرية ضمن أسلوب

٤٠ - (المقصود بفكرة بناء المجال الحيوي "الجيوبولوتيكي"، هو استخدام الغرب لنظريات الجغرافيا السياسية التي اتجهوا إليها أثناء الحقبة الاستعمارية ونتيجة لها، والتي ارتبطت بمحاولاتهم للسيطرة على العالم، ثم استبضح مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط، وإيران على وجه الخصوص، ومدى سعي الغرب لتطبيق نظرياته، وهذا الفرع من التنظير - الذي استهوى الكثير من العلماء الأوروبيين - تناسخ مع تطلعات الكثير من المغامرين وصناع السياسة الأوروبية وأصحاب المصالح الاقتصادية، في محاولاتهم لإيجاد ما يبرر لهم توجهات الهيمنة على جانب من العالم أو حتى على بعضهم البعض. وتعود أولى هذه النظريات لأحد العلماء الألمان، والتي طرحها في أعقاب نجاح بسمارك في توحيد ألمانيا ١٨٧٠م، حيث نادى من خلالها بالدولة العالمية والقوة الواحدة المهيمنة. وتبعه عالم ألماني آخر هو كيلين، إذ طرح نظرية القوة الثنائية التي كان يعني بها قوة البر والبحر، والتي عرضها ١٩١٧م من خلال كتابه "الدولة تكوين حي" إبان الحرب العالمية الأولى، وذهب كيلين إلى أن القوى العالمية سوف تنحصر آخر الأمر في قوتين متصارعتين للبر والبحر، وتوقع أن ينتهي الصراع إلى انتصار قوة البر نهائياً، وبالشكل الذي يؤدي إلى سيطرتها على البر والبحر معاً. وحدد هذا العالم بأن ألمانيا هي تلك القوة الأوروبية البرية والبحرية الكبرى المهيأة لهذا الدور، وأسهمت هذه النظرية في ترسيخ قناعة لدى الساسة الألمان بهذا الدور في الحربين العالميتين. وطرح عالم آخر، وهو هاوس هوفر، نظرية أخرى أسماها القوة الثلاثية، توصل فيها إلى أن العالم لا يمكنه أن يستوعب أكثر من ثلاث قوى رئيسية، واقترح أن تكون ألمانيا فوق أوروبا وإفريقيا، واليابان فوق آسيا وأستراليا، والولايات المتحدة الأمريكية فوق الأمريكتين. وجاء ماكيندر، البريطاني الأصل، والذي عمل كمستشار لهتلر، فطرح نظرية أخرى، هي نظرية قلب الأرض، والتي استفاد فيها من سابقه، ورأى ما آلت إليه تطبيقات نظرياتهم خلال الحربين العالميتين والمزالق التي تخللتها. وبنى ماكيندر نظريته على الحقائق الجغرافية والتاريخية، التي ترى أن تركيز وتجمع القاعدة الأرضية، إلى جانب الجبهة البحرية والممرات الطبيعية وخصوبة التربة، من شأنه أن يهيء الطريق لقيام إمبراطورية عالمية واحدة. ورشح ماكيندر كتلة اليابس الآسيوآوروبية كمنطلق لهذه=



.....

=الإمبراطورية، وذكر أن من يمتلك قلب الأرض يمكن أن يتوسع في الهلال الداخلي والهلال الخارجي بعد ذلك، إلى أن يتمكن من الهيمنة على العالم كله، وحاول ماكيندر من خلال هذا الطرح، أن ينبئ السياسيين في بلده الأصلي بريطانيا، من أن التركيز على القوة البحرية وحدها لا يؤهلها للاستمرار كقوة مهيمنة أحادية، وأن القوة البرية التي أشار فيها لألمانيا، كانت - بحكم عمله - قريبة من هتلر، من أنها هي الدولة المرشحة لذلك، في حين أخفى حقيقة أن الاتحاد السوفييتي هو الأقرب لهذه الإمبراطورية، وهو الأمر الذي أكده بعد ذلك. وظلت نظرية ماكيندر، الذي أحاط به الأمريكيون قبل وفاته عند دخولهم ألمانيا عقب انتهاء الحرب، هي النظرية الأقرب إلى الساسة وصناع الاستراتيجيات، وكذلك تلاميذه الذين طرحوا نظريات، شكّلت نظرية ماكيندر محوراً الرئيس، لا بالنسبة للمحور الغربي الأمريكي وحده، بل لبقية القوى الدولية إبان الحقبة التي عرفت بالحرب الباردة، وحتى حدوث التطورات الجيوستراتيجية، بعد دخول القوى الجوية والصاروخية واجتياز الفضاء. واتجه بعض علماء أوروبا على ضوء تأثرهم بنظرية ماكيندر وتلاميذه، إلى اعتبار أن الأوروبيين قد لحقت بهم الهزيمة في الحرب العالمية الثانية رغم انتصارهم، وذلك لأن تحطيم ألمانيا، يعد خسارة كبيرة لهم؛ لكونها تمثل - جغرافياً وعسكرياً - الرادع وخط الدفاع الأساسي أمام إمكانية إقدام السوفييت على اجتياح قارتهم، وأن أوروبا أصبحت بعد هزيمة ألمانيا ودخول السوفييت إلى أوروبا حتى شرق ألمانيا، لا تتحمل سوى فترة وجيزة في حال غزو السوفييت لها؛ ولهذا، اتخذ الأوروبيون ومعهم الأمريكيون من ألمانيا الغربية قاعدة عسكرية مدعمة لمواجهة مثل هذا الاحتمال، كما أنهم - أمام قوة السوفييت المتنامية - قد اتجهوا إلى جعل الشمال الإفريقي العربي خط دفاع ثانياً، يمكنهم من الدفاع عن قارتهم في حال حدوث غزو سوفييتي لأراضيهم. وشهدت الحرب العالمية الثانية علواً لقوة الولايات المتحدة الأمريكية سلمت به أوروبا، واتجهت إلى التحالف معها، حيث لم يكن لها أمام ذلك سوى اتباع سياسة مشتركة في ظل قيادة أمريكية، تمكنها من الوقوف أمام السوفييت، الذين كانوا يتبنون أيديولوجية اشتراكية شيوعية، تهدد النهج الرأسمالي الأوروبي، وتحول دون اتباع أوروبا لسياسة التقارب معه. وإبان هذه الحقبة، طرح أحد علماء الجيوبولوتيك الأمريكية، وهو ماهان، نظرية أخرى مبنية على ما سبقها من نظريات، وهي نظرية القوة البحرية المهيمنة، وقد توصل إليها على ضوء السيادة البريطانية العالمية القديمة، والتي استمرت =



وقالب علمي جديد، إذا جاز لنا الاجتهاد "سياسيا"، لنتناول إحدى أهم وأخطر القضايا التي تواجه العالم الإسلامي اليوم، وهو تهديد الزحف المذهبي الشيعي "خطر الشيعة فوبيا"^{٤١} القادم إلينا من الشرق.

وقد ارتأينا الاستفادة من نظرية المجال الحيوي، وتحوير مفاهيمها وأفكارها وأطروحاتها بأسلوب علمي جديد، يتضمن دراسة المذهب الشيعي بمكوناته المختلفة، وما يحويه من أفكار وعناصر، وكيف تحول الشعب الإيراني قسرا من المذهب السني إلى الشيعي، وما هي الوسائل والاستراتيجيات التي سهلت هذا

=لفترة زمنية طويلة. ودعا ماهان الولايات المتحدة الأمريكية إلى تبني الاستراتيجية البحرية، التي لا تعوزها القاعدة الأرضية مساحة أو نوعية، ورأى أن اتباعها أو تبنيها، سيمكّن الأمريكيين من تحقيق حلم الإمبراطورية الواحدة. وفي الوقت نفسه، اقتنع السوفييت بنظرية القوى الأرضية ووسط اليابس، التي طرحها ماكيندر وبعض تلاميذه، وأسهم ذلك في اتجاه كل من الأمريكيين والسوفييت إلى تلمس الطريق إلى تحقيق الحلم الإمبراطوري، وتبني كلاهما استراتيجية التوازن والصراع والاستقطاب للقوى الإقليمية في العالم، وهو ما عرف بالحرب الباردة، وتوافق توجه الأوروبيين مع الأمريكيين في تبني سياسة استراتيجية حركية تقوم على إنشاء سلسلة من الأحلاف العسكرية المتصلة، أو ما عرف بالأحلاف البادية النهائية، والتي تعني أن الدولة التي تنتهي بحلف تبدأ هي نفسها بحلف جديد، ضمانا لقوة وترابط وإحكام هذه السلسلة، وبحيث تنجح في تطويق الاتحاد السوفيتي من الغرب والجنوب جغرافيا. لقد تم الاعتماد على بعض المصطلحات الواردة في الدراسات التي تناولت هذه المفاهيم، على الرغم من عدم وجود دراسة تناولت دور المذهب في بناء المجال الحيوي للدولة، أو عالجت هذا الموضوع بشكل مباشر، أمثلة على الدراسات المتخصصة بالدراسات الاستراتيجية عموما: عمر رجب، قوة الدولة، دراسات استراتيجية، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢. عمر رجب، قياس قوة الدولة: دراسة في جغرافية القوة، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ١٩، ١٩٨٥، ص ١٢ - ٢٨. حورية مجاهد. سياسة توازن القوى، القاهرة، مجلة مصر المعاصرة، ١٩٨١، ص ٣١ - ٥٢. ساطع مجلي. الدول النامية ومفهوم النمو، دمشق، المجلة الجغرافية السورية، حزيران (١٩٧٧).

٤١ - (اصطلاح يعني الظاهرة الشيعية).



التحول؟ ومحاولة إسقاط ذلك على الواقع الحالي، بمعنى: هل ستلجأ إيران إلى نفس الاستراتيجيات لتشجيع شعوب مجالها الحيوي من ناحية، وإعادة تعبئة شيعة دول المنطقة باتجاه هذا الهدف، على اعتبار أن الدولة الإيرانية تسعى اليوم لبناء مجالها الحيوي بالاعتماد على هذه الاستراتيجية.

وبالتالي فإن دراسة المذهب تحت هذا العنوان هي مهمة؛ لأن الدولة محل الدراسة (إيران) تريد اتباع استراتيجية جديدة، تسعى من خلالها إلى تحقيق الكثير من الأهداف عن طريق ضمان ضم المحيط الجغرافي المجاور، ولكن ليس عسكرياً هذه المرة، بل مذهبياً، وضمن حلقة جديدة من سلسلة العناصر التي تحقق الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ، وكذلك تبني أساليب جديدة غير متعارف عليها من خلال البعد المذهبي، وإيران تريد بالتأكيد أن توفر لاستراتيجيتها المذهبية عوامل القوة التي تحقق مفهوم الدفاع عن أمنها القومي خارج حدودها.

١ - السؤال الرئيسي الأول: ما هي استراتيجية إيران في بناء المجال الحيوي المذهبي الشيعي الخاص بها على الصعيدين الداخلي (الإيراني) والخارجي (الإقليمي والدولي)؟

وينبثق عن هذا التساؤل عددٌ من الأسئلة الفرعية التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها: ما هي الآليات والوسائل والطروحات لتأسيس وبناء " قواعد ارتكاز ومداخل نفوذ مذهبية"^{٤٢} لها في العالمين العربي والإسلامي؟ وما هي مؤشرات هذا المجال، ومصدات الدفاع الحيوي المذهبي^{٤٣}، وما هي أهدافها

٤٢ - (تعني نقاط انطلاق تضمن نجاح التوسع لبناء المجال المذهبي الشيعي).

٤٣ - (استخدم الخميني نفس هذه الأدوات حتى تنجح ثورته ضد الشاه، وقد أطلقت الدراسات التي تناولت الثورة الإيرانية الكثير من الأوصاف والتعبيرات، فأطلقت عليها: ثورة الكاسيت، ثورة الحوزة، كربلاء القرن العشرين، ثورة آيات الله... نظراً لدور هذه الأدوات في نجاح الثورة الإيرانية الشيعية. (انظر: جلال الدين فارسي، انقلاب إسلامي وسازماندهی اجتماعی، تهران، حوزة هنر، ١٣٧٧. منوچهر محمدی، انقلاب إسلامی در مقایسه بانقلاب فرانسه وروسیه، تهران، انتشارات مهرا، ١٣٧٤.)



وغاياتها المعلنة وغير المعلنة من وراء ذلك؟ وهل ستستطيع إيران من خلال اعتبار نفسها دولة القلب المذهبي الشيعي في العالم (مركز المجال الحيوي) نقل المواجهة والصراع بعيداً عن حدودها الجغرافية، وجعل الهلال الإقليمي العربي المفترض في مجالها الحيوي وشعوبه هو الذي يدفع تكاليف أي مواجهة مفترضة بين إيران والغرب؟ وكيف استفادت إيران من توظيف المتغيرات الإقليمية والدولية بهدف التفرغ لبناء المجال الحيوي المذهبي الشيعي على مراحل متعددة، في الوقت الذي كانت فيه إيران الدولة والثورة تقوم بتأسيس هذه المقتربات، ونقاط الارتكاز المذهبي التي تضمن لها بناء مجالها الحيوي، حيث كان يتم ذلك بصورة هادئة وغير معلنة، ومستفيدة من الظروف والمتغيرات المختلفة، وإن شابها الشك أحياناً، كل ذلك بهدف عدم لفت نظر العدو، بسبب إما انشغاله، أو إشغاله بجبهات داخلية وخارجية مختلفة، حيث كان للدولة الإيرانية دورٌ واضحٌ في إثارة بعضه؟

٢- السؤال الرئيسي الثاني: كيف تراهن إيران على إيجاد " صدع مذهبي شيعي بين شعوب العالم العربي والإسلامي لإنجاح فكرة المجال الحيوي الخاص بها " بحيث لا يمكن لها بدونه تحقيق مشاريعها المستقبلية التوسعية الطموحة؟

وينبثق عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها: وهي تدور حول أسباب تحول الدولة الإيرانية وتوظيفها للمذهب الشيعي في سياستها وسلوكها الخارجي، خصوصاً بعد سقوط جدار العزلة المذهبية بعد انهيار الحائط السني العراقي. والسؤال المهم هنا: ما هي الأمور التي استجدت

=عبد الوهاب فراتي، درآمدى بر ريشة هاي انقلاب إسلامي، تهران، مؤسسة اساتيد ودرروس معارف إسلامي، ١٣٧٦ جمعي أز نويسندكان، انقلاب إسلامي وجرابي وجكونكي رخداد آن، تهران، مؤسسة أساتيد ودرروس معارف إسلامي، ١٣٧٧. آين انقلاب إسلامي: كزيده اي از انديشه وآراء إمام خميني، تهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام، ١٣٧٤. محمد حسنين هيكل، مدافع آية الله: قصة إيران والثورة، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨١. فهمي هويدي. إيران من الداخل، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٧٨).



على العراق والمنطقة، والتي هيأت الأرضية لعوامل إيجابية محرّكة تدفع إيران أكثر من أي وقت مضى لتبني فكرة المجال الحيوي المذهبي، وبالتالي هيأ لها بناء إمبراطوريتها الشيعية الموعودة؟ وما هي الظروف التي تجمعت وجعلت موضوع المجال الحيوي المذهبي يبرز للتطبيق فوق المستوى العام لمسار التاريخ؟ ولماذا قُدر للبعد المذهبي أن يتصدر اليوم أحد أهم المخاطر التي تستهدف المنطقة العربية في الوقت الحالي؟.

وبالمقابل فقد برزت في الوقت نفسه أطروحات حتى من جانب بعض الدول العربية الإقليمية المُستفيدة من تزايد نفوذ إيران في المنطقة (سوريا)، وكذلك من عمليات التشييع التي تقوم بها إيران لتتبني بإصرار سياسة نفي اندفاع إيران المذهبي في المنطقة جملة وتفصيلاً، وهنا نتساءل - أيضاً - ما هي مصلحة هذه الدول تحديداً من تبني هذه الرؤية في هذه الظروف الاستثنائية الحالية؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لماذا سمحت الولايات المتحدة لإيران بذلك؟ أو لنقل لماذا غضت الطرف عنها؟ وما هي الأهداف الاستراتيجية التي ستحققها واشنطن من جراء ذلك؟ وهل سيمهد ذلك لنشر مفهوم الفوضى الخلاقة التي تُبشر بها الإدارة الأمريكية؟ والتي تركز على نقل الصراع إلى الداخل العربي الإقليمي أولاً، والإسلامي ثانياً^{٤٤}، وإثارة صراع مذهبي سني شيعي، تقوده إيران خدمة لمصالحها وطموحاتها، وبالتالي إنجاح نظرية صراع الحضارات التي طرحها هنتنغتون، والتي أكد فيها أن الصراع الحتمي سيكون بين الحضارة الغربية والحضارات الصاعدة^{٤٥}، ومنها بالطبع الحضارة الإسلامية، وهذا سوف يسهم في تصفية هذه الحضارة (الإسلامية) قبل صُعودها من خلال نقل الفوضى الخلاقة إلى داخل الحضارة الإسلامية، تمهيدا للتفرغ للحضارات المنافسة الأخرى، وما هي احتمالات نجاح

٤٤ - (سامي الرشيد، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس بوش، القاهرة، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦، ص ٢١٧ - ٢١٨).

٤٥ - (صموئيل هنتنغتون، صراع الحضارات، القاهرة، ترجمة دار الكتاب، ص ٨٦ - ٨٧، ١٩٩٩).



ذلك؟ إذا سلمنا فعلياً بمقولة صراع الحضارات للقضاء على السنة وأهلها، لأن الوجه الحقيقي للأمة الإسلامية في مواجهة الغرب كان بكل تفاصيله عبر مراحل التاريخ ولغاية كتابة هذه السطور يتزعمه أهل السنة؛ فالفتوحات الإسلامية الكبرى كانت كلها تحت رايات لا علاقة لها بالتشيع لا من قريب ولا بعيد، بل هي في نظر الشيعة فتوحات "عربية غير حضارية، بدوية، عنصرية، عسكرية، متسلطة، جنكيزخانية غير متمدنة، وحشية، بدائية، غير إنسانية، همجية...".^{٤٦} قضت على الإمبراطورية الفارسية التي حكمت نصف العالم.

أما القادة الذين كان لهم دورٌ في بناء الدولة الإسلامية فهم الأعداء التقليديون للشيعة، فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص... كلهم في نظر الشيعة أعداء لدُودون للتشيع. ولا تختلف نظرة الشيعة هذه عن موقفهم من طارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمد الفاتح، وعبد الحميد الثاني... وقد وصل الأمر في كثير من الأحيان أن يقف الشيعة مع الصليبيين الغزاة وحتى المغول أيام نصير الدين الطوسي - الملقب بشيخ الطائفة - وابن العلقمي، وهذا ما ذكره علماء الشيعة ومفكروهم ومؤرخوهم الذين يُشار إليهم بالبنان. ومن القضايا الواضحة في هذا المجال وجود ارتباط عضوي بين الصفوية الشيعية والمسيحية وحتى اليهودية؛ حيث تضامن الثلاثة لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية السنية؛ إذ وجد رجالات التشيع الصفوي أنه لا بد من وجود غطاء شرعي لهذا التضامن السياسي، فعملوا على تقريب التشيع من المسيحية واليهودية^{٤٧}.

٣- لا شك بأن إيران تحاول إحياء فكرة قديمة دفينه في تراثها الشيعي الفارسي، وقلة من الخبراء والمتخصصين في الشأن الإيراني هم الذين يعلمون بهذه

٤٦ - (سوف نبحت ذلك بشكل مفصل).

٤٧ - (هذا الموضوع سوف نبخته باستفاضة لاحقاً).



النظرية وماهيتها وأهدافها الحقيقية، وهي " نظرية أم القرى " التي تهدف لإحكام سيطرتها على العالم الإسلامي .

هذه الدراسة معنية - وبإصرار - بتناول هذه النظرية التي أخفيت عن عمد، إلا عن خاصة الخاصة في إيران، وتحليل أبعادها، حيث إن فكرة " أم القرى " تقوم - ببساطة - على أساس أن تصبح الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة المقر للحكم والمرجعية الروحية الإسلامية، وحياسة مجرى النهر الشيعي من المنع الفارسي إلى المصب الشيعي أينما كان^{٤٨}، وأن تصبح (قُم) هي العاصمة الروحية للعالم الإسلامي بدلا عن مكة المكرمة. ووفقاً لذلك، وبعد أن تصبح (قُم) هي القبلة الروحية، سوف تسعى لتحقيق الوحدة بين الدول الإسلامية جمعاء على أسس مذهبية شيعية، كجزء هام من استراتيجية قوتها، فضلا عن كونها من أهم ضماناتها لنجاح فكرة المجال الحيوي المذهبي، خاصة مع تزايد الفائض في هذا الشعور المتراكم الذي تُحاول إيران تغذيته لدى القوى الشيعية والقطاعات في دول الهلال الخارجي، إذ سوف تمتد " خطوط الإمداد المذهبي " إلى خطوط طول أبعد لتصريفه، مما سيؤدي إلى اتساع عدد المحطات والمستهدفين على طول الوطن العربي وعرضه، ومحاولة تطوير الوسائل والأدوات لكافة المناطق، خاصة في مجال البحث الدائب عن أماكن جديدة للنفوذ والسيطرة فيما وراء هذه الخطوط الأيديولوجية والمذهبية، والتي حاصرت قوتها طويلاً في السابق، وفي موازاة ذلك سوف تتبنى استراتيجية الدفاع عن خطوط إمداد مجالها الحيوي، وستسعى إلى إيجاد خطوط بديلة حفاظاً عليها.

وبناء على ذلك، فإن مسؤولية إنجاز هذه المهمة يقع على عاتق دولة أم القرى " إيران " ^{٤٩} التي تعتبر نفسها الركيزة الأساسية للحكومة الإسلامية العالمية القادمة،

٤٨ - (مصطلح يعني أن دولة القلب المذهبي تعتبر نفسها هي صاحبة المرجعية والولاية المذهبية والسياسية).

٤٩ - (سوف نتحدث عن هذه النظرية لاحقاً، ونود الإشارة أن الكتاب الذي وردت فيه هذه=



حيث بشر بقدمها ساسة إيران ومرجعياتهم الدينية، ووفق هذه الرؤية والتصور فإن الدولة التي يقودها ولي الفقيه^{٥٠}، هي الدولة الوحيدة التي تملك النظام الصحيح والسليم، والمخولة بهذه المهمة الإلهية، فهي وحدها التي تتمتع بولاية عامة على جميع المسلمين في العالم، وهي نفسها - أيضاً - ذات مسؤوليات واحدة غير قابلة للتقسيم أو التجزئة بين الدول^{٥١}، وعلى هذا الأساس فهي لا تعترف بالحدود الأيديولوجية المصطنعة بينها - كما ذكر الخميني؛ لأن الأصل هو الوحدة مع هذه الدول لتطبيق الإسلام الصحيح (الشيوعي)^{٥٢}، وفي النتيجة فإن الدولة التي تُصبح "أم القرى" بالنسبة للعالم الإسلامي هي الدولة الجديرة - فقط - بزعامة العالم الإسلامي وقيادته^{٥٣}.

نستطيع القول بأن نظرية "أم القرى" لقيت رواجاً في الخطاب التي كان يلقيها بعض رجالات الدين والسياسة في إيران في عهد الثمانينات، ثم خفت هذه الفكرة لئتم تفعيلها مرة أخرى، وبقوة هذه المرة، وهذا يقودنا إلى السؤال الرئيسي الثالث الذي ستُحاول هذه الدراسة الإجابة عليه، وهو: ما هو المقصود بنظرية "أم القرى"؟ وما هي أهدافها، وأبعادها، ومرتكزاتها؟ وهل يمكن إحيائها

=النظرية يعود للدكتور محمد جواد لاريجاني، وهو أخو علي لاريجاني - الأمين العام السابق لمجلس الأمن القومي، ومسئول البرنامج النووي الإيراني، وعنوان الكتاب هو: مقولاتي در استراتيجي ملي، وهو منشور باللغة الفارسية، لكنه اختفى من المكتبات الإيرانية).

٥٠ - (يطلق عليه الدستور الإيراني ولي أمر المسلمين، الدستور الإيراني، المقدمة، وكذلك المادة ١٠٧ وما بعدها).

٥١ - (مقدمة قانون أساسي إيران، طهران، انتشارات نور، ص ١٨ - ١٩).

٥٢ - (إمام خميني، صحيفه نور، مجموعة رهنمودهاى إمام خميني، طهران، مركز مدارك فرهنگ انقلاب إسلامي، ١٣٦١، جلد سوم، ص ٢٠٠ - ٢٠١، جلد شونزده ص ١٧ - ١، إمام خميني، مواضع ونظريات، طهران، انتشارات سازمان تبليغات، ١٣٧٥، ص ٢٠ - ٢١).

٥٣ - (محمد جواد لاريجاني، مقولات در استراتيجي ملي، مرجع سابق، ص ١٥).



على أرض الواقع الآن بالنظر إلى الظروف الإقليمية والدولية الحالية؟ ولتساءل - أيضاً - هل يمكن تحقيق هذه الوحدة وفرضها وفق الرؤية الإيرانية؟ وهل هذا مُمكن من الناحية الواقعية والفعلية؟

وينبثق عن هذا التساؤل عددٌ من الأسئلة الفرعية التي ستُحاول هذه الدراسة الإجابة عليها، وهي: كيف تتوسل الدولة الإيرانية بنظرية "أم القرى" لإنجاح فكرة المجال الحيوي المذهبي الخاص بها؟ وما هي نتائج هذه النظرية، ومخاطرها على العالم العربي والإسلامي؟ وكيف يمكنُ مواجهتها؟ وبالتأكيد فإن إيران تمهد - حسب هذه النظرية وما سبقها من مخططات، سوف نتناولها بالبحث والتفصيل - لجمع " حبات عقد أم القرى " بهدف إيجاد مجالات داعمة لقوتها، ونظم عقد حباتها مذهبياً وجغرافياً وديموغرافياً^{٥٤}.

ومن هنا، فإن العالم الشيعي المُفترض بحكم هذه المخططات والنظريات المقصود بعقيدة لأن يصبح وحدة مذهبية شيعية وسياسية واحدة، ومن خلال التوسل - أيضاً - بتوظيف العقيدة المهديّة وعودة المهدي الشيعي المخلص الذي سينقذ العالم، وينبثق عن هذا التساؤل سؤال فرعي مهم ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليه، وهو: ما هي أبرز الوسائل والأدوات التي ستوظفها إيران للمّ شيعية الشتات في بناء مجالها الحيوي؟.

٤- أما السؤال الرئيسي الرابع الذي ستُجيب عليه الدراسة هو: ما هو المقصود بعقيدة الخلاص وفق الرؤية الشيعية، وما هو دورها في بناء إيران لمجالها الحيوي؟ فالدولة الإيرانية - وفقاً للدستور الإيراني - قائمة على أساس تصور أنه وفي زمن غيبة الإمام المهدي تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة بيد الفقيه العادل، ومن هنا فإن من واجب حكومة ولاية الفقيه تمهيد الأرضية المناسبة وأسباب القوة والمنعة لعودته، والذي سيقوم بدوره بإقامة الحكومة العادلة التي سوف تُوحد

٥٤ - (اصطلاح يعني ضمها والاستيلاء عليها).



العالم" ^{٥٥}. كذلك فإن الدستور الإيراني يقر في آخر فقرة في مقدمته بأن القرن الحادي والعشرين سيكون هو قرن تحقق الحكومة العالمية للمستضعفين، وهزيمة للمستكبرين كافة ^{٥٦}، بمعنى أن القرن الحالي سيكون إيرانيا شيعيا بامتياز.

ومن هنا، فإنه يمكن فهم موقف الحكومة الإسلامية الحالية، وإصرارها على امتلاك التكنولوجيا النووية، على اعتبار أنها ستكون أحد أهم أسباب قوة الإمام المهدي عند عودته، والوسيلة التي ستدعمه لبناء الإمبراطورية الشيعية العالمية القوية المتطورة، والتي سوف تقضي على الأعداء ^{٥٧}، وعلى هذا الأساس فإن الكثير من العلماء ومراجع التقليد في إيران توقعوا عودة الإمام المهدي خلال العامين القادمين، واقترحوا بناء الفنادق في كل إيران لاستقباله ^{٥٨}.

حتما ليست الإجابة على هذه الأسئلة بمثل بساطتها بأي حال من الأحوال، إلا أن طرح هذه الفكرة يهدف للتوصل إلى مجموعة من النتائج والفرضيات والمؤشرات الإجرائية، وإيران - وفق هذا التصور - تُعتبر - نظرياً وإجرائياً - دولة تسعى لتوظيف المذهب الشيعي بكل أبعاده وأطروحاته حتى الغيبة منها، كل ذلك من أجل رفق نفسها بعوامل داعمة تضمن تفوقها الاستراتيجي والسياسي والمذهبي في المنطقة، وحسب تصوراتها وآرائها الخاصة.

ووفق ما طرح سابقاً، فهل أن استثمار إيران لهذه المعطيات، سيمكنها من بناء نموذج للدولة المذهبية التي تمثل الحلم الإيراني؟ ومن هذا المنطلق سوف نقوم بدراسة حالة الأزمة العراقية كنموذج ينبغي التركيز عليه لمعرفة وتحليل السلوك

٥٥ - (قانون أساسى جمهورى إيران، المادة الخامسة).

٥٦ - (مقدمه قانون أساسى جمهورى إيران، ص ١٩).

٥٧ - (خطاب الرئيس أحمدى نجاد فى مدينة أصفان، صحيفة اطلاعات الإيرانية، ٢٤/٥/٢٠٠٦).

٥٨ - (تصريحات مهدي كروبي، صحيفة كيهان الإيرانية ١٤/٢/٢٠٠٦. تصريحات آية الله جنتي، صحيفة قدس الإيرانية، ٤/٩/٢٠٠٥. تصريحات آية الله محمد مصباح يزدي، صحيفة كيهان ٥/٩/٢٠٠٦).



الخارجي الإيراني تجاهه لمعرفة خطة إيران في بناء مجالها الحيوي إجرائياً من خلال هذا النموذج والمثال، ولا شك بأن العراق الجريح سيكون بمثابة "الظهير المذهبي"^{٥٩} للمجال الحيوي الذي تقوم إيران ببنائه حالياً، وبخطى قياسية متسارعة. وبالتالي فإن الدراسة ستحاول معرفة كيفية سعي إيران لتطبيق فكرة المجال الحيوي المذهبي من خلال دراسة حالة الأزمة العراقية، لنعرف - فيما بعد - ما هي أبعادها، ونتائج تداعياتها على العراق وعلى المنطقة عموماً.

ومن هنا فإن هدف هذه الدراسة هو حشد كافة الطاقات والإمكانات لمواجهة نظرية المجال الحيوي المذهبي الشيعي، وإحباطها تمهيداً لاحتوائها، بدءاً بالعراق الذي سيكون بمثابة "المختبر الجيوبولتيكي لفكرة المجال الحيوي المذهبي الشيعي" والذي يمثل أولى ساحات المواجهة بين العالم السني وإيران. أما تحقيق النصر الاستراتيجي لإيران في العراق - مثلاً - فهذا معناه "هدم التوازن المذهبي"^{٦٠} ليس في العراق فقط، بل في عموم المنطقة من أساسه. ونتيجة لذلك وجه بعض الزعماء السنة العرب في مصر والأردن والمملكة العربية السعودية - بعد احتلال العراق - تحذيراً بأن إيران باتت اليوم تُمارس تأثيراً كبيراً في المنطقة، مُستغلة وصول الشيعة العراقيين للسلطة في بغداد، وهذا اتضح من خلال تصريح الملك عبد الله الذي حذر من الهلال الشيعي، وكذلك الرئيس المصري مبارك، الذي أشار إلى أن الشيعة العرب موالون لإيران دائماً، وليس للدول التي يعيشون فيها^{٦١}.

٥٩ - (الحامي والمصد المفترض للدفاع عن إيران مستقبلاً، لأن من أهم استراتيجيات دولة القلب المذهبي "إيران" نقل الصراع دوماً خارج حدودها السياسية، مثلها مثل إسرائيل).

٦٠ - (معناه سيطرة الشيعة على مؤسسات القرار في العراق، وتهميش الدور السني، وهذا سوف يسهم في اختلال التوازن السياسي، المذهبي. . حيث سيضطر السنة للهرب إلى الخارج نتيجة بطش الشيعة الذين يسيطرون اليوم على مفاصل مؤسسات صنع القرار خاصة العسكرية والأمنية).

٦١ - (زهرا كاظمي، روابط إيران باكشورهاى عربى بعد از فروباشى رزيم عراق، مجلة اطلاعات سياسى واقتصادى، جلد ١٢٣، ص ١٩ - ٢٠، ٢٠٠٧/٨/١٢).



وستكشف هذه الدراسة - أيضا - عن طبيعة التحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران للانقضاض على المنطقة وتقاسمها، حيث تنطلق إيران من خلفيات إمبراطورية تاريخية^{٦٢} ومذهبية حاقدة على دول العالم السني، وأنها مستعدة للتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق هذا الهدف، انسجاما مع هدفها الطموح في بناء إمبراطوريتها الشيعية.

كذلك سوف تضع هذه الدراسة عدداً من السيناريوهات المنبثقة عن جملة من التصورات بناء على أعباء ثقيلة سابقة، ووضعها أمام صناع القرار في الدول العربية، وهي تتمثل بالسيناريوهات والنتائج المترتبة على وهن أو ضعف نظرية المجال الحيوي على إيران، وماذا سوف يترتب عليها إذا لم تعد قادرة على تحمل أعباء ونتائج وتبعات هذه السياسة؟ أي بمعنى إذا تحولت الدولة الإيرانية من الهجوم بواسطة هذا المجال إلى الدفاع بعد أن يصبح عبئا ثقيلا عليها. وهل ستدور الدائرة المذهبية عليها؟ وستبدأ نفس حدودها الإيديولوجية الشيعية بالانهيار، خصوصا إذا ما تبنت الدول المستهدفة (العربية والإسلامية) سياسة دفاع جماعية تقوم على

٦٢ - (تكثُر المراجع الفارسية السياسية والتاريخية من الإغراق في الألقاب التي كان يلقب بها كسرى إيران، بهدف ترسيخها في أذهان طلاب الجامعات الإيرانية كإرث تاريخي، وقد قامت الدراسة بمحاولة حصر هذه الألقاب، وكانت: بادشاه، قبله عالم، أعلیحضرت شهریاری، أعلیحضرت ملوكانه، أعلیحضرت ظل الله، خاقان. وهذه الأسماء تعني باللغة العربية: صاحب الجلالة، السلطان، ظل الله في الأرض، ملك الخافقين. المرجع محمد تقي فخر داعي، تاريخ فارس، تهران، انتشارات علمي، ١٣٣٠، ص ٥٩٤ - ٥٩٥. المرجع: حسين موسوي. تمدن إيران قديم، تهران، نشر فريدون، ١٣٥٨، ص ٢٣٤. وما أشبه اليوم بالأمس، حيث يطلق على خامني ومن قبله خميني: مرشد الثورة الشيعية العالمية، القائد، ولي أمر المسلمين، الإمام دام ظله. وهناك مراسم دورية لهذا القائد من جانب مراجع إيران، ومراجع الشيعة والنخبة الكبار من سياسيين وعسكريين، تدعى مراسم دست بوسي (تقبيل اليد)، وقد قام بها أحمددي نجاد - علنا - بعد فوزه في الانتخابات، حيث تم عرضها على شاشات التلفاز. ونحن شاهدنا خالد مشعل يقوم بذلك في أحد المؤتمرات التي عقدت في طهران).



"قطع خطوط الإمداد المذهبي للمجال الحيوي" ٦٣ الذي تتوسل به إيران ومحاصرته داخليا، مستفيدين من السيناريوهات المحتملة للمواجهة مع إيران، وبالتالي نقل المواجهة إلى العمق الجيوبولتيكي للدولة الإيرانية، محاولين - نحن العرب- الاستفادة من خلخلة الخارطة المذهبية الجغرافية والديموغرافية الإيرانية؛ من أجل دعم إيجاد مصدات دفاع مذهبية داخل دول الهلال الإقليمي العربي والإسلامي، ووضع وسائل الردع الكفيلة للوقوف بوجه نظرية المجال الحيوي المذهبي، ومواجهتها فعليا، ومحاصرتها قبل أن يستفحل خطرهما.



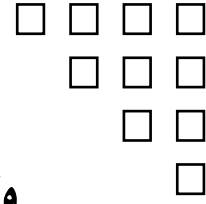
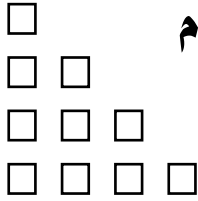
٦٣ - (اصطلاح يعني تنسيق التعاون بين مختلف الدول بهدف تمكين إيران من بناء المنطقة التي تشكل مجالها الحيوي، ومحاصرتها من الداخل، بهدف إشغالها عن التعاطي مع أهدافها التوسعية، وهذا لن يتأتى إلا من خلال نقل الصراع إلى الداخل الإيراني، وبالتالي منعها من التمدد والنفوذ إلى المنطقة).



الفصل الأول

دولة القلب المذهبي

وتطور هذا المفهوم تاريخيا حتى ما قبل قيام الثورة الإسلامية



المبحث الأول

مفهوم دولة القلب المذهبي والفروض الأساسية لفكرة الإمبراطورية الشيعية الموعودة



حددت الدراسة دولة القلب المذهبي دائرة المجال الحيوي للإمبراطورية
الشيعية على النحو التالي:

"هي المنطقة التي تضم مصالح إيران المذهبية والاستراتيجية، وتشمل جميع
الدول^{٦٤} العربية التي تشترك مع إيران بجبرية جغرافية، أو تقع خارج إطارها
الجغرافي المباشر، علاوة على ذلك فهي تضم الدول التي تشمل على أقليات
شيعية ستكون داعمة للحلم الإمبراطوري الشيعي من تركيا، وباكستان، ودول آسيا
الوسطى، والقوقاز، إضافة إلى دول أخرى قد تمثل نقاط ومراكز إمداد مالي
واقتصادي لدولة القلب المذهبي "إيران"، وتضم دولا أوروبية، والدول الإفريقية،
إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية (يشكل الشيعة أو الأقليات ذات الأصول

٦٤ - (هذا المفهوم يضم الدائرتين الشمالية والجنوبية التي بحثناها سابقا، بالإضافة إلى الدائرة
الدولية معا).

الإيرانية جزءاً من نسيجها الاجتماعي) التي تحاول إيران بسط نفوذها على هذه الأقليات بطرق ووسائل مختلفة، ومن أهمها ربطها روحياً بمراجع التقليد الإيرانيين.

وقد توسعت هذه الدائرة من خلال محاولة البحث عن دول جديدة تشتمل على وجود لأقليات شيعية مشتتة بين دول عديدة، وقد رسمت دولة القلب المذهبي أدواراً مختلفة، سواء كانت مذهبية أو ثقافية أو أمنية ولوجستية (خلال العامين الماضيين)^{٦٥}. من هنا يمكننا أن نفهم مغزى التعاون الاستراتيجي القائم بين دولة القلب المذهبي وآيات الله العظام من مراجع تقليد، وحوزات، والتواصل مع الشيعة في الخارج، أو مع فئات تدعي إيران أنها من أصول إيرانية، حيث تزعم أن هناك فئات سكانية من أصول إيرانية في دول إفريقية مثل تنزانيا... وما دَعَمُ إيران السخي لإنشاء مراكز ثقافية وحسينيات وجمعيات في هذه الدول، ومحاولة التغلغل الثقافي والاجتماعي والمذهبي - إلا بمثابة استراتيجيات منظمة تهدف إلى إيجاد نقاط ارتكاز جديدة (تشمل دول وسط وجنوب إفريقيا - على سبيل المثال لا للحصر)^{٦٦}.

تعمل دولة القلب المذهبي "إيران" لتنفيذ غاياتها وأهدافها القومية والمذهبية من خلال استراتيجية ذات مستويين، مستوى أعلى سوف نطلق عليه (الخطّة الكبرى لإقامة الإمبراطورية الشيعية، إمبراطورية المهدي العالمية)، ومستوى أدنى يعالج ما يطلق عليه (الاستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط

٦٥ - (تتبنى الدراسة هذا التعريف بناء على سلوك السياسة الخارجية، خصوصاً تجاه الأزمات الإقليمية والدولية، وكيف يلعب العامل المذهبي دوراً في صياغة السياسة الخارجية الإيرانية).

٦٦ - (میزکرد روابط إيران باکشورهای إفريقيا، تهران، دفتر مطالعات سیاسی، ١٢/٥/٢٠٠٦. غلامعلی روحانی. بررسی عوامل بهبودی روابط ایران وکشورهای إفريقيا، تهران، نشر قدس، ص ١٩٦ - ١٩٨. ندوة حول النفوذ الإيراني في القارة الإفريقية، فضائية صانعي القرار، ٢٠٠٧/٤/٢).



(الإمبراطورية الشيعية الإقليمية الإيرانية)، حيث تحدد الخطة الكبرى استراتيجية تنفيذ الغايات والأهداف العليا بعيدة المدى، والتي تسعى إيران لتحقيقها طبقاً لمراحل زمنية حتى يكون القرن الحالي هو قرن إيران الشيعية بامتياز، أو كما أطلق عليه الدستور الإيراني قرن الحكومة العالمية التي يقودها إمام الزمان، ويهيئ له ولي أمر المسلمين المرشد الأعلى للثورة الإسلامية.

أما الاستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط - والتي تجري حالياً خاصة على الساحة العراقية واللبنانية ودول الخليج أولاً - فهي ترسم أسلوب التعامل لتأمين دولة القلب المذهبي "إيران" لكيانها الحالي، وما تحتله من أراض عربية (الجزر الإماراتية الثلاثة: "طنب الكبرى، والصغرى، وجزيرة" أبو موسى)^{٦٧} ولمواجهة مشاكلها الأمنية الآنية من خلال ما اقترح على لسان الرئيس الإيراني أحمددي نجاد في مؤتمر القمة الخليجية الذي عقد في الدوحة في شهر نوفمبر من العام ٢٠٠٧ من ترتيبات أمنية جديدة، حيث يقول الرئيس نجاد: "إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تسعى إلى بناء مظلة أمنية مشتركة مع دول الخليج الفارسي لتحقيق الأمن والاستقرار، وسيكون أحد أهم أهدافها خروج القوات

٦٧ - (هناك العديد من الدراسات العربية والفارسية التي تناولت العلاقات العربية الإيرانية ودور الأزمات في التأثير على هذه العلاقات مثل: سيار الجميل. الخلافات الحدودية والإقليمية بين العرب والإيرانيين في كتاب العلاقات العربية الإيرانية، عبد العزيز الدوري (محرر) بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦. جمال السويدي (محرر) إيران والخليج والبحث عن الاستقرار، أبوظبي، مركز الإمارات للبحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٦. محمد علي إمامي. خليج فارس ديدكاهاي أميني، مجموعة مقالات جهارمين سمينار خليج فارس، تهران، مؤسسه جاب وانتشارات وزارت أمور خارجه، ١٣٧٣. ولداني جعفرى. بررسى تاريخي اختلافات إيران وعراق، تهران، مؤسسه جاب وانتشارات وزارت أمور خارجه، ١٣٧٦ محمد سعیدی، تحولات أخیر در خاورميانه وسياست خارجي إيران، تهران، مؤسسه بروهشهای سياسي واقتصادي بين المللي، ١٣٧٧. ايرج سيستاني. جزيرة أبو موسى: جزاير تنب بزرك وتنب كوجك، تهران، منشورات وزارت أمور خارجه، ١٣٧٤).



الأجنبية الموجودة في المنطقة" ^{٦٨}. ونحن هنا نتساءل كيف سيتم بناء هذه المظلة في الوقت الذي ترفض فيه دولة الحلم الإمبراطوري أي دور لدول عربية في الأمن الخليجي، حتى ولو كانت ترتبط مع إيران بعلاقات استراتيجية، حيث رفضت إيران - في السابق - أي دور لسوريا في أية ترتيبات أمنية مستقبلية من خلال مفهوم (٦+٢): دول الخليج العربية + مصر + سوريا ^{٦٩}، وكيف سيكون شكل هذه المظلة، ودور إيران فيها، في ظل اختلال الميزان العسكري لصالح إيران وبشكل كبير، خاصة بعد إسقاط العراق من المعادلة العسكرية لصالح القوة العسكرية الفارسية، وكأن دولة الحلم الإمبراطوري تسعى للاستفراد الاستراتيجي والعسكري لفرض هيمنتها من خلال مدخل النظام الإقليمي الخليجي أولاً ^{٧٠}، وثانياً من خلال عزل الدول العربية الفاعلة والموجودة خارج النظام الإقليمي الخليجي. ووفق ذلك ستتحقق الهيمنة لدولة القلب المذهبي الشيعي.

٦٨ - (سخنراني أحمدی نجاد، در کنفرانس خليج فارس در دوحه، خبرگزاری جمهوری إسلامي إيران، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٧).

٦٩ - (جهانگیر علمداری. خليج فارس ونشانه هاي تغيير در سياستها، فصلنامه مطالعات خاورميانه، سال ششم، شماره ٣+٢ دی اسفند ١٣٦٦، ص، ١٤ - ١٥. هوشنك أمير أحمدی. سياست خارجي منطه ای ایران، اطلاعات سياسي واقتصادي، سال هفتم، شماره ١١ و ١٢، مرداد وشهريور ١٣٧٣، ص ٢١ - ٢٢. ٦٩ (أحمد بخشايش. أصول سياست خارجي، تهران، امرای نور، ١٣٧٥، ص ٥٦ - ٧٨. اسکندر بهبودی، بررسی روابط ایران وعربستان، تهران، دانشکاه تهران، ١٣٧٦، ص ٣٦ - ٧١. محمد سعیدی، تحولات سياسي أخير در خاورميانه وسياست خارجي ایران، تهران، مؤسسه بروهشي واقتصادي بين المللي، ١٣٧٧، ٨٤ - ١١١. حميد أحمدی. نظام بين المللي معاصر ونشيبهاى روابط ایران ومصر، مطالعات إفريقيآ، شماره دوم، بائيز وزمستان، ١٣٧٩، ص ٤٣ - ٧٦).

٧٠ - (سوف نبحت الاختلال العسكري بين الدول العربية الخليجية تحديدا وإيران بشكل مفصل لاحقاً).



ولعل أهم ما تتضمنه فكرة المجال الحيوي المذهبي من فروض هو ما يتصل بالتقسيم الثنائي للعالم حسب هذه الفكرة:
١- دولة القلب المذهبي (إيران)^{٧١}.

٢- الهلالين الخارجيين الإقليمي الدولي: الهلال الأول، ويضم الدول التي تمثل أهمية قصوى لدولة القلب المذهبي، وتشمل: العراق، لبنان، سوريا. أما الهلال الثاني، فيشمل الدول العربية المجاورة لإيران، وهي ممثلة بدول مجلس التعاون الخليجي، وتقسم إلى دول حصينة، ودول أقل تحصينا من غيرها من دول هذه المنظومة حسب الرؤية الإيرانية، التي ترى أن بعض الدول الخليجية هي دول رخوة وغير حصينة، حيث يمكن استهدافها بسهولة، في حين إن هناك دولا محصنة لا يمكن النيل منها والنفوذ إليها بسهولة؛ بحكم عدم وجود أقليات شيعية كبيرة فيها، واعتمادها على أجهزة أمنية قوية.

أما الهلال الثالث: فيضم الدول الأخرى، وتشمل دولا عربية وغير عربية، تقع خارج المنطقة الإقليمية المباشرة لإيران، وهي تمثل اهتمامات المجال الحيوي الإيراني، نظرا لدور هذه الدول وشيعة الشتات الموجودين فيها في رقد دولة القلب المذهبي "إيران" بالإمدادات المختلفة، والتي تمثل سندا لإيران لبناء مصداقتها المذهبية، وهذه الجوانب تشكل مجموعها حزاماً وحدوداً وكتلا مذهبية شيعية ممتدة من إيران إلى "الهلال الإقليمي الداخلي العربي والخارجي المفترض وفق الرؤية الإيرانية"، وكذلك فإن دول "الهلال أو الحزام الخارجي" والتي تضم دولا إسلامية وغير إسلامية أخرى تتوزع بين قارتي آسيا وإفريقيا. وعلى أساس هذا التصور فقد أصبحنا أمام دولة لها أجندة توسعية طموحة، لكن بطرق وأسس جديدة، تسعى من خلالها إلى بناء إمبراطورية شيعية عظمى.

٧١ - (تعني إيران باللغة الفارسية: بلاد الآريين، موطن الآريين، فرهنك معين، جلد ٥، ص ٢١٥).



وهذا - بالتأكيد - يتضمن تحديد الخصائص التاريخية الجواستراتيجية المذهبية في كل دولة من هذه الدول على حدا ضمن تتابعها الحلقي، سعياً لتحليل نقاط القوة والضعف فيها، وكيف يمكن النفوذ إليها من خلال استراتيجية مذهبية ناعمة لا تثير الشكوك، ومن هنا فإن إيران تعرف كيف تتعامل اليوم مع دول الهلال الخارجي، وما هي الأساليب التي تتوسل بها للتأثير على واقع هذه الدول، وتعرف كيف تتعامل مع التوزيع الجغرافي للأقليات المذهبية الشيعية، وكيفية توظيف عامل نسبتها من المجموع الكلي للسكان في رفع سقف ودرجة نفوذها وسيطرتها وإحكامها على مواقع صنع القرار السياسي والاقتصادي والديني، وبالتالي تضع استراتيجية فاعلة تنظم من خلالها علاقاتها المتشعبة مع دولة المركز التي تمثل القلب المذهبي (إيران)، ولتحدد بعدها ما هي المؤسسات التي ترعى هذا التوجه، وتحقق أهداف دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" دون وجود كلفة تؤثر عليها.

بعدها يمكن وضع تصور للاستفادة منها كذراع قوي لتكوين مصدات داخل هذه الدول حماية لمصالح دولة القلب المذهبي، وانسجاماً للحفاظ على دورها المستقبلي في الإسهام في بناء المجال الحيوي المذهبي لإيران ضمن خطة واضحة ومرسومة، حيث يتكون هذا النطاق الجغرافي - كما ذكرنا سابقاً - من الأراضي العربية التي تشترك مع إيران بجزيرة جغرافية، وتشمل الدول المطلة على الخليج العربي^{٧٢}، وتشمل الدول العربية الأخرى وغير العربية التي تقطنها أقليات شيعية^{٧٣}، وقد تنامت القوة المذهبية لهذا الهلال نتيجة التطورات المتسارعة خاصة

٧٢ - (تملك إيران أطول حدود بحرية على الخليج العربي، حيث يبلغ طول هذه الحدود حوالي (٣٢٠٠) كم، يليها المملكة العربية السعودية. المرجع: سعيد كيوان شكوهي، موقعيت نظامي خليج فارس، تهران، دفتر مطالعات سياسي وبين الملي، ١٣٦٩، ص (٤٦٦).

٧٣ - (سوف نبحث هذا الجانب مفصلاً عند تناول العامل السكاني عند دولة القلب المذهبي، والتضخيم المتعمد الذي تقوم به لنسبة الشيعة الذين يسكنون الدول العربية الخليجية، =



بعد احتلال العراق، واجتياح الشيعة المرتبطين روحياً ومذهبياً بإيران، وسيطرتهم على مواقع صنع القرار، إضافة إلى التطورات في لبنان - بعد حرب تموز- واليمن، ودور الأقليات الشيعية في صياغة هذه التحولات.

لا شك بأن هناك مجموعة أخرى من العناصر الأساسية التي تمثل عوامل قوة المجال الحيوي المذهبي، فهي تشمل محددات جغرافية تتمثل بفعالية الموقع وأهميته، حيث تدعم قدرة إيران على بناء دولة القلب المذهبي، وأن تصبح دولة المركز بلا منازع أو ضعف، فمرونة الموقع وقوته سوف تمكن دولة القلب المذهبي في أن تصبح حلقة الاتصال بين القلب والأطراف (الهلال الإقليمي والخارجي)، هذا عدا عن فعالية هذا الموقع وإمكاناته ومكوناته في بناء دعائم مصدات دفاع مذهبي.

كذلك ما يتمتع به هذا الموقع، وما أكسبه لإيران^{٧٤} من أهمية تتمثل بمواردها الاقتصادية، وما يمتلكه من موارد داخلية وخارجية كامنة^{٧٥}، كذلك فإن للجزر الإيرانية سماتها، خاصة أن تكوينها لوحدها جغرافية سيشجع توجيه هجرات مذهبية مدنية وعسكرية من داخل دولة القلب المذهبي؛ إذ سوف تشكل في

=وكذلك سياسة إيران في إخفاء النسبة الحقيقية للسنة في التعداد السكاني دوما في تحجيم أعداد السنة فيها. المرجع: سالنامه آماری كشور، تهران، مركز آمار إيران، (١٣٦٨ - ١٣٨٤).

٧٤ - (جواد اطاعت. زئوبولتيك وسياسة خارجي إيران، تهران، نشر سير، ١٣٧٦، ص ١٢ - ٤٥. حسن نوري. موقعيت جغرافيايى إيران ١٢٢٠ - ١٣٥٧، تهران، دانشكاه تهران، ١٣٧٧، ص ٣٥ - ٧٠. علي اميدى. تأثير فروباشى بر زئوبولتيك إيران، دانشكاه تهران، ١٣٧٣، ص ٤٥ - ٨٧. فياض مسعودى. تغييرات زئوبولتيك عمدة در دهه ١٩٩٠ وتأثير آن بر امنيت ملی ایران، تهران انتشارات علمي، ١٣٧٦، ص ٢٥ - ٢٩.

٧٥ - (سوف تناول بشكل مفصل عوامل قوة وضعف دولة القلب المذهبي الجغرافية، الاقتصادية، العسكرية، الاجتماعية. . . وكيف تلعب هذه العوامل دورا في التأثير سلبا أو إيجابا في بناء إيران لمجالها الحيوي).



المستقبل القريب نقاط ارتكاز تمنع تقاطعها الطبيعي مع الحدود السياسية للهلال الخارجي الذي سوف يشكل خطوطاً دفاعية مذهبية من الدرجة الأولى، لكن موارد القلب المذهبي (إيران) - والتي سيتم دراستها- لم تصل بعد إلى مرحلة الكفاية المعيشية للشعب الإيراني حتى تستطيع توظيف فائض مواردها، ولهذا فهي متحفزة للاستفادة من الموارد القادمة من الأقليات الشيعية والإيرانية (دول الهلال الإقليمي وإمكاناتها المختلفة)، وتدوير هذه الموارد لدعم الأقليات الشيعية وإثارتها، ومن هنا، فإن أحد أهم اهتمامات دولة القلب المذهبي الشيعي هو محاولة السعي للسيطرة على موارد إضافية جديدة من دول الهلال الإقليمي التي دخلت - فعليا - ضمن مجالها الحيوي المذهبي وفي مقدمتها العراق ونفطه .

وعلى هذا الأساس بدأت إيران بصياغة حركة اقتصادية فعالة بين مركز دولة القلب المذهبي الشيعي والجيوب الشيعية بصور وأشكال مختلفة، ليكون العراق أول خطوط الإمداد المذهبي، ويمثل - في الوقت نفسه - أقوى المصدات التي تسعى دولة "ولي الفقيه" لبنائها. وإيران تسعى اليوم من خلال استراتيجية الردع إجبار خصومها على الكف عن العمل لاستعادة حقوقهم التي سلبتها دولة القلب المذهبي، والتي تستهدف تحرير الأراضي العربية التي احتلتها من الإمارات - على سبيل المثال- حتى ولو كانت هذه بالطرق القانونية، سواء كانت بواسطة التحكيم، أو حتى اللجوء إلى المنظمات الدولية للنظر في هذه القضية، وإجبارهم على اتباع سياسات واستراتيجيات متواضعة وأقل طموحا في تعاملهم مع إيران؛ وذلك لأن تخلي خصوم دولة القلب المذهبي عن العمل للمطالبة بحقوقهم لفترة زمنية طويلة سيؤدي - تلقائياً - إلى إسقاطها بالتقدم، ولا تتورع السياسة الإيرانية من استخدام وسائل ضغط وخداع عديدة لإجبار الدول الخليجية والعربية على ذلك، بدءاً بالتلويح بالردع العسكري، والعمل به عند اللزوم - وهذا يتضح من خلال استعداد إيران لهذا الخيار للدفاع عن الجزر- وانتهاءً بالضغوط والتهديدات المختلفة في حالة اللجوء حتى للخيارات الدبلوماسية لحل موضوع الجزر الإماراتية، مروراً



بتصدير الفتن والقتال، ودعم إيجاد تنظيمات وميليشيات مسلحة^{٧٦}، وهذه ستكون بمثابة أدوات إيران القادمة لتحقيق الحلم الإمبراطوري الإيراني.

ووفق هذه الرؤية تسعى إيران إلى تأسيس "قواعد ارتكاز ومداخل نفوذ" ما بين قوية ومتوسطة القوة في هذه المقتربات الجغرافية؛ بهدف تجنب التعرض المباشر للعدو لحظة اندلاع أية نزاعات جديدة، وعدم التعرض "لمركز المجال الحيوي"^{٧٧}

٧٦ - (إظهارات رفسنجاني، روزنامه كيهان، ١٧/١٠/٢٠٠٥). وزير أمور خارجه منوشهر متكي، خبركزاري جمهوري إسلامي إيران، ٢٠٠٦/٧/٥. أصغر جعفري. اختلاف مرزي إيران وعراق ١٣٥٤ - ١٣٣٧، تهران، نشر دانشگاه، ص ٧٧ - ٨٥. عبدالله سوري. اختلافات أرضي جمهوري إسلامي إيران وإمارات عربي متحه، تهران، مؤسسة بروهشي وسياسي، ص ٤١ - ٧٠. ايرج افشار سيستاني، جزيرة أبوموسي وجزايرتنب بزرك وتنب كوجك، تهران، منشورات زارت أمور خارجه، ١٣٧٤، ص ٢٥ - ٥٠. بيروز مجتهد زاده، جزاير تنب وأبوموسي، رهنمني در كاوش براي صلح وهمكاري در خليج فارس، ترجمة حميد رضا ملك، محمد نوري، تهران، منشورات وزارت أمور خارجه، ١٣٧٥. وهناك كثير من الدراسات العربية التي تناولت هذه الجوانب، أمثلة عليها: وليد عبد الناصر، إيران دراسة عن الثورة والدولة، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦، ص ٧٠ - ٩٣، عبد الملك التميمي، مسمى الخليج: دراسة في العلاقات العربية الإيرانية، مجلة شؤون عربية، العدد ٨٤، ١٩٩٥. سعيد ماري. النزاع حول الجزر في الخليج ١٩٢٨ - ١٩٧٨، مجلة دراسات الخليج، العدد ٦، إبريل، ١٩٧٨، ص ١٦ - ٢٩. أحمد مهابة. إيران وأمن الخليج، السياسة الدولية، العدد ١٠٥، أكتوبر، ١٩٩١، ص ٢٨ - ٣٤. عبدالإله بلقزيز، الأمة العربية والتحدي الإيراني، في كتاب: الأمن القومي العربي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩، فواز جرجس، النظام الإقليمي العربي والدول الكبرى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، (١٩٩٧).

٧٧ - (يقول الخميني بأنه إذا تعرضت إيران والدول المستضعفة لخطر يستهدفها فلائي تعطى الأولوية بالدفاع؟ كانت الإجابة: طبعاً لإيران. لكن الملفت هو تزمة الإجابة، حيث يضيف: إن مصالح إيران مقدمة دائماً؛ لأنها هي الدولة التي ستنهض بمصالح الأمة الإسلامية، والدفاع عن المستضعفين، فهي الأصل والبقية هي الفرع، بل والمطلوب أن يهب الجميع لنجدتها والدفاع عنها؛ لأنها زعيمة العالم الإسلامي. سخنراني آية الله خميني، روزنامه كيهان، ١٢/٤/١٩٨٦).



في حال تهديده نتيجة نشوب أية أزمة مستقبلية، وهذا الأمر لم يتحقق دفعة واحدة أو بين عشية وضحاها، بل استفادت الجمهورية الإسلامية - مرحليا - من الظروف الداخلية الإيرانية، وكذلك المتغيرات الإقليمية والدولية للتفرغ بهدف بناء هذا المجال - وعلى مراحل متعددة - من خلال تداخلها وتفاعلها مع مداخل الأزمات الإقليمية الموجودة في المنطقة، ومستفيدة في الوقت نفسه من الظروف الدولية التي باتت تستهدف الإسلام السني خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر، وتقديم الشيعة لأنفسهم كبديل^{٧٨}. وفي الوقت عينه كانت إيران الدولة والثورة تقوم بتأسيس مقتربات الارتكاز التي تضمن لها بناء مجالها الحيوي المذهبي بصورة هادئة، وإن شابها الشك أحيانا، كل ذلك بهدف تأمين عدم لفت نظر العدو من خلال إما انشغاله أو إشغاله بجبهات مختلفة.

ونظراً إلى هذه التطورات وجدت إيران نفسها مدعوة للقيام بدور محوري للإسهام في إعادة تشكيل الخريطة المذهبية الإقليمية، بهدف بناء نموذج المجال الحيوي المذهبي والاستثمار الفعال لنتائج التطورات السياسية، ومسار الأزمات والصراعات، حيث أكسبت هذه التحولات إيران خبرات واسعة، ومداخل تريد توظيفها الآن لبناء مجالها الحيوي المذهبي.

وتأسيساً على ما سبق، فإن الدول العربية سوف تكون بمثابة الهلال الإقليمي للدفاع عن دولة القلب المذهبي، حسب الرؤية الإيرانية؛ بمعنى أنها ستشكل المصدات المذهبية للقيام بدور الحاجز أمام الأخطار التي تستهدف قوة القلب المذهبي، ومن هنا سوف تسعى إيران إلى تجميع الوحدات المذهبية وتنظيمها بصور وأشكال مختلفة في هذا الهلال لمحاصرة هذه الدول داخليا؛ تمهيدا لخلخلة تركيبها المذهبية والديموغرافية، وحسم الصراع لصالحها، بحيث يمثل خط الدفاع الأول أمام الهجوم المتوقع على دولة القلب المذهبي، وفي الوقت نفسه ستكون

٧٨ - (هذا ما سوف نبينه من خلال فصول الدراسة).



بمثابة خط الهجوم الداخلي على الأنظمة السياسية التي تعتبرها مراجع التقليد الشيعية في دولة القلب المذهبي بأنها قيادات غير شرعية^{٧٩}.

لا شك بأن إيران ما زالت تُراهن أن بعض دول الهلال الإقليمي العربية فسحت المجال أمام الأقليات الشيعية لتكوين جيوب جغرافية خاصة بها للإقامة، ولم تكن هذه المناطق تمثل عزلة جغرافية قهرية أو حتى اختيارية تؤدي إلى تجمع الأقليات الشيعية عند الهوامش أو في مناطق العزلة، بل كانت لأسباب تتمثل في دافع الرغبة للحفاظ على كيانهما ووجودها الخاص^{٨٠}، على عكس الأقلية السنية في إيران التي دفعتها السلطة إلى النزوح إلى مناطق هامشية؛ نتيجة تعرضها لضغوط عنيفة من العنصر الشيعي باتجاه الهوامش والإطراف، ومناطق العزل النائية والمحرومة، ودفعها عنوة للاستقرار بها؛ خوفا منها، وخشية على الكيان الشيعي^{٨١}.

من المؤكد - كذلك - بأن حركة إيران نحو تفعيل المجال الحيوي المذهبي سوف تؤدي إلى تغيير جذري في علاقات الدول العربية مع إيران؛ لأن "فرضية الصدام المذهبي" ستكون محققة بامتياز هذه المرة؛ فالعالم العربي وشعوبه تتابع بدقة حركة السياسة الإيرانية، وإذا كانت فكرة مُضي إيران في تفعيل فكرة المجال الحيوي ستجيب على الأسئلة المطروحة من زاوية من زواياها وتفسر لنا سلوكها السياسي، إلا أنها سوف تؤدي في النهاية - بالتأكيد - إلى تصاعد درجة الصراع

٧٩ - (كثير من القيادات الإيرانية اعتبرت أن الحكومات العربية الحاكمة هي حكومات كافرة يجب الإطاحة بها. وسوف نتناول هذا الموضوع عند الحديث عن موضوع الخميني ومفهوم الحكومة الإسلامية بتفصيل أكثر).

٨٠ - (لاحظ محاولة عزل الشيعة لأنفسهم في مناطق خاصة في الدول العربية الخليجية وغير الخليجية، فعلى سبيل المثال فهم يقيمون في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، في الجنوب اللبناني...).

٨١ - (محمد ضياء الدين، أوضاع السنة في إيران، مجلة دراسات دينية، العدد ٢٤، أكتوبر ٢٠٠٥، ص ١٢ - ١٣).



على مقياس متعدد الدرجات بين الدول العربية التي يُستهدف مجالها الحيوي بصورة خطيرة ودولة الحلم الإمبراطوري "إيران" .

وفي إطار فكرة المجال الحيوي المذهبي هذه سوف نقدم تصورا واضحا حول توظيف إيران لمجموعة من الاستراتيجيات لتحقيق ذلك، وقد يكون من الأخرى في هذا المجال الإشارة إلى الحالة العراقية التي سنتناولها بالوصف والتحليل، خصوصا أن الأزمة العراقية تحوي ميزات استراتيجية هامة جعلت " أم القرى " (إيران) تكتسب حالة استثنائية تدفعه للتطبيق، حيث تستمد قوتها الآن من "المكنون الشعوري" الذي كبت طويلاً في نفوس القطاع الشيعي في العراق، إضافة إلى " الفائض المذهبي الغريزي لمظلومية " حرمت الشيعة - كما يقول قادتها الجدد - في العراق من إفراغه لفترة طويلة، خصوصاً أن شيعة العراق بحاجة إلى تهيئة مذهبية جديدة توجه هذه الطاقة الكامنة والمعبأة على فرضية المؤامرة .

وقد وجدت المراجع الدينية مرادها بسهولة من خلال توجيه هذه القطاعات التي تعتبر قوة كامنة ورصيда شعبيا متحفزا " للبحث عن عدو جديد " لإفراغ هذه الطاقة انسجاماً مع " القاعدة الشيعية المتوارثة " : كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء، وكل شهر محرم، ولكل زمان ظالم كيزيد^{٨٢} . وهي مقولة دائماً يرددتها الشيعة .

٨٢ - (شبه الخميني نهضة عاشوراء بالثورات الحديثة للوقوف ضد الحكومات الجائرة، وأنه هو الطريق الصائب والصحيح: المرجع: خميني، نهضت عاشوراء، تهران، مؤسسه إمام خميني، ١٩٩٥، ص ٦٦. حسين قمي. إمام زمان از ديدگاه شيعه، قم، انتشارات نور، ١٣٥٧، ص ١٤٥. وقارن الخميني بين الحكومات الحالية، وشبه قادتها بيزيد بن معاوية - رضي الله عنه، وطالب بالخروج عليها، وهذا الأمر بدا واضحا في الوصية التي كتبها قبل موته. المرجع: خميني، صحيفه انقلاب: وصيت نامه سياسي إلهي رهبر كبير انقلاب إسلامي وبنيانكذار جمهوري إسلامي إيران، تهران، سازمان جاب وانتشارات وزارت فرهنگ وإرشاد إسلامي، ١٣٧٣، ص ١٣، ٢٤، ٤٠، ٦١، ٦٢). وقد شبه - أيضا - حسن نصر الله - زعيم حزب الله في لبنان - هجرة النبي =



وقد قدمت التطورات العراقية الآن، وسقوط فكرة الحدود الأيديولوجية التي كانت تفرض عزلة مذهبية على إيران ظروفًا جديدة في دول المنطقة عموماً ودول الخليج العربي خصوصاً، مما أدى إلى توفير بيئة مناسبة أكثر من أي وقت مضى لما يعرف بتوفر " رخصة الملاحه المذهبية الموازية " ^{٨٣} - كما سنبحثها لاحقاً-، والقريبة من خط الساحل إلى دول الخليج العربية، التي تشكل الطائفة الشيعية جزءاً من تركيبهم السكانية، مستمدة قوتها من خلال تصاعد الأصوات الشيعية في هذه الدول لمنحهم حقوقهم المذهبية والسياسية، وبتوجيه من جانب مراجع التقليد والفتاوى المستوردة من العلماء القاطنين في مدينتي (قم ومشهد) والمحتكرين للحوزة والإفتاء، والذين طالبوا نظراءهم في المذهب على الضفة الأخرى من الخليج بمنحهم مزيداً من الامتيازات السياسية والمذهبية.

كذلك أسهمت الظروف الإقليمية - خاصة الحالة العراقية واللبنانية - بمدهم بجلوكوز الشحنات المستمرة من الحركة والحيوية المذهبية ^{٨٤}، وتقوم الاستراتيجية الإيرانية في العراق اليوم على هدف أساسي، وهو ضمان عدم عودة العراق كمهدد لإيران، ويأتي هذا الهدف على رأس أولويات مرشد الثورة الإسلامية في إيران ويترجمه الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد ومعظم قيادات الحرس

=الأكرم ﷺ بهجرة الحسين بن علي إلى النجف وكربلاء. خطاب حسن نصر الله في ذكرى عاشوراء، وهذا التشبيه له مغزاه ودلالاته الخطيرة، محطة المنار، (٢٠٠٨/١/١٣).

٨٣ - (مصطلح يقصد به المد الشيعي، بعد توفر الظروف الموضوعية التي استجدت بعد سقوط العراق، وإجراء انتخابات زورت نتائجه بدعم إيراني كبير لصالح أحزاب شيعية موالية لها، الأمر الذي أحيا مشاعر شيعة المنطقة، مما جعل إيران تحاول الاستفادة من ذلك لبناء مجالها الحيوي المذهبي).

٨٤ - (اصطلاح يطلق على محاولة إيران اللعب على الوتر المذهبي، خاصة فكرة مظلومية الشيعة؛ لإثارة شيعة الشتات، حيث تمارس إيران دوراً محورياً في ذلك، ومن خلال التوسل بطرق عديدة من أبرزها توظيف مراجع تقليدها لتحقيق هذا الهدف).



الثوري، حيث ترى إيران أن اللعب بالورقة العراقية يعد هدفاً استراتيجياً مهماً لإيران، ويرون بأن العراق - تحت القيادة الشيعية - سيكون أكثر أماناً لهم، وذلك على اعتبار أن الشيعة لا يحاربون بعضهم البعض إلا إذا تهددت مصالح إيران القومية والمذهبية فتلجأ لسياسة توجيه قتال بعض الشيعة إذا خرجوا عن حدود الدور المسموح به من جانب دولة ولي الفقيه التي تتحكم بخيوط اللعبة السياسية هناك.

بالمقابل لا أحد اليوم يتحدث عن النظام الفارسي الذي وضع استراتيجية يريد من خلالها بناء إمبراطوريته الشيعية، فهذا هي دولة ولي الفقيه تحتج على المؤسسات البحثية والعلمية التي لا تقرن اسم الخليج العربي بالتسمية الفارسية^{٨٥}، ويصف رئيسها المؤيد بدعم الإمام المهدي " إمام آخر الزمان " الشيعي " أحمددي نجاد الذي يقول: " إن نجاح إيران في دورة تصنيع الوقود النووي هو نصر مؤزر للأمة الإيرانية العظيمة^{٨٦}.

ونتيجة لذلك باتت إيران تعتبر نفسها قوة إقليمية عسكرية محورية ومهمة، وكذلك مركزاً للحضارة الفارسية والمذهب الشيعي، وهي تدعم الإحياء الشيعي في مناطق عديدة من العالم، وتواصل السعي في سبيل تحقيق الطموحات النووية

٨٥ - (احتجت وزارة الخارجية الإيرانية في بيان رسمي بتاريخ ٢٣/٧/٢٠٠٦ على إطلاق بعض المؤسسات البحثية البريطانية على تسمية الخليج العربي في أبحاثها ودراساتها وخرائطها الجغرافية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد أطلقت هناك حملة في المؤسسات العلمية والجامعات الإيرانية، ودعوة المليون توقيع للاعتراض على هذه المؤسسات بواسطة الإنترنت، وإرسال الرسائل والاحتجاجات. جريدة كهيان الفارسية / ٢٥/٥/٢٠٠٥ م.

٨٦ - (أعلن الرئيس الإيراني عن نجاح الأمة الإيرانية في بناء دورة الوقود النووي، وقال بأن إيران أصبحت بعزم العلماء المؤمنين جنود الإمام المهدي عضواً في النادي النووي. وقد أعلن عن هذا الكشف النووي في مدينة خراسان، وهذا الأمر له مغزاه ودلالاته؛ فهي مرقد الإمام الرضا، والمدينة التي سوف تأتي منها الرايات السود الشيعية لإنقاذ العالم).



التي ستقوي شوكتها، ومن المفروض - طبعا - الاعتراف الدولي بمصالحها الحيوية في المنطقة، على اعتبار أنها أصبحت أقوى دولة إقليمية دون منازع، وقد ازدادت أهمية إيران بالنسبة لعلاقتها مع الجماعات الشيعية في المنطقة، في حين حاولت إيران استغلال مطالب الشيعة الذين يتوقون لحقوقهم المهضومة - حسب ادعائهم غير الصحيح - من جانب الحكومات السنية، وتوظيف مطالب الغرب - المشبوهة الهدف - وحتى مطالبات الولايات المتحدة الأمريكية المتكررة للإصلاح السياسي^{٨٧}.



٨٧ - (هذا يشير جملة من التساؤلات من ضمنها: لماذا لا توجه هذه الدول ضغوطها على نفس إيران لإجراء إصلاحات سياسية تحافظ على حقوق أكثر من ٢٥ مليون سني في إيران؟).



المبحث الثاني

الإمبراطورية الفارسية والتحول من مذهب أهل السنة والجماعة إلى التشيع الصفوي



تاريخياً تعتبر الإمبراطورية الفارسية^{٨٨} آخر الإمبراطوريات التاريخية الدموية التي تأسست منذ نشأتها الأولى على التوسع والاستغلال للشعوب المجاورة، وكان نصيب العرب من تلك الأطماع نصيب الأسد؛ بسبب الجوار الجغرافي، والتراث الفارسي الحاقد على الإسلام السني، وتغير المحرك الأساسي والأيدولوجيا لهذه الإمبراطورية، فكانت العرقية الآرية، وتأثير الديانة الزرداشتية، والإرث الإمبراطوري زمن بعض السلالات الفارسية السابقة هي المحرك الأساسي، وبالنسبة للجمهورية الإسلامية اليوم فإن المحرك الأساس هو المذهبية الصفوية، والإرث الإمبراطوري معاً، وهي ومن أهم العوامل التاريخية التي أدت للتحالف بين الإمبراطورية الفارسية والقوى الأخرى ماضياً وحاضراً. وعلى الرغم من كل عوامل القوة التي تمتعت بها الإمبراطورية الفارسية على مر التاريخ وطبيعة التحالفات التي أقامتها، إلا أن الغلبة كانت - دائماً - للعرب السنة في مواجهتها.

كذلك لا بد من الإشارة إلى موضوع مهم وحيوي له علاقة بقراءتنا للواقع التاريخي وتحليل المعطيات التي تداخلت فيما بينها، وأثرت على بناء المجال الحيوي للدولة الإيرانية، وفي تكوين مؤسساتها المختلفة، وهو أنه قد تنازعت إيران - منذ العهود الطويلة - تاريخياً سلطتان هما: سلطة الحاكم السياسي، وسلطة المجتهد الديني. حدث ذلك في ظل دول البويهيين، ثم الأليخانين، ثم الصفويين، لكن

٨٨ - انظر الملحق رقم (١) للتعرف على أهم السلالات والحكومات التي تداولت على حكم إيران منذ القدم ولغاية اليوم).

بشكل خاص في الدولة الصفوية التي كانت شيعية خالصة، ففي إدارة هذه الدولة كان الحكم يتم بناء على الوفاق بين الملك أو الشاه، وبين المرجع الشيعي الأعلى، وعلى الأكثر لم يحدث تناقض بين الاثنين إلا في حالة الدولة القاجارية التي تلت الدولة الزندية؛ حيث شهدت صراعاً بين الشاه وبين المرجع الديني - وكان الشاه آنذاك ناصر الدين شاه الذي تولى الحكم في العام ١٨٤٨م، وأما المرجع الديني فكان السيد حسن الشيرازي، وبرز الصدام بينهما في أمور كثيرة كان أبرزها إعطاء الحكومة امتياز التبغ لشركة بريطانية^{٨٩}.

وفي ظل تلك الدولة اشتدت المواجهة بين الحكم وبين المرجعية الدينية العليا مجسدة بآيات الله والعلماء، وبعد اغتيال الشاه ناصر ١٨٩٦م تمكن العلماء من تغيير الحكم الاستبدادي الذي كان سائداً، وتحت ضغط الشعب بقيادة رجال الدين ثم وضع الدستور وإنشاء مجلس نيابي عرف بدستور عام ١٩٠٦م^{٩٠}، حيث إن عهد الدولة القاجارية شهد تصاعد الحركة الدينية وإصرارها على الحفاظ على امتيازاتها التي تجسدت في دستور ١٩٠٦ بما منحه من صلاحيات لرجال الدين، ومن خلال ذلك تأكدت أكثر السلطة المزدوجة في حكم إيران. وقد أظهرت الأحداث التي خاضتها الحركة الدينية ضد نظام الحكم تحالف البازار مع رجال الدين، هذا التحالف الذي استمر إلى الآن، وقد استمر التناقض هذا بين الشاه رضا خان وابنه محمد ورجال الدين، حيث كان الشاه يستمد سلطته من حق طبيعي مفترض يعود إلى سلالة أو عائلة والواقع حق تفرضه قوة السلاح، فإن رجال الدين في إيران يفرضون شرعيتهم بناء على حق ديني أوجدته نظرية الإمامة التي اعتمدها نظام ولي الفقيه والمراجع لتبرير استمرارهم في السلطة^{٩١}.

٨٩ - (سامي محمود، إيران والخميني، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٧٠).

٩٠ - (كراهام فولر، قبله عالم، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤).

٩١ - (سامي محمود، مصدر سابق، ص ٧٢).



من هنا فإن الذي يُريد أن يدرس أيديولوجية النظام السياسي في إيران حتى ثورته عام ١٩٧٩ فيما بعد لابد له من أن ينظر إليها من خلال عدة أبعاد منها:

تأثير قيام الدولة الصفوية في إيران، حيث إنها الدولة التي أحدثت تلك التغييرات الجذرية في الحضارة الفارسية فكراً وعملاً؛ فهي التي أقرت المذهب الشيعي الاثني عشري كمذهب رسمي للدولة بدلاً من المذهب السني الذي كان سائداً في بلاد فارس، وجعلته المنطلق الوحيد للبناء الحضاري فيها، وقد استتبع ذلك استلهاً تلك الخلفية التاريخية للمذهب الشيعي منذ عهد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في التفكير والتصرف؛ لذلك أعلنت إيران في دستورها المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، في محاولة منها لإحياء ذلك الفكر بكل أبعاده واتجاهاته ومنطقه في الحكم وبناء الحضارة^{٩٢}.

ثم برزت الأسرة الصفوية بعد ثمانية قرون من السيادة التركية والمغولية، عندما استولى شاه عباس الكبير على الحكم في شمالي- غربي إيران، إذ توج شاه إسماعيل في تبريز عام ١٥٠٠ م، وأعلن أنه سليل الإمام السابع، وبذلك أعلن المذهب الشيعي الاثنا عشري دين الدولة الرسمي، مما أثار حفيظة الدولة العثمانية ضده، واستمرت الدولة الصفوية في إيران حوالي (١٢٩) سنة، حيث يعتبر علي شريعتي المؤسسة الدينية التي برزت في العهد الصفوي تختلف عن مراجع التقليد أنفسهم؛ فهو يقول: " إن المرجعية الدينية ضرورة اقتضتها الظروف التي مر بها الشيعة في العهود التي تعرضوا لها، فنظام المرجعية شكل قطباً يلتف حوله الشيعة ومركزاً للقيادة حتى يميزهم عن غيرهم " ^{٩٣}.

ويرجع علي شريعتي تكوين المؤسسة الدينية إلى التأثير التاريخي للمؤسسة الزرادشتية التي تنامت قوتها في العهد الساساني وأصبحت تشارك الحكام سلطتهم

٩٢ - (محمد السعيد عبد المؤمن، مسألة الثورة الإيرانية، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨١، ص ٩٨).

٩٣ - (المرجع السابق، ص ٥٥).



وتنافسهم فيها، وهي نفس الفترة التي تحولت بها العبادة الزرادشتية إلى دين النخبة والحكم أو دافعت عن امتيازات السلطة. ويقول شريعتي: إن الصفويين كونوا مؤسسة دينية تخدم سلطتهم السياسية، فهي مؤسسة لا علاقة لها بمبادئ التشيع، وإن كل الألقاب التي أسبغت على رجال الدين هي ألقاب بقيت لنا من العهدين الصفوي والقاجاري، حيث أسبغ السلاطين تلك الألقاب على رجال الدين ليساهموا في إعلاء شأنهم، وإعطائهم هيبة بين الناس، وذلك لقاء قيام رجال الدين بتبرير السلطة الحاكمة شرعياً، وإن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لم تكن لهم ألقاب كهذه؛ لذلك هي ضلالة لا تخدم الإسلام^{٩٤}.

إلا أن الشيء القائم الآن هو أن المؤسسة الدينية في إيران تتألف من الفقيه وهو يكون على رأس المؤسسة، وهناك آيات الله العظمى والمجتهدون الذين يأتون بعد الفقيه بالمرتبة الدينية، بعدهم يأتي ما يسمى "بحجة الإسلام" أي العلماء الذين هم برتبة حجة، وهناك الملالي الصغار، وطلاب المعاهد الدينية، إضافة إلى شبكة الجوامع وأئمتها وإمام الجمعة. وبما أن مسألة ولاية الفقيه أعلى سلطة في المؤسسة لذلك أقرت بالدستور الإيراني، حيث جاء تحت عنوان ولاية الفقيه العادل، انطلاقاً من قاعدة ولاية الأمر والإمامة المستمرة فإن الدستور يمهّد الأرضية لتحقيق قيادة الفقيه جامع الشرائط الذي تعترف به الجماهير كقائد، حتى تضمن عدم انحراف المؤسسات والأجهزة المختلفة عن مسؤولياتها الإسلامية الأصلية، "مجاري الأمور بيد العلماء والأمناء على حلاله وحرامه..."، ومن هنا فإن المؤسسة الدينية تعتبر هي السلطة المؤسسة التي تهيمن على جميع المؤسسات الأخرى، وتتحكم في تشكيلها واختصاصاتها الداخلية والخارجية^{٩٥}.

٩٤ - (المصدر السابق، ص ٥٧).

٩٥ - (المواد الدستورية المتعلقة بولي الفقيه، المواد ١٠٨ - ١١١، بالإضافة إلى مقدمة قانون أساسي إيران).



من خلال هذه الرؤية نجد أن دور المذهب الشيعي يضرب عميقاً في تاريخ إيران، حتى ليبدو هو ذاك التاريخ وهو يعيد نفسه وحركته وديناميته، ولم تكن الحركة الدينية في إيران ملتصقة بالسلطة، ولا قابلة بها كواقع تحاول تصحيحه - فقط - من حين لآخر، وإنما كانت طموحة للسلطة التي توسع من صلاحيتها ومن نطاقها الجغرافي هي أيضاً، وأصبحت الحركة الدينية البديل لكل حركة ثورية والرديف لكل حركة ثورة وإصلاح، وكان تاريخ إيران الآخر - دائماً - يظهر افتقار المؤسسة الدينية إلى الهيكل التنظيمي الموجود في الأحزاب السياسية، إلا أنها تملك مرتبة واضحة من حيث درجات وفئات رجال الدين الذين يمثلون بمجموعهم هذه المؤسسة، وفي قمة هذه المؤسسة مجلس أعلى مؤلف من رجال الدين، ولكن المجلس يضم - أيضاً - طائفة من تجار السوق والأساتذة وعلماء القانون^{٩٦}.

إن المؤسسة الدينية تعني - بوضوح أكثر - تركيز جميع رجال الدين والعاملين في المراكز والمؤسسات الدينية (العتبات المقدسة - المزارات - الجوامع)، وكذلك في المدارس الدينية والحوزات العلمية الرئيسية ومؤسسات النشر التابعة لها، وتترتب في قمة هذه المؤسسة المرجعية الدينية للشريعة، مراجع التقليد الذين لديهم وحدهم حق تفسير المذهب، واحتكار الاجتهاد الديني والسياسي^{٩٧}.

لهذا لا بد من صياغة عملية وصفية عن تاريخ التوجه الجغرافي للمذهب الشيعي، ورصد هذه الحركة ومسارها، والجوانب التي أسهمت في تسهيل التمدد المذهبي من خلال التجربة الصفوية التي حوّلت إيران من المذهب السني إلى دولة شيعية باتت تُمثل اليوم أكبر خطر على العالم السني، وهذا سوف يسهم في التعرف على كيفية نجاح إيران الصفوية من تحويل دولتها الفارسية السنية إلى دولة

٩٦ - (محمد أحمد حسن - الأحزاب والحركات السياسية في إيران ١٩٥٠ - ١٩٧٨، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣١١).

٩٧ - (فاضل رسول، هكذا تكلم على شريعتي، بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٢، ص ١٧).



شيعة استطاعت حسم الصراع المذهبي لصالح مذهبية الدولة الشيعية - إلى الأبد- كما يقول دستورها^{٩٨}.

وقد تمكنت بالتالي من بناء مؤسسات الدولة الفارسية على هذا الأساس، وبالتالي ممارسة استراتيجية التوجه الهادف للتوسع على أسس مذهبية شيعية أصبحت تهدد كيان الدول السنية في عمقها الديموغرافي وكيانها الوجودي، وهذا الأمر سوف يلقي الضوء عن ماهية عوامل وعناصر القوة، والأدوات التي مكنت الدولة الإيرانية من تحقيق ذلك، وبالتالي الكشف عن أبرز الاستراتيجيات والعوامل والعناصر والأدوات التي وظفتها وتوسلت بها، وبالتالي سهّلت من مهمتها لتحقيق فكرة شيعة الدولة الصفوية أولاً؛ ولذلك فإن هذه المقدمة ستكون محورية ومهمة في رصد اتجاه إيران نحو التشيع، ضمن نظرة تحليلية شمولية، حتى نستطيع التأسيس لأرضية تاريخية سوف تخدم عملية البحث والتحليل.

ومن هنا سوف ننطلق من هذه الفكرة لتتوصل للإجابة عن التساؤل المهم والمحوري عن ماهية العوامل التي هيأت الأرضية لنجاح انتقال دولة بنظامها وجزء كبير من شعبها إلى المذهب الشيعي، وبدرجة باتت تشكل اليوم الدولة المركزية أو دولة القلب للمذهب لشيعه إيران والشنات في العالم، وهذا الأمر سوف يسهم في وضع تصورات لكيفية نمو هذه القوة المذهبية، والأدوار التي اضطلعت بها - سابقاً وحالياً - لمحاربة الدول السنية سواء كانت قديمة (الدولة العثمانية) أو حديثة (العالم العربي السني)، ضمن عملية تتابعية، ووفق ديناميكية ممنهجة تستهدف القضاء على المذهب السني وأهله بكافة الوسائل والأدوات، ومستفيدة اليوم من الإمكانيات والظروف والمتغيرات، ومستفيدة - في الوقت نفسه - من تركيز مزايا جيواستراتيجية مذهبية خاصة^{٩٩} تجمعت في منطقة واحدة هي إيران، وجعلت

٩٨ - (سوف نبحث هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).

٩٩ - (خصائص داعمة للبيئة الداخلية لدولة القلب المذهبي: سياسية، اقتصادية...، وكذلك ميزات إقليمية: الأزمات في العراق، لبنان، اليمن...، وكذلك ظروف دولية: استهداف الإسلام السني خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، الفوضى الخلاقة...).



من أولى مهامها وأولوياتها مواجهة السنة مجدداً، وتحطيم كياناتهم السياسية، وفق تصور حتمية النصر الإلهي للشيعة، على اعتبار أن نهاية التاريخ ستحسم لصالح دولتهم التي ستملأ العالم عدلاً ونوراً.

ما أشبه اليوم بالأمس؛ فاليوم تنتهياً نفس الظروف والمتغيرات بالنسبة لدولة القلب المذهبي (إيران) للثأر مجدداً من السنة، مع فارق التشبيه حسب رؤية مهندسي نظرية المجال الحيوي المذهبي الذين يقودهم آيات الله العظام في طهران وقم ومشهد، وها هم يستشعرون اليوم أن عملية النمو الذاتي المذهبي أصبحت متاحة أكثر من أي وقت مضى، حيث ترجمتها مؤسسات صنع القرار في إيران إلى تصريحات تطالب علناً بضم دول أخرى تمهيداً لإلحاقها بإمبراطوريتها الشيعية الموعودة، على افتراض أن فكرة المجال الحيوي المذهبي مهياة الآن أكثر من أي وقت مضى، وهي تسعى في النهاية إلى السيطرة ومد نفوذها، من خلال شرعية مذهبية موهومة تبيح لها التسيد على الأقليات المذهبية الشيعية وأحقية توجيهها.

بدايةً لا بد من تناول التجربة التاريخية للفرس عندما كانوا يعتقدون الديانة الزرداشتية ثم صاروا شيعة، وللمفارقة فإن اعتناق أي من الديانتين سيان؛ إذ إن هذا البحث والتناول عبر أحداث التاريخ وأطواره المختلفة سيكون هو أصدق برهان على خطورة الفرس والمذهب الشيعي الصفوي على العالم الإسلامي، وهذا سيسهم في عملية الحكم على مرارة التجربة وويلاتها على الأمة الإسلامية السنية.

لذلك فإننا سوف نتكلم من وحي التاريخ، مبتعدين عن التحليلات والقراءات غير الموضوعية والمتحيزة للأحداث، وحتى لا يظن البعض أن الأحوال قد تغيرت، بل على العكس من ذلك تماماً فالتاريخ ما زال يعيد نفسه، خصوصاً التجربة مع إيران الإمبراطورية الفارسية قديماً وإيران الثورة الشيعية، فالتجربة هي أصدق برهان للحكم على أهل الشيعة من خلال الأدوار التي اضطلعت بها الحركات والحكومات الشيعية المتعاقبة داخل جسد الدولة الإسلامية - التي ظهرت



على مر التاريخ - في محاربة الدولة الإسلامية والمذهب السني، وهذا يوضح لنا كنه هذه التجربة وقسوتها.

فالتاريخ الإيراني هو تاريخ بلاد فارس وأساطيرها التي تتحدث عن إمبراطورية وصلت حدودها إلى شرق العالم وغربه^{١٠٠} وهذا التاريخ تمازج بين زهو الانتصار وأسطورة التفوق والتوسع، تأسيساً على العصبية الفارسية لتوحيد الشعوب التي انضوت تحت لواء هذه الإمبراطورية، ولحماية أنفسهم من الأعداء، ولإبراز خصوصيتهم، فصهروا القوميات الأخرى بهدف تشكيل العصبية الفارسية، وإعلاء انتمائهم للعرق الآري^{١٠١}.

ومثلما استخدم الفرس عرقهم الآري استخدموا - أيضاً - القوة والعنف الممزوج بالوحشية لبناء هذه الإمبراطورية وحمايتها من الآخرين والمنافسة معهم، ثم استخدم الفرس هذه السياسة فيما بعد من خلال العصبية الفارسية الشيعية لحماية أنفسهم، بدءاً من المنافسة الكبيرة مع الدولة الإسلامية السنية التي قادها العثمانيون لحوالي (٨٠٠) سنة تقريباً، ثم مع الدول الأخرى التي ظهرت بعد انقراض عقد الخلافة العثمانية، وشكلوا العصبية الشيعية الفارسية المعادية للعرب السنة كما هو في السابق. وقد استخدم الفرس هذه السياسة حتى يصبح النزاع نزاعاً مذهبياً بين السنة والشيعية، وخطوا تاريخهم على هذا الأساس، وقد كتب الفرس تاريخهم كما شاءوا من وجهة نظر العداء الشديد للحضارات والشعوب الأخرى، ووفق فلسفة ونظرية المؤامرة، والفتح الإسلامي لبلاد فارس يعطينا صورة واضحة عن الفرس وأساليبهم.

في الحقيقة إن الفتح الإسلامي لبلاد فارس لم يكن سهلاً على الإطلاق؛ حيث أمضى المسلمون نحو عشرة أعوام في حروب متقطعة مع الفرس، ولم يتم

١٠٠ - (حمزه الأصفهاني، تاريخ بياميران وشاهان، تهران، انتشارات أمير كبير، ص ١٠ - ١١).

١٠١ - (أبو القاسم فردوسي، شاهنامه از روي طبع معروف، تهران، انتشارات مير بهاور، ١٣٢٩، ص ٨٠).



فيها سوى فتح جزئي، فكثيراً ما كانت الأقاليم المفتوحة تعلن تمرداً خصوصاً من جانب القادة العسكريين الفرس بعد أن صالحوا العرب، ولقد سبق للفرس أن حاربوا الروم حرباً ضروساً استغرقت أكثر من (٤٠٠) عام، حيث كان على رأس المقاومة طبقة رجال الدين الذين كانوا يخشون على مصالحهم - خصوصاً المالية - من ضرائب وأملاك. وتذكر المصادر الفارسية أنه لا عجب من أن نجد الأعيان والقادة والعامّة من سكان البلاد هان عليهم أن ينزلوا عن دينهم ولغتهم ويدينوا بالإسلام^{١٠٢} وعلى الرغم من انتشار الإسلام فقد بقيت الروح القومية الفارسية حية، واستمر الوقوف مع المقاومة ضد الحكم الإسلامي^{١٠٣}.

وتذكر المصادر الفارسية نفسها أنهم وقفوا مع إمبراطور الصين "كاتو تسونك" الذي كان ينوي الاستيلاء على آسيا بما فيها بلاد فارس ضد الجيش الإسلامي^{١٠٤}. وترى الكثير من الدراسات الفارسية أن حضارة بلاد فارس^{١٠٥} توقفت قرنين من الزمن؛ وذلك بسبب استيلاء المسلمين العرب الفاتحين الذين أوقفوا تطور الحضارة الفارسية، حيث شبهوا الفتح الإسلامي كغزوات المغول والإسكندر^{١٠٦}، ثم استمرت عملية مواجهة الفتح الإسلامي تباعاً وضمن مخطط مدرّوس، وضمن سلسلة مخططة وممنهجة، فبرز دور الفرس في الحركة الشعبية الداعمة والقائمة على التعصب للعجم ضد العرب، والتي سعت إلى استقطاب

١٠٢ - (عبد الحسين زرين كوب: دو قرن سكوت، تهران انتشارات تهران، ١٣٣٦، ص ٧١ - ٧٢).

١٠٣ - (هنري ماسه، تاريخ تمدن إيران، تهران ١٣٣٦، ص ٢٦٦ - ٢٦٧).

١٠٤ - (مجيد كاظمي. تاريخ روابط إيران وجين، تهران، انتشارات أمير، ١٣٥٢، ص ٨١).

١٠٥ - (الملحق رقم (١) يبرز المراحل التي مرت بها الدولة الفارسية وحتى اليوم).

١٠٦ - (أمثلة على هذه الدراسات الفارسية - زرين كوب، مرجع سابق ص ١١٨، حميد حسني. تاريخ أدبيات إيران، تهران، انتشارات سروش، ١٣٥٧ ص ٢٨ - ٣٠. حسن علوي. تاريخ إيران، تهران، انتشارات تاريخ إيران از دوران باستان تاباين سده نوزدهم، تهران، انتشارات أمير كبير ص ١١١ - ١١٢).



الفرس بهدف بلورة تجمع فارسي مُرتبط بجذور التراث الفارسي القديم المناوي للإسلام؛ بهدف بعث المقاومة، والإسهام في إحيائها كلما خفتت^{١٠٧}.

ويرى الكثير من الباحثين أن قيام هذه الحركة يعود إلى عدة عوامل، من أبرزها أن الحضارة الفارسية كانت تبعث في نفوس شعوبها روح التحدي والوعي، وعدم القبول بوجود قوى مخالفة لها تسعى إلى تدمير منظومتها الحضارية والدينية والقيمية، ورفض قبول الحكم العربي الإسلامي الذي أزال الملك الفارسي الذي كان يعتبر رمزاً لهوية الدولة الفارسية^{١٠٨}. وقد كان للشعور القومي والعصبية العنصرية المتأصلة في نفوس الفرس نصيب كبير في تغذية الحركات المعارضة للحكم الإسلامي وتقويتها بكافة الوسائل والطرق^{١٠٩}.

لا شك بأن هدف الفرس الذي يسعون دوماً إلى تحقيقه عبر التاريخ كان يركز على مسألة القضاء على السيادة العربية، بهدف استرجاع مجدهم القديم المغتصب، وبالتالي إقامة دولة فارسية متميزة الخصوصية في مظهرها وحقيقتها^{١١٠}، وهذا الهدف لن يتحقق إلا من خلال التوسع باتجاه الشرق لبناء مجالهم الحيوي، حيث كان وما زال العراق يُمثل أولى أهدافهم؛ حيث إن تاريخه - أولاً - متداخل مع تاريخ الفرس؛ لأن الأكاسرة كانوا يعتقدون بأن أرض العراق جزءٌ طبيعيٌّ من بلادهم، ويرون أن الأمم والشعوب الأخرى تاريخياً كانوا ضعافاً مكسوري الشوكة، لم يُخلقوا إلا لخدمة الإمبراطورية الفارسية المتمدنة؛ لذلك فإن

١٠٧ - (هناك دراسات كثيرة تناولت هذا الجانب من الأمثلة عليها: عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص ٦٤ - ٦٥، صبحي جميل. الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الإسلامي، بغداد، نشر مكتبة الجامعة، ٢٦).

١٠٨ - (محمد ناصر الدين. الشعوبية وتاريخها الأسود، القاهرة ١٩٧٦، ص ٩ - ١٠).

١٠٩ - (محمد النجار. الموالي في العصر الأموي. القاهرة ١٩٦٩ ص ١٠٥ - ١٠٦).

١١٠ - (محمود أيوب. الفرس وحقيقتهم. القاهرة، دارالتاريخ، ١٩٨٤، ص ٢٦).



إيران ترى أن العراق كان ولازال وسيبقى امتداداً لها^{١١١}، خاصة أن تاريخ إيران منذ آلاف السنين يؤكد أنها كانت تتجه غالباً إلى الغرب- وليس إلى الشمال أو الشرق أو الجنوب- كلما عانت من قحط أو مجاعة؛ لأن الغرب - وخصوصاً العراق - بلد المياه والأرض الصالحة للزراعة، والذي كان يسمى بأرض السواد؛ وذلك لكثافة الزراعة ووفرة المياه، في حين إن الجهات الأخرى المحيطة بإيران كانت لا تختلف عنها من حيث فقر الأرض وشح المياه رغم سعة المساحة، وحينما كانت إيران تتمكن وتحصل على عوامل القوة كانت تغزو العراق وغيره في عملية توسع إمبراطوري معروفة في التاريخ، فتدمر بابل من قبل الفرس واحتلال العراق جزئياً أو كلياً من قبل الدولة الفارسية هي مجرد أمثلة على وجود حاجات فارسية مختلفة ومتعددة في العراق كانت تجبر الإمبراطورية الفارسية على غزو العراق قبل ظهور الإسلام^{١١٢}.

تاريخياً كانت العراق هدفاً لإيران، سواء عندما كانت إيران فارسية مجوسية، أو صفوية، أو شاهية، أو حتى فارسية شيعية، ففي ٢٠٠٣ ق.م قام العيلاميون - وهم أقوام تسكن جنوب إيران - بعملية غزو للدولة العراقية، واستدلوا على عاصمتها سلالة أور الثالثة في محافظة ذي قار جنوب العراق، وفي عهد ملكها أبي سين بعد أن نقضوا العهد والاتفاق معه، ودمروا المدن وسلبوها واحرقوها، وقتلوا الشعب وسرقوا الآثار ونهبوا الدولة. أما في ١٥٢٥ ق.م فقد قام الفرس بقيادة ملكهم كسرى باحتلال مدينة بابل وأحرقوها ودمروا ما فيها من حضارة، ونهبوا كنوزها وآثارها وخيراتها، حتى جاء الملك نبوخذ نصر ليدحر الفرس، ويعيد الآثار، وخاصة تمثال الملك مردوخ الذي وجده في مدينة عيلام

١١١ - (ستيف كيدمان، الحضارة الفارسية تنظفي شعلتها، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٢، ١٩٧٤/٣/٢٢، ص ٢ - ٣).

١١٢ - (نويد شيرازي، إمبراطورية فارسي وعراق، تهران، انتشارات بهرام، ١٣٥٤، ص ١٤٥ - ١٤٦).



الفارسية، وأنهى تحالف اليهود والفرس، وقام بعملية سبي اليهود، التي سميت بالسبي البابلي المعروف تاريخياً^{١١٣}.

أما في عام ١٢٥٨ ميلادية، فقد استعان المغول بالفرس في عملية احتلال بغداد عاصمة الدولة العباسية ومركز الخلافة الإسلامية، وبعد أن قام الإيرانيون بدورهم التخريبي المعروف تاريخياً من خلال زج عملائهم وجواسيسهم في بنية المجتمع العراقي- وقصة البرامكة معروفة في التخريب - وهز أركان الدولة ومركزاتها الحضارية والدينية، مما هيا الأراضية لسقوط بغداد على أيدي المغول الذين أسقطوا مركز الخلافة فيها، وتأمروا فيما بعد عليها.

من هنا فإن العراق عبر مراحل التاريخ كان وما زال يُمثل بالنسبة لإيران "الملجأ الجيوبولوتيكي المذهبي" الأهم الذي يضمن لها الاستقرار وعدم التعرض لمشاكل خطيرة؛ فغزو العراق عبر التاريخ كان يحل بعض نتائج أزمات القحط في إيران، ويوفر لها ثروات طائلة حينما كانت الزراعة هي المصدر الأساسي للثروة، وهذه الحقيقة الجيوبوليتيكية تفسر أسرار صلات التنافس أو الحرب بين العراق وإيران منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وكيفية تكيف حتى الديانات الإيرانية مع الضرورات الجغرافية، مثل تميز الزرادشتية بالسلطة المطلقة للملك ورجال الدين، وقدرتهما على حشد الناس خلفهما لأجل السيطرة الداخلية أو تسهيل الغزو الخارجي^{١١٤}.

١١٣ - (نور الدين السامرائي، تاريخ العراق وإيران، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٢ - ١٣).

١١٤ - (برزت خطورة أزمة المياه في النصف الثاني من السبعينيات نتيجة اكتشاف أن عمر الاحتياطي النفطي الإيراني أخذ يقترب من نهايته مقارنة مع عمر النفط العراقي الطويل جداً، خصوصاً وأن مشاريع الشاه الاستراتيجية كانت تقوم على بناء صناعة متقدمة توفر موارد بديله عن موارد النفط عند نضوبه، لكن مشاريع الشاه هذه لم يكن بالإمكان أن تكتمل قبل نضوب النفط، لذلك بدأ الاضطراب داخل المجتمع الإيراني يزداد حدة وخطورة، وأصبح الشاه أمام خيارين: إما تقليل إنتاج النفط وزيادة الأسعار لإطالة عمر النفط الإيراني، أو استخدام تكنولوجيا جديدة في استخراج النفط تضمن استقرار=



يمكن القول بأن الروح القومية الفارسية لم تمت عند الشعب الفارسي عموماً، بل بقيت عند شرائح وفئات منهم، حيث لم ينسوا ثقافتهم وإمبراطوريتهم، بل دخلوا الإسلام تستراً أو امتناعاً عن دفع الجزية، وقد بقيت الأفكار القومية الفارسية في نفوس شرائح غير قليلة من المجتمع الفارسي^{١١٥}، ويمكن الجزم بأن شرائح من العامة والأشراف الفرس قد أسهمت بدرجة كبيرة في محاربة الدولة الإسلامية على الصعيدين الفكري أو الثورات المسلحة، وبث الفوضى والاضطرابات^{١١٦}.

وقد كانت محاولة خلق ثورات بنوع وخصوصية مميزة هذه المرة، فهذه الثورات أصبحت بحلة ومظهر جديد؛ حيث لبست الثوب الشيعي، واتشحت به، كحركة المختار الثقفي، وحركة زيد بن علي، حيث وجدت منهم كل الدعم والتأييد، ولعل السر في ذلك أنهم كانوا - وغالبتهم من الفرس - يريدون خلق هوية لهم تميزهم، كيف لا وهم يؤمنون بنظرية الحق الملكي المقدس، ويعتقدون بأحقية العلويين بالخلافة، وذلك بصفتهن المزدوجة كونهم من سلالة النبي محمد ابن عبد الله ﷺ من جهة، وأمهم فاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ وزوج علي، وهو من سلالة آل ساسان من جهة أمهم (شهر بانو) ابنة يزدجرد آخر ملوك الساسانيين حيث تزوجها الحسين بن علي، ومن هنا فإن طائفة الاثني عشرية

=موارده، واختار تقليل الإنتاج وزيادة الأسعار، فوجد نفسه في صف واحد مع دول الأوبك التي تعد ثورية ومناهضة للغرب لأنها كانت تطالب برفع أسعار النفط، وهكذا اصطدم الشاة بالسعودية، ففتح بنفسه أبواب حملة حقوق الإنسان ضده مباشرة بعد رفعه لأسعار النفط، وبدأ حديثه عن عزمه على إقامة إمبراطورية إيرانية، وبنائه خامس قوة في العالم لإعادة أمجاد فارس. صلاح المختار. هل توجد بروتوكولات حكماء الفرس، موقع البصرة الإلكتروني).

١١٥ - (الدوري، مرجع سابق ص ١٤، عبد الله الخطيب، الحكم الأموي في خراسان، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٤٤).

١١٦ - (الخطيب، مرجع سابق، ص ١٠٦).



الشيعة - حسب هذا التصور- لا يمثلون حق النبوة فقط، بل يمثلون الملك - أيضاً- لأنهم من سلالة النبي محمد ﷺ وآل ساسان معاً^{١١٧}.

وقد اخترع الصفويون فكرة الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام منذ سبعة آلاف سنة، وذلك بوراثة هذا الحق. وعندما تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنهما - بنت ملك الفرس "يزدجرد" بعد معركة القادسية اجتمع حقان: أهل البيت في الخلافة (حسب نظرية الإمامية) وحق ملوك إيران، بالإضافة إلى نيابة المهدي^{١١٨}. وهذا الحق انتقل اليوم إلى ولي الفقيه الذي منحه الدستور الإيراني مثل هذا الحق انسجماً مع ما طرحه الخميني - سابقاً- بأن منزلة الولاية أعلى وأرفع من منزلة النبوة^{١١٩}، والصفويون قاموا بإحياء السلطة المقدسة التي كان يتمتع بها ملوك إيران القدماء، بمعنى أن الصفويين قد وجدوا من خلال المذهب الشيعي مبرراً لإحياء نظام الإمبراطورية الفارسية القديمة بكل أبعادها.

ولم تتوقف محاولات الفرس عند محاربة الدولة الإسلامية السنية فقط، بل وقفوا إلى جانب الثورات التي خرجت على الدولة، مثل حركة عبد الرحمن بن الأشعث التي ظهرت لمحاربة الدولة الأموية، وكان من الطبيعي أن يتعاون الموالي الفرس معها، وقد كان لهذه الحركة أثر كبير في إضعاف الحكومة القائمة^{١٢٠}. وبعدها توالى ظهور الحركات الانفصالية الفارسية المسلحة، وبرز ما يسمى بالدويلات الإيرانية التي أخذت أشكالاً وصوراً عديدة، وعرفت بحركة "بهافريد"

١١٧ - (مرتضى مطهري، خدمات متقابل إسلام وإيران، انتشارات قم، ص ١١٤ - ١١٦).

راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، دار العلوم، القاهرة ص ٦٤).

١١٨ - (راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، المرجع السابق، ص ٦٤).

١١٩ - (قانون أساسي، المواد ١٠٧ - ١١٢، خميني، صحيفة نور، مجلد ١١، مرجع سابق، ص ١١٧ - ١١٩).

١٢٠ - (أحداث هذه الثورة وردت بشكل مفصل في كتاب ابن الأثير. الكامل في التاريخ،

الجزء الرابع، ص ٢٢٥. يوليو ولهاوزون. الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف

العش، القاهرة، دار المعرفة، ص ١٨٩ - ١٩٥).



التي تبنت أفكارا زرداشتية، وهدفت هذه الحركة إلى إعادة إحياء الديانة الزرداشتية التي دافعت عنها كثير من المراجع الفارسية الحديثة، واعتبرتها ديانة قائمة على التوحيد^{١٢١}.

وما دمنا نتحدث عن هذه المرحلة، فإننا لا ننسى هنا دور الفرس في الوقوف إلى جانب هولوكو، حيث كان على علم بضعف وتردي الدولة العباسية وبخاصة في عهد الخليفة المستعصم بالله الذي تولى الخلافة سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م، وكان الخليفة تنقصه الكفاءة اللازمة التي تؤهله لحكم البلاد، وقد كان وزيره مؤيد الدين العلقمي ذا دهاء ومكر، وهو شيعي المذهب، وعلى خلاف مع الخليفة وحاشيته وابنه أبي بكر الذي كان يُدافع عن أهل السنة والجماعة، فكان العلقمي - على ما يراه أغلب المؤرخين - زين لهولوكو فتح بغداد انتقاماً للشيعنة^{١٢٢}.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هولوكو اتخذ من نصير الدين الطوسي - الشيعي المذهب - وزيراً له، ولقد نصح العلقمي وابن الطوسي هولوكو وأشاروا عليه بالألا يدخل في صلح مع الخليفة العباسي؛ لأنه لن يدوم طويلاً، ونصحوه بقتل الخليفة؛ وذلك نكاية بالسنة، حيث كان الخليفة هو رمز للعالم السني^{١٢٣} - كما زين شيعة اليوم للغرب احتلال بغداد - وهذا برز من خلال تحالف إيران مع الغرب والولايات المتحدة- وهو ما سوف نبحثه لاحقاً- ودورها في إعدام رئيس العراق السابق - على الرغم من اختلافنا معه - في يوم الأضحى المبارك السني، حيث كان أضحى الشيعة في اليوم التالي كما أعلن عن ذلك عبد العزيز الحكيم.

١٢١ - (الشهر ستاني، الملل والنحل، جزء ٢، ص ٧٠ - ٨٠. البيروتي، الآثار الباقية من القرون الخالية، ص ٢١. تاريخ تمدن إيران، مصدر سابق، ص ٩٤. جعفر متقى. تاريخ شناخت أديان. تهران، انتشارات حسينية إرشاد، ١٣٥٠، ص ٤٧٦ - ٤٧٧).

١٢٢ - (محمد السامرائي، تاريخ العراق، جزء ١، بغداد ١٩٨٦، ص ٢١. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني، ص ٢٤٥).

١٢٣ - (ابن كثير، البداية والنهاية، جزء ٣، ص ٢٠١. السبكي، طبقات الشافعية، جزء ٥، ص ١١٠).



أما الحكومة البويهية (٣٣٣ هـ - ٤٤٧ هـ) الشيعية المتسلطة، فقد سيطرت على الخلافة العباسية ابتداء من عهد الخليفة العباسي "المطيع لله" سنة (٣٣٣) هجرية حتى عهد الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" سنة (٤٤٧) هجرية، و"بنو بويه" أصلهم من بلاد الديلم في الجنوب الغربي من شاطئ بحر قزوين، وكان أبوهم أبو شجاع بويه رجلاً من عامة الناس يتعيش من السمك، وهم من أهل فارس، وكان أصل "بني بويه" ضعيفاً خاملاً، ولكن ساعدتهم الظروف وضعف الخلافة العباسية على أن يسيطروا على بلاد فارس والأهواز ومعظم بلاد ما وراء النهر، وقد تعاضمت قوتهم حتى دخلوا بغداد سنة (٣٣٤) هجرية، وتسلطوا على الخلافة العباسية، ونكلوا بالناس أشد تنكيل، وكان هذا التاريخ الحقيقي لسقوط السلطان الفعلي للخليفة العباسي، وأصبح منصبه شرفياً دينياً فقط لا غير، والسلطة والنفوذ بيد حكومة البويهيين، حيث لقبوا حاكمهم بالملك أو بالشاهنشاه^{١٢٤}، ولكن ما الذي حدث على يد هذه الحكومة؟ وما هي نتائجها؟

لقد حاول "معز الدولة" أن يزيل اسم الخلافة عن أهل السنة وعن العباسيين، ويوليها علوياً شيعياً، ولكنه تراجع عن هذا الهدف خوفاً من ضياع نفوذه وسلطانه. وقد أدخل البويهيون نظام الإقطاعيات الذي أفسد اقتصاديات العراق^{١٢٥}، وجعل الفلاحين يهملون زراعة الأرض وإصلاحها. وفكرة هذا النظام تقوم على توزيع الأرض كمنح وعطايا وهبات على الخاصة من القادة الأمراء والوزراء، وهذه السياسة كانت من أهم أسباب الدمار الاقتصادي في هذه الفترة.

١٢٤ - (كلمة فارسية تعني ملك الملوك، وهو لقب اتخذته - أيضاً - شاه إيران محمد رضا بهلوي، حيث لقب نفسه بـ آريا مهر، واليوم يلقب الحاكم في إيران الثورة الشيعية بالولي الفقيه، ولي أمر المسلمين جميعاً - حسب الدستور الإيراني).

١٢٥ - (لاحظ اليوم أسهمت إيران في تدمير الزراعة، وفككت المصانع العسكرية والمدنية، وسرقتها من العراق، حتى يبقى الشعب العراقي تحت رحمة الغذاء والدواء والمحصولات الزراعية الواردة من إيران، واشترت مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة في عموم أرض العراق. وسوف نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).



أما ما اشتهر به آل بويه فهو ذم الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين-، فقد كان الناس قبل البويهيين يحترمون الصحابة كلهم على مذهب السلف الصالح، فلما جاءت حكومة البويهيين الشيعة ظهرت عقائدهم المنحرفة، وظهر سب الصحابة، وكتب ذلك على جدران المساجد صراحة سنة ٣٥١ هجرية، وبرزت البدع الشيعية في يوم عاشوراء أول مرة سنة ٣٥٢ هجرية، عندما أمر "معز الدولة" في ١٠ محرم أن يضرب الناس عن العمل، ويعلنوا الحداد، ويلبسوا اللباس السواد، وظهرت بدعة عيد الغدير، ولم يكن لأهل السنة قدرة على المنع؛ لأن الحكومة كانت شيعية خالصة^{١٢٦}.

ولابد من الإشارة - أيضاً - إلى أمر بالغ الخطورة قد تمثل بترك الحكومة البويهية الشيعية أمر الجهاد في سبيل الله، وعطلت الثغور، ولم يشاركوا الأمم الإسلامية المجاورة في الذود عن الثغور الإسلامية بدعوى غياب الإمام المعصوم الذي سيكون الجهاد تحت رايته، مما أعطى الفرصة لأعداء الإسلام - وخاصة الروم - أن يستردوا جميع الثغور الإسلامية الكبرى^{١٢٧}، ونتيجة لذلك ثار المسلمون على الخليفة والبويهيين، وتكاتبوا فيما بينهم للخروج لجهاد الروم، وتبرع الخليفة العباسي ب (٤٠٠) ألف درهم لتجهيز المجاهدين، فقبضها رأس الحكومة البويهية الشيعية بختيار بن معز الدولة، وأنفقها على مصالحة الخاصة.

١٢٦ - (وهذا ما نلاحظه اليوم في حسينيات إيران، إضافة إلى صدور فتاوى تم توزيعها في العراق بدعم وتوجيه إيراني، خاصة بعد زيادة التغلغل الإيراني خاصة في مجال إحياء البدع الشيعية، وسب الصحابة، وتدمير مساجد السنة وحرقتها. سوف نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).

١٢٧ - (أصدر آيات الله العظام الشيعة في إيران والعراق فتاوى بحرمة الجهاد وقتال المحتل الأمريكي في العراق، إنجاحاً للتجربة الديمقراطية التي زورت الانتخابات، ودعمت وصول تيارات شيعية موالية لإيران، وحاقدة على أهل السنة في العراق وخارجه هناك، واصدروا فتاوى في قتال السنة، وهتك أعراضهم، وسبي نساءهم، واعتبارهم غنائم حرب. سوف نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).



ولابد هنا من الإشارة - أيضاً - إلى قيام الحكومة البويهية الشيعية بإذكاء الصراع الطائفي بين أهل السنة والشيعية، وأصبحت مناسبة عاشوراء من كل سنة موعداً دائماً للفتنة الطائفية، وأدى إلى انعدام الاستقرار في الدولة البويهية، مما كان سبباً مضافاً إلى التعجيل في سقوط الدولة البويهية في العراق، وأصبح القتال يتجدد سنوياً، والفتنة تزداد عاماً بعد عام، ويقتل في هذا الصراع المئات بل الآلاف، وامتد القتال ليشمل القبور فأحرقت وبعثرت، حتى قام الشيعة بحرق قبر الإمام أحمد بن حنبل سنة ٤٤٣ هجرية، وفتح هذا الصراع الطائفي المجال لإحياء الصراع العرقي والقبلي، فاقتتل الديالمة مع الأتراك وثار العصبية، وقد اتهمهم الكثير من المؤرخين بإذلال الخلافة والتآمر ضدها^{١٢٨}.

أما الحكومة الثانية فهي الحكومة العبيدية (الدولة الفاطمية) (٢٩٧ - ٥٦٧) هجرية، والتي قامت في بلاد المغرب ووسط قبائل البربر - الذين كانوا يجهلون حقيقتهم وأهدافهم - سنة ٢٩٧ هجرية، وظلت بالمغرب حتى انتقلت إلى مصر سنة ٣٦١ هجرية^{١٢٩}، وظلت جاثمة بالقوة والعنف المفرط على صدور المصريين وأهل الشام واليمن والحجاز لقرنين من الزمان، إلى أن قبض الله صلاح الدين الأيوبي لينتصر عليها سنة ٥٦٧هـ، وقد اتبع العبيديون سياسة الاعتماد على اليهود والنصارى في ولاية الأمور والتحالف معهم^{١٣٠}، وكانت أبرز سماتها: تعيين

١٢٨ - (أصدر آيات الله العظام الشيعة في إيران والعراق فتاوى لقتل السنة في العراق من علماء ودعاة وأساتذة جامعات وعسكريين وطيارين، على اعتبار أن هؤلاء حاربوا ويحاربون الشيعة، كما دنسوا مقابر السنة. سوف نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).

١٢٩ - (تحاول إيران اليوم النفاذ إلى مصر، وقد أسهمت هناك في تشييع عدد من الناس من عامة الشعب، ودعمت تنظيم الشيعة الذين لا يصل عددهم إلى بضعة الآف، وأنشأت اتحاداً تحت اسم "أحباء أهل البيت" الذي أعلن أمينه العام ولاءه المطلق لمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي. الجزيرة، لقاء مع أمين منتدى آل البيت، ٢٠٠٥/٥/١١).

١٣٠ - (هذا ما يتكرر اليوم. سوف نتناول العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بالتفصيل).



اليهود والنصارى في المواقع الهامة للتحكم بمصائر المسلمين، وإسناد المناصب التفويضية والتنفيذية الهامة لهم. وعملت الحكومة الشيعية العبيدية على إجبار المصريين على تغيير مذهبهم السني إلى التشيع عنوة، واحتفلوا بكل البدع الشيعية، وشجعوا على إحيائها، وحثوا الناس على التصوف. وقد أصبحت الحكومة الشيعية العبيدية ملاذاً آمناً للزنادقة والملاحدة وسائر الفرق الباطنية، وفي ظل حكومتهم ظهرت فرق النصيرية والدروز، وشجعت هذه الحكومة حركات التمرد والثورات ضد الخلافة العباسية^{١٣١}، ولم يبق الأمر عند هذا الحد؛ فقد ادعى أحد رؤساء هذه الحكومة الألوهية - وهو (الحاكم الفاطمي) - ولا زالت آثار النصيرية والدروز تعمل في الأمة الإسلامية حتى الآن، وتنخر في جسدها خراباً وتدميراً.

حاربت الحكومة العبيدية الشيعية أهل السنة في كل مكان حتى في أقصى شرق الدولة الإسلامية، فأرسلت دعواتها إلى الهند والسند لنشر التشيع، ومحاربة أهل السنة^{١٣٢}، وتحالفوا مع الدولة البيزنطية ضد السلاجقة الأتراك أهل السنة

١٣١ - (هذا التحالف يتجسد اليوم من خلال التحالف الاستراتيجي بين الثورة الإسلامية في إيران، والنظام العلوي في سوريا، كذلك أسهمت إيران في التحالف بين النظام العلوي وحزب الله في جنوب لبنان. للمزيد عفيف حسن. التحالف بين إيران وسوريا: الدوافع والأهداف، المجلة، العدد ٣١٢، نوفمبر، ٢٠٠٧، ص ٧ - ٩).

١٣٢ - (نفس هذه السياسة تقوم بها إيران اليوم، فقد أنفقت أكثر من (١٠٠) مليون دولار في نشر المذهب الشيعي وتعزيز وجوده، من خلال بناء الحوزات والحسينيات خلال الفترة الواقعة ما بين ٢٠٠١ - ٢٠٠٥، وإرسال المراجع الشيعية، وإعطاء المنح للشيعية الهنود لدراسة المذهب الشيعي في التخصص الذي يطلق عليه اليوم في حوزات قم بالإلهيات، ومعناه باللغة الفارسية هو تخصص الشريعة والفلسفة، ويتوزع الطلبة الهنود بين دراسة هذا التخصص، ودراسة اللغة الفارسية في جامعتي طهران ومشهد، وتركز إيران على إعطاء منح للطلبة الشيعية الهنود في جامعات تقع في مناطق ذات قدسية خاصة، فجامعة مشهد قريبة من مرقد الإمام الرضا الذي يقده الشيعية، وحوزات قم تقع بالقرب من مرقد المعصومة، كل ذلك بهدف تعميق الانتماء المذهبي للطلبة الهنود الشيعية، ومستغلة في الوقت نفسه الظروف الاقتصادية السيئة لهؤلاء الطلبة. ومن =



الذين أسقطوا الحكومة البويهية بالعراق، وأقيمت الاتصالات بين حكومة العبيديين وإمبراطور بيزنطة من أجل التنسيق لحرب السلاجقة السنة، وعادوا وتحالفوا مع الحملات الصليبية بالشام من أجل منع تقدم نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي لمصر، واتبعوا سياسة الاغتيالات لتصفية علماء وقادة أهل السنة، وتبنوا جماعة الحشاشين التي أسسها "الحسن الصباح" الذي تربى وتعلم في مصر على يد الحكومة العبيدية الشيعية^{١٣٣}.

بعدها توالى قيام الدول الشيعية؛ فقد قامت الدولة الصفوية الشيعية (٩٠٧-١١٤٨هـ) التي تلت الدولة العبيدية، وأخذت على عاتقها نشر المذهب الشيعي والتبشير به ومحاربة أهل السنة في كل مكان؛ بهدف إضعاف دولة الخلافة العثمانية التي كانت منشغلة وقتها في فتوحاتها في أوروبا، وهذه المرحلة التاريخية تمثل محطة مهمة في سعي إيران للتوسع والهيمنة في بناء مجالها الحيوي؛ فقد برزت من خلال العصر الصفوي الذي تبنت فيه هذه الدولة استراتيجية إقامة علاقات تحالفية مع الدول الأوروبية، وتوظيف رجال الدين كأداة لتحقيق هذا الهدف، مستفيدين في ذلك من الوضع القائم آنذاك^{١٣٤}، وهذا ما يعيد إلى

=المضحك ما تقوم به الدولة الإيرانية من إطلاق أسماء مذهبية على هؤلاء الطلبة - كما حدثنا بعض الإخوة الدارسين في إيران - فكليم (معناه باللغة الهندية موسى كليم الله - عليه السلام - يصبح الكاظم، ويونس يصبح مهدي، وهكذا. وتقوم المستشارية الثقافية والمؤسسات الثورية الشيعية التابعة لسلطة ولي الفقيه في إيران بدور نشط في الهند اليوم).

١٣٣ - (زهرا مجتبی بور، تاريخ كزیده ایران، تهران، انتشارات مؤسسة بزوهش تاريخي، ص ٣١٧ - ٣٢٠. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جزء ٦، ص ٢٦٨ - ٢٧٠. محمد طعمة، التاريخ السياسي للبويعيين، دار المعرفة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢٧ - ٢٨. عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية، بغداد، ص ٢٤٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٩١ - ٩٤. أكرم بهرامی، تاريخ إيران ازا انحسار تاسقوط، تهران، انتشارات علمي، ص ١٩٠ - ١٩٢).

١٣٤ - (سليم واكيم، إيران في الحضارة، بيروت، دار الكتب، ١٩٧١، ص ١٠٧ - ١٠٨).



الأذهان صورة الإمبراطورية الفارسية التي ألفت أسباب فشلها على العهد الإسلامي الذي أعادها إلى الوراثة حسب وجهة نظر الكثير من المؤرخين الإيرانيين الحاليين^{١٣٥}.

يمكن القول بأن الدولة الصفوية في إيران قد قامت على أسس الحضارة الفارسية القديمة من خلال عنصرين هما: الوحدة الوطنية، والمذهب الرسمي للدولة، وهما المبدأ اللذان قامت عليها الإمبراطورية الساسانية، وكان اختيار الدولة الصفوية للمذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لإيران وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بزعامتهم؛ فقد أعلن المذهب قبل أن يتم للدولة السيطرة على إيران، فملوك الصفويين كانوا يحكمون بناء على تفويض إلهي باعتبار أن الملك هو وكيل للإمام، وأنه معصوم لا يخطئ، وعلى هذا الأساس توارثت إيران منذ القدم ولغاية اليوم هذه المعتقدات، إضافة إلى الإرث والفكر الإمبراطوري جيلاً عن جيل ودولة عن دولة.

إن وصول النظام الصفوي إلى سدة الحكم في إيران - فيما بعد - كان نتاج توازنات دولية، حيث وجدت روسيا القيصرية أن أمنها الاستراتيجي يقتضي وجود نظام سياسي في إيران يكون حاجزاً يقطع الاتصال الجغرافي بين الجزيرة العربية "السنية" وجمهورية آسيا الوسطى المسلمة^{١٣٦} "السنية"^{١٣٧}، فدعمت وصول

١٣٥ - (جيمز موريه، سرگذشت حاجي باباي أصفهاني در إيران، ترجمه: ميرزا حبيب أصفهاني، تهران، انتشارات حقيقت، ١٣٥٤، ص ٢٥٤).

١٣٦ - (عبد الرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي إيران از ابتدای دوران صفوية تا بايان جنك دوم جهاني، تهران، جابخانه سبهر، ١٣٧٧، ص ٢٥٨ - ٢٦٠. فيروز كاظم زاده، روس وإنكليز در إيران ١٨٦٤ - ١٩١٤ بزوهشي دربارہ امبرياليسم، ترجمه: منوجهر اميري، تهران، انتشارات و آموزش انقلاب إسلامي، ١٣٧١، ص ١٨٠ - ١٨١).

١٣٧ - (لا تزال روسيا تخشى من السنة في هذه الجمهوريات حتى الآن، والواقعة تحت حكمها، حيث ما زالت تديقها أشكال الهوان والعذاب، وتمنعها من ممارسة شعائرها، =



الصفويين للحكم الذين نشروا التشيع في إيران بالقوة، وأخرجوها من دائرة التفاعل مع العالم السني كما كانت سابقاً.

فعندما قامت الدولة الصفوية وجدت نفسها محصورة بين عدوين: أولهما من الشمال، وهي روسيا القيصرية، والأخيرة كانت لا تخفي طموحاتها اتجاه إيران، وكانت هنالك في الغرب الدولة العثمانية آنذاك، والتي كانت تدين بالمدب السني، هذا بالإضافة إلى الموجات الآتية من شبة القارة الهندية، هذا الوضع ساهم في جعل الكيان الإيراني والدولة الصفوية تشعر بالتعسف والاضطهاد، وتنزوي في صحراء إيران، مما جعلها تعيش حالة من التخلف الدائم الذي انعكس على بنية المجتمع الإيراني. والإنسان الشيعي الإيراني أصبح سلفياً يتوجه نحو الماضي ويتمسك بالتقاليد والأعراف بدل التصدي للحاضر والتطلع إلى المستقبل، وتزداد السلفية شدة وبروزا بمقدار تخلف المجتمع، وتترسخ السلفية من الناحية الذاتية بمقدار الشعور بالعجز عن مجابهة تحديات الطبيعة والمتسلطين على اختلاف فئاتهم ومرتباتهم، وهذا الوضع ميز الحضارة الفارسية بسمة المحافظة على الذات، وديمومة كيانها، وسلفية الإنسان الشيعي سواء كان عادياً أو رجل دين.

لذلك كانت الطبيعة الفارسية تنزع دائماً إلى بعث الماضي الحضاري الفارسي وطابعه المميز بين المجتمعات المجاورة لدولة فارس، ويتمسك الفارسي بالدين من أجل ترسيخ العرف الشائع الذي يخدم مصالحهم قبل كل شيء، ويعززون سطوة التقاليد من خلال آيات وأحاديث لا مجال للشك فيها، وإلا تعرض إيمان الإنسان المغبون للخطر، وأمله الوحيد في عزاء الحياة الآخرة للتلاشي. ولكن اللافت للنظر هو أن المجتمع التقليدي والذين يُمسكون السلطة فيه ويتمتعون بكل الامتيازات لا يُبرزون من الدين سوى الجوانب التي تؤكد سلطتهم وسطوتهم،

=وبناء مساجدها كما هو الحال في إيران الشيعية. عبد المؤمن سعد الدين، المسلمون في روسيا قرون من التنكيل، مجلة الفجر، العدد ٤٣، تموز، ١٩٩٨، ص ٨ - ٩.



حيث يعود العرف الشائع والنظام التراتبي الذي يبرز ويتكرر على مسامع المغبونين - فقط - إلى تلك الجوانب التي تؤكد على القناعة بالأمر الواقع وتقبله^{١٣٨}.

في البداية كانت أغلبية المسلمين الساحقة في إيران من أهل السنة الشافعية، إلى أن قامت هذه الدولة الصفوية على يد إسماعيل الصفوي في عام ١٥٠١م، وأعلن أن دولته (شيعة إمامية إثنا عشرية)، على الرغم من أن علماء الشيعة حذروه بأن لا يفعل ذلك؛ لأن الأغلبية الإيرانية الساحقة تنتمي إلى أهل السنة، لكنه رفض وقال مقولته المشهورة: (إنني لا أخاف من أحد، فإن تنطق الرعية بحرف واحد، فسوف أمتشق الحسام، ولن أترك أحدا على قيد الحياة). وقام بصك عملة الدولة، منقوشاً عليها مع اسمه عبارة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ وليّ الله).

تاريخياً ستظل الدولة الصفوية التي أعلن إسماعيل الصفوي قيامها تمثل نقطة تحول رئيسية في تاريخ إيران على الإطلاق، فقد شكلت تلك الدولة الإطار الذي كان الإيرانيون يسعون إلى تحقيقه لكي يكونوا شخصيتهم ومكانتهم الإقليمية والدولية ويميزوها، خاصة بعد إقرارهم وتسليمهم بحتمية الدور الإسلامي الناتج عن إقرار إيران بقبولهم الدين الإسلامي ديناً رسمياً لهم بعد الفتح العربي-الإسلامي لها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فمنذ تلك اللحظة التاريخية التي دخل الإسلام فيها إيران والإيرانيون في سعي دائم لبلورة نمط جديد، ورؤية جديدة، وفكر جديد يكون من أهم نتائجه المحافظة على التميز النوعي-النسبي الذي تتمتع به الهضبة الإيرانية منذ ما قبل الميلاد في إطار الحضارة البشرية.

لا شك بأن الترحيب الإيراني بالإسلام ظل ينقصه دوماً هدف يتوازي مع هذا الترحيب، فقد ظلت إيران طوال تسعة قرون تلهث أو تمضي من أجل بلورة

١٣٨ - (مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦، ص ١٥٥).



شخصية ذات ملامح وخصائص وسمات مستقلة تتفق - كما سبق القول - مع المكانة الإقليمية والدولية التي كانت تتمتع بها إيران قبل الإسلام.

فعندما وقعت حادثة كربلاء (٦٨٣م) أدرك المسلمون فعلياً أن مذهباً جديداً قد تشكل في رحم الإسلام - إن جاز لنا هذا التشبيه أو الوصف - وهو المذهب الذي ظل يمثل جدلية دينية - فقهية - مذهبية منذ ذلك الوقت وحتى الآن، فلقد مثل المذهب الشيعي منذ ولادته وتشكله رسمياً هذا النمط من الجدلية المركبة في عناصرها وتوجهاتها وطموحاتها بل وفي طبيعتها وعناصرها المكونة لها، إذ لم تكن حادثة السقيفة التي شهدت مبايعة بعض أفراد النخبة للخليفة أبي بكر الصديق - أحد ثاني اثنين - سوى البذرة التي غرست من جانب المبايعين - من دون قصد - في رحم الإسلام، وهي البذرة التي أخرجت وأنتجت لنا المذهب الشيعي. وقد وجدناهم في حالة من السعي الدائم من أجل تحقيق الاستقرار الجغرافي، وإدراك المشروعية من جانب عامة المسلمين.

ومنذ بلورة هذا المذهب وهو يعاني حالة من التشرذم الجغرافي بسبب السياسات الأموية والعباسية من بعدها. هذه واحدة، والثانية أن المذهب ظل يعاني من فقدان المشروعية بين عامة المسلمين، وكلا العنصرين شكلاً معاً الدوافع الحقيقية من أجل تحقيق الهدف المقدس لهم، والذي يمكن بلورته في السعي من أجل تحقيق وإيجاد وطن قومي للشيعية، وطوال قرون تسعة عانى الشيعة من حالة التذبذب الجغرافي والشرعي رغم نجاحهم النسبي في اتخاذ مصر وطناً قومياً لهم في فترة الفاطميين، ولكن نظراً لأن تقديراً إلهياً آخر كان قد قدر في الكتاب - ومنذ الأزل - بأن إيران هي التي ستصبح وطناً قومياً للشيعية، فقد تبذلت المقاعد وصارت مصر قلعة لأهل السنة عبر بوابة الأزهر الذي أسسه قائد فاطمي شيعي، ثم أصبحت إيران وطناً قومياً للتشيع بعد أن كانت أرضاً صالحة ومنتجة لفقهاء المذهب السني طوال قرون تسعة.

من هنا فإنه عندما خرج إسماعيل الصفوي - حفيد الشيخ صفي الدين



الأردبيلي مؤسس الأسرة الصفوية - ليعلن اتخاذ المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لإيران كانت إيران - هي الأخرى - قد أعلنت عن استعدادها لاحتضان هذا المذهب، ولأن أصبح بالفعل وطناً قومياً للشيعية في ظل هذه الثنائية والمزاوجة المتبادلة التي تعيشها إيران منذ أكثر من خمسة قرون. وانطلاقاً من أرض إيران نجح الاستعمار الحديث - طوال القرون الماضية - في تغذية العداء التاريخي بين السنة والشيعية، وهو العداء الذي أراق دماء إسلامية أكثر مما سببته العناصر الخارجية الأخرى^{١٣٩}.

وكان من بين الأساليب التي استخدمها الشاه إسماعيل لمحاربة العثمانيين وزعزعتهم نشر الفوضى والقلاقل والاضطرابات والاعتقالات في أراضي الدولة العثمانية، ونشر المذهب الشيعي^{١٤٠}.

ومن هنا كانت فتنة "شاه قولو" التي دبرها الصفويون، إذ كانت من كبريات الفتن التي أصابت الدولة العثمانية. وتعود بداية هذه الفتنة إلى شخص شيعي اسمه حسن خليفة، تظاهر بالزهد هو وابن له يدعى نور، واعتكفا في أحد الكهوف بجبل قريب من أنطاكيا، ولما وصلت أنباء زهدهما إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني، أغدق عليهما الهبات والعطايا، لكن هذا المدعي للزهد لم يكن إلا أحد دعاة التشيع، وأحد خلفاء الشيخ حيدر، والد الشاه إسماعيل، وأحد دعاة الشاة إسماعيل، حيث أرسل نواباً عنهما إلى مناطق عديدة من الدولة العثمانية، وقد كان الصفويون والشاه إسماعيل يهدفون من وراء هذه الحركة - إضافة إلى

١٣٩ - (مدحت حماد، ماذا بعد أن أصبحت إيران وطناً قومياً للشيعية، مختارات إيرانية، العدد ٤٦، مايو ٢٠٠٤).

١٤٠ - (تبتت إيران بعد الثورة مفهوم تصدير الثورة، ويعرف باللغة الفارسية بمفهوم صدور انقلاب، ولا شك بأن إيران قامت بعد الثورة الشيعية بتشكيل مجموعة كبيرة من الخلايا والتنظيمات في دول الخليج العربية، مثل: السعودية، البحرين... وليد الناصر، إيران وجماعات العنف السياسي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠).



نشر المذهب الشيعي - القضاء على الدولة العثمانية السنية،^{١٤١} وإلى السيطرة على طرق التجارة والقوافل والمنافذ البحرية.

وفي سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٩م) توفي حسن خليفة، فواصل ابنه نور نشاط أبيه، وتولى أمور التنظيم والدعوة، وأطلق على نفسه اسم "شاه قولي" أي عبد الشاه، أو خادم الشاه، مما يدل على إخلاصه للشاه الصفوي إسماعيل، لكن بعد افتضاح أمره صار الناس يلقبونه بـ "شيطان قولي" أي عبد الشيطان أو خادم الشيطان، وصار أتباع شاه قولي من الكثيرة بمكان، فبدأ يدعو بالبيعة للشاه إسماعيل، ووصل بدعوته إلى منطقة البلقان، وصار شاه قولي يدعو لنفسه باعتباره خليفة الشاه الصفوي إسماعيل في الأناضول، وقد قرئت الخطبة باسم الشاه إسماعيل. ومن جملة ما أحدثه هؤلاء المتمردون من مفاسد وفتن أن "دمروا جميع المساجد والجوامع والمدارس في المناطق التي دخلوها، كما أحرقوا جميع نسخ القرآن الشريف الناقصة والكتب الدينية المزورة حسب زعمهم، وكان شاه قولي يعين أحد أتباعه على كل منطقة يستولي عليها، وبلغ تمرد سنة ٩١٥ هـ / ١٥١٠م درجة كبيرة من النجاح، الأمر الذي جعل الحكومة العثمانية تحشد الجيوش للقضاء على هذه الفتنة الكبيرة.

استنزفت هذه الفتنة الشيعية دماء المسلمين وإمكانياتهم وطاقاتهم زهاء ستين (٩١٥ - ٩١٧ هـ)، مما حدا بالأمير سليم - الذي كان والياً على طربزون في أقصى شرق الأناضول - أن يطلب من والده بأن يتنازل عن العرش، ليتولى هو مواجهة الاعتداءات الإيرانية الشيعية التي كانت تهدد كيان الدولة، وربما كان ذلك هو السبب المباشر الذي جعل السلطان سليم (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) يبدأ نشاطه

١٤١ - (قارن ذلك بما قامت به إيران مؤخراً من دعم الحركة الحوثية التي تشيعت في اليمن، الأمر الذي اضطر اليمن إلى استدعاء سفيرها من طهران، بعد اتهام إيران بدعم هذه الحركة، التي كانت تستهدف الإطاحة بنظام الحكم هناك، والتمهيد لعودة الإمامة لحكم اليمن. جريدة الحياة اللندنية، ٢٠٠٧/٩/١٥، جريدة القدس العربي، ٢٠٠٧/٩/٢١).



العسكري شرقاً، فكانت معركة جالديران في شهر رجب من سنة ٩٢٠ هـ (آب ١٥١٤م) مع الصفويين أولى الحروب التي خاضها، واضطرته لوقف الفتوحات الإسلامية على الجبهة الأوروبية ليتفرغ لهم.

أخذ السلطان سليم على عاتقه القضاء على فلول قوات شاه قولي، واستخدم القوة مستعيناً بالصدر الأعظم يونس باشا، ولم يكن من خيار أمام السلطان سوى استخدام القوة؛ لأنهم تهادوا في القتل والسلب وهتك الأعراض^{١٤٢}، ومن هنا لجأت الدولة الصفوية الشيعية إلى استراتيجية تشجيع الثورات والخارجين على الدولة العثمانية، وإيجاد جيوب شيعية في قلب الأمة السنية، ودعمت كل الفتن والتمردات التي وقعت داخل الدولة العثمانية؛ كذلك دعمت الحكومة الصفوية تمرداً شيعياً قاده رجل اسمه "بابا ذوالنون" في شرق الأناضول، وتمرداً آخر بقيادة "قلندر جلبي" في منطقة قونية ومرعش، والأخير جمع جيشاً من الشيعة يقدر بثلاثين ألف مقاتل قاموا بذبح المسلمين السنة في هذه المناطق، وكلفت هذه التمردات المتتابعة والمدعومة من الصفويين الدولة العثمانية الكثير من المال والجهد، وأعطت الفرصة لأعداء الإسلام في أوروبا أن ينقضوا على أملاك العثمانيين في البلقان ووسط أوروبا في مناطق عديدة من الدولة العثمانية، الأمر الذي استنزف هذه الدولة وكلفها الكثير.

وكذلك عملت هذه الحكومة على محاربة أهل السنة أينما وجدوا، وكانت هذه السياسة تمثل مرتكزاً أساسياً لكل حكام هذه الدولة، فمؤسس الدولة "إسماعيل الصفوي" كان شرساً في حروبه التي خاضها ضد أهل السنة، حتى إنه قتل في حروبه (الأوزبك وأهل العراق والقوقازيين) مليون مسلم سني، وكان يتتبع

١٤٢ - (صابر طعيمة، الأصول العقائدية للإمامية، القاهرة، دار العلوم، ١٩٨١، ص ١٩ - ٢٠. عبد الرحمن نصر الدين، تاريخ الدولة الصفوية، القاهرة، دار الكتاب ١٩٨٦، ص ١٧ - ١٨. أمير عبد العزيز، تاريخ الإسلام والمسلمين، القاهرة، دار العروبة، ص ٨٣٨. كامل محمود، الدولة الصفوية تاريخ وأحداث، لبنان، دار الحرية، ١٩٧٤، ص ٢٨ - ٢٩).



علماء أهل السنة فيفتك بهم، ويحرق كتبهم، ويهدم مدارسهم، ويمزق مصاحفهم. وعلى هذا المنوال سار خلفاء إسماعيل الصفوي، بل فاقه بعضهم في عدائه لأهل السنة مثل ما حدث في عهد حفيده "عباس الكبير" الذي وضع سياسة "إما أن تشيع، وإما أن تقتل أو تُسَمَل عينك".

إن الشاه إسماعيل كان يجمع بين التعصب المذهبي والغلو وبين الدموية؛ فقد نقل عنه أنه أكثر القتل، وكان لا يتوجه لبلاد في إيران إلا فعل أشياء يندى لها الجبين من قتل ونهب، حتى قتل من أعظم علماء العجم "السنة" وحرق كتبهم، ثم أمر الشاه إسماعيل الجنود بالسجود له، وكان من دمويته أن ينبش قبور العلماء والمشايخ "السنة" ويحرق عظامهم، وكان إذا قتل أميراً من الأمراء أباح زوجته وأمواله لشخص ما من أتباعه.

وكان أتباعه يقدسونه، ويعتقدون أنه لا ينكسر ولا يقدر عليه أحد، وبعد احتلاله لبغداد أمر الشاه إسماعيل قائد جيشه حسين لاله بتهديم مدينة بغداد، وقتل أهل السنة والصلحاء، وتوجه إلى مقابر أهل السنة ونبش قبور الموتى وأحرق عظامهم، وبدأ يسوم أهل السنة سوء العذاب يقتلهم محاولاً أن يغيرهم للتشيع، وهدم مسجد أبي حنيفة النعمان في مدينة الأعظمية، ونكل بقبر أبي حنيفة ونبش قبره، وهدم المدارس العلمية للحنفية، وهدم كثيراً من المساجد، وقتل كل من ينتسب لذرية خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في بغداد لمجرد أنهم من نسبه ١٤٣.

١٤٣ - (لاحظ ما يحدثه الإيرانيون وأعدائهم في العراق من قتل وفتك وهدم للمساجد ودور العبادة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، حيث اعتبر أحد مراجع الشيعة الإيرانيين بأن ما يحدث في العراق هو قدر إلهي، ملمحاً إلى أن من ضرورات عودة المهدي خراب البصرة، والموت الأسود في العراق نتيجة لهذه الفوضى، أي بمعنى من كل مئة شخص يقتل ٩٩ شخصاً حسب هذا الزعم الشيعي. ومن هنا لا بد من ذبائح بشرية للكعبة المهدوية، حيث إن الإمام زار أحد مراجع التقليد العظام في منامه وأبلغه برسالة يأتمنه عليها لإرسالها إلى شيعة العراق، بأن عليهم الصبر لأن الفرج قادم بعد عامين من=



وكان إسماعيل الصفوي أول حكام هذه الدولة الذي تجرأ وبادر بمهاجمة الدولة العثمانية، بعد تأسيس دولته مباشرة. وكذلك دخلت الدولة الصفوية منذ نشأتها في حروب دائمة وطاحنة مع الدولة العثمانية السنية زعيمة العالم الإسلامي في وقتها، وقامت بعقد اتفاقيات وتحالفات مع أعداء الإسلام؛ حيث تحالف مع الدول الأوروبية الصليبية، ومع ألد أعداء الإسلام في حينها وهم البرتغاليون، حيث تقرب الشاه إسماعيل الصفوي إلى البرتغاليين قبل معركة "جالديران" سنة ٩٢٠ هـ، ووافق على احتلالهم لعدة أجزاء من جنوب الخليج العربي مع علمه المسبق وإدراكه بأن البرتغاليين كانوا يخططون لاحتلال المدينة ومكة، ونبش قبر الرسول ﷺ للمساومة بجسده الشريف ﷺ على القدس، ونجد ذلك صراحة في الخطاب الذي أرسله "البوكيرك" قائد الأساطيل البرتغالية إلى الشاه إسماعيل الصفوي، وجاء فيه: (إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإن أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم "مكة" فستجدني بجانبك في البحر الأحمر... ١٤٤).

=الآن. انتهى. ويجتهد المرجع المبجل في فتواه لأهل العراق بأن من علامات ظهور الإمام المهدي خراب البصرة، وانتشار الخراب والدمار في العراق، حتى ينادي مناد من السماء ويل للعرب من شر قد اقترب، فعلى الإخوة الشيعة الكرام ومراجعهم أينما كانوا في العراق، الإسهام في حرب الفئة الضالة (السنة) للتعجيل بالخلاص حتى يظهر إمام الزمان الذي لن يظهر، إلا بعد أن تملأ الأرض جوراً، ووعد بالفرج لأن إمام الزمان سوف يعود بحلول العام ٢٠١٠. فتوى مترجمة باللغة الفارسية، حيث قمنا بترجمتها، وهي صادرة بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٤، من أحد المراجع العظام في قم، ولم يكتب عليها الاسم).

١٤٤ - (قارن هذا الأمر بالأسلوب الذي تلجأ إليه إيران من خلال ما يعرف بدبلوماسية الرسائل التي تتوسل بها إيران لخطب ود الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموماً، وما أعلنت عنه وسائل الإعلام من رسائل مباشرة بين الطرف الإيراني والغرب عموماً، والاستعداد للتعاون مقابل الاعتراف بالدور الإيراني ونفوذه في المنطقة. سوف نتناول هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).



أما الشاه "عباس الكبير" والذي قد فاق الجميع في عداوته لأهل السنة، فقد اتصل بملوك النصارى في أوروبا، واتفق معهم على تقويض الدولة العثمانية السنية، وقدم لنصارى أوروبا تنازلات ضخمة من أجل ذلك، فسمح لهم بالتنصير في بلاده، وبنى الكثير من الكنائس^{١٤٥}، وسمح لهم بحرية التنقل في بلاده، وأعطاهم امتيازات اقتصادية كبيرة، وأسبغ عليهم حمايته الشخصية، وتمادى في مجاملتهم حتى شرب معهم الخمر في كنائسهم أيام أعيادهم، ولما أحس "عباس" بضعف البرتغاليين نقل موالاته إلى الإنجليز.

ولابد كذلك من الإشارة كذلك إلى أن الدولة الصفوية قامت بالتنازل عن أراض إسلامية سننية طوعاً لأعداء الإسلام عموماً والدولة العثمانية خصوصاً وهم الروس؛ وذلك حقدًا على الدولة العثمانية السنية، وتقوية للعدو الروسي عليها من جهة، ولأن شعوب هذه الولايات كانوا من أهل السنة المتمسكين بعقيدتهم السنية من جهة أخرى، فتنازل الشاه "طهماسب" الثاني عن داغستان وسواحل بحر قزوين وجيلان ومازندران وأجزاء من أرمينيا وجورجيا وأجزاء من وسط القوقاز، الأمر الذي وضع السنة في هذه الدولة تحت نير الثورة الشيعية التي نكلت بالمسلمين السنة أشد تنكيل فأخذها الروس غنيمة باردة^{١٤٦}.

١٤٥ - (عبرت رسالة صادرة عن الكنائس في إيران نشرت في إحدى الصحف الإيرانية عن ثنائها للحكومة الإيرانية، وجاء في هذه الرسالة: إن الطوائف المسيحية في إيران تتقدم بوافر الشكر والتقدير للحكومة الإيرانية على رعايتها للطائفة المسيحية، واهتمامها بعملية بناء الكنائس في مناطق عديدة من إيران. في حين لم يسمح - وحتى كتابة هذه السطور - ببناء مسجد سني واحد في طهران. وذكر لنا عدد من الدبلوماسيين العرب أنهم يضطرون للصلاة يوم الجمعة في مصلى أقامته السفارة السعودية على نفقتها الخاصة في منطقة في طهران، ومصلى آخر أقامته السفارة الباكستانية، والمصلبان لا يتسعان لأكثر من (١٥٠) شخصا، وعادة ما تكون الرقابة مشددة على المصلين خوفا من صلاة السنة الأجانب مع السنة الإيرانيين المقيمين في طهران العاصمة، حيث يتم اعتقال من يقوم بذلك فورا).

١٤٦ - (سوف نتحدث لاحقا عن سياسة إيران اليوم، وتعاونها الأمني ضد السنة في=



استحدث الشاه إسماعيل بدعاً أصبحت من المسلمات عند الشيعة عموماً فيما بعد؛ وذلك لهدف تمييز حقوقهم وجعل خصوصية لهم تميزهم عن أهل السنة من ضمنها شتم الصحابة، فقد أخذ من سب الخلفاء الراشدين الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين الشيعة، وأمر بأن يعلن السب في الأماكن العامة كالشوارع والأسواق وعلى منابر المساجد، وكذلك تنظيم الاحتفالات بذكرى مقتل الحسين - رضي الله عنه - سنوياً، وإظهار التطبير (ضرب الرؤوس حتى التدمية بآلة حادة وسكين كبير تسمى الطبر)، وضرب الظهور بالزنجيل - وهو الجزير - حتى الاحمرار، واللطم على الوجوه والصدور، ولبس الأسود منذ بداية شهر محرم، (وتبدأ هذه الفعاليات منذ الأول من محرم إلى اليوم العاشر منه يوم (عاشوراء)، وهو يوم مقتل الحسين، ويمنع الزواج في شهر محرم، وهذا الأمر كان قد استحدث في الفترة البويهية) التي تؤثر في النفوس كدعاية للشيعة.

ومنذ سنة (٩٠٧ - ٩٣٠هـ) إلى يومنا هذا والشيعة في إيران والعراق ولبنان وباكستان يعتبرون هذا من صلب دينهم، وإذا ما أراد حاكم أو مسؤول منعهم قالوا: هذا يعادي التشيع. وهم يعلمون أولاً أن الشاه إسماعيل هو أول من أوجد هذه البدع لنشر التشيع. وتذكر بعض المراجع الشيعية بأن الشاه إسماعيل اقتبس هذه المراسيم من النصارى حيث كانوا يقومون بطقوس دينية عن مصاب المسيح

=الجمهورية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، خوفاً مما اصطلح على تسميته في الدبلوماسية الإيرانية وإعلامها بروز الإسلام السعودي أو السلفية السعودية، وتطلق عليه وسائل الإعلام الإيرانية وخصوصاً الصحف تسميات مثل: الإسلام السعودي، الطالباني، الوهابي الجديد، السلفي المتطرف. مهران علوي، مقالة روابط إيران وعربستان سعودي، جريدة قدس الإيرانية، ٢٠٠٢/٨/١٢. كذلك تحارب إيران الدعاة السنة الأتراك، وتصطلح على تسميتهم بالإسلام العثماني الجديد، أو الطورانية الإسلامية. المرجع: كريم قمي، تاريخ روابط إيران وتركية، مجلة خاورميانه، سال چهارم، ١٣٧٨، ص ٥٨.



والحواريين؛ لذلك كان يدعو النصارى لحضور مواكب التعزية^{١٤٧}. ولا بد من الإشارة كذلك إلى وضع الشهادة الثالثة في الأذان: (أشهد أن علياً ولي الله)، وهذه البدعة وضعتها فرقة شيعية في القرن الرابع الهجري، ثم جاءت بعدها الثورة الإيرانية لتحيي هذه المراسيم مجتمعة وتعظم من شأنها.

كذلك دعم الشاه إسماعيل الصفوي في إيران موضوع تقديس الأئمة والمراجع والولاية، ودعا إلى نشر الفكر الباطني انسجاماً مع " مبدأ التقية " التي يعتمدها الشيعة دوماً في مسار حياتهم، كذلك شجع الصوفية، وقد كان تشجيعها - في رأي الشاه إسماعيل - سيمهد للانفصال عن المذهب السني^{١٤٨}، إذ إن الصوفية في عهده كانت مزيجاً من التصوف والتشيع، وقد كان للصوفية دورٌ في تسهيل احتلال الشاه إسماعيل للعراق؛ حيث إن إيران والعراق كانتا تحكم من قبل التركمان " الآق قونيلو "، وكان العراق قد حكم من قبائل التركمان " القره قونيلو " والشاه إسماعيل كان أتباعه الصوفية والذين سموها فيما بعد بـ "القرلباشية"، وهم مجموعة قوية من العشائر التركمانية هم: " شاملو، قاجار، تكلو، ذو قدر، افشار، روملو"، وهؤلاء شكلوا فيما بعد ميليشا صوفية متشعبة. وكان للصوفيون تأثير روحي على أتباعهم، حيث تذكر المصادر الشيعية الفارسية: أنه بينما كان الشاه إسماعيل مع أتباعه الصوفية في الصيد في منطقة " تبريز " إذ مر

١٤٧ - (تُعرف هذه الفعاليات باللغة الفارسية بتسميات كثيرة مثل: سينة زدن: بمعنى ضرب الصدور، لطمه زدن: بمعنى لطم الخدود...).

١٤٨ - (ما نلاحظه اليوم انتشار ظاهرة التصوف في دول بلاد الشام والسودان ودول المغرب العربي، وقد أسهمت إيران في إنفاق مبالغ ضخمة على نشر الصوفية ورعايتها، واحتضان المراجع الصوفية، ودعوتهم لزيارة إيران بانتظام، وقد ذكر لنا بعض الدبلوماسيين العرب أن إيران قامت بطباعة أكثر من خمسين مرجعاً صوفياً تعلي من شأن آل البيت، وقامت بشراء آلاف النسخ من كل كتاب، إضافة إلى دفع مبلغ (٢٠) ألف دولار كهبة لكل مؤلف، وكذلك إرسال أبناء هؤلاء المراجع الصوفية وأقاربهم في منح وزيارات ترفيحية، ومؤتمرات إلى إيران).



بنهر فعبره وحده، ودخل كهفاً ثم خرج متقلداً بسيف، وأخبر رفقاءه: أنه شاهد في الكهف " المهدي " صاحب الزمان، وأنه قال له: " لقد حان وقت الخروج "، وأمسك ظهره ورفع ثلاث مرات، ووضع على الأرض، وشد حزامه بيده، ووضع خنجرأ في حزامه، وقال له: " اذهب فقد رخصتك " ١٤٩.

وتذكر الروايات - أيضا - أن إسماعيل الصفوي عندما فرض سلطته على مدينة تبريز - أول عاصمة للدولة الصفوية - واجه صعوبة بالحصول على مؤذن واحد يلفظ كلمة " أشهد أن عليا ولي الله "، وهذا ما كان سبباً في اعتماد الشاه إسماعيل الصفوي - ومن بعده ابنه طهماسب وحفيده الشاه عباس الأول - على استخدام مشايخ شيعة جبل عامل في لبنان للقيام بمهمة نشر تعاليم المذهب الشيعي

١٤٩ - (عند إلقاء الرئيس أحمددي نجاد لخطابه في الأمم المتحدة، ذكر عند عودته لمرجعه آية الله مصباح يزدي بأن نورا قد نزل عليه من السماء ليلهمه ماذا يقول للعالم. ذكر ذلك آية الله مصباح يزدي في أحد لقاءاته مع أحد السفراء الإيرانيين في إحدى الدول العربية، يذكر بأن نفس المرجع يزدي يذكر أن الإمام المهدي قد زار أحد المقربين له، حيث دعاه الإمام المهدي أن يبلغ يزدي بأن أحمددي نجاد أنه هو مرشح الإمام المهدي، كان هذا قبيل الانتخابات الرئاسية الأخيرة التي أفرزت الرئيس أحمددي نجاد. وبالفعل ذكر آية الله يزدي ذلك في أحد خطبه، الأمر الذي أسهم في نجاح الرئيس نجاد في الانتخابات، حيث كانت نسبة تأييد نجاد أثناء فترة ترشيحة حسب استطلاعات الرأي العام لا تتعدى (٢٪)، وهذا يعطينا تصورا واضحا كيف يلعب رجال الدين في التأثير على الشعب الإيراني. وكما قال شريعتي: حتى ولو كان الإيراني شيوعيا لا يؤمن بالله إلا أنه في النهاية سيقبى شيعيا، أي سيكون شيعي المذهب. المرجع: محمد شريعتي، مقالة إيرانيها وتفكر شيعي در كتاب، إيران ومذهب شيعة، تهران، انتشارات علمي، ١٣٦٥، ص ٥٥ - ٥٦. كذلك لا بد من الإشارة من ناحية أخرى إلى أن هناك دعما إيرانيا لا محدود للتحالف بين حزب الله الشيعي والتيار المسيحي الذي يمثله الجنرال عون في لبنان، وتقيم إيران حاليا علاقات متطورة مع التيار المسيحي اللبناني، وهذا التحالف يثير كثيرا من التساؤلات، خصوصا مع كثرة التقارير الواردة في الإعلام التي تشير إلى أن إيران قدمت مساعدة مالية للجنرال عون بلغت (٢٠) مليون دولار. جريدة المستقبل اللبناني، ٢٩/٤/٢٠٠٧).



في البلاد، وكان أول من دعي من لبنان لهذه الغاية هو الشيخ نور الدين علي بن عبد العلي الكركي المشهور بالمحقق الثاني، ثم تبعه بعد ذلك آخرون من أمثال محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد العاملي المشهور بالشيخ البهائي، والذي كان يعد ثاني أهم شخصية في البلاد بعد الشاه عباس الصفوي، وغيرهم من أقرانهم اللبنانيين الذين أصبحوا فيما بعد من كبار علماء البلاط الصفوي^{١٥٠}.

إن بعض المؤرخين الإيرانيين لا يتردد في الربط بين رغبة الكنيسة الشرقية التي كانت تسعى جاهدة آنذاك لفتح جبهة في الشرق لإضعاف الإمبراطورية العثمانية وإشغالها عن التقدم نحو الغرب، وبين العلاقة العائلية التي تربط تلك الكنيسة بالأسرة الصفوية، حيث إن والدته الشاه إسماعيل الصفوي كانت مسيحية تنحدر من أحد أسر بلاط الإمبراطورية الرومانية، كما ربط هؤلاء المؤرخون بين قيام الدولة الصفوية وظهور الحركة اللوثرية البروتستانتية في أوروبا ولهذا السبب يعللون اعتماد الصفويين على علماء شيعة لبنان لكونهم كانوا على تماس ومقربة من المسيحيين والأفكار المسيحية دون غيرهم من علماء الشيعة الآخرين، وعلى الأخص علماء شيعة العراق الذين لم ينالوا أية حظوة لدى الدولة الصفوية^{١٥١}.

ومن الأمور المستحدثة كذلك السجود على التربة الحسينية، وهي عبارة عن قطعة من الطين يسجد الشيعة عليها بدلاً من السجود على الأرض أو السجاد، وتسمى بالتربة الحسينية (تسمى "مهر" باللغة الفارسية) وقد أجاز علماءهم السجود للإنسان عليها، وهذه ابتدعتها إسماعيل للقزلباشية ("مراسم دست بوسي" ولا زالت إلى يومنا هذا تتم في قم للتعبير عن ولائهم للمرشد علي خامنئي وللمراجع الشيعة). كما تم إجراء مراتب ضخمة لعلماء الدين الشيعة،

١٥٠ - (سيد مجيد حسيني، تاريخ حكومت صفوي، تهران، انتشارات علمي، ١٣٥٧، جلد سوم، ص ٩٦).

١٥١ - (صباح الموسوي، إيران بين تصدير الفكر الشيعي وقمع الفكر السني في الداخل، ٢٠٠٦، ص ١٠ - ١١).



ومنحهم إقطاعات وقرى زراعية وأوقافا خاصة؛ كي يستطيعوا الوقوف مع السلطان، وإكسابه شرعية دينية بصفته حامي المذهب الشيعي^{١٥٢}.

وقد أشار الكاتب الإيراني محمد شريعتي إلى فساد الدولة الصفوية التي أسهمت - برأيه - في كثير من الانحرافات في المذهب الشيعي، مثل التناقض الكبير في تصوير الأئمة، فتارة يضعهم هذا التشيع في مرتبة الربوبية، فيصورها على أنهم يخلقون، ويرزقون، ويدبرون الكون، وتارة أخرى يصورهم تابعين ومتذللين للخلفاء والحكام ولا مبدأ لهم. ومنها نشر التشيع المشبع بالشرك والخرافة، كعبادة القبور، وتأليه الأئمة^{١٥٣}، والاعتقاد بتحريف القرآن، وهذه مسألة خطيرة، وكذلك إهمال جوانب الاتفاق مع باقي المسلمين، وتغذية جوانب الاختلاف والفرقة.

أما الأمر الخطير على الصعيد الدولي فقد كانت إيران كما لاحظنا، وعلى مر السلالات التي حكمتها منذ نشأتها ولغاية اليوم، حاضرة إلى جانب أعداء

١٥٢ - (كريم جلالي، تاريخ شاه إسماعيل، تهران، مركز تحقيقات فارس،، ص ٥١ - ٥٢. محمد أبو مغلى، إيران دراسة عامة، مرجع سابق، ص ١١٨).

١٥٣ - (إن من يزور إيران اليوم يجد أن الإيرانيين يطلقون لفظ الزيارة أو الحج سواء داخل إيران أو خارجه من خلال زيارة ما يعرف بالإمام الرضا في مشهد، وحرم المعصومة في قم. وأضيف اليوم إلى هذه القائمة مرقد الخميني الذي بني بشكل يوازي قدسية الضريحين السابقين، ويلاحظ أعداد الإيرانيين الزائرين للأضرحة في الخارج توازي هذا الاهتمام كزيارة حرم رقية في سوريا، والسعي للتمدد الزيارى إلى مصر لزيارة حرم السيدة زينب، وأضرحة آل البيت في الأردن، وسياسة البحث عن أضرحة جديدة ضمن سياسة التمدد القسوري التي سنبحثها لاحقا. وهناك أدعية توزع على شكل كتيبات للدعاء عند الزيارة؛ لأن الشيعة يعتقدون أن الدعاء عند هذه الأضرحة يقربهم إلى الله؛ نظرا لقداستها المذهبية، ويقولون القصص التي تخالط الخيال كيف أنها تشفي المريض، وتزيل الشرور، وتقضي الحاجات بإذن أصحاب هذه الأضرحة. استعرض كتاب بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود. للكاتب عبدالله الجميلي كثيرا من هذه الأمور، مرجع سابق، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٢).



الأمّة في جميع حروبها ضد أعدائها من الدول السنية، حيث وقفت الدولة الصفوية مع النصارى والدول الأوروبية والاستعمارية ضد الدولة العثمانية التي كانت تشكل سداً منيعاً أمام هجمات وأطماع هؤلاء الاستعماريين، حتى وصل الأمر بكثير من المستشرقين الذين درسوا إيران إلى القول: لولا الصفويون لكنا نقرأ القرآن في أوروبا كما يقرأه الجزائريون، ولولا الصفويون لكنت أوروبا وشعوبها تحت سيف الإسلام واستعمار العربية^{١٥٤}. وحيث إن أغلبية العرب مسلمون فإن حقد الفرس لم يميز بين العرب بادئ الأمر، ثم وجدوا أن أفضل فرصة للانتقام من العرب هي في اختراقهم، وقد جاءتهم الفرصة حين وجد إسماعيل الصفوي أن لا أمل للفرس بالسيطرة على العراق إلا بالتشيع انتقاماً من العثمانيين السنة الذين ينافسونهم على العراق، وما زال الفرس يستخدمون العصبية الشيعية لفتنة مزدوجة: فتنة سنية- شيعية، فتنة شعبية تستخدم الشيعة ضد العرب^{١٥٥}.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد قام الصفويون باستيراد بعض العقائد والعبادات الخاصة بالنصارى وهيئاتهم، وإدخالها في التشيع، خاصة في المناسبات كعاشوراء، وقد أسهم قيام الدولة الصفوية على المذهب الشيعي والقومية الفارسية - كذلك - بإذكائها الشعور القومي في نفوس الإيرانيين، واتخاذ علماء التشيع الصفوي الدين مصدراً للتكسب والترزق وأكل أموال الناس بالباطل، وتذللهم للسلطين وتبريرهم لسياساتهم وتصرفاتهم وإعطاء أنفسهم هالة وقداسة باسم الدين، لدرجة تمنع الناس من مناقشة آرائهم وانتقاد أفكارهم وتصرفاتهم، إضافة إلى تحايل الصفويين على العديد من قضايا الدين، وإباحتهم للمحرمات كالربا^{١٥٦}.

-
- ١٥٤ - (عبد الرحمن علم الدين، الإسلام وأوروبا، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٢، ص ٣٥٦).
١٥٥ - (عمدوح عثمان، المحاولات الإيرانية لتصدير الثورة والمذهب، مفكرة الإسلام، ١١ - ١٠ - ١٤٢٧ هـ، ص ٣ - ٤).
١٥٦ - (علي شريعتي، تشيع علوي وتشيع صفوي، خراسان، انتشارات نور، ص ٥٦ - ٥٨).



ولعل إشارة علي شريعتي إلى التشيع أدت إلى تكفير رجال الدين الشيعة ومراجعهم لشريعتي، واعتباره معاديا للشيعة وإمام الزمان^{١٥٧}. وهذا التشيع هو الذي تحاول إيران اليوم نشره لإعادة إحياء الدولة الصفوية.

بعد الشاه إسماعيل وجه الملوك الصفويون الدعوة لرجال الدين والعلماء الشيعة الذين كانوا يعيشون في جبل عامل في لبنان للإقامة في الدولة الصفوية، بهدف تدوين ووضع نظام قضائي وتنفيذي يعتمد على الفقه الشيعي، من أجل استقرار الأمور في الدولة الصفوية وإقامة نظام إداري حديث، ومن جملة الأنشطة والممارسات الأخرى التي حدثت في إيران على يد الحكومة الصفوية بهدف ترويح ونشر المذهب الشيعي نذكر إقامة صلاة الجمعة وفقاً للمذهب الشيعي^{١٥٨}، وإسناد المناصب الرئيسية إلى علماء الشيعة، مثل: منصب شيخ الإسلام، وحماية الحوزات العلمية الشيعية التي تقوم على تربية وتنشئة الطلاب، والتوسع في بنائها، والاهتمام - بشكل خاص - بالعلماء بهدف ترسيخ المذهب الشيعي^{١٥٩}.

أما في عصر الشاه عباس الكبير فقد حظيت المراقدة باهتمام خاص بهدف ترميمها وتجديدها، وفي هذا الصدد نذكر ترميم حرم علي بن موسى الرضا،

١٥٧ - (مجيد كاظمي، شريعتي وتأثير تمدن غربي، روزنامه كيهان، ١٣٥٨/٨/١٥).

١٥٨ - (تقام اليوم صلاة الجمعة في طهران في حرم جامعة طهران فقط، وقد عرف الخميني الصلاة بأنها طقس عبادي سياسي (حيث تقسم الخطبة إلى جزءين: الأول هو ديني للحدوث عن جوانب دينية، والقسم الآخر سياسي، حيث يعين مرشد الثورة الأئمة، ويطلق عليه نائب الإمام. صحيفة نور، جلد ٦، ص ٥٦ - ٥٧).

١٥٩ - (لا زالت إيران تتبنى هذه السياسة حتى اليوم، حيث لديها اهتمامات واسعة في رعاية الحوزات سواء داخل إيران أو خارجها، خصوصا في العراق وسوريا ولبنان، وتحاول التمدد في هذا المضمار في البحرين وعدد من دول الخليج العربية، حيث ترسل مراجع التقليد الذين يرعون الحوزات إلى هذه الدول التي تمثل الهلال الأول في مجالها الحيوي تحديدا. سوف نقوم بعمل دراسة موسعة حول النشاط الشيعي الإيراني في هذه الدول في مرحلة لاحقة بعون الله).



وتوسعة حرم فاطمة المعصومة . كما كان الشاه عباس الكبير يحمي ويدعم مستشاريه من علماء ورجال الدين الشيعة الذين كان يختارهم^{١٦٠} ، وأهم شيء في هذه المرحلة هو أنه أصبح للدولة الصفوية شيخ للإسلام وهو محمد باقر المجلسي (١٠٣٧- ١١١١هـ)، هذا الرجل الذي ألف أكبر موسوعة شيعية وهي كتاب "بحار الأنوار" الذي جمع فيه كل مقولات الشيعة السابقة^{١٦١} .

ومن هنا أليس من المفارقات أن تتحول دولة بأكملها من دولة سنية إلى شيعية المذهب، وبهذه الوسائل والأدوات والسياسات؟ إذ لم يكن في هذه الدولة سوى أربع مدن شيعية هي: سيزوان، قم، أوه، كاشان. وقد كان هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى هذا التحول، ومن أبرزها: نشر الفتن والحروب التي أسهمت بها الدولة الصفوية، وممارسة العنف بأشكاله المختلفة ضد السنة؛ حيث قام بمجازر مريعة لم يسلم منها الشيوخ والنساء والأطفال السنة، إضافة إلى دور الدعاة الشيعة الذين انتشروا بين مختلف القبائل للتبشير بالمذهب الشيعي، كذلك لا بد من الإشارة إلى أهمية دور الدافع القومي لدى الشعوب التي كانت تسكن إيران. وقد حاولت الدولة الصفوية إيجاد رابطة مذهبية جديدة لتعزيز رابطة العصبيّة، ولكن هذه المرة ستكون من نوع جديد، بحيث يُسهم المذهب في بعث الحمية بين فئات وقوميات تتصارع فيما بينها، وإذكاء الحماس والتعصب ضد من حولهم بهدف تكوين تجمع يحفظ هويتهم الجديدة، وبالتالي هذا سوف يسهم في الهيمنة على المنطقة المحيطة بالدولة الشيعية الجديدة التي تقع ضمن محيط جغرافي سني .

من ذلك نجد أن الإمبراطورية الصفوية قد شكّلت خطراً حقيقياً على الدولة العثمانية السنية، حيث إن حماسة الدولة الصفوية في نشر الصيغة المتشددة من

١٦٠ - جمشيد معظمي، الأسرة الصفوية ونشر التشيع في إيران، روزنامه انتخاب، ٤/٨ / (٢٠٠٤).

١٦١ - محمد باقر المجلسي، كتاب بحار الأنوار، وهي أكبر موسوعة شيعية حيث تضم (١٣٤) مجلدا باللغة الفارسية).



التشيع تأتي في إطار سعي إسماعيل إلى توفير أرضية ثقافية ملائمة لتمدد الدولة الصفوية مذهبياً، وهنا يقترن السياسي بالديني والاجتماعي. وفي الأصل فرمما كان سبب اختيار أسلاف إسماعيل للمذهب الشيعي يتمثل بالهاجس السياسي، في سياق خلق هوية ثقافية للإمبراطورية الجديدة الصاعدة، وهي هوية تقوم على التمايز المذهبي والاختلاف في المرجعية التاريخية^{١٦٢}، كل ذلك من أجل استكمال أدوات الهوية المختلفة تمهيدا للتوسع والهيمنة وبناء مجالها الحيوي بأدوات وطرق عديدة.

وبتحليل ما سبق يتضح - أيضاً- أن للدولة الفارسية الشيعية - عبر مراحل تطورها - خصوصيات تتداخل بشكل معقد ولافت للنظر، تميزها عن باقي دول المنطقة وشعوبها، وتنعكس بشكل قوي على أدوارها المذهبية السياسية والاجتماعية، وتمنحها قدراً إضافياً من الازدواجية في سلوكها سواء على الصعيدين الداخلي أو الخارجي (الإقليمي أو الدولي)، وتضعها في مصاف الدول التي تمارس براغماتية تضحي من خلالها بكل شيء حفاظاً على مصالحها. ومن هذه الخصوصيات هو أن إيران نظام أقلية مذهبية وعرقية، تعيش في إقليم جغرافي نتقاسمه معها، وفي وسط محيط أغلبية مذهبية سنية مختلفة سياسياً وفكرياً وعرقياً، وتنازعتها في مرحلة مبكرة قوتان متضادتان هما: الإسلام السني، والقومية الساسانية. وأن الهوية السياسية للدولة والمجتمع هو صيغة تسوية بين القوتين المتضادتين، وهو ما يعرف بالتشيع الصفوي المتعصب، وهو مفهوم مذهبي وثقافي وقومي، وبناء على هذا المفهوم نرى أن لإيران علاقات صراعية مع جميع دول الجوار، فهي على حساسية مزمنة مع العرب الشيعة بحكم "الجين الوراثي" الشعبي الذي يُكون الهوية من جهة العنصر القومي الساساني، وفي حساسية

١٦٢ - (أمير أحمدى، تاريخ دولت صفوى، تهران، انتشارات علمى، ١٣٦١، ص ١٢١.
كراهام فولر. قبله عالم: رئوبلتيك إيران، ترجمه: عباس مخبر، تهران، نشر مركز،
ص ١١ - ١٢).

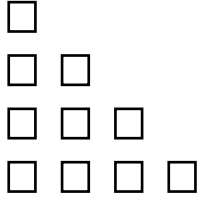
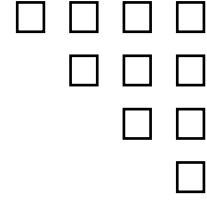


معها تجاه الشعوب التي تدين بالمذهب السني بسبب المذهب الشيعي، ثم تحاول نشر هذه الحساسية لتمتد إلى الشيعة العرب في كل مكان من العالم؛ لأنهم ليسوا فرسا بالأساس، وتنحاز في سياستها الخارجية ضد الشيشان السنة في الشيشان، وضد الأذريين الشيعة والذين يكونون (٢٣٪) من مجموع سكان نفس إيران؛ لأن جميع هؤلاء أتراك وليسوا فرساً^{١٦٣}؛ لذا فإن التعامل مع أحد مركبي الهوية الإيرانية بمعزل عن الآخر، يقود إلى أخطاء فادحة في فهم الثورة الشيعية الإيرانية، وأدوارها السياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

١٦٣ - (تتكون إيران من مجموعة من الأعراق المختلفة، ومن الأمور اللافتة أن هذه الدولة الفارسية لا يشكل فيها الفرس أكثر من (٤٥٪) من السكان، والأذر حوالي (٢٣٪)، العرب ما بين (٥ - ٦٪)، البلوش، أما الأقليات الأخرى ما بين (٢٥ - ٢٦٪)، ونود الإشارة هنا إلى أنه لا يمكن الاعتماد على الدراسات الصادرة باللغة الفارسية في هذا المجال؛ لأنها تخفي هذه النسب، وهناك دراسات عربية اعتمدت على دراسات ومصادر أجنبية مثل: محمد زهرة، الأوضاع الجغرافية في إيران والدول العربية. كتاب: العلاقات العربية الإيرانية، يونان رزق (محرر)، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٣، ص ٢٢٥ - ٢٢٧).



الفصل الثاني الثورة الإيرانية والحلم الإمبراطوري



المبحث الأول الحلم الإمبراطوري الشيعي في فكر الثورة الإسلامية



يؤكد الإيرانيون أن الرسالة التي تحملها ثورتهم الإسلامية تتضمن احتياجاً أساسياً لعالم اليوم، مما يجعل من الواجب الاستمرار في تصديرها، رغم مرور أكثر من ربع قرن على انتصار الثورة الإسلامية الشيعية، باعتبار أن الثورة حدث له مراحل تكامل، هي عبارة عن: مرحلة اليقظة الإسلامية، ثم مرحلة انتصار الثورة الإسلامية، ثم مرحلة استقرار النظام وإقامة الحكومة الإسلامية، ثم مرحلة تنظيم البلاد والمجتمع الإسلامي، ثم إنشاء الحضارة الإسلامية الحديثة. والثورة الآن تمر بمرحلتها الأخيرة وهي إقامة الحكومة الإسلامية^{١٦٤}، فإذا كان بناء الحضارة الإسلامية الهدف النهائي للثورة، فكيف يمكن المرور ببساطة على تصدير الثورة من حيث المعنى والمفهوم وأساليب التنفيذ بشكل وبأسلوب جديد؟^{١٦٥}.

١٦٤ - (تحدث الخميني عن هذه المراحل وأفاض بشكل مفصل، حميد زادة، انقلاب فقيه وحكومت، تهران، مؤسسة إمام خميني، ٢٠٠٣، ٥٢٩، ٥٣٦).

١٦٥ - (محمد السعيد، من يدافع عنا وله الجنة، مختارات إيرانية، العدد ٨٦، مارس ٢٠٠٦، ص ٥٦ - ٥٧).

إن الثورة الإيرانية الشيعية الجديدة تجسد صورة طبق الأصل للثورات والحركات الشيعية التي تمثل امتداداً لفترات تاريخية سابقة، وهي ثورات مذهبية تتخذ من الإسلام غطاءً يُخفي مطامعها الحقيقية كما هو بالنسبة للثورة الإيرانية الشيعية في العصر الحديث، حيث كان لهذه الثورة الأثر السلبي الأكبر والأعمق ليس فقط على الدولة العربية، بل انعكس تأثيرها على العالم الإسلامي بشكل عام من خلال طرحها أفكاراً جديدة اتصفت بخصوصية خطيرة، وتوجهات مغايرة ومختلفة لما هو سائد في البيئتين الإقليمية والدولية على حد سواء.

ويمكن القول إن المذهب لعب دوراً مهماً في الركيزة الأساسية لرؤية إيران الثورة الشيعية للعالم الخارجي، خاصة في العقد الأول من عمرها، ولعل وصف الخميني يعتبر أصدق تعبير عن ذلك، عندما قال: إننا " الشيعية " نواجه العالم مواجهة عقائدية، وسوف نتصر في النهاية لأننا على صواب^{١٦٦}، ومن هنا فإن إحدى أهم أولويات الثورة أن نوضح للآخرين خطأهم، ونحاول دعوتهم إلى الإسلام الحقيقي^{١٦٧}. وفعلاً لجأ الخميني إلى اتباع أسلوب دبلوماسي الرسائل المذهبية للدعوة إلى الإسلام الحقيقي " الشيعي "، حيث قام الخميني بإرسال رسالة إلى غورباتشوف يدعوه فيها إلى هذا الإسلام^{١٦٨}، وهذا ما يفسر إقدام الثورة على لغة مذهبية خطابية جديدة ومتفردة للتعبير عن نفسها تجاه الخارج، حيث إن هذه اللغة كانت موجهة " لشيعية الشتات " في العالم، وكان المنظور الإيراني - في تلك الفترة - الذي اعتبر مفهومي الاستقلالية والحكم الإسلامي المحورين الأيديولوجيين الرئيسيين، وهما في الواقع المدخلان الأيديولوجيان اللذان أثرا بشكل أو بآخر على تطور العلاقات العربية - الإيرانية^{١٦٩} أولاً، ثم تطورت هذه المفاهيم لما عُرف

١٦٦ - (صحيفة نور، جلد ٨، ص ١٤٥. منوچهر محمدي، سياست خارجي إيران، مرجع سابق، ص ٥٤).

١٦٧ - (صحيفة نور، جلد ٣، ص ١٩ - ٢٠).

١٦٨ - (صحيفة نور، جلد ٢١، ص ٣٦، ص ٩٦).

١٦٩ - (سوف نبحت هذه المفاهيم عند تناول موضوع نظرية أم القرى بعون الله).



بمفهوم الأصالة والمركزية والمذهبية^{١٧٠}، ولتنتقل بذلك من مفهوم تصدير الثورة إلى الولاية على شيعة الشتات بعد خروج العراق من المعادلة السنوية المهتدة لدولة القلب المذهبي .

وبالمقابل اعتبرت الثورة الشيعية نُقطة تحول جديدة في نظرة إيران لعلاقتها الخارجية، ولكيفية التعامل معها بعد نجاح الثورة في بناء نظام سياسي على الأسس الصفوية والتراث الإمبراطوري الآري، حيث حول إيران الحديثة إلى قوة مُوجهة لدعم التوجه المذهبي الشيعي الذي قسم دول العالم الإسلامي إلى دار السلام ودار الحرب، وهذا التصنيف كان نابعاً - بالدرجة الأولى - من التوافق مع الثورة الإسلامية والتبعية لها، وأصبحت هذه السياسة الجديدة تُمثل ردة فعل قوية على السياسة العلمانية التي تشابكت مع القومية الشوفينية التي اتبعها الشاه، حيث أنهت الثورة الإسلامية هذا النظام، وأقصت علمانيته، لكنها تبنت أهدافه وطموحاته التوسعية، وكذلك ألغت الدور الذي وضع لإيران من مجرد الشرطي الذي يحمي المصالح الاستعمارية إلى الشريك معها في الغرم والغنم، استناداً إلى تجاربه السابقة، وإلى دور جديد يستهدف الانقضاض على العالم الإسلامي السني، وتفتيته مذهبياً بعد الدور الذي اضطلعت به الدولة الصفوية بالإسهام في القضاء على الدولة العثمانية السنية، والدور الذي قامت به لتقطيع أوصالها؛ ولهذا أوكلت الثورة إلى نفسها مهمة إعادة بناء الإمبراطورية الشيعية من جديد، واستكمال استقلال إيران وسيادتها المذهبية، وتحرير الأقليات الشيعية في العالم العربي والإسلامي من مظاهر التبعية إلى أنظمة خارجة عن الملة بنظر مراجع التقليد الشيعية (الأنظمة السنوية العربية) الذين أصبحوا يقودون سفينة النجاة للمهدي الشيعي الموعود.

اليوم حاولت الثورة الإيرانية بناء الإمبراطورية الشيعية الأئمية من خلال سياستها الخارجية التي اتبعتها بعد الثورة للتمهيد لبناء المجال الحيوي المذهبي،

١٧٠ - (إبراهيم متقى، سياست خارجي إيران، تهران، دانشكاه تهران، ١٣٧٨، ص ٥٦).



والتعظيم من مجالاته وقدرته، خاصة تجاه الدولة السنية التي تمثل إحدى أهم المجالات الحيوية بالنسبة لإيران الثورة، ومن هنا فإن الروافد التي شكّلت الأيدولوجية السياسية للنظام الثوري الإيراني هي التأثيرات السياسية والفكرية لمزيج من التعاليم الزرادشتية والصفوية والقومية الآرية التي تفتخر بالإمبراطورية الفارسية وبمكانتها بين الأمم، والتأثيرات السلبية للثورة الدستورية التي حدثت في إيران عام ١٩٠٦م، وقد وجدت هذه الأيدولوجية التعبير عن ذاتها في الدستور الإيراني الجديد، وعكست حالة التناقض في مصادر تلك الأيدولوجية، فليس الحكم وفق المنظور الإسلامي قائماً على أساس طبقي أو سلطوي فردي أو جماعي، وإنما هو تجسيد للأهداف السياسية لشعب متجانس عقائدياً وفكرياً يقوم بتنظيم ذاته من أجل أن يشق طريقه في مسيرة التحول الفكري والعقائدي.

لا شك أن الخميني قام بدور كبير في بلورة النظام السياسي الإيراني. بداية لقد كان الخميني تلميذاً لأحد علماء الدولة الصفوية الكبار وهو محمد باقر المجلسي - فقيه الدولة الصفوية، وهو الذي ألف موسوعته، وكتب رسائله الذائعة الصيت حول فكر الشيعة في مختلف المسائل الدينية والدينية، ولا شك بأنه قد طمح من خلال ذلك إعادة بناء الدولة الصفوية بعد أن تداعى بناؤها، وإعجاب الخميني في كتب ورسائل المجلسي يُشير إلى الركن الأساسي الذي انطلقت منه فكرة الخميني وأسلوبه في الدعوة للثورة الشيعية في إيران والخارج.

كما أن الخميني بعد نجاح الثورة تابع خطوات هذا العالم الشيعي التي قام بها من أجل أن يكون لرجال الدين الكلمة الفصل والرأي الحاسم في الحكم والإدارة، بناءً على شرعية مكانتهم وفق أصول المذهب الشيعي^{١٧١}، وسلطات ولي الفقيه^{١٧٢}، حيث عبر الخميني عن أفكاره بشكل أكثر وضوحاً في محاضراته التي

١٧١ - (محمد السعيد - مصدر سابق، ص ٦).

١٧٢ - (إمام خميني. صدور انقلاب، مؤسسه إمام خميني، ١٣٧ ص ٢٧. إمام خميني، كشف أسرار، تهران كتفروشى علمية إسلامية، ١٣٤٧، ص ٣١٣. إمام خميني. در=



كان يلقيها على طلبة العلوم الدينية التي تحمل عنوان "ولايت فقيه" باللغة الفارسية أو ما اصطلح عليه باللغة العربية "الحكومة الإسلامية".

سوف نتطرق لأهم الأفكار التي وردت في هذا الكتاب، والتي تشكل حالياً الإطار الشامل لعمل المؤسسة الدينية الحاكمة في إيران، وفي هذا المجال يقول الخميني: ١٧٣ "نحن نريد تشكيل حكومة إسلامية، فهل نحقق ما نريد بالعمامة فقط بالطبع لا" ١٧٤ "نحن نعتقد بالولاية، ونعتقد ضرورة أن يُعين النبي خليفة من بعده، وقد فعل، فإذاً ماذا يعني تعيين خليفة؟ هل يعني مجرد بيان الأحكام؟ بيان الأحكام وحده لا يحتاج إلى خليفة، فالحاجة إلى الخليفة إنما هي من أجل تنفيذ القوانين لأنه لا احترام للقانون بدون سلطة، إذا لا بد من قوة تنفيذية يكون افتقادها في أية أمة عامل نقص وضعف". ويضيف: "إننا نعتقد بالولاية، وبأن الرسول ﷺ استخلف بأمر من الله، ونعتقد كذلك بضرورة تشكيل الحكومة، ونسعى من أجل تنفيذ أمر الله وحكمه، ومن أجل إدارة الناس وسياستهم، ومن هنا فإن النضال من أجل تشكيل الحكومة توأم الإيمان بالولاية" ١٧٥، "فمجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، ولكي يكون القانون مادة لإصلاح البشر، فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية" ١٧٦، "فالشرع والعقل يفرضان علينا ألا نترك الحكومة

=جستجوی راه از کلام امام، ونشر بانزهرهم انقلاب إسلامی از بیانات واعلامی های امام خمینی از سامی ١٣٤١ - ١٣٦١ تهران، انتشارات آمریکیر، ١٣٦٣، ص ٦٨ - ٦٩. امام خمینی، صحیفة نور، جلد ٣، ص ٩٩. امام خمینی، صحیفة نور جلد ١١، ص ١١٤، جلد ٦ ص ٢٢، جلد ١١ ص ٢٦٦. نفس المرجع، جلد ١٢ ص ١٥٥ - ١٥٦، جلد ١٥ ص ١٩٠، جلد ١٧ ص ٢٥، جلد ٢٠ ص ١١٨. الخميني، الكلمات خميني، كلمات القصار مواعظ وحكم من كلام الإمام. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، تهران، ١٩٩٢ ص ١٩٣ - ١٩٤).

١٧٣ - (الخميني، الحكومة الإسلامية، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩).

١٧٤ - (المرجع السابق، ص ١٦).

١٧٥ - (المرجع السابق، ص ٢٠).

١٧٦ - (المرجع السابق، ص ٤٠).



وشأنها، والدلائل على ذلك واضحة، لأن تمادي هذه الحكومات في غيرها وظلمها يعني تعطيل نظام الإسلام وأحكامه، ولا سبيل لنا إلا أن نعمل على هدم الأنظمة الفاسدة، وتحطيم زمر الخائنين والجائرين من حكام الشعب". ويوضح الخميني السبيل إلى تحطيم الأنظمة، ومن هم الذين يقوم يقومون بهذه المهمة، إذ يقول في هذا المجال: "هذا واجب يكلف به المسلمون جميعاً أينما كانوا، من أجل خلق ثورة سياسية إسلامية ظافرة منتصرة" ١٧٧.

ويضيف: إننا إذا أردنا تخليد أحكام الشرع عملياً، ومنع الظلم والاعتداء على حقوق الضعفاء من الخلق ومنع الفساد في الأرض، ومن أجل تطبيق أحكام الشرع بشكل عادل، ومحاربة البدع والضلالات التي تقرها المجالس النيابية- البرلمانية المزيفة، ومنع نفوذ وتدخل الأعداء في شؤون المسلمين، من أجل ذلك كله لا بد من تشكيل الحكومة، لأن ذلك كله مما تنهض بأعبائه الحكومة بقيادة حاكم أمين صالح، لا جور عنده ولا انحراف، ولا إفساد" ١٧٨.

أما ما يخص طبيعة نظام الحكم الذي يجب أن يقوم على ضوء آراء الخميني فهو يعتبر بأن "الحكومة الإسلامية لا تشبه الأشكال الحكومية المعروفة - فليست هي حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ورقابهم" ١٧٩.

ويذكر الخميني بأن "الحكومة الإسلامية ليست مطلقة وإنما هي دستورية - ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف الذي يتمثل في النظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وإنما هي دستورية بمعنى أن القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق

١٧٧ - (المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤).

١٧٧ (الخميني، صحيفة نور، جلد ٨، ص ١٤٥ - ١٤٦).

١٧٨ - (المرجع السابق جلد ١١ ص ٢١٦).

١٧٩ - (المرجع السابق، ص ٨٥ - ٨٦).



أحكام الإسلام وقوانينه، ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي " ١٨٠ . ويفرق بين الحكومة الإسلامية في إيران وغيرها من الحكومات فيقول: " يكمن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومات الدستورية الملكية منها أو الجمهورية في أن ممثلي الشعب أو ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله - عز وجل - وليس لأحد أيا كان أن يشرع، وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان " ١٨١ .

أما شروط الحاكم في فكر الخميني فهو يركز على هذا الموضوع بشكل لافت للنظر، ويقول: "إننا نؤكد وجوب كونه نابعاً من طبيعة الحكومة الإسلامية، بالإضافة إلى الشروط العامة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير هنالك شرطان مهمان هما: العلم بالقانون الإسلامي، والعدالة " .

وقد أكد الخميني في جميع أقواله وآرائه على مسألة قدسية ولي الفقيه، فيقول في هذا الصدد: " إذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عادل، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي ﷺ منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا ويطيعوا " ١٨٢ . ويضيف أيضاً: " ولا ينبغي أن يُساء فهم ما تقدم، فيتصور أحد أن أهلية الفقيه للولاية ترفعه إلى منزلة النبوة أو إلى منزلة الأئمة؛ لأن كلامنا هنا لا يدور حول المنزلة والمرتبة، وإنما يدور حول الوظيفة العملية، فالولاية تعني حكومة الناس، وإدارة الدولة، وتنفيذ أحكام الشرع " ١٨٣ .

فالولاية تعني الحكومة والإدارة وسياسة البلاد، وليست امتيازاً أو محاباة أو أثرة، بل هي وظيفة عملية ذات خطورة بالغة " ١٨٤ " ، وولاية الفقيه أمر اعتباري

١٨٠ - (ولاية فقيه، مرجع سابق، ص ٤١).

١٨١ - (ولاية فقيه، مرجع سابق، ص ٤٢، ص ٤٩، ص ٥٠).

١٨٢ - (ولاية فقيه، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٦).

١٨٣ - (صحيف نور، جلد ١٢، ص ٨٩).

١٨٤ - (ولاية فقيه، ص ٩٨).



جعله الشرع، كما يعتبر الشرع واحداً منا قِيماً على الصغار" فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الإسلام وإقرار نظمه، وإقامة حدود الله، وحراسة ثغور المسلمين ". وبما أن حكومة الإسلام هي حكومة القانون، فالفقيه هو المتصدي لأمر الحكومة لا غير".

خلاصة القول أن الخميني يدعو إلى أن يتولى الفقهاء الحكم في البلاد الإسلامية، ولكن من هم الفقهاء؟ وما هو مذهبهم؟ والفقهاء في نظره لا تنحصر مهمتهم في شؤون الدين، بل تشمل - أيضاً - شؤون الدنيا، فالفقيه يحكم في شؤون الناس ويصرف شؤون الدولة من جميع الوجوه.

أما القوة التشريعية " والسلطة التشريعية " فهي تدور في فلك التعاليم الشرعية، والأحكام والقوانين الإسلامية العامة الشاملة ولا تتعداها ولا تتجاوزها، وأما السلطة التنفيذية فتعمل كما يريد لها الدين أن تعمل في الناس، بما يسعدهم ويبعد عنهم شبح الفقر والجوع والتخلف، وتعمل كذلك على إقامة الحدود وحفظ الأمن والنظام، كل ذلك باعتدال وتوازن من غير إفراط أو تفريط " ١٨٥.

وعلى الصعيد السياسي فقد اعتبرت إيران نفسها - حسب وجهة نظر الخميني - نقطة البداية وقاعدة للانطلاق نحو تحقيق الوحدة الإسلامية، وبالتالي تشكيل الحكومة الإسلامية على قاعدة الإسلام الشيعي، وهذا المبدأ طبق تحت شعار " صدور انقلاب إسلامي "، ومعناها بالعربية تصدير " الثورة الإسلامية " ١٨٦، حيث أكد الخميني على أن تشكيل الحكومة الإسلامية في إيران هي مجرد الخطوة الأولى (النواة) بهدف إنشاء الحكومة الإسلامية العالمية التي تحقق العدل، إذ ثبت في الدستور مسألة ولاية الفقيه دستوريا وأطرها مؤسسيا، وبهذا وضعت موضع التنفيذ، فقد جاء في الدستور: " انطلاقاً من قاعدة ولاية الأمر والإمامة المستمرة فإن الدستور يمهّد الأرضية لتحقيق قيادة الفقيه جامع الشرائط

١٨٥ - (قانون أساسي، ص ٨٢).

١٨٦ - (خميني، صدور انقلاب، تهران، مؤسسة نشر إمام، ١٩٩٣، ص ٧٣ - ٧٤).



الذي تعترف به الجماهير كقائد، حتى تضمن عدم انحراف المؤسسات والأجهزة المختلفة عن مسؤولياتها الإسلامية الأصلية، فمجري الأمور تبقى بيد العلماء الأمناء على حلاله وحرامه". على قاعدة هذه الأفكار أقامت المؤسسة الدينية بزعامة الخميني جميع مؤسسات الدولة السياسية وهيئاتها الثورية الجديدة التي مارست السلطة من خلالها^{١٨٧}.

وعلى هذا الأساس فقد تميزت أفكار الخميني بإعطاء أهمية كبيرة للعلاقات مع العالم الخارجي، حيث أكد على أهمية الوحدة لكن ضمن رؤية وتصور خاص، حيث طرح الخميني مفهوم الاتحاد الكونفدرالي مع الدول العربية^{١٨٨}، لكنه في مواضع أخرى عديدة رغم طرحه لهذا التصور إلا أننا نجد لا يعترف بالحدود الجغرافية بين الدول، مُعتبراً أن هدف هذه الحدود التفريق بين أبناء الأمة الإسلامية، ومؤكداً ضرورة التخلص من الهيمنة العالمية التي تسعى إلى زرع الفرقة فيما بينها^{١٨٩}، وهذا التصور الذي طرحه الخميني يُشكل تناقضاً واضحاً؛ ففي الوقت الذي يدعو إلى الوحدة بين إيران والدول الإسلامية من خلال الشكل الكونفدرالي المتعارف عليه من خلال النظم السياسية والقانون الدستوري، حيث من المعلوم أن هذه الشكل يحافظ على حدود الدول واستقلالها، إلا أن الخميني - في الوقت ذاته - لا يعترف بالحدود الجغرافية بين الدول، وهذا يُبين النوايا المبيتة للسياسة الإيرانية التي تسعى للسيطرة والهيمنة على العالم العربي والإسلامي من خلال زرع السم بالدسم.

أما النقطة المثيرة الأخرى في فكر الخميني فهي المسألة المتعلقة بنفي الظلم، واعتبار أن أصل العلاقات الدولية في الدين الإسلامي يقوم على مسؤولية إيران في رفع هذا الظلم^{١٩٠}، حيث يعتبر أن هناك مسؤولية تقع على عاتق الثورة الإسلامية

١٨٧ - (مقدمة الدستور، ص ٢٢).

١٨٨ - (خميني، كلمات قصار، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٥).

١٨٩ - (الخميني، مواقف وآراء، مرجع سابق، ص ١٧ - ١٨).

١٩٠ - (صحيفة نور، جلد ٢، ص ١١٥، جلد ١٤، ص ٦٦، جلد ١٧، ص ٢٥٢).



بأنها ستكون إلى طرف جميع المظلومين في العالم؛ بهدف رفع الظلم عنهم^{١٩١}، معتبراً هذا المفهوم مفهوماً جديداً في العهد الحديث، حيث مكنت إيران من صياغة سياسة خارجية أكثر استقلالية وأقل تبعية^{١٩٢}، لكن يبقى مفهوم الثورة الإيرانية للظلم وإزالته موضع تساؤل، فكيف ستتدخل لإزالته؟ ولصالح من؟ وما هو هدفه؟ وكيف انعكست هذه السياسة من خلال مداخل الأزمات الموجودة حالياً في المنطقة، خاصة موقفها من الأزمة العراقية، اللبنانية، الأفغانية... وتدخلها لصالح دعم التيارات الشيعية التي تُمارس عنفاً طائفيًا لم نجد له مثيل في تاريخ العراق الحديث.

ومن المسائل التي أثارها الخميني - أيضاً - والتي أحدثت ضجة كبيرة في العالم العربي والإسلامي، وعكست النوايا الحقيقية للثورة الإيرانية الشيعية هي دعوته إلى تحطيم الكيانات القائمة، وإزالة جميع الأنظمة، من خلال الدعوة إلى خلق ثورة سياسية إسلامية. من هنا فإن هذه المبادئ هي التي حكمت علاقات النظام الجديد بالدول المجاورة خاصة ما يتعلق منها بنظرية ولاية الفقيه، وأبعاد هذه الفكرة التي شوهت السلوك الخارجي الإيراني الذي سعى إلى تفعيلها من خلال استراتيجية الهيمنة والتوسع.

إن تطوير الخميني لمفهوم ونظرية ولاية الفقيه قد أدت إلى أن تصبح هذه الفكرة محور الإحياء الإسلامي للثورة الإيرانية، وأصبحت معياراً هاماً لشرعية النظم السياسية الأخرى، وهذا بدوره أثر عليها، حيث نظرت الدول الأخرى إلى الثورة على أنها باتت تُشكل مصدراً لتهديدها^{١٩٣}، ومن هنا مثلت الرؤية السابقة

١٩١ - (صحيفة نور جلد ١٠، ص ٢٣٠، جلد ١٣، ص ٤٥، جلد ٢٢، ص ٢٦٥).

192 - (pp19-20 - Shreen hunter. Iran and the world: continuity in revolutionary decade, Indiana university press, 1990.

193 - Daivid long ,The impact of Iranian Revolution on the Arabian Peninsula and Gulf State,John Esposito,The Iranian Revolution:Its Global Impact,The Florida International University press,1990. , pp 102-103)



للخميني مدخلاً أساسياً ومهماً لتبني إيران مبادئ فكرية وحركية تجاه الدول الأخرى، وكان للقيادة الإيرانية تصورها الخاص للدور الذي يجب أن تقوم به الثورة في البيئة الخارجية (الإقليمية والدولية)، وجعل من تصدير الثورة مرادفاً لشموليتها^{١٩٤}، وهذا الأمر أثر بدوره سلباً على علاقات إيران مع العالم الخارجي، وبدا ذلك واضحاً من خلال الأزمة الاقتصادية التي عاشتها إيران في عهد الخميني، وتفاقمت بعد وفاته، حيث تمثلت مؤشراتنا في ارتفاع معدلات التضخم حوالي خمسة عشر ضعفاً^{١٩٥}، وحاولت إيران بعدها تدارك تبعات سياساتها وشعاراتها من خلال سعيها إلى استئناف علاقاتها مع بعض الدول العربية خاصة الخليجية منها، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية التي قطعت علاقاتها مع إيران على أثر أحداث الشغب التي قام بها الحجاج الإيرانيون (اضطرابات الحرم المكي في مارس ١٩٩١)، وأقدمت السعودية في المقابل كنوع من إثبات حسن النية على السماح لحوالي (١١٥) ألف إيراني لأداء فريضة الحج^{١٩٦}.

ومن هنا كان لشخصية الخميني وأفكاره أثرها السلبي على علاقات إيران مع محيطها الإقليمي، وبحسب تعبير جوزيف كوستر: كان وصول الخميني إلى السلطة في إيران تدشيناً لعصر جديد للشيعة في الخليج العربي والمنطقة. وبحسب فحوى هذه النتيجة الافتراضية، فإن الإلهام الثوري الإيراني قد وجه الوعي الشيعي نحو تفجير الأوضاع السياسية، وبذلك أصبح الشيعة في البلاد العربية - وفق وجهة نظر آيات الله العظام في قم وخراسان، وحسب استراتيجيات بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة- طابوراً إيرانياً خامساً في بلدانهم^{١٩٧}.

194 - Mortaza Ahmadyan, Iranian Foreign Policy between Ideology and Pragmatism, Institute of Middle East Studies, London, 1986, pp5-6).

195 Rohalah K Ramazani, Iran's Foreign Policy: Contend Orientations, Middle East Journal, volume 43, No.2, spring, 1989, p203)-,

196- (Rohalah Ramazani, Iran's Foreign Policy , Both North and South, Middle East Journal, volume 46, No.3, Summer 1992. p399

١٩٧ - (فؤاد إبراهيم، قراءة متأخرة للشيعة العرب، موقع البيئة الإلكترونية).



يمكن القول إن الخميني كان يضع الخطط والاستراتيجيات له ولأتباعه من بعده بهدف إقامة حزام شيعي للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي، وكان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيداً لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج للسيطرة على بقية العالم الإسلامي. وقد كان الخميني مقتنعاً بأن الأمريكيين سيسمحون له بتنفيذ ذلك. " بهذه الكلمات أجاب " أبو الحسن بني صدر " أول رئيس إيراني عقب ثورة الخميني عن سؤال وجه له^{١٩٨} وكان السؤال: " هل كان الإمام الخميني يحدثك عن علاقة مع الجوار العربي، ومع دول الخليج العربية تحديداً؟ وهل كانت لديه أطماع في التقدم عسكرياً تجاه هذه الدول من أجل تصدير الثورة مثلاً؟ ". أجاب: يبدو أن أحلام الخميني الذي طمع بمساعدة مقدمة من الإدارة الأمريكية لتحقيق أهدافه للتوسع والتقدم، أريد لها أن تتحقق في عهد بوش الابن، والذي يضم في إدارته بعض عناصر إدارة ريجان^{١٩٩}.

ويشار هنا إلى أن الخميني رفض - بحسب شهادة كثير من المراجع الفارسية- كل الوساطات والعروض التي قدمها صدام حسين لإيقاف الحرب الإيرانية-العراقية، حيث منيت بالفشل، لأن الخميني لم يكن راغباً في إنهاؤها، بل وجد أن الحرب هي حيوية بالنسبة لإيران^{٢٠٠}، وكان يتحدث لعدد من المقربين له بأن هدف الثورة الإيرانية النهائي هو ضرورة إسقاط الأنظمة التي يعتبرها طاغوتية، تمهيداً لتحقيق فكرة الحكومة الإسلامية العالمية العادلة، وأن وقف الحرب كمن يتجرع السم^{٢٠١}، وقد أقنعه رفسنجاني بوقف هذه الحرب، نظراً

١٩٨- (مقابله مع قناة الجزيرة الفضائية، ٢٠٠١/١١/١٢)

١٩٩- (برنامج "زيارة خاصة" على قناة الجزيرة، ٢٠٠٠/١/١٢).

٢٠٠- (خميني، جنك وجهاد: از بيانات وإعلاميه هاي إمام خميني: دفتر دوم جنك وجهاد، تهران، جابخانه سبهر. هناك آلاف السينات للحث على الاستمرار في هذه الحرب، وشبهها بعاشوراء، إن المشكلة التي تبرز هنا أن كل حادثة تشبه بجهاد الحسين بن علي - رضي الله عنه).

٢٠١- (صحيفة نور، مجلد ١٢، ص ١٣ - ١٤).



للظروف الإقليمية والدولية، ولأسباب متعلقة بالخوف على الثورة الإيرانية واستمرارها، كما يذكر رفسنجاني ذلك بنفسه^{٢٠٢}، وبحسب تصريح رفسنجاني^{٢٠٣} الذي قال فيه: " لقد كان وقف الحرب نتيجة للضغوط المختلفة، وحفاظاً على الثورة الإسلامية حتى تستعيد عافيتها من جديد بهدف الديمومة والاستمرار"^{٢٠٤}.

الخلاصة أن أفكار الخميني جميعها تدور حول قضية الحكم والهيمنة والتوسع، فالحكم يجب أن يكون للفقهاء، والشروط الواجب توفرها في هذا الحاكم هي العلم، والمقصود العلم الشيعي، وبالقانون والعدالة، ويستمد الفقيه الشيعي سلطاته ليس من أي جهة دنيوية بل من الله. والذي يطابق الأفكار الخاصة بالخميني مع الممارسة اليومية له يستنتج أن المقصود بذلك الفقيه هو شخص الخميني الذي يجب أن تكون إرادته فوق كل إرادة، وسلطانه فوق سلطة الشعب^{٢٠٥}، فلقد أصر الخميني على اسم إيران وربطها بمفهوم مذهبية

٢٠٢ - (رفسنجاني، مصاحبه با روزنامه كيهان، ١٥/٧/١٩٩٤).

٢٠٣ - (يرأس رفسنجاني الآن عدة مؤسسات في إيران ومن ضمنها مجمع تشخيص مصلحة النظام الذي يرسم السياسات العامة في إيران، ويرأس مجلس الخبراء الذي يعنى باختيار مرشد الثورة، إضافة لذلك فقد أوكل له مرشد الثورة مهمة الإشراف على السلطات الثلاث في إيران، ويعتبر رفسنجاني مهندس العلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل، ففي عهده تمت أكبر عملية بيع سلاح بين إيران وإسرائيل، عرفت بفضيحة إيران غيت الذي كان رئيساً للجمهورية الإيرانية).

٢٠٤ - (هناك كتاب مهم تحدث عن هذا الموضوع بشكل مفصل، وهو كتاب للعسكري الأمريكي الذي أوكلت له مهمة التنسيق مع الإيرانيين، وهو أوليفر نورث، عنوان الكتاب: تحت النار، ترجمة إلياس فرحات، دار الحرف العربي، ١٩٩٣).

٢٠٥ - (يقول الخميني: ينبغي للفقهاء أن يعملوا فرادى أو مجتمعين من أجل إقامة حكومة شرعية تعمل على إقامة الحدود، وحفظ الثغور، وإقرار النظام. وإذا كانت الأهلية تلك منحصرة في فرد، كان ذلك عليه واجبا عينيا، وإلا فالواجب كفائي. خميني، صحيفة نور، مرجع سابق، جلد ٥، ص ٧٨ - ٧٩).



الدولة^{٢٠٦}، وقد اعتمد في إيران الثورة في تثبيت الكثير من المعالم والرموز الخطرة التي لم تتب لها جميع الدراسات العربية، للتذكير بإمبراطورية هذه الدولة وفارسيتها وزرداشيتها، كل ذلك بهدف ترسيخ تاريخ هذه الإمبراطورية في أذهان الشعب الإيراني حتى بعد انتصار الثورة الشيعية بدعم وتأييد فتاوى الخميني وأعوانه، مثل: بقاء تسمية العملة الإيرانية بالتومان^{٢٠٧}، أما الأخطر من ذلك فهو استمرار اعتماد الأشهر الإيرانية والأعياد القديمة التي ترتبط بالديانة الزرداشية والأساطير المتعلقة بها حتى اليوم، وإصرار الثورة الشيعية على إبقائها والتمسك بها^{٢٠٨}.

٢٠٦ - (وتعني كلمة إيران باللغة الفارسية مكان الآريين، وهو العرق الإيراني المنفوق، حيث يفتخر بذلك الإيرانيون، ويعتبرون أنفسهم مثلهم كمثل الشعب الألماني الذي طالما اعتز هتلر بهذا العرق، والآريون طائفة اختلطت بين الهنود والأوروبيين، وقد قسموا إلى ثماني طوائف. هذا هو التعريف الذي تذكره المصادر الفارسية. معجم فرهنگ المعين، المجلد الخامس، ص ٢٠٦).

٢٠٧ - (التومان كلمة عسكرية معناها باللغة الفارسية تقسيم عسكري بمعنى فرقة مكونة من عشرة آلاف جندي، حتى يبقى مفهوم القوة والشوكة والغلبة والتفوق ماثلاً في ذهن الشعب الإيراني، معجم المعين، مجلد ١، ص ١٠٢).

٢٠٨ - (تقسم الأشهر الإيرانية إلى (١٢) شهراً، وكل شهر من هذه الأشهر يرمز إلى أحد معالم الديانة الزرداشية، فـ شهر فروردين وهو الشهر الأول من السنة الفارسية يرادفه الحادي والعشرين من آذار، ومعناه باللغة الفارسية آلهة الأظهار التي عبدها الفرس قديماً، وشهر أردبهشت معناها: آلهة القدسية، وخرددل: هو آلهة المياه والأشجار، تير: آلهة الحيوانات، مرداد: آلهة الشتاء، شهر يور: آلهة البحار، مهر: آلهة الشمس والنار، آبان: آلهة الماء، آذر: آلهة النار، دي: آلهة الخريف، بهمن: آلهة الجمال. وهناك معان أخرى لهذه الأشهر، حيث أوردت المراجع الفارسية التي تناولت هذا الموضوع بأن هذه الأشهر ترمز إلى بيوت النار الكبرى التي عبدها الفرس، . فريدون هرمداس، تاريخ قديم إيران، تهران، انتشارات تاريخي جلد يك، ص ٩١ - ٩٤، جلد دوم ص ٢١٧ - ٢١٨). أما ما يلفت النظر فهو إحياء إيران الثورة الشيعية اليوم للعادات الزرداشية القديمة والتي تمثل طقوسها من خلال عيد النوروز (نوروز باللغة الفارسية معناها يوم=



ولتأطير ذلك قانونياً ودستورياً فقد ترجم الدستور الإيراني الحديث فكرة الحكم الإمبراطوري وحدوده الأيديولوجية مجدداً لكن وفق أطر دستورية وقانونية، وبغطاء مذهبي قومي لا يعرف سوى العصبية^{٢٠٩}، وبما أنه يعكس تلك الخلفية الإمبراطورية التي جاءت نتاجاً وتحسيداً للواقع غير المستقر والمتناقض أصلاً، حيث إن المجتمع الإيراني قد امتاز على مر العصور بعدة خصائص أهمها ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وكذلك ظاهرة الحكم الاستبدادي العسكري على الأغلب، إضافة إلى دور البعد التاريخي لتأثير الديانات السابقة للإسلام في إيران، واستمرار هذا التأثير الموروث في بناء المجتمع الإيراني، وهناك خاصية أخرى امتاز بها المجتمع الإيراني ولا يزال هي ظاهرة التخلف، وهذه الظاهرة تؤدي إلى

=جديد، وهو اليوم الأول من السنة الفارسية الإيرانية، ويطلق عليه الفرس تسمية أخرى وهي عيد بهار، وإحدى أهم أسباب ظهور هذا العيد هو أنه في هذا التاريخ انتصر زرادشت على الشيطان، وهناك جوانب تذكرها كثير من المراجع الفارسية وهي ترتبط بأساطير لا متسع لذكرها الآن، وتعني بهار باللغة الفارسية هو الربيع، وما يرتبط بهذه النار من طقوس زردشتية مثل: إشعال النار، والقفز من فوقها، والدعاء بالقول يانار خذي مرضي واصفراري، وامنحيني نورك وبهاءك. وتعرف هذه الطقوس به مرسوم أش افروزي ومعناها حفل إشعال النار، وما يرتبط بهذا العيد من طقوس زرتشية مثل: جهاز شنبه سوري، وهو آخر أربعمائة من شهر إسفند آخر شهر من السنة الإيرانية، ومن المراسم إشعال النار في البيوت لحرق الآثام والذنوب، وتطهير المنزل من الشؤم والنجاسة العام الماضي، ويتم إخراج النار للخارج المنزل، ويحرم إطفاء النار حتى تنظف هي لوحدها، أما اليوم الثالث عشر من عيد النوروز فيعرف باللغة الفارسية بسيزده بدر، وفي هذا اليوم يجب الخروج من المنزل إلى الحدائق والأماكن العامة؛ لأن هذا اليوم هو يوم شؤم بالنسبة للفرس، ويجب فيه تأجيل جميع المناسبات والأفراح، ويستحب وضع ما تم زراعته في إناء قبل بداية عيد النوروز في الماء نظراً لقدسية الماء في الديانة الزرتشتية والنار، لدرجة جعلت المناسبات هي الأعياد القومية للشعب الإيراني).

٢٠٩ - جاء في الدستور أن دستور جمهورية إيران الإسلامية يعكس البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الإيراني القائم على أساس المبادئ والقواعد الإسلامية، المرجع: مقدمه قانون أساسي إيران).



التمسك بالسلفية المذهبية التقليدية، فإذا كان الدستور يعكس هذه البنيات فمن الطبيعي أن يفتقر إلى التجانس والنقاء، وبالإضافة إلى ذلك فإن البنى الثقافية في إيران هي نتاج للثقافة الغربية التي تعلق بها الإيرانيون منذ القدم، حتى أنهم كانوا يؤكدون على جنسهم الآري الأوروبي، وهذا التعلق خلق نوعاً من التبعية الثقافية الإيرانية للغرب، والأخير حاول ضرب التراث الإسلامي من خلال خلق ثقافة هجينة بديلة في الثقافة الإسلامية هي الثقافة الفارسية التي تدعي الإسلام من خلال المذهب الشيعي، وبما أن الثقافة هي دخيلة على إيران، وأصبحت لها تأثيرات موضوعية وذاتية في خصوصية بناء المجتمع الإيراني؛ لذلك فإن الدستور الجديد إذا كان فعلاً يعكس هذه البنى، فإنه يكون في الشوط الأخير فيه صبغة غربية أوروبية بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام وقواعده في الحكم أو في القوانين الأخرى^{٢١٠}.

وقد ورد في الدستور أن هنالك جزماً وإصراراً على "أن الدستور يجب أن يعكس تسمية وأهداف إقامة الجمهورية الإسلامية، ويعبر عن ذلك من خلال كافة البنى والعلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع والدولة وللثورة ومؤسساتها، ويجب أن يرسم في النهاية الطريق لتركيز قواعد الحكومة الإسلامية، وأن يطرح نهجاً جديداً لنظام حكومي إسلامي يقوم على أنقاض النظام الطاغوتي السابق".

وانسجاماً مع ذلك لم يقف الأمر عند هذا الحد، حيث نجد أن الدستور الإيراني يُبيح لدولة الحلم الإمبراطوري التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، حيث نجده قد نص على ما يلي: "في الجمهورية الإيرانية الإسلامية، تعتبر الحرية والاستقلال ووحدة أراضي البلاد وسلامتها أموراً غير قابلة للتجزئة، وتكون المحافظة عليها من مسؤولية الحكومة وجميع أفراد الشعب، لا يحق لأي فرد أو مجموعة أو أي مسؤول أن يلحق أذى ضرراً بالاستقلال السياسي أو الثقافي

٢١٠ - (مقدمة قانون أساسي، ص ١١).



أو الاقتصادي أو العسكري لإيران، أو ينال من وحدة أراضي البلاد باستغلال الحرية الممنوحة، كما أنه لا يحق لأي مسؤول أن يسلب الحريات المشروعة بذريعة المحافظة على الاستقلال ووحدة البلاد، ولو كان ذلك عن طريق وضع القوانين والقرارات" ^{٢١١}. ما معنى هذا؟ إن الدستور الإيراني في الوقت الذي يعطي للسلطات الإيرانية حق التدخل المباشر في شؤون الدول الأخرى يمنع منعاً باتاً التدخل في الشؤون الوطنية الإيرانية، ويحافظ على الاستقلال السياسي ووحدة أراضي البلاد.

فعندما يتعلق الأمر بالتوسع الخارجي فإن الرابطة الإسلامية "وحدة المذهب الشيعي" يسوغ لإيران التدخل في شؤون الآخرين عنوة، لكن حينما يتعلق الأمر بإيران تبرز المصلحة القومية الفارسية الإيرانية، وليس الإسلام لتكون حامية إيران بحدودها ومصالحها.

ويتحدث الدستور الإيراني عن المسلمين وفق وجهة نظره، حيث "يُعتبر المسلمون أمة واحدة من دون الناس، وعلى أساس تضامن الشعوب الإسلامية ووحدها، فإنها ستواصل سعيها من أجل تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي" ^{٢١٢}، كل ذلك باسم الوحدة الإسلامية، وهذا حسب التصور الإيراني يعطي شرعية لإيران لوضع إطار مشروع للتدخل والاحتواء والسيطرة والهيمنة، ومرة أخرى تأتي الأولوية المطلقة لتقديم مصالح إيران القومية التي يدعو دستورها للمحافظة على حدودها، وعدم التفريط بها، حيث ينص الدستور الإيراني على ما يلي: "يحظر إدخال أي تغيير في الخطوط الحدودية سوى التغييرات الجزئية مع مراعاة مصالح البلاد، وبشرط أن تتم التغييرات بصورة متقابلة، وأن لا تضر باستقلال ووحدة أراضي البلاد، وأن يُصادق عليها أربعة أخماس عدد النواب في مجلس الشورى الإسلامي. وفي مواضيع أخرى يؤكد

٢١١ - (قانون أساسي، المادة التاسعة).

٢١٢ - (قانون أساسي، المادة الحادية عشرة).



الدستور على حق إيران في التدخل، رغم أنه يحاول نفي ذلك: "تعتبر جمهورية إيران الإسلامية سعادة الإنسان في المجتمع البشري كله قضية مقدسة لها، وتعتبر الاستقلال، والحرية، وإقامة حكومة الحق والعدل حقاً مشروعاً لجميع الناس في أرجاء العالم كافة، وعليه فإن جمهورية إيران الإسلامية تقوم بدعم النضال للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم، وفي الوقت نفسه لا تتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى" ^{٢١٣}، هذا الحق في التدخل الذي يؤكدته الدستور مراراً هو بمثابة اعتراف صريح بأن إيران سواء كانت بويهية، عبيدية، صفوية شاهنشاهية أو خمينية فإنها تقوم على هدف أساس هو التوسع، انطلاقاً من السيطرة على العالم الإسلامي والهيمنة عليه تحت شعار دعم المستضعفين.

وتأسيساً على ما سبق فالقارئ للدستور الإيراني يلاحظ ازدواجية مكشوفة؛ ففي حين أنه يؤكد على الدفاع عن مصالح إيران الوطنية وحدودها ضد المسلمين وغير مسلمين، نرى الدستور الإيراني يتضمن نصوصاً أساسية تسمح لإيران بالتدخل في شؤون الدول الأخرى تحت شعار دعم المسلمين (المستضعفين) في البلدان الأخرى، إذ ترد الفقرة التالية: "في مجال بناء القوات المسلحة للبلاد وتجهيزها، يتركز الاهتمام على جعل الإيمان والعقيدة أساساً وقاعدة لذلك، وهكذا يصار إلى جعل بنية جيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة على أساس الهدف المذكور، ولا تلتزم هذه القوات المسلحة بمسؤولية الحماية وحراسة الحدود فحسب، بل تحمل - أيضاً- أعباء رسالتها الإلهية، وهي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل بسط حاكمية القانون الإلهي في العالم".

من الواضح هنا من هذه الفقرة أن القوات المسلحة الإيرانية تُعد للغزو الخارجي ولاستعمار الآخرين باسم الإسلام الإيراني الشيعي الصحيح وفق وجهة نظرهم، لكن ما غاية إيران من كل ذلك؟ سنجد أن الهدف الإيراني النهائي من كل ذلك جعل هذا القرن قرناً إيرانياً، حينما يخلص الدستور الإيراني إلى ذلك

٢١٣ - (قانون أساسى إيران، المادة ١٥٤).



من خلال النتيجة التي يسعى إلى تحقيقها: "على أمل أن يكون هذا القرن قرن تحقق الحكومة العالمية للمستضعفين وهزيمة المستكبرين كافة" ٢١٤ .

لكن السؤال ما هو المقصود بالمستضعفين؟ ومن هم المستكبرون؟ حيث ورد في الدستور ما يلي: "إن إيران تنظم سياستها الخارجية على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفي العالم" ٢١٥ .

في الوقت الذي يعتبر فيه دستور الثورة ومراجعها الدينية أن المستكبرين في العالم الإسلامي هم الذين لا يطبقون الحكم الإسلامي الشيعي النقي ٢١٦ . نلاحظ في هذه الفقرة أن إيران تبيح لنفسها حق التدخل الكامل في شؤون كل دولة تحت شعار حماية مستضعفي العالم كافة، ونتيجة لذلك برزت سياسة خارجية جديدة أطلقتها الثورة الإيرانية، حيث سعت من خلالها إلى بناء مجال حيوي مذهبي يكون أساساً لإمبراطوريتها الشيعية الموعودة، ومن هنا فقد برز اتجاه إقليمي ودولي يستهدف محاصرة إيران الثورة نظراً لخطورتها، ومحاولة عزلها عن البيئة التي تعيش فيها، ومنها المنطقة العربية التي تمثل أحد المجالات الحيوية والمهمة للتدخل الثوري الشيعي الزاحف من إيران، وأصبحت سياسية احتواء الثورة والإطاحة بها تقع على سلم أولويات دول المنطقة، وبرز إلى العلن اصطفايات إقليمية لمحاولة الحد من تأثيرها من خلال استغلال كافة الظروف الإقليمية والدولية على حد سواء، نظراً لما تمثله إيران الثورة والدولة من خطر يستهدف المنطقة وشعوبها، ويمس جوهر الدين الإسلامي ممثلاً بأهل السنة والجماعة، خصوصاً بعد أن أعلن الخميني - قائد الثورة الإيرانية ومفجرها - أن أحد أهم وظائف الثورة وأهدافها

٢١٤ - (مقدمة قانون أساسي إيران).

٢١٥ - (قانون أساسي، المادة الثالثة، الفقرة ١٦).

٢١٦ - (سعيد شكوهي، تأثير انقلاب إسلامي بر روابط إيران باكشورهاي عربي، مجلة علوم سياسي، شماره ١٤٧، تير ماه، ١٣٧٤، ص ٣٤ - ٣٥).



هو مبدأ تصدير الثورة، تمهيدا للإطاحة بأنظمة الحكم العربية، وتوحيدها ضمن
المجال الحيوي لدولة القلب المذهبي وتحت عباءة الولي الفقيه وصولاً إليه.



المبحث الثاني

النماذج التي تناولت كيفية بناء الإمبراطورية الشيعية بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران



برزت النماذج التي تناولت كيفية بناء الإمبراطورية الشيعية بعد نجاح الثورة في إيران من خلال المدارس التالية:

أولاً: المدرسة البراغماتية في بناء الإمبراطورية الإيرانية: المذهب مقابل الأيديولوجيا "النموذج الروسي": يطلق على أنصار هذا الرأي "البراغماتيون" الذين يوظفون الإسلام كغطاء لبناء إمبراطورية إيرانية ذات طابع قومي مذهبي؛ فهم يؤمنون بأهمية توظيف الأمة الإيرانية لكافة إمكاناتها القصوى من أجل النمو داخل المجتمع الدولي، لذا فهم يريدون كل شيء من أجل الداخل ومن أجل الأمة القاطنة فيه، وتعتقد هذه الجماعة بأن الهدف من التمسك بالإسلام إنما هو في الواقع لتدعيم موقف إيران وتدعيم قوتها، كما أنهم يؤمنون بأنه إذا ما قامت إيران بنشاط دولي في العالم الإسلامي يقوم على أساس مساندة حركات التحرر الإسلامية، وعلى تصدير ثورتها الإسلامية، فهي في الواقع تحقق هدفاً مبدئياً يضمن هذا التوسع، ويسهم في الغزو المعنوي الذي يضيف القوة على إيران.

تطبيقاً لذلك، إذا ما امتلكت إيران قواعد شعبية وأيديولوجية في لبنان، وقدمت تمويلاً مذهبياً لأفغانستان، واكتسبت نفوذاً مذهبياً ومعنوياً مماثلاً في باكستان، فإنها في الواقع ستصبح جميعها قواعد غير قومية وغير محدودة لإيران، ومن هنا فإنه يتوجب عليها أن تستفيد منها لأقصى درجة لفرض هيمنة أكبر إذا اقتضت الضرورة، وهكذا يكون من الطبيعي أنه إذا أصبح لإيران قاعدة مثل لبنان، فإنها ستكون بمثابة دعم لها خارج حدودها، تستفيد منها وقتما تشاء، أو

أنها مثلا تستفيد من حزب الله في توجيه ضربة ضد مصالح الدول التي لها عداوة معها، ومما لا شك فيه أن إيران في هذه الحالة لن تكون مجرد دولة، بل ستصبح تياراً عالمياً يتمتع بالهيمنة والقوة خارج حدودها.

ويحاول بعض منظري السياسة الخارجية الإيرانية الربط بين هذا الأمر ونجاح روسيا في بناء إمبراطورية كبيرة، فوفق وجهة نظرهم فإن الاتحاد السوفيتي الاشتراكي انتهج هذا النهج لأمد طويل، على المستوى التطبيقي في سياسته الخارجية، وكان ذلك من أسباب قوته وهيمنته بوصفه قوة عظمى في ميدان السياسة الخارجية ذات البعد الأيديولوجي، وما كان تأسيس الكومينترن والكمينفورم وتوظيفهما، وتقديم الدعم اللا محدود لكوبا ولجميع الحركات الثورية الشيوعية في العالم - إلا تطبيقاً لهذه الرؤية وتحقيقاً للهدف الذي ذكره سالفاً، حيث أرسى الاتحاد السوفيتي دعائمه من خلال هذه الاستراتيجيات، وقام بنشر نفوذه في أنحاء العالم، لا سيما في أوروبا، إذ أسس في دول مثل فرنسا وإيطاليا أعظم الأحزاب الشيوعية الموالية له، والتي كان من خلالها يثير الفوضى العمالية التي تؤثر بحدة على صناعة القرار في هذه الدول وقتما تشاء، وبها استطاع الروس - أيضاً- إرباك الوضع السياسي للأعداء. في الواقع كان الاتحاد السوفيتي ينتفع من الأيديولوجيا الماركسية- الشيوعية بوصفها أداة من أدواته الفاعلة في سياسته الخارجية وفي إدارة علاقاته الخارجية.

أما فيما يخص الحكومة الإسلامية وسياستها الخارجية، فقد جرى هذا النمط الجدلي حولها ولا يزال، حيث إننا نعلم أن الإسلام دين الأمة الإسلامية، وأن كل من يؤمن بهذا الدين في أي مكان في العالم يعد من هذه الأمة، ومن ثم تصبح للمجتمعات الإسلامية الأخرى حقوق وواجبات على عاتقه. فلقد خرق الإسلام الحدود الجغرافية في جميع أحكامه وقوانينه ووصاياه، وتخطى حدود الدولة الواحدة، ومن ثم فهو لا يهتم بتقسيم الأمة في إطار الحدود المتفق عليها دولياً، ذلك لتحكمه في أتباعه وحمائهم ورعايتهم أنى كانوا، لذا نجد أن القول المأثور:



إذا سمع المسلم استغاثة أخيه المسلم ولم يغثه فليس بمسلم، هي الأساس لفكرة الإسلام اللا حدودي وغير القومي والعالمي .

ولقد تم التأكيد على هذا في بدايات عمر الثورة تأكيداً شديداً، لدرجة أن أعدادا كبيرة من مسلمي الدول المجاورة- لا سيما أفغانستان وبنجلاديش وباكستان والعراق- ترددوا على مكاتب تمثيل جمهورية إيران الإسلامية في بلادهم، ودخلها عدد آخر منهم طلباً للتجنس بالجنسية الإيرانية، ومطالبين بحقوق المواطنة اعتماداً منهم على مبدأ أن الإسلام لا يعرف الحدود .

ثانياً: المدرسة الدينية " نظرية التكليف الإلهي ": نموذج الدولة الإسلامية: تركز هذه النظرية على ضرورة العمل بالتكاليف الدينية بغض النظر عن العواقب أو النتائج المترتبة على ذلك، ويعتقد أنصار هذه النظرية أن ما يهم في سبيل الوصول إلى أهداف السياسة الخارجية القائمة على الشريعة الإسلامية المقدسة، هو تطبيق القوانين الإلهية، ولا يجب علينا في هذا الصدد أن ننظر إلى العواقب أو النتائج المترتبة على ذلك .

أصل أنصار هذا الرأي البعد الأيديولوجي للسياسة الخارجية الإيرانية وطموحاتها المتعددة، حيث تعتقد بوجود الحيلولة دون انعكاس المتغيرات والظروف الحالية في العالم على أي من مبادئ ومرتكزات السياسة الخارجية للبلاد وطموحاتها، ويعتقد أنصار هذا الرأي بوجود "النصرة" بمعنى أنه إذا استجار أي من الإخوة المسلمين من أي مكان في العالم بالجمهورية الإسلامية الإيرانية فعليها أن تهب لمساعدته ونجدته، والتباطؤ في ذلك غير جائز شرعاً، والعذر فيه غير مقبول على الإطلاق. وهنا يجدر بنا الإشارة إلى جملة من القضايا والأمور، فوجود قاعدة "الوسع" أي أن كل مسؤول أو حكومة إسلامية مسؤول في حدود وسعه، جعل جميع الالتزامات والواجبات والتكاليف التي يلقيها الشرع على عاتق حكام الدول الإسلامية وعلى عاتق المسلمين محدودة بمرتكز محور "الوسع"، فالحكم القائم مكلف بتقديم العون للمسلم قدر "وسعه"، وعليه واجب التلبية .



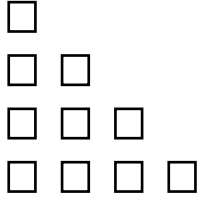
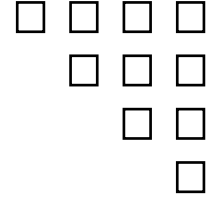
أما بخصوص العلاقة بين إيران والدول الأخرى - حسب رؤية أم القرى - فهي علاقة غاية في الأهمية، حيث تعتبر إيران أي مسلم - بوصفها الدولة الإسلامية المركزية وبوصفها مقرا للحكم الإسلامي - مواطننا مثل جميع مواطنيها، وتشركه في وجودها وقوتها وإمكاناتها المالية وثروتها، ولا تعترف معه بحدود جغرافية، في حين على المسلم الذي لم يعترف بالحدود الجغرافية بالمقابل أن يهبّ لمساعدة إيران والتضحية بسبيلها فور سماعه نبأ تعرض دولة أم القرى للخطر، ويصل إليها بأي طريقة كانت، ويجعل من نفسه درعا يحمي إيران - الحالية - من نيران العدو. هذا هو المسلم الذي لا تعترف أم القرى بالحدود معه، ولن تفرق بينه وبين الإيراني^{٢١٧}.



٢١٧ - (بيزن إيزدي، در آمدى بر سياست خارجى إيران، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامى حوزه علمية، قم، ١٣٧٧، ص ٦٠ - ٦٦. جواد لاريجاني، مقولاتى در استراتزى ملى، تهران، انتشارات انقلاب إسلامى، ١٣٦٩، ص ١١ - ١٢).



الفصل الثالث المذهب الشيعي ودولة الحلم الإمبراطوري



المبحث الأول المذهب الشيعي وإستراتيجية بناء دولة الحلم الإمبراطوري



لا بد لنا في البداية من فهم موقف المذهب الشيعي لمفهوم الدولة الإسلامية " الحكومة الإسلامية " ، والتي تعهدت من خلاله " إيران الثورة الشيعية المذهب " بضمان زوال جميع أنواع الدكتاتوريات المحيطة بها (السنية)، وفي هذا المقام نجد أن الخميني يعتبر " أن الثورة الإسلامية في إيران - حسب فهمه للفقه الشيعي - تسعى إلى إزالة هذه الدكتاتوريات، والهدف النهائي من ذلك بناء دولة الحكومة الإسلامية على أساس من تعاليم الإسلام الصحيح، لتأتي بعدها مرحلة بناء الأمة الإسلامية ضمن الدولة الواحدة^{٢١٨} .

وقد ركز الخميني على مبدأ دور الفقيه العادل المعترف به من كل الأمة الإسلامية في بناء هذه الدولة، حيث أشار الدستور الإيراني إلى " أن هدف الثورة الإسلامية التمهيد لهذه الوحدة واستمرارها داخليا وخارجيا تحت رعاية الولي

الفقيه وتوجيهه" ٢١٩، وهو أمر طبيعي وعلى غاية من الأهمية بالنسبة للثورة الشيعية الجديدة، خاصة أننا نقف على أعتاب القرن الواحد والعشرين، ونشهد متغيرات إقليمية ودولية ندرك نتائجها وتأثيرها على العالم الإسلامي، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه المتغيرات الجديدة، والتي تستهدف صياغة نظام دولي جديد، ستلقي بتداعياتها وآثارها، سواء كانت سلبية أو إيجابية، على الدول العربية وإيران على حد سواء، وهذا ما لا يفهمه ويعقله دولة ولي الفقيه الطامحة لبناء إمبراطوريتها الموعودة ٢٢٠؛ حيث لم يعترف الخميني مؤسس الثورة الإيرانية الشيعية الحديثة بالحدود الجغرافية أو حتى الأيديولوجية.

ولكي يكون القانون مادة لإصلاح البشر، فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية "مثلة بالحكومة" ٢٢١؛ حيث اعتبر الخميني أن تشكيل الحكومة الإسلامية في إيران مجرد خطوة أولى تمثل النواة للحكومة الإسلامية العلمية التي تحقق العدل، وقد ثبت ذلك في الدستور وأطره مؤسسياً، وبهذا وضعت موضع التنفيذ ٢٢٢، ولذلك فإن هذه الأحكام الصادرة عن الولي غير الأحكام الإلهية ٢٢٣. وفي زمن غيبته قد أوكلت مسؤولية قيادة الأمة الإسلامية إلى "الفقيه العادل" دون تعيين

٢١٩ - (مقدمة قانون أساسي إيران. قانون أساسي، (الدستور الإيراني باللغة الفارسية) بند ١٦٥، ١٥٢، ١٥٤. ونود هنا الإشارة إلى أن كلمة الإسلام وردت في ثلاثين موقعاً في الدستور الإيراني).

٢٢٠ - (خميني، كتاب كلمات قصار، ص ١٣٤، ص، ١٣٥. خميني، كتاب صحيفة نور، جلد ٢ ص: ٢٠٠، ٢٠١، جزء ١٦ ص: ٢٣٥ - ٢٣٦).

٢٢١ - (المرجع السابق، ص، ٣٣، ٣٤، ٤٠).

٢٢٢ - (تناولنا هذا الموضوع بشكل مفصل سابقاً)

٢٢٣ - (هوية "أولي الأمر"، فإنهم - طبق العقيدة الشيعية - الأئمة الاثنا عشر: الإمام علي والأئمة المعصومون من ذريته - عليه الصلاة والسلام - الذين كانت لهم ولاية أمر المسلمين واحداً تلو الآخر، حتى آلت إلى خاتمهم صاحب الزمان الإمام الغائب المهدي المنتظر).



شخصه^{٢٢٤}، فله كل ما أقره الشرع للرسول والأمة المعصومين من الولاية والشؤون
المربوطة بالحكومة، فلا يعقل وجود فرق بينهم في الصلاحيات الخاصة بهذا
الشأن؛ لأن الحاكم - سواء كان النبي أو الإمام المعصوم أو الولي الفقيه - هو
مجرد منفذ لأحكام الشريعة الإسلامية^{٢٢٥}.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد منح ولي الفقيه الذي يقود الحكومة
الإسلامية سلطة تعطيل بعض الفرائض، حيث يقول الخميني: "الحكومة تستطيع
أن توقف أي أمر - عبادي أو غير عبادي - إذا كان القيام به يخالف مصالح
الإسلام، فهي تستطيع المنع - بصورة مؤقتة - من أداء فريضة الحج - وهي من
الفرائض المهمة - في الحالات التي ترى أداءها خلاف مصلحة الدولة
الإسلامية"^{٢٢٦}. وخلاصة القول إن الخميني يعترف - فقط - بالدول التي يتولى
الفقهاء الشيعة حكمها في البلاد الإسلامية. أما التيار المعتدل المكلف بالتواصل مع
العالم العربي السني فهو يرى أن المقصود بالدولة الإسلامية دولة الحكم الإسلامي
بكلتا أطروحتيه: أطروحة الإمامة ونيابتها، وأطروحة الشورى. والمفهوم الأول
للحكومة واضح المعنى، ولكن ما المقصود بأطروحة الشورى؟ معناها - باختصار -
أن تدار أمور الدولة بالاعتماد على مبدأ الشورى من خلال آراء الجماهير، كما هو
النموذج في الجمهورية الإسلامية الإيرانية^{٢٢٧}، لكن روح الشورى ينبغي أن تكون
سارية في مختلف نقاط الدستور بالتفصيل والإجمال، ولكن ذلك يجب أن يكون
في إطار ولاية الفقيه^{٢٢٨}.

٢٢٤ - (تعيين أي تحديد الشروط التي يجب توفرها في الفقيه لكي يكون أهلاً لنيابة المعصوم

- في غيبته - في قيادة الأمة الإسلامية. (المترجم)

٢٢٥ - (خميني، كتاب البيع، ٢: ٤٦٤ - ٤٦٧).

٢٢٦ - (خميني، صحيفة النور، جلد ٢٠، تهران، منشورات منظمة المصادر الثقافية للثورة
الإسلامية، ص ١٧٠ - ١٧١).

٢٢٧ (قانون أساسي، المادة ٦، ٧. محمد علي التسخيري، الدولة الإسلامية: دراسات في
وظائفها السياسية والاقتصادية، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٩٤، ص ٣١).

٢٢٨ - (من خلال هذه التعاريف نجد أن الدولة الإسلامية هي الدولة التي تحكم وفق سلطة
الولي الفقيه).



أما قائد الدولة الإسلامية في نظر الشيعة فهو النبي أو وصيه، وهم الأئمة المعصومون، وهؤلاء منصّبون من قبل الله تبارك وتعالى، ولهم صلاحيات كاملة لإدارة الحكم في الإسلام، ثم الولي الفقيه^{٢٢٩} الذي تتعدد الآراء بشأن سعة صلاحياته، يعتقد عدد من العلماء المعاصرين أن للولي الفقيه في زمن غيبة الإمام المهدي حق الأمر بالحرب لنشر الإسلام والإذن بجهاد الدعوة، وقد صرح بهذا الرأي: آية الله الخوئي^{٢٣٠}، آية الله الخامني^{٢٣١}، السيد فضل الله^{٢٣٢}، والشيخ آذري قمي^{٢٣٣}، وآية الله حسين منتظري^{٢٣٤}. وحتى يكون العقد مستوفيا لمختلف الشروط، ومعترفا به، فولي الفقيه الإيراني الشيعي هو المخول - فقط - بإبرام الاتفاقات الدولية، وعلى الجميع الالتزام بها حسب الرؤية الشيعية^{٢٣٥}، وهذا ما يفسر وقوف دولة الحلم الإمبراطوري الشيعي ضد أي اتفاقيات تعقدها الدول العربية السنية خصوصا مع الدول الكبرى، وحتى فيما بينها، حيث لاحظنا ذلك عند الحديث عن معارضة إيران بحدّة لبناء تعاون عربي للحفاظ على الأمن في منطقة الخليج العربي.

- ٢٢٩ - (أي: المجتهد الجامع للشرائط اللازمة لتولي منصب نيابة الإمام في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي المنتظر، حيث أمر الأئمة بالرجوع إليه وطاعة أوامره وعدم الرد عليه؛ لأن الرد عليه رد على الإمام المعصوم، وبالتالي على النبي، ثم على الله تعالى، وهذا هو حد الكفر).
- ٢٣٠ - (الخوئي، ١: ٣٦٥ - ٣٦٦).
- ٢٣١ - (آية الله السيد علي الخامني، أجوبة الاستفتاءات، بيروت، دار الحق، ١٩٨٩، الجزء الأول، ص ٣٣١).
- ٢٣٢ - (السيد محمد حسين فضل الله، المسائل الفقهية، بيروت: دار الملاك، ٢٠٠١، الجزء الأول، ص ٢٧).
- ٢٣٣ - (حميد آذري قمي، رهبري جنك وصلح، تهران، انتشارات رسالة، ص ٩٦).
- ٢٣٤ - (الشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه، قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٣٧٢، الجزء الأول، ص ١١٨ - ١١٩).
- ٢٣٥ - (محمد التسخيري، العلاقات الدولية في ضوء الإسلام، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، ص ٥٦ - ٥٧).



ووفق ما طرح سابقاً فإننا نتساءل هل تعتبر الدول العربية السنية دولا إسلامية بموجب الرؤية الشيعية؟ بالطبع لا؛ لأن المقياس لإسلامية الدولة مرتبط بشيعتها حسب الرؤية الشيعية، فالدول العربية السنية لا تؤمن بمبدأ ولاية الفقيه من أساسها، وبالتالي فإن المعيار الذي تفرضه الرؤية الشيعية للحكم على إسلامية الدولة والحكومة التي تقودها أصبحت نتيجة عدم وجود نظرية ولاية الفقيه كأساس للحكم في الدول السنية، لأن الأصل - حسب المفهوم الشيعي - أن يتم تنظيم العالم الإسلامي في وحدة دينية واحدة يرأسها ولي الفقيه على اعتبار أنه ولي أمر المسلمين كافة، وخلاف ذلك سيكون خارجاً عن طبيعة النظرة الشيعية للعالم، وهو مبدأ لم ولن يتغير، وهذا الأمر من ثوابت الدستور الإيراني^{٢٣٦}، الذي أسس للدولة الشيعية التي يقودها الولي الفقيه، والتي ستكون بدورها نواة للإمبراطورية الشيعية الموعودة. ومن هنا فإن عدم سيطرة الفقهاء المؤمنين بولاية الفقيه يدلل بشكل كامل على عدم إسلامية الدولة وحكومتها.



٢٣٦ - (تم تناول هذا الموضوع سابقاً بشكل مفصل عندما تحدثنا عن المادة الخامسة في الدستور الإيراني).



المبحث الثاني

إستراتيجية الحرب الاستباقية في المذهب الشيعي للتعجيل بإقامة الإمبراطورية الشيعية الموعودة



إن نظرة الشيعة لنظرية الحكم في الإسلام تقوم بالأساس على نظام سياسي يقوم على مذهب محدد هو المذهب الشيعي فقط، حيث يمتلك هذا المذهب رؤية وتصورا ونظاما يفترض وجود الدولة الإسلامية التي يحتل فيها المذهب الشيعي تلك المكانة في الحكم، وتسير على وحي من هديه المذهبي، لدرجة يعتقد المؤمن بالإسلام بوجود اعتناق هذا المذهب والإثم بتركه، وبشكل يفرض خلاله على الأمة الإسلامية جمعاء تنظيم الحكم وإقامة الدولة وفق الرؤية الشيعية على اعتبار أنها تمثل الإسلام الصحيح. والطريف في الأمر أن هذا معناه الاعتراف بأمرين: الأول، بصحة المذهب الشيعي وعدم صحة مذهب أهل السنة، والثاني، أن السلطة لخليفة المسلمين ولولي أمرهم ومرجعهم الشيعي الذي يقيم في مقر دولة الحكم الإسلامي "إيران"، وبالتالي فإن الحكومة الشيعية العالمية تستمد ولايتها وقدرتها ومبادئها من الشيعة؛ لأنهم سيصبحون أساس الإسلام الخالص والحقيقي، على اعتبار أنهم باتوا أصحاب الولاية الحقيقية على العالم الإسلامي، ولن يملك غيرهم أية ولاية؛ لأنها ستصير تحت عباءة ولي الفقيه ومعاونيه من الأئمة الفقهاء في قم ومشهد.

وعلى هذا الأساس فإن المذهب الشيعي سيصير هو الحاكم والمسيطر والمطاع والموجه لشؤون الحياة كافة، وهو الذي سيقع على عاتقه تطبيق شريعة الله في الأرض، ويقود عملية الخلاص الكبرى من خلال الإمام المهدي الشيعي الذي سيقود العالم، ولذا لا يبقى أي شك في أن السيادة في تصورهم ستكون من

خلال تصور الإسلام الشيعي، ووفق نظرية التفويض المطلق لولي الفقيه لإدارة شؤون الإمبراطورية الشيعية الموعودة، وعلى اعتبار أن الإسلام الشيعي قد أعطى الدين مفهومه الصحيح. ولا يمكن وفق هذا التصور أن يتنازل الشيعة في العالم عن هذا الدور لصالح أهل السنة والجماعة؛ لأن إقامة الدولة الإسلامية الدينية معناه التنازل عن أسس الإسلام الصحيح لصالح فرقة ضالة لا تملك الشرعية لبناء الدولة الإسلامية، ولذلك فإن وحدة السلطتين الشيعية والسياسية، والقبول بإمامة الإمام الشيعي هو إتمام للدين، وإكمال للنعمة السماوية على الأرض كلها، وأي انفصال في هذه الرؤية يعبر عن تطبيق غير صحيح ومغلوط للإسلام.

نستطيع القول بأن هذه الرؤية هي دعوة انقلابية سوف تمهد لإقامة إمبراطورية شيعية في العالم؛ لأنها - كما ذكرنا - لا تؤمن بأي مذهب ولا حتى دين آخر، وهذه رؤية استعمارية جسدتها دولة مذهبية أسهم الغرب في نشأتها وقوتها لتفجير العالم الإسلامي، فالتبشير بالإمبراطورية الشيعية العالمية منطلق - بلا ريب - من طبيعة المذهب الشيعي؛ لأن المذهب الشيعي مصمم - حسب الزعم الشيعي - ليكون دين البشرية^{٢٣٧}. والسؤال الذي يطرح: ما الذي يبرر للقائمين على الشيعة أن يوسعوا من سلطة الشيعة لتشمل العالم؟ ومن الذي حولهم ذلك؟ يتحدث علماء الشيعة ويسرفون في تناول موضوع " أن الانقسام هو الاستثناء المؤقت " .

وفق هذه الرؤية فإن ما يتصوره الإسلام " الشيعي " في مرحلة الاستثناء هو أن ينقسم العالم إلى دارين: أحدهما دار الإسلام، والأخرى دار الكفر. وأن الأصل في الشريعة الإسلامية أنها شريعة عالمية شاملة جغرافياً، وهي لا مكانية. أما دار الكفر فتشمل منطقتين هما: دار الحرب، ودار العهد. وكل دار يحكمها مجموعة من القواعد العامة في التعامل مع غير المسلمين عموماً. ووفق ذلك فإن

٢٣٧ - (سوف نناقش هذا الموضوع لاحقاً عند تناول العقيدة المهدوية ودورها في بناء الإمبراطورية الشيعية).



الأسس التي تقوم عليها السياسة الخارجية الإسلامية تتركز على المصلحة الإسلامية العليا على ضوء الواقع القائم، والعمل على إبقاء الدولة الشيعية نموذجاً ومثالاً أعلى للمجتمعات البشرية في السياسة القائمة على مبدأ الأصالة "المذهبية" في التعامل، وعلى ضوء المبدأ يتحدد نوع العلاقات الدولية كونها: ودية، جيدة، أو سيئة في الأصل. من هنا يقرر الشيعة علو الإسلام "الشيوعي" من منطلق نفي السبيل على المؤمنين، لأن ذلك هو تقرير لحقيقة علو النظام الإسلامي "الشيوعي" ٢٣٨.

أما المبدأ الخطير فهو ما اصطلح عليه في المذهب الشيوعي بسياسة "تأليف القلوب"، حيث يعتبره الشيعة من أبرز إيجابيات الشريعة الإسلامية، ومعناه: أنه في حالة وجود بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام الصحيح "السنة" يلجأ الشيعة إلى انتهاج دبلوماسية تأليف القلوب، حتى تمهد وتسهم في انفتاح النفوس الضالة والمبتعدة عن الهداية والحقيقة، وبالتالي ينبغي أن يتم التقرب إليها، والاستراتيجية لتحقيق هذا المبدأ تتمثل بالاستراتيجية الاقتصادية ممثلة بسهم المؤلفه قلوبهم من خلال مصارف الزكاة، وهذا الأمر فتح مجالاً للعمل المنظم لتحقيق هذه الغاية، عبر الوقوف إلى جانب المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، كل ذلك بهدف تسهيل جلب القلوب إلى الإسلام الحقيقي "الشيوعي". والفقهاء الشيعة يختلفون في تعريفهم لطبيعة فئة القلوب المؤلفه؟ ولماذا اختصت هذه الاستراتيجية بغير الشيعة ووصفتهم بضعف الإيمان؟ لكن الخميني اعتبره مبدأ عاماً يتيح للدولة الإسلامية "الشيوعية" أن تلحظ مصلحتها أينما تكون، وتسعى لتحقيقها ٢٣٩، وبالتالي تقديم المساعدات إلى مختلف الدول والتنظيمات وحتى الشخصيات على شتى مذاهبها ما دام ذلك يحقق الحفاظ على مصلحة الدولة الإسلامية، ويسهم في تأليف قلوبها ٢٤٠. وهذا السهم الممنوح للمؤلفة قلوبهم لا يختص بمورده بباب

٢٣٨ - (تم مناقشة هذا الموضوع عند بحث الأفكار الخاصة المتعلقة بفكر الخميني سابقاً).

٢٣٩ - (صحيفة نور، جلد ٣، ص ١٥٨ - ١٥٩).

٢٤٠ - (صحيفة نور، مرجع سابق، جلد ٤، ص ٩٨ - ٩٩).



الزكاة فقط، وإنما نجد المذهب الشيعي يسمح للإمام أن يقوم بالإنفاق بما يحقق مصلحة الإسلام " الحقيقي " من أموال الدولة^{٢٤١}، في سبيل تقريب القلوب إليها وإلى مبادئها، وبما يعود بالنفع على القضية الكبرى المتمثلة في تكوين الحكومة الإسلامية " العالمية " .

هذه الرؤية تفضح الأسباب الحقيقية التي تقف وراء دعم إيران لبعض الأحزاب والتيارات الإسلامية السنية؛ لأن هذا الدعم - وفق علماء الشيعة وفي مقدمتهم الخميني - يجب أن يحقق مصلحة إيران القومية والمذهبية من ناحية، وعلى أمل أن يسهم في استمالة قلوب قيادة هذه التيارات وأعضائها تمهيدا لتشيعها من ناحية أخرى^{٢٤٢} .

وعلى أية حال، فإننا من خلال بعض الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الدارين (دار الإسلام ودار الكفر) يبقى تصور الحالة المفروضة، وهي قيام الدولة الواحدة في العالم، ويبقى هذا التصور الإسلامي - حسب الرؤية الشيعية - هو الذي يحكم العلاقات الدولية، ويتحكم في نوعيتها ومسارها وطبيعة أهدافها النهائية^{٢٤٣}، وبعد التعرف على رؤية الشيعة وتعريفهم للإسلام، والحكومة الإسلامية، والقيادة، وموقع أهل السنة في هذه المعادلة، وبالتالي نصل إلى نتيجة مؤداها أنهم " الشيعة " هم وحدهم الذين يمثلون الإسلام الصحيح، كذلك فإننا نفترض أن الشيعة يوجهون جهودهم للحفاظ على الإسلام الحقيقي ورسالته التي تقع على كاهلهم وحدهم .

٢٤١ - (سوف نقوم مستقبلا بعمل دراسة موسعة حول دور المؤسسات الثورية في إيران، والتي تمتلك موارد اقتصادية ومالية ضخمة في مساعدة الحركات الثورية في العالم العربي والإسلامي، ودراسة دور هذه المؤسسات في استراتيجية تأليف القلوب من خلال المدخل المالي تمهيدا لتشيعها).

٢٤٢ - (تقدم إيران سنويا دعما ماليا كبيرا لبعض التيارات السنية في العالم العربي مثل: حماس، والجهاد الإسلامي، والتيارات الإسلامية في السودان، الجزائر..).

٢٤٣ - (محمد التسخيري، الدولة الإسلامية: دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية، طهران، منظمة الإعلام الإسلامية، ٢٠٠٠، ص ٩٩).



أما بشأن الحرب الاستباقية المشروعة، والموقف الفقهي الشيعي منها، فقد تناول فقهاء الشيعة ومراجعهم هذا الموضوع بشكل مفصل؛ حيث طرحوا هذه المسألة وهي من النقاط الملفتة في الفقه الشيعي الذي يتحدث عن الحرب الاستباقية، وقد أطلق عليها الفقه الشيعي تسميات عديدة مثل: الدفاع الوقائي، الجهاد الابتدائي، حرب نشر الحق. ويبحث هذا الموضوع تحت عنوان "الجهاد". والجهاد حسب التعريف "الشيعي" لغة: بمعنى الجهد: أي التعب، أو الجهد بمعنى الطاقة، والمراد بذلك كامل الوسع لدفع العدو^{٢٤٤}. وهو في المصطلح الإسلامي مخصوص بالقتال في سبيل الله إعلاء لكلمة التوحيد، وإعزازاً للدين، وإذلالاً للمشركين^{٢٤٥}. وهو على أقسام "حسب الرؤية الشيعية" إلا أن القسم الأصلي هو الحرب الاستباقية "الابتدائية" ضد الكفار في سبيل نشر الإسلام، ومشروعيتها أمر قطعي ثابت ليس لدى الفقهاء وحدهم بل لدى المسلمين كافة^{٢٤٦}. أما الشروط الخاصة بالمجاهدين فمن ضمنها: أن يخضعوا للحكم الإسلامي "الشيعي"، ويلتزموا باحترام ظواهر الأحكام الإسلامية "الشيعية"، ويدفعوا الجزية للحكومة الإسلامية "إيران"، وعندها يمكنهم البقاء على دينهم^{٢٤٧}.

يذكر جميع الفقهاء الشيعة أن الهدف الخاص للحرب ومجاهدة الكفار هو دعوتهم للإسلام الحقيقي ليستجيبوا، أو إخضاعهم لسلطة الحكومة الإسلامية^{٢٤٨}. هذا الأمر سنبحثه لاحقاً من خلال تناول نظرية أم القرى والعقيدة المهدوية، وكيف اعتمدت على هذا البعد لتبرير الهيمنة والتوسع.

٢٤٤ - (سعيد بن عبد الله الراوندي، فقه القرآن: سلسلة الينابيع الفقهية، النجف، ١٩٧٨، الجزء التاسع، ص ١١١).

٢٤٥ - (المرجع السابق، ص ١١٣).

٢٤٦ - (النجفي، مرجع سابق، الجزء ٢١، ص ٨ - ٩).

٢٤٧ - (محمد بن علي بن حمزة الطوسي، (ابن حموة)، "الوسيلة إلى نيل الفضيلة"، سلسلة الينابيع الفقهية، مرجع سابق، الجزء التاسع، ص ١٥٩).

٢٤٨ - (المرجع السابق، ص ٢٢٧ - ٢٢٨).



ويشترط بعض فقهاء الشيعة جواز هذا الجهاد بحضور وإذن الإمام المعصوم "المهدي"، فيما أجازته عدد من الفقهاء بإذن الولي الفقيه "مرشد الثورة الإسلامية في إيران، ولي أمر المسلمين" - أيضاً - في عصر الغيبة. وللفقهاء ثلاثة أنواع من العبارات بشأن وجوب الدفاع من خلال الحرب الاستباقية بهدف الدفاع عن الدولة الإسلامية درءاً للعدوان فيما يرتبط بشرطية إذن الإمام المعصوم، فبعضهم صرحوا - بصورة مطلقة - بعدم شرطية إذنه (المهدي المنتظر)، فالدفاع واجب على المسلمين في عصر الغيبة أيضاً، ولذلك لم يتعرضوا لهوية قائد وحاكم المسلمين الذي يمثل الإسلام "الحقيقي"، فقولهم مطلق ينفي أي شرط يرتبط بهوية الحاكم معصوماً كان أو غير معصوم؛ فالدفاع عن بلاد المسلمين وأرواحهم واجب عليهم سواء كان حاكمهم فقيهاً عادلاً أو عادلاً غير فقيه أو ظالماً، وهذا المفهوم تحدث عنه العديد من فقهاء الشيعة^{٢٤٩}.

لكننا نلاحظ أن البعض يقول بأن حق الأمر بالجهاد الدفاعي في زمن الغيبة هو للفقهاء المبسوط اليد، فإن لم يكن الفقيه مبسوط اليد، فالدستور الإيراني يمنح مرشد الثورة الإيرانية صلاحيات واسعة، ونستطيع وصفها بالسلطات المطلقة، إذ يقول الدستور: إن السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: السلطة التشريعية، التنفيذية، القضائية. وتمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق

٢٤٩ - (يحيى بن أحمد الهذلي، "الجامع للشرائع" سلسلة الينابيع الفقهية، طهران، المكتبة الكبرى وقسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، ١٩٨٥، الجزء التاسع، ص ٢٣٣. ابن حمزة، ١٥٩. النجفي، مرجع سابق، الجزء ٢١، ص ١٨ - ١٩. ابن إدريس، ٢: ٤. المكي العاملي، الدروس، الجزء الثاني، مرجع سابق ص ٣٠ - ٣١. المحقق الحلي، مرجع سابق، ص ١٠٩. المحقق العراقي، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص ٣٢٨ - ٣٢٩. الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٤٨٥. زين العابدين الجبعي العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص (٣٨١).



وإمام الأمة، وذلك وفقا للمواد اللاحقة في الدستور^{٢٥٠} فالأمر بذلك للحكومة المسلمة^{٢٥١}.

ويبين بعض مراجع الشيعة - فيما يرتبط بشرط القدرة في وجوب الدفاع - اتفاق الفقهاء الكامل والقاطع على أن وجوب الدفاع عند وقوع هجوم عسكري على الدولة الإسلامية مشروط بالقدرة على دفع العدو عن الأراضي الإسلامية ومنعه من إلحاق الأذى بالمسلمين^{٢٥٢}.

ويرى آخرون أنه إذا وقع هجوم من الأعداء فإنه: " يجب على من قصدوه بخصوصه المدافعة حسب القدرة والتمكن، فإن علم أنه سيقتل لم يعذر في التأخر بوجه، وإن لم يعلم القتل، بل جوز السلامة والأسر، السلامة مع المدافعة، أي في حكم وجوب المقاومة والدفاع، وإن علم أنه يقتل فعليه الاستسلام ولا يجوز له المقاومة والدفاع؛ لأن الأسر يُحتمل معه النجاة"^{٢٥٣}. وحسب هذه الفتوى إذا علم الشيعي المسلم أنه سيقتل يجب عليه المقاومة، لكن إذا عجز عن الدفاع وجب عليه الفرار^{٢٥٤} حفاظا على نفسه، فإن لم يهرب فقد ارتكب إثما عظيما^{٢٥٥}. وهذا ما يتبناه العديد من مراجع الشيعة^{٢٥٦}، حيث يفتي بعضهم بوجوب الدفاع لحفظ

٢٥٠ - (قانون أساسى إيران، المواد ٥٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١).

٢٥١ - (المحقق العراقي، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص ٣٨٥).

٢٥٢ - (النجفي، جواهر الكلام، الجزء ٢١، مرجع سابق ٤٨).

٢٥٣ - (زين الدين الجبعي العاملي، مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام، قم: دار الهدى للطباعة والنشر، بدون تاريخ، الجزء الأول، ص ١١٦).

٢٥٤ - (هذا يفسر عدم انخراط التيارات الشيعية عموما في مواجهة أعداء الأمة الإسلامية).

٢٥٥ - (بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد الأصفهاني (الفاضل الهندي)، كشف اللثام، الجزء الثاني، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي، ١٩٩٠، ص ٤٣١ - ٤٣٢).

٢٥٦ - (جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (العلامة الحلي) " قواعد الأحكام"، سلسلة الينابيع الفقهية، المرجع السابق، الجزء ٢٣، ص ٤٣٢).



النفس قدر المستطاع وبأية وسيلة ممكنة^{٢٥٧}، وهذا الحكم ثابت يجمع عليه الفقهاء^{٢٥٨} وهو ما أفتى به الخميني أيضاً^{٢٥٩}.

يفهم من هذه الفتوى أن الفرار إذا لم يكن ممكناً بالنسبة للحكومة الإسلامية الضعيفة عن مقاومة هجوم العدو فإنه يجب عليها اختيار المساومة، وإعطاء بعض الامتيازات، وتلبية بعض طلبات المهاجمين؛ بهدف حفظ أرواح المسلمين^{٢٦٠}، وحقنا للدماء، وقالوا بوجوبه^{٢٦١}. وهذه الاستراتيجية تمارسها إيران اليوم ببراعة في تعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وكيف توظف الأزمة العراقية واللبنانية والفلسطينية كمصداً لتحقيق هذا الهدف، وتعكس العجز عن المواجهة، وهو يفسر السياسة الخارجية الإيرانية التي تستمد مواقفها من خلال مواقف فقهية شيعية ترى أن أفضل وسيلة لتحقيق الهدف هو الاعتماد على حروب الوكالة، وإبعاد الخطر عن أراضيها وحدودها الجغرافية.

واستناداً للفقهاء الشيعي فإن الحكومة الإسلامية مكلفة بالجهاد العسكري، وبعهد الدعوة عندما تكون لديها الإمكانيات اللازمة للقيام به، وإلا فالجهاد محظور شرعاً^{٢٦٢}. أما بالنسبة للجهاد والمجاهدين والفتنة المستهدفة ضمن المفهوم

٢٥٧ - (جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (العلامة الحلي)، إيضاح الفوائد، ٤: ٥٤٥، قم: مؤسسة إسماعيليان، ١٣٨٩)

٢٥٨ - (محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، الجزء ٤١، مرجع سابق، ص ٦٥٠).

٢٥٩ - (الخميني، تحرير الوسيلة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٤٨٨ - ٤٨٩).

٢٦٠ - (هذا يفضح السياسة الإيرانية اليوم، والتي تتواطأ مع أعداء الأمة الإسلامية، وكل ذلك يتم بغطاء فتاوى علماء الشيعة ومراجعهم).

٢٦١ - (نلاحظ أن التواطؤ ضد العراق - مثلاً - وإعلان إيران عن أن التفاوض مع الولايات المتحدة وتقديم التنازلات يندرج تحت غطاء التعاون للحفاظ على الأمن في العراق نلاحظ أنه يندرج تحت هذا الإطار).

٢٦٢ - (محمد تقي البروجردي النجفي، نهاية الأفكار (تقرير دروس الشيخ ضياء الدين العراقي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٧٢، الكراس ٢، ص ٤٧).



والرؤية الشيعية، فنجد أن أهل السنة هي الفئة المستهدفة من جانب الجهاد الشيعي؛ لأنه غير معترف بإسلامها وفق ما يقوله الشيعة من خلال تعريفهم للإسلام الحقيقي، وبالتالي فمن المفروض أن يسعى الشيعة لجهاد أهل السنة لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبالتالي تشيعهم، على اعتبار أنهم يصنفون ضمن دار الكفر أو العهد، والشيعة هم دار الإسلام الحقيقي والإيمان. ومن الضروري هنا توضيح مسألة مهمة وهي أن حصول الدولة الإسلامية على التفوق العسكري واجب كمقدمة للقيام بجهاد الدعوة للتبشير بالمذهب الشيعي.

إن المهم عند علماء الشيعة أن يتم تبني جهاد الدعوة^{٢٦٣}، ويربط بعضهم بين وجوب السعي للحصول على القدرات المختلفة اللازمة للقيام بواجب جهاد الدعوة^{٢٦٤}، حيث يُفهم من ذلك أن الحصول على القدرة العسكرية هو أمر واجب؛ لأنه سيدعم نشر المذهب الشيعي، كذلك فإن توفير الدولة لوسائل المنعة سوف يؤدي إلى رفع راية الجهاد والدفاع عن الدول المسلمة، حيث إن جميع آراء فقهاء الشيعة تشمل جواز - بل وجوب - دفاع الدولة الإسلامية عن دولة إسلامية ثانية إذا هاجمتها عسكرياً دولة كافرة، مثلما تميز - بل توجب - دفاعهما عن نفسها ضد هجوم الدولة الكافرة، وهذا ما أفتى به - وبصراحة - بعض الفقهاء في حكم وجوب دفع هجوم المعتدين، طبعاً كل ذلك مشروط بتوفر وسائل القوة لإيران^{٢٦٥}.

٢٦٣ - (محمد رضا المظفر، أصول الفقه، طهران، منشورات المعارف الإسلامية، ١٣٨٦، ص ٨٧ - ٧٩).

٢٦٤ - (النجفي، ٢١: ٢٧).

٢٦٥ - (زين الدين العاملي الجبعي، الجزء الأول، مرجع سابق ص ١١٦. النجفي، جواهر الكلام، الجزء الأول، ص ١٨ - ١٩. المكي العاملي، الدروس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٣٠. أبو الصلاح الحلبي، مرجع سابق، ص ٣١ - ٣٢. محمد مهدي شمس الدين، الاجتماع السياسي الإسلامي، قم، دار الثقافة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص ١٣٧. العلامة الحلبي، تذكرة الفقهاء، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الجزء الأول، ص ٤٠٦ - ٤٠٧).



لكن السؤال المهم: أين هي الدولة المسلمة التي ستدافع عنها الدولة الشيعية في إيران؟ حيث لم تخض إيران خلال تاريخها الحديث أو القديم حرباً مباشرة للدفاع عن دولة إسلامية واحدة، على اعتبار أن هذه الدولة الإسلامية "الشيعية" غير موجودة أصلاً حتى تدافع عنها، أو حتى لو كانت موجودة فإن المذهب الشيعي يتيح لإيران التهرب من الانخراط مباشرة في أي حرب حفاظاً على دولة المقر الشيعية "أم القرى". وأكبر مثال على ذلك الموقف الإيراني البراغماتي الذي برز من خلال موقفها المؤيد للأرمن المسيحيين ضد الشيعة في أذربيجان؛ حيث وقفت إيران مع الدولة الأرمنية ضد دولة أذربيجان - التي يشكل الشيعة فيها أغلبية - في النزاع حول إقليم ناغورنوكرباخ، وقد أباح مراجع التقليد الشيعة للسياسيين اتخاذ هكذا موقف^{٢٦٦}.

كذلك فقد أجاز فقهاء الشيعة شن الحرب الوقائية لمواجهة أي هجوم عسكري قريب من دولة أخرى، وذلك استناداً إلى الأدلة والقواعد الموجودة. وقبل عرضها نشير إلى بعض عبارات الفقهاء التي يمكن الاستناد إليها في هذه القضية، فهناك آراء تبيح الجواز، يقول أبو الصلاح الحلبي: "فإن خيف على بعض الإسلام^{٢٦٧} من بعض الكفار أو المحاربين^{٢٦٨} وجب على أهل كل إقليم قتال من يليهم دفعه عن دار الإيمان... وليقصد المجاهد - والحال هذه - نصره الإسلام والدفاع عن دار الإيمان.."^{٢٦٩}، ولا يجوز لها اللجوء للدفاع المسلح غير المثمر والذي لا يؤدي إلى منع ذبح المسلمين.

٢٦٦ - (تم بحث هذا الموضوع بشكل مفصل سابقاً).

٢٦٧ - (المقصود بالطبع الشيعية).

٢٦٨ - (من هم هؤلاء المحاربون؟ هل يقصد بهم السنة؟ على اعتبار أنه ذكر كلمة الكفار وهؤلاء معروفون، لكن ماذا يقصد بالمحاربين؟ ومن هم؟).

٢٦٩ - (أبو صلاح الحلبي، مرجع سابق، ص ٣١).



وهنا ينبغي الإشارة إلى أنه يجب على الدولة الإسلامية في زمن السلام أن تبذل كامل وسعها من أجل اكتساب الاقتدار والتفوق العسكري على الأعداء الموجودين بالفعل أو بالفرض؛ بهدف صدّهم عن الهجوم عليها والتعرض لها^{٢٧٠}. وتحقيقاً لهذا الهدف فإن إيران تمتلك اليوم أكبر ترسانة عسكرية في منطقة الخليج العربي حيث يميل الميزان العسكري لصالحها، وهي تمتلك بذلك أسلحة تقليدية وفوق تقليدية. ومن هنا فإن سعي الحكومة الإسلامية للحصول على التفوق العسكري بهدف القيام بجهاد الدعوة أمر واجب شرعاً، والخطورة أن جهاد الدعوة سوف يسهم في بناء مصدات مذهبية سوف تحقق "الدفاع الردعي" للدفاع عن الدولة الإسلامية.

هذه الاستراتيجية تعتبر على أية حال عن عمل مشروع، بغض النظر عن أهدافها وتوجهاتها، وهذا أمر خطير؛ فقد فتح فقه الشيعة الباب واسعاً؛ لأن جهاد الدعوة معناه من الناحية الواقعية نشر المذهب الشيعي والتبشير به بأية وسيلة ممكنة، وقد أعطاه الفقه الشيعي مبرراً ومظلة شرعية للقيام به، أما النقطة الأخرى فقد استباح المذهب الشيعي باب العمل العسكري لمواجهة أهل السنة "الذين يمثلون الإسلام غير الحقيقي" تحت بند الدفاع الردعي عن دولة أم القرى "إيران" التي تُمثل الإسلام الحقيقي"، وفتحت باب الاجتهاد الشيعي واسعاً، واعتبرته دفاعاً ردعياً بغض النظر عن أهدافه وتوجهاته الحقيقية، وهذا يعني أن دولة ولي الفقيه إذا قامت بشن عدوان فالمفروض ألا تقدم تبريرات وأسباباً وراء شنّها لهذه الحرب، أما إذا كانت الدولة الإسلامية قوية وتحظى بالتفوق العسكري بالدرجة التي يمكنها تحقيق الانتصار إذا تفجرت الحرب، فيجوز لها عقد معاهدة هدنة مع الكفار لمدة أربعة أشهر، وهذا حكم إجماعي^{٢٧١}، ويفتي أكثر الفقهاء بعدم جواز عقدها لمدة

٢٧٠ - قامت إيران ببناء قدرات عسكرية ونووية ضخمة، وقد بحثنا هذا الموضوع بشكل مفصل سابقاً).

٢٧١ - (لنجفي، مرجع سابق، الجزء ٢١، ص ٢٩٧).



سنة أو أكثر^{٢٧٢}، فيما ترى أقلية من الفقهاء جواز عقدها لأية مدة يراها ولي أمر المسلمين ضرورية^{٢٧٣}.

ولكن يجب تحديد المدة في المعاهدة على أية حال، أما إذا كانت الدولة الإسلامية في حالة ضعف وكان التفوق العسكري في جانب الكفار، فإن بعض فقهاء الشيعة يجيز لها عقد هدنة لمدة عشر سنين^{٢٧٤} أو أي مدة يراها ولي أمر المسلمين^{٢٧٥}، ومن هنا فإن فقهاء الشيعة يجمعون على وجوب الدفاع المسلح لمواجهة الهجوم العسكري المباشر الذي تشنه إحدى الدول ضد الدولة الإسلامية. وهنا ينبغي القول بأن أهم هدف من الهدنة هو بقاء الحكومة الإسلامية وحفظ استقلالها. ونحن بدورنا نتساءل حول القدرة الإيرانية ونطاق أهدافها، وهي التي تمثل اليوم أقوى دولة عسكرية في منطقة الخليج العربي، فإذا كان المذهب الشيعي يشير إلى أن تفوقها العسكري يمنعها من عقد الهدنة مع أعدائها أكثر من أربعة أشهر إلى سنة، فمن سيكون على قائمة أهدافها القادمة؟ خاصة أن ألتها العسكرية قد تطورت مؤخرًا لدرجة إطلاقها صواريخ بعيدة المدى قامت بتجريبها من خلال

٢٧٢ - (أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية: المبسوط باللغة الفارسية، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الجزء الأول، ص ٥٠).

٢٧٣ - (أبو القاسم الموسوي الخوئي، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٤٠١).

٢٧٤ - (الطوسي، المبسوط، مرجع سابق، ص ٥١).

٢٧٥ - (علل علماء الشيعة ذلك بأن قوة إيران هي لنصرة الإمام المهدي الذي سيعود، وحدد الشيعة أن قوة إيران يجب أن توظف لخدمة إمام الزمان "المهدي" الذي سيوجه نشاطه لفتح البلاد العربية أولاً؛ لأن هدفه سيكون نشر الإسلام الحقيقي "التشيع"، على هذا الأساس لا ينبغي أن يوجه قدرته العسكرية للدول الأخرى "المسيحية" حتى وإن نقضوا هذه الهدنة التي سيحرص المهدي على إبرامها مع الدول المسيحية. سوف نبحث هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً عند تناول العقيدة المهديّة وأثرها في بناء الإمبراطورية الشيعية).



إطلاقها لقمر صناعي إلى الفضاء^{٢٧٦}، وهل التهديدات التي أطلقها بعض رموز التيار الحاكم في إيران ضد مملكة البحرين يندرج ضمن هذا الإطار؟^{٢٧٧}.

كذلك فقد تناول المذهب الشيعي - في مواقع عديدة - قضية الهجوم على الدولة الشيعية، وحدد هوية المهاجمين للدولة الإسلامية "إيران"، حيث أورد الفقهاء الشيعة أربعة أنواع من العبارات فيما يرتبط بهوية المهاجمين، كما يلاحظ في التصنيف الأولي لمفرداتهم بهذا الشأن، فبعضهم - كالشيخ محمد حسن النجفي^{٢٧٨}، والحسن بن زين الدين العاملي^{٢٧٩}، والعلامة الحلي^{٢٨٠} - استخدموا وصف "هجوم الكفار^{٢٨١} على بلاد المسلمين"، ولم يتعرضوا لهجوم دولة إسلامية على دولة إسلامية ثانية، حيث افترض علماء الشيعة الأوائل أن دار الإسلام هي الدولة التي تمثل الإسلام "الشيعي"، وبالتالي كانوا واضحين وقاطعين في هذا الموضوع من خلال تقسيم العالم إلى دارين: الإسلام والكفر، في حين استخدم عدد آخر من الفقهاء كالمحقق الحلي^{٢٨٢}، وابن حمزة^{٢٨٣}، وابن

٢٧٦ - (أطلقت إيران قمرها الصناعي الأول مطلقة عليه اسم "أميد" وهو يعني الأمل، وقام الرئيس الإيراني برعاية هذا الاحتفال، حيث أعلن فيه نجاد أن الأشهر القليلة القادمة سوف تشهد إنجازات إيرانية جديدة في هذا المجال، وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، ٢٨/٢٠٠٨).

٢٧٧ - (تصريحات حسين شريعتمداري، وهو مستشار لمرشد الثورة، ورئيس تحرير جريدة كيهان، وقد تم بحث هذا الموضوع سابقاً).

٢٧٨ - (محمد حسن النجفي، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١، الجزء ٢١، ص ١٨).

٢٧٩ - (زين الدين الجبعي العاملي الملقب بالشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، قم، مكتبة الداوري المصورة عن مطبعة الآداب في النجف في العراق، ١٩٦٧، الجزء ٢١، ص ٣٧٩).

٢٨٠ - (جمال الدين حسن بن يوسف الحلي، إيضاح الفوائد، قم، مؤسسة إسماعيليان، ص ٢٤٤).

٢٨١ - (المقصود غير الشيعية).

٢٨٢ - (الحلي، المرجع السابق، ١٠٩).

٢٨٣ - (ابن حمزة: ١٥٩).



إدريس^{٢٨٤} والخميني^{٢٨٥} - وصف "عدو" أو استخدموا الضمير الغائب "من" يهاجم الدولة الإسلامية"، وهذا يشمل أن يكون المهاجم دولة إسلامية. واستخدم بعضهم - مثل شمس الدين العاملي^{٢٨٦} - عبارات لا تتضمن أية إشارة لهوية المهاجمين، وحكموا بوجوب الدفاع لدرء الأخطار عن بيضة الإسلام أو أرواح طائفة من المسلمين. فيما صرح عدد آخر من الفقهاء - مثل أبي الصلاح الحلبي^{٢٨٧}، والشيخ ضياء الدين العراقي^{٢٨٨} - بوجوب الدفاع في مواجهة المهاجمين، سواء كانوا كفاراً أو مسلمين. إذن يفهم من كلمات طائفتين من الفقهاء القول بوجوب الدفاع في مواجهة عدوان أي دولة مسلمة كانت "إسلاماً حقيقياً" ممثلاً بالشيعة "أو كافرة".

الذي يتضح من خلال ذلك أن الواجب إذا كان هدف الهجوم العسكري المعادي على الدولة الإسلامية "إيران" هو احتلال أراضيها أو قسم منها أو الحصول على مكاسب اقتصادية أو سلب أموال المسلمين فيها - فهنا ينبغي الدفاع عنها بأية وسيلة ممكنة. لكن ماذا إذا كانت الحكومة الإسلامية "الشيعة" عاجزة عن حفظ ممتلكات المسلمين؟ نظراً لكون حفظ النفس مقدماً على حفظ المال؟ لذا يتفق الفقهاء على أن الدفاع عن الأموال والأراضي الإسلامية مشروط بالقدرة، فإذا كانت الدولة الإسلامية في مواجهة هجوم عسكري لطرف يتفوق عليها عسكرياً ويسعى للحصول على مكاسب اقتصادية ومالية واحتلال قطاعات من أراضيها،

٢٨٤ - (ابن إدريس، ٢: ٤).

٢٨٥ - (الخميني، تحرير الوسيلة، النجف، مطبعة الآداب، الجزء الأول، ص ٤٨٥).

٢٨٦ - (شمس الدين محمد المكي العاملي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الجزء الثاني، ص ٣١ - ٣٠).

٢٨٧ - (أبو الصلاح تقي الدين الحلبي، الكافي في الفقه: سلسلة الينايع الفقهية، لبنان، دار التراث، ١٩٩٦، الجزء التاسع، ص ٣١ - ٣٢).

٢٨٨ - (الشيخ آغا ضياء الدين العراقي، شرح تبصرة المتعلمين، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الجزء الرابع، ص ٣٣٤ - ٣٣٥).



وكانت عاجزة عن دفعه من خلال المقاومة المسلحة - لم يجز لها الدفاع المسلح وعليها الاستسلام^{٢٨٩}.

وهذا الأمر يفسر استسلام إيران، وفرض هذا الاستسلام على التيارات الشيعية الموالية لها في العراق، وحصر مقاومتها ضد العنصر السني سواء من خلال الأزمة العراقية أو ضد الدول العربية التي يتواجد فيها السنة.

وهذا يعني أن هذه المواد جعلت سلطة الحكومة الإسلامية "الشيعية" أعلى من سلطة المنظمات الإقليمية والدولية، فهي تعتبر أن قراراتها وسلطاتها مخالفة للشرع حسب الرؤية الشيعية، لذا فلا اعتبار لهذه المواد في الميزان الفقهي الشيعي، واستناداً إلى قاعدة "نفي السبيل" فإن كل حكم أو عقد أو معاملة أو معاهدة، وكل ما يؤدي إلى علو الكافر واستيلائه على المسلمين باطل شرعاً^{٢٩٠}.

وبعبارة أخرى، فإن الله لم يشرع في الإسلام أي حكم يؤدي إلى علو الكافر على المسلم "الشيعي"، ولذا فكل عقد أو إبرام معاهدة تؤدي إلى ذلك باطل، فإذا عقدت معاهدة بين دولة إسلامية ودولة - أو أكثر - من دول الكفار، وكانت تؤدي إلى تسلط الكفار على المسلمين، فلا اعتبار لها قانونياً ولا شرعياً^{٢٩١}، والفقهاء مجمعون على الإقرار بصحة هذه القاعدة، ويرى فقهاء الشيعة بالإجماع عدم وجود حكم في الإسلام يؤدي إلى تسليط الكافر على المسلم^{٢٩٢}، وهذا الأمر يبرر رفض إيران لكل القرارات الصادرة عن جامعة الدول العربية خاصة المتعلقة بمطالبة إيران بالانسحاب من الجزر العربية الثلاث: (طنب

٢٨٩ - (النجفي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٦٥٢ - ٦٥٣).

٢٩٠ - (السيد محمد الموسوي البجنوردي، القواعد الفقهية، طهران: منظمة الثورة الإسلامية للنشر والتعليم. ص ١٨٢).

٢٩١ - (المرجع السابق، ص ١٨٧).

٢٩٢ - (المرجع السابق ص ١٨٨).



الكبرى، الصغرى، أبو موسى) ٢٩٣، ورفض القرارات الدولية، وحتى تحكيم محكمة العدل الدولية لفض هذا النزاع، وكذلك رفضها لقرارات القمم العربية المتعلقة بعدم تدخل إيران في الأزمات العربية، ووقوفها ضد أية مشاريع عربية للحفاظ على أمن الدول العربية الخليجية^{٢٩٤}.

أما مسألة في حال واجهت الدولة الإسلامية هجوماً من دولة أقوى منها وكان لجوؤها للدفاع المسلح يعني إبادة المسلمين وتحقيق العدو لهدفه أيضاً، ففي هذه الحالة يجب عليها الاستسلام للهجوم وتقديم مكاسب اقتصادية ومادية للعدو - عند الضرورة - لمنعه من الاستمرار في هجومه، وذلك لكي تحفظ أرواح المسلمين وحققنا للدماء^{٢٩٥}. وهذا يفسر كيف وفر المذهب الشيعي غطاءً شرعياً وفقهياً لإيران بغرض الاشتراك مع الولايات المتحدة لضرب العراق، وتدمير أفغانستان، وتقديم مختلف التسهيلات العسكرية وغير العسكرية لإنجاح خطط الهجوم الأمريكي^{٢٩٦}.

أما موضوع الدفاع عن إحدى الدول المسلمة في مواجهة هجوم عسكري لدولة مسلمة ثالثة، فقد عالج الفقه الشيعي هذا الجانب من خلال الاستدلال القرآني، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ [الحجرات]. ورغم أن بعض الفقهاء فسروا الآية الكريمة بأنها توجب قمع المتمردين الخارجين عن إمام المسلمين^{٢٩٧}، لكن البعض الآخر صرحوا بأنها تدل على وجوب السعي للمصالحة إذا تقاتلت مجموعتان من المسلمين، فإذا

٢٩٣ - (اعتبر آية الله جنتي انسحاب إيران من الجزر العربية الثلاث مخالف شرعاً؛ على اعتبار أن هذه الجزر أرض إسلامية إيرانية، جريدة كيهان، ١٩٩٩/٢/٢٦).

٢٩٤ - (جواد بهرامى، موضعكبرى جمهورية إسلامى إيران در قبال كشورهايى اتحادية اعراب، تهران، انتشارات علمي، ١٣٨٢، ص ٣٣ - ٤٢).

٢٩٥ - (الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٤٨٥).

٢٩٦ - (تم بحث هذا الجانب بشكل مفصل سابقاً).

٢٩٧ - (النجفي، الجزء ٢١، مرجع سابق، ص ٣٢٣).



اعتدت إحداهما بغيا على الثانية وجب على المسلمين قتال الباغية حتى ترتدع عن بغيتها^{٢٩٨}.

نستطيع القول إنه ومن خلال الوقائع والظروف الحالية قامت إيران بممارسة براغماتية ذكية متوسلة بالمذهب الشيعي تجسدت من خلال ما يعرف بدبلوماسية "الحياد الإيجابي" عندما وقفت على الحياد بعد احتلال العراق للكويت، وكان من الأولى وفق ما يطرحه علماء الشيعة وساستهم أن يقاتلوا مع المعتدي ضد المعتدى عليه، لكن وقوف إيران على الحياد معناه افتراض أن دولة القلب المذهبي "إيران" لا تعترف بإسلامية كلتا الدولتين أساساً^{٢٩٩}. أما في أثناء هذه الحرب فقد قامت إيران بترجمة موقفها من خلال دعم الشيعة في العراق للانقلاب على الحكم السني فيه، مستغلة قيام دول التحالف بضربه، وعلى هذا الأساس دعمت الشيعة الذين يمثلون الإسلام الحقيقي - حسب الرؤية الإيرانية - فيما يعرف بالانتفاضة الشعبانية الشيعية المباركة في جنوب العراق^{٣٠٠}.

وقد تناول الفقه الشيعي - أيضاً - مفهوم الدفاع عن دولة كافرة في هجوم عسكري لدولة كافرة أخرى، وهنا ميز في هذه المسألة - أيضاً - بين حالتين:

الحالة الأولى: إذا عرض هذا الهجوم أرواح طائفة من المسلمين القاطنين في الدولة المعتدى عليها للخطر جاز لهم الاشتراك في الدفاع الوطني، ويمكن للدولة الإسلامية الاشتراك في الدفاع الجماعي أو المنفرد المشروع بنية حفظ أرواح هؤلاء المسلمين، وهذا حكم إجماعي. وهنا نتساءل، لماذا لم تتدخل إيران لنجدة حتى

٢٩٨ - (أحمد بن محمد المقدسي الأردبيلي، زبدة البيان في أحكام القرآن، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ص ٣١٩).

٢٩٩ - (علي المؤمن، أضواء على موقف الجمهورية الإسلامية من أزمة الخليج الثانية، طهران، منظمة الثقافة والإعلام الإيرانية، ١٩٩٣).

٣٠٠ - (لمزيد من الاطلاع انظر: كاظم حسين. دراسة في الانتفاضة الشعبانية المباركة: الأبعاد والنتائج، الرسالة، العدد ٢٠١، حزيران، ١٩٩٦، ص ١٢ - ٢٤).



الشيعة أبناء جلدتهم المذهبية في العديد من الصراعات القريبة من حدودها كما ذكرنا سابقا؟ لكن الحالة اللبنانية هي أصدق تعبير على الدبلوماسية المذهبية الإيرانية، حيث تدخلت إيران لدعم الشيعة هناك، وقامت بوساطات كبيرة لتوحيدهم بعد احتدام الصراع بين حركة أمل الشيعية وحزب الله، وبعد نجاحها سعت إيران إلى دعم الشيعة هناك لتأسيس تنظيم سياسي مذهبي، وتقديم مساعدات ضخمة له مكنته من بناء مؤسسات خدمية ومشاريع ضخمة، وكذلك قامت بتسليحه تسليحا عسكريا وبشكل يفوق معه قوة الجيش اللبناني، ودفعته إلى الاندماج في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدرجة مكنت معه حزب الله من امتلاك قرار السلم والحرب.

لكن لماذا قامت إيران بذلك؟ إن إيران تدخلت لإنقاذ المسلمين الذين يمثلون الإسلام الحقيقي "الشيوعي" في لبنان، واعتبرت أن أرواح هذه الفئة باتت معرضة للخطر في دولة تعتبرها إيران لا تمثل بسكانها ونظامها السياسي الإسلام الحقيقي، لكن تدخل إيران لحماية شيعة لبنان - على عكس موقفهم من الشيعة في أذربيجان الذين وقفت إيران ضدهم - يؤكد أن الدبلوماسية المذهبية الإيرانية هي دبلوماسية براغماتية، فتنظيم حزب الله يقع في داخل دولة عربية، وخصوصية لبنان أنه دولة تقع على خطوط المواجهة مع إسرائيل الحليف الأمريكي الوثيق في المنطقة، وبالتالي فإن إيران ستبقى مستفيدة من حزب الله كورقة ضغط ضد أمريكا وإسرائيل لتحسين شروط التفاوض معهما، ولقطف ثمار الصفقة الشاملة التي سعت وتسعى إليها دولة القلب المذهبي "إيران"، كذلك فإن تقوية حزب الله تعني إضعاف الحكومة اللبنانية، وتصدير التشيع السياسي والمذهبي للمنطقة العربية، وبالتالي إشغال الدول العربية عن التعاطي مع خطر المشروع الإيراني، وحتى المشروعين الأمريكي والإسرائيلي، وبالتالي انكفاء الدول العربية للحفاظ على الأمن الداخلي الخاص بها، وهذا الأمر من شأنه خدمة إيران وأمريكا وإسرائيل في وقت واحد.



وتُعتبر قضية التدخل العسكري الإنساني من فروع مسألة الدفاع في المذهب الشيعي، فإذا عرضت حياة مجموعة من البشر للخطر المحقق في بلد آخر وجب على الدولة الإسلامية التدخل العسكري لإنقاذهم، ولهذا الحكم شروط معينة، مثل هوية المعرضين للخطر، حيث لا تتحمل الدولة الإسلامية أية مسؤولية تكليفية تجاه الكفار من غير رعاياها من أهل الذمة، وتنحصر مسؤوليتها بالمسلمين من غير رعاياها، وهذا الأمر يتفق عليه الفقهاء على ما يبدو من مراجعة الأحكام الخاصة بالكفار من رعايا الدولة الإسلامية (أهل الذمة) وبالكفار من غير رعاياها (أهل الهدنة)^{٣٠١}.

أما الأمر الثاني فهو المتعلق بطبيعة الخطر المحقق بهم، ومن خلال ملاحظة هذه المسألة فإنه يشترط لمشروعية التدخل الإنساني أن تحقق الأخطار بحياة المسلمين أو نواويسهم أو أموالهم أو تُعرض للهجوم. أما بالنسبة لعدد المعرضين لهذه الأخطار، فيمكن القول - استناداً لفتاوى الفقهاء المذكورة في مسألة الدفاع - أن الفقهاء متفقون على أن التدخل الإنساني مشروط بتعريض حقوق مجموعة من المسلمين، وإن كان العلامة الحلي أفتى في التذكرة - بتردد - بوجوب قيام الدولة الإسلامية بالدفاع حتى عن المسلم الواحد إذا تعرضت حياته للخطر^{٣٠٢}، ويصرح الخميني في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوجوب تحمل الضرر والخسائر المادية قياماً بهذه الفريضة^{٣٠٣}.

هذا الرأي يُوافق رأي عامة الفقهاء، ومن الواضح أن القيام بهذا الواجب منوط باستطاعة وقدرة الدولة الإسلامية، فهذا شرط عقلي ثابت، أما إذا تعاملت دولة مع رعاياها من المسلمين أو سائر المسلمين القاطنين في داخل حدودها بطريقة تعرض أرواحهم أو أموالهم أو نواويسهم للعدوان جاز للدولة الإسلامية التدخل

٣٠١ - (النجفي، الجزء ٢١، مرجع سابق، ص ٣٢٢ - ٣٢٣).

٣٠٢ - (الحلي، التذكرة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٥٩).

٣٠٣ - (الخميني، تحرير الوسيلة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٤٧٣).



العسكري في أراضي تلك الدولة، ضمن ما يعرف " بمفهوم التدخل الإنساني " ، لكن هذا المبدأ هو تجسيد للتدخل المذهبي لإنهاء هذا العدوان شريطة أن لا يؤدي التدخل إلى إلحاق ضرر بالدولة الإسلامية يفوق في أهميته الخطر المحدق بالمعرضين للعدوان . ويبدو أن فقهاء الشيعة متفقون على هذا الأصل . وهذا التمرد . من خلال الدعم الذي قدمته الثورة الشيعية للتيارات الشيعية في العالم الإسلامي خاصة في دول الخليج العربية، وما تقوم به إيران اليوم من دعم لا محدود للشيعة في هذه الدول يندرج ضمن هذا الإطار، على اعتبار أن الطائفة الشيعية التي تعيش في هذه الدول - التي لا تمثل الإسلام الحقيقي - قد وقع الظلم والغبن عليها من جانب دولة كافرة ممثلة بالأنظمة العربية السنية، أما التدخل العسكري لدعم حكومة أخرى في قمع المتمردين عليها فيجوز للدولة الإسلامية تقديم الدعم العسكري المباشر أو غير المباشر لدولة أخرى تطلب منها ذلك بهدف قمع تمرد داخلي مسلح، وذلك في حال إذا واجهت دولة إسلامية تمرداً داخلياً من قبل رعاياها من غير المسلمين واحتاجت لمساعدة الدولة الإسلامية لقمعه وجب على الدولة الثانية تقديم المساعدات العسكرية المباشرة (التدخل العسكري المباشر من خلال الجيش أو أحد فروعها) أو غير المباشرة (إرسال الأسلحة، الذخائر، الأغذية، الأدوية . .) لقمع التمرد^{٣٠٤}.

وهذا الأمر يتضح بصورة جلية من خلال الدعم اللا محدود الذي قدمته إيران لسوريا - التي تحكمها الطائفة العلوية الشيعية - أثناء الأحداث الداخلية التي وقعت في بداية الثمانينيات وقادتها جماعة الإخوان المسلمين السنية، الأمر الذي جعل الخميني ينتفض لدعم سوريا، ويصف جماعة الإخوان المسلمين قائلًا: إن هذه الطائفة هي طائفة شيطانية متحالفة مع الاستكبار العالمي، لذا يجب

٣٠٤ - (حسين علي منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، الجزء الأول، قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الجزء الأول، ١٩٨٢، ص ١٢٨ - ١٢٩).



استئصالها^{٣٠٥}. وهذا الأمر ينطبق على الدعم الإيراني لثورة الحوثي الذي يريد إعادة إحياء الإمامة وفق العقيدة الشيعية في دولة اليمن^{٣٠٦}.

من ناحية أخرى فقد تناول الفقه الشيعي مفهوم التدخل العسكري الانتقامي، واعتبره من أنواع "القصاص العادل"، ويصدق عليه عنوان "قاعدة المعاملة بالمثل" - حسب الرؤية الشيعية - الذي تفره الآية القرآنية: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾^{٣٠٧}. ولذلك فهو عمل مشروع وجائز، والمستفاد من الآية الكريمة عدم جواز العدوان، ولكنها تصرح بجواز الرد بالمثل على العدوان، شريطة أن يكون موجهاً للمعتدي وبمقدار عمله العدواني، وقد بين هذا الأصل العديد من علماء الشيعة^{٣٠٨}.

وبملاحظة الشروط المذكورة آنفاً لهذا الحكم يتضح أنه إذا أقدم العدو على قتل المدنيين لم يجز للدولة الإسلامية الرد بقصف المناطق المدنية ومهاجمة المدنيين لمعاقبة المعتدي^{٣٠٩}، ولكن إذا كان الهدف من الردود الانتقامية دفاعياً بمعنى إيقاف هجمات العدو اللاحقة حفاظاً على أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم وأراضيهم

٣٠٥ - (صحيفه نور، جلد ١٢، ص ٨٤ - ٨٥).

٣٠٦ - (تم بحث هذا الموضوع سابقاً).

٣٠٧ - (سورة البقرة، الآية ١٩٤).

٣٠٨ - (محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الثاني، قم، دار التبليغ الإسلامي، ١٩٧٩، ص ٦٣. أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، التبيان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ. الجزء الثاني، ص ١٥٠ - ١٥١. النجفي، الجزء ٢١، مرجع سابق، ص ٣٢. الشيخ محمد علي التسخيري، "الدولة الإسلامية"، كتاب مجلة التوحيد، العدد الأول، السنة الأولى، طهران: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، ص ٩٦. عباس علي عميد الزنجاني، فقه سياسي، جلد سوم، تهران، انتشارات أمير كبير، ١٣٦٧، ص ٤٦٢ - ٤٦٣).

٣٠٩ - (أحمد آذري قمي، القيادة والحرب والسلام، طهران، مؤسسة الرسالة، ص ٢٨٦ - ٢٨٨).



كان من الضروري الرد بالمثل على بعض أعماله، وعليه فإن جميع الفقهاء يفتون بجواز مهاجمة الدولة الإسلامية للمناطق المدنية في هذه الحالة^{٣١٠}، ولكن لن يكون في هذه الحالة على قانون الرد بالمثل ولا يخضع لقيوده، بل يصدق عليه قول مقدمة الواجب، أي واجب الدفاع المشروع، فيكون مجازاً ومشروعاً بمقدار الضرورة، حتى لو اقتضت الضرورة أن يزيد عن مقدار العمل العدواني الأول وحجمه^{٣١١}.

وتأسيساً على ذلك نجد أن دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" ترجمت ذلك عملياً من خلال استهداف المدنيين أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وقد أثبتت الدراسات الغربية أن إيران هي أول من استخدم السلاح الكيماوي ضد العراقيين خصوصاً في المناطق الكردية^{٣١٢}، كذلك لجأت إيران ضمن هذا الإطار إلى سياسة التهديد المستمر بتوجيه ضربات موجعة ومدمرة لشعوب دول الخليج العربية في حال قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة عسكرية ضدها، وكذلك عمليات التصفية الكبيرة التي تقودها أجهزة الاستخبارات الإيرانية خاصة في العراق تندرج تحت هذا الإطار، على اعتبار أن إيران ما زالت تعيش حالة حرب مع السنة في العراق حتى تصفيتهم عن بكرة أبيهم، وتهجير ما تبقى منهم للخارج. ومن هنا فإن المذهب الشيعي - حسب الرؤية السابقة - يضمن لها الغطاء الشرعي لتنفيذ سياساتها العدوانية، والتي تسعى من خلالها إلى بناء مجالها الحيوي المذهبي بعد أن تكون هي دولة القلب بالنسبة لهذا المجال.

ومع تزايد الفائض في هذه الشعور المتراكم الذي تحاول إيران تغذيته لدى القوى الشيعية والقطاعات في العراق امتدت "خطوط الإمداد المذهبي" إلى خطوط طول أبعد لتصريفه، مما أدى إلى تزايد عدد المحطات والمستهدفين على طول الوطن

٣١٠ - (النجفي، الجزء ٢١، مرجع سابق، ص ٦٨ - ٧٠).

٣١١ - (آذري قمي، مرجع سابق، ص ٢٩١).

٣١٢ - (مايكل سيغمان، إيران والسلاح الكيماوي: نموذج الحرب مع العراق، ترجمة باسم خميس، دراسات سياسية، العدد ٥٨، تموز، ١٩٨٨، ص ١٣ - ١٦).



العربي وعرضه، ومحاولة تطوير الوسائل والأدوات لكافة المناطق، خاصة في مجال البحث الدائب عن أماكن جديدة للنفوذ فيما وراء هذه الخطوط الأيديولوجية التي حاصرت قوتها طويلاً، وفي موازاة ذلك أن تتبنى استراتيجية الدفاع عن خطوط إمداد مجالها الحيوي، إضافة إلى إيجاد خطوط بديلة حفاظاً عليها. عدا ما ذكر سابقاً، لا شك أن المكون الإيراني نفسه يحمل عوامل دافعة باتجاه فكرة بناء المجال الحيوي المذهبي.

ووفق ما طرح سابقاً، فهل أن استثمار إيران لهذه المعطيات سيمكنها من بناء نموذج للدولة المذهبية التي تمثل الحلم الإيراني؟ وهل العراق الجريح سيكون بمثابة "الظهير المذهبي" للمجال الحيوي الإيراني ولبناء إمبراطورية عاصمتها أم القرى إيران؟ وهل أن توافر شروط قوة هذا المجال، كما تراها إيران، ستسهم في حشد الظروف لظهور قوة إيرانية تستند على أسس وركائز جديدة تخدم مصالحها، بغض النظر عن مصالح الآخرين؟

لا شك أن حركة إيران نحو تفعيل المجال الحيوي المذهبي سوف يؤدي إلى تغيير جذري في علاقات الدول العربية معها؛ لأن "فرضية الصدام المذهبي" ستكون محققة بامتياز هذه المرة، فالعالم العربي وشعوبه تتابع بدقة حركة السياسة الإيرانية، وإذا كانت فكرة مضي إيران في تفعيل فكرة المجال الحيوي ستجيب على الأسئلة المطروحة من زاوية من زواياها وتفسر لنا سلوكها السياسي، إلا أنها سوف تؤدي إلى تصاعد درجة الصراع على مقياس متعدد الدرجات بين الدول العربية التي يستهدف مجالها الحيوي بصورة خطيرة.

يمكن القول بأن فكرة المجال الحيوي المذهبي سوف تؤدي إلى رد فعل عربي وشعبي مضاد لمقاومة هذه الفكرة تمهيدا لاحتوائها، وسوف يبرر الصراع في إطار عنوان "هوس التهديد المذهبي"؛ لأنه وفقاً لهذه الرؤية سيحاول المذهب الشيعي التكيف للتمدد حتى يحقق النمو وبشكل يضمن له القدرة على الصراع والاستمرار، وبالتالي لن يبقى سوى الأقوى والأكثر قدرة على المواجهة، وحتماً



سيكون الهلال العراقي "المختبرالجيوپولتيكي" الذي يمثّل أولى ساحات المواجهة المذهبية .

أما تحقيق النصر الاستراتيجي فمعناه "هدم التوازن المذهبي" في العراق والمنطقة من أساسه، والخطوة الثانية هي بناء دولة "أم القرى" التي ستشكل العراق إحدى المقاطعات التابعة لها، وبالتالي إعادة المنطقة إلى حرب باردة مذهبية من جديد، وعليه فمن صالح الأطراف العربية ألا يكون هناك غالب ولا مغلوب مذهبي في العراق، أما مصلحة الغرب عموماً هو العكس، والليبي من باطن الاستراتيجيات يدرك ويفهم أبعاد ذلك .

وهذه الصياغة "الجيو مذهبية"^{٣١٣} تتضمن تعميم فرضية أساسية على الإقليم الجغرافي الشرق أوسطي تتلخص في حق كل دولة التوسع مذهبياً خارج حدودها الوطنية بعد أن تصبح هي المركز، تبعاً لقدرتها على النمو والاستمرار استراتيجياً ضمن "سياسة الحسم المذهبي" على جولات تنتهي بضرية "جيو استراتيكية مذهبية" قاضية، وخروج المغلوب نهائياً، والحالة العراقية بادية للعيان .



٣١٣ - (اصطلاح يعني العلاقة بين الجغرافيا والمذهب).



المبحث الثالث

نظرية أم القرى: إيران مركز الإمبراطورية الشيعية الموعودة على أنقاض مكة المكرمة



في إطار فهم فكرة المجال الحيوي برزت في إيران نظريات حول حدود سلطة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخارجية، وكيفية بناء إمبراطورية تكون هي بمثابة المركز والمرجع، حيث منحت هذه النظريات دولة القلب المذهبي "إيران" صلاحيات وسلطات خارج حدودها على اعتبار أنها دولة الإسلام الحقيقي التي تجسد نواة العالم الإسلامي ومركزه القيادي، إذ ظهرت هناك ثلاث نظريات:

الأولى: نظرية القومية الإسلامية.

الثانية: تصدير الثورة الشيعية بشكل مطلق وغير مقيد.

الثالثة: نظرية أم القرى.

١- نظرية القومية الإسلامية: فقد وضعها مهدي بازرگان، حيث أكد على أن هناك طموحات كثيرة للأمة الإسلامية بعد تشكيل الحكومة الإسلامية في إيران في وقت يشهد فيه العالم الإسلامي عصر غيبة المهدي، على اعتبار أن الجميع يقبل فكرة المهدي المنتظر من أجل تحقيق العدل والحرية، أما في زمن غيبة المهدي فيجب على الحكومة الإسلامية في إيران توجيه وتوظيف مختلف الثورات في العالم والسياسات المختلفة الأشكال من أجل تحقيق الأهداف القومية، والتي تصب في النهاية لخدمة إيران، ولكن من خلال التوسل بالإسلام^{٣١٤}.

٣١٤ - (سيد صادق حقيقت، مسؤوليت هاي فراملى در سياست خارجى إسلامى جمهورى إيران، تهران، مركز تحقيقات استراتژيك، ١٣٧٦، ص ٦١ - ٦٤. به نقل از مهدي=

٢- نظرية تصدير الثورة بلا قيود: وإطلاق العنان لتحقيق ذلك، فتعتبر إحدى أهم وظائف الدولة الإسلامية لإيران، والهدف من ذلك هو خدمة المظلومين والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، ومن هنا فإن نصرتهم تعتبر واجبة، وبالمقابل فإن تصدير الثورة يعتبر أحد أهم الأسس الأصلية والمبدئية لإيران، حيث يجب أن لا يكون هناك قيود أمام تحقيق هذا الهدف؛ لأن الغاية النهائية تتجسد في إقامة الحكومة العالمية العادلة^{٣١٥}.

٣- نظرية أم القرى: من المؤكد أن عبارة "أم القرى" ورد ذكرها مراراً بالخطب التي يلقيها الكثير من فقهاء إيران ورجال الحكم فيها، غير أن المهم هنا هو أن نعرف ما هي "أم القرى"؟ وما هي أبعادها ومهامها وأهدافها وحدود مسؤولياتها وكيفية تطبيقها؟ وهنا لا بد لنا من أن نتناول آراء الدكتور محمد جواد لاريجاني حول هذه النظرية؛ على اعتبار أنه يعتبر من أهم الباحثين الذين بحثوا نظرية "أم القرى" وأطروها بشكل علمي قابل للتطبيق.

جدير بالذكر - قبل الخوض في هذا الموضوع - أن نُسجل هنا أن مسألة التعبير عن الرأي أو مجرد إبداء الرأي بخصوص الشأن الخارجي أو السياسة الخارجية يعد عملاً صعباً هنا، ويحتاج لتحليل معمق، وقد خرجت إلى العلن بعض المقالات المتخصصة حول المفاهيم الخاصة بـ"أم القرى" أو التعريف بها وبفلسفتها، أو بحدودها ومحددات وجودها وبشروط العمل بها على المستوى التطبيقي، حيث رعتها وزارة الخارجية الإيرانية ومراجع التقليد العظام الذين يتبنون هذه النظرية من خلال تواجدهم في مؤسسات صنع القرار الإيراني الحساسة.

=بازركان، حكومت جهاني واحد، تهران، نشر بيام آزادي، ١٣٦١، ص ٢٨، ٢٩، (٣٨، ٣٧).

٣١٥ - (المرجع السابق، ص ٦٥، ٦٩. أحمد آذرى قمى، رهبرى جنك وصلح، تهران، بنياد رسالت، ١٣٦٦، ص ٢١٣ - ٢١٤)



لكن ما هي الأهداف النهائية من تطبيق فكرة المجال الحيوي المذهبي وأبعادها ضمن منطق ورؤية نظرية أم القرى؟ وكيف سيتم تفعيلها من خلال الأزمة العراقية؟ وما هي نتائجها على العراق الذي يعيش أكبر مأساة سياسية وإنسانية في تاريخه الحديث؟ وما نتائجها على المنطقة عموماً؟

بالمقابل فإننا سنضع جملة من التساؤلات أمام صناع القرار في إيران، وهي ممثلة بالأسئلة التالية: ما هي نتائج وهن أو ضعف قوة "أم القرى" الجديدة (إيران) بسبب سلوكها الخارجي الهادف لبناء دولة "أم القرى" على البيئة الداخلية لدولة القلب المذهبي "إيران"؟ وماذا سيترتب عليها إذا لم تعد قادرة على تحمل أعباء سياسة المجال الحيوي المذهبي وتبعاته، وبالتالي إخفاقها في بناء دولة "أم القرى"؟ أي بمعنى إذا تحولت من الهجوم بواسطة هذا المجال إلى الدفاع بعد أن يصبح عبئاً ثقيلاً عليها؟ وهل ستدور الدائرة المذهبية على إيران، وتبدأ نفس حدودها الأيديولوجية بالانهيار إذا ما تبنت الدول المستهدفة سياسة دفاع جماعية تقوم على "قطع خطوط الإمداد المذهبي للمجال الحيوي" الذي تتوسل به إيران ومحاصرتها، وبالتالي نقل المواجهة إلى العمق الجيولولتيكي من خلال دعم الدول العربية المستهدفة إيجاد مصدات دفاع مذهبي داخل الخارطة الجغرافية والديموغرافية الإيرانية؟

بداية إن دولة أم القرى تعني أن تصبح إيران هي نواة مركز الإسلام العالمي، وبالتالي فهي تمثل الدولة القائدة التي تفرز زعيماً تكون له السلطة والصلاحيات والولاية على الأمة الإسلامية جمعاء، على اعتبار أن الدين والعقلانية والوجدانية تقتضي تشكيل أمة إسلامية واحدة، واختيار حكومة لتمثيل هذه الأمة، استناداً إلى التجربة التاريخية للدولة الإسلامية، والتي وصلت إلى أوج تقدمها وتفوقها وتمدنها بفضل ذلك. وعلى هذا الأساس ليس من مصلحة الأمة الإسلامية أن يطول التفرق لأن الأصل هو الوحدة. أما تطبيق فكرة المجال الحيوي لبناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة: "نظرية أم القرى" فيميل هذا الرأي نحو الأفكار



الطموحة المتعلقة بالمهام الإسلامية للحكومة وتوجهاتها، نظراً لحالة التشابه بينه وبين فكرة الحكومة الإسلامية خاصة على مستوى المسؤولية واللاقومية، كما أن لهذا الرأي اهتماماً وعناية بالواقع التنفيذي والتطبيقي لشؤون الحكومة في ظل عالم اليوم.

وهذا هدف سيتحقق - حسب نظرية "أم القرى" - من خلال جملة من المراحل:

المرحلة الأولى: ضرورة بروز الوعي والاهتمام بهدف إحياء الإسلام (الشيوعي) على اعتبار أنه هو السبيل الوحيد لحياة الإنسان والجماعة.

المرحلة الثانية: السعي وبذل الجهود لإقامة الحكومات الإسلامية في الدول المختلفة، وهذا سوف يكون من خلال الدور المحوري للشعوب في تشكيل هذه الحكومات، وتوظيف مختلف الوسائل والطرق سواء كانت انتخابات، استفتاءات...، وفي بعض الأحيان قد تؤدي النهضة وثورة الشعوب (الانتفاضات) والخروج إلى الشوارع إلى هذه النتيجة، ولا ضير في ذلك إذا كان يحقق الهدف المنشود منه وهو إقامة الحكومة الإسلامية في النهاية.

المرحلة الثالثة: في الوقت الذي تستطيع فيه الشعوب تحقيق الأهداف سالفة الذكر، وبالتالي تشكيل الحكومات الإسلامية، يجب عليها التوجه بعدها نحو خطوة تكوين حكومة إسلامية واحدة لغرض جمع الأمة الإسلامية، وتوحيدها تحت قيادة دولة "أم القرى" ^{٣١٦}، ومن هنا فإن نظرية "أم القرى" تعتبر أنه في حالة إقامة دولة "أم القرى" فإن إيران ستمثل دار الإسلام ومركزه، وهذا الأمر يعتبر تعزيزاً للإسلام وتقوية لشوكته، لذلك يجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تحافظ على دولة "أم القرى" على اعتبار أنها مركز للإسلام، وبالتالي فإن انتصار دولة "أم القرى" وعزتها يعتبر انتصاراً للأمة الإسلامية جمعاء، أما هزيمتها أو

٣١٦ - (محمد جواد لاريجاني، حكومت إسلامی و مرز های سیاسی، ص ٧ - ٨).



انهيارها فيعتبر انهزاماً لكل الأمة الإسلامية، لذلك فعلى دول الأمة الإسلامية وشعوبها الحفاظ عليها بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فالحفاظ على "أم القرى" يعني - أيضاً- الحفاظ على النظام الكامل للحكومة الإسلامية، والذي يشمل كل أراضي الدولة الإسلامية الواحدة، والتي بسببها تشكلت دولة "أم القرى" التي ستقود هذه الأمة^{٣١٧}.

ولتحقيق الفكرة السابقة يعتبر لاريجاني أنه وبعد انتصار الثورة الإسلامية أصبحت إيران - نتيجة لذلك - هي بحق "أم القرى" بالنسبة لجميع العالم الإسلامي، حيث تولى الخميني قيادتها بعد هذه الثورة، والذي جسّد بدوره فكرة الحكومة الإسلامية على أرض الواقع وجعلها مثالا للآخرين. وقد ذهب محمد جواد لاريجاني بعيداً في تقديس "أم القرى" على اعتبار أنها ليست - فقط - مركزاً للعالم الإسلامي ونواته، بل أشار إلى ضرورة تقديم مصالحها على الآخرين، لدرجة أنه إذا تعارضت مصالح إيران "دولة أم القرى" مع الدول الأخرى يجب أولاً تقديم مصالح أم القرى "إيران" على اعتبار أنها عماد العالم الإسلامي^{٣١٨}، ولأنها تجسّد بذلك فكرة بداية وحدة الحكومة الإسلامية الواحدة التي أشار إليها الخميني^{٣١٩}.

لذا فإن إقامة دولة "أم القرى" تعتبر عين المصلحة، والحفاظ عليها من جانب الشعوب الإسلامية يدل على شجاعة منقطعة النظير، وأن إرادة الشعب المسلم الذي سعى إلى تحقيق هذا الهدف - والذي هو من حقه بالتأكيد - ستجسّد فكرة "أم القرى" على أرض الواقع، والتي من خلالها ستقوم بتشكيل الحكومة الإسلامية لدولة "أم القرى" التي ستكون المنطلق، والتي ستتمكن من الدفاع عن حقوق جميع المظلومين، وتحقيق العدالة، والتي بدورها - أيضاً - ستحاسب

٣١٧ - (محمد جواد لاريجاني، مقولاتي در استراتيجي ملي، ص ١٤).

٣١٨ - (محمد جواد لاريجاني، مقولات در استراتيک ملي، مرجع سابق، ص ٧٠، (٧١).

٣١٩ - (خميني، صحيفة نور، ج ٥، ص ٤٦٧).



السلطين والملوك الظالمين والكفرة. ووفق هذه الرؤية فإن من أهم أهداف إقامة دولة "أم القرى" هو:

أولاً: حفظ قاعدة الحق والمساعدة في تحصيله: ولذلك فإن الحفاظ على "أم القرى" يعتبر من أهم الأولويات التي لا يجب أن نغفل عنها لتحقيق الأهداف سالفة الذكر.

ثانياً: تشكيل الحكومة الإسلامية، وتمهيد الأرضية اللازمة لها: وهنا ينبغي حشد وتعبئة كافة الطاقات والإمكانات لتحقيق ذلك. لكن ما هي الخطوة الثانية بعد بزوغ الإسلام من جديد على يد الثورة الإسلامية حسب رؤية لاريجاني؟

الخطوة الثانية هي أن تصبح إيران أم القرى بالنسبة للعالم الإسلامي، حيث اكتسبت إيران هذا الحق - حسب رؤية لاريجاني - بفضل إنجازها العظيم من خلال الثورة الإسلامية التي انتصرت وقدمت التضحيات لإعادة بعث الأمة الإسلامية من جديد، فنظرية "أم القرى" تقوم على أن جوهر الوحدة في "نظرية أم القرى" هي الوحدة في أداء الواجب الإسلامي المتمثل ببناء دولة إسلامية تكون فيها السيادة لأمة مسؤولة، تحت رعاية قائد مسؤول، وعلى أرض وصفها "أم القرى" الجمهورية الإسلامية الإيرانية"، وهذا يعد الركيزة الأساسية لحكومة ذات سمعة عالمية، فولاية الفقيه وحكومة الولاية هي الأساس والجوهر في إقامة الحكومة الإسلامية في "أم القرى"، وقيادة الولي الفقيه نفسها هي سر وحدة الأمة الإسلامية.

من هنا فإنه ليس للحدود المتفق عليها دولياً أي دور في هذه القيادة؛ إذ إن العالم الإسلامي هو أمة واحدة، وولاية الفقيه فيه وحدود مسؤولياتها موحدة وغير قابلة للتقسيم على الدول؛ لأن مركز الدولة الإسلامية واحد "أم القرى" وزعيمها وإقليمها واحد، ولذلك فإن مسؤولية القيادة في الأمة الإسلامية لا تعترف بشيء اسمه الحدود الجغرافية، وتأسيساً على ما سبق، فإن الدولة التي تصير "أم



القرى " بالنسبة للعالم الإسلامي، وتكون بها قيادة، هي في الحقيقة وحدها الجديرة بزعامة هذا العالم والأمة الإسلامية. أما إذا ظهر تضارب بين مسؤولية قيادة الثورة الإيرانية وحكومتها "أم القرى" وبين دول الأمة الإسلامية، فلاي منهما تعطى الأولوية بالعناية؟ وأيها يعد الأصل؟ وأيها يعد الفرع؟ وما سبل إزالة هذه المشكلة؟ وهنا ترى نظرية "أم القرى" أنها قد جاءت بإجابة عملية عن هذه التساؤلات، إذ إن مصالح الأمة الإسلامية مقدمة دائماً، لكن إذا تعرض كيان "أم القرى" نفسه للخطر، فعلى الجميع أن يهب لنجدها، ومن هنا فإن الحفاظ على "أم القرى" هو أمر واجب ومنوط بالأمة جمعاً، وليس - فقط - بشعب "أم القرى" وحده.

وبالمقابل فإن "أم القرى" ستدافع عن حقوق الأمة بكل ما تملك من استطاعة، لهذا السبب نجد أن القوى الدولية تسعى لتدمير دولة "أم القرى" حتى لا تكون هي العقبة التي تقف في طريقهم، وفي هذا الصدد فإنه يقع على كاهل الأمة مهمة القيام بدورها للحفاظ على "أم القرى" والدفاع عنها، والأمة مكلفة بأن تهب للدفاع إذا ما تعرضت "أم القرى" للخطر وتسعى لنجدها منه، وعلى هذا الأساس فإن على "أم القرى" والأمة حقوقاً وواجبات متبادلة مع بعضها البعض، فأم القرى عليها أن تحمي الأمة، وتدافع عنها، وتعمل على الحيلولة دون وقوع ظلم القوى الأخرى عليها، وفي المقابل لها حقوق هي بعينها واجب الأمة تجاه "أم القرى"، أي إذا تعرضت "أم القرى" لهجوم عسكري من أعداء الإسلام فعلى الأمة أن تهب لمساعدتها بكل ما أوتيت من قوة.

ويحاول هنا لاريجاني - من خلال نظريته - الاستدلال والتوسل بعدد من الدلائل التي تثبت أن الشعوب الأخرى قادرة على تحقيق فكرة إقامة الحكومات الإسلامية، والتي ستتبع وتلحق مستقبلاً بدولة "أم القرى" والذي يعده امتيازاً وفخراً عظيماً لهذه الدول، حيث يؤكد على أهمية العزم والجدية والتصميم لتحقيق هذا الهدف، ويضرب مثالا على ذلك متمثلاً في قدرة الشعب الإيراني وعزيمته



على التغيير، حيث استطاع من خلال ثورته الإسلامية أن يسقط الحكومة الفاسدة في إيران، وإقامة الحكومة الإسلامية مكانها، وهذا الأمر جاء طبقاً لرؤية الخميني وأفكاره، ويصل لاريجاني إلى نتيجة مفادها أن إيران التي أنشأت الحكومة الإسلامية بهذا الشكل، وقدمت التضحيات الكبيرة في سبيل تحقيق هذا الهدف، تستحق من كل فرد مسلم في العالم أن يحافظ عليها، ويدافع عنها، لأنها بدون شك هي "أم القرى" بالنسبة للعالم الإسلامي^{٣٢٠}.

لذلك اعتبرت نظرية أم القرى أن الثورة الإسلامية الشيعية في إيران قد شكلت الخطوة الأولى لبناء الحكومة الإسلامية، أما الخطوة الثانية فهي تتمثل بتحول إيران إلى دولة "أم القرى" التي ستكون الخطوة الثانية لانتصار الثورة الإسلامية العالمية التي سوف تمهد الأرضية لظهور المهدي الذي سيحقق الاستقلال والعدالة والحرية. ويتناول لاريجاني موضوع تشكيل الحكومة الإسلامية الصالحة من خلال التركيز على دور العمل الفردي والشعبي في تحقيق هذا الهدف الذي اعتبره مقدساً، ويحقق مصلحة الأمة الإسلامية جمعاء، وهذا الأمر يعتبر وظيفة واجبة مصدرها وأساسها الشرع والإسلام، الذي يسعى إلى تحقيق الوحدة، وهذه الرؤية تنسجم مع ما أراده الأئمة - حسب رؤية لاريجاني - الذين أكدوا أن تحقيق الولاية الجامعة للأمة يعتبر ركناً مهماً لا تتم بدونها فرائض الإسلام الأخرى مثل: الصلاة، والصوم، والزكاة... ومن هنا فإن من المفروض على أي مسلم على أن لا يخالف هذا الفرض^{٣٢١}.

وتأسيساً على ذلك فإن هذه النظرية تعتبر أن الأصل في العالم الإسلامي أن يكون أمة واحدة من دون الناس، وأمة منسجمة تحت راية الإمام المسؤول عن هذه الأمة الإسلامية الواحدة، والتي يكون قوامها دولة "أم القرى"، وحسب التصور

٣٢٠ - (محمد جواد لاريجاني، كاوشهای نظری در سیاست خارجی، تهران، انتشارات

علمی وفرهنکی، ۱۳۷۴، ص ۲۴۶، ۲۵۶، ۲۶۳).

٣٢١ - (لاريجاني، مقولاتی در استراتژی ملی، مرجع سابق، ص ۱۲ - ۱۳).



الذي يطرحه لاريجاني في كيفية انبثاق فكرة "أم القرى" فقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين - حسب هذا الزعم - ظهور عقلانية في العالم الإسلامي، وقد وجدت المراحل الأولى لهذه العقلانية قبولاً عاماً في إيران، بينما خلقت تياراً عظيماً استطاع أن يقيم نظاماً حكومياً عادلاً وشاملاً (الحكومة الإسلامية) كان بمثابة الخطوة الثانية، حيث تسير أمواجه العاتية بقوة إلى سائر الدول الإسلامية الأخرى بشكل منظم، وطبعاً لازالت إيران في المراحل الأولية لتكوين هذا الهدف العقلاني نظرياً، وأيضاً في نشر قبول الأمة الإسلامية بها على مستوى العالم الإسلامي، فلو تمكنت هذه العقلانية من تحقيق مسيرتها التكاملية، فإنها ستقدم حضارة جديدة^{٣٢٢} إلى العالم، وهذه الحضارة أقوى في انتسابها للإسلام مما عرف تاريخياً باسم الحضارة الإسلامية؛ لأن تلك الحضارة اتخذت منحاً آخر وهي لا تزال في بداية طريقها، بعد وفاة الرسول ﷺ.

والسؤال الأساسي الذي يطرح نفسه هنا: هل يمكننا اعتبار ما ظهر من سياسة وفلسفة ومعارف أخرى في العصر العباسي أو علي يد السلاطين الإيرانيين - مثلاً - عقلانية إسلامية بنفس ما جاء بها الرسول الأكرم ﷺ؟ فلو قلنا بوجود مسافة بينها وبين فضاء العقلانية الإسلامية، ففي هذه الحالة يمكننا توقع بزوغ نور حضارة جديدة، تقدم نفسها خالصة إلى البشرية، وهو أمر صعب يحتاج من الناحية النظرية إلى مساعي العلماء المسلمين الحقيقيين في تقديم المباني النظرية اللازمة، ومن ثم تنفذ العالم بالتدريج بعد تجسيد فكرة قبولها العام. ومن الناحية التاريخية، نواجه مسألة أكثر أهمية، وهي أننا نعيش عصرًا تسعى فيه العقلانية الليبرالية إلى السيطرة على العالم برمته، ولذلك نجد الحضارة الغربية تهاجم الفكر البشري بكل الوسائل والإمكانيات التي تمتلكها، وهي وسائل وإمكانيات كبيرة وواسعة وقوية. ولكن هل يمكن للإنسان أن يتحول إلى أذن صاغية تستمع لما يقوله الآخر؟ وهل سيعطى الإنسان فرصة ليتعرف فيها على عقلانية أخرى؟.

٣٢٢ - (حضارة إسلامية شيعية عالمية).



وهنا نود الإشارة إلى ما تحدثت عنه هذه النظرية حول التعارض المحتمل حدوثه بين المهام خارج الحدود وعالمية الحكومة الإسلامية وبين متطلبات الداخل الخاص بالبيئة الداخلية لدولة "أم القرى": حيث تقول هذه النظرية: "علينا أن نجيب عن السؤال المطروح حول احتمال ظهور تعارض بين كلا الهدفين: أي بين تصدير الثورة وتلبية احتياجات الجمهورية الإسلامية فيها، وأيهما مقدم على الآخر؟ نجيب بأن الخطوات التي تحرزها الجمهورية الإسلامية في الوقت الراهن وهي تسيير وفقاً لتوجيهات الإمام الخميني سواء التي جاءت في خطبه أو فتاواه - تلتزم بأنه إذا ظهر تعارض بين هاتين المسألتين فعليا فلا بد أن نلبي احتياجات الجمهورية الإسلامية أولاً" بقوله: "اسمحوا لي أن أكرر أنه من الأهمية بمكان أن الموضوع الذي نوليه أهمية منذ بداية الثورة هو أنه إذا ظهر تعارض بين هذين الهدفين فالأولوية تكون لتلبية احتياجات الجمهورية الإسلامية"^{٣٢٣}.

أما صلاحية زعيم "أم القرى" - حسب هذه النظرية - فيجب أن تمتد لتشمل كل الأمة الإسلامية (إقليمياً وشعبياً)، وفي نفس الوقت فإن على دولة "أم القرى" وشعبها (الشعوب الإسلامية كلها) كثير من الالتزامات، وفي مقدمتها:

(١) دور شعب "أم القرى" الذي يشكل مصدراً لقيادة القائد أو المرشد (زعيم أم القرى، ولي أمر المسلمين)، وما دام الشعب الإسلامي قد منحه هذه السلطات، فيجب على الأمة الإسلامية أن تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار، وأن تبايعه على هذا الأساس، كذلك فإن انتخاب مجلس الخبراء الذي ينتخب بدوره ولي الفقيه لدولة "أم القرى"، فيجب أن يكون هذا المجلس يمثل كل الأمة الإسلامية، وإن كانوا غير إيرانيين، وهذا أمر طبيعي^{٣٢٤}.

٣٢٣ - (محمد جواد لاريجاني، تتوري سياست خارجي إيران، تهران، مركز مطالعات ملي، وزارت أمور خارجه، ١٣٧٩، ص ٦ - ٧).

٣٢٤ - (لاريجاني، حكومت إسلامي ومرز هاي سياسي، ص ٦ - ٧. محمد جواد لاريجاني، نظم بازي كونه، تهران، انتشارات اطلاعات، ١٣٧١، ص ٧٢ - ٧٣).



٢) إن زعيم دولة "أم القرى" هو زعيم الأمة الإسلامية كلها، ويملك صلاحياته وسلطاته الرسمية على جميع أراضي إقليم العالم الإسلامي، لذلك يجب أن تكون كل الأمة الإسلامية تحت سلطاته وحكمه، ومن هنا فإن قيادة دولة "أم القرى" مسؤولة عن الأمة الإسلامية، لذلك فإن المصلحة القومية والاستراتيجية لأم القرى تختلف وتتفاوت عن غيرها إذا ما قارناها مع الدول غير الإسلامية، وذلك لأن صلاح الأمة الإسلامية مرتبط بصلاح دولة "أم القرى" وزعامتها^{٣٢٥}.

إن دولة "أم القرى" تعتبر نموذجاً صالحاً للدول الأخرى التي يجب أن تقتدي بها، أما في حالة وجود دولتين من الدول الإسلامية^{٣٢٦} التي يقودها فقيهين جامعين للشروط، وقد قاما بتشكيل حكومتين إسلاميتين، فهل هناك تداخل بين سيطرة الفقيهين العادلين؟ وهنا يفرق لاريجاني بين عدة حالات:

أولها: افتراض أن الدولة الأولى هي دولة "أم القرى"، وهنا يجب على الدول الأخرى الإسلامية - على فرض وجودها - أن تجعل من دولة "أم القرى" قدوة لها، وأن تضع سلطتها تحت ولاية دولة "أم القرى"، ومن هنا يجب على ولي الفقيه القائد للدولة الأخرى، أن يخضع نفسه ودولته لصلاحيات وسلطات ولي الفقيه القائد في دولة "أم القرى" على أساس أن الأصل يقتضي أن الولاية والسلطة يجب أن تكون خاضعة لدولة أم القرى "إيران" باعتبارها الدولة المركز للعالم الإسلامي.

٣٢٥ - (سياسة خارجي إيران، مرداد، ١٣٨٥، ص ٢).

٣٢٦ - (تكشف هذه الفكرة أمراً مهماً هو أن لاريجاني نفسه يعتبر أن معيار إسلامية الدولة مرتبط بقيادة الدولة الإسلامية من جانب ولي فقيه "شيعية الدولة" ولكن يبقى إسلامية الدولة وصلاتها مرتبطة بأن تنضم تحت عباءة المرجع الشيعي السياسي الأعلى، والذي مركزه دولة أم القرى "إيران").



ثانيها: أما مسألة حدود الصلاحيات، فستكون من خلال تشكيل مجلس شورى القيادة، وهذا المجلس يجب أن يسيطر على الدولتين سيطرة كاملة من خلال قيادة زعيم "أم القرى" لهاتين الدولتين، وعلى الأمة الإسلامية والدول الأخرى الاقتداء بذلك من خلال الانضواء تحت سلطات الولي الفقيه في دولة "أم القرى"، ومن هنا فإن وجود الدول الأخرى سوف يتم التعبير عنه وتمثيله من خلال إفراز كل دولة من هذه الدول لمجلس شورى فرعي ينضوي تحت مجلس شورى مشترك مكون من الدول الإسلامية، لكن في النهاية سوف تخضع هذه الدول بمجموعها لسلطة زعيم دولة أم القرى (ولي أمر المسلمين كافة) على اعتبار أنها تشكل نواة الدولة الإسلامية. فالمعجزة العظيمة حدثت من خلال الثورة الإسلامية التي حدثت في (بهمن - فبراير ١٩٧٩)، ويجب أن لا نعتبر الحضارة الإسلامية مسألة خاصة بالعالم الإسلامي، بل هي للغرب أيضاً^{٣٢٧}.

وثمة ملاحظات وشواهد رصدناها هنا على مجموع النقاط المتعلقة بما ذكر سابقاً، وهي على النحو التالي:

١- "من الممكن أن يكون بدولة ما مشكلات ونقائص كثيرة، ونظامها هو النظام الإسلامي الحقيقي، أما الإعمار والتنظيم وحماية الظواهر الشرعية، وأمثال هذه الأشياء فإنما هي أمور فرعية"^{٣٢٨}، لذلك فإن من الأهمية بمكان تغليب الهدف الحقيقي وتحقيقه المتمثل بالإسلام، وبعدها يمكن حل المشاكل الأخرى.

٢- "إننا إذا ألقينا نظرة خارج حدودنا فإننا نجد أن أهدافنا لا تخرج عن شيئين هما: "تصدير الثورة" و"حفظ أم القرى". أما إذا ظهر تعارض بين كلا

٣٢٧ - (محمد جواد لاريجاني، حكومت: بحشی در مشروعیت وکار آمدی، تهران، انتشارات سروش، ١٣٧٤، فصل دوم، ص ٥٦ - ٥٧).

٣٢٨ - (جواد لاريجاني، مرجع سابق، ص ٥٢. لاريجاني، كاوشهای نظری در سیاست خارجی، مرجع سابق، ص ٢٥٦ - ٢٥٧).



الهدفين فالأولوية تبقى لحفظ " أم القرى " ، والسعي لتقديم مصالحها على الآخرين^{٣٢٩} .

لا شك بأن الفكر الإمبراطوري قد عظمت طموحاته في ظل الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث برزت مفاهيم زاوجت بين البعد الديني واللاقومي واللاحدودي للأيدولوجية الشيعية، وطرحت سؤالاً هاماً أمام زعماء الجمهورية الشيعية منذ بداية الثورة بوصفهم منتخبين من " أم القرى " نواة الأمة والدولة الإسلامية الموعودة، والسؤال: إلى أي مدى هم يشعرون بالمسؤولية تجاه إيران " أم القرى للعالم الإسلامي " ، وتجاه الأمة الإسلامية المنتشرة في كافة ربوع العالم، والذين يُعتبرون ضمناً رعايا لهذه الإمبراطورية الشيعية؟ وإلى أية درجة يشاركونهم همومهم؟ بل إن السؤال نفسه كان يطرح في أحيان أخرى بشكل أكثر دقة وتحديداً: إذا ما ظهر تضاد بين مهام حكومة " أم القرى " المعروفة باللاحدودية واللاقومية، وبين مهامها الداخلية والوطنية - سواء المتعلقة بحقوق الشعب الإيراني عليها أو بواجباته نحوها- فأيهما أولى؟ وعلى أي نحو يتم حل الإشكالية بين هاتين الحالتين؟

نستطيع القول إنه في الوقت الذي آلت فيه المسؤولية إلى الحكومة الإسلامية ومقرها " أم القرى " بدت قيمة هذا التساؤل وأهميته عن حجم مسؤوليتها وحدود المشروعية في النظام الدولي اليوم واتسع نطاقها، وحينئذ طرحت نظريات وآراء متعددة للإجابة عنه، فهناك نظريات ترى أن المرجعية في ذلك للجانب العلمي في حياة الأمة وآمالها وأيديولوجيتها اللاحدودية والعالمية، بينما ترى أخرى أن المرجعية فيها تقوم على البعد المذهبي، كما أن هناك آراء وسطية بين هاتين النظريتين .

٣٢٩ - (جواد لاريجاني، المرجع سابق، ص ٥٣ . لاريجاني، حكومت: بحثي در مشروعيت وكارآمدی، تهران، انتشارات سروش، ١٣٧٤، ص ١٥ - ١٦).



لقد ركز المنظرون في الجمهورية الشيعية على ضرورة الاهتمام ببناء النموذج، وفي الوقت نفسه تحقيق البناء والإعمار والتنمية في دولة "أم القرى"، والتأكيد على استراتيجية المساومة والتسويات على الصعيدين الداخلي والخارجي لغاية تحقيق الأهداف العظمى، على اعتبار أن الإسلام تجاوز الحدود الجغرافية في جميع أحكامه وقوانينه ووصاياه، ولم يعترف بها مطلقاً، وبالتالي نجح في تخطي حدود الدولة الواحدة، ومن ثم فهو لا يهتم بتقسيم الأمة في إطار الحدود المتفق عليها دولياً، لذلك فإنه مسؤول عن أتباعه ورعاياه لتحكمه حيثما كانوا، انسجاماً مع حديث الرسول ﷺ: "مثل المؤمنين في تخطيهم وتراحمهم كممثل الجسد الواحد...". وهذه الفكرة بالأساس تؤكد أن الإسلام هو دين عالمي لا حدودي^{٣٣٠}.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن مركز الدراسات العلمية الذي شكله مجلس خبراء القيادة^{٣٣١} قد جعل من أهم محاور أبحاثه ودراساته دراسة نظرية "أم القرى" من خلال المحور البحثي للدراسات الدبلوماسية ووظيفتها الخارجية بالنسبة لإيران، حيث تناول فيها هذا المحور كيفية مواجهة الكفر، وكيفية بناء العلاقات مع العالم الخارجي، وقضية الالتزامات الدولية، ومسؤولية إيران لتحقيق فكرة العزة والمصلحة من خلال تطبيق فكرة "أم القرى"، والتي تعتبر من الأصول والمرتكزات الأساسية الخارجية الإيرانية^{٣٣٢}. والمثير في مثل هذا النوع من الدراسات والأبحاث أن نفس وزارة الخارجية الإيرانية تقوم بنشرها والترويج لها في كتيبات خاصة يتم توزيعها.

٣٣٠ - (جواد لاريجاني، مقولاتي در استراتيزي ملي، مرجع سابق، ص ٥٢. لاريجاني، حكومت: بحثي در مشروعيت وكارآمدی، مرجع سابق، ص ١٨ - ١٩. لاريجاني، تئوري سياست خارجي إيران، مرجع سابق، ص ١٣).

٣٣١ - (الدستور الإيراني، مجلس الخبراء هو المجلس المعني باختيار مرشد الثورة في إيران، قانون أساسي إيران، المادة، ١٠٨).

٣٣٢ - (اشنايي بامركز تحقيقات علمي دبیرخانه، مجلس خبركان، تهران، ١٣٧٢/١٠/٦، ص ٢ - ٣).



نود الإشارة هنا إلى أن آية دولة الله مصباح يزدي - المرشد الروحي للرئيس
أحمدي نجاد وللنخبة السياسية والعسكرية والأمنية الحالية - يؤيد هذه الفكرة من
خلال ما يعرف بعالمية صلاحيات وسلطات ولي الفقيه التي ينبغي أن تمتد إلى
العالم الإسلامي، وإن كثيراً من أفكار محمد جواد لاريجاني يحاول أن يطورها
من خلال ما طرحه يزدي في بعض دراساته^{٣٣٣}.

ولاكتمال البحث في هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى نظرية تدعى في
إيران "حكومة الإسلام الفعلية" التي حذرت من بناء الإمبراطورية الإيرانية
(الأنصار المهمشون) (حركة ناظوري الشيعية) والتي تم تهميشها في الأبحاث
السياسية الصادرة في إيران، وإقصاء الرموز المطالبين بتفعيلها لصالح التيار الديني
المحافظ الذي يسيطر اليوم على جميع مؤسسات القرار في إيران، والذي يدافع
بقوة عن نظرية "أم القرى" ويسعى إلى تحقيقها، حيث طرح أنصار هذه النظرية
العديد من التساؤلات محذرين من فكرة الإمبراطورية الإيرانية، وهي تتركز على
فكرة أساسية مفادها هل الحكومة الإسلامية في إيران مسؤولة عن مشكلات
مسلمي العالم وحلها؟ وهل حدود هذه المسؤولية مؤطرة بالقدرة والإمكانية؟ وإذا
كان الأمر كذلك فما حدود هذا الوسع؟ وما معياره وأدوات تشخيصه وتقويمه؟
ومتى تحسب الحكومة الإسلامية عاجزة من حيث الوسع بما لا يجعلها مسؤولة عن
أمور بقية المسلمين؟ يرى منظرو إقامة الحكومة الإسلامية - وكما عبرت عنه كافة
مصادر الفكر في جمهورية إيران الشيعية - أن الهدف من وجود الحكومة
الإسلامية إنما هو لتطبيق الشرائع الإلهية.

وتكمن هذه المفارقة في أن البراغماتيين يرون أن الهدف لحكومة المقر هو
تأسيس قواعد في أقصى بقاع العالم، وتكثير أتباع الحكومة الإسلامية في العالم،
لتعظيم قدرة جمهورية إيران الإسلامية وهيمنتها أكثر وبشكل متزايد، وهذا في

٣٣٣ - (محمد مصباح يزدي، اختيارات ولي فقيه در خارج از مرزها، قم، ١٣٧٤،
ص ٤-٥).



النهاية هو لتنمية إيران وازدهارها وتقويتها. وقد وجهت المدرسة المذهبية بالجمهورية الإسلامية في إيران النقد لأصحاب هذا الرأي الثاني، مثلما انتقدوا فكر البراغماتيين، ولأنهم لا يعتبرون هذا الرأي أو أسسه التي انبنى عليها متوافقة مع محددات الحكومة الإسلامية وأهدافها النهائية.

يعتقد أنصار نظرية حكومة الإسلام الفعلية أن:

(أ) العالم ينقسم لدول عديدة، وأن هذا التقسيم بحد ذاته، ووجود الدول المستقلة والمنفصلة بعضها عن البعض، واقع لا يمكن إنكاره، ومع أن هذا التقسيم ليس من العدل بشيء إلا أنه من الصعب تعديله في نفس الوقت، إذ إن دماء الآلاف أريقت في سبيل إقرار كل هذه الحدود، وتحتاج إلى إراقة دماء أكثر، إذا ما لزم تعديلها في الوقت الراهن.

(ب) التسليم بالحدود بوصفها واقعاً يحمل في طياته آثاراً، أهمها: وجود الدولة "الإقليم"، ووجود حدود للشرعية وحدود للمسؤولية؛ فالكل مسؤول في حدود قدرته، وبالتالي لا يمكن مطالبة أحد بمسؤولية ليست داخلية في حدود مسؤوليته ولا في حدود شرعيته، فإذا ما كانت هناك حكومة ما في إقليم ما، فإن قرار حاكمه والحكم فيه يصبح ذا محدودية خاصة بهذا الإقليم، اعتماداً على أن مسؤولية كل إنسان تنحصر في حدود وسعه، و"الوسع" بالنسبة للحكومة هو حدود الإقليم الذي تحكمه، كذلك فإن وسع الحاكم يأتي بحجم إقليمه، أي محدود بما يسري حكمه فيه.

(ج) إن إمكانيات أية دولة يجب أن توظف في سبيل إسعاد شعبها وتوفير حياة أفضل لهم، وإن محصلة النهج العقلاني للحكام تحتم عليهم أن يكون حكمهم داخل دائرة حدودهم، فالحاكم عليه أن يحكم طالما كانت له الشرعية في ذلك، وأن يكون في سبيل صلاح بلاده التي هو مسؤول عنها، وإذا أصدر حكماً خارج نطاق حدود بلاده فلن ينفذ؛ لأنه ليس في دائرة حدود إقليمه، وطالما لم



ينفذ فهو ليس بمسؤول عنه . لماذا؟ لأنه مثل أي مسلم آخر يتحمل مسؤولية على قدر وسعه فقط .

إن مسألة الحدود مسألة جدية؛ إذ إن عالم اليوم يقوم على احترام الحدود المتفق عليها، وأصبح للدول الحليفة والصديقة والمتعاونة اتفاقات حدودية، بل يسعون في دمجها أو إزالة الحدود بينها، غير أنهم لن يسمحوا لأحد سواهم باجتيازها .

(د) وظيفة الحكومة هي إعمار الدولة وبنائها .

(هـ) علينا أن نواسي جيراننا الفقراء، ولكن لن يكون بمقدورنا أن نعطيهم الأولوية على الفقراء داخل الدولة .

وقد وضعت هذه النقطة أنصار نظرية حكومة الإسلام الفعلية في مواجهة - بل في تقاطع - مع مهام الحكومة الإسلامية داخل حدودها وخارجها؛ لأن مسألة إعطاء الأولوية لمجموعة من المسلمين تقيم داخل الحدود القانونية والدولية لإيران ستكون على شرائح وفئات سكانية أخرى - مع الأخذ في عين الاعتبار أن حاجتهما إلى المساعدة والعون متزامنتين تقريبا - وهذه الأمور ما زالت في حاجة إلى مزيد من البحث العلمي، وإلى آراء العلماء، وإلى اجتهاد وفتاوى أولئك الذين عبروا منذ البداية عن قوانين الحكومة الإسلامية وأبعادها وجعلوها منطلقا للثورة الإسلامية في إيران .

وهنا يطرح السؤال المهم نفسه، وهو: هل يمكن تقديم المساعدة لفقراء المسلمين خارج إيران، حتى وإن وجد فيها فقير واحد؟ وإذا نشأ تضارب بين هاتين القضيتين فكيف سيكون الأمر عليه؟ وتمثيلا على ذلك، فإنه بينما يحتاج المواطن المقيم في طهران إلى الأتوبيس لنقله بين عمله وبيته، وتحتاج المدارس الإيرانية إلى ترميم وتجهيز ودعم تعليمي، والمستشفيات إلى الأجهزة الطبية على أقل تقدير . . إلخ، فإن غيرهم من المسلمين - في لبنان مثلا - يحتاجون إلى الأسلحة ليحاربوا الاستكبار . وهنا يصبح السؤال مطروحا: لأي الحالتين تكون الأولوية في ذلك؟



كذلك إذا قامت القوات المسلحة العراقية بمحاصرة الشيعة العراقيين في مستنقعات الجنوب العراقي، فهل سيلجئ الخوف من إفنائهم عن بكرة أبيهم الخارجية الإيرانية لتجاهل اتفاقية عام ١٩٧٥م والقرار رقم (٥٩٨) واللذان يقومان على حسن الجوار، وعدم التدخل المتبادل في الشؤون الداخلية، والتعايش السلمي، وبذل كافة المساعي الحميدة التي تؤدي إلى حفظ السلام المتفق عليه بين البلدين. وهل ستضرب بكل هذا عرض الحائط، وتجير إخوانها المسلمين في الجنوب العراقي، أو أن عليها أن تلتزم باتفاقاتها وتعهداتها الدولية هذه؟

على أية حال، يعتقد مؤيدو نظرية حكومة الإسلام الفعلية أن وقت العسرة والفقر يجعل إعطاء الأولوية للناس داخل الدولة شيئاً حتمياً؛ لأنه في هذه الحالة تصبح المسؤولية الموجودة في حدود "الوسع" الذي لا يتيح غير ذلك، أما إذا تبقى من الإمكانيات المتاحة شيء بعد القضاء على الفقر الداخلي فهو بلا شك يكون لحساب رفع الفقر خارج البلاد.

(و) حقيقة أن ما سبق ذكره يدخل في إطار العموميات التي يمكن لأية دولة في العالم أن تعمل بها، وبناء عليه نوجه سؤالاً إلى أنصار هذا الرأي، وهو: إذا كان الأمر كذلك، فأين الإطار الإسلامي إذًا؟ هنا يجيب أصحاب هذا الرأي بأن رأيهم ينطوي على مجموعة سمات ومضامين إسلامية - أيضا - هي كما يلي:

١- يمكن أن تكون "ولاية الفقيه" على قائمة أولويات حكومة مثل هذه الحكومة.

٢- ستراعى كافة الأحكام والقوانين والسنن الإسلامية في جميع أنحاء البلاد، وإن جميع المواطنين فيها، وكذلك الحكومة والسلطان القضائية والتشريعية، علاوة على الأماكن العامة، وجميع وسائل المواصلات العامة، وكافة الشؤون الأخرى - ملتزمون بمبادئ ومقررات الشريعة الإسلامية. كما لن يكون هناك أي تحرك أو تصرف مخالف للشريعة الإسلامية الغراء.



٣- إن هذه الحكومة - بكل أبعادها المذكورة سلفاً- ستدافع عن الإسلام في كافة المنظمات والمحافل والمؤتمرات والملتقيات الدولية والإقليمية، وستبذل قصارى جهدها المنظم في هذا الصدد.

٤- إن هذه الحكومة لن تعتبر نفسها مسؤولة عن حل مشكلات المسلمين في العالم، وإنما ستقدم لهم المساعدة الممكنة على قدر "وسعها".

وثمة ملاحظة نبديها هنا، وهي أن النقطة الرابعة مثيرة للجدل، ولها القدرة على إيجاد بعض الإشكاليات على المستوى النظري بصورة تجعل من الحاجة إلى رأي حولها ضرورية. وعلى الذين عبروا عن فكرة الحكومة الإسلامية وشرحوها ووضحوا أبعادها ومحدداتها ألا يترددوا في متابعة الشأن الخارجي، معظمين مسعاهم لإزالة أي إبهام يشوبه، ولا سيما أن نظرية "حكومة الإسلام الفعلية" التي لا تعتبر نفسها مسؤولة عن مشكلات مسلمي العالم تتعارض هنا، وبعض المبادئ الإسلامية العالمية غير المحدودة التي طرحتها دولة ولي الفقيه في إيران^{٣٣٤}.



٣٣٤ - (بيزن ايزدي، در آمدى بر سياست خارجى ايران، مرجع سابق، ص٦٦ - ٦٧).



المبحث الرابع

دولة الحلم الإمبراطوري والتبشير بإمبراطورية المهدي الشيعة لإخراج أهل السنة والجماعة من الظلمات إلى النور



لتجسيد فكرة الإمبراطورية الشيعية فعليا فقد سعت إيران إلى تحقيق جملة من الأهداف لتسهيل بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة، وهي تتمثل بالأهداف التالية:

١- الهدف القومي الأعلى لإيران:

إن الهدف القومي لدولة القلب المذهبي تتمثل في إقامة إيران الإمبراطورية الكبرى ذات الهوية المذهبية الشيعية النقية^{٣٣٥}، كقوة إقليمية عظمى مهيمنة في منطقة الشرق الأوسط. ولتحقيق ذلك في المرحلة القادمة - وفي ضوء ما يسمى بالتنفيذ المرحلي لفرضية المجال الحيوي المذهبي - فإن على إيران أن تسعى من خلال مداخل الأزمات الموجودة في المنطقة، وتوظيفها لإعادة ترسيم الحدود المذهبية الإقليمية، بهدف ضم ما تستطيعه من المناطق، وذلك بهدف تحقيق متطلبات أمنها من وجهة النظر الجيوستراتيجية، وهذا سيكفل لها الحصول على مصادر الطاقة الروحية المذهبية والمادية الإضافية، وبالتالي فرض شرعيتها الروحية على تلك الأراضي، ليحقق لها الهيمنة عليها حفاظاً على الهوية الشيعية التي سوف تنقذ العالم وتخرجه من الظلمات إلى نور الخلاص والهداية، على أن تعمل الاستراتيجية العسكرية والاستخبارية والاقتصادية على تحقيق ذلك من خلال الردع

٣٣٥ - (تمت الإشارة سابقاً أن الخميني لم يعترف بالحدود الأيديولوجية، واعتبرها مصطنعة من جانب الاستعمار، وأن هذه تمثل حالة مؤقتة).

الوقائي والانتقامي، خصوصاً ما تُمارسه في العراق ولبنان ودورها في اليمن^{٣٣٦}، والذي يستهدف تعزيز النفوذ الإيراني بصور وأشكال مختلفة، وتأمين عمليات الضم والاستيطان، ومن ثم تشييع دول المنطقة، والتحكم في مجالها الحيوي سياسياً واقتصادياً وثقافياً^{٣٣٧}.

٢ - الهدف السياسي:

هذا الهدف يسعى إلى ضمان بقاء الدولة الشيعية " دولة القلب المذهبي " في الشرق الأوسط داخل حدود آمنة معترف بدورها إقليمياً ودولياً في ظل تفوق مذهبي، وبالتالي تستطيع بناء علاقات تفرض من خلالها على جيرانها العرب ودول الجوار الجغرافي الأخرى سيادة سياسية واقتصادية ومذهبية، وبما يؤمن لها ضم دول ومناطق يفترض أنها تحتوي على فئات وقطاعات شيعية فاعلة مجاورة لدولة الحلم الإمبراطوري، وبالتالي وضع الكيان الشيعي في مناطق - أو ما يعرف بكنفدراليات - تحت الهيمنة الإيرانية المباشرة (كنفدرالية الجنوب الشيعي في العراق كمثال)، وغير المباشرة (الجنوب اللبناني، المنطقة الشرقية في السعودية، دول

٣٣٦ - (عندما قامت القوات الأمريكية باعتقال مجموعة من الدبلوماسيين الإيرانيين في السفارة الإيرانية في بغداد وأردبيل اعترفوا تحت الضغط بأن إيران تقوم بتمويل منظم للتعنف والإرهاب، حيث تم العثور على وثائق في مقر السفارة الإيرانية في بغداد والقنصلية الإيرانية في أردبيل بعد مدهمتها فضحت السياسة الإيرانية، وأكدت أن لديها مخططاً كبيراً في العراق ودول المنطقة. صحيفة واشنطن بوست، ٢٠٠٧/٢/٢٣، صحيفة صاندي تايمز، ٢٠٠٧/٨/١٢).

٣٣٧ - (ذكرت مصادر دبلوماسية أن إيران قامت بإبلاغ واشنطن أثناء جولات المفاوضات معها - والتي جرت في بغداد - أن إيران تريد من واشنطن اعترافاً صريحاً وواضحاً بدورها الإقليمي، وفي حالة انسحاب القوات الأمريكية من العراق فلدى إيران القدرة على تسلم مهمة الأمن والنظام، وتحقيق الأمن. (جريدة الحياة اللندنية، ١٩/٤/٢٠٠٦). وأعلن الرئيس الإيراني وعدد من المسؤولين الإيرانيين ذلك صراحة، جريدة كيهان الإيرانية ١٦/٥/٢٠٠٧، ١١/٨/٢٠٠٧).



تشتمل على أقليات شيعية - كما هو الحال في دول مجلس التعاون الخليجي) -
روحيا وسياسيا واقتصاديا، تمهيداً لضمها ماديا من خلال نظرية "أم القرى".

هذا الهدف لن يتحقق إلا من خلال التكييف مع التأثيرات التي تفرضها
عليها المتغيرات الداخلية والخارجية، وتكثيف عملية تشييع المناطق التي سيتم ضمها
لدولة القلب المذهبي من خلال تكثيف عملية الهجرة الاقتصادية والسكانية،
والتمهيد لعملية الاستيطان المتزامن مرحليا مع هدف تقليص التواجد السني قسراً
فيها إلى أدنى حد ممكن، وتقسيم مناطق النفوذ الجديدة إلى مناطق (أ، ب، ج)
بمعنى المناطق التي يتواجد بها أغلبية شيعية أو متوسطة أو قليلة؛ تمهيدا لتنفيذ
مخططها في إقامة الحلم الإمبراطوري، والسعي إلى مد السيطرة الإيرانية بأساليب
مباشرة وغير مباشرة إلى منابع الطاقة الروحية والمادية^{٣٣٨}.

٣ - الهدف العسكري:

نستطيع القول إن العامل العسكري من العوامل المهمة والمؤثرة في عملية
صُنع السياسة الخارجية ودعمها، وذلك عندما تحتل قضايا الأمن الوطني مُقدمة
أولويات الدولة، فتتضح القوة العسكرية بأشكالها المختلفة، لتبرز على اعتبار أنها
الأداة النهائية لحسم أي نوع من أنواع الصراع الذي سينشأ، ومن هنا تبرز عملية
التهديد باستخدامها بهدف الحفاظ على هيبة الدولة من خلال إيقاع عملية التأثير
السياسي على غيرها من الدول. ويعتبر البعض أن درجة الاستعداد والقوة
العسكرية للدولة يعكس المظهر الرئيسي لقوة هذه الدولة، والمرتكز السياسي لمساندة
تنفيذ السياسة الخارجية التي تصنعها، ولذلك فمفهوم القدرة العسكرية يرتبط بمدى
قدرة الدولة على توظيف قدرتها العسكرية لخدمة الأهداف السياسية العليا للدولة
على الصعيد الخارجي^{٣٣٩}.

٣٣٨ - (هذا ما وجدناه من خلال السياسة الإيرانية في العراق، والمخططات التي وضعتها
إيران، والتي تلتقي فيه مع أمريكا وإسرائيل التي وضعت سيناريوهات جاهزة لتفتيت
المنطقة).

٣٣٩ - (محمد حسن: قوة الدولة، الإسكندرية، دار المنار، ١٩٨٨، ص ٣٨).



ومن هنا فإن دور المؤسسة العسكرية في عملية صنع السياسة الخارجية يعتمد على عدة جوانب، خاصة ما يتعلق منها بنوعية الحكم وأيديولوجيته، والأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها على الصعيدين الإقليمي والدولي، وما تنهج هذه الدولة من سياسة خارجية نشطة وهادئة، وما ينبغي لها أن تنهج بهدف امتلاك المزيد من الأسلحة كما ونوعاً^{٣٤٠}، وهذا بدوره قد يدفع صانعي القرار فيها إلى استخدامها في سياستهم الخارجية، ولذلك تُعتبر طريقة أو وسيلة الحصول على السلاح من الخطوات المهمة التي تؤثر على سلوك السياسة الخارجية، خصوصاً ما يتعلق بتنويع التسلح، أو سعي الدولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الإمكانيات المتاحة سواء كانت اقتصادية أو بشرية أو تكنولوجية، بعيداً عن التوجيه والسيطرة الخارجية، وهذا الأمر يخلق قدراً من الحركة ويدعم باتجاه توفير الكثير من البدائل خصوصاً أمام صانع القرار للسياسة الخارجية للدولة^{٣٤١}.

وتأسيساً على ما سبق، فإن دولة القلب المذهبي "إيران" ليست كبقية الدول الأخرى خاصة الدول العربية، حيث استطاعت أن تحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي في التسلح إلى درجة كبيرة من خلال عملية تصنيعها للأسلحة للأغراض الدفاعية والهجومية معاً، حيث تمتلك دولة القلب المذهبي قاعدة سكانية ضخمة، وموارد اقتصادية وتكنولوجية وعلمية، وقد نجحت إيران في عملية صناعة السلاح بعيداً عن الضغوطات الخارجية، الأمر الذي مكناها من تحديث مختلف قطاعاتها المسلحة، التي تجسدت بقدرات الدولة الذاتية^{٣٤٢}.

هذا الجانب عزز وجود البدائل أمام دولة الحلم الإمبراطوري، وبأن الاعتماد على الذات يجب أن يكون إحدى الأهداف البعيدة المدى بالنسبة لها، وهذا الأمر استلزم منها محاولة الدولة تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال إنتاج الأسلحة وتقليل

٣٤٠ - (خالد عبد المؤمن: القوة العسكرية والعلاقات الدولية، القاهرة دار الحرية، ١٩٩٢،

ص ٥٩).

٣٤١ - (المرجع السابق، ص ٦١).

٣٤٢ - (المرجع السابق، ص ١٢٣).



الاعتماد على الخارج، حيث لا تعتمد إيران في التسلح على عدد محدود من المصادر؛ بل على العكس، فقد استطاعت تنويع مصادر تسليحها مثل: روسيا، الصين، الدول الأوروبية الغربية المنتجة للسلاح، مثل: فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، وكذلك الدول الأوروبية الأخرى. كما تمكنت من تطوير علاقاتها العسكرية مع كثير من الدول خاصة مع روسيا والصين، حيث تُمثل صادرات الأسلحة الروسية أهمية كبرى بالنسبة لروسيا التي يُعاني اقتصادها من مشاكل حادة^{٣٤٣}.

أما في المجال النوعي والكمي، فلاشك بأن دولة الحلم الإمبراطوري استطاعت أن تحتفظ بقوات مدربة، ولكن خطورة هذه القوة أنها ليست بعيدة عن التوجيه والمذهبية والتسييس^{٣٤٤}، حيث اكتسبت هذه القوات خبرات متتالية كبيرة من خلال حربها الطويلة مع العراق، والمناورات المستمرة للجيش الإيراني بقطاعاته المختلفة بهدف إبقائه على مستوى عالٍ من الجاهزية والاستعداد، وبالمقابل تحتل إيران المرتبة الأولى من حيث عدد قواتها المسلحة النظامية وشبه النظامية^{٣٤٥} مما جعلها تتمتع بتفوق عسكري مع الدول المحيطة، الأمر الذي يُسهل على دولة الحلم

٣٤٣ - (جيفري كيمب: انعكاسات السياسة الخارجية الإيرانية على الأمن القومي: المنظور

الخارجي، مرجع سابق ص ١٧٣).

٣٤٤ - (يمكن القول إن دولة القلب المذهبي حريصة كل الحرص على ترسيخ المذهبية الشيعية وغرسها في أذهان الجيش الإيراني، حيث ينتشر رجال الدين الشيعة في كل كتبية من كتائب الجيش الإيراني فيها، لتوجيه جنوده، وغرس مفاهيم المظلومية في أذهانهم، انسجاماً مع دستور الثورة الشيعية الذي تعهد ببناء جيش عقائدي مذهبي، قانون أساسي إيران، ص ١٨).

٣٤٥ - (المستقبل العربي: بيلوغرافيا النفقات التسليحية مقارنة بين إيران والدول العربية. تقسم القوات المسلحة الإيرانية إلى مجموعة من الأقسام: الجيش النظامي (نيروهاي انتظامي)، قوات حرس الثورة (باسدران انقلاب إسلامي)، قوات التعبئة (نيروهاي بسيج). وهناك مليشيات شبه مسلحة من أبرزها: حزب الله).



الإمبراطوري مهمتها المستقبلية في الهيمنة والتوسع من خلال امتلاك السلاح النووي^{٣٤٦}.

لهذا سعت إيران نحو امتلاك عناصر القوة العسكرية - خاصة في بعدها الاستراتيجي - حيث زاد إنفاقها الدفاعي بصورة ضخمة خلال السنوات الماضية؛ إذ قفز من (١,٤٨٢) مليار دولار عام ١٩٩٢م إلى (٢,٢٥٥) ملياراً عام ١٩٩٣م بزيادة نسبتها (٥٢,٢٪) في عام واحد، وتضاعف معدل الإنفاق في العام التالي إلى (٤,٢٣) ملياراً. وفي عام ١٩٩٥م بلغ (٤,٤٩٩) ملياراً، ثم قفز إلى (٨,٥٤) ملياراً في عام ١٩٩٧م، ثم إلى (١٠,٦) ملياراً عام ١٩٩٨م. وفي عام ١٩٩٩م بلغ الإنفاق الدفاعي - بما فيه المشتريات العسكرية - (١٢,٩٣٣) ملياراً دولار، ثم قفز الإنفاق الدفاعي قفزة خطيرة في عام ٢٠٠٠م إلى (٢١,٩٣٦) ملياراً بمعدل زيادة بلغ (٦٩,٦٪) في عام واحد، وواصل الإنفاق العسكري ارتفاعه في عام ٢٠٠١م ليصل إلى (٣٢,٢٦) ملياراً، أي بمعدل زيادة عن السنة

٣٤٦ - (يرى المحافظون الجدد أنّ نجاح إيران في امتلاك السلاح النووي يعني قدرتها على إعاقة المشاريع الأمريكية الرامية إلى إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الكبير وفق مصالح الولايات المتحدة، وردع التهديدات الأمريكية للأمن الإقليمي للمنطقة، كإحدى وسائل الابتزاز الأمريكي لثروات المنطقة، وبروزها كقوة إقليمية قادرة على تهديد أمن إسرائيل ذي الأهمية الحيوية للمحافظين الجدد. صحيح أن لا مجال للمقارنة بين القدرات النووية لدولة عظمى كالولايات المتحدة، وبين امتلاك إيران لهذا السلاح، إلا أنّ هذا يؤثر حتماً على الرغبة الأمريكية في الهيمنة المطلقة على مقدرات المنطقة بسهولة، وعدم السماح بوجود أية قوة إقليمية قادرة على تهديد مصالحها في المنطقة، خاصة بعد أن أخطأت الولايات المتحدة في تقويض دعائم التوازن الإقليمي المتمثل بوجود العراق كقوة إقليمية في مواجهة التهديدات الإيرانية لمصالح الولايات المتحدة في دول الخليج العربي ومصادر الطاقة العالمية، على الرغم من وجود إسرائيل التي لا تريد لها الولايات المتحدة أن تكون قوة إقليمية في معادلة التوازن العسكري الإقليمي فحسب، بل القوة العسكرية المهيمنة. باسل نصار، التسليح العسكري في العالم العربي، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٦، ص ١٢١ - ١٢٢).



السابقة بـ (٦, ٤٦٪) وهو ما يعني أنه خلال عشر سنوات (١٩٩٢-٢٠٠١م) زاد الإنفاق الدفاعي الإيراني بنسبة (٧, ٢٪).

كما استحوذت القوات البحرية على نسبة تصل إلى (١٠٪) من مشتريات إيران العسكرية من أجل تقوية دفاعاتها البحرية على طول سواحلها، وتدعيم قواتها البحرية الهجومية في مياه الخليج، حيث قامت بشراء (٣) غواصات من روسيا، كما تمكنت مصانعها الحديثة من سد حاجات قطاعات عديدة في قواتها المسلحة، إلا أن نسبة تصل إلى (١٥٪) من ميزانية إيران الدفاعية توجه لشراء وتطوير وتصنيع أسلحتها الاستراتيجية، وفي مقدمتها عائلة الصواريخ (شهاب)، كما تعمل على إنتاج صواريخ كروز من طراز CS-٢٠٨ بترخيص من الصين، وقد خصصت في ميزانيتها لعام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٠م - فقط - نحو (١٠) مليارات دولار لتأهيل قواتها المسلحة اعتماداً على التقنيات الروسية، وهو مبلغ ضخم قياساً بالنفقات العسكرية الإيرانية الكلية. بالإضافة إلى ما تشير إليه الدراسات العسكرية الحديثة من أن إيران تقوم حالياً بإنتاج أكثر من (٨٠٪) من أسلحتها الثقيلة^{٣٤٧}، ويضاف إلى هذا التباين معاناة الجيوش الخليجية من نقص الأفراد المستعدين للخدمة في القوات المسلحة، في الوقت الذي أعلنت فيه إيران عن إجرائها لتجربة صاروخية متطورة (شهاب ٣ يوليو ٢٠٠٥)، فضلاً عن إعلان وزارة الدفاع الإيرانية عن اعترافها بتطوير نوعين آخرين من الصواريخ ذات التقنية العالية وهما: شهاب ٤ (٣٠٠٠ كم)، وشهاب ٥ (٥٠٠٠ كم)^{٣٤٨}.

ومن هنا فإن هناك خلافاً فادحاً بين دولة الحلم الإمبراطوري ودول الخليج العربية التي تمثل أولى الأهداف لبناء هلالها الشيعي الموعود، الأمر الذي سيسهل مهمتها المستقبلية اعتماداً على الفجوة الكبيرة في القوة الذي ترجح كفتها لصالح

٣٤٧ - حسام سويلم، تطورات البرنامج الصاروخي الإيراني حالياً ومستقبلاً، مختارات إيرانية، العدد ٤٦، مايو ٢٠٠٤م، ص ٤٢ - ٤٣.

٣٤٨ - أشرف كشك، رؤية مجلس التعاون الخليجي للبرنامج النووي الإيراني، مختارات إيرانية، العدد ٦٢، ص ١٦ - ١٨.



دولة القلب المذهبي^{٣٤٩} والتي تمتلك تفوقا عسكريا كليا ونوعيا في المجالين التقليدي وفوق التقليدي على جميع الدول العربية السنوية، وبما يُمكن إيران من تحقيق أهدافها المذهبية السياسية والاقتصادية، وتفعيل سياسة الردع ببعديها النفسي والمادي، وفرض إرادتها على العالم العربي السني^{٣٥٠}، مع الاستعداد في نفس

٣٤٩ - (أوضحت دراسة نشرت في بريطانيا أن الإنفاق العسكري لدول الخليج العربي خلال عامي ١٩٩٨ - ١٩٩٩، شكّل (٧٠ في المئة) من الإنفاق العسكري العربي، أي حوالي (٢٩,٥) مليار دولار، بنسبة تقدر بـ(١١,٩ في المئة) من الدخل القومي لهذه الدول، وأوضح التقرير أن نصف المبلغ المذكور يذهب إلى دول أجنبية مقابل مشتريات السلاح. وقالت الدراسة إن ما يتحمله المواطن الخليجي سنويا لغرض تسليح بلاده يصل إلى أكثر من (١٥٦٤) دولارا، في الوقت الذي احتلت فيه قطر المركز الأول بين الدول الخليجية الأكثر إنفاقا على التسليح. وبدأت دول الخليج العربية تجهيز جيوشها في السنوات الأولى لنيها الاستقلال أواسط القرن الماضي، إلا أن النمو "الضخم" في هذه التجهيزات بدأ يبرز أواخر عقد السبعينيات من ذات القرن، عندما بدأت هذه الدول تشعر بخطر إيران عليها من جهة، وبدء مشاكل الحدود بين دول المنطقة بالبروز مجددا. ونتيجة لمخاوف إقليمية، يأتي السباق الخليجي للتسلح مبررا من وجهة نظر الخليجين، ومن المتوقع أن تشهد الفترة المقبلة زيادة في الإنفاق بنسبة (٢ في المائة) سنويا، الأمر الذي يجعل سوق السلاح في الخليج تشكل (١٧ في المئة) من حجم سوق السلاح العالمية، وهي نسبة "ضخمة" بالقياس إلى عدد سكان تلك الدول. وتترك شركات السلاح العالمية أن الفترة الحالية من أفضل الفترات لتسليح الجيوش الخليجية نتيجة تحسن أسعار النفط، وهذا يؤثر بالإيجاب على صفقات السلاح؛ حيث إن تقلبات أسعار النفط تؤثر على خطط الدول الخليجية لتعزيز قدراتها الدفاعية، بدليل أن حجم الموازنات الدفاعية الخليجية عام ١٩٩٨ لم يشهد انخفاضا ملموسا رغم تراجع العائدات النفطية إلى (٥٥) مليار دولار مقابل (٨٥) مليارا عام ١٩٩٩ - ويعتبر هذا الانفاق مبررا على ضوء سعي دولة الحلم الإمبراطوري (إيران) لالتهايم المنطقة).

٣٥٠ - (هناك تقاسم لصناع القرار في إيران المدنيين والعسكريين في إطلاق التهديدات ضد دول المنطقة العربية، بأنها ستكون هدفا للآلة العسكرية الإيرانية في حالة توجيه ضربة عسكرية لإيران، وقد رصدت الدراسة أن إيران أطلقت خلال العامين الماضيين (١٤٧) تهديدا ضد الدول العربية، على اعتبار أن أية ضربة عسكرية من جانب أمريكا أو=



الوقت للجوء إلى العمل العسكري المباشر قبل حدوث خلل في الميزان العسكري لغير صالح دولة القلب المذهبي، أو خرق الترتيبات الأمنية المتفق عليها، أو عند ظهور بوادر لشن عمليات عسكرية شاملة أو محدودة أو استنزافية من جانب أعداء إيران، واعتبار دول الجوار السني جزءاً من ردة الفعل العسكري في حالة توجيه أية ضربة عسكرية مفترضة عليها، أو حتى وجود دلائل تُهدد باستهداف برنامجها النووي، الأمر الذي يهدد دائرة مجالها الحيوي، مع السعي لزيادة قدرة إيران على تحقيق الاكتفاء الذاتي في التسلح، وتحقيق امتلاك قدرات ردع تقليدية وفوق تقليدية متنوعة، وذات مصداقية وعلى درجة عالية من التأهب، وقادرة على تدمير أية قوات مسلحة، مع إبراز هذه القدرة للخصوم، حيث نلاحظ أن إيران حريصة - كل فترة لا تزيد عن الشهر والنصف - على استعراض قوتها سواء من خلال المناورات أو اختبار أسلحة هجومية جديدة بهدف توجيه رسائل ردعية لدول الإقليم، وذلك استعداداً لتوجيه ضربات وقائية واستباقية عند اللزوم داخل أرض الدول المعادية^{٣٥١}، وبما يقضي على التهديد قبل انتقاله إلى داخل إيران.

=إسرائيل أو كلاهما معا تعني أن الدول العربية الخليجية - تحديداً - سوف تدفع ثمنها، وتقوم إيران بإجراء مناورة عسكرية بمعدل مرة واحدة شهريا، والمثير أن إيران تقوم بتجربة أسلحة تحمل أسماء مذهبية: صاروخ الحسين، الباقر، مناورة عاشوراء، المهدي، إمام الزمان...).

٣٥١ - (إن المتابع للإصدارات الإيرانية التي تأخذ بعدا عسكريا، والصادرة من إيران وفي مقدمتها مجلة تدعى سياست دفاعي، يلاحظ أنها تحاول من خلال الموضوعات التي تطرحها إرسال رسالة للخارج مفادها أن إيران مستعدة للتعامل إقليميا مع كافة الاحتمالات والظروف، وتعد بما يعرف باستراتيجية المفاجآت ضد الخصوم المفترضين. والأمر المثير للسخرية أن إيران ترسل في نفس الوقت مسؤوليها لزيارة هذه الدول - وبالذات الخليجية - لتطوير العلاقات وتعزيزها في مختلف المجالات، وتصدر النشرات والدراسات التي تتحدث عن نمو العلاقات مع الدول العربية خصوصا كتاب يعرف بكتاب سبز وهو كتاب سنوي يصدر سنويا عن وزارة الخارجية الإيرانية، ويتناول علاقات إيران مع الدول العربية بشكل مفصل، ومع كل دولة على حدة (كتاب سبز،



ولهذا تلجأ دولة القلب المذهبي - اليوم - إلى استخدام أراضي الدول الأخرى لتصفية حساباتها مع الآخرين، حيث تتبنى استراتيجية نقل الصراعات مع الدول خارج حدودها الجغرافية، مستفيدة من التواجد الشيعي هناك، ومن الميليشيات والتنظيمات والأحزاب التي أنشأتها لهذه الغاية، ونستطيع القول أنها نجحت بامتياز في هذا الأسلوب، كما نرى اليوم في العراق، لبنان، أفغانستان، فلسطين، اليمن، السودان، البحرين وهي تشبه في ذلك إسرائيل التي تقوم استراتيجيتها على نقل حروبها خارج حدودها حفاظا على دولتها وكيانها.

=وزارت أمور خارجه إيران: مباحث كشورهاى وسازمانهاى بين المللى، تهران، دفتر مطالعات بين المللى). أما المثير في الدراسات العسكرية أن قسما من هذه الدراسات يكتبها صناع قرار عسكريين من الصف الأول في إيران، وفي مقدمتهم: محمد جعفري - قائد الحرس الثوري الحالي، ومحسن رضائي، ورحيم صفوي، وهما من القادة السابقين للحرس الثوري، وعلي شمخاني - وهو وزير سابق للدفاع، ولا زال قسم من هؤلاء موجودون في مؤسسات صناعة القرار المقربة من مرشد الثورة).



جدول يوضح الخلل في ميزان القوى العسكري بين إيران والدول الخليجية

الست ٣٥٢:

الدولة	عدد القوات	الدبابات	صواريخ أرض جو	طائرات مقاتلة		وحدات بحرية		ميزانية الدفاع بالمليار
				طائرات مقاتلة	وحدات سطحية	وحدات غواصات	باتريوت	
السعودية	٢٠١ ألف منهم ٧٥ ألفاً حرس وطني	٩٠٠ من بينها ٣١٥ أم - ٣٣ بطارية نحو نصفها	١ - هوك	٢٩٤ منها ١٧٤ ألف ١٥	٣٤	--	٢٠	٢٧,٢
الإمارات	٥٠٥٠٠	٥١٦ من بينها ٣٦٠ من طراز ليكيوك	٨ منها ٣ بطاريات هوك	١٠٦	١٨	--	--	--
عمان	٤١٧٠٠	١٥٣	٥٠	٤٠	١٣	--	--	٢,٤
الكويت	١٥٥٠٠	٢٩٠ منها ٢١٨ م - ١٠ ايه ٢ ايرامز	١٠ بطاريات منها ٤ هوك	٨١ منها ٤٠ ألف ايه ١٨	١٠	--	٥	٣,٣
قطر	١٢,٣٠٠	٣٠	٧٥ سام أرض جو منها ١٢ سنتجر	١٨	٧	--	--	١,٥
البحرين	١١,٠٠٠	١٤٠	بطاريتان	٣٤ منها ٢٢ ألف ١٦	١١ بينها قرقطة	--	--	٠,٣١٥
العراق	تعاني القوات العراقية التقليدية والتسليح بعد صدام من الإهمال، وهناك خطط لإقامة جيش من ٣٠ ألف جندي، القوات الحالية هي نحو ١٠ آلاف جندي تركز على الأمن الداخلي.							
إيران	٥٤٠,٦٠٠	١٥٦٥	٧٦ بطارية منها واحد هوك وبعضها سنتجر	٣٠٦	٥٩ منها ١٠ هودونج و ٤٠ بوجامر	٣ من طراز كليو	--	٩,١

٤ - الهدف الاقتصادي:

يعتبر الاقتصاد من أهم الركائز لقوة الدولة؛ فالقوة الاقتصادية لا يُنظر لها من مُنطلق توفير الرفاه فقط، وإنما من كونها عنصراً مرناً للقوة، وقابلاً لدعم عناصر القوة الأخرى في ظل انتشار أسلحة الدمار الشامل، وترتبط مُتطلبات

٣٥٢ - (المصدر: المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية - لندن) التوازن العسكري بين دول الخليج (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥).



الأمن والاقتصاد بين الدول مما يجعل اللجوء إلى القوة المسلحة امراً صعباً، وفي حالات كثيرة غير ممكن، فأهمية العامل الاقتصادي لا تنبع من تأثيره المباشر على تحسين مستوى القوة العسكرية والمجهود الحربي فقط، بل من حيث تأثيره على مستوى السياسات الخارجية للدول، وعلى مقدار القوة التي يمكن أن تمارسها الدولة في التنسيق الدولي^{٣٥٣}.

ويُعتبر العامل الاقتصادي - أيضاً - من الأدوات الهامة في تنفيذ السياسة الخارجية، وكثيراً ما يكون عاملاً مُساعداً في تعزيز نوعية القرارات المُتخذة في تلك السياسة، فمن ناحية تستطيع الدول عن طريق الإغراء بالوسائل الاقتصادية أن تكافئ الدول الأخرى، إلى جانب ذلك فإن القوة الاقتصادية تُعتبر أساسية في دعم المجالات الأخرى في الدولة وخارجها^{٣٥٤}، فمن خلال الاقتصاد نستطيع توفير الرفاه الذي يُعتبر عاملاً داعماً لعناصر القوة الأخرى للدولة، إضافة إلى تأثيره الكبير على مستوى السياسات الخارجية للدول، وعلى مقدار القوة الذي يُمكن أن تمارسها الدولة، فالقدرات الاقتصادية يُمكن استخدامها كأداة فاعلة للتأثير على الآخرين من خلال استخدامها كوسيلة للعقاب أو الإغراء في السياسة الخارجية^{٣٥٥}، على أن توفر الموارد بالضرورة اضطلاع الدولة بدور نشط في السياسة الخارجية بشكل عام، إلا أن افتقار الدولة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية لن يُعطي الدولة خياراً لأن تكون قوة كبرى، وبالتالي فإن سياستها الخارجية ستتركز على محيطها المحلي أو الإقليمي^{٣٥٦}، في حين أن الدولة التي تتعرض للتأثيرات الخارجية سوف تتأثر فيها حتماً عملية صناعة واتخاذ القرار الذي يتلاءم مع

٣٥٣ - (إسماعيل مقلد، العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق، ص ١٧٩).

٣٥٤ - (علي محمود، العلاقات الدولية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٨٢، ص ٣٥٨ - ٣٥٩).

٣٥٥ - (إسماعيل مقلد، العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق، ص ١٧٩ - ١٨٠).

٣٥٦ - (زكريا ناصر، العلاقات الدولية من منظور اقتصادي، القاهرة، دار البيروق، ١٩٨٧، ص ١٧).



مصالحها القومية؛ لأن البدائل أمام مُتخذ القرار ستقل، وهذا بدوره سوف ينعكس على السياسة الخارجية للدولة من خلال زيادة الضغوط عليها^{٣٥٧}.

لذلك فإن العامل الاقتصادي يُشكل مرتكزاً مُهماً في ممارسة النظام السياسي للدولة، ويؤثر تلقائياً على مسار السياسة الخارجية لها مهما كانت مساحتها وحجم سكانها والموقع الذي تمتاز به، ولكي تنجح الدولة في تحقيق أهدافها السياسية لا بد من اعتمادها على هيكلية اقتصادية سليمة من خلال عدم تبعية هذه الدولة اقتصادياً، وعدم اعتمادها على الدول الأخرى بشكل رئيسي من خلال كونها مُنتجاً للمواد الخام، وسوقاً لتصريف مُنتجات الدول الأخرى، بالإضافة إلى التكامل الاقتصادي للدولة من خلال تنويع قاعدتها الإنتاجية، وعدم الاعتماد على قاعدة أحادية (واحدة) في عملية الإنتاج^{٣٥٨}.

يُعتبر العامل الاقتصادي من أهم العوامل الدافعة باتجاه مُنجزات السياسة الخارجية - كما ذكرنا سابقاً - وهذه الحقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها عند دراسة السياسة الخارجية لأية دولة ومهما كانت طبيعتها أو واقعها، وإيران ليست استثناء من هذه القاعدة، حيث يلعب الاقتصاد الدور المحوري في تنفيذ السياسة الإيرانية بهدف توفير الموارد الكافية لبناء الإمبراطورية الشيعية، ومعرفة هل تملك فعلاً المقومات اللازمة التي تمكنها من بناء هذه الإمبراطورية؟ وكذلك فهم الدوافع الحقيقية الكامنة وراء بناء هذه الإمبراطورية، وهل يلعب العامل الاقتصادي دوراً في دفع إيران باتجاه بناء إمبراطوريتها؟

في البداية لقد شكّل اكتشاف النفط والغاز نقطة تحول كبيرة في الحياة الاقتصادية في إيران، مما أدى بدوره إلى تحول في مختلف الأنشطة والقطاعات الأخرى وفي مقدمتها العلاقات مع العالم الخارجي، وعلى قطاعات الدولة

٣٥٧ - (محمد كامل، الاقتصاد والسياسة، بيروت، دار الحرية، ١٩٨٩، ص ٣٣ - ٣٤).

٣٥٨ - (عبد الرزاق مصطفى، اقتصاد الدولة، القاهرة - دار النيل، ١٩٩٣، ص ١٧٩).



الداخلية^{٣٥٩}. وكانت إيران قبل الثورة تربط اقتصادها وسياستها مع الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كامل، على الرغم من امتلاك إيران الشاه لثروات اقتصادية ضخمة، لكن كان هدف إيران وما زال البحث عن دور لبناء إمبراطورية شاهنشاهية.

أما بعد الثورة فقد خاضت إيران حرباً مع العراق استمرت ثماني سنوات، كلفتها ما يزيد عن (٨٠٠) مليار دولار، وبعد انتهاء هذه الحرب أدركت إيران حاجة الاقتصاد إلى إعادة النظر، خاصة بعد تفاقم وزيادة المشكلات الاقتصادية، الأمر الذي جعلها تضع النهوض بالاقتصاد وإصلاحه على قمة أولوياتها، وذلك كي يدعم الاقتصاد بناء الإمبراطورية الشيعية التي ولدت، خصوصاً أن مرحلة الثمانينيات حتى أواخر التسعينيات تعرضت فيها إيران والدول العربية لضربات اقتصادية كبيرة بسبب انخفاض أسعار البترول، حيث كان لانخفاض أسعار النفط الأثر السلبي على اقتصاديات هذه الدول، ثم ما لبثت أن ارتفعت أسعار النفط مما ساعد ميزانيات إيران والدول العربية المنتجة للنفط.

نستطيع إبراز أهم مميزات الاقتصاد الإيراني من خلال ما يلي:

١- الاعتماد الكبير على النفط والغاز "سيادة قطاع النفط والغاز"، حيث تُعتبر منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي واحدة من أكبر مناطق توريد البترول في العالم؛ فمن بين ما يقرب من (٦٩) مليون برميل من البترول الخام يومياً ينتُجها العالم كان حوالي (٢٨) مليون برميل أي حوالي (٣٢٪) يأتي من هذه المنطقة. وبالنسبة لإيران فإنّ قسماً كبيراً من الدخل النقدي للدولة يأتي من العملات الأجنبية من خلال بيع البترول، حيث ترى الدراسات الاقتصادية أن الاقتصاد الإيراني قد مر بخمس مراحل:

359 - Jahangir Amuzegar "The Iranian Economy Before And after The Revolution Middle East Journal, vol 46 No 3, summer, 1992 ,pp26-33



المرحلة الأولى: تبدأ مباشرة بعد استيلاء الثورة الإسلامية على السلطة، وهي الفترة الممتدة ما بين ١٩٧٩-١٩٨١ حيث كان يُعاني الاقتصاد الإيراني من ركود كبير بفعل سياسات الثورة غير المنهجية والعلمية.

المرحلة الثانية: وهي الفترة الممتدة ما بين ١٩٨١-١٩٨٦، حيث عاد الانتعاش للاقتصاد الإيراني، وما لبث أن عاد إلى الركود المتوسط حتى عام ١٩٨٩.

المرحلة الثالثة: عاد فيها الاقتصاد الإيراني ليكتسب بعضاً من نشاطه، وهي الفترة الممتدة من عام ١٩٨٩ إلى عام ١٩٩٣.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة الممتدة من عام ١٩٩٣ وحتى ١٩٩٦ حيث تراوح الاقتصاد الإيراني ما بين الركود النسبي والنمو البسيط.

المرحلة الخامسة: وهي من عام ١٩٩٦-٢٠٠٥، وفيها تميز الاقتصاد الإيراني بالنمو النسبي، وبعد ٢٠٠٥ تميز بالنمو الجيد مقارنة بالمراحل السابقة، وكان هذا بسبب ارتفاع أسعار النفط^{٣٦٠}.

هذه المؤشرات - بمجملها - تبقى في خانة التكهّنات؛ لأن المعلومات حول الاقتصاد الإيراني تبقى سرية للغاية، خاصة أن الموازنات الخاصة بالمؤسسات الثورية الضخمة التي تبلغ عشرات المليارات تبقى خارج إطار الموازنة العامة للدولة، ولا تخضع لأية رقابة سوى سلطة ولي الفقيه.

٢- يُعاني الاقتصاد الإيراني من ارتفاع حجم المديونية؛ حيث وصلت إلى ما يقارب (٢٣,٤) مليار دولار حتى نهاية ١٩٩٥ بدون الفوائد المترتبة عليها، لكن

٣٦٠ - (رضا حسني: اقتصاد إيران، تهران، انتشارات علمي، ١٣٧٨، ص ٢١. اقتصاد إيران، وزارت برنامه ریزی، ١٣٨٥، ص ١١ - ١٦).



الحكومة الإيرانية نجحت في الموازنة بين عمليات الاستيراد والتصدير مما ساعدها على سداد جزء من ديونها، وبدأت إيران بانتهاج خطط إصلاحية للحد من المديونية والعجز في موازنتها^{٣٦١}، ونلاحظ تراجع مديونية إيران الخارجية إلى (١١,٦١) مليار دولار في عام ١٩٩٧^{٣٦٢}، ثم تقلص حجم المديونية ليصل إلى حوالي (٦) مليارات دولار حسب تقرير البنك المركزي الإيراني^{٣٦٣}.

٣- ارتفاع حجم السكان على حجم النمو الاقتصادي، الأمر الذي أثر بدوره على انخفاض متوسط نصيب الفرد في إيران، حيث نجد أن نسبة الزيادة السكانية في إيران بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٥ غير منظمّة.

٤- اختلال أداء القطاعات الإنتاجية؛ فحجم النمو المخطط والفعلي حسب القطاعات مختل، حيث إنه في عام ١٩٨٩م - على سبيل المثال - كان ما تحقق في الواقع في كل قطاع من الناتج الحقيقي قد وصل إلى معدل (٣,٧٪) سنويا في المتوسط، ونجد أن الاقتصاد الإيراني قد حقق تقدماً في مجال التنمية، غير أن هذه الصورة لا تعكس الأداء الفعلي للاقتصاد الإيراني بكل قطاعاته، فعلى سبيل المثال فإن معدلات النمو المتوسط السنوي للصناعة كانت الأولى في المتوسط الذي تضمنته الخطة بنسبة (٣,٦٪)، في حين أن النمو في قطاعي الماء والكهرباء تجاوز المستوى الوارد في الخطة بنسبة (٦,٣٪)، ولم يقتصر هذا الاختلاف على القطاعات، بل حدث - أيضاً - تباين في المعدل الإجمالي للنمو عبر السنوات ١٩٩٠ - ١٩٩١ و ١٩٩١ - ١٩٩٢، ثم هبط في السنوات ١٩٩٣ - ١٩٩٤، ليعاود الارتفاع في السنوات اللاحقة، خصوصاً الأعوام ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦.

٣٦١ - كزارش أوضاع اقتصادى ايران، بانك ملى ايران، (١٣٨٢).

٣٦٢ - كزارش أوضاع اقتصادى ايران ٢٠٠٦.

٣٦٣ - بانك ملى ايران، كزارش دربارہ أوضاع اقتصادى ايران، ٢٠٠٦، ص ١٢ - ١٣.



٥- ارتفاع معدلات البطالة وتأثير ذلك على النمو الحقيقي للاقتصاد الإيراني، حيث وصلت نسبة البطالة في عام ٢٠٠٦ إلى (٩٪) بين الذكور، و(٢٤٪) بالنسبة للإناث^{٣٦٤}.

في حين أن الأرقام الدولية تشير إلى أن نسبة البطالة قد وصلت إلى معدلات (١٨٪)^{٣٦٥}.

من هنا نلاحظ أن الاقتصاد الإيراني قد تراوح بين حالات الركود والنجاح الجزئي، وقد انعكس هذا التأثير بطبيعة الحال على السياسة الخارجية الإيرانية، إذ إن إحدى الأهداف المهمة للقيادات السياسية الإيرانية هو تحقيق زيادة كبيرة في صافي الاستثمارات في الاقتصاد الإيراني، وجذبها من الخارج، والاقتراض من أسواق المال الدولية، واستيراد التكنولوجيا الحديثة لبناء تكنولوجيا نووية لتوفير مداخل الطاقة، وممارسة سياسة تهدف إلى إحداث ارتفاع في أسعار النفط، وهذه الأمور من شأنها تطوير أداء الاقتصاد الإيراني.

لهذا حاولت إيران إعادة ترتيب أولوياتها على صعيد السياسة الخارجية بهدف البحث عن كيفية تعزيز اقتصادها وخلق ظروف لازدهاره، واتخذت مجموعة من الخطوات في هذا المجال^{٣٦٦}، وقد كشفت الخطط المتعاقبة على تركيز إيران على هذه الجوانب، وهذه الأولويات تتطلب بدون شك خلق بيئة داخلية مستقرة، وسعيًا لتعديل سلوكها وسياستها الخارجية^{٣٦٧}.

364- ERF Indicators, Economic Trends in the MENA Region Economic Research Forum For the Arab Countries Iran and Turkey , Middle East Economies Digest , Vol.162, No 125, April 2006.PP19-20

365 - (تقرير البنك الدولي حول إيران، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ / ٢٠٠٦).

٣٦٦ - أنوشى احتشامي: النظام الإيراني الجديد التطورات المحلية ونتائج السياسة الخارجية المستقبل العربي / العدد ٢٥٨ / تموز / ٢٠٠٠ / ص - ١٨٥ - ١٨٦).

٣٦٧ - (ظافر سليمان: حول مستقبل إيران / المستقبل العربي / العدد ٢٥٨ - ٢٠٠٠، ص. ١٨٧).



لا شك بأن إيران تعاني كذلك من مجموعة كبيرة من المشاكل الاقتصادية كالتضخم، الأمر الذي انعكس بدوره على انخفاض القدرة الشرائية للعملة الإيرانية " التومان" ^{٣٦٨}، وزيادة نسبة البطالة والفقير ^{٣٦٩} بسبب توجيه الدولة مواردها للنفقات العسكرية الهائلة، كما تجابه الميزانية الإيرانية - التي تعتمد في (٤٥٪) من مصادر دخلها على النفط - مشكلات متزايدة، أهمها: تبعات ونتائج تفاقم التضخم، وتزايد عبء القطاع العام على الميزانية، والاستمرار في تكبد خسائر كبيرة بسبب دعم أسعار الوقود طمعا في الولاء وضمن الالتفاف حول القيادة، وضعف القطاع الخاص أمام التدخل الحكومي، وتأكل الاستثمارات، وهروب رؤوس الأموال الوطنية إلى الخارج ^{٣٧٠}، هذا فضلا عن خطورة تذبذب الأسعار النفطية مستقبلاً، حيث تُعتبر إيران واحدة من أبرز الدول الغنية في مجال النفط والغاز؛ فهي تمتلك (١٤٪) من احتياطات النفط في العالم، و(٤٥,٥٪)

٣٦٨ - (في بداية عام ٢٠٠١ كان سعر صرف الدولار الأمريكي يساوي (٧٣٠٠) ريال تقريبا، ودار سعر صرفه بداية العام الحالي ٢٠٠٣ حول (٨٠٠٠) ريال. (تتركز عمليات الصرافة السوداء في "خيابان فردوسي" (شارع فردوسي، بالقرب من السفارة البريطانية) في وسط طهران، حيث يحملون برزم نقدية من العملة الإيرانية التومان، ويعرضون على المارة شراء دولاراتهم أو عملات أخرى مثل اليورو، والعملات العربية، ومن أبرزها: الدرهم الإماراتي، والليرة السورية. وهو ما يعني أن ارتفاع سعر صرف الدولار أمام الريال لم يقلص فجوة الطلب على الدولار الأمريكي بشكل كاف؛ الأمر الذي يعني بالنهاية أن الدولار الأمريكي سوف يواصل طريقه صاعداً أمام الريال الإيراني في العام الحالي).

٣٦٩ - (وصلت نسبة البطالة حسب التقديرات الرسمية الإيرانية حوالي (١٧٪). مراجع ومعلومات من الفارسية حيث أشارت بعض التقارير إلى أن نسبة البطالة في إيران تقدر بحوالي (١٦٪). فضلا عن ارتفاع معدل التضخم، بالإضافة إلى رغبة إيران في البحث عن أسواق لتصريف منتجاتها من خلال الأسواق الخليجية القريبة، فضلا عن الرغبة في الوصول إلى حصص إنتاج وأسعار مناسبة للنفط في ظل منظمة الأوبك لتقوية اقتصادها الذي يعمل لخدمة الآلة العسكرية الشيعية).

٣٧٠ - (بصفة خاصة إلى الاستثمار في دبي بالإمارات).



من احتياطات الغاز في كل منطقة الخليج العربي^{٣٧١}، كما تحتل المرتبة الثانية في إنتاج النفط بعد السعودية، حيث يلعب النفط دوراً مهماً من خلال وقوع إيران في منطقة مجاورة للدول العربية، ويمتلك الطرفان (٧٢٪) من إجمالي الاحتياطي الثابت من النفط العالمي، كما تتقاسم إيران والدول العربية المجاورة بعض الحقول المشتركة للنفط والغاز^{٣٧٢}.

وتطل إيران على بحر قزوين^{٣٧٣} الذي يحتوي على ثروات هائلة من البترول والغازات الطبيعية؛ فهو يشتمل على حوالي (٢٠٠) مليار برميل بترول، و(٦٠٠) ألف مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، ويعتبر تطوير حقول البترول في بحر قزوين في المستقبل القريب من شأنه أن يزيد حجم هذه الأرقام بنسبة بين (١٥-٣٠٪)، حيث تشير هذه الأرقام إلى أن احتياطات البترول والغاز لبحر قزوين تأتي في الترتيب العالمي الثالث بعد الخليج العربي وسيبيريا، وهي تعني - أيضاً - ثروة مالية ضخمة سوف تزيد من أهمية هذه المنطقة نتيجة زيادة الطلب على النفط من (٦٩) مليون برميل يوميا إلى نحو (٩٠) مليون برميل يوميا بحلول عام ٢٠١٠م بسبب النمو الاقتصادي والسكاني العالمي^{٣٧٤}.

٣٧١ - (تملك إيران أكبر احتياطي للغاز الطبيعي بعد روسيا، وبسبب إنتاجها المنخفض من النفط والغاز فإنها مؤهلة لزيادة صادراتها منهما زيادة كبيرة جدا عبر العقدين القادمين، بيد أنه لكي تستطيع إيران القيام بذلك فإنها تحتاج إلى استثمارات كبيرة وإلى تكنولوجيا متقدمة من الخارج - أي حوالي ١٦٠ بليون دولار في ربع القرن القادم بحسب وكالة الطاقة الدولية، تقرير وكالة الطاقة الذرية حول إيران، ٢٠٠٦).

٣٧٢ - (هوشنك أمير أحمددي: سياسة خارجي منطقة إلى إيران، ترجمة علي رضا طيب / اطلاعات سياسي واقتصادي، سال هفتم، شحاره ١١، ١٢ مردار رشهريور ١٣٧٣ / ص. ٦ - ٥).

٣٧٣ - (تطلق عليه دولة القلب المذهبي تسمية بحر الخزر، وتصر على استخدام هذا الاسم، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع سابقا وأهدافه).

٣٧٤ - (جاسم السعدون: العلاقات الاقتصادية العربية الإيرانية في كتاب العلاقات العربية الإيرانية، ص ١٣٧).



ومن الجدير ذكره أن النفط والغاز يُشكلان ما يقارب (٨٠٪) من صادرات إيران، وبلغت طاقة إنتاج إيران من النفط الخام في أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٥ وحتى شباط/ فبراير عام ٢٠٠٦ أربعة ملايين ٢٧٥ ألف برميل يوميا، وإنتاج الغاز المشبع في نفس الفترة مليوناً و١٠٠ ألف متر مكعب يوميا، ولكن بالرغم من ذلك فإن العجز الإيراني عن استغلال مواردها الطبيعية يظهر جليا من خلال أزمة البنزين، التي تفاقمت في شهر شباط وآذار فبراير من العام ٢٠٠٧، حيث أعلنت رفع سعر جالون البنزين (٢٥٪) ليصل إلى (٤١) سنتا أميركيا للجالون، مما دل على احتمال تفاقم مشكلة البنزين هنالك، وعلى الرغم من هذا الارتفاع إلا أن سعر البنزين يعد في إيران الأرخص على المستوى العالمي مقارنة مع فنزويلا وحتى كثير من الدول العربية الخليجية، إلا أن الفرق بين هذه الدول وإيران أنها تنتج ما تحتاج إليه من وقود السيارات بعكس إيران التي أنفقت العام الماضي خمسة مليارات دولار على شراء البنزين من الخارج، ومن المتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى نحو عشرة مليارات دولار في السنوات القادمة بسبب النمو الهائل على طلب وقود السيارات بحكم زيادة عدد السكان والمركبات، العام الماضي أي أن إيران تستورد من (٤٠ إلى ٥٠ في المئة) من حاجتها من بنزين السيارات، الأمر الذي جعلها في طليعة دول العالم في استيراد البنزين^{٣٧٥}. وهنا تكمن المفارقة في أنها ثاني منتج وخامس مصدر للنفط وأكبر مستورد للبنزين أي كمن يبيع البترول، ويشترى بثمنه بنزينا.

لا شك بأن ثروات إيران من النفط والغاز تجتذب شركات الطاقة رغم التوترات السياسية. وتحرص الدولة على أن تصبح مصدراً كبيراً للغاز لكنها تباطأت في تطوير مواردها، حيث تبحث إيران الآن عن مستثمرين جُدد ومبادرات

٣٧٥ - (وصل الاستهلاك الإيراني للبنزين حاليا إلى (٢١) مليون جالون يوميا، وتقوم الحكومة الإيرانية باستيراد ما بين ثمانية وعشرة ملايين جالون من الخارج لتسد حاجتها من هذه المادة الاستراتيجية، أي أن إيران تستورد من ٤٠ إلى ٥٠٪ من حاجتها من بنزين السيارات، ما جعلها في طليعة دول العالم في استيراد البنزين).



أخرى، وفي الأعوام الأخيرة برزت الصين باعتبارها شريكاً كبيراً وواعداً لإيران، وفي حين تستطيع الصين إنفاق الأموال فإن شركاتها المملوكة من الدولة لا تملك خبرات تكنولوجية عالية أو مؤثرة أكثر من إيران نفسها، وهذا الفراغ هو ما تحاول روسيا الآن أن تملأه. صحيح أن الروس ليسوا متقدمين كثيراً في هذا المجال، وبخاصة في تطوير حقول النفط الإيرانية القديمة، لكنهم يرغبون بالإسهام في الاكتشافات النفطية الإيرانية الجديدة، كما يستطيعون المساعدة والتعاون في مجال إنتاج الغاز الطبيعي وتصديره لخبرتهم الكبيرة في هذا المجال بالذات. وفي الواقع فإن المفاوضات بين إيران وروسيا بدأت منذ مدة وتوصلت إلى بعض النتائج المفيدة للطرفين. ومن وجهة نظر روسيا فإن اتفاقيات كهذه بشأن الغاز مفيدة لها من عدة نواح، فنشوء تعاون بين روسيا وإيران في مجال إنتاج وتصدير البترول والغاز من الحقول الجديدة لن يقوي من قدرات روسيا الاستراتيجية فقط، بل وسيضرب محاولات الولايات المتحدة لإضعاف النفوذ الروسي في آسيا الوسطى؛ فروسيا وإيران تملكان معاً نصف احتياطي الغاز الطبيعي في العالم، وإذا تعاونت الدولتان في مجال إنتاج الغاز وتسويقه فسيكون بوسعهما السيطرة على أسواق الغاز بضعفي ما تسيطر به المملكة العربية السعودية على سوق النفط العالمي، وإذا أضفنا إلى هذا العامل رغبة الصين في توثيق علاقاتها التجارية بإيران فهناك إمكانيات لتعاون ثلاثي: روسي - إيراني - صيني يطور قدرات إيران، ويحد من قدرة الولايات المتحدة على التفرد بالأسواق والشؤون العالمية^{٣٧٦}.

وعندما نتكلم عن أهمية نفط وغاز إيران " دولة القلب المذهبي " في التفكير الاستراتيجي الأمريكي، من المهم أن لا نقف - فقط - عند جانب واحد من الموضوع، ويبرز هذا الأمر من خلال عدة زوايا: الزاوية الأولى: هي موقع إيران الاستراتيجي في شمال الخليج العربي الذي يجعلها قادرة على تهديد الحقول

٣٧٦ - (حسن الرشيد، الثروات الطبيعية لإيران... قوة أم ضعف؟ خاص بالبينة، حزيران، ١٤٢٨هـ، ص ٢ - ٣).



النفطية في السعودية والكويت والعراق والإمارات العربية وقطر إنتاجاً ونقلًا، ويضطرها إلى استخدام هذه القدرة في حال الدفاع عن النفس في وجه أي تهديد لوجودها أو لوجود نظامها، والمعروف أنّ هذه الدول مجتمعة تملك أكثر من نصف الاحتياطات العالمية المعروفة من النفط، وتزداد أهمية إيران من هذه الزاوية باعتبارها تقع في منطقة الخليج العربي أغنى بقعة في العالم في مصادر الطاقة، وتُشرف في الوقت نفسه على مضيق هرمز الذي يمر عبره قسم كبير من الصادرات النفطية العالمية، وباتت إيران اليوم مصدراً أساسياً للنفط وللغاز الطبيعي بالنسبة للصين والهند واليابان ودول جنوب شرق آسيا، وتشارك في جبرية جغرافية مع مدارها الشمالي الذي يمتلك ثروات مكتشفة وغير مكتشفة في مجالات الطاقة. تملك إيران كذلك أدوات للنفوذ إلى دول تعاني من أزمات سياسية تعتبر مصدراً مهماً في مجال الطاقة النفطية والغازية (العراق، أفغانستان) مما يوفر لدولة القلب المذهبي ثقلًا إضافيًا في الشؤون الإقليمية والدولية، وقدرة إيران على تصدير كميات هامة من النفط إلى دول متعددة. ومن أجل أن نفهم الجوانب السابقة بشكل جيد، فمن المهم أن نتطرق إلى قدرات إيران المستقبلية في الطاقة: فوفق آخر إحصاء صادر عن مجلة "النفط والغاز"، فإن لدى إيران ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم بحدود (١٢٨) مليار برميل، وتسبقها السعودية في الاحتياطات، والتي تبلغ (٢٦٠) مليار برميل، ثم يأتي العراق في المرتبة الثالثة باحتياطي يبلغ (١١٥) مليار برميل، فكمية الإنتاج الحالية في إيران ليست سوى عامل من بين عدة عوامل، تزداد قيمته عندما يربط بالقدرة الإنتاجية المستقبلية، إذ على الرغم من أن السعودية تمتلك أكبر احتياطات نفطية، فإنها تنتج حالياً أقصى معدلها ويبلغ (١٠) مليون برميل يوميا، ومن المحتمل أن لا تستطيع أن تزيد من إنتاجها بشكل هام خلال العشرين سنة القادمة، في وقت يتوقع فيه أن يزداد الطلب العالمي بنسبة (٥٠٪) نتيجة زيادة الاستهلاك عموماً وفي الولايات المتحدة والصين والهند بشكل خاص، وبالمقابل تتمتع إيران بمكونات نمو إنتاجي كبير، فهي تنتج حالياً (٤) مليون برميل يوميا، ويمكنها زيادة إنتاجها بـ (٣) ملايين برميل أخرى يوميا فيما بعد، وقليلة هي الدول الأخرى التي تمتلك هذه الإمكانيّة.



وبناء عليه فأهمية إيران كدولة مُنتجة مُرشحة للتعاضد في السنين القادمة، ثم إن النفط ليس هو الثروة الوحيدة لإيران في ميدان الطاقة، فهناك - أيضا - الغاز الطبيعي. ووفق مجلة "النفط والغاز" أيضا، فإن إيران تملك حوالي (٩٤٠) تريليون قدم مكعب من الغاز، أو حوالي (١٦٪) من الاحتياطيات العالمية، ولا تتجاوزها سوى روسيا التي تمتلك (١,٦٨٠) تريليون قدم مكعب من الغاز. وبمعادلة الطاقة الموجودة في برميل نفط واحد، فإن ذلك يعني أن احتياطيات إيران من الغاز توازي حوالي (١٥٥) مليار برميل من النفط. وهذا يعني أن احتياطياتها من المحروقات السائلة توازي (٢٨٠) مليار برميل من النفط، أي أقل بقليل من الاحتياطيات المجتمعة لدى السعودية. وإذ تنتج إيران حاليا جزءا ضئيلا من احتياطها من الغاز والمقدر بـ (٧,٢) تريليون قدم مكعب سنويا، فهذا يعني أنها تعتبر من الدول القليلة القادرة على توفير كميات أكبر من الغاز الطبيعي في المستقبل، كل ذلك يعني أنها ستلعب في المستقبل دورا هاما في المعادلة العالمية للطاقة. ومما يعطي مصداقية لهذا التوقع هو أن الطلب العالمي على الغاز الطبيعي يزداد بسرعة أكثر من الطلب على أي مصدر آخر للطاقة بما فيها النفط، وفيما يستهلك العالم حاليا نفطا أكثر من الغاز، فمن المتوقع أن يتقلص العرض العالمي من النفط في المستقبل غير البعيد مع اقتراب الإنتاج الإجمالي من ذروته، وذلك ربما في العام ٢٠٢٠، وبالتالي يبدأ بالانخفاض الذي لا عودة فيه، فيما لا يتوقع أن يصل إنتاج الغاز الطبيعي إلى أقصى حدوده قبل عدة عقود قادمة، وبالتالي سيكون له دور أكبر مع تراجع كميات الموجودات النفطية، إضافة إلى أن الغاز الطبيعي يعتبر من المحروقات الأكثر جاذبية في عدة استخدامات، لكونه يصدر معدلات أقل من التلوث عند احتراقه^{٣٧٧}.

٣٧٧ - (ميشيل كلارك. النفط والجغرافيا السياسية والحرب القادمة مع إيران، دراسات اقتصادية، العدد، ١٢٧، تموز، ٢٠٠٥، ص ١٢ - ١٤).



وعلى الرغم من امتلاك دولة الحلم الإمبراطوري لهذه الثروات لكنها تحاول بسط السيطرة على اقتصاديات دول المنطقة بأساليب غير أخلاقية مباشرة وغير مباشرة - كسرقة النفط العراقي^{٣٧٨} - الذي يتعرض اليوم لأكبر سطو على خيراته ومقدراته من جانب دولة الحلم الإمبراطوري، فإيران تُمارس اليوم سياسة النهب المنظم لثروات بلاد تعتبرها امتدادا لمجالها الحيوي؛ إذ تقوم بنهب ثروات الدولة العراقية ونقلها إلى إيران (نفط، مصانع عسكرية مدنية كاملة تم تفكيكها، . . .)، حيث يتواجد أكثر من (٢٠) ألف إيراني لتسهيل مهمة الدولة الإيرانية في هذا المجال، بعد أن سيطرت إيران سياسيا واقتصاديا وأمنيا على مؤسسات صنع القرار في العراق، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ربطت جنوب العراق بإمدادات الطاقة الكهربائية القادمة من إيران، وقدرت بعض المصادر أن الاستثمارات الإيرانية في جنوب العراق بلغت أكثر من (١٣) مليار دولار^{٣٧٩} كل ذلك بهدف ربط الاقتصاد والقطاع الخدمي العراقي بإيران لتسهيل مهمتها في السيطرة والنفوذ.

٣٧٨ - (مهّد الاحتلال الأمريكي للعراق السبيل أمام دولة القلب المذهبي لسرقة النفط العراقي بشكل يومي ومنظم، سواء أكان السارقون من الشركات الأمريكية أم من الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران، وقد كشفت أن الكميات المهربة من النفط العراقي أكبر من المعلن عنه؛ إذ تتراوح ما بين (٤٠٠) ألف إلى نصف مليون برميل يوميا، حيث إن عمليات التهريب تقوم بها ميليشيات عراقية منذ الاحتلال الأمريكي، وأشارت هذه الدراسات أن الحكومة العراقية عاجزة عن التدخل لتلاقي مصالحها مع هذه الميليشيات، موضحاً أن الاحتلال الأمريكي لديه من الإمكانيات ما يستطيع بها وقف هذا التهريب لكنه لا يفعل أيضاً، وأكدت أن العراق يخسر يوميا نحو ما بين (١٦ - ١٨) مليون دولار نتيجة عدم احتساب ما بين (١٥٠ و ٢٥٠) ألف برميل نفط من إجمالي الإنتاج اليومي للدولة، والمقدر بمليون برميل، وأرجعت فقدان عشرات آلاف البراميل من النفط إلى عمليات تهريب النفط والفساد الحكومي المتواطئة نخبها مع إيران وبشكل معلن، حيث يدير الحرس الثوري الإيراني واستخباراته وحدة متخصصة لتنظيم سرقة النفط العراقي ندوة حول قانون النفط العراقي الجديد، عمان، ٢٣/٣/٢٠٠٧).

٣٧٩ - (سعد الدليمي، إيران تستعمر العراق، مجلة الحرية، العدد ١٤٢، أكتوبر، ٢٠٠٥، ص ١٢ - ١٣).



إن الدراسات الغربية التي بدأت تظهر مؤخراً والتي تشير إلى قرب نضوب النفط الإيراني، وأن صادرات النفط الإيرانية ستصل إلى الصفر بعد (٢٠) عاماً^{٣٨٠}، وهو ما سيؤدي إلى إفلاس الدولة الإيرانية، هنا لا بد من التدقيق في علمية هذه الدراسات وصحة محتواها، وتوقيت إصدارها. إذ يمكن القول إن هذه الدراسات قد ظهرت بعد تصاعد حدة التفاعلات الدولية والإقليمية حول البرنامج النووي الإيراني، وفي الوقت الذي ازدادت معه حجم المطالبات الداعية للرقابة والإشراف على هذا البرنامج حتى لا يخرج عن أهدافه المعلنة من جانب إيران، وبالتالي فإن بروز هذا النوع من الدراسات - ومن جانب الولايات المتحدة وبريطانيا تحديداً- قد منح إيران مبررات إضافية لاستكمال برنامجها النووي، على اعتبار أن مصادر الطاقة سوف تنضب في إيران، ولذلك لا بد من البحث عن مصادر بديلة.

من جانب آخر فإن امتلاك دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات، والبحرين، وعمان، وقطر، ومعها: العراق، وإيران، واليمن- (٦٤٪) من احتياطات النفط العالمية المؤكدة، وثالث الاحتياطات العالمية المؤكدة من الغاز الطبيعي، وبالإضافة لاستمرار الاعتماد الأمريكي على إمدادات الطاقة الخليجية، وأن كلا من الهند، باكستان، الصين، واليابان لديها مصالح قومية حيوية في المنطقة بالمثل، وفي الوقت الذي تزداد فيه حاجته لموارد تلك المنطقة- فإن إيران "دولة الحلم الإمبراطوري" تجد أن وضع هذه المنطقة تحت مظلتها الأمنية - إن لم يكن يحقق السيطرة المباشرة عليها اقتصاديا وعسكريا - فسوف يدفع باتجاه صعود إيران إلى مصاف الدول الفاعلة والمؤثرة عالميا، لا سيما أنه يحيط بها خمس دول نووية هي: الهند، وباكستان، والصين، وروسيا، والولايات المتحدة^{٣٨١}.

٣٨٠ - (إدوارد دوغلاس، الثروة النفطية في إيران، ترجمة أحمد خليل، نشرت في قضايا

استراتيجية، العدد ١٨٩، أكتوبر، ٢٠٠٧، ص ١٠ - ١٤).

٣٨١ - (أحمد رجب، إيران والتهديد النووي: رؤية استراتيجية، دراسات سياسية، العدد

٢٣٤، أغسطس، ٢٠٠٥، ص ٢٣ - ٢٤).



تحاول دولة القلب المذهبي اليوم انتهاج استراتيجية جديدة تتمثل بالنفوذ إلى المنطقة من خلال عدة وسائل ومن أبرزها "الغزو الاستثماري"، وهذا يتضح من خلال الدعم الإيراني اللامحدود لسيطرة الاستثمارات ذات الأصول المالية الإيرانية على الاقتصاد في دول الخليج العربية ومعظمها شيعية، تحت شعار خلق المصالح المشتركة، وتوظيف هذه الأموال وغيرها من جديد من خلال التغذية الراجعة للميارات الدولارات المتجهة إلى مراجع التقليد والحوزات من جانب الأقليات الشيعية العربية سواء في الخليج أو غيره من الدول، وإعادة تدويرها من جديد لخدمة الشيعة والتشجيع انسجاماً مع فرضية توسيع المجال الحيوي الذي يهدف إلى بناء الإمبراطورية الشيعية، هذا مع تأمين حصول إيران على المزيد من الموارد غير الموارد النفطية والمعدنية، وبما يُمكنها من الإنفاق على المزيد من شيعة الشتات، والسعي التدريجي لتقليص اعتماد شيعة الشتات القادمة من دولة القلب المذهبي إلى دول الخليج العربي، وتعميق فكرة الاعتماد على المشاريع الاقتصادية لتغذية دولة القلب المذهبي الأم.

وهذا يتضح من خلال تقسيم موارد الشيعة أنفسهم على بعضهم البعض، فالشيعة اللبنانيون في دول أمريكا الشمالية واللاتينية ودول أوروبا قد قاموا في العام ٢٠٠٦ بتحويل ما يقارب (١٠٠) مليون دولار - على سبيل المثال - إلى حزب الله في جنوب لبنان، هذا بالإضافة إلى رفع مستوى ضريبة الخمس القادمة من دول الهلال الإقليمي الخارجي، من خلال إعلان حالة طوارئٍ أطلقها مراجع التقليد الشيعية، كل ذلك بهدف رفع سقف التحويلات من جانب المُقلدين إلى مراجعهم، وتنظيم التدفق المالي، وإعادة تدوير محاور حركة هذه الأموال ضمن إطار مؤسسي مرن، لدعم الأقليات الشيعية الجاثمة على محاور التماس لدول الهلال الإقليمي. وضمن هذا الإطار سعت إيران إلى خلق نوع من الاعتماد الذاتي لحزب الله اللبناني، والبحث عن موارد جديدة من خلال رجال الأعمال الشيعة، والأقليات الشيعية اللبنانية التي تعيش في المهجر بهدف تخفيف الدعم



وتقليصه من جانب إيران، وتوظيف الموارد الإيرانية التي توفرت باتجاه دعم عمليات تشييع جديدة، غير أن نقطة الضعف التي تُحاول إيران إدراكها تتمثل في قطع خطوط الإمداد المالي عن دولة القلب المذهبي من جانب الأقليات الشيعية، أو انخفاض حاد في موارد دولة القلب عن طريق انهيار أسعار النفط، أو عقوبات اقتصادية قد تشمل صادرات النفط والغاز والتي تُشكل (٨٠٪) من موارد هذه الدولة. غير أن دولة القلب المذهبي تنبعت لذلك، وقامت بتأسيس مؤسسات اقتصادية واستثمارية لرفع ديمومة قدرتها لخدمة خطوط الإمداد المذهبي وتمويله^{٣٨٢}.

لاشك بأن دولة الحلم الإمبراطوري الشيعية تمتلك موارد ضخمة لتحقيق هدف بناء هذه الإمبراطورية، وتتبنى سياسة خارجية وسلوكا تدخليا في بعض الأزمات الإقليمية والشؤون الداخلية العربية، وتوجيه شيعية الشتات، بهدف توفير حركة إمداد وتغذية باتجاه دولة الحلم الإمبراطوري لضمان ديمومة هذه الموارد وتدويرها خدمة لبناء مجالها الحيوي المذهبي الذي يُسرّع في النهاية في إحياء وبعث إمبراطوريتها الشيعية.

٥ - الهدف السكاني؛

يُشكل العامل السكاني عنصراً مهماً في تقدير قوة الدولة، مما يؤثر - بالتالي - على طموحاتها، خصوصاً إذا تبنت استراتيجية تهدف من خلالها إلى التوسع والهيمنة، ذلك أن حجم التوزيع الجغرافي وتكوينه تُشكل عوامل هذه القوة.

يمكن القول بأن الحجم الكبير للسكان لا يضمن الفعالية على الصعيد الدولي بحد ذاته، لكنه يُعتبر مؤشراً كافياً للقوة؛ فبالإضافة إلى حجم السكان، هناك

٣٨٢ - (أهمية ضريبة الخمس كمورد يأتي قسم كبير منها من خارج إيران، دراسة سنقوم بنشرها قريباً وهي حول التشيع في العالم العربي).



عوامل أخرى ترتبط بهذا العامل^{٣٨٣}، فالعدد المطلق للسكان قد يكون عبئاً على الدولة إذا كان مُجتمع هذه الدولة مُجتمعاً غير متجانس، كذلك يجب التنبه إلى نسبة المنتمين إلى الفئات العمرية النشطة (٣٠-٣٥)، وهي من أكثر الفئات نشاطاً إذ إن هذه السنوات تُعتبر من أهم السنوات في الإنتاجية والقدرة على حمل السلاح، ويُمكن القول من ناحية أخرى إن عدد السكان الضخم في جميع الظروف لا يعني توافر قوة عسكرية ضخمة، بل يعتمد ذلك على توافر ظروف وعوامل مختلفة مثل القدرات العسكرية ونوعها، وتقدمها^{٣٨٤}؛ فالمعطيات الحديثة أثبتت عدم كفاية المقومات الكمية للسكان لإثبات قوة الدولة إذ لا بد من تضافرها مع مقومات أخرى^{٣٨٥}.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى أثر السكان في زيادة قوة الدولة في المجال الاقتصادي وبالذات في مجال الإنتاج والاستهلاك^{٣٨٦}، فكلما زادت الفجوة بين الموارد وعدد السكان زادت الأعباء على الدولة، حيث يُعتبر موضوع التكامل الاجتماعي والعنقي والولاء السياسي كلها عوامل مهمة في تشكيل الدولة، فالعامل السكاني ليس عاملاً جامداً بل لا بد من النظر إليه من مُنطلق علاقته بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدولة^{٣٨٧}.

مما لا شك فيه - كذلك - أن لخصائص الموقع الجغرافي لإيران والظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والعقائدية التي رافقت نشأة هذه الدولة أثرها

٣٨٣ - (أحمد شرف الدين، السكان وقوة الدولة، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٢، ص ٤١).

٣٨٤ - (جوزيف فرانكل، العلاقات الدولية، القاهرة، دون دار نشر، ١٩٩٠، ص ٦).

٣٨٥ - (روبرت كانتور، السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة أحمد الظاهر، عمان، مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩، ص ٣٠٣).

٣٨٦ - (سويلم العمري، أصول العلاقات السياسية الدولية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥، ص ٥٧٨).

٣٨٧ - (علي محمد، أثر المتغيرات السكانية على اقتصاد الدولة، بيروت، دار المجد، ١٩٨٧، ص ٤).



الواضح في تشكيل السكان، فأيران تمتلك تعداداً سكانياً يفوق حتى أكبر دولة عربية، وتمتاز بثقلها السكاني الضخم، حيث ازداد حجم السكان بسبب نقص حالات الوفيات نتيجة لتقدم المستوى الصحي الذي وصلت إليه^{٣٨٨}.

٣٨٨ - (شهدت الزيادة السكانية تطورات كبيرة، حيث كان عدد سكان إيران لا يتجاوز عام ١٩٠٥، ٧، ٥ مليون نسمة، في حين وصل عدد سكانها حوالي ٥٧، ٨ مليون نسمة في عام ١٩٩١، ومن المتوقع أن يصل عدد السكان إلى ٨٣، ١ مليون نسمة عام ٢٠١٥. ويُشكل سكان المدن أكثر من ٥٧، ١٪ من المجموع الكلي للسكان. إن أحدث إحصاء سكاني أظهر أن العدد الإجمالي لسكان البلاد بلغ ٧٠ مليوناً و٤٩ ألفاً و٢٦٢ نسمة، وأوضح المسح أن ١٩ في المائة من السكان (أكثر من ١٣ مليوناً) يقيمون في العاصمة طهران مما يجعل المدينة من أكثر مدن البلاد من حيث الكثافة السكانية. وكان سكان العاصمة قبل قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ بلغوا ٣، ٥ ملايين نسمة. ومن بين إجمالي السكان يعيش أكثر من ٦٨ في المائة في المدن في حين يعيش ٣٢ في المائة في مناطق ريفية، وتمثل النساء ٤٩ في المائة من عدد السكان، ويقدر معدل النمو بـ ٣، ٩٪ سنوياً منها ٣، ٢٪ نتيجة للزيادة الطبيعية و٧، ٠٪ بسبب الهجرة. وتوقع بعض الدوائر السكانية أن هذا المعدل سيتراجع نتيجة تراجع محددات النمو لاسيما الخصوبة إلى ١، ٤٪ مع قدوم عام ٢٠١٥. ويعود تراجع معدل الخصوبة الإجمالي - ويقصد به مجموع مواليد المرأة الإيرانية طوال حياتها الإنجابية - إلى ارتفاع مستويات التعليم عند المرأة الإيرانية، وكذا ارتفاع معدلات المشاركة في النشاط الاقتصادي؛ إذ ساهمت المرأة بنحو ١٦٪ من إجمالي النشاط الاقتصادي إيران عام ١٩٩٧، وارتفعت هذه النسبة في ظل السياسات الجديدة التي أوجدتها الحكومة الإصلاحية بقيادة الرئيس محمد خاتمي حيث أولت تلك الحكومة المرأة اهتماماً كبيراً لاسيما فيما يتعلق بدورها في الحياة العامة. هذا وتستحوذ الأعمال الفنية والمهنية على ما يربو على ٣٢، ٦٪ من إجمالي العمالات في إيران، حين تركز ٣، ٥٪ منهن على الأعمال الإدارية. ومن الجدير بالذكر أن معدل الخصوبة الكلية - حسب بيانات صادرة عن وزارة الصحة الإيرانية - قد انخفض من ٥، ٦ ولادة لكل امرأة عام ١٩٨٥ إلى ٢، ٠ ولادة عام ٢٠٠٠، وكان انخفاض الخصوبة ملحوظاً بوجه خاص في المناطق الريفية بإيران حيث انخفض معدل الخصوبة في هذه المناطق في الفترة من ١٩٧٦ - ٢٠٠٠ من ٨، ١ ولادة لكل امرأة إلى ٤، ٤ ولادة، بينما انخفضت خصوبة المرأة الحضرية من ٤، ٥ ولادة إلى ١، ٨ لكل امرأة=



من دراسة حجم السكان في المنطقة يتضح أن إيران ومصر تُشكلان أكبر دولتين في المنطقة بالنسبة لعدد السكان، وبالنسبة للشرق الأوسط تُضاف لهما تركيا، ويأتي هذه المجموعة مجموعة من الدول العربية يتراوح عدد سكانها ما بين (٢٥ - ٣٠) مليون نسمة، وتضم: المغرب، والسودان، والجزائر، وهي دول عربية إفريقية، وهناك مجموعة من الدول العربية يبلغ عدد سكانها ما بين (١٠ - ٢٠) مليون نسمة وهي تضم دولاً مثل: العراق، السعودية، سوريا، اليمن. وكلها كما نلاحظ دول آسيوية، ولها صلة مباشرة بالعلاقات مع إيران بحكم الجوار الجغرافي إذا استثنى اليمن، في حين أن هناك دولاً عربية أخرى يتراوح عدد سكانها ما بين (١٠ - ٥) مليون نسمة وتضم: تونس، الصومال، بالإضافة إلى مجموعة أخرى يتراوح عدد سكانها ما بين (١ - ٥) مليون نسمة وتضم أقطاراً خليجية تقع ضمن المحيط الإقليمي لإيران وهي: الكويت، الإمارات، عُمان. وهناك دول أخرى يقل عدد سكانها عن مليون نسمة مثل: البحرين وقطر، وهي دول مجاورة - أيضاً - لإيران^{٣٨٩}، وتقع دولة القلب المذهبي في المرتبة العشرين عالمياً من حيث العدد.

إن عدد السكان وطبيعة التركيب الاجتماعي في إيران قد تأثر بحكم الموقع الجغرافي، وفرض هذا التنوع في الأعراق حسابات دقيقة لدى القيادات الإيرانية التي تعاقبت؛ لأن أي خطأ في التعامل معها قد يجعل منها عامل ضعف، حيث

=في الفترة ذاتها، وقد أرجع المتخصصون انخفاض معدلات الخصوبة بالدرجة الأولى إلى زيادة إقبال النساء المتزوجات على تعاطي وسائل منع الحمل؛ فخلال عام ٢٠٠٠ استخدمت النساء المتزوجات وسائل تنظيم الأسرة بنسبة ٧٤٪ مقارنة بـ ٣٧٪ عام ١٩٧٦، فضلاً عن أن التغيرات التي تحدث أنماط الزواج كانت لها أثرها أيضاً على الخصوبة؛ فقد زاد متوسط عمر المرأة عند الزواج الأول من ١٩,٧ سنة عام ١٩٧٦ إلى ٢٢,٤ سنة ١٩٩٦. بررسي أوضاع اجتماعي إيران، وزارت بزوهش وبرورش، ٢٠٠٦، ص ١٠ - ١٣).

٣٨٩ - (محمد زهرة، الأوضاع الديمغرافية في إيران والدول العربية / كتاب العلاقات العربية الإيرانية، لقاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٣، ص ٢٢٥ - ٢٢٦. سالنامه آماری کشور، تهران، مركز ان إيران، ١٣٤٨، ص ٣٨ - ٣٩).



تنبهت لذلك، خاصة بعد محاولة استغلال القوى الخارجية للتأثير على الاستقرار الداخلي للدولة الإيرانية^{٣٩٠}. وقد أدى ارتفاع عدد السكان بشكل كبير إلى زيادة الفجوة بين الموارد والسكان، لكنه وصل إلى درجة الخلل، على الرغم من حجم الموارد الطبيعية الكبيرة التي تتمتع بها إيران، وذلك بفعل سياسات التهميش والاستبعاد لبعض الفئات السكانية خاصة السنة الذين تم تعمد إقصائهم عن جميع برامج الدولة التنموية تماما.

فالأثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعلاقة بين الزيادة السريعة للسكان وارتفاع احتمالات عدم الاستقرار نتيجة للارتباك أو الخطأ في التخطيط وممارسة سياسة الإقصاء، وعدم الاستجابة بشكل منظم لتلك الأعداد الهائلة من المتعلمين، وتوفير فرص العمل والخدمات لقطاعات السكانية المختلفة، كلها جوانب أصبحت تؤثر على دولة الحلم الإمبراطوري الإيرانية واستقرارها، حيث سيجعلها ذلك عرضة لعدم الاستقرار السياسي، الأمني، والاجتماعي...، في الوقت الذي تسعى فيه إيران لحماية نفسها من احتمالات التدخل الخارجي بشتى الوسائل، وتعظيم فكرة التآمر والاستهداف من جانب أعدائها خاصة السنة، ووصفهم بأنهم أصحاب أجندة خارجية، ومن هنا فإنها لا تألو جهدا في توظيف إمكانياتها الأمنية والعسكرية لتوجيه ضربات وحملات تصفية منظمة ضد السنة وعلمائها بشكل ممنهج، وكذلك تسعى إيران في سياستها الخارجية إلى إيلاء الاقتصاد الأهمية الكبرى، وأصبح يُشكل إحدى محاور سياستها الرئيسية وبالذات في علاقاتها مع بعض القوى الدولية "ألمانيا، فرنسا، الصين، وروسيا" وبعض الدول العربية والإفريقية، ودول أمريكا اللاتينية؛ لتعزيز علاقاتها الاقتصادية بهدف تضيق الفجوة بين الموارد ومتطلبات الزيادة السكانية.

نستطيع القول بأن حوالي (٥١٪) من سكان إيران هم من الفرس - القومية الرئيسية في إيران - والنصف الباقي هم أذريون (٢٥٪)، وأكراد (٧٪)، وعرب

٣٩٠ - (راجع التركيبة الاجتماعية للسكان: سالنامه أمارى كشور، ص ٣٨ - ٣٩).



(٣٪)، وبلوش (٢٪)، ولور (٢٪)، جيلاني ومازنداراني (٨٪)، وتركمان (٢٪)٣٩١. ويبدو أن الأغلبية في المنطقة تتكون من العرب المسلمين بمذهبهم السني، أما كل الجماعات الأخرى فتندرج تحت ما يمكن وصفه بالأقليات٣٩٢،

٣٩١ - (أوضحت مؤشرات أوردها تقرير جديد صادر عن البنك الدولي أن عدد سكان دول مجلس التعاون سيرتفع إلى (١, ٥٣) مليوناً عام ٢٠٢٠ بزيادة تقارب النصف عن العدد الحالي البالغ (٧, ٣٥) مليون شخص، وعلى أساس متوسط معدل نمو سنوي قدره (٢ ٪)، وتمثل المملكة العربية السعودية وحدها (٦٨٪) ضمن إجمالي عدد السكان في دول مجلس التعاون الخليجي. تقرير البنك الدولي، البنك الدولي، تم ترجمة الجزء الخاص بالدراسة World Bank, World Development Indicators, April ٢٠٠٦، ص ٨٤. هذه المؤشرات وتفصيلاتها وردت بشكل مفصل انظر: اتحاد غرف التجارة والصناعة. التطور الاقتصادي وأثره على نمو السكان في دولة الإمارات العربية المتحدة: مؤشرات عامة - ٢٨ ص. في " ندوة الحوار لقضايا العمل والشؤون الاجتماعية ٢٦ - ٢٩ إبريل ١٩٩٣ ". - أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٣ حسن الخياط. الرصيد السكاني لدول الخليج العربي: قطر - الكويت - البحرين - الإمارات - عمان - السعودية. - الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ١٩٨٢، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

عبد الله باقر عبد الله بوكلاه. التركيبة السكانية لدول المجلس مع التركيز على حالة دولة الإمارات العربية المتحدة - ص ٦٩ - ١٢٧. في " الجزء الأول من البحوث الفائزة بجائزة العويس للدراسات والابتكار العلمي: الدورة الثامنة " - دبي: ندوة الثقافة والعلوم، ١٩٩٧. عبد المنعم الحسني السكان والتنمية - بعض المتغيرات السكانية والتنمية في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٨ يونيو، ١٩٩٩، ص ٦٥. الأمانة العامة لمجلس التعاون، الاستراتيجية السكانية لدول مجلس التعاون - الوضع الراهن والبرنامج المستقبلي، الرياض ٢٠٠١، ص ١٦ منظمة العمل العربية، الموارد البشرية ودورها في الحياة الاقتصادية، السجل العلمي للدورة الرابعة والثلاثين لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة، ص ٦٥).

٣٩٢ - (يمكن تقسيم دول مجلس التعاون الخليجي من حيث نسب شرائحها الوافدة من إجمالي قوة العمل إلى ثلاث مجموعات، تدخل في المجموعة الأولى كل من الإمارات وقطر والكويت، وتمثل نسبة الوافدين فيها أكثر من (٦٠٪) من السكان. أما المجموعة الثانية، فتتألف من السعودية وسلطنة عمان، وفيها يشكل الوافدون أكثر من (٥٠٪) =



وبصفة عامة تتسم المنطقة بتباين شديد في هيكله السكان، حيث توجد ثلاث دول هي: الإمارات والكويت وقطر تزيد فيها نسبة السكان الأجانب عن السكان الأصليين، حيث تقدر نسبتهم بـ (٨١٪، ٥١،٥٪، ٧٥٪) على الترتيب، في حين أن الدول الثلاث الأخرى وهي: السعودية والبحرين وسلطنة عمان تتميز بتواجد سكاني محلي أكبر، وإن كان ذلك لا ينفي وجود نسبة ليست بالقليلة من الجنسيات الأخرى حيث تمثل (٢، ١٦٪، ٣٣٪ و ١٨٪) على الترتيب في تلك الدول.

أما على أساس العرق فتوجد في إيران أقليات "عرقية" رئيسية، ولا نقصد مذهبية "شيعية عربية"، أولها: الإيرانيون "الأصل" الذين يشكلون نسبة قليلة من إجمالي السكان؛ ففي قطر يشكلون (١٠٪)، ونفس النسبة بمملكة البحرين، وفي الكويت تبلغ نسبتهم (٤٪)، وفي الإمارات تبلغ (١٢٪)، بينما تقل نسبة تواجدهم في الدول الثلاث الأخرى من إجمالي السكان، أما في سلطنة عمان فلا يوجد تحديد دقيق لنسبة الوجود الإيراني بها.

أما على صعيد الأقليات الدينية المذهبية يبرز أمر الشيعة كقوة شعبية تسعى للتأثير على السياسة العامة للدول الخليجية، ولتكون لهم مكانة أهم وأكبر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتسعى للاستفادة من كل ما يمكن أن يتاح لها، كما في الوضع البحريني الجديد، حيث سمحت "الإصلاحات" لهم

=من عدد السكان، أما المجموعة الثالثة فتشمل مملكة البحرين والتي تمثل فيها العمالة الوافدة حوالي ثلث عدد السكان. ويلاحظ وجود علاقة قوية بين متوسط نصيب الفرد من الدخل من جانب، ونسبة الشريحة الوافدة من إجمالي قوة العمل من جانب آخر، فقطر، والإمارات، والكويت هي من العشرة الأوائل في دول العالم من حيث نصيب الفرد من الدخل القومي؛ إذ بلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي لعام ٢٠٠٠ ما يقارب (١٨,٨) ألف دولار في قطر، و(١٧,٩) ألف دولار في الإمارات، و(١٥,٨) ألف دولار في الكويت. بينما هو نحو (١٥,١) ألف دولار في البحرين، و(١٣,٣٥) ألف دولار في عمان، و(١١,٣٦) ألف دولار في السعودية).



بأخذ مكانة كبرى في مجمل نواحي الحياة العامة بحكم مجموعهم ونسبتهم العددية بالنسبة لمجموع السكان العام في هذه الدولة، كما استفاد الشيعة في الكويت من حالة "الانفتاح السياسي" فأصبح لهم ممثلون في البرلمان الكويتي، حيث توجد خمسة مقاعد في مجلس الأمة الكويتي للشيعة. وعلى الجانب الاقتصادي سعى الشيعة إلى لعب دور مهم في الاستحواذ على مشاريع اقتصادية وتكنولوجية غاية في الأهمية داخل دول الخليج، كما يحتل تجار الشيعة مكانة كبيرة ومهمة في تجارة بعض أنواع البضائع في المنطقة^{٣٩٣}.

ولكن السؤال المحوري الذي يهمنا هنا وهو: لماذا يتم التلاعب بنسبة الشيعة وتضخيمها في الدول العربية، وإلى ماذا يشير ذلك؟ لاشك بأن الجانب الأكثر خطورة في هذا الموضوع هو الأرقام التي تنشر دون تدقيق، وتشكل فيما بعد حقائق على الأرض بمجرد نشرها، لدرجة أنها تصبح مراجع ومصادر علمية يتم التوسل والاستدلال بها، كما يحدث اليوم في العراق، حتى ضاعت حقوق سنة العراق رغم أن وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي العراقي أصدرت تقريراً في شهر تموز لعام ٢٠٠٤ ذكرت فيه أن نسبة السنة في العراق تبلغ (٥٢,٩٥ %) مقابل (٤٤,٠٤ %) للشيعة، وتم إخفاء هذا التقرير، وقد حصلت الدراسة عليه بعد عناء شديد، وهو مرفق بالدراسة مع الملاحق ليكون وثيقة مهمة نعتمد عليها لتوضيح جانب التضخيم والتهويل لنسبة الشيعة في العراق بالنسبة للحجم الكلي للسكان^{٣٩٤}، وقد تم التعطيم على هذا التقرير بشكل متعمد، وللأسف الشديد لم تنتبه الحكومات ومراكز البحث لغاية الآن للمعلومات المضللة التي تروج عن أعداد الشيعة ونسبتهم في المنطقة، ففي غياب الإحصاءات الدقيقة، وعدم دراية

٣٩٣ - (صادق إسماعيل محمد، الأقليات في الخليج العربي، دراسة منشورة على موقع إسلام أون لاين).

٣٩٤ - (التقرير السكاني العراقي، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي العراقي، ملحق في الدراسة رقم ٤).



الحكومات العربية يتم نشر أرقام خيالية عن حجم هذه الأقليات الشيعية في المنطقة العربية، حيث تقوم بنشرها مراكز ذات أهداف مشبوهة، وتحظى بتمويل خارجي كبير، وهي معروفة الأهداف والغايات، خاصة المراكز التي تعمل تحت غطاء دراسة الحريات وحقوق الإنسان، والمطالبة بحقوق هذه الأقليات.

وفي هذا المجال تصف بعض الدراسات أوضاع الشيعة في العراق والعالم العربي على النحو التالي - كما يزعم الشيعة - " إن كل شيعي يتصور أن مشكلتنا تتجسد بحرماننا من الوظائف. ومن الواضح أن الشيعة محرومون على هذا الصعيد، سواء في العراق أو في غير العراق، ولكن ليست المشكلة هنا، هذا من مصاديق المشكلة أو نتيجة لمشكلة أعمق. إن هذا التصور للمشكلة الشيعية في العراق وغيره يستحوذ على خيال الكثير من الشيعة، فالشيعي يكرس كل طاقته من أجل الحصول على وظيفة حكومية، ويناضل من أجل الارتقاء بهذه الوظيفة، وهو ما نراه اليوم بكل وضوح لدى شيعة العراق؛ فإن الشيعي العراقي مهووس بالوظيفة الحكومية، ويلخص كل مشكلته بهذا الحرمان، حتى الذين يطالبون بحقوق الشيعة تختصر في بعض الأحيان فلسفتهم بهذه الدائرة الضيقة، هناك شيعي يتصور أن مشكلتنا أو مظلوميتنا تتجسد في الحرمان من الوظائف المهمة، مثل: الجيش، والوزارات، والشرطة، والأمن، والخارجية، ومن الحقائق الملموسة أن الشيعة يعانون من هذا الحرمان في كل البلاد الإسلامية تقريبا، فهناك خط أحمر تحت اسم المسلم الشيعي بشكل عام على صعيد الوظائف السيادية وذات السطوة إذا صحّ التعبير. وفي تصورنا أن ذلك ليس المشكلة بأكملها وجوهرها، بل هي من صور المظلومية، هي واحدة من مشكلة مركبة عويصة، ترتد إلى جذور أعمق وأخطر، فهناك شيعي يتصور أن مشكلتنا هي عدم السماح لنا بممارسة تقاليدنا وطقوسنا مثل: اللطم، والزنجيل، والقامات، وإقامة التعازي الحسينية، وفي هذا السياق يُذكر موضوع حرية الحوزات العلمية الشيعية، وفي هذا السياق يُذكر - أيضا - الكتاب الشيعي تأليفا وطبعاً ونشراً. وهي حقيقة مرّة معروفة في أكثر البلدان الإسلامية، ولكن هل هي المشكلة ببعدها الجوهرية وحقيقتها



الصميمة؟ هناك تصور شيوعي يرى أن مشكلتنا في الإهمال الخدمي للمناطق الشيعية، فمناطق الشيعة في كل البلدان الإسلامية مهمشة تقريبا، مدناً ونواحي وأقضية، سواء على صعيد المدارس أو المستشفيات أو مراكز الشرطة والأمن، هناك إهمال عمراني وخدمي في مناطق الشيعة العراقيين بشكل مدهش. وفي تصور شباب آل محمد ليست هذه كل المشكلة، هناك ما هو أكبر وأعمق وأخطر، وهذا نوع تصور أولي للمشكلة الشيعية بشكل عام، والعراق بشكل خاص. وفي تصورنا أن المشكلة الشيعية لا تنصرف بالجواهر إلى هذه النماذج من الحرمان، بل تنصرف إلى كوننا (كمّاً) مهملاً، هناك تجاوز للاعتراف بنا كـ (بشر)، من هنا نُحرّم من الوظائف الحسّاسة، ومن هنا نُعامل خدماً على الهامش، وحسب الفائض وليس في سياق اعتبارنا كـ (مواطنين) من الدرجة الأولى، نحن مواطنون من الدرجة الثانية في كل بلدان العالم الإسلامي، هنا المشكلة، ولذا لا ينفع أن يكون منّا وزراء وضباط، هذه سذاجة شيعية رثائية، ولا ينفع أن يبلّطوا لنا هذا الشارع أو ذاك، كل ذلك لا يحلّ المشكلة ولن يغيّر ذات النظرة الجوانية تجاه الشيعة^{٣٩٥}.

وحتى تتضح خطورة الموضوع أكثر نورد جدولاً يحتوى على حجم الشيعة في الخليج والعراق كما تعرضها مراكز الأبحاث والمراجع المختصة: "المجموعات العرقية والمذهبية في الوطن العربي"، "أطلس العالم العربي"، و"تقارير مركز ابن خلدون"، و"موقع الأقليات الدينية والمذهبية على الإنترنت". ويكشف لنا هذا الجدول مدى التخبط والتناقض في عرض نسبة الشيعة في بعض الدول العربية والخليجية خصوصاً، مما يزيد من أهمية دراسة الموضوع بشكل صحيح وعادل. وقد أخذنا ما نشرته هذه المراجع كما هو دون نقص أو زيادة، حيث عرضت هذه المراكز نسبة الشيعة إلى العدد الكلي للسكان في دول الخليج العربية، وهي موضحة بالجدول التالي:

٣٩٥ - (شباب آل محمد، نحو نظرية عمل شيعية عراقية: بُنية الكيانية الشيعية التنظيمية في خطوطها العريضة، الجزء الثاني، ص ١ - ٢).



جدول يُبين النسب المئوية المختلفة للشيعة في دول الخليج العربي

السعودية	البحرين	الكويت	الإمارات	قطر	العراق	لبنان
٥	٤٥	٢٥	٢٥	١٣	٥٢	٢٠
٢,٥	٤٠	٢١	١٣	١٠	٥١	٢٥
١٠	٥٢	٢٠	٢٠	١٢	٤٨	١٩
١٦	٧٠	٢٧	٢١	١٤	٥٢	٢٨
١٤	٦٧	٢٥	٢٣	٧	٥٠	٢٩
١٥	٧٠	٢٥	٢١٦	١٦	٦٤	-
١١	٦٧	٤٠	٢٨	١١	٦٠	٢٦
١٣	٧٠	٣٠	١٦	-	٦٥	٣١
٩	٧٤	٣٠	٢٧	-	٦٩	٢٧

في حين أوردت دراسات عربية أخرى اعتمدت على دراسات غربية حجم الشيعة في دول الخليج والعراق ولبنان، حيث أوردت حجم ونسبة وجود الشيعة في العالم العربي، وهي على النحو التالي:



الدولة	نسبة الشيعة من إجمالي عدد السكان	إجمالي عدد السكان	عدد الشيعة
إيران	٩٠٪	٧٠,٤٩ مليون نسمة	٥٦,٣ مليون
باكستان	٢٠٪	١٦٥,٨ مليون نسمة	٣٣,٢ مليون
العراق	٦٥٪	٢٦,٨ مليون نسمة	١٧,٤ مليون
الهند	١٪	مليار ومئة مليون نسمة	١١,٠٠ مليون
أذربيجان	٧٥٪	٨ ملايين نسمة	٦ ملايين
أفغانستان	١٩٪	٣١,١ مليون نسمة	٥,٩ مليون
السعودية	١٠٪	٢٧,٠ مليون نسمة	٢,٧ مليون
لبنان	٤٥٪	٣,٩ مليون نسمة	١,٧ مليون
الكويت	٣٪	٢,٤ مليون نسمة	٧٣٠ ألف نسمة
البحرين	٣٠٪	٧٠٠ ألف نسمة	٥٢٠ ألف نسمة
سوريا	١٪	١٨,٩ مليون نسمة	١٩٠ ألف نسمة
الإمارات	٦٪	٢,٦ مليون نسمة	١٦٠ ألف نسمة
قطر	١٦٪	٨٩٠ ألف نسمة	١٤٠ ألف نسمة

ملاحظات: يدخل ضمن أعداد الشيعة الموجودة في الجدول الشيعة الاثنا عشرية، ويُستثنى من هذا الإسماعيليون الشيعية والزيديون^{٣٩٦}. لكن هذه

٣٩٦ - (سمير زكي السيوني . عندما يصعد الشيعة . . رؤية أمريكية مختارات إيرانية العدد ٧٤ - سبتمبر ٢٠٠٦م . وقد اعتمد الباحث على بيانات تم الاستناد إليها من خلال العديد من الإشارات العلمية، ومن بعض الحكومات والمنظمات غير الحكومية في الشرق الأوسط).



الإحصائيات تبقى غير علمية على الإطلاق، ولا بد من إعادة النظر بها من جديد؛ وذلك لخطورة النتائج المتمخضة عن هذه الدراسات بمجملها.

المتأمل في هذه الأرقام يجد تناقضات عجيبة وغريبة تؤكد عدم علمية هذه الأرقام خاصة فيما يتعلق بالشيعة في البحرين والسعودية والعراق؛ حيث لا تتفق هذه الإحصائيات مع المنطق العلمي، إذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة النمو السكاني إلى إجمالي السكان، والهجرات الطارئة بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية، فشيعة البحرين يتجاوز حجمهم (٧٠٪) حسب هذه الدراسات من السكان، لكن من يثبت ذلك؟ كذلك الكويت لمصلحة من يروج أنهم (٤٠٪)؟ أما في السعودية لماذا تدعي هذه المراكز بأنهم (٢٥٪) من السكان؟ وهذا ينطبق - أيضاً - على شيعة لبنان الذين يجرى تضخيم حجمهم للحصول على مكاسب سياسية وطائفية في مثل هذه الظروف، خاصة التي يعيشها لبنان اليوم؟ ولماذا تقوم السفارات الإيرانية في الخارج بالاحتجاج إذا تم نشر تقارير ودراسات حول الشيعة ونسبتهم الحقيقية في العالم الإسلامي؟ وما علاقة دولة الحلم الإمبراطوري بذلك؟ بالتأكيد فالهدف واضح لتسهيل تنفيذ برنامجهم المذهبي الذي سوف يسهم في بناء الإمبراطورية الشيعية المستقبلية.

أما المشيعون العرب "المتحولون مذهبياً إلى المذهب الشيعي"، فلا يوجد إحصائيات أو أية بيانات حولهم، فالمعلومات والأرقام تؤكد أن حجم الظاهرة لا يزال محدوداً، وإن كانت قد شهدت طفرة ملحوظة في السنوات الأخيرة، خاصة في سوريا، وهي من الدول العربية التي بدأ الجدل فيها يظهر ويطفو على السطح حول ظاهرة التشيع، ونحن نعزو انتشار هذه الظاهرة إلى عوامل رئيسية في مقدمتها المتغيرات والظروف التي طرأت بعد الحرب الأخيرة بين إسرائيل وحزب الله، الأمر الذي خلق تعاطفاً قوياً مع حزب الله، وساهم في خلق حالة من التشيع السياسي في بعض الدول العربية، كذلك فإن ما تقوم به دولة القلب المذهبي من جهود جبارة من خلال استراتيجية التمدد القبوري، الأمر الذي جعل



الدول العربية تسد الباب أمام تحول دولهم إلى قبلة للسياحة المذهبية الشيعية، لما ينطوي على هذا الأمر من تبعات خطيرة على أمن هذه الدول، وكذلك تحالف النظام السوري مع طهران والمرونة التي يبديها مع الحُجاج والزُوار الإيرانيين الذين يتوافدون بالملايين إلى سوريا^{٣٩٧} لزيارة المقامات والأضرحة التي يقدسها الشيعة، والتي تحولت - أيضا- إلى مقصد للشيعة العرب القادمين من دول الخليج، حيث يقيمون هناك، ويحضرون دروسا في الحوزة الزينبية، إضافة إلى وجود أكثر من (٢,٧) مليون شيعي من العراقيين والآلاف من مراجع التقليد الشيعية والذين يقومون بجهود هائلة لتشجيع المجتمع السوري، الأمر الذي من شأنه أن يسهم في تعزيز الوجود الشيعي في سوريا، كذلك فإن المتغير اللبناني والتحالف مع حزب الله حاضر وبقوة في معادلة التبشير بالمذهب الشيعي في سوريا^{٣٩٨}.

النتيجة أن العنصر البشري يُشكل العنصر الحيوي لدولة القلب المذهبي، حيث لا بد من ترتيب مرحلة لخطة ديموغرافية توجهها إيران على منحنى متعدد المراحل، بدأت بإصدار الفتاوى للحث على رفع نسبة النمو السكاني لتعزيز وضعية ومكانة الأقليات الشيعية ديموغرافيا، مذهبيا، سياسيا. . . في دول الهلال الإقليمية (الدولة الخليجية)^{٣٩٩}، وكما يحدث حاليا للأقلية الشيعية في لبنان، والتي باتت تتسم بارتفاع نسبة النمو العددي بمعدلات عالية، وهذا يثير عدداً من الأسئلة المتصلة بقيمة الزيادة السكانية الشيعية في حد ذاتها، في الوقت الذي تتجه

٣٩٧ - (ذكر لنا مسؤول سوري رفيع أن إيران ترسل سنويا أكثر من (٣,٧) مليون حاج

إيراني شيعي إلى سوريا، وذكر أن هذا الأمر يعزز الاقتصاد السوري بأكثر من (٤,٥) مليار دولار سنويا، هذا عدا المساعدات الأخرى التي تقدمها إيران إلى سوريا سنويا).

٣٩٨ - (سيقوم المركز قريبا بعون الله تعالى بنشر دراسة متخصصة متكاملة حول الشيعة والتشيع في العالم العربي، وسوف يقوم بدراسة كل دولة عربية بشكل منفصل).

٣٩٩ - (ذكر لنا مسؤول خليجي رفيع فضل عدم ذكر اسمه على أن لديهم معلومات أن إيران

قد قامت بالإيعاز لمراجع التقليد الشيعة بحث الجاليات الشيعية في دول الخليج على رفع

نسبة المواليد إلى أقصى درجة ممكنة للسيطرة ديموغرافيا على دول الخليج العربية).



فيه هذا المجتمعات نحو تنظيم التزايد السكاني على مراحل تبعاً لمتطلبات نموها، وبدرجة لا يؤثر فيه الاختلال بين النمو السكاني الشيعي والسني على هذه المجتمعات، لكن من الثابت أن مجرد التراكم العددي للسكان لا زال يبقى عنصر قوة في حد ذاته، خصوصا إذا اقترن بارتفاع نسبة التعليم المتقدم، وخصائص نوعية العمل ومجالاته لفئات هذه الأقليات، وتشمل - أيضا - دور أولئك العاملين في قطاعات تركز الهيمنة الاقتصادية حيث تلعب دورا مهما في هذا الاتجاه، لأنها تتحكم في النهاية بمسار العملية الاجتماعية والاقتصادية وتوجهها، وكذلك محاولة رفع مستوى المعيشة لهذه الأقليات، وتدفع باتجاه الدعم المالي والاجتماعي على حساب الشريحة السنية، وبالتالي فإن التركيب الديموغرافي والاقتصادي لشعبة الشتات يحاول التعويض ومحاولة الدعم والتعبير عن نفسه من خلال هذا القطاع الذي تعتبره دولة القلب المذهبي "إيران" مهما وحيويا بالنسبة لها على الأقل في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة.

إن دولة القلب المذهبي تسعى إلى استمرار البقاء والنمو، وبالتالي التمدد المذهبي، وذلك بزيادة حجم القوة البشرية وتحسين نوعيتها، وتعزيز انخراطها حتى في المؤسسات الخدمية والإنسانية والتعليمية على غرار الغزو الصليبي للدول العربية، من خلال استكمال هجرة الشيعة، وتكثيف تواجدتها في المناطق التي تُمثل موطنها الأصلي في العالم، وموثلا للأرض الموعودة التي سيظهر فيها المهدي الشيعي الذي سيقود العالم ويخرجه من الظلمات.

من هنا فإن تشجيع نمو النسل الشيعي، وزيادة التواجد الشيعي مذهبيا واقتصاديا وسياسيا في أرض الحلم الإمبراطوري، مع السعي لتقوية روابط التماسك الاجتماعي والقضاء على الصراعات والتناقضات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تسود المجتمعات التي يتواجد فيها الشيعة - والمقصود هنا فيما بينهم- وترسيخ قواعد التضامن بين فئاته، ورفع المستويات الثقافية والخدماتية في مجالات الصحة والتعليم والإسكان والتأمين، وضرورة إحداث خلل في توازن



التركيبة السكانية لصالح الشيعة (لاحظ ما يحدث في لبنان) وبما يحقق وينسجم مع أهداف ومخططات الحلم الإمبراطوري الشيعي. وفي الوقت نفسه تحجيم الوجود السني بأية وسيلة ممكنة في بعض الدول التي تُمثل الهلال الحيوبي المذهبي الأول الذي يشكل أولوية قصوى، وفي هذا المضممار أصدر مراجع التقليد الشيعة بتوجيه إيراني فتاوى لاجتثاث السنة، ولم يسلم من ذلك الفلسطينيون المقيمون في العراق على اعتبار أنهم سنة، في الوقت الذي تتغنى فيه دولة ولي الفقيه بالدفاع عن الشعب الفلسطيني، حيث ارتكبت مجازر بحقهم في العراق أشبه ما تكون بدير ياسين وشاتيلا العراق من جانب فرق الموت الشيعية، وبإشراف مباشر من الاستخبارات الإيرانية، بهدف تطهير العراق من السنة نهائياً.

٦ - الهدف التكنولوجي:

يُشكل تطوير البنية العسكرية المقامة في مجالات العلوم النووية والعسكرية، وبعض الصناعات الأخرى ركيزة وقاعدة للانطلاق التكنولوجية التي ستسود بها إيران على المنطقة في هذا القرن، وهي تحاول أن تكون مالكة للمعارف العلمية والتكنولوجية، محاولة التشبه بالعلوم التي تملكها الدول الكبرى^{٤٠٠}، وبما يساعد على الانطلاق أفقياً ورأسياً في مجالات التنمية الشاملة، خاصة أنها تحاول تنشيط إعلامها باتجاه أن البرنامج النووي هو لتوليد الطاقة الكهربائية، ولغرض التنمية العلمية في مجالات العلوم والطب، إضافة إلى أن البرنامج النووي سوف يُوفر الطاقة بالنسبة لإيران، ويوفر مدخولات جديدة من خلال توفير النفط والغاز الذي سوف يصدر للخارج ويوفر عملة صعبة سوف توظف للتنمية^{٤٠١}. أما الأمر المُثير

٤٠٠ - (تحدثنا سابقاً عن هذه القدرات).

٤٠١ - (قام المسؤول التقني للبرنامج النووي الإيراني علي رضا آقا زادة بعقد مؤتمر صحفي بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٢٠ تحدث فيه عن إنجازات إيران في مجال الطاقة النووية، واستعرض فيه مجالات استخدامات الطاقة النووية المختلفة، وماذا سيوفر هذا البرنامج للشعب الإيراني من تنمية وازدهار، وقد تم عقد هذا المؤتمر في ظل الضغوط الدولية على إيران، وبروز انتقادات داخلية إيرانية تحذر من عدم التعاون مع وكالة الطاقة النووية=



فهو شيعية هذه العلوم، بمعنى أن دولة القلب المذهبي "إيران" تحاول إعطاء تسميات مذهبية شيعية لإنجازاتها العلمية، حيث تطلق مثلاً على صواريخها اسم الإمام الحسين، الإمام العباس، الزهراء، . . . حتى مناوراتها العسكرية: مناورات الإمام المهدي، عاشوراء، كربلاء. . . . محاولة التذكير من خلال هذه الترسانة الحربية بمظلومية الشيعة وخصوصية هذه المظلومية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أطلقت على علمائها في المجال النووي بأنهم جنود إمام الزمان المؤمنين^{٤٠٢}.

فالدولة الإيرانية - وفقاً للدستور الإيراني - قائمة على أساس تصور أنه وفي زمن غيبة الإمام المهدي تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة بيد الفقيه العادل، وأن واجب حكومة ولاية الفقيه تمهيد الأرضية المناسبة وأسباب القوة والمنعة لعودته^{٤٠٣}.

وفقاً لذلك يُمكن فهم الأسباب الكامنة وراء تعنت الحكومة الإسلامية الحالية من التكنولوجيا النووية، حيث إنها - وحسب رؤية الرئيس نجاد- من أبرز واجبات حكومة ولي الفقيه وأنها ستُمهد الأرضية لدولة قوية متطورة، لتكون إحدى أسباب قوة الإمام المهدي عند عودته^{٤٠٤}.

=والتي تزعمها الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، وأدت إلى إرسال رسالة موقعة من جانب ٤٠ نائباً إيرانياً معبرين عن انتقادهم الشديد من سياسة أحمددي نجاد النووية، وأرادت إيران من هذا المؤتمر الشعبي حشد إجماع شعبي أو كما وصفه الرئيس نجاد "بسيح مردمي" تعبئة شعبية "ضد المتآمريين في الداخل والخارج" صحيفة كيهان، ٢١/٢٠٠٦/٤. نص رسالة المنتقدين لسياسة الرئيس نجاد تم نشرها في صحيفة اطلاعات الإيرانية، (٢٠٠٦/١/١٧).

٤٠٢ - (لاحظ وسائل الإعلام الإيرانية وما يرد فيها من أخبار حول هذه المناورات ونشرات وتقارير يتم إرسالها لوسائل الإعلام المختلفة حول تفصيل المناورات من أسماء وأسلحة مستخدمة، خاصة إذا كان يجري اختبار أسلحة إيرانية، بهذا تريد توجيه عدة رسائل، لتخويف دول الجوار، للعب على أوتار العاطفة الشيعية من خلال التسميات المذهبية التي تطلق في المناورات، الأسلحة ونوعيتها. . . .).

٤٠٣ (قانون أساسي، المادة الخامسة).

٤٠٤ - (هذا الموضوع سوف نبثه لاحقاً بشكل مفصل).



٧ - الهدف الأيديولوجي:

إن تبني إيران فكرة " ظهور الإمام المهدي^{٤٠٥} " تهدف بالأساس إلى تطبيق نظرية المجال الحيوي المذهبي، خصوصاً أن المتابع للشأن الإيراني يجد أن " عقيدة الانتظار " " عقيدة الخلاص " الهذيان المهدوي " قد أصبحت هي الشغل الشاغل للنخب التي تقود مؤسسات صنع القرار الإيراني وفي مقدمتهم الرئيس نجاد.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فكثير من العلماء ومراجع التقليد في إيران توقعوا عودة المهدي خلال العامين القادمين، واقترحوا بناء الفنادق في كل إيران لاستقباله، كذلك فإن الدستور الإيراني يقر^{٤٠٦} بأن القرن الحادي والعشرين سيكون هو قرن تحقق الحكومة العالمية للمستضعفين، وهزيمة للمستكبرين كافة، وهنا نتساءل نحن كيف سيكون القرن الحالي إيرانياً، كيف سيتم ذلك إذا كانت نفس الإدارة الأمريكية تعتقد أن هذا القرن سيكون أمريكياً؟

يُشكل إحياء وإعادة بعث التشيع من جديد من خلال إعادة بعث الروح المذهبية الدينية في المجتمعات العربية أولاً هدفاً استراتيجياً لدولة القلب المذهبي " إيران " .

فتقوية تقاليد المذهب الشيعي بين الشباب، وإثراء فكرة الخلاص والمخلص والمهدوية كمبدأ أساسي لتحقيق العدل، وتجسيد فرضية حكومة العدالة الإلهية التي تخلص العالم من الظلم والجور، وإعادة الاعتبار إلى قم والنجف وكربلاء - يعتبر هو الهدف الأسمى لشيعة إيران والشتات في العالم. لا شك أن المكون الإيراني نفسه يحمل عوامل دافعة أخرى باتجاه فكرة بناء المجال الحيوي المذهبي، ففكرة " ظهور الإمام المهدي " هي حاضرة وبقوة لدعم فكرة توجه إيران لتبني فكرة تطبيق المجال الحيوي المذهبي وبسرعة.

٤٠٥ - (سوف نتناول هذه الفكرة بالشرح والتحليل لاحقاً).

٤٠٦ - (مقدمة قانون أساسي إيران).



بالمقابل فإن الدراسات الغربية تدعم عن خبث شديد فكرة المظلومية الشيعية بهدف تفجير المنطقة، فتصف هذه الدراسات أن التشيع منذ أن وُجد كان مذهب الأقلية المضطهدة والمحاصرة اجتماعيا، ومع هذا الحال استطاع أن يُبلور نظرة أصولية للتاريخ ول مستقبل البشرية، حيث شكلت أساساً للمذهب المعتقد بظهور المُصلح في آخر الزمان قبل يوم القيامة، الأمر الذي جعل هذا المذهب حركة ثورية مُستمرة، ومن هنا فإن اقتران هاتين الخصوصيتين: كون المذهب هو مذهب الأقلية، وكونه يحمل تفسيراً نبوياً للتاريخ وللمستقبل. . جعل من عودة التشيع إلى ساحة التأثير في الحياة السياسية والاجتماعية مشروعاً لانفجار كبير. إن التشيع وحتى قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩ م، كان عاملاً مهماً على الساحة الدولية.

إلا أنه وبعد ذلك الانتصار للثورة اكتسب تماسكا وقوة أكبر، وهناك فرق ميز بين التشيع في بلاد العرب والتشيع في بلاد فارس بكونه عند بلاد العرب مذهب الضعفاء والمحرومين، ومن ثم المتظرين للظهور، وبكونه في بلاد فارس مذهب السلاطين. وهذا التمييز قد يوحي بفكرة خاطئة، وهي أن فكرة الانتظار نظريا وعمليا مرتبطة بحالة الاضطهاد السياسي والاجتماعي الأمر الذي لا يصح عقائديا ولا واقعا.

أما من الجهة العقائدية فمسألة المهودية مسألة لها أدلتها وبراهينها المستمدة من الكتاب والسنة والتي لا مكان فيها لهذا التمييز بين حالات الاضطهاد وحالات الرخاء والتربع على السلطة. وأما واقعا فقد سجل الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية التصاقا أكبر بفكرة المهودية، وانتشرت في هذه المرحلة كافة مظاهر الثقافة المهودية بين جميع الطبقات ابتداء من كبار المسؤولين وحكام البلد، فالمهدوية فكرة دينية ذات مصادر شرعية، تتحدث عن مصير العالم أجمع، لا تنقيد ببقعة من الأرض ولا جماعة من البشر، بل هي تتحدث عن العدالة التي ينشدها جميع البشر على اختلاف معاناتهم



ودرجات مظلوميتهم أيا كان بلدهم، وعن الحق الذي يجب أن يسود العالم إتماماً للحجة على الخلق وإنفاذاً لوعده: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ثم إنه تحدث عن أن قدرة التشيع على بلورة فلسفة التاريخ يرتبط بها مصير البشرية بغاية تتحرك نحوها البشرية جمعاء وهي ظهور المهدي وقيام دولة العدل الإلهية مما جعل هذا المذهب الذي هو مذهب الأقلية - مشروعاً مستمراً لانفجار كبير وتحول هائل، إن عقيدة الانتظار للمصلح العالمي، بما تتضمنه من أسس عقائدية مبرهنة وعمق وجداني في ضمائر المنتظرين، هي العامل الأساسي لتلك القوة الهائلة التي ستدفع يوماً ما إلى ساحة الحياة، وتحدث انقلاباً عظيماً في صالح العدالة المفقودة والمضيعة في حياة البشرية، كما أنها هي القوة الماسكة التي أعطت لهذه الأقلية القدرة على التماسك والاستمرار في الوجود طوال فترات التاريخ العادي لها والمضطهد لأفرادها وجماعاتها^{٤٠٧}.

يعتبر التشيع من ناحية المنطق الفكري والعقلي هو الجبهة التقدمية في الإسلام أو ناحية النضال الاجتماعي والدور والرسالة التاريخية، هو أكثر الأجنحة الإسلامية عمقاً والتزاماً وحسماً وثورية، ومن بين كل عقائد الشيعة والمبادئ التي تميز بها هذا المذهب... الإيمان "بآخر الزمان" و"الغيبية" و"المخلص الموعود"، حيث إن هناك أحكاماً وانطباعات مختلفة حول قضية "الانتظار" والإيمان بإمام الزمان، ومبدأ "الثورة النهائية" في نهاية التاريخ... طبقاً لتفسيرات والقوالب العقائدية والذهنية المختلفة^{٤٠٨}.

لقد استغلت إيران - حتى تضمن نجاح مشروعها الإمبراطوري الشيعي - فكرة الخلاص الشيعي العالمي من خلال القيام بعملية ترويج واسعة للتركيز على

٤٠٧. (فرانسوا توال، جغرافياى سياسى شيعة، ترجمه مهدي حسيني، تهران، انتشارات علمى، ١٣٨٠ ص ١٢ - ١٣)

٤٠٨. (علي شريعتي، عن التشيع والثورة، ترجمة وتقديم إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، دار الأمين، ١٩٩٦، ص ١١٧، ١١٩)



محورية إيران لإنقاذ هذا العالم، بهدف تسويق هذه الفكرة وتوجيهها خاصة لشيعة الشتات في العالم .

إن الإيمان بالمهدي الموعود منقول ومنصوص عليه بشكل مقدس في الأدبيات المذهبية الشيعية ضمن نظرة التفوق والتميز للشيعة الإيرانيين مقارنة بغيرهم، وهو أمر لا يقبل التفسير ولا التأويل بأي حال من الأحوال، ومجرد الشك بهذا الأمر يعتبر خروجاً عن المذهب الشيعي، لا لشيء إلا لكونهم - أي الشيعة - هي الفرقة الناجية، وهذه الفكرة تكسب إيران دوراً محورياً لإنقاذ العالم، من هنا لا بد أولاً أن يكون المذهب الشيعي وفكرة الخلاص يقينية لدى شيعة إيران والشتات؛ لأن الإسلام والتشيع والخلاص هي حقائق مطلقة في نظرهم لا تقبل التشكيك، وكذلك فإن الانتظار والاتصال بالمهدي، ومركزية إيران لإنقاذ المعمورة أمور يقينية وجديرة بالقبول، لكن المتدينين العاديين لا يجدون حاجة إلى تفسير الإيمان بالعمر الطويل للإمام اعتماداً على أصول علم الحياة الحديث وقوانينه، إنهم مؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى كلف واحداً من البشر بمثل هذه الرسالة، وإلتزام هذه الرسالة أعطاه الاستعداد للبقاء حياً أكثر من العمر الطبيعي للبشر، ومن هنا فهذه إرادة الله، والله قادر على كل شيء، ولا لزوم لتفسيره تفسيراً فسيولوجياً أو بيولوجياً^{٤٠٩}.

الانتظار يعني: أن جماعة ما تنتظر مخلصاً يأتي لتخليصها، ومن ثم فهذه الفكرة ذات أربعة ركائز أساسية:

١- الأسر أو العبودية .

٢- الغيبة .

٣- الانتظار .

٤- النجاة أو الخلاص .

٤٠٩ - (شريعتي، مرجع السابق، ص ١٢٤، ١٢٢).



فالانتظار مبدأ فكري اجتماعي، كما أنه مبدأ فطري إنساني، بمعنى أن الإنسان مخلوق منتظر، وكلما كان أكثر إنسانية كان أكثر انتظاراً، ولدى المجتمع الإنساني - بالمعنى الأعم - غريزة "الانتظار" سواء كان هذا المجتمع طبقياً أو قومياً أو طائفيًا، وعلى أساس هذه العقيدة كان الإيمان بالمسيح المخلص في المجتمعات البشرية من البداية.. ومن هنا - أيضاً - يظهر لنا أن كل المجتمعات البشرية الكبرى مجتمعات منتظرة"، وكل الثقافات التي نعرفها ذات سمتين مشتركيتين:

الأولى: أن كل حضارة وثقافة " حتى في المجتمعات المختلفة والبدائية" - وبناء على ما ورد في قصصها وأساطيرها - كان لها في أكثر فترات ماضيها بعداً وقُدماً "عصر ذهبي"، حيث سادت العدالة والسلام والرفاهية والحب ثم اختفت.. وظهر عهد من الفساد والظلمة والظلم.

الثانية: أنها تؤمن بثورة عظيمة وبمخلص في المستقبل وعودة إلى العصر الذهبي عصر النصر والعدالة والأخوة والقسط، فالانتظار حتمية تاريخية، وهذه نقطة مثيرة للغاية بالنسبة للمفكرين الملمين بالمدارس والفلسفات العلمية التاريخية. ٤١٠

إذاً فعقيدة الانتظار الشيعي هي مرحلة انتظار ظهور المهدي^{٤١١} بهدف النجاة

٤١٠ - (المرجع السابق، ص ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩).

٤١١ - (المهدي المنتظر عند الشيعة هو محمد بن الإمام الحسن العسكري، وأمه هي نرجس ابنة يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الخواريين تنسب إلى وصي المسيح (ع) شمعون، كانت ولادته في الخامس عشر من شعبان لعام ٢٥٥هـ. إذن والدته هي من أم تتصل بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومن أهل الكتاب كانت هي حسب الظاهر هي الزوجة الثانية حسب الروايات للإمام العسكري عليه السلام وفي ذلك وقفه عند اختيارها من الله لتكون أمًّا للمهدي، وألقابه عند الشيعة هي: صاحب الزمان، المهدي، الحجة، والخلف، والصالح، والمنتظر. وكنيته أبو القاسم، تاريخ ولادته: ١٥ شعبان عام ٢٥٥ هجري، مكان ولادته: سامراء. أما غيبته فالكبرى: عام ٣٢٩ هجري. أما =



والخلاص، وتصف المراجع الشيعية بأن هذه المرحلة هي أطول مرحلة في تاريخ الإسلام، ويعتمد الشيعة عموماً في تفسير هذا المفهوم في ضوء ما تعطيه اللغة العربية لمعنى الانتظار، حيث تحدده بالترقب والتوقع والرصد. وتذكر المصادر الشيعية أنه قد يتصور بعض الناس - خطأً - أن علينا أن نعيش في مرحلة الغيبة الكبرى للإمام المهدي مترقبين للظهور وعلاماته ولليوم الموعود الذي يبدأه الإمام المنتظر بالقضاء على الكفر والانحراف والفساد وبالقيام بتطبيق الإسلام، من دون أن يكون لنا دور في الإعداد والتمهيد والقيام بمسؤولية تحكيم الإسلام في حياتنا وفي كل مجالاتها، وخاصة في مجالها السياسي بحجة أن مسؤولية تحكيم الإسلام وتطبيق تشريعاته في كل مجالات الحياة هي وظيفة الإمام المهدي في مرحلة زمنية مقبلة وليس من وظيفتنا الآن. إن هذا الفهم السلبي للانتظار يتنافى تمام المنافاة مع

=غيبته الصغرى: مدتها ٦٩ سنة نصب فيها سفراء بينه وبين شيعته، فكان عليه السلام يتصل بهم وتخرج توقعاته إليهم، وهم: الأول: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي. الثاني: ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد. الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي. الرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمري. وتحدث المراجع الشيعية عن محل ظهوره: مكة المكرمة، وتفصل في أمور كثيرة مثل: محل البيعة: بين الركن والمقام. وعدد أنصاره: ٣١٣ رجلاً - عدد أهل بدر وهم خواص أصحابه وأصحاب الألوية، وعماله فيما بعد على الأمصار. جيشه: عشرة آلاف أما بالنسبة إلى حدود دولته فتشمل العالم بأسره. وقد تواتر الحديث الشريف عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه - عليه السلام - [يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. أما مدة ملكه: أكثر الروايات تصرح أن مدة ملكه - عليه السلام - سبع سنين، أو تسع سنوات، أو تسع عشرة سنة وأشهرها، أو ثلاثين سنة، والبعض يقول إنها ليست أقل من سبع سنين ولا أكثر من سبعين سنة. محسن الأمين، في رحاب أئمة أهل بيت النبوة، المجلد رقم ٢، ٣، ٥، ص ٥. موسوعة الإمام المهدي، إعداد وتنظيم مركز الأبحاث العقائدية، قم، ١٣٧٦. معجم أحاديث الشيعة، الجزء الثالث، الأحاديث ذوات الأرقام، ٦٧٣، الجزء الرابع، رقم الحديث، ٨٥٩، ١١٤٩، ١١٥٠، أحاديث معجم الإمام المهدي، الجزء الأول، الأحاديث ذوات الأرقام، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٤، ٨٨، ٩٥، ٩٦)



مفاهيم الإسلام وأحكامه وتشريعاته العامة التي يجب على المسلمين تطبيقها في كل عصر وزمان، وفي هذا المجال يستدل الشيعة بقول الشيخ محمد رضا المظفر^{٤١٢}.

ومما يجدر معرفته في هذا الصدد أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنتقد المهدي أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي تجاهه بل يجب عليهم نصرته، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفة على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)، ولا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي، فإن هذا لا يسقط تكليفاً ولا يؤجل عملاً، وليعلم أن معنى الانتظار ليس تخلية سبيل الكفار والأشرار، وتسليم الأمور إليهم، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإقدامات الإصلاحية. فإنه كيف يجوز إيكال الأمور إلى الأشرار مع التمكن من دفعهم عن ذلك، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من المعاصي التي دلَّ عليها العقل والنقل وإجماع المسلمين، إن الذي يستفاد من الروايات والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت في هذا المجال، هو أن المراد من الانتظار هو: وجوب التمهيد والتوطئة والإعداد لظهور الإمام المنتظر، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (يخرج رجل يوطئ (أو قال: يمكن) لآل محمد، كما مكنت قريش لرسول الله، وجب على كل مؤمن نصره (أو قال: إجابته). ويستدلون بحديث آخر يقول: (يأتي قوم من قبل المشرق، ومعهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوه، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً، كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حبواً على الثلج).

٤١٢ - (محمد رضا المظفر، القيم عقائد الإمامية، قم، ١٣٥٤، ص ١١٧ - ١١٨).



ويستفاد من الروايات الشيعية - حسب فهمهم هم - أن التوطئة والتمهيد لظهور الإمام المنتظر والتأسيس لمشروعه الإلهي العالمي، يكون عبر خطوات كثيرة منها: الالتزام بتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ضد الأعداء، ومواجهة الظالمين والمستكبرين، والعمل على نشر الإسلام وتعريف الناس به، وتقديمه لشعوب العالم كطرح بديل ومنقذ، وكخيار وحيد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتقديم صورة مشرقة نقية وصافية وأصيلة عن الإسلام للعالم من خلال سلوكنا ومواقفنا وجهادنا، والسعي لإقامة الحكومة الإسلامية التي تمثل القاعدة التي تحكم بالإسلام، وإعداد جيل مؤمن واع مخلص ومضح وبحجم المسؤولية يتولى نصرته الإمام والإعداد لظهوره وعيا وإيماناً وتنظيماً وقوةً، وتربية الأمة - وخصوصاً شيعة الإمام - على طاعته والالتزام بأوامره، والتقيد التام بتوجيهات هذا المخلص^{٤١٣}.

إنّ فكرة المخلص - كما تذكر المصادر الشيعية - هي فكرة آمنت بها كل الديانات والرسالات من النصرانية والإسلام^{٤١٤} هي فكرة العمل والانتظار لذلك المخلص، ومن الحكمة لنا أن نكون من المنتظرين بالمعنى الإيجابي للانتظار لا الانتظار السلبي، أن نعمل ونسعى لنكون من المهددين للمهدي عليه السلام في القول والعمل وبناء الإنسان وخلق المجتمع الذي يكون عضداً له عند خروجه ومساعداً له في تحقيق أهدافه المرسومة من الله - سبحانه وتعالى، ألا وهي نشر العدل في الأرض ليكون بذلك حجةً على الذين عاثوا في الأرض فساداً أثناء حكمهم. أما الإشكالية الحقيقية فتبرز من خلال التعمق والإسهاب في أسباب

٤١٣ - (الشيخ الصافي الكلبايكاني، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، قم، ١٩٧٦، ص ١٦٧ - ١٦٨).

٤١٤ - (سعيد محمد حسن، المهدي في الإسلام، ص ٤٣ - ٤٤. مصطفى غالب، قائم القيامة، ص ٢٧٠٠. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، إصدار مركز الرسالة، ص ٨ - ٩. سعيد أيوب، المسيح الدجال، القاهرة، ص ٣٧٠ - ٣٧١. المهدي في الفكر الإسلامي، ص ٩. الشهرستاني، المهدي، ص ٦).



الظهور الحقيقية، والأهداف المتوخاة من وراء ذلك. فتذكر المصادر الشيعية أن غيبة المهدي هي نقطة ثانية يجتمع فيها عيسى - عليه السلام - مع السيد المسيح^{٤١٥}.

إلا أنه كانت للمهدي غيبته الصغرى، ومدتها تسعة وستون سنة، والكبرى بدأت سنة (٣٢٩) هـ حتى اليوم. وتقارن المصادر الفارسية بين غيبة المهدي وسيدنا عيسى - عليه السلام - فتقول: أما المسيح عليه السلام بدأت غيبته عندما رفعه الله إليه عند محاولة صلبه لقتله، وهي ممتدة حتى اليوم إلى أن يأذن الله له بالظهور، ففي ذلك وجه شبه - أيضاً - وغيبة السيد المسيح بنص قرآني ردّ على جميع المشككين بإمكانية بقاء الإنسان حيا لفترة زمنية طويلة، كما أن المهدي هي النقطة الثالثة التي نستخلصها من هذين العلمين، عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل يا رسول الله من أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب. قيل فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب» حديث واضح عدا عن الظهور المسلّم به عند المسلمين والنصارى للمهدي وللمسيح عليهما السلام^{٤١٦}. وقد علل الشيعة غايات الغيبة مثل: الخوف من القتل، تمحيص المؤمن من الكافر، ومحق الكافر وفقاً لقواعد القانون

٤١٥ - (معجم أحاديث الإمام المهدي، المجلد الأول، الثاني، الثالث... الأحاديث ذوات الأرقام: ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٥، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٣، ٦١٨، ٦٩١، ٧٥٩، ٧٦٠).

٤١٦ - (سعيد محمد حسن، المهديّة في الإسلام، القاهرة، المكتبة العلمية، ١٩٨٧، ص ٤٣ - ٤٤، مصطفى غالب، قائم القيامة، بيروت، دون دار نشر، ص ٢٧٠. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، بيروت، مركز الرسالة، ص ٨ - ٩، سعيد أيوب، المسيح الدجال، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٣، ص ٣٧٠ - ٣٧١).



الإلهي^{٤١٧}، ويذكر الشيعة أن المهدي ليس أول من يغيب، وأنه ليس في الغيبة عجب^{٤١٨}.

يؤدي الإجماع على رفض الظلم حتماً للوقوف صفاً واحداً ضد رأس الظلم والجور في عصرنا والمتمثل الآن في الغدة السرطانية المزروعة في قلب عالمنا العربي والإسلامي، في رفض الكيان الصهيوني الغاصب، وبالتالي دعم كافة أشكال المقاومة ضد هذا الكيان. وطبعاً لن نغفل أن في كل بلد إسلامي جهاد آخر لا نقلل من أهميته، فظلم الشعوب وقهرها من قبل السلطات الجائرة - كما في العراق مثلاً - يستدعي منا الدعم والعون والمؤازرة لهذه الشعوب المقهورة، فهذا جزء من الصراع وليس كل الصراع.

ويغرق الشيعة في استنباط المعاني والدلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي تتحدث عن المهدي في القرآن الكريم، وهذه الآيات مؤولة بأن الإمام المهدي الموجود وظهوره هو حق حسب هذه الآيات، كما صرح بذلك أئمة أهل البيت - عليهم السلام - الذين أنزل القرآن في بيوتهم، وأهل البيت أدرى بما في البيت. وإليك بعض تلك الآيات: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ [القصص]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ [النور]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ [التوبة] هذه الآيات من جملة الآيات المؤولة بالإمام المهدي، إن الله تعالى وعد المؤمنين الصالحين من هذه الأمة بمجتمع طاهر من كل رجس، وحياة طيبة مقدسة فاضلة. وقد ذكر أئمة أهل البيت - عليهم السلام -

٤١٧ - (معجم أحاديث الإمام المهدي، الأحاديث رقم: ١٦٤، ١٦٧).

٤١٨ - (معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٣، الحديث رقم ٧٧٠).



في تأويل هذه الآية الكريمة أن الوعد الإلهي يتحقق عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء]، ﴿... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾ [التوبة] ٤١٩.

وأما التأويل بأن عباد الله الصالحين يحكمون الأرض كلها، فقد روى الشيخ الطوسي - عليه الرحمة - في التبيان في تفسير الآية عن الإمام الباقر عليه السلام: أن ذلك وعد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض، ويستدل الشيعة كذلك بالأحاديث النبوية حول المهدي، ويؤولونها كما يريدون، ويرون أنها تشكل أكبر دليل على المهدي الشيعي الذي سينقذ العالم، وهي المروية عن النبي فتارة يبشر رسول الله ﷺ المسلمين بالإمام المهدي - عليه السلام - في ضمن الأئمة الاثني عشر، وأنه هو الثاني عشر، وتارة أخرى يخبر عنه أنه من ولد فاطمة الزهراء - عليها السلام - وأنه من صلب الحسين، وأنه الإمام التاسع من ولد الحسين - وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تواتر حديث المهدي - عليه السلام، وأن الرسول الأعظم ﷺ كان يبشر الأمة الإسلامية بظهوره في كل زمان ومكان، صحيح أن الإسلام ظاهر على الدين كله من حيث الحجة، ومن هنا فإن الوعد الإلهي يشمل الإظهار مطلقاً، وهذا لم يحدث مطلقاً ٤٢٠.

فالأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ حول الإمام المهدي مثل: قال رسول الله ﷺ لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. كذلك قال رسول الله ﷺ المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة. كذلك حديث رسول الله ﷺ: تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعمائة أو تسعمائة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. ومن

٤١٩ - (قام الشيعة بتأويل معاني هذه الآيات حسب وجهة نظرهم، انظر: الرازي، التفسير الكبير، الجزء ١٦، ص ٤٠ معنى الظهور وكيف أولها الشيعة كذلك. تفسير الطبري، ج ١٤، ص ٢١٥. تفسير القرطبي، ج ٨، ص ١٢١، مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٥).

٤٢٠ - (الرازي، التفسير الكبير، ج ١٦، ص ٤٠. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، ص ٢٢. مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٥).



أدلتهم النقلية ما نسبوه إلى الرسول ﷺ من قوله للحسين: " هذا إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم، اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً". وقالوا: هذا الحديث مشهور عن رسول الله ﷺ وقد توارثته الشيعة خلفاً عن سلف ٤٢١.

ويعتقد الشيعة "الاثنا عشرية" أن الإمام الثاني عشر ٤٢٢ قد اختفى بعد سنوات من مولده عام ٢٥٦ للهجرة. فهم يقولون: إن الإمام لما بلغ خمس سنين قبض أبوه الإمام الحسن العسكري، ولما تحرك العباسيون لإلقاء القبض عليه، غيبه الله عز وجل سبعين عاماً، التي هي «الغيبة الصغرى». وخلال هذه الفترة كان الإمام يتصل بشيعته ومواليه من خلال النواب الأربعة، إلى أن توفي السفير الرابع، فترك الإمام قاعدة عامة عندما سئل: لمن الرجوع بعدك؟ فحدد الشروط بقوله: ارجعوا إلى رواة حديثنا. فقالوا من هم؟ قال: «فأما من كان من الفقهاء، حافظاً لدينه، صائناً لنفسه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه». وثمة أسطورة تروى وتنسب للشيعة الإمامية حول «الغيبة الكبرى»، وهي أسطورة الخروج من السرداب، حيث يقف الشيعة عند الغروب بباب السرداب في سامراء

٤٢١ - (معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٨١ - ٨٦، ٩٧ - ٩٨ - ١٠٦ - ١٠٨ .
١١٠ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٩ - ١٢٦، ١٢٢، ١٢٨ . بحار الأنوار، ج ٥١، ص
(٧٤).

٤٢٢ - (الأئمة عند الشيعة هم: الإمام الأول: علي بن أبي طالب، الإمام الثاني: الحسن بن علي، الإمام الثالث: الحسين بن علي، الإمام الرابع: علي بن الحسين، الإمام الخامس: محمد بن علي بن الحسين، الإمام السادس: جعفر الصادق بن محمد، الإمام السابع: موسى كاظم بن جعفر، الإمام الثامن: الرضا بن موسى كاظم، الإمام التاسع: محمد ابن الجواد الرضا، الإمام العاشر: علي الهادي بن محمد، الإمام الحادي عشر: الحسن العسكري، الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن. مناقب ابن شهر آشوب، الجزء الأول، ص ٢٩٨ . معجم أحاديث الشيعة، الجزء الأول، الحديث رقم ١٥٥ والحديث رقم ١٥٤ . بحار الأنوار، الجزء السادس، ص ٢٥٩).



يلبسون الأكفان، ويضعون لهم بغلة، ويشهرون السيوف ترقباً وانتظاراً لخروج صاحب الزمان من السرداب الذي مكث فيه قروناً عديدة، ولم يخرج حتى الآن - بحسب المعتقد الشيعي - لأنه خائف، وهذا عليه أغلبهم إلى الآن، ولذلك من أسمائه أو من ألقابه عندهم الخائف. رغم أنه إمام الناس الذي ينتظرونه باعتباره مخلصاً لهم من الظلم والطغيان. والأخطر من ذلك ما يعرف بنظرية الاتصال بالمهدي وأخذ تعليمات منه، وإصدار الفتاوى بناء على ذلك^{٤٢٣}، وما إصدار محمد مصباح يزدي فتوى أن نجاد هو مرشح المهدي إلا أكبر دليل عن مدى تأثير الشيعة بفكرة المهدي، وكيف تلعب دوراً مهماً في تشكيل وعيهم^{٤٢٤}.

أما عن هدف الانتظار فيقول علماء الشيعة: إن الله ادخر إمامنا المهدي لمرحلة زمنية مستقبلية يقود فيها عملية تغيير شاملة على امتداد العالم، فيظهر الله به الأرض من الجور والفساد (ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، ولا يبقى - كما في بعض الروايات - في المشارق والمغرب أرض إلا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأن علياً ولي الله.

لا شك في أن فكرة الغيبة والظهور منوطة بإرادة الله عز وجل مباشرة، ولكن الله أراد أن يتحدد الظهور ببعض العوامل والشروط لأجل إنجاح اليوم الموعود وعملية التغيير الشاملة التي يقودها المهدي، وهذه العوامل هي مما يجب تحقيقه قبل الظهور، حيث لا يمكن أن يحصل الظهور من دونها، حيث قد يظن بعض الناس أن الظهور يتوقف على امتلاء الأرض ظلماً وجوراً انطلاقاً من النصوص التي تفيد بأن الإمام (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً).

٤٢٣ - (الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، تهران، ١٣٩٣ هـ ق ج ٥٢ ص ١ - ٧٧، ص ١٧٨ - ١٨٠ كتاب، الشيخ النوري، جنة المأوي في ذكر من فاز قم، ص ٢٩٣، ص ٦١ - ٦٤، علي بن عيسى الإربيلي، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، مشهد، انتشارات علمي، ١٣٥٨، ص ٨٧ - ٨٩)

٤٢٤ - (تحدثنا عن هذا الموضوع سابقاً).



وبالتالي فإنهم يعتقدون بأن تطور الظلم والجور في حياتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية شرط وعامل مؤثر في الظهور وتعجيل الفرج، حتى إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً ظهر الإمام وأعلن ثورته ضد الظالمين وفرج عن المهجورين. ومن الواضح أن هذا الاعتقاد إن لم يؤدي إلى المساهمة في توسيع رقعة الفساد والظلم والجور في الأرض، فهو يؤدي في الحد الأدنى إلى عدم مكافحة الظلم والجور والخضوع للأمر الواقع الفاسد؛ لأن العمل خلاف ذلك يؤدي إلى إطالة زمن الغيبة وتأخير الفرج. على أنه ليس معنى كلمة (أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً) الواردة في بعض النصوص، هو أن تنعدم قيم الحق والتوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا يبقى موضع يُعبد الله فيه، فهذا الأمر مستحيل على خلاف سنن الله.. وإنما المقصود بهذه الكلمة طغيان سلطان الباطل على الحق في الصراع الدائر بين الحق (الشيعة) والباطل.

وقد كانت غيبة المهدي - بنظرهم - بسبب طغيان الشر والفساد والظلم، فكيف يكون طغيان الفساد والظلم شرطاً وسبباً لظهور الإمام وخروجه؟ على أن ما هو موجود في النصوص تعبير (يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) وليس (بعد أن ملئت ظلماً وجوراً)، وليس معنى ذلك أن الإمام ينتظر أن يطغى الفساد والظلم أكثر مما ظهر إلى اليوم ليخرج، وإنما معنى النص أن الإمام إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً، ويكافح الظلم والفساد في المجتمع حتى يظهر المجتمع الإنساني منه كما امتلأ المجتمع البشري بالظلم والفساد من قبل^{٤٢٥}. ولعل من أهم العوامل المؤثرة في تحقيق الظهور - بل وتقريبه وتعجيل الفرج - هو توافر العدد الكافي من الأنصار والموظفين الذين يعدون المجتمع والأمة لظهور الإمام، ويوطنون الأرض ويهدونها لثورته الشاملة، ويدعمون حركة الإمام ويسندونها، ومن دون هذا

٤٢٥ - (الأحاديث التي يعتمد عليها الشيعة في الحديث عن الغيبة ينسبونها إلى الأئمة، كتاب معجم أحاديث الشيعة، الجزء الثالث، الأحاديث ذوات الأرقام ٨٩٥، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٣).



الإعداد، وهذه التوطئة لا يمكن أن تحصل هذه الثورة الشاملة في سنن الله تعالى في التاريخ، وذلك انطلاقاً من الحقائق التالية:

أولاً: إن الإمام لا يقود حركة التغيير الشاملة بمفرده، لأن الفرد الواحد مهما أوتي من قوة وكمال عقلي وجسمي وروحي، لا يمكن أن يحقق إنجازاً كبيراً بحجم الإنجاز الضخم الذي سيحققه الإمام على امتداد الأرض، خصوصاً إذا تجاوزنا الفرضية الآتية وهي استخدام المعجزة من قبله من أجل تحقيق النصر.

ثانياً: إن الإمام لا يحقق الإنجازات الكبيرة التي ادخره الله لأجل تحقيقها في آخر الزمان عن طريق المعجزة والأسباب الخارقة. . وقد نفت الروايات استخدام الإمام المعجزة في ثورته، وأكدت دور السنن الإلهية في التاريخ والمجتمع في تحقيق هذه الثورة الكونية الشاملة وتطويرها وإكمالها.

ولا يعني ذلك أن الله لا يتدخل إلى جانب هذه الثورة بألطفه وإمداده الغيبي، فإن ثورة الإمام في مواجهة الطغاة والأنظمة والمؤسسات الاستكبارية الحاكمة والمتسلطة على رقاب الناس، لا تحصل من دون إمداد غيبي وإسناد وتأيد من قبل الله سبحانه، والنصوص الإسلامية تؤكد وجود هذا الإمداد الإلهي في حركة الإمام وتصف كيفيته، إلا أن هذا المدد الإلهي أحد طرفي القضية، والطرف الآخر هو دور الأسباب الطبيعية والوسائل المادية في تحقيق هذه الثورة وحركتها، فإن الاعتماد على هذه الأسباب لا يتعارض مع المدد والإسناد الإلهيين، وشأن حركة المهدي شأن دعوة رسول الله ﷺ إلى الإسلام والحركة التي قام بها لتحقيق التوحيد في حياة الناس. فقد كانت هذه الحركة موضع عناية ورعاية الله وإمداده الغيبي بالتأكيد، ونصر الله سبحانه رسوله ﷺ بالملائكة المسومين والمردفين والرياح وجند لم يروهم، ونصره على أعدائه بالرعب. . ولكن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يعدّ العدة لهذه المعركة المصيرية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ



فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ ﴿٤٢٦﴾ . وتمت مراحل هذه المعركة بموجب سنن الله في التاريخ والمجتمع، فكان يستخدم فيها رسول الله الجند والمال والسلاح، ويخطط لها ويفاجئ العدو بوسائل وأساليب جديدة للقتال، ويفاجئه في الزمان والمكان^{٤٢٧}.

لكن ما هي فائدة وجود المهدي "الإمام الغائب"؟ وكيف يُمكن للإمام الغائب عن الأنظار أن يهدي؟ إنَّ المهدي هو القائد والزعيم والإمام، ووجود القائد لا يكون مفيدا إلا أن يكون مُتصلا بشكل مستمر بأصحابه. فكيف يمكن للإمام الغائب عن الأنظار أن يؤدي دوره القيادي؟

إن حياة الإمام في زمن الغيبة - وفق التصور الشيعي - هي حياة خاصة وليست حياة اجتماعية عادية، ومع هذا يجوز لنا أن نسأل ما هو الأثر العام لهذا الإمام المدّخر للناس؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الناس من وجوده؟ فهو كنبع ماء الحياة الزلال الموجود في الأعمال حيث لا أحد يصل إليه. إضافة إلى ذلك هل مفهوم الإمام المهدي، هو أن وجوده تبدل إلى روح لا مرئية أو أمواج خفية أو أشعة وأمثالا، ولم يدع أحد بشأن غيبته غير هذا وفرق كبير بين المجهول واللامرئي، ولكن ما هي فوائد ذلك حسب الفهم الشيعي، فوجود الإمام والقائد هو سبب في بقاء المذهب الشيعي والحفاظ عليه، وقد أثبتت التحليلات العقلية والاجتماعية أن للاعتقاد بوجود إمام كهذا طول مدّة غيبته أثر عميق في المجتمع الشيعي، وذلك أن لكل مجتمع مؤسسات، يحتاج في بقائها واستمرارها وتحقيق هدفها إلى رئيس وقائد، كلما كان هذا الرئيس في قلب المجتمع، كان تدخله في قيادة الأمة وإدارة شؤونها لازم وضروري.

٤٢٦ - (سورة الأنفال/٦٠).

٤٢٧ - (علي دغموش، الانتظار والعوامل المؤثرة في الظهور، قم، دار الحوزة العلمية،

١٣٧٤، ص ١٨ - ١٩)



ولكن لو كان هذا القائد لأسباب ما محبوسا أو مُبعدا أو مريضا، فإنَّ وجوده كاف لمواصلة أتباعه لطريقهم، لأنَّهم بأمل وجود ذلك القائد يتعاونون ويتحدون ويواصلون نشاطهم، ويقارن علماء الشيعة هذا الأمر بين الرسول الأكرم ﷺ ومهدي الشيعة، فهم يستدلون أنه عندما شاع خبر وفاة الرسول ﷺ بين المسلمين في الوقت الذي كانوا يردُّون هجوم العدو، وعندما تيقن المسلمون من قتل القائد، فرَّ كل منهم إلى جهة وتركوا القتال، وفكر البعض بالالتحاق بالعدو. لكن عندما كذَّب خبر قتل الرسول ﷺ وعلم المسلمون بقاءه حيا، ورآه البعض بعينه، اجتمع الجيش المتفرق مرة أخرى، من أطراف جبل أحد ومن مختلف الصخور حول النبي ﷺ وشرعوا بالحرب والدفاع مرة أخرى، وإنَّ الجيش يسعى دائما لأن تكون رايته مرفوعة في ساحة الحرب أمام العدو، بينما يسعى العدو دائما للإطاحة براية أعدائه، لأنَّ ثبات الراية وارتفاع العلم سبب في أمل الجنود وسعيهم الحثيث وقتالهم المستمر.

وهكذا وجود القائد للجيش في مقر القيادة، مهما يكون صامتا في الظاهر، فإنه يُحرك في عروق الجند الدم المتأهب، ويحرضهم على مواصلة القتال، ولشعورهم بأنَّ قائدهم حيٌّ ورايتهم خفاقة، وما إنَّ يشيع خبر قتل القائد بين الجيش حتى يتلاشى الجيش العظيم فجأة، وكأنَّ ماء باردا صبَّ على رؤوسهم، أو غادرت الروح أجسادهم. وما دام رئيس جمعية أو دولة فإنه يكون مبعثا لحياتها ونظامها وحركتها، وإنَّ كان في السفر أو على فراش المرض، لكن سماع خبر موته ينشر على رؤوس الجميع غبار اليأس وفقدان الأمل. وإنَّ مجتمع الشيعة - طبقا لاعتقادهم بوجود الإمام الحي رغم أنهم لا يرونه - يجعلهم لا يحسون بالوحدة. إنَّ المجتمع الشيعي ينتظر دائما عودة ذلك المسافر الذي يحمل معه قوافل القلوب، وإنَّ انتظاره البناء المؤثر يزيد من احتمال ظهوره كل يوم. وإنَّ أثر هذا التفكير الروحي في إحياء الأمل في القلوب وتحريض الأفراد على التزكية والإصلاح والاستعداد لتلك الثورة الكبيرة، يمكن إدراكه جيدا، وإنَّ لم يكن لهذا



القائد وجود خارجي، لم ينتظر محبو مذهبه ورسالته ولادته في المستقبل، فإن الأمر يختلف كثيراً. ولو أضفنا لهذا الموضوع أمراً آخر سيتخذ الجواب شكلاً جديداً، وهو: طبقاً لاعتقاد الشيعة العام الذي جاء في روايات كثيرة تضمنتها المصادر الدينية فإن الإمام يراقب أحوال وأوضاع شيعته بشكل مستمر في زمن الغيبة، ويطلع على أعمالهم بإلهام من الله تعالى، وتعبير الروايات أنه تقدم له كل أسبوع صحيفة أعمالهم فيطلع على أعمالهم وأقوالهم.

إنّ هذا التفكير يكون سبباً في أن يُراقب كل المعتقدين به أعمالهم دائماً، ويذكرونه عند قيامهم بأي عمل، ولا ينكر الأثر التربوي لهذا التفكير كلما اعتقدت أمة بحياة قائدها وانتظارها لأمر الله بالظهور، فإنها لن يصيبها اليأس، ولن تفقد وحدة كلمتها، بل تسعى لحفظ مذهبها ودينها لتحقيق هدفها. ولكن لو قيل لهذه الأمة: لا قائد لكم، وإن قائدكم سيولد مستقبلاً، ولا يعلم وقت ولادته، بل إن أجداده لم يولدوا بعد، فهل توجد في أمة كهذه روح الانتظار البناءة والمحركة؟ وهل توجد فيها القوة اللازمة لذلك؟ وهل تتأثر أنظمتهم المادية والمعنوية بهذه العقيدة أم أنّ هذا الأمر ينتهي بتشتت الأفراد وتفرقهم وهلاك الدين؟ ونقول لنوضح جيداً موقع الإمام - عليه السلام - الغائب وأثره في المجتمع وفي أذهان أتباعه والمعتقدين به: إنّ الإيمان بالنصر النهائي وانتظار المصلح العالمي، لو وصل إلى مرحلة المعرفة والعلم البناء سيكون مصدراً للحركات والثورات والنهضات.

أما الأمر الآخر فإن هناك فوائده للإمام المنتظر للأمة الإسلامية خاصة في حراسة دين الله "الإسلام الشيعي"، فقد ورد في الأحاديث المتعددة الواردة بشأن فلسفة وفائدة وجود الإمام - حسب الرؤية الشيعية - في زمن الغيبة هناك تعبير لطيف وبلغ في عبارة قصيرة، قد يكون مفتاحاً لحلّ هذا السرّ العظيم، وهو صادر عن النبي ﷺ: إذ قال في جواب عن سؤال ما هي فائدة المهدي - عليه السلام - في عصر غيبته: (إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يتفجعون بنور ولايته في غيبته



كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب). إن صدر الإمام الغائب وروحه العالية هي صندوق محكم لحفظ أسانيد ووثائق دين الله؛ يحفظ فيه الأصالات الأولية والخصائص السماوية لهذه التعاليم، كي لا تبطل الأدلة الإلهية وآيات الله الواضحة ولا تنطفئ^{٤٢٨}.

وإذا خرج المهدي فإنه أولاً يأتي بقرآن جديد، كما جاء ف" لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد، على العرب شديد"، ثم هو حريص - بحسب ظنهم - على قتل العرب قتلاً شديداً. ونقلوا عن أبي جعفر قوله: " لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم". ويهدم - بحسب المعتقد الشيعي - الحجرة النبوية ويحرق جثة الشيخين، " وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة [يعني الحجرة النبوية] أخرج من بها وهما طريان [يعني أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما] لأنهما دفنا مع رسول الله ﷺ في بيته وبجوار قبره - فأمر بهما تجاه البقيع، وأمر بخشبتين يصلبان عليهما"^{٤٢٩}.

أما في رجعتة المزعومة فسُيقيم الحد على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- (. . . أما لو قد قام قائمنا - يعني: خرج الإمام في رجعتة - لقد ردت إليه الحميراء، حتى يجلد لها الحد". ويهدم المسجد الحرام، ويعذب المشرفين على الحرمين الشريفين، فقد روي^{٤٣٠}: " إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام،

٤٢٨ - (بحار الأنوار، مرجع سابق، ١٣ ص ١٢٩، أعلام الوري، مرجع سابق، ص ٢٠٠،
قصار الكلمات، مرجع سابق، ٤٧).

٤٢٩ - (النعمانى، كتاب الغيبة، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٤).

٤٣٠ - (الحر العاملي، الإيقاظ من الهجعة، مرجع سابق، ص ١١٥، المفيد في كتابه
"الإرشاد"، مرجع سابق، ص ٨٩ - ٩٠ والطوسي في كتابه "الغيبة" مرجع سابق، ص
٢١٣ - ٢١٤).



وقطع أيدي بني شيبه، وعلقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سراق الكعبة" (٤٣١).

وتأسيساً على ما سبق فإن الفكرة الأساسية للإمبراطورية الشيعية الموعودة - من خلال ما تتضمنه فكرة المجال الحيوي للإمبراطورية الشيعية الموعودة من فروض - هو ما يتصل بالتقسيم الثنائي للعالم الإسلامي وفق هذه الفكرة، ولكن هذه المرة سوف تشمل العالم الإسلامي وغير الإسلامي ليتم توحيد العالم كله تحت راية المهدي الشيعي^{٤٣٢}، وهذا التقسيم الثنائي للعالم وفق التصور الشيعي لإمبراطوريتهم الموعودة يتمثل بما يلي:

١ - إيران مركز القلب المذهبي: إن دولة القلب المذهبي (إيران) هي المركز والداعم للمهدي، وستكون قاعدة الدعم العسكري والبشري، الاقتصادي،

٤٣١ - (النعمانى، الغيبة ص ١٧٩، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠٩؛ ٢٤٠؛ ج ٢، ص ٢٩١؛ بشارة الاسلام، ص ١٢٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢١٠؛ بحار الأنوار ج ٥٢، ص ١٨٢، بحار الأنوار ج ٥٢، ص ١٨٢. بحار الأنوار ج ٥٢، ص ١٨٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣١ إشارة الإسلام، ص ١٢٥، ١٢٣. غيبة النعماني، ص ١٧١؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٢. طوسي، الغيبة، ص ٢٦٧، ٢٦٩. بشارة الإسلام ١٤. شيخ مفيد الإرشاد، ج ٢، ص ٢٧٩؛ كمال الدين، ص ٦٤٩؛ الغيبة، شيخ طوسي، ص ٢٦٧؛ أعلام الوري. ص ٤٢٦. ٤٣٠؛ منتخب الأثر، ص ٤٦٤.، شيخ مفيد، لارشاد ج ٢، ص ٣٧٩؛ أعلام الوري، ص ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠؛ الإرشاد، ج ٢، ص ٣٧٧. أعلام الوري، ٤٢٩، الغيبة، ص؛ الارشاد، شيخ مفيد ج ٢، ص ٣٧٧؛ شيخ طوسي، الغيبة، ص ٢٧٤. يوم الخلاص، ص ٥٤٣، بيان الأئمة ج ٢، ص ٤٣١. كمال الدين، ص ٦٥٥ المهدي والمهدون، الغيبة، شيخ طوسي، ص ٢٦٧. بيان الأئمة ج ١، ص ٣٣٥. نعماني، الغيبة، ص ١٦٨؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٢٩؛ آيت الله صدر، المهدي، ص ١٩٨. . الغيبة، نعماني، ص ١٦٨؛ بحار الأنوار ج ٥٢، ص ٢٢٩).

٤٣٢ - (الإيرانيون لا يعترفون بإسلامية الدول الأخرى، لكن لم نجد تسميات للدول للتفرقة بين الدول العربية والإسلامية والدول المسيحية الأخرى).



الولوجستي، وسوف نبحت هذا الموضوع من خلال الدور المنوط بإيران في هذا المجال في الصفحات القادمة .

٢ - الهالين الخارجيين الإقليمي والدولي: الهلال الأول: ويضم الدول التي تمثل أهمية قصوى لدولة المهدي الشيعي، وتشمل: الحجاز، العراق، بلاد الشام. أما الهلال الثاني - حسب الرؤية الشيعية لاستراتيجية المهدي - فيشمل بقية دول العالم .

وهذا بالتأكيد يتضمن تحديد الخصائص التاريخية الجواستراتيجية مذهبية ضمن تتابعها المذهبي الصرف سعياً لتحليل رؤية الشيعة لأهداف المهدي، وكيفية تمهيد الأرضية اللازمة لعودته، وكيف تتعامل إيران اليوم مع دول الهلال الخارجي التي تمثل مناطق توسع للمهدي الشيعي القادم؟ وما هي الأساليب التي تتوسل بها للتأثير على واقع هذه الدول لتسريع بعودته الميمونة؟ وكيف تتعامل مع مداخل الأزمات بهدف توظيفها لخدمة أهدافها المزعومة، وحتى رفع سقف المؤشرات للتدليل على قرب ظهوره، كالتسريع في التخريب والقتل، ونشر الهرج والمرج، على اعتبار أن المهدي الشيعي لن يظهر، إلا إذا اقترن ظهوره بهذه المتغيرات؟ وكذلك كيف تنظم إيران "دولة مركز انطلاق" المهدي علاقاتها المتشعبة مع دول الهلال الخارجي، وتمهيد الأرضية التي تمكن المهدي من إحراز التقدم العسكري والمذهبي دون مشاكل، وهذا الأمر يتضمن بناء إيران لقواعد ارتكاز ومصدات ستكون جاهزة للتحرك بمجرد ظهور المهدي لمساعدته في أداء مهمته، بحيث يمكن الاستفادة منها كذراع قوي لتكوين مصدات داخل هذا الدول حماية ليس لمصالح دولة القلب المذهبي، بل انسجاماً للحفاظ على دورها المستقبلي في الإسهام في بناء إمبراطورية المهدي الشيعي التي ستحكم العالم؟

لا شك بأن هناك مجموعة أخرى من العناصر الأساسية التي تمثل عوامل قوة لإيران وفق نظرتهم المذهبية للإمبراطورية المهديوية القادمة، فهي تشمل محددات جغرافية لدولة القلب المذهبي تتمثل بفعالية الموقع وأهميته بالنسبة



للمهدي الشيعي، حيث سوف تدعم إيران قوة المهدي من خلال بنائها دولة القلب المذهبي، بحيث ستكون جاهزة للانطلاق، بعد أن تصبح دولة المركز أقوى دولة عسكرية واقتصادية في المنطقة، فمرونة الموقع وقوة إمكاناته، سوف تمكن دولة القلب المذهبي في أن تصبح حلقة الاتصال بين القلب والأطراف (الهلال الإقليمي والخارجي)، هذا عدا عن فعالية هذا الموقع وإمكاناته ومكوناته في بناء دعائم مصدات دفاع مذهبي داخل الدول التي ستكون هدفا لفتوحات المهدي الشيعي القادم من بلاد فارس.

كذلك ما يتمتع به هذا الموقع وما أكسبه لإيران من أهمية تتمثل بمواردها العسكرية (التقليدية وفوق التقليدية) الاقتصادية، الروحية، وما تمتلكه من موارد داخلية وخارجية كامنة، وكذلك فإن للجزر الإيرانية سماتها، خاصة أن تكوينها لوحداث جغرافية سوف تشكل نقاط ارتكاز تمنع تقاطعها الطبيعي مع الحدود السياسية للهلال الخارجي الذي سوف يشكل خطوطاً دفاعية مذهبية من الدرجة الأولى، ولهذا فهي متحفزة للاستفادة من الموارد القادمة من الأقليات الشيعية والإيرانية في دول الهلال الإقليمي وإمكاناتها المختلفة، وتدوير هذه الموارد لدعم جهود المهدي لتحرير الشعوب من خلال تشيعهم، ومن هنا فإن إحدى أهم اهتمامات دولة القلب المذهبي الشيعي هو السعي للسيطرة على موارد إضافية جديدة من دول الهلال الإقليمي التي دخلت فعليا ضمن مجالها الحيوي المذهبي وفي مقدمتها العراق ونفطه، وهذا يفسر أهداف إيران من صياغة حركة اقتصادية فعالة بين مركز دولة القلب المذهبي الشيعي والجيوب الشيعية بصور وأشكال مختلفة ليكون العراق أول خطوط الإمداد المذهبي، ويمثل في الوقت نفسه أقوى المصدات التي تسعى دولة القلب المذهبي "إيران" لبنائها.

ووفق هذه الرؤية فإن هذا يفسر - أيضا - سعي إيران إلى تأسيس "قواعد ارتكاز ومداخل نفوذ" في المقتربات الجغرافية داخل الهلال الداخلي والخارجي، بهدف تجنب التعرض المباشر للعدو لحظة اندلاع أية نزاعات جديدة، وعدم



التعرض " لمركز المجال الحيوي " في حال تهديده نتيجة نشوب أية أزمة مستقبلية، وهذا الأمر لم يتحقق دفعة واحدة أو بين عشية وضحاها، بل استفادت الجمهورية الإسلامية بصورة هادئة ومرحليا من الظروف الداخلية الإيرانية، وكذلك المتغيرات الإقليمية والدولية للتفرغ بهدف بناء هذا المجال وعلى مراحل متعددة من خلال تداخلها وتفاعلها مع مداخل الأزمات الإقليمية الموجودة في المنطقة، ومستفيدة في الوقت نفسه من الظروف الدولية التي باتت تستهدف الإسلام السني، وتقديم الشيعة لأنفسهم كبديل، كل ذلك بهدف تهيئة الظروف والأدوات لنجاح المهدي الشيعي الذي سيخرج العالم من الظلمات إلى النور.

ومن هنا نجد أن إيران تنطلق من خلفيات إمبراطورية مذهبية وخرافية حاكمة على دول العالم السني، وأنها مستعدة للتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق هدف السيطرة على المنطقة من خلال رؤية مهدوية تُقسم العالم إلى أقاليم جغرافية، ومن هنا فإننا سنبحث هذه الأقاليم، والإطار الجغرافي والزمني للإمبراطورية الشيعية الموعودة، وما هي مقوماتها، ودور إيران فيها؟ وسوف نبحث هدف إيران " دولة القلب المذهبي " من تبني استراتيجية داخلية تهدف لمحاصرة أهل السنة والجماعة في إيران على اعتبار أن هذه الجماعة تُشكل خطراً كبيراً على دولة القلب المذهبي وعلى دولة المهدي التي سوف تظهر.

أولاً: الإطار الجغرافي للإمبراطورية الشيعية الموعودة:

أ - الهلال الشيعي الأول في استراتيجية المهدي الشيعي: الحجاز

تتفق الأحاديث في مصادر الشيعة على أن مقدمة ظهور المهدي في الحجاز سيسبقه حدوث فراغ سياسي فيه وصراع على السلطة بين قبائله " ٤٣٣، وتكون بدايته من خلال قتل ملك بسبب قضية أخلاقية، ثم تهتز مؤسسة الحكم في الحجاز، فكلما نصبوا ملكاً لا يبقى لأكثر من سنة، وينتهي الأمر إلى ظهور

٤٣٣ - (عصر الظهور، مرجع سابق، ص ٢٦١).



المهدي^{٤٣٤}. ومن العلامات البارزة المتزامنة مع ظهور الإمام المهدي - كما يتناول علماء الشيعة - الرايات السود، أو أصحاب الرايات السود، وقد روى الأحاديث المتعلقة بالرايات السود أكابر علماء شيعتهم.

والخلاصة ضمن هذه الرؤية أنه لن يبقى لنظام الحجاز من الملك إلا الاسم فقط، وبعض خلفاء الملك المقتول لن يبقى في الحكم إلا أشهراً وبعضهم أسابيع، وآخر أياماً^{٤٣٥}. ويبدو أن المهدي الشيعي - وبتوجيه من الله تعالى - سيغتنم فرصة ضعف النظام وانهياره، فيظهر، ويبدو - أيضاً - أن علية القوم سيبايعون المهدي دون أن يطلب منهم ذلك، وأن البيعة ستكون في مكة بين الركن والمقام^{٤٣٦}. وروى الشيعة أقاويل وأحاديث كثيرة مثل: ما روي عن الإمام السجاد قوله: " يكون قبل خروجه " أي المهدي " خروج رجل يقال له عون السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه بكريت، وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفيناني الملعون من الوادي اليابس وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان^{٤٣٧}.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نفهم الأسباب الكامنة وراء دعم دولة الحلم الإمبراطوري " إيران " اليوم لعدم الاستقرار في المملكة العربية السعودية سواء كانت من خلال دعم الاتجاهات المسلحة لزعزعة الاستقرار في بلاد الحرمين الشريفين، أو من خلال دعم أحداث العنف واستغلال مواسم الحج لذلك، وتورط إيران وأجهزة استخباراتها في هذا الأمر، وكذلك التهديد باستهدافها من خلال إطلاق التهديدات للدول الخليجية في حال استهداف إيران عسكرياً، كذلك لا يخفى على أحد الحملة المنظمة لتشويه صورة السعودية وعلمائها، ومحاولة

٤٣٤ - (عصر الظهور، ص ٢٦٢).

٤٣٥ - (أحاديث الإمام الصادق في البحار ج ٥٢ ص ٢١٠ و ٢٤٠. وحديث الإمام الباقر في كمال الدين للصدوق، ص ٦٥٥، وحديث الإمام الرضا في البحار ج ٥٢ ص ٢١٠).

٤٣٦ - (الأحاديث النبوية ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ ج ١ من المعجم).

٤٣٧ - (معجم أحاديث الشيعة، ج ٣، مرجع سابق، الحديث رقم ٧٢٠)



مواجهة سياسة السعودية لدعم المذهب السني خصوصا في الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، ومحاولة إطلاق صفات كثيرة بهدف مواجهة جهود السعودية في هذا المضمار، وهذا يتضح من خلال الأوصاف التي تطلقها إيران على السعودية بغرض تشويه صورتها الإسلامية مثل: الإسلام الوهابي، الطالباني، إسلام القاعدة^{٤٣٨}.

ب - الهلال الشيعي الثاني في استراتيجية المهدي: العراق

هي المرحلة الثانية حسب الزعم الشيعي، حيث سيتجه المهدي إلى العراق، ويقوم بإنشاء القاعدة المركزية للعمليات العسكرية له ولخلفائه وأعوانه خاصة من إيران التي تمثل نواة الإسلام الحقيقي، وأم القرى بالنسبة للعالم الإسلامي. وبعد أن يتخذ الكوفة عاصمة سياسية له، سوف يخضع المهدي مكة والمدينة وما بينهما لسلطانه، ثم يتجه إلى العراق - والكوفة بالذات. ويقدم الشيعة آراء كثيرة في هذا المجال، حيث روى الإمام الباقر: "أن الإمام المهدي يدخل الكوفة وفيها رايات ثلاث^{٤٣٩} قد اضطربت، فتصفو لهم، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء"^{٤٤٠}.

لكن لماذا اختار المهدي العراق قاعدة انطلاق لعملياته الميدانية للتوسع واستكمال الهيمنة على العالم الإسلامي؟ ولماذا اتخذ الكوفة عاصمة لمؤسساته السياسية والأمنية التي سوف يقوم بنائها؟ يزعم الشيعة أن العراق سيكون نقطة تجمع كبرى لشيعة أهل بيت النبوة، ففيه أعوانه وأنصاره، ولأن العراق مجاور لبلاد الشرق (فارس) وما حولها، تلك البلاد التي تضم نخبة شيعة أهل بيت النبوة، ولأن في إيران آنذاك حكم موال لأهل بيت النبوة (أم القرى، فاتيكان شيعة العالم) وجند مجندة للمهدي، وهم حملة الرايات السود القادمة من إيران.

٤٣٨ - (تم تناول هذا الموضوع سابقا بشكل مفصل).

٤٣٩ - (من المؤكد أنها رايات أهل السنة).

٤٤٠ - (الحديث رقم ٨٣٨).



يُفهم من الأحاديث النبوية، ومن أحاديث أئمة أهل بيت النبوة، بأن المهدي الشيعي سيجعل من مدينة الكوفة قاعدة له، ومنطلقاً لأعماله الحربية، ومقراً لقيادة عملياته العسكرية، ويبدو من الأحاديث التي يرويها الشيعة بأن السفيناني سيخطط للاستيلاء على كافة البلاد العربية والإسلامية وتكوين إمبراطوريه أموية تسخر كافة طاقاتها ومواردها لإجهاض حركة المهدي والقضاء عليه، وتنفيذاً لهذا المخطط يسير السفيناني سراياه وجيوشه إلى فلسطين والأردن وسوريا والعراق والجزيرة، ويشتبك عسكرياً مع الأتراك، ويكتب إليهم للدخول في طاعته وإلا غزاهم.

وتُبين الأحاديث الشيعية بأن المهدي بعد قضائه على السفيناني وحركته، وأثناء ذلك سيتابع عملياته الحربية ليفتح كافة حصون الضلالة في الشرق خاصة العالم الإسلامي، وسيظهر العالم الإسلامي من أعداء الله ومن أئمة الضلالة^{٤٤١}، وخلال سعي المهدي لتوحيد العالم الإسلامي يعقد هدنة مع الروم تدوم سنين، أو المدة التي يستغرقها المهدي لتوحيد العالم الإسلامي وإخضاعه لسلطانه^{٤٤٢}.

ويبذل المهدي جهده لاستمرار هذه الهدنة، ويتغاضى في البداية عن نقض الروم لتلك الهدنة؛ لأن غاية المهدي كما يبدو ستكون منصبة على توحيد العالم الإسلامي من خلفه قبل الدخول بحرب شاملة مع الروم، وبعد أن يوحد المهدي العالم الإسلامي، ويقضي على جبابرته، ويفتح كافة حصون الظلام فيه يبدأ بالاستعداد لمواجهة الغرب لفتح حصون الضلالة فيه، والقضاء على جبابرته وعلى حكم الظلم فيه، ونشر الإسلام في بلاد الغرب. وتؤكد الأحاديث الشيعية أن المهدي سيحمل سيفه، ولن يرميه حتى يملك العرب^{٤٤٣}، ويملك مشارق الأرض ومغاربها " يفتح له ما بين المشرق والمغرب " ^{٤٤٤} "، يفتح الله على يديه مشارق

٤٤١ - (الأحاديث رقم ٧٩ و ٣٤٠ و ٢٣ و ٤٧٩ ج ١ و ٢٣٨).

٤٤٢ - (الحديث رقم ٢٢٣ و ٢٢٣ ج ١).

٤٤٣ - (الحديث رقم ٨٦).

٤٤٤ - (الحديث رقم ١٢٧).



الأرض ومغاربها" ^{٤٤٥}، ويبلغ المغرب والمشرق ^{٤٤٦}، ولا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله ^{٤٤٧}، ويحكم بين أهل المشرق والمغرب ^{٤٤٨}، ويشمل ملك العالم كله ^{٤٤٩}، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها ^{٤٥٠}، وهذا ما عنى رسول الله بسبل الأحاديث التي تحدثت عن الفتن والتي أشرنا إليها. وهذا ما وضحه الشيعة ونسبوا ذلك إلى جملة من الدلائل مثل قول الإمام الباقر: " قدام القائم موتان: موت أحمر وموت أبيض، حيث يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون" ^{٤٥١}.

وقد روي عن الإمام الباقر قوله: " إذا رأيتم ناراً من قبل المشرق شبه الهردى العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد" . . . ^{٤٥٢}، وروي عن الإمام الصادق - حسب رأي الشيعة - قوله: " يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلج السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة ودماء تسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار" ^{٤٥٣}. و"ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة، . . . ^{٤٥٤}.

-
- ٤٤٥ - (الحديث رقم ١٥٥).
٤٤٦ - (الحديث رقم ١٥٨).
٤٤٧ - (الحديث رقم ٣٠٩).
٤٤٨ - (الحديث رقم ٣٦١).
٤٤٩ - (الحديث رقم ٨٥٨).
٤٥٠ - (الحديث رقم ٩٥٩).
٤٥١ - (الحديث رقم ٩٩٤ ج ١).
٤٥٢ - (الحديث رقم ٧٨٣).
٤٥٣ - (معجم أحاديث الشيعة، ج ٤ الحديث رقم ١٠٤٧).
٤٥٤ - (عصر الظهور للشيخ علي الكوراني ص ١١٨، وراجع الأحاديث النبوية المتعلقة بالكنز وهي تحمل الأرقام ٢٩٤ - ٢٩٦ ج ١).



اليوم ووفق الرؤية السابقة كيف تتعامل إيران مع الأزمة العراقية لتحقيق الرؤية المهدوية التي يزعمون من خلالها أموراً ما أنزل الله بها من سلطان؟ لقد تناولنا سابقاً السياسة الإيرانية تجاه العراق، وما تقوم به إيران من قتل وقتك بأهل العراق خاصة تجاه أهل السنة، من خلال دعم فرق الموت التي تعيث قتلاً ودماراً في العراق وأهله، ونهب لخيرات العراق التي سوف توظف حسب الزعم الشيعي لنصرة إمام الزمان الذي لن يظهر حتى يذبح أهل السنة والجماعة هناك، على اعتبار أنهم الذبائح البشرية للكعبة المهدوية الشيعية، المتعطشة للقتل والدمار، ومن هنا نستطيع فهم الأسباب الكامنة وراء ذلك، والمتعلقة بنبوءات مبنية على الخرافة، والتي تنذر بهلكوست شيعي يستهدف السنة^{٤٥٥}، لكن الملفت هو توجه دولة الحلم الإمبراطوري نحو العراق واعتبارها أولى الحلقات الضعيفة لبناء مجالها الحيوي، وهذا سوف يُمكن إيران من الانقضاض على الهلال الثاني ممثلاً بالحجاز ودول الخليج، وسوف يمكنها من الاستفادة من موارد العراق الضخمة لدعم خطوط إمدادها المذهبي.

وفي إطار فكرة الدولة المهدوية الشيعية استطعنا تقديم تصور حول توظيف إيران مجموعة من الاستراتيجيات لتحقيق ذلك، خصوصاً أن الأزمة العراقية تحوي ميزات استراتيجية ومذهبية هامة جعلت إيران تحاول توظيف هذه الأزمة لإسقاط موضوع المهدي، وإقامة دولته، وتهيئة حتى البيئة العراقية من خلال افتعال القتل والتدمير المنهجي المنظم على اعتبار أن هناك علامات دالة على ظهور المهدي الشيعي يمكن تلمسها والتأكد من صحتها من خلال الواقع العراقي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تم الدفع باتجاه تدمير العراق وسنته، وأسهمت دولة القلب المذهبي "إيران" بذلك للتسريع والتعجيل بظهور المهدي الذي ينتظر بدوره أن يتم خراب البصرة، وبياد العراق، وتدمير مساجده... حتى يعود.

٤٥٥ - (تم تناول السياسة الإيرانية في العراق بشكل مفصل سابقاً).



وقد دعمت المراجع الدينية الشيعية في إيران والعراق هذه الأفكار الخطيرة، وقامت بتوجيه فرق الموت الشيعية، والتي تعتبر إحدى أهم أدوات إيران لإفراغ غرائزها الحيوانية في الفتك والقتل والتدمير، انسجاماً مع القاعدة الشيعية المتوارثة " كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء، وكل شهر محرم، ولكل زمان ظالم كيزيد". وما تصاعد الأصوات الشيعية في الدول العربية لمنحهم حقوقهم المذهبية والسياسية وتحت توجيه مراجع التقليد، والفتاوى المستوردة من العلماء القاطنين في مدينتي قم ومشهد والمحتكرين للحوزة والإفتاء، والذين طالبوا نظراءهم في المذهب على الضفة الأخرى خاصة دول الخليج العربي بمنحهم مزيداً من الامتيازات السياسية والمذهبية، وإحياء مراسيم يوم ولادة المهدي، والتبشير بقرب عودته لتخليصهم، ما هي إلا سياسات شيطانية لتحطيم الكيانات السنية، ويأتي هذا الهدف على رأس أولويات مراجع الشيعة، حيث يرون أن هدوء العراق والمنطقة معناه تأخير ظهور المهدي، لذلك ينبغي نشر الخراب والدمار في كل مكان عدا طبعاً دولة القلب المذهبي "إيران".

ج - الهلال الثالث في استراتيجية المهدي: بلاد الشام

روى الشيعة عن سيدنا علي - كرم الله وجهه - قوله: "إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مئة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك، فالمهدي سيظهر يوم السبت الموافق العاشر من محرم عاشوراء، حيث سيكون بين الركن والمقام^{٤٥٦}، لينطلق ويجعل من أولوية أهدافه إنقاذ أهل الشام من الضلالات والفقهاء الفاسد.

٤٥٦ - (الحديث ١٠٦٠).



ثانياً - الإطار الزمني للإمبراطورية الشيعية للمهدي المنتظر:

إذا كان المهدي المنتظر سيكون دولة عالمية تحكم العالم كله، فقد اختلفت الآراء حول الفترة الزمنية التي يستمر فيها حكم الإمام المهدي، فقد روى عبد الله ابن الحارث حديثاً عن الإمام علي يجيب على هذا السؤال إذ قال له الإمام علي: "يا ابن الحارث ذلك شيء ذكره موكول إليه، وإن رسول الله ﷺ عهد إلي أن لا أخبر به إلا الحسن والحسين" ^{٤٥٧}، وروي عن الإمام جعفر الصادق عندما سئل عن ذلك أنه قال: "سبع سنين تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنه مقدار عشر سنين من سنيكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه" ^{٤٥٨}.

وروي عن الإمام جعفر أنه قال: "يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهرًا". إن دولة أهل بيت النبوة لن تزول بموت المهدي المنتظر بل ستستمر، ويحكم من بعده أحد عشر مهدياً. ومن المؤكد أن الإمام المهدي سيكافح كفاحاً رهيباً حتى يدين العالم كله بالطاعة لدولته، وهنا يبرز تساؤل مهم، وهو منذ متى يبدأ حكم المهدي؟ لأن المهدي في البداية سيحكم بقعا محدودة من الكرة الأرضية، ثم يتوسع حتى يسيطر على العالم.

بين الرسول الأعظم بأن المهدي المنتظر سيظهر حتماً مقضياً عندما يعم البلاء الشامل الأمة والعالم معها، وعندما تمتلئ الأرض بالظلم والجور والعدوان، عندئذ يبعث الله الإمام المهدي لرفع هذا البلاء الشامل، وليملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فعموم البلاء وامتلاء الأرض بالظلم مقدمة وسبب وعلامة.

فامتلاء الأرض بالظلم والجور والعدوان، وشمول حكم الظالمين للعالم كله، وسيادة فقهم علامة بارزة من علامات ظهور المهدي المنتظر، لأنه المؤهل الوحيد

٤٥٧ - (الحديث رقم ٦٧٣ ج ٣).

٤٥٨ - (الحديث رقم ١١٥٠ ج ٤).



لقطع دابر الفتن، وقصم ظهور الظالمين، ورفع فقهم من الأرض، وهو المؤهل الوحيد ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وهذا - أيضاً - ما عناه الإمام الباقر بقوله: " لا يخرج المهدي حتى ترقى الظلمة "٤٥٩، طبعاً حسب الفهم الشيعي .

ثالثاً: مقومات إمبراطورية الإمام المهدي الشيعية الموعودة:

أ - الإقليم الشيعي للإمبراطورية: بعد ظهور المهدي الشيعي سيقوم بجمع عقد حبات الأقاليم التي كونتها نواة دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" ، وجمع شيعة الشتات بعد عودتهم إلى الأقاليم التي باتت جاهزة لاستقبال المهدي، وهذا الأمر سوف يسهل على المهدي مهمته التي تهدف إلى تكوين إمبراطورية شيعية عالمية، لكن ما ورد عند الشيعة من آراء فهي تركز على أن هناك مقاومة ضد المهدي ستكون من جانب الدول المجاورة لدولة القلب المذهبي "إيران" .

ولذلك سوف يأخذ المهدي على عاتقه تحرير هذه الدول من الضلال، وسيكون دور إيران مد المهدي بالرجال المؤمنين؛ لأن المجاهدين الذين أحرزوا النصر العظيم في بدر وهزموا الشرك لأول مرة والجريمة والأرستقراطية كانوا ثلاثة عشر وثلاثمائة شخص . . وأولئك الذين سوف يقومون - أيضاً - عند أول نداء لدعوة الإمام سوف يكون ثلاثة عشر وثلاثمائة شخص . . فهذه الثورة هي النتيجة النهائية لهذا الجهاد وهي الانتصار النهائي لأولئك المجاهدين، لأنه - حسب الرؤية الشيعية - فإن المهدي سيكون مسلحاً بعلوم العصر ووسائل قوته، ومعدات القدرة العسكرية المدمرة، فعلماء الشيعة يقولون إن المهام الكبرى، والمهام العظمى المناطة بالإمام المهدي مهمة تنفيذها وتحقيقها تستدعي آيات ومعجزات من نوع مكثف وخاص، فالمهدي المنتظر مكلف بأن يقطف ثمرة جهد كافة الأنبياء والرسول

٤٥٩ - (الحديث رقم ٨٠١ ج ٣ من المعجم، وراجع الأحاديث النبوية رقم ٥١ و ٦٢ و ٦٣ و ٥٦٥).



والأوصياء، وأن يحقق ما تطلعوا إلى تحقيقه، وذلك بأن يهدي سكان الكرة الأرضية من مختلف الأديان إلى دين الله الواحد وهو الإسلام الحقيقي، ومكلف بأن يكون دولة عالمية تشمل كافة أقاليم الكرة الأرضية برا وبحرا وجوا، وإذا كان النبي - أي نبي - مكلفا إلهيا ببذل عناية يقوم وعلى رقعة محدودة من الأرض، فإن الإمام المهدي مكلف إلهيا بتحقيق غاية على مستوى الكرة الأرضية، وعلى مستوى العالم كله، وتنفيذ المهام المنوطة به من المحتومات الإلهية التي لا مفر من تحقيقها، لأن الله تعالى قد حتم ذلك، وكلف الإمام المنتظر بتحقيق كافة الغايات الإلهية التي حددها تعالى بنفسه، وأن ينفذ كافة المهام الإلهية التي وضعها الله تعالى بنفسه، ووعد الإمام المهدي بالدعم المطلق، والتأييد المطلق اللازمين لتحقيق الغايات الكبرى والأهداف العظمى، فلا بد أن يدخل سكان الكرة الأرضية في زمن المهدي بالإسلام.

ولا بد من أن يكون المهدي دولته العالمية الشاملة لكل بقاع الأرض، وروي حديث عن رسول الله أنه قد قال لعلي: "يا علي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من عترتك يقال له المهدي يهدي إلى الله عز وجل ويهتدي به العرب، كما هديت أنت الكفار والمشركين من الضلالة، ثم قال: ومكتوب على راحته بايعوه فإن البيعة لله عز وجل^{٤٦٠}، حتى تصبح كل أقاليم الكرة الأرضية خاضعة لسلطانه، ويتحول بالتالي كل سكان العالم إلى رعايا ومواطنين صالحين، ويدينون بالإسلام الحقيقي "التشييع" في تلك الدولة، أما عمالها وأمرؤها وقادتها فهم أهل القوة والأمانة من رجال العلم ونسائه، وستكون المنظومة الحقوقية الإلهية هي القانون النافذ في كل أرجاء العالم، ونقصد بالمنظومة الحقوقية الإلهية: "كتاب الله كما أنزل، وبيان النبي لهذا الكتاب تماماً كما وعاه أهل بيت النبوة. وتتكون موارد هذه الدولة المالية من إنتاج العلم كله، وموارده وإمكاناته الاقتصادية، ومن خلال إمامته وقيادته الراشدة، وتطبيقه للمنظومة

٤٦٠ - (الحديث رقم ٩٢ ج ١ من المعجم).



الحقوقية الإلهية، وتوزيعه العادل للموارد العالمية، من خلال ذلك كله سوف ينشر العدل والرخاء في الكرة الأرضية، ولذلك فإن المهدي المنتظر سينطلق أولاً من بلاد فارس ثم سيملك بلاد العرب، ومن هذه البلاد سينطلق إلى كافة أرجاء المعمورة، حيث ستدخل في طاعته حرباً أو سلماً^{٤٦١}. وسيرضي عن المهدي أهل الأرض وأهل السماء، وسيحبونه ويرضون عنه^{٤٦٢}.

واستناداً لأحاديث الشيعة التي ينسبونها إلى أئمة أهل بيت النبوة الذين ورثوا علمي النبوة والكتاب بأن الإمام المهدي مؤسس دولة آل محمد سيفتح مشارق الأرض ومغاربها ويملك المغارب والمشارك، وهذا يعني أن الكرة الأرضية كلها ستكون إقليمياً لدولة آل محمد ويدل على هذا قول النبي: " لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي... يملك الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً"^{٤٦٣}.

ب- الشعب الشيعي: لن يكون هناك وجود للإمبراطورية الشيعية من غير الأفراد المكونين لهذه الإمبراطورية، وحسب الزعم الشيعي فإن دخول الناس أفواجا في الإسلام الصحيح "المذهب الشيعي" يعتبر عاملاً مهماً في ازدياد شوكة الإمبراطورية وتطورها وتوسعها وزيادة مواردها، والمذهب الجديد سوف يؤلف بين قلوب الناس ويطبّعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من الأمم والشعوب، وبمعنى آخر سوف يصهرها ويصبها في قالب الأمة الإسلامية الشيعية، حيث نشأت رابطة

٤٦١ - (راجع على سبيل المثال الطبراني في الكبير ج ١٠ ص ١٦١، والطبراني في الصغير ج

٢ ص ١٥٨... راجع معجم أحاديث الإمام المهدي المنتظر الجزء الأول حديث رقم

١٣٩/١٤٣/١٤٤/١٤٦/١٤٩/١٥١. راجع منتخب الأثر للرازي ص ١٦٧ ف ٢ ب ١

ح ٧٧، والبحار ج ١٨ ص ٣٤١ ب ٢ ح ٤٩ وج ٢٣ ص ١٢٨ وج ٥١ ص ٦٥ - ٦٦

ومعجم أحاديث الإمام المهدي ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥. راجع الحديث رقم ٦٦ ج)

٤٦٢ - (ابن حماد ص ٩٩، والحاوي للسيوطي ج ٢ ص ٧٧، وملاحم ابن طاووس ص

٧٠، ومنتخب الأثر ص ٧٨، الحديث ١٣٠ ج ١ ص ٢٢٠).

٤٦٣ - (الحديث رقم ٦١ من المعجم، راجع المراجع المدونة تحته والحديث رقم ١٢٧ من

معجم أحاديث الإمام المهدي راجع الحديث رقم ١٥٥ من المعجم والحديث (١٥٨).



جديدة تميزها عن غيرها ممثلة بالرابطة الشيعية، مما أدى إلى وحدة مذهبية ولدت رغبة في العيش معا والتعاون والتكاتف لنصرة المذهب الشيعي تمهيدا للمشاركة والإسهام في بناء الإمبراطورية الشيعية العالمية، وستكون دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" قد أسهمت في هذه النصر من خلال إيجاد الأرضية الصالحة لتسهيل مهمة المهدي لأنها قامت بجزء من المهمة الإلهية، فدور المهدي سيكون جمع حبات الأقاليم التي شيعتها إيران، ومدت نفوذها إليها امتدادا جامعا مانعاً.

وإذا كانت الكرة الأرضية هي إقليم دولة المهدي، فإن كافة الأحياء من أبناء الجنس البشري في زمن الإمام المهدي سوف يُشكلون شعب دولته الموعودة، ومواطني ورعايا تلك الدولة؛ فالأرض كلها إقليم لدولته، ومن على وجه الأرض من بني البشر هم شعبها، والأحاديث التي يتداولها الشيعة تؤكد أن الإمام المهدي سوف يسيطر على ممالك الأرض ويهزم أعداءه^{٤٦٤}، وأنه سيفتح حصون الضلالة في النهاية^{٤٦٥}.

ج- السلطة الشيعية التي ستحكم الإمبراطورية: الإمبراطورية الشيعية القادمة هي في الواقع تشخيص قانوني للأمة الإسلامية الشيعية، ووجود هذه الإمبراطورية معناه وجود شخص قانوني جديد يكون هو صاحب السلطة وعمادها، ومقتضى ذلك أنه لا يتصور وجود دولة بدون أن تكون لها شخصية قانونية ولكن ذات صفة مذهبية هذه المرة، وبالتالي فإن الالتزامات التي تتعهد بها هذه الإمبراطورية والقوانين التي تسنها ستكون بموجب المذهب الشيعي، وضرورة أن ياتمر الجماعة بأمر الفئة التي تقود هذه الإمبراطورية، ومقتضى ذلك سير الشعب المكون للإمبراطورية الشيعية - ولو بالقوة والقسر- وفق القواعد التي يضعها الحاكم الصالح "المهدي" وحكومته لصالح الجماعة ذاتها ولتحقيق النظام فيها، وهذا سيكون هو المظهر الداخلي لسيادة الإمبراطورية الشيعية، والإمام

٤٦٤ - (الحديث رقم ١٢٣ و ٤٧٩).

٤٦٥ - (الحديث رقم ٧٩ والحديث رقم ٣٠).



المهدي هو المؤسس والمعلن عن وجود دولة لآل محمد، وهو إمامها أو رئيسها، أو أميرها أو الخليفة الشرعي الثاني عشر من خلفاء الرسول، وهو صاحب الكلمة العليا والمقام الأول في دولة آل محمد، وهو المرجع الشرعي أو القانوني لكافة سكان الكرة الأرضية؛ لأنه إمام ووارث علمي النبوة والكتاب^{٤٦٦}.

لكن السؤال المهم لماذا ينبغي في التشيع أن يكون المخلص هو ابن الإمام الحسن العسكري؟ لكن بعض الباحثين الشيعة يتحدثون عن ذلك بقولهم: لو لم يكن هذا القيد موجوداً بشأن المخلص في المذهب الشيعي وأنه سيكون ابن الإمام الحسن، ولو لم يكن الشخص محدداً، فإنه من الممكن لكل مغامر منتظر من الاستعمار، أو مولود في الاستبداد، أو عميل للاستغلال - أن يقدم نفسه كموعود التاريخ وموعود الأمم ومنفذ الحق والعدالة، ويستعين بكل قوى المنتظرين من أجل الركوب على كواهل الخلق، كما فعل الكثيرون بالتأويلات والمغالطات^{٤٦٧}.

د - السيادة والحاكمية الشيعية: سيكون المذهب الشيعي هو القانون النافذ في الإمبراطورية الموعودة، وبالتالي فإن الإمبراطورية الشيعية التي تشكلت ستكون بمثابة الوحدة المذهبية والسياسية، مما ينافي اندماجها أو تبعيتها لوحدة سياسية أو مذهبية أخرى كالدول العربية السنية، وهنا يجب على الدولة أن تستكمل هذه الإمبراطورية سيادتها الخارجية، ولا يعني ذلك - فقط - وجوب الاعتراف الدولي بهذه الإمبراطورية المذهبية الشيعية، بل أن يدين لها العالم بالولاء والطاعة، وأن يعتنقوا مذهبها الشيعي، على اعتبار أنه يمثل الإسلام الصحيح، وأنه جاء لإخراج العالم من الظلمات إلى النور.

المنظومة الحقوقية الإلهية المكونة من كتاب الله وبيان النبي لهذا الكتاب هي القانون النافذ في دولة الإمام المهدي أو دولة آل محمد، والإمام المهدي إمام

٤٦٦ - (الحديث رقم ١٠٨١).

٤٦٧ - (كتابة شريعتي، عن التشيع والثورة، مرجع سابق، ١٩٩٦، ص ١٥٠).



شرعي وهو خاتم الأئمة الشرعيين، وهو الوارث لعلمي النبوة والكتاب، وبالتالي فإنه يعرف الحكم الشرعي لكل قضية، والتكييف الشرعي لكل واقعة، وفوق هذا وذاك فإن معه المصحف الذي كتبه الإمام علي بخطه، وأملى تفسيره رسول الله بنفسه، وعنده - أيضاً- الجامعة التي تحوي حكم كل شيء^{٤٦٨}.

الخلاصة أن المهدي سيحكم بكتاب الله الذي لم يعمل به قط بعد وفاة الإمام علي^{٤٦٩}، ففي دولة المهدي سيصبح الإسلام "الإسلام الحقيقي الشيعي" هو الدين الرسمي والفعلي الوحيد في كافة أرجاء الكرة الأرضية التي ستخضع لسلطان دولة آل محمد، لأن المهدي- حسب أقوال الشيعة- سيدعو إلى الإسلام جديداً، كما حدث الإمام جعفر الصادق^{٤٧٠}.

من خلال ما طرح سابقاً نصل إلى جملة من النتائج أبرزها أن نظرية نشأة الإمبراطورية الشيعية الموعودة سوف تعتمد على نظرية القوة والغلبة في نشأتها، والتي ستعود إلى قوة شخص المهدي الشيعي، ودور الجماعة "الجيش الإيراني الصالح"، والذي سيتغلب على العالم كله، وسيهيئ الأرضية لعودة المهدي إلى العالم معززا، وتكون لهم الشوكة والغلبة بفضل دور إيران التي ستضع مختلف إمكاناتها وقدراتها تحت تصرفه، الأمر الذي سيؤدي إلى خضوع العالم الإسلامي بأسره لأقوى شخص فيها، وهو المهدي الشيعي، وسوف يكون لهذه الإمبراطورية الشيعية الناشئة شرعية دينية "مذهبية" بمعنى أن سلطانها يرتكز على أساس سماوي، ويرجع إلى إرادة إلهية علوية فوق إرادة البشر، تلك الإرادة الإلهية هي التي اصطفت مباشرة المهدي الشيعي أولاً، واختارت الشعب الإيراني ثانياً من بين كل البشر، ليختصوا دون غيرهم من البشر بالنصرة والقيادة والسيادة والسلطان،

٤٦٨ - (الأحاديث: ١١١٥ / ٨٦٥ / ١١٣٩ / ١١٤٠).

٤٦٩ - (الحديث ١١٢٦).

٤٧٠ - (الأحاديث: ١١٢٢ / ٦١٢ / ١١٢٦ / ٣٠٩ - من أحاديث معجم الإمام المهدي

ج(١).



مؤيدين من عند الله، ومن هنا فإن أساس سلطة الإمبراطورية الشيعية سيكون من خلال التفويض الإلهي الخارج عن إرادة البشر، وبالتالي لا يجب بأية حال من الأحوال محاربة أو مقاومة المشروع المهدي الشيعي؛ لأن ذلك مخالف لله ولرسوله وللدين حسب الرؤية الشيعية.

رابعاً: دور إيران في دعم قيام إمبراطورية المهدي الشيعية لإنقاذ العالم:

يرتبط اليوم ظهور المهدي الذي قرب أوانه - بحسب المعتقد النجادي للرئيس أحمدي نجاد - بوجود دولة قوية متقدمة تحظى بالمعارف والعلوم الحديثة، وعلى رأسها بطبيعة الحال التكنولوجيا النووية، وعلى هذا الأساس يُمكن فهم السياسة الإيرانية الطامحة إلى بناء برنامج نووي عسكري، وعلى هذا الأساس فإنه - وفقاً للرؤية الإيرانية - فإن كل التضحيات والعقبات والعقوبات يمكن تحملها حين ظهور "المخلص" الذي بشر به الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد، على اعتبار أن ظهور المسيح - عليه السلام - والمهدي المنتظر سيكون معاً، وقد وصل الهوس بالرئيس نجاد أنه - وخلال خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة - تعرض للحديث عن المهدي المنتظر، مشيراً إلى أن هالة من النور كانت تحيطه أثناء إلقاء خطابه^{٤٧١}، وقد ذكر لنا بعض المقربين من صنّاع القرار في إيران أن الحكومة الإيرانية رفعت من درجة استعدادها لاستقبال المهدي، وأن نجاد وحكومته ومستشاريه العسكريين والأمنيين والسياسيين قد وقعوا ميثاق العهد والنصرة للمهدي المنتظر^{٤٧٢}، وذلك بغرض تهيئة المجتمع الإيراني وشيعة الشتات لذلك.

ومن العلامات البارزة المتزامنة مع ظهور الإمام المهدي التي يرددها علماء الشيعة في إيران أمران هما: قدوم الرايات السود لإنقاذ العالم من إيران، وقيام

٤٧١ - (جريدة كيهان، ٢٠٠٥/١/١٨).

٤٧٢ - (صرح لنا بذلك شخصية إيرانية محسوبة على تيار الثاني عشر من خرداد، وأضاف بأن الاستعدادات تمضي في إيران على قدم وساق لاستقبال المهدي، وأضاف: إننا قد نفاجأ ونحن نجلس أمام التلفاز أن يعلن مرشد الثورة بياناً إلى العالم يعلن فيه عن ظهور الإمام المهدي).



دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" التي ستكون نواة دولة المهدي العالمية. وقد روى الأحاديث المتعلقة بالرايات السود الأئمة من أهل بيت النبوة - كما يزعم الشيعة، حيث تناقلها أكابر علماء شيعتهم.

وتأسيساً على ذلك أنيطت مهمة نصرته المهدي بشعب إيران، لكن لماذا؟ لأن أهل إيران حسب الزعم الشيعي من موالي أهل بيت النبوة المخلصين وشيعتهم الصادقين، والأكثرية الساحقة جداً من الإيرانيين يؤمنون بحتمية ظهور المهدي، وأنه الإمام محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر أئمة أهل بيت النبوة، وشيعة إيران من مدة طويلة يتوقعون ظهور هذا الإمام، ويترقبون ذلك لنصرته، فعندما يخرج السفيناني الأموي - حسب الزعم الشيعي - سوف يحاول أن يبني ملكاً أموياً جديداً على غرار ملك معاوية وذرية الحكم بن العاص، هذا الملك الذي مس أهل بيت النبوة ومن والاهم واستهدف أهل البيت، لذلك فإن الإيرانيين الذين وعوا التاريخ السياسي للخلافة التاريخية لن يقبلوا بتكرار مأساة الحكم الأموي، بل سيقاتلون حتى آخر رجل منهم للحيلولة دون ذلك، والعلامات كلها قد ظهرت، ولا بد أن يكون ذلك الأموي الطامع لبناء ملك لبني أمية، وتوحيد المسلمين تحت الراية الأموية، لا بد أن يكون هو السفيناني الذي أشارت إليه الأحاديث الشيعية.

وجاء في حديث آخر يتداوله علماء الشيعة: "إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة، بعث في طلب أهل خراسان ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي". . . ويلتقي الجيش الإيراني مع جيش السفيناني في منطقة "اصطخر" وتكون بين الجيشين ملحمة عظيمة، تظهر فيها الرايات السود^{٤٧٣}، حيث ينصره سيف علي بن أبي طالب، لكن لماذا سيف علي؟ سوف يمسك المهدي في يده بسيف علي حتى لا يظن الشيعة والمؤمنون بالحرية والحقيقة أن علياً قد قتل في الكوفة، وأن ذلك الدم قد سفك هدرًا، وكل شيء انتهى. . . فإن التاريخ سيحيي هذا الدم في النهاية وينتقم له، وعلى أية حال سوف ينتصر مرة ثانية على

٤٧٣ - (الحديث رقم ٦٢١).



السفياي، فالنظام المضاد لهذه الحركة هو نظام منسوب لأبي سفيان، وهو النظام السياسي المسيطر على الإنسان عن طريق الأغلال في الأعناق، وسيف علي هو الذي سوف يرتفع ثانية في التاريخ في آخر الزمان ضد هذين النظامين: خداع الأفكار، ووضع الأغلال حول الأعناق والرؤوس، والسفياي الذي يحاول قمع هذه الحركة مظهر لتواصل تاريخي ووراثية قديمة للظلم على مر الزمان. . كما أن المهدي المنتظر هو وارث حركة العدل على مر الزمان^{٤٧٤}، ويقسم الإمام بأن الليل والنهار لا يذهبان حتى تجيء الرايات السود من قبل خراسان، ويربطوا خيولهم بنخلات بيسان والفرات^{٤٧٥}، ويبين الإمام جعفر الصادق، بأن الرايات السود تخرج من خراسان وعند ظهور المهدي يبعثون له بالبيعة من العراق^{٤٧٦}.

من هنا فإن إيران تعتبر أن قادة بلاد الشام (عدا سوريا) هم سفيايو هذا العصر، وأن شعوب أهل الشام هم شعب بني أمية الذين سيكونون هدف حرب الإبادة القادمة، الهلوكوست الشيعي المنتظر^{٤٧٧}.

ودوماً ما يذكر الرئيس نجاد بأن حكومته لم تأت من أجل قيادة الشعب الإيراني فقط، بل من أجل التمهيد لظهور المهدي المنتظر، حيث إن الظروف من حيث العدة والنتائج تتهياً إلى جانب الظروف العالمية الصعبة تمهيداً لظهوره على شكل قائد ربّاني عالمي سيدعو إلى ثورته الإسلامية الكبرى، محققاً أهداف الدين

٤٧٤ - (الحديث رقم ٥١٥، وراجع الحديث رقم ٦٣٥).

٤٧٥ - (الحديث رقم ٦٢٦، وراجع الحديث رقم ٧٩٧).

٤٧٦ - (الحديث رقم ٧٩٧).

٤٧٧ - (بحثنا سابقاً عن موقف دولة الحلم الإمبراطوري من دول المنطقة خصوصاً السلوك الإيراني من خلال مداخل الأزمات الإقليمية الذي توظفه إيران كمدخل لتصفية حساباتها مع دول بلاد الشام، وعلاقاتها التحالفية مع سوريا وحزب الله الذي نصره المهدي وجنوده كما ذكر ذلك محمد تقي مصباح يزدي، وقد تناولنا هذا الجانب بشكل مفصل سابقاً).



الحق^{٤٧٨}. ويرى مراجع الشيعة في "دولة الحلم الإمبراطوري" إيران" في حرب العراق والدمار الحادث في بغداد مقدمة لظهور المهدي، حيث صرح مقتدى الصدر أثناء زيارته للكويت أن القوات الأمريكية لم تأت إلى العراق من أجل السنة أو الشيعة، وإنما جاءت وفق معتقدات أيديولوجية يمينية غريبة، للتصدي لخروج المهدي المنتظر الذي قرب أوان ظهوره^{٤٧٩}.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد ظهرت بعض الحركات الخطيرة المدعومة من إيران ومن فتاوى مراجع التقليد، وهنا نذكر هذه الحادثة كما هي للتدليل على خطورة هذه الفكرة، فقد قال قائد الجناح العسكري في جماعة اليماني سعدي حمد نعيم القطراني - من سكان البصرة - المعتقل لدى القوات العراقية في كربلاء: إن جماعته تلقت أوامر - وصفها بالعليا - لتنفيذ عملياتها المسلحة في الناصرية والبصرة، وأنها كانت تنتظر في أثناء ذلك خروج المهدي المنتظر وإمدادها بعون من السماء، وأضاف: قال لنا "السيد أحمد اليماني" عند اندلاع الأحداث ادعوا الناس للانضمام إليكم، وربع ساعة سوف يأتي الإمام المهدي عليه السلام،

٤٧٨ - (تلجأ إيران إلى سياسة إقامة المؤتمرات والندوات حول المهدي المنتظر، وذلك بغرض تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها: حتى تبقى هذه الفكرة حية في عقول ووجدان الشيعة في العالم، الأمر الذي يزيد من تماسكهم ووحدتهم، وكذلك إبقاء مرجعية الشيعة العالمي فيما يتعلق بالمهدي مرتبطة مكانيا وزمانيا وروحيا بدولة الحلم المذهبي الإمبراطوري "إيران". أقامت إيران عدة مؤتمرات دولية حول المهدي (آب/٥/٢٠٠٥)، والملفت للنظر أن بعض هذه المؤتمرات رعاها مباشرة مرشد الثورة علي خامنئي، إضافة إلى الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد عندما كان رئيسا لبلدية طهران السابق، وهو الآن يرأس مؤسسة تسمى في إيران مؤسسة إمام مهدي (عجل) التي تستقطب الكثير من المفكرين ورجال الدين الشيعة والمتشيعين سواء من داخل إيران أو من خارجها، وتمتلك هذه المؤسسة موارد مالية كبيرة توظفها لبث فكرة المهدي، وتقوم بنشر الكثير من الكتب في نفس الموضوع، ودعم نشر الكتب خصوصا الصادرة باللغة العربية لتسهيل مهمة نشر المذهب الشيعي، كفرناس بين المللي إمام مهدي، تهران تير ١٣٧٩، مرداد (١٣٨٢).

٤٧٩ - (تصريح مقتدى الصدر، جريدة الحياة، ١٢/١٠/٢٠٠٦).



وهذا حسب التبليغ الذي جاءنا، التثقيف جاءنا من فوق". وأوضح: اتصلت
"بالسيد أحمد اليماني" قلت له: أين أنت؟ قال لي: إنه بمكان أمين. قلت له: لم
يحدث شيء للآن، وقد مضت ربع ساعة من الموعد. قال لي: سوف يأتينا المدد
من الله سبحانه. انتظرنا ولم يحصل شيء، اتصلت به مرة أخرى ولكنه لم
يرد".

واعترف القطراني بأنه المسؤول الأمني لحسينية ومدرسة أنصار الإمام المهدي
في البصرة التابعة "للسيد أحمد الحسن اليماني" ومسؤول الخط العسكري.
وأضاف: نحن أنصار الإمام المهدي من قبل "السيد أحمد اليماني - عليه السلام"
ونقول: عليه السلام لأنه المهدي الأول في المعتقد الذي جاءنا، وهو الذي سيحكم
بعد الإمام المهدي - عليه السلام. وموجود بالروايات التي يؤمن بها هؤلاء أن
هناك (١٢) مهديا سيحكمون بعد ظهور الإمام المهدي - عليه السلام - وهم من
ذريته، منهم أحمد اليماني، حيث إن هذه الأماكن وعلماءها هي القادرة فقط على
توحيدهم والتفافهم حول دولة القلب المذهبي الإمبراطورية الإيرانية، ومن هنا فإن
هذه الجوانب سوف تسهم في تنشيط الثقافة والتاريخ الشيعي الذي يعاني من
مظلوميته في نفوس قطاعات الشيعة، وبالتقدم والرقى في كافة المجالات
العلمية^{٤٨٠}، ودعم نفوذ اللوبيات وجماعات الضغط الشيعية في الدول التي تمثل
المجال الحيوي في إيران بهدف تقوية النفوذ الشيعي فيها، والمطالبة بإعطائهم مزيدا
من الحقوق السياسية والمذهبية، وكذلك دعم إيجاد منابر إعلامية مختلفة خاصة
بهم، مع العمل في ذات الوقت على زرع ونشر عوامل الفرقة والتشتت والتحزب

٤٨٠ - (حيث تعلن إيران مرارا وتكرارا وعلى لسان مسؤوليها السياسيين ومراجع التقليد بأن
التكنولوجيا النووية الإيرانية لا يستطيع أيا كان في إيران أن يتنازل عنها؛ لأنها ملك
لإمام الزمان، لأنه عندما يعود للعالم سوف تكون عوننا له لإقامة إمبراطورية العدل
الإلهي).



الفكري بين الشيعة والسنة في البلدان العربية، وبما يؤدي إلى إشراك المنظمات الدولية ومؤسسات حقوق الإنسان كأداة للدفاع عن حقوقهم^{٤٨١}.

وهذا يؤكد التعاون الوثيق مع القوى الدولية المتآمرة على الإسلام والداعمة لهذه المؤسسات للاشتراك مع إيران لبث الفتنة المذهبية في المنطقة، وتُراهن إيران كثيرا على المرجعية في العراق ممثلة بآية الله علي السيستاني^{٤٨٢} وعلى الشيعة العراقيين الذين مازالوا يُمارسون سياسة الانتظار لفتوى المرجعية المبجلة التي احتكرت القرار المذهبي والسياسي، وحجمت القيادات الشيعية الدينية والسياسية، حتى يصبح الدفاع عن دولة القلب المذهبي يبدأ من البوابة العراقية وبتوى ملزمة ستصدر عن مكتب السيستاني، ولغاية الآن بقيت المقاومة العراقية منحصرة تقريبا في ما اصطلح عليه بالمثلث السني، أما تحرك الجيب الشيعي فهو مرهون بالمفاوضات الإيرانية الأمريكية، وما يقرره ولي أمر المسلمين في طهران. وأيا كانت التقديرات فإن قوة الشيعة ترجع بالأساس لما للحوزة ولراجعها من سيطرة روحية وحركية على أتباعها في العراق، ولما لهذه المراجع من كلمة مسموعة لدى "شيعة الشتات" في أنحاء العالم، حيث يرى الشيعي أن تقليد الإمام يعصمه من الخطأ ومن الوقوع في المحرمات التي ينهى عنها الدين، فالمرجع لدى الشيعي هو المخول بمعرفة الحلال والحرام، وهو المرشد له، وتقليده حسب المذهب الشيعي يعتبر واجبا دينيا^{٤٨٣}.

٤٨١ - (لاحظ تقارير حقوق الإنسان حول أوضاع الشيعة في دول الخليج العربية).

٤٨٢ - (آية الله علي السيستاني، هو أعلى مرجع شيعي في العراق، وهو إيراني الأصل، وقمنا بزيارة لمكتبة في مدينة قم، وله موقع إلكتروني يدار من هناك).

٤٨٣ - (ومراجع الحوزة يتم اختيارهم وفقا لمعايير محددة، من أهمها اشتهاار المرجع بالعلم والتقوى، وذلك إما بشهادة المراجع السابقين الذين درس على أيديهم، أو أن يشهد له بهما الفضلاء من طلبة الحوزة، والذين اطلعوا على أبحاث هذا الشخص).



خامساً - ممارسة دولة القلب المذهبي "إيران" لإستراتيجية داخلية تقوم على مُحاصرة أهل السنة والجماعة.

تعتبر إيران أن أهل السنة والجماعة ما زالت تُشكل أكبر خطر يهدد دولة القلب المذهبي ودولة المهدي التي سوف تظهر، وبالتالي فإن محاصرتهم وتحجيمهم سوف يسهم في عملية التفرغ لبناء المجال الحيوي المذهبي، ومنع استغلال السنة في إيران من جانب الخارج، والخوف من توظيفهم كأدوات في بناء مصدات دفاعية داخل دولة القلب المذهبي "إيران" نفسها، وهذا سيكون بهدف دعم أهل السنة والجماعة داخل إيران، وحماية دول الجوار العربية السنية من ناحية، وإشغال إيران عن التعاطي الإقليمي لبناء مجالها الحيوي المذهبي، وجعلها تنكفي للداخل من ناحية أخرى.

في البداية وحتى نفهم واقع السنة والجماعة في إيران لا بد لنا من فهم الظروف والمتغيرات التي جعلت إيران تتحول بأكملها من دولة سنية إلى شيعية. ليس كذلك فقط، بل أن تقوم رسالتها على محاربة السنة وأهلها في كل أصقاع المعمورة، وأن تتحالف مع أعداء الأمة الإسلامية لتحقيق هذا الهدف. حيث أسهمت العديد من العوامل والأسباب، لإحداث عملية التحول قسرا من المذهب السني إلى المذهب الشيعي في إيران، وهذه الأمور تتضح في فترة الحكم الصفوي؛ فقد مارس إسماعيل الصفوي في عهده عدة إستراتيجيات لتحقيق ذلك يأتي في مقدمتها الاعتماد على الدعاة، فقد كان هؤلاء يهدون لقبول المذهب الشيعي، ويتم إرسالهم إلى مدن بعينها لتحقيق هذه الغاية، وقد كانوا يعملهم هذا يهيئون الرأي العام الإيراني لمثل هذا التحول بنشر الأفكار والمعتقدات الشيعية بين عامة أفراد الشعب.

وقد كان إسماعيل مدركاً لمدى رسوخ العقيدة عند أتباع المذهب الشيعي الذين كانوا يتعصبون له مما جعله يستغل ذلك بتحريكهم وجمعهم، وقد مورس ضد السكان السنة أشنع أنواع القتل والتنكيل، حيث قطعت أوصال الرجال والنساء



والأطفال، ومثل بالجثث، فاستسلم الناس لهذا التصميم، وكان التعصب للمذهب ظاهراً بينهم. وكان التنافس شديداً بين الأتراك والإيرانيين، والخلاف مستمرا. وأيضاً كان موقعهم الجغرافي بين العثمانيين من الغرب والأزبك من الشرق دافعاً لمثل هذا التعصب والحمية، وقد استغل إسماعيل هذه النقاط حيث أذكى الحماس لدى هذه القبائل والتعصب ضد من حولهم، وأوحى لهم بتكوين تجمع خاص يحفظ لهم قوتهم وسيطرتهم على المنطقة^{٤٨٤}.



٤٨٤ - تناولنا سابقاً القهر الذي مارسه الشاه إسماعيل ضد السنة بعد دخوله تبريز وتوجيهه، حيث ارتكب الكثير من الجرائم بحق أهل السنة في إيران).



المبحث الخامس دولة الحلم الإمبراطوري والهلكوست ضد أهل السنة والجماعة



إن التاريخ يعيد اليوم نفسه من جديد، فقد ورثت دولة ولي الفقيه حمل هذه الرسالة، فاتجهت إلى أهل السنة لتذيقهم أنواع الظلم والهلاك، فدولة الحلم الإمبراطوري الشيعي ومؤسساته الثورية المذهبية تتبع نفس الاستراتيجيات والأساليب اليوم.

أولاً: أشكال سياسات الاضطهاد التي يعاني منها أهل السنة في إيران:

- ممارسة سياسة التمييز العنصري المذهبي من خلال الأشكال القانونية والدستورية: ما يلفت النظر في هذا الموضوع هو أن المراجع الفارسية تناولت هذا الموضوع من زاوية مجموعة من الضوابط التي تظهر عزم دولة الحلم الإمبراطوري صهر السنة في بوتقة شيعة، ومحاولة تجريدهم حتى من حقوقهم الإنسانية بالعنف والإكراه، وجسدت هذا الهدف قانونياً ودستورياً، وهذا يتضح من خلال الدستور الذي يظهر حقائق خطيرة يغلفها بطابع ما يعرف "بإسلامية الدولة"، فالدستور ينص على أن الدين الرسمي للدولة الشيعية الإيرانية هو الإسلام لا غير^{٤٨٥}، وتعتبر الحكومة الإيرانية مساجد السنة إما أنها مساجد ضرار، أو أنها بنيت بغير إذن من الحكومة، أو أن أئمة تلك المساجد لهم ولاءات مع جهات معادية.

أما عن النظرة الدستورية للسنة في إيران فهي تمييزية عنصرية من حيث المذهب والعرق؛ فالدستور الإيراني ينص صراحة على التمييز بين الشيعة والسنة

٤٨٥ - (قانون أساسي إيران، المادة ٢).

في البلاد، فحسب الدستور الإيراني فإن رئيس الجمهورية يجب أن يكون من المذهب الرسمي للبلاد، وبذلك يحرم السنة من ترشيح أنفسهم لهذا المنصب، فضلا عن وجود مواد عدة في الدستور متعلقة بمجلس الخبراء والبرلمان الإيراني تميز المذهب الشيعي عن سائر المذاهب المسلمة في إيران مما يتسبب باضطهاد أبناء هذه المذاهب^{٤٨٦}.

نظريا فقد اعتبر الدستور الإيراني الأقليات في إيران - " الإيرانيون الزردشت والمسيحيون" - هم الأقليات الدينية الوحيدة المعروفة التي تتمتع بالحرية في أداء مراسيمها الدينية، والعمل وفق أديانها في مجال الأحوال الشخصية^{٤٨٧}. وقد بلورت الثورة الشيعية هذا التمييز دستوريا وقانونيا، فالدستور الإيراني يفرق بين السنة والشيعية، فهناك نصوص صريحة في ذلك منها ما تقول المادة: "إن المذهب الجعفري الاثني عشري يبقى إلى الأبد المذهب الرسمي لإيران، وغير قابل للتغيير"^{٤٨٨}.

وهنا نسأل، إذا كان التشيع هو الصفة الغالبة على دين أهل البلاد الإيرانية فما هي الحاجة إلى تنصيبها في الدستور؟ هذا مع العلم أن الرسول الأكرم ﷺ عندما أقام دولته وحكم الإسلام في الأمة لم يجعل للدولة الإسلامية مذهباً رسمياً يصنف الإسلام والمسلمين على أساسه، فمن أين جاء حكام إيران بهذه التصنيفات الطائفية لينسبوا إلى الإسلام؟ حيث إن كثيراً من المدافعين عن الثورة الإسلامية يحاولون الترويج لفكرة دستور الثورة الشيعية، ومن أبرزهم محمد علي التسخيري (العراقي الأصل، وأول زعيم للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية العراقية قبل أن يتم تسليمها إلى آل الحكيم) رسول دولة الحلم الإمبراطوري إلى القمم المتعلقة

٤٨٦ - (قانون أساسي، المادة ١١٥).

٤٨٧ - (قانون أساسي إيران، المادة ١٣).

٤٨٨ - (قانون أساسي إيران المادة ١٢).



بالحوار بين المذاهب الإسلامية، الذي يقارن دوماً بين دستور المدينة الذي وضعه الرسول محمد ﷺ ودستور الثورة الشيعية^{٤٨٩}.

وأما المادة الأخرى التي نقف عندها والتي يزعمون أنها تحمل رؤية عصرية تؤكد حرص دولة الحلم الإمبراطوري على حقوق الإنسان بغض النظر عن ديانته ومذهبه، فهي المادة التي تنص على أن الإيرانيين الزرادشت "المجوس" واليهود والمسيحيين هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء شعائرها، والسؤال المحوري هنا: لماذا اعترف الدستور الإيراني بحقوق أتباع هذه الديانات فقط "، وهو حق واجب الاعتراف به من الناحية الإنسانية والوطنية " دون اعترافه بحقوق الطائفة المندائية "الصابئة" وهي ديانة ورد ذكرها في القرآن الكريم^{٤٩٠}؟ فهل عدم اعتراف الدستور الإيراني بالحقوق المشروعة لأبناء هذه الطائفة الدينية يعود لكونهم من العرق العربي، حيث إن هذا العرق هو المسؤول عن تحطيم الإمبراطورية الفارسية فقط؟^{٤٩١}.

لقد بلور الدستور الإيراني رؤيته للأقليات والقوميات من خلال نصوص دستورية لم تتحدث عن السنة لا من قريب أو بعيد^{٤٩٢}، ويمكن القول إن هذه المواد قد خدمت الزرادشت واليهود والمسيحيين على حساب السنة. أما المادة التي تتعلق برئيس الجمهورية فقد جاء بالفقرة الأولى منها ما يلي: أن يكون رئيس الجمهورية إيراني الأصل، ويحمل الجنسية الإيرانية. أي أن يكون من أبوين إيرانيين، وهذا يعني أن الفارسي - فقط - يحق له أن يصبح رئيساً

٤٨٩ - انظر كتاب محمد التسخيري، قانون أساسي إيران، تهران، انتشارات بين المللي هدى، ١٣٧١، ص ٩ - ٢١، وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية ولغات أخرى للترويج لهذه الفكرة الساذجة).

٤٩٠ - (ورد ذكر هذه الديانة في ثلاث آيات من سور القرآن الكريم هي: الآية ٦٢ من سورة

البقرة، والآية ٦٩ من سورة المائدة، والآية ١٧ من سورة الحج).

٤٩١ - (قانون أساسي، المادة رقم ١٣).

٤٩٢ - (قانون أساسي، المواد ١٩ و٢٠).



للجمهورية^{٤٩٣}؛ حيث بات عرفاً أن الإيراني هو الفارسي، والدستور الإيراني يؤكد ذلك في مادته^{٤٩٤} عندما ينص على أن تكون اللغة والكتابة الرسمية والمشاركة هي الفارسية، وإلا لماذا توجب الفقرة المذكورة الأصل والجنسية دون أن تكتفي بالجنسية فقط، رغم أن الإسلام ينص على دين الحاكم دون النظر إلى عنصره، كما أن المادة ذاتها توجب على أن يكون رئيس الجمهورية مؤمناً ومعتقداً بالمذهب الشيعي الجعفري الرسمي للبلاد^{٤٩٥} علماً بأن هذه المادة قد توسع شعاعها ليتم حرمان المواطن السني الإيراني من تولي أي منصب سواء كانت تفويضياً أو حتى تنفيذياً. بقي لنا أن نشير إلى المادة التي تحدد طريقة أداء رئيس الجمهورية لليمين الدستوري، حيث توجب عليه القول التالي: "أقسم بالله، وفي حضرة القرآن الكريم، أن أكون حامياً للمذهب الرسمي للبلاد". وهذا القسم يدل على أن المذهب فوق الإسلام^{٤٩٦}، ولا يحق كذلك لمجلس الشورى الإيراني أن يسن القوانين المغايرة لأصول وأحكام المذهب الرسمي^{٤٩٧}، ويتولى مجلس صيانة الدستور المكلف بمراقبة التشريعات مدى مطابقتها مع ذلك^{٤٩٨}.

نستطيع القول بأن التناقض الصارخ برز من خلال حرمان السنة من حقوقهم بشكل دستوري، وهذا الأمر تجسد من دستور الثورة الشيعية الذي أشرف عليه الخميني بشكل مباشر، وأسهم في وضع بعض بنوده، حيث اعتبر الدستور الثوري أن الإسلام الحقيقي هو إسلام فرقة الشيعة الإمامية^{٤٩٩}.

٤٩٣ - (قانون أساسي، المادة ١١٥).

٤٩٤ - (قانون أساسي، المادة ١٥).

٤٩٥ - (قانون أساسي إيران، المادة ١١٥).

٤٩٦ - (قانون أساسي، المادة ١٢١).

٤٩٧ (قانون أساسي، المادة ٧٢).

٤٩٨ (قانون أساسي، المادة ٧٢).

٤٩٩ (تم تناول هذا الموضوع سابقاً بشكل مفصل).



فعقب " الثورة الخمينية " ، اشتدت معاناة أهل السنة في إيران ، وذلك جراء سياسة التمييز الطائفي التي تمارس ضدهم على الأصعدة الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية . وقد تركت هذه السياسة آثارها على أهل السنة ، وجعلتهم محرومين من المشاركة في إدارة شؤونهم ، وأبعدتهم عن المشاركة في أمور الدولة عامة ، ومن أجل إثبات حسن نواياهم ، وحرصهم على الوحدة الوطنية ، فقد حث علماء أهل السنة المجتمع السني إلى المشاركة في جميع الانتخابات الرئاسية ، والبرلمانية وغيرها ، للتعبير عن حسن نواياهم ، ولكي لا يتهموا بمقاطعة الحكومة والنظام فيتخذ ذلك وسيلة للزيادة في اضطهادهم . وقد سعى العديد من العلماء والشخصيات الفكرية السنية البارزة ، طوال الوقت الماضي ، على إيصال صوت مظلومية أهل السنة ، إلى أعلى المسؤولين في النظام الإيراني ، إلا أن كل تلك المواقف والمسامحي الحثيثة طوال الـ(٢٨) عاماً الماضية - عمر النظام الإيراني الحالي - قد باءت بالفشل ، ولم تفلح في رفع سيف التمييز الطائفي من على رأس أهل السنة ، وقد بقيت النخب السنية محرومة من حصتها في المناصب السياسية ، والإدارية العليا ، وحتى في المناطق ذات الأغلبية السنية لم تراع فيها العدالة في توزيع المناصب ، فالغلبة فيها دائماً للشيعنة ، وفي الكثير من المناطق السنية يتعامل مسؤولو الدوائر الحكومية وفق مزاجهم ، ضاربين بالقوانين والمقررات عرض الحائط ، ما تسبب في سلب الحقوق القانونية للسكان السنة . وعلى الرغم من مرور أكثر من (٢٨) عاماً على سقوط حكم الشاه ، وقيام نظام ما يسمى " بالجمهورية الإسلامية الإيرانية " ، إلا أن سياسة التمييز الطائفي والعنصري ضد أهل السنة ، والقوميات غير الفارسية عامة ، ما تزال قائمة بقوة ، وذلك خلافاً للشعارات والوعود التي كان قد رفعها قادة الجمهورية ، وعلى رأسهم الخميني . من هنا ، فإن قضية أهل السنة تحتاج إلى حل جذري ، وذلك من خلال تحديد مكانة أهل السنة في الدولة ، عبر الاعتراف أولاً بحقوقهم كمواطنين من الدرجة الأولى ، شأنهم في ذلك شأن سائر أبناء المذاهب ، والطوائف الإيرانية الأخرى ، ورفع كافة القوانين التمييزية التي تحرمهم من التمتع بحقوقهم المشروعة ، ومن جملة القوانين



التي وضعت أوائل الثورة أمام أهل السنة، ومنعتهم من ممارسة حق المواطنة الكاملة، كانت الفقرة الدستورية التي تشترط الاعتقاد بالمذهب الشيعي " الاثنى عشري " شرطاً أساسياً لتولي منصب رئاسة الجمهورية، وقد لاقت هذه الفقرة آنذاك اعتراضاً شديداً من قبل الإيرانيين السنة، الذين يبلغ اليوم عددهم قرابة العشرين مليون نسمة، حيث شكلت هذه الفقرة فيما بعد الأساس لبناء سياسة التمييز الطائفي، التي حولت أهل السنة إلى رعية لا مواطنين^{٥٠٠}.

يرى أهل السنة في إيران أن الاضطهاد الذي يتعرضون له ليس - فقط - نتاجاً لاختلافهم المذهبي مع الحكومة، بل - أيضاً - له جذور في المسألة العرقية؛ فأعراق أهل السنة تختلف عن العرق الفارسي، ويُتهم أهل السنة عادة بأنهم موالون للذول السنية المجاورة لأماكن إقامتهم، ولذلك تشك الدولة الإيرانية دائماً بانتفاء أبناء هذا المذهب لها، وتتهمهم بالقيام بعمليات التهريب والاتصال بالجهات المعادية، وعادة ما يأخذ النظام هذه التهم كمبررات للتنكيل بأبناء السنة، ويقول السنة في إيران بأن النظام ينتهك أبسط حقوقهم، ومن هذه الانتهاكات التي يذكرها أهل السنة تقييد حرية بناء المساجد الخاصة بهم، حيث لا يوجد مساجد للسنة في أغلب المدن الإيرانية؛ فالعاصمة طهران تفتقر لوجود مسجد سني واحد بالرغم من أن هناك أكثر من مليون سني فيها، وتقول الحكومة الإيرانية بأن السنة الحق في الصلاة في مساجد الشيعة فهي كلها للمسلمين، بينما يؤكد السنة أنهم يُمنعون من أداء صلاة الجماعة، أما صلاة الفردى فتقام، لكن ينظر لها الشيعة في هذه المساجد بازدراء، فضلاً عن المسائل التي يعدها السنة من المحرمات والمنكرات. بالإضافة إلى هدم المساجد والمدارس مثل: مدرسة ومسجد الشيخ قادر بخش البلوشي، ومسجد كيلان في هشت بر، ونماذج أخرى كلها يعتبرها السنة من أشكال الاضطهاد والتفرقة ضدهم، بينما تعتبر الحكومة هذه المساجد أماكن إما لنشر التوجهات المعادية، أو أنها مبنية لغير أهداف العبادة.

٥٠٠ - (صباح الموسوي، سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران، الموقع الإلكتروني، مفكرة الإسلام، ١٧ - ١ - ١٤٢٨هـ، ص ٥ - ٦).



ب - نشر الفوضى والعنف وارتكاب جرائم التطهير المذهبي في المناطق والأقاليم السنية، وممارسة العنف والإرهاب الرسمي المنهج ضد السنة وعلمائهم: تلجأ حكومة ولي الفقيه في إيران اليوم إلى نشر الفوضى والفتن، ونشر حالة عدم الاستقرار والعنف بين مناطق السنة في إيران، على أمل استغلال هذه الظروف لبسط نفوذ دولة الحلم الإمبراطوري المفقود على الأقاليم التي يقطنها السنة، وبالتالي ارتكاب المزيد من جرائم التطهير المذهبي بحقهم لدفعهم للهجرة إلى الخارج، أو تشييعهم عنوة، فدولة الحلم الإمبراطوري تقوم اليوم بنشر الدعاة بين القبائل السنية بهدف التبشير بالمذهب الشيعي، فقد تعرض الكثير من علماء أهل السنة للاعتقال والتعذيب والاعتقال، هذا فضلا عن التضيق في ممارسة الشعائر الدينية. ويذكر موقع رابطة أهل السنة في إيران - مكتب لندن - وقوع العديد من المواجهات بين أبناء هذا المذهب وعناصر النظام الإيراني، وقتل العديد من أبناء أهل السنة في هذه المواجهات، ويقول السنة إن النظام الإيراني يحاول تلغيم أراضي أهل السنة.

إن المشاكل التي يتعرض لها أهل السنة في إيران مرجعها المذهبية، ومما يساعد على تأجيجها أسبابا جغرافية متصلة بالمذهب أيضا، فمعظم أهل السنة يقيمون على أطراف الدول التي تصل بينهما وبين دول سنية هي على خلاف مع إيران مثل دول الخليج العربية، تركيا، أفغانستان، باكستان، هروبا من بطش السلطة^{٥٠١}، وتعبير عن هذا الكره من خلال دعم الأقليات الشيعية للإطاحة بأنظمة الحكم العربية السنية. هذه الأسباب وغيرها كانت مبررا لإثارة الشك تجاههم، فهم في نظر النظام الإيراني ليسوا مجرد فصيل يختلف مذهبيا معه، ولكنهم عرق مشكوك في انتمائه إلى جسد الدولة الإيرانية، وكثيرا ما يتهمون بالقيام بعمليات

٥٠١ - (لاحظ أن أهل السنة قد فروا من بطش دولة القلب المذهبي، حيث قطنوا مناطق بعيدة عن العاصمة طهران، وأقرب مسافة قطنها أهل السنة حوالي (٥٧٨) كم عن العاصمة طهران، وهذا ما سنجده عند دراسة المناطق التي يقيم فيها أهل السنة).



التهريب أو الاتصال بالجهات المعادية، وهي مبررات كافية للنظام الإيراني للتكيل بهم، من وجهة نظرهم..

وقد أدرك حكام طهران خطورة وجود الكيان السني في إيران، وأنها بمثابة القنبلة الموقوتة التي تهدد مستقبل مصالحها السياسية والعقائدية في الداخل والخارج على السواء، لذا فقد سعت منذ نشأتها الأولى ليومنا هذا إلى إبادة هذا الكيان بثتى الوسائل، وقد تبنت إيران استراتيجية متدرجة للقضاء على السنة فيها، واتخذت هذه الإبادة صوراً شتى وأساليب عدة بدءاً بأسلوب الغزو الفكري وغسيل الأدمغة، وانتهاءً بأساليب محاكم التفتيش والتطهير المذهبي على غرار ما فعله صرب البوسنة من التطهير العرقي ضد المسلمين هناك، وأن هذه السياسة التي تنتهجها الحكومة لم تترك للسنة مجالاً إلا وحاربتهم فيه، فمن الحرمان من الحقوق المدنية والسياسية والمذهبية، إلى محاربة الاقتصاد والتعليم والنمو السكاني لدى السنة، والسعي الحثيث لطمس معالم أهل السنة في البلد، حتى ولو كانت على شكل مساجد ومدارس تاريخية، بل حتى التاريخ نفسه لم ينج من هذا الطمس من حيث تزويره، والتلفيق فيه، وعزل السنة عنه، هذا عدا سياسة التصفية الجسدية لقيادة وعلماء السنة.

لا شك بأن السنة هم الأكثر فقراً والأقل تعليماً والأبعد سكناً عن العاصمة طهران، وهو أمر يرجع إلى الدولة الصفوية، وتحديدًا في عهد الشاه إسماعيل الصفوي الذي أصدر فرماناً بطرد أهل السنة من العاصمة على أن يعيشوا في الأطراف، فهناك تمييز واضطهاد منظم، وكذلك فإن "هناك نظرة احتقارية من الشيعي الإيراني للسني الإيراني على وجه الخصوص"^{٥٠٢}.

وتوزيع أهل السنة على المناطق الحدودية هو أصدق دليل على أن إيران تحولت إلى مذهب الشيعة بقوة السيف، لأن المناطق المركزية أصبحت شيعية، إذ

٥٠٢ - (عبد المنعم بيومي، تاريخ السنة في إيران، القاهرة، دار العلوم، ١٩٨٣، ص ١٥٤ - ١٥٥).



كان سهل على الحكام الظلمة الوصول إليها والسيطرة عليها، وبقيت المناطق الحدودية النائية في مأمن من حملات وجود أولئك الحكام إذ كان سهل الفرار إلى تلك المناطق لقربهم من الحدود، وبعدهم عن مركز الدولة.

أما في الوقت الحاضر، فإن نظام الخميني استطاع أن يسيطر على المناطق الحدودية ومنافذها، ولهذا نرى أن سكان المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية يحاولون الهروب على شكل جماعات إلى باكستان والأقطار العربية، الأمر الذي يؤدي إلى استيلاء الشيعة على مناطقهم، وأول عمل قام به إسماعيل الصفوي أن أعلن المذهب الشيعي الإمامي مذهباً رسمياً للدولة الصفوية في عام (٩٠٧ هـ) لعموم إيران، وفعل كل ما في وسعه من قتل وتذبيح يفوق الوصف من أجل تنفيذ هذه الرغبة، ولم يكن أمام أهل الفرس من جراء هذه الأعمال التعسفية إلا الهروب بدينهم، أو قبول مذهب التشيع مكرهين، وأدت أفعال الشاه إسماعيل هذه إلى غضب السلطان العثماني سليم الأول فقامت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وفي النهاية تمكن السلطان سليم الأول من فتح مدينة تبريز، ولكنه بعد أن خرج منها سقطت مرة أخرى بأيدي الصفويين الذين قاموا على الفور بارتكاب مجازر جماعية مروعة اقتلعت أهل السنة من تلك المدينة تماماً.

وبهذا أصبحت تبريز مدينة شيعية بالكامل، حيث إنه قتل في يوم واحد (١٤٠) ألفاً من أهل السنة والجماعة. وفي الوقت الحاضر تمارس الدولة - وريثة الخمينية - سياسة التطهير المذهبي دون أن تتحرك الدول والمنظمات التي تدعي أنها تدافع عن حقوق الإنسان، وكل هذه السلالات والأسر تسير على نفس طريق الأسرة الصفوية.

وفي كل يوم يتلقى ما بقي من أهل السنة والجماعة ضربة جديدة، وكان آخرها السيطرة على موارد أرزاقهم وأسباب معيشتهم في المناطق المحاذية للخليج، مما اضطر أولئك إلى الهروب إلى الدول العربية المجاورة. أما النظام الإيراني فقد واجه هذا الهروب برحابة صدر وراحة تامة، وقام على الفور بإسكان الشيعة



الوافدين من خوزستان في المدن والقرى التي هجرها أهلها من السنة، فأضيفت هذه المناطق إلى المناطق الشيعية التي كانت غير موجودة أصلاً.

إذا نظرنا اليوم إلى خارطة إيران، فإننا نرى أهل السنة يقطنون في المناطق الحدودية، وهذا أصدق دليل على أن جميع المناطق المركزية داخل إيران تحولت إلى مذهب التشيع بسبب مظالم وجور السلاطين الذين تعاقبوا على حكم إيران، مع أن إيران قبل الأسرة الصفوية لم يكن فيها سوى أربع مدن كان أهلها يتبعون مذهب التشيع، وهي: آوه، كاشان، سبزوار، قم. وأما مؤرخو الشيعة فيدعون كذباً بأن الإيرانيين جميعاً تقبلوا المذهب الشيعي بمحض إرادتهم. ويمكن القول بأن هناك اتجاهان لتاريخ إيران هما: الاتجاه الذي فيه غلبت على إيران الصبغة السنية، وفي هذا الاتجاه سار تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى الدولة الصفوية في إيران في عام (٩٠٦هـ) أي ما يقرب من تسعة قرون من الزمان، وقد كان لهذه الغلبة أثر واضح في توجيه مظاهر النشاط البشري في إيران، وفي رسم سياستها الخارجية، وفي مد صلاتها بالدول الإسلامية، وغير الإسلامية التي جاورتها أو اتصلت بها، وأحداث التاريخ الإسلامي - قديماً وحديثاً - خير شاهد على صحة ما نقول.

لقد ساهمت إيران في بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية، حيث كانت الصبغة السنية غالبية على النشاط البشري فيها، فكان كثير من علماء المسلمين في مختلف العلوم والفنون من الإيرانيين، وساهم مجاهدو الإيرانيين في نشر الإسلام في ربوع آسيا، فأوصلوا نور الإسلام إلى شعوب التركستان وآسيا الصغرى والهند والشرق الأقصى، حتى وصل المسلمون إلى حدود الصين. أما الاتجاه الثاني فهو الذي غلبت فيه على إيران الصبغة الشيعية، وفي هذا الاتجاه سار تاريخ الإيرانيين منذ قيام الدولة الصفوية الشيعية في عام (٩٠٦هـ)، ثم إعلانها المذهب الشيعي الإمامي مذهباً رسمياً لإيران في عام (٩٠٧هـ) أي منذ خمسة قرون من الزمان، وحتى الآن، وقد كان لغلبة الصبغة الشيعية على إيران أثر في إضعاف الجبهة



الإسلامية، لأن المذهبية بين الشيعة في إيران وأهل السنة بزعامة الدولة العثمانية أدت إلى استعمار نيران الحرب بين المعسكرين السني بقيادة العثمانيين والمعسكر الشيعي بقيادة الصفويين، وتبادل الطرفان النصر والهزيمة، واستمرت الحروب بين السنة والشيعة أكثر من قرنين من الزمان، فأدت إلى إنهاء قوى المعسكرين، وتمكن المستعمرون من الغرب النصراني من احتلال أكثر ديار المسلمين حتى يمكن القول بأن الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة ساهمت في إيجاد كثير من المشاكل التي تعرف الآن بمشاكل الشرق الأوسط^{٥٠٣}.

وعلى الرغم من أن الأقلية السنية في إيران ليست أقلية دينية تعيش في مجتمع مغاير لها في عقيدتها، كالأقليات المسلمة التي تعيش في المجتمعات الأوروبية، ولكنها أقلية مذهبية، تعتنق مذهباً إسلامياً مخالفاً للمذهب الفقهي (الاثني عشري) الذي تتبناه الدولة، وبالرغم من كونهم يمثلون أكبر أقلية مذهبية في البلاد إلا أن المعلومات تتضارب بشأن الحجم الحقيقي للسنة في إيران^{٥٠٤} فالإحصاءات الرسمية للدولة تقول إنهم يشكلون (١٠٪) من السكان^{٥٠٥}، إلا أن مصادر السنة تؤكد أنهم يشكلون ثلث حجم السكان البالغ عددهم أكثر من (٧٠) مليون نسمة، ومصادر مستقلة تقول إن السنة يشكلون من (١٥ إلى ٢٠٪) من سكان إيران، فالمسلمون السنة - حسب الإحصاءات شبه الرسمية - تتراوح أعدادهم بين (١٤ إلى ١٩) مليون مسلم يشكلون نسبة تتراوح بين (٢٠ - ٢٨٪) من الشعب الإيراني. وقليل من العرب في إقليم خوزستان^{٥٠٦}،

٥٠٣ - (أهل السنة والجماعة في إيران (الحلقة الثانية) مجلة السنة، العدد ٥١، ص ١٢ - ١٣).

٥٠٤ - (حاولت الدراسة التقصي حول هذا الموضوع، ولكن إيران تخفي النسبة الحقيقية للسنة فيها).

٥٠٥ - (سوف نبحث هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقاً).

٥٠٦ - (تقع ولاية خوزستان - أو عربستان تسميتها قبل أن تقوم إيران باحتلالها - في جنوب غرب إيران، ويحدها من الجنوب الخليج العربي، ومن الشرق أصفهان، =



وهرمزكان^{٥٠٧}، ويسكنون بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية مثل: باكستان وأفغانستان، والعراق وتركمنستان. أما المسلمون السنة من العرق الفارسي فوجودهم نادر. ونظرا لأن أهل السنة في إيران من الشعوب غير الفارسية، فقد عاشوا في ظل النظام الملكي السابق أوضاعا سيئة، فكانوا مواطنين من الدرجة الثانية، أولا بسبب بعدهم عن المدن الكبرى والعاصمة، ثم بسبب اعتقادهم المخالف للفرس الشيعة.

إن السنة في إيران مقسمون إلى (٤) عرقيات رئيسية هي: الأكراد، والبلوش، والتركمان، وقليل من العرب في إقليم خوزستان. ويسكنون بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية، مثل: باكستان، وأفغانستان، والعراق وتركمنستان. أما المسلمون السنة من العرق الفارسي فوجودهم يتزايد نظرا لتحول قسم منهم إلى المذهب السني، فأهل السنة في إيران يتوزعون بين العرق العربي - وهؤلاء في عدة ولايات مثل: هرمزكان، وخوزستان^{٥٠٨}، والسنة - أيضا - يشملون العرق البلوشي في منطقة

=ويحدها العراق من الغرب، وتقسم من الناحية الطبيعية إلى قسمين: الجهة الشمالية، وهي منطقة جبلية، ومن الجنوب تمتاز بوجود الواحات والصحراء، وهي منطقة مهملة من الناحية الخدمية على الرغم من أنها تشكل المصدر الأساسي للنفط بالنسبة لإيران، عاصمة هذه الولاية هي مدينة الأهواز التي تبعد عن طهران حوالي (٩٢٢) كم، المرجع كليات جغرافية طبيعية، مرجع سابق، ص (٢٣٩).

٥٠٧ - (وتعرف باللغة الفارسية بالولاية الساحلية، حيث عادة ما يتم دمج هرمزكان وبوشهر، وهي عبارة عن ولاية ساحلية، تقع في جنوب إيران، ويحدها من الشمال ولاية كرمان وفارس، ويحدها من الجنوب الخليج العربي. وتعتبر بوشهر عاصمة هذه الولاية التي تضم: قشم، بندرلنكه، كيش، وميناب. ومركز بوشهر هي بندر بوشهر "ميناء بوشهر". عزيز الله بيات، ص (٣٦١ - ٣٦٢).

٥٠٨ - (يتوزع السنة العرب في ولاية هرمزكان، وتحديدًا في منطقة بندر عباس التي تقع على سواحل الخليج العربي وبحر عمان. وكذلك في ولاية خوزستان، وفي منطقة بوشهر تحديدا الواقعة على حدود العراق والخليج العربي، ومن هنا كان اختيار دولة القلب =



بلوشستان^{٥٠٩}، وهي تعد كارثة كبيرة؛ حيث تعتبر مركزا للمخدرات وتجارة الرقيق الأبيض، فحوالي (٧٠٪) من مخدرات العالم تمر عن طريقها. كما يشهد إقليم بلوشستان (على الحدود مع باكستان) ذي الأغلبية السنوية حركة تمرد مسلحة ضد السلطة الشيعية في طهران، وكانت آخر تلك المواجهات اختطاف تسعة جنود إيرانيين من قبل جماعة «جند الله» البلوشية الإيرانية السنوية، والجماعة تنتمي إلى «حركة الفرقان» بقيادة «عبد الملك ريكي»، وهي حركة سنوية تسعى من سنوات من أجل رفع الاضطهاد الطائفي والقومي الواقع على الشعب البلوشي السني، وتعتبر «حركة الفرقان» من أقوى الحركات البلوشية المسلحة، وسبق لها القيام بالعديد من الهجمات على المراكز الأمنية والعسكرية الإيرانية في إقليم بلوشستان والمناطق المجاورة له، وكان من أشهر هجماتها ذلك الذي نفذته عام ١٩٩٨ ضد قاعدة

=المذهبي ناجحا من خلال الاستمرار في بناء أكبر مفاعلاتها الذرية في هذه المنطقة، لأن الخسائر البشرية في حالة استهدافه عسكريا سوف يكون لصالحها على اعتبار أنها ومنذ قيام الثورة وهي تسعى إلى إبادة السنة، والضربة العسكرية الأمريكية في حال حدوثها سوف تحقق لها هذا الهدف).

٥٠٩ - بلوشستان: تقع في جنوب شرقي إيران، وتمتد من خراسان إلى بحر عمان، وتحدها أفغانستان وباكستان، وتبلغ مساحة هذه الولاية (١٨١٥٧٨) كيلومترا مربعا، ومدينة زاهدان هي عاصمة هذا الإقليم، وتقع بالقرب من الحدود الباكستانية، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي (١٣٧٠) م، لذلك تمتاز هذه المدينة بجمالها، حيث تعتبر منطقة سياحية جيدة. (عزيز الله بيات، كليات جغرافية طبيعية وتاريخية إيران ص ٣٦٥، ٣٦٨). وحسب الإحصائية الرسمية التي أجريت في عام ٢٠٠٣م فإن عدد سكان الإقليم يبلغ (٢١٥١٥٦٨) نسمة غالبيتهم من أهل السنة، ولكن على الرغم من هذه الأهمية الجغرافية والاقتصادية التي يتمتع بها الإقليم إلا أنه بقي ومنذ أكثر من مئة عام تقريبا من أفقر الأقاليم الإيرانية؛ حيث يلاقي إهمالا متعمدا من قبل الدولة الإيرانية، وهو ما دفع بأبنائه إلى القيام بالعديد من الانتفاضات ضد الأنظمة والحكومات الإيرانية المتعاقبة، وكانت جميع هذه الانتفاضات تقمع بقوة السلاح، مخلفة المزيد من البؤس والشقاء للشعب البلوشي).



للحرس الثوري في محافظة كرمان، وتمكنت خلاله من أسر ثلاثة عشر من عناصر مليشيا الحرس^{٥١٠}.

وقد ساهم البلوش كغيرهم من الشعوب الإيرانية الأخرى في إسقاط النظام البهلوي، وكانوا قد سمعوا الكثير من الوعود على لسان قادة نظام الملالي، ولكن وعلى الرغم من مضي قرابة الثلاثة عقود على انتصار هذه الثورة ونظامها المسمى بالإسلامي، إلا أن مظاهر الظلم والفقر والتخلف بقيت السمة الوحيدة التي تطفئ على الواجهة في بلوشستان، وبحكم وقوع الإقليم في منطقة المثلث الإيراني - الباكستاني - الأفغاني الذي تحيطه الجبال من الشرق والشمال، فقد أصبح ممراً ومرتعاً خصباً لمافيا المخدرات التي تدار بإشراف شخصيات متنفذة في النظام الإيراني.

يلاحظ أن تعمد الحكومات الإيرانية المتعاقبة بإبقاء هذا الإقليم على ما هو عليه من الأوضاع الحياتية البائسة لم يكن ناجماً من النظرة العنصرية والطائفية التي تكنها للشعب البلوشي السني وحسب، وإنما هناك قوى المافيا المتغلغلة داخل السلطة الإيرانية، والتي تعمل بشدة على منع الحكومات بتحسين الأوضاع في الإقليم لكي يتم إجبار أبناء البلوش على التعامل مع منظمات المافيا الناشطة في قضايا تهريب المخدرات والسلاح والرقيق الأبيض الذي أصبح مؤخراً واحداً من أهم السلع المتاجر بها من قبل مؤسسات ولي الفقيه الثورية في هذه المنطقة^{٥١١}.

٥١٠ - (صباح الموسوي، هل يصبح إقليم بلوشستان كشمير أخرى؟ مفكرة الإسلام - السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ - ٢٧ مايو ٢٠٠٦م، ص ٣ - ٤).

٥١١ - (من أبرز هذه الحركات التي نشأت في بلوشستان في السنوات الأخيرة يمكن ذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر: الجبهة البوشستانية المتحدة، الحركة الوطنية البلوشستانية، حزب الشعب البلوشستاني، حركة الفرقان. كما شهد إقليم بلوشستان مؤخراً ظهور منظمة إسلامية ذات توجهات إسلامية مثل حركة فدائيو إسلام، وحركة تسمى " حركة جنرال الله " رافعة بقيادة " عبد الملك ريقى زهي " منهجها الكفاح المسلح وسيلة لإخضاع السلطات الإيرانية لمطالب البلوش، وقد نفذت الحركة للآن - وعلى =



ومن هنا نجحت دولة الحلم الإمبراطوري في الترويج لعدم توفر الأمن في مناطق السنة، وبالتالي تسهيل عملية التدخل العسكري لاستهداف المعارضة السنوية تحت غطاء محاربة الجريمة والمخدرات، كذلك تضرر السنة بحكم عوامل إضافية أخرى - غير التي ذكرت سابقا - بحكم العامل الجغرافي القسري، وذلك من خلال استهداف السنة المقيمين على الأطراف من مغامرات الثورة الشيعية في السابق، حيث خسروا الآلاف من أبنائهم نتيجة الحرب العراقية الإيرانية، إذ إن وجودهم في مناطق جغرافية معينة جعلتهم هدفا للحروب والضربات الانتقامية، حيث لجأت قوات الحرس الثوري على إطلاق عشرات الصواريخ من المناطق السنوية الإيرانية، حيث كانت ردة الفعل العراقي منسبة على تدمير المناطق المدنية الحدودية التي تطلق منها هذه الصواريخ، وبهذا تخلصت الثورة الشيعية من أعداد كبيرة من السنة دون عناء^{٥١٢}.

=الرغم من قصر عمرها - العديد من العمليات ضد مراكز الشرطة والجيش والحرس الثوري الإيراني، وكان من أبرز ما تبنته في الآونة الأخيرة عملية الكمين الذي نصبته لقافلة حكومية في منتصف شهر مارس من العام ٢٠٠٧ على طريق " تاسوكي " الواصل بين مدينة زاهدان مركز الإقليم، ومدينة زابل ثاني أكبر مدن بلوشستان. وقد أسفر الهجوم عن مقتل حاكم مدينة زاهدان واثنين وعشرين شخصا، واحتجاز سبعة مسؤولين آخرين، وقد سبق للحركة أن هاجمت في مطلع السنة الجارية مخفرا حدوديا، وأسرت ثمانية من عناصره، ولهذا فقد شكلت الحكومة الإيرانية في منتصف آيار من العام ٢٠٠٧ الجاري حملة عسكرية عدت لها أكثر من عشرين ألف جندي من قوات الجيش والحرس، وقوات شرطة الحدود، وعناصر قوات التعبئة، وشنت هجوما عنيفا على المناطق التي يعتقد أنها مأوى للمسلحين البلوش. وقد سقط نتيجة للقصف الجوي الذي نفذته طائرات حربية شاركت في الهجوم أكثر من عشرين قتيلًا بينهم نساء وأطفال. الملفت للنظر أنه وكل ما حدث هجوم مسلح من قبل المعارضة البلوشية ضد القوات الإيرانية شهد الجانب الثاني من الإقليم الواقع تحت السيطرة الباكستانية هجوما مماثلا من قبل معارضين بلوش باكستانيين يشكلون غالبية سنوية. حيث يشهد إقليم بلوشستان الباكستاني هو الآخر حركة معارضة مسلحة نشطة منذ عدة سنوات، وتحظى بدعم إيراني واسع، وكانت إيران قد شنت هجمات إعلامية عنيفة ضد الاستخبارات=



إن تصاعد الأحداث التي يمر بها إقليم بلوشستان - ذات الأغلبية السنية - تشير إلى أن الأمور تسير باتجاه وقوع حرب حقيقية بين الشعب البلوشي والحكومة الإيرانية. ولا يستبعد سياسيون بلوش وإيرانيون أن تمتد هذه الحرب في حال نشوبها إلى الجارة باكستان، وذلك على غرار الحروب التي دارت بين باكستان والهند على خلفية النزاع القائم بينهما على إقليم كشمير. فهل يقع ذلك فعلاً؟ أما الفئة الثالثة من السنة فهي العرق التركماني الذي يقطن في منطقة شمال خراسان^{٥١٣}. ويتوزع السنة - أيضاً - في ولايات أخرى مثل طهران العاصمة^{٥١٤}،

=الباكستانية متهمة إياها بالوقوف وراء العمليات التي نفذتها حركة جند الله. وعلى الجانب الثاني فقد واصلت الإدارة الباكستانية في إقليم بلوشستان حملتها ضد إيران متهمة إياها بتحويل مدينة كويتة الحدودية إلى مركز للمخابرات الإيرانية، محملة إياها مسؤولية جميع ما يحدث من أعمال عسكرية تستهدف المؤسسات والدوائر الحكومية الباكستانية في المنطقة. صادق علم زاده، أوضاع السنة في إيران، مجلة دراسات سياسية، العدد ٥٤، نوفمبر، ٢٠٠٧).

٥١٢ - (ذكر لنا مسؤول عسكري إيراني هذا الموضوع، وهو لاجئ سياسي مقيم في الخارج فضل عدم ذكر اسمه).

٥١٣ - (تقع في شمال شرقي إيران، وتحدها من الشمال تركمانستان، ومن ناحية الشرق أفغانستان، تبلغ مساحة ولاية خراسان (٣٢٠) ألف كم، وطول هذه الولاية (٨٨٠) كم من الشمال إلى الجنوب، و(٤٨٠) كم من الشرق إلى الغرب. وتعتبر خراسان أكبر ولاية إيرانية، تعد مشهد وهي عاصمة ولاية خراسان حوالي (٩٩٠) كم عن العاصمة طهران. عزيز الله بيات، كليات جغرافية طبيعية وتاريخية إيران، تهران، مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٩، ص ١٤٠).

٥١٤ - (طهران هي عاصمة إيران، يحدها من جهة الشمال محافظة مازندران الشمالية، ومن جهة الجنوب محافظة قم، ومن جهة الشرق محافظة سمنان، ومن جهة الغرب محافظة قزوین. تضم محافظة طهران ثلاث عشرة بلدة، وثلاثة وأربعين بلدية وقرية، ويبلغ عدد سكان المحافظة أكثر من (١٢) مليون نسمة. ويبلغ ارتفاع العاصمة طهران عن البحر حوالي (١١٩١) م). ولرستان: تقع في غرب إيران، وتمتاز بكونها منطقة جبلية، ومركز هذه الولاية مدينة إيلام التي تبعد حوالي (٨٠١) كم عن طهران العاصمة. عزيز الله، =



ومناطق حدودية متفرقة هربا من بطش دواة الحلم الإمبراطوري. وهناك الكرد السنة، وأغليبتهم العظمى من السنة، ويتوزعون في منطقة خاصة بالأكراد^{٥١٥}.

ومن هنا فإن مناطق أهل السنة كلها تقع على الحدود من جميع جوانب إيران، ضمن خط صدعي سني دفعه بطش السلطة الشيعية المركزية إلى هذا الخيار القسري، على عكس الشيعة الذين تمركزوا في داخل دولة القلب المذهبي، ومن هنا فإن بإمكاننا الاستفادة من خط الصدع السني لبناء أولى مصدات الدفاع المذهبي السني داخل دولة القلب المذهبي "إيران" لمنعها وإعاقتها عن استكمال بناء مشروع المجال الحيوي المذهبي الشيعي.

وكعادتها في تزوير الحقائق، فإن السلطات الإيرانية تحاول - دائما - تكذيب ممارساتها التمييزية ضد أهل السنة، والدليل على ذلك ما ادعاه أمين عام "المجمع

=ص ٤٢٣، ٤٢٦). وأردبيل: مدينة تقع في ولاية أذربايجان شرقا، وتبعد (٦٣٩) كم عن العاصمة طهران، وتقع في أقصى شمال إيران على حدود الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، ويبلغ ارتفاعها حوالي (١٣٧٠) م عن سطح البحر. المرجع: عزيزالله، مرجع سابق، ص ٢٠٩). فارس: تقع جنوب إيران، وهي شمال ولاية أصفهان، وتعتبر شيراز عاصمة لهذه الولاية، حيث تبعد حوالي (٩١٩) كم عن العاصمة طهران، ويبلغ متوسط ارتفاعها حوالي (١٦٠٠) م عن سطح البحر. عزيز الله، ص ٣٠٢، ٣٠٨).

٥١٥ - (يتركز هؤلاء في ولاية كردستان، وتقع هذه المنطقة في غرب إيران من مدينة قصر شيرين" نقطة الحدود مع العراق " إلى حدود تركيا، ويبلغ طول حدود إيران مع العراق (١٣٣٦) كم، ومع تركيا حوالي (٤٨٨) كم. وتشتمل كردستان على مناطق جبلية خصوصا من المنطقة الجنوبية الشرقية لتركيا ومن ناحية شمال شرق العراق، وتبلغ مساحة كردستان حوالي (١٩٢) ألف كم. ومركز كردستان هي مدينة سنندج التي تبعد عن طهران حوالي (٥٧٨) كم. عزيز الله بيات، كليات جغرافياي طبيعي وتاريخي إيران، تهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٧٩، ص ٣٧٣، ٣٧٨).



العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية" الإيراني "محمد علي تسخيري" ٥١٦ من أن لأهل السنة الإيرانيين أكثر من مسجد في العاصمة طهران، وقد جاء ادعاء "التسخيري" هذا في معرض رده على سؤال لأحد العلماء المسلمين المشاركين في المؤتمر عن السبب الذي يمنع الحكومة الإيرانية من السماح لأهل السنة الإيرانيين من بناء مسجد واحد لهم في العاصمة طهران، وكما هو معروف فإن طهران العاصمة الوحيدة في العالم الإسلامي التي لا يوجد فيها مسجد لأهل السنة، وما زاد من قلق أهل السنة في إيران - في الأيام الأخيرة - بعض الإجراءات الحكومية، والتي من بينها: منع السكان السنة في مدينتي طهران وأصفهان من إقامة صلاة الجماعة.

ثانياً: مظاهر التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيران:

يعاني أهل السنة في إيران العديد من التحديات من أبرزها تقييد حرية بناء المساجد الخاصة بهم: حيث لا يوجد مسجد سني واحد في المدن الكبرى التي يمثل الشيعة فيها الأغلبية، مثل: أصفهان، وشيراز، ويزد، وكذلك في العاصمة طهران التي يوجد فيها أكثر من مليون سني، وتبرر الحكومة رفضها بأن المساجد الشيعية مفتوحة أمام أهل السنة ليصلوا فيها، وأنه لا داع لبناء مساجد خاصة بهم ضماناً للوحدة. كذلك هدم المساجد والمدارس: حيث تعتبر الحكومة الإيرانية مساجد السنة إما أنها مساجد ضرار؛ على اعتبار أنها بنيت لغير أهداف العبادة (التجسس، والتخريب، وتدمير دولة ولي الفقيه في نظر الدولة الشيعية في إيران)، أو أنها بنيت بغير إذن من الحكومة، أو أن أئمة تلك المساجد لهم ولاءات مع جهات معادية، وشن عمليات خاصة بهدف الاعتقالات والتصفيات الجسدية، حيث تقول

٥١٦ - (مؤتمر حوار المذاهب الإسلامية، دولة قطر، في الفترة من ٢٠ - ٢٢ / ١ / ٢٠٠٧).
مصباح الموسوي، سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران، مفكرة الإسلام ١٧ - ١ - ١٤٢٨هـ، عبد الرحيم ملا زادة البلوشي، المصدر: مجلة السنة - العدد (٧١)، ص ١٣ - ١٤).



العديد من الروايات والتقارير: إن المسلمين السنة تعرضوا للعديد من مظاهر الاضطهاد منذ الأيام الأولى للثورة الإسلامية في إيران، حيث انقلب الخميني على من ساعده من علماء السنة في الثورة، وهو الشيخ أحمد مفتي زادة، فكان مصيره الاعتقال الذي استمر طيلة عقد من الزمان^{٥١٧}.

٥١٧ - (وفيما يلي أسماء بعض العلماء والدعاة الذين أعدموا، أو قتلوا، أو سجنوا وما زالوا في السجن، أو المفقودين على يد السلطات إلى يومنا هذا: ١ - بهمن شكوري: من طوالش، في الثلاثينيات من عمره، أعدم عام ١٩٨٦، وكان من العلماء البارزين في منطقته، وكانت له نشاطات دعوية في أوساط المثقفين من أبناء السنة هناك، اعتقل بتهمة الوهابية، ومن ثم تم إعدامه. ٢ - الشيخ مولوي عبد العزيز سربازي: من بلوشستان، في الستينيات من عمره، منعه من العلاج، ومات عام ١٩٨٧، ويعتبر من أكبر زعماء السنة في إيران، وله دور بارز في معارضة الدستور فيما يخص حقوق أهل السنة، خاصة تلك الجلسات التي كانت تعقد بشأن تشكيل الدستور والتي كانت مشهورة بجلسات مجلس خبركان، كان له نفوذ كبير بين السنة في إيران وباكستان، وكان يدير مدرسة زاهدان الدينية، وكانت الحكومة تهابه حيث كان يرأس قبائل البلوش المسلحة والتي كانت طوع أمره. ٣ - الشيخ عبد الوهاب خوافي: من خراسان، في العشرينيات من عمره، مات تحت التعذيب عام ١٩٩٠، كان له دور بارز في عرض قضية السنة ونشرها بين المسلمين في الخارج في باكستان، وكانت التهمة التي قتل من أجلها هي الوهابية، اعتقل بعد ١٥ يوماً من وصوله إلى بيته قادماً من باكستان. ٤ - الشيخ قدرة الله جعفري: من خراسان، في العشرينيات من عمره، مات تحت التعذيب عام ١٩٩٠، قتل بعد رجوعه من الدراسة في باكستان، وكانت تهمة نفس التهمة السابقة. ٥ - الشيخ ناصر سبحاني: من كردستان، في الثلاثينيات من عمره، مات تحت التعذيب عام ١٩٩٢، من زعماء السنة في كردستان، وكان له دروس وحلقات علم، اعتقل بسبب رده على الخميني في كتابه المشهور الحكومة الإسلامية، حينما تعرض لسيدنا عمر بالفاظ بذبئة يتهمه بالكفر، وقتل في السجن ولم يسمح لأحد من أقاربه بحضور جنازته أو الصلاة عليه. ٦ - الدكتور مظفریان: من شیراز، في الخمسينيات من عمره، اغتيل عام ١٩٩٢، وكان من أحد المثقفين البارزين من الشيعة؛ حيث كان طبيباً في جراحة القلب، وكان يرأس هيئة أطباء شیراز أيضاً، ولكنه اعتنق مذهب أهل السنة والجماعة، وحول بيته إثر ذلك إلى مسجد حيث لم تسمح الحكومة لهم ببناء مساجد=



.....

=في شيراز، وعلى أثر دخوله في مذهب السنة دخلت أفواج كثيرة من الشباب من الشيعة في مذهب السنة مما أثار حفيظة الحكومة حيث اعتقلته، ومن ثم قامت بإعدامه . ٧ - برقي: من طهران، في السبعينيات من عمره، أطلق عليه النار وهو في الصلاة ثم حكم عليه بالسجن ٣٠ سنة والنفي، ومات عام ١٩٩٢، كان من كبار علماء الشيعة وأحد المحققين الكبار لديهم، قاده بحثه المستمر إلى كشف حقائق كثيرة عن المذهب الشيعي، مما جعله يرد ويفند كل دعاوى وعقائد الشيعة المخالفة للكتاب والسنة، وألف في ذلك كتاباً، كما يرجع له فضل ترجمة كتاب منهاج السنة لابن تيمية إلى الفارسية، ودخل السجن جراء ذلك . ٨ - الشيخ أحمد مفتي زاده: من كردستان، في الخمسينيات من عمره، مات تحت التعذيب سنة ١٩٩٣، وهو مؤسس أول حركة سنوية في إيران كانت تسمى بشوراي شمس، وكان أيضاً مؤسس حركة شباب القرآن نسبة إلى دروسه التي كان يلقيها في تفسير القرآن الكريم، وكان - رحمه الله - قد تعهد للخميني قبل نجاح ثورته بالسيطرة على ولاية كردستان، والحيلولة دون قيام شعبها بالانفصال عن إيران لتشكيل دولة كردستان إذا تعهد الخميني من جانبه رعاية حقوق السنة في الدستور وإعطاء حقوقهم كاملة دون تفریق بينهم وبين الشيعة، ولكن خيانة الخميني له جعلته يقود المعارضة السنوية ضد دستور الحكومة، سجن جراء ذلك ولم يخرج إلا بعد ١٠ سنوات حيث مات بعدها بأيام . ٩ - الشيخ عبد الستار بزرغزاده: من منطقة بلوشستان، في الستينيات من عمره، سجن وعذب وجلد ثم حكم عليه بالنفي خمس سنوات، وقضى مدة النفي ثم مات عام ١٩٩٣، كان يشرف ويؤم مسجداً كبيراً بمدينة إيران شهر بلوشستان، ورفض أكثر من مرة طلب الحكومة بالسماح لرجال الدين الشيعة بإلقاء الدروس في مسجده، اعتقل على إثر ذلك، ومن ثم أفرج عنه بعدما أعطيت له حقنة مات على أثرها مسموماً بعد أيام من إطلاق سراحه . ١٠ - الشيخ ضيائي: من هرمزكان، في الخمسينيات من عمره، اغتيل عام ١٩٩٤، كان صاحب مدرسة كبيرة في المنطقة وذا نفوذ بين الناس، وتعرض لأكثر من تهديد من قبل الحكومة لإغلاق المدرسة ولكنه رفض، قتل بعد اعتقاله بأيام بحادث مفتعل، ورميت جثته في الشارع العام . ١١ - الشيخ الهيارى: من خراسان، في الأربعينيات، مات بعد التعذيب عام ١٩٩٤، كان له دور بارز في مجال ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة الفارسية، قتل بعد حقنه بإبرة مسمومة . ١٢ - الشيخ الدكتور أحمد ميرين: من=



.....

=بلوشستان، في الخمسينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، كان يحمل شهادة دكتوراه في الحديث من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يدير مدرسة دينية في منطقة زر آباد، اعتقل بعد رجوعه من دبي في المطار، وألقيت جثته بعد أيام على الشارع العام، ونفت الحكومة كعادتها أن يكون لها يد في الحادث. ١٣ - الشيخ عبد الملك ملا زاده: من بلوشستان، في الأربعينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، هو الابن الأكبر للشيخ مولوي عبد العزيز - رحمه الله، وقد تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان له نشاط دعوي بارز في أوساط الطلبة والمثقفين في إيران، كما كانت له مكانة مرموقة بين القبائل البلوشية خلفاً لوالده، هاجر بعد الضغط الشديد إلى باكستان، وكان له نشاط ودور رئيسي في شرح قضية السنة للعالم الإسلامي عن طريق طبع كتيبات ورسائل في هذا الشأن، تعرض لأكثر من محاولة اغتيال في باكستان كان آخرها في مدينة كراتشي الباكستانية، حيث قتل أثناء ركوبه سيارته. ١٤ - الشيخ عبد الناصر جمشيد زهي: من بلوشستان، في العشرينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، هاجر بعد هجوم قوات حرس الثورة على منزله إلى باكستان، لازم الشيخ عبد الملك إلى يوم الحادث الذي قتل فيه مع الشيخ عبد الملك - رحمهما الله. ١٥ - الشيخ عبد الستار: من بلوشستان، في الخمسينيات، مات مسموماً عام ١٩٩٦، كان أحد أئمة المساجد البارزين في مدينة خاش بولاية بلوشستان، اعتقل من منزله ومات على أثر حقنة أعطيت له في السجن. ١٦ - الشيخ الأستاذ فاروق فرساد: من كردستان، في الثلاثينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، كان له دور بارز في الدعوة، وكان له حلقات علم في منطقتيه، اعتقل وعذب أثناء قيامه بإيقاظ تلامذته وإخوانه للسحور في رمضان، وقتل من جراء التعذيب، وقد كان من أبرز تلامذة الشيخ أحمد مفتي زاده. ١٧ - مولوي قلندر زهي: من بلوشستان، في الخمسينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، كان أحد أئمة المساجد في خاش ببلوشستان، قتل رمياً بالرصاص بعد اعتراض طريقه عائداً من المسجد. ١٨ - الشيخ ملا محمد ربيعي: من كردستان، في الستينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، كان إماماً للمسجد الجامع لمدينة كرمانشاه مركز ولاية كردستان، تعرض في آخر خطبه لسياسة الدولة الإعلامية ضد السنة، وانتقد المسلسل التلفزيوني الجديد والذي يعرض باسم الإمام علي حيث يتناول عقائد السنة بسخرية شديدة، ويطعن بشكل جارح ومستفز للصحابة رضوان الله عليهم، اقتيد على إثر ذلك للسجن، حيث أعدم بعد أيام من اعتقاله. ١٩ - الشيخ عبد العزيز كاظمي: =



.....

=من بلوشستان، في الثلاثينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كان يعمل مدرساً بالجامعة بمدينة زاهدان مركز بلوشستان، انتقد المسلسل التلفزيوني الإمام علي أمام أحد المدرسين الشيعة في الجامعة، حيث يتعرض هذا المسلسل بالطعن الصريح للصحابة، ونتيجة لذلك اقتيد من منزله في أحد الليالي وغاب أياماً، ووجدت جثته بعد ذلك ملقاة بالشارع العام. ٢٠ - مصطفى نصري: من بلوشستان، في الستينيات، مات مسموماً عام ١٩٩٦، كان من أحد أئمة المساجد في بلوشستان، وقد استدعوه إلى طهران حيث تم إعطاؤه حقنة سامة مات على إثرها بعد أيام. ٢١ - إبراهيم مدني: من بلوشستان، في العشرينيات، اغتيل عام ١٩٩٦، أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث أنهى دراسته منها في عام ١٩٩٥، كان له نشاط دعوي بين الشباب، قتل أثناء ركوبه دراجته النارية في السوق. ٢٢ - مولوي داد كريم: من بلوشستان، في الأربعينيات، اغتيل عام ١٩٩٧، كان من الذين يواجهون الحكومة بما تقوم به من ظلم وتجاوزات بحق أهل السنة، وسجن جراء ذلك مراراً، قتل وهو في طريقه إلى البيت بكمين كانت الحكومة أعدته مسبقاً. أبو سلمان البلوشي، معاناة أهل السنة في إيران (الحلقة الثانية)

وأما العلماء وطلبة العلم الذين اضطروا للهجرة من إيران والنجاة بأرواحهم فكثيرون، نذكر منهم على سبيل المثال ١ - الشيخ المولانا محيي الدين البلوشستاني الذي سجن في إيران لمدة خمس سنوات، ثم نفي، ثم أغلقت مدرسته الدينية ومسجده أخيراً كما أشرت من قبل. ٢ - الشيخ مولانا نظر محمد ديدكاه الذي كان نائباً في البرلمان، ثم سجن وعذب تعذيباً شديداً؛ لأنه دافع عن ابن تيمية - رحمه الله - في جلسة عامة، واضطر آخر الأمر بعد إطلاق سراحه وتحت الإقامة الجبرية للهجرة إلى باكستان والبقاء فيها ٣ - الشيخ علي أكبر ملا زاده الذي أطلق عليه النار من قبل المخابرات الإيرانية ونجا بحمد الله تعالى، واغتيل بعد ذلك شقيقه الأكبر الشيخ عبد الملك ملا زاده، وهما أبناء الزعيم الديني في بلوشستان وهو مولانا عبد العزيز ملا زاده - رحمه الله. ٤ - الشيخ موسى الذي كان إماماً وخطيباً في المسجد الشهير في مشهد، واضطر للخروج إلى أفغانستان. ٥ - الشيخ إبراهيم صفي زاده من الدعاة المشهورين. ٦ - الشيخ المجاهد الداعية عبد المنعم الرئيسي المتخرج من الجامعة الإسلامية، وصاحب نشاط مبكر في الدعوة، ضد همجية الحكم في إيران ٧ - الشيخ عبد الله البلوشي =



إن من الأمور اللافتة للانتباه وجود ما يزيد عن (٣٠٠) ألف سني في العاصمة طهران وحدها دون أن تسمح لهم الحكومة ببناء مسجد للصلاة فيه، مع أن السنة قد اشتروا في عهد الشاه أرضاً لهذا الغرض، وجمعوا الأموال لبناء المسجد، ولكن مصادرة الأرض المخصصة لبناء المسجد والأموال التي جمعت من أجل ذلك كان أول هدية قدمها الخميني للسنة بمناسبة انتصار الثورة، وما زال هذا الأمر على حاله إلى يومنا هذا، ولم تكتف دولة ولي الفقيه بمصادرة الأراضي المخصصة لبناء المساجد بل تعدته إلى هدم مساجد السنة^{٥١٨}، هذا وقد قامت

٨= الشيخ عبد الباسط بزر كزاده. ٩ - الشيخ عبد القادر ترشاب. ١٠ - الشيخ عبد الحكيم غمشادزهي. ١١ - الشيخ عبد الجليل غمشادزهي. ١٢ - الشيخ عبد الواحد كمكوزهي. ١٣ - الشيخ عبد القادر عبد الله زهي. ١٤ - الشيخ عبد الشكور شاهو زهي. ١٥ - الشيخ عبد السلام دنيارزهي. ١٦ - الشيخ محمد قلندوزهي. ١٧ - الشيخ عبد الرحمن الله وردي الذي سجن وعذب ثم هرب وكان يدرس في الثانوية في سراوان بعد تخرجه من الجامعة الإسلامية. ١٨ - الشيخ عبد المجيد مرادزهي. ١٩ - الشيخ حبيب الضيائي. ٢٠ - الشيخ عبد المجيد. ٢١ - الشيخ محمد أمين بندري. ٢٢ - الشيخ قاسم دراني. ٢٣ - الشيخ عز الدين السلجوقي. ٢٤ - الشيخ صلاح الدين السلجوقي. ٢٥ - ملا محمد آخوند. ٢٦ - د. عبد الرحيم ملا زاده).

٥١٨ - (ها هي أسماء بعض المساجد التي كانت من ضحايا ثورة الخميني: مسجد السنة بأهواز: يعتبر أول مسجد صودر للسنة، حيث صودر قبل نشوب المعارك مع العراق، حول هذا المسجد إلى مركز لقوات الأمن. جنوب مدينة طهران: يعتبر ثاني مسجد صودر للسنة، وذلك عام ١٩٨٢، مسجد تربت جام: موقع هذا المسجد بولاية خراسان، حيث حول هذا المسجد إلى مركز لقوات حرس الثورة، مسجد ومدرسة نكور: يقع هذا المسجد والمدرسة قرب مدينة جابهار بولاية بلوشستان، حيث قامت الحكومة بهدم المسجد والمدرسة عام ١٩٨٧ بتهمة أنها أحد مراكز الوهابية، مسجد السنة بشيراز: صودر بعد مقتل الدكتور مظفریان، حيث إنه هو الذي قام بتأسيس هذا المسجد، وحول إلى مركز لبيع الأشرطة السمعية والمرئية تابع لحرس الثورة، مسجد الشيخ فيض: يعتبر المسجد الجامع الأثري للسنة في مدينة مشهد، أحد مراكز الشيعة في العالم، ولم تستسغ الحكومة وجود هذا المسجد بهذا المكان فقامت بهدمه عام=



الحكومة بفرض قوانين تنص على منع بناء أي مسجد للسنة في مناطقهم، ومن يثبت عليه تهمة جمع التبرعات من دول الخليج العربية لبناء المساجد يقبض عليه بتهمة العمالة.

إن حرمان السنة من المناصب السياسية والإدارية لهو أمر يراه المرء ظاهراً في المجتمع الإيراني؛ حيث إن الامتياز الشيعي يكاد يفرض نفسه في جميع المجالات السياسية والإدارية وحتى التعليمية، فمن نواب المجلس الذين يزيد عددهم على (٢٧٠) نائباً نجد السنة لا يمثلون حتى (١٠٪) من هذا المجلس، أما بالنسبة لكراسي الحكومة فلا يوجد حتى وزير واحد من السنة، في حين تصر الحكومة الإيرانية على أن يكون ربع كراسي الحكومة في أفغانستان من الشيعة والذين لا تتجاوز نسبتهم الـ (١٠٪) من السكان. فالتحدي السياسي للسنة في دولة القلب المذهبي يأخذ العديد من الأبعاد من بينهما البعد التمثيلي، والذي تمثل في عدم منح أهل السنة تمثيلاً في البرلمان يتناسب مع حجمهم الحقيقي، إذ لا يمثلهم في البرلمان سوى (١٢) نائباً فقط، لـ (١٤ إلى ١٩) مليون نسمة، في حين يمثل الشيعة في البرلمان نائباً عن كل ألف نسمة تقريباً، كما يتهم السنة في إيران الحكومة بإنجاح العناصر السنوية الموالية لها وليست المعبرة عن مطالبه، وكذلك التناقض بين النصوص الدستورية والواقع المعاش فعلياً، والممارسات التي تقوم بها السلطات الحكومية ضد أهل السنة: فقد نص الدستور على العديد من الحقوق والحريات لمختلف الأقليات، ومن ذلك الاحترام وحرية أداء المراسم والشعائر الخاصة، حيث نص الدستور على أن الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب

=١٩٩٣ - تحت إشراف قوات حرس الثورة - مع ملحقاته من بيت ضيافة وكتاب لتحفيظ القرآن، وأمر إصدار هذا الهدم جاء شخصياً من خامنئي القائد الروحي الحالي لإيران، والعجيب أن هدم مسجد الشيخ فيض جاء بعد المظاهرات العارمة التي سيرتها الحكومة احتجاجاً على قيام الهندوس بهدم المسجد البابري بالهند أبو سلمان البلوشي. معاناة أهل السنة في إيران، الحلقة الأولى والثانية، مجلة السنة - العدد ٦٨، ص ١٣ - (١٤).



الجعفري الاثنى عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير، وأما المذاهب الإسلامية الأخرى - التي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدى - فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية، وما يتعلق بها من دعاوى من المحاكم، وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية، فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة- في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية- تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى^{٥١٩}.

أما حرية استخدام اللغات الخاصة فقد نص الدستور الإيراني على أن لغة الكتابة الرسمية والمشاركة هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة، ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدریس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية^{٥٢٠}، كما نص الدستور كذلك على أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية^{٥٢١}، كذلك كفلت النصوص الدستورية حرية تشكيل التنظيمات والهيئات المختلفة: حيث إن المواد الدستورية تضمنت على أن الأحزاب، والجمعيات، والهيئات السياسية، والاتحادات المهنية، والهيئات الإسلامية، والأقليات الدينية المعترف بها، تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال، والحرية، والوحدة

٥١٩ - (قانون أساسى إيران، المادة ١٢).

٥٢٠ - (قانون أساسى، المادة ١٥).

٥٢١ - (قانون أساسى، المادة ١٦).



الوطنية، والقيم الإسلامية. كما أنه لا يمكن منع شخص من الاشتراك فيها، أو إجباره على الاشتراك في أحدها^{٥٢٢}.

أما التحدي الديني فهو من التحديات التي تطفو على السطح في كل مناسبة نظرا لأن أهل السنة يعتبرون أنفسهم مخالفين في بعض المسائل الفقهية للشيعة الإيرانيين الذين يغلب عليهم المذهب الاثنى عشري. كما أن الإيرانيين من السنة والشيعة يحملون فوق كاهلهم ميراثا من الخلافات والعداء التاريخي والمذهبي، ويزيد حالة المذهبية أن النظام الإيراني لم يفعل إلا ما يؤدي إلى تدعيمها، فأحد المزارات الرئيسية في إيران هو قبر أبي لؤلؤة المجوسي، ورغم أنه من عبدة النار إلا أنهم يحتفون به لمجرد أنه قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، كما أن من عقائدهم سب الصحابة وتجريح كبرائهم، وشم عرض الرسول ﷺ.

ويعاني أهل السنة اليوم من التهميش أو عدم العدالة الخدمية، فمناطق أهل السنة هي أقل المناطق بإيران استفادة من الخدمات التي تقدمها الدولة، ومساجدهم القليلة تتعرض لرقابة صارمة، وملاحقات مستمرة، ولا يسمح لهم بإقامة المدارس^{٥٢٣}. مع كل هذا الذي فعلته الحكومة الشيعية مع السنة ما زالت تتوجس

٥٢٢ - (قانون أساسي، المادة ٢٦).

٥٢٣ - (يعاني من هذه القضية ليس سنة إيران فحسب، بل حتى الدبلوماسيين والضيوف السنة القادمين إلى إيران، حيث يجبرون للصلاة في المصلى الخاص بجامعة طهران، وهو عبارة عن ساحة مقامة في جامعة طهران مغطاه بالزينكو، والصلاة أشبه ما تكون تجمعا أو مظاهرة، حيث غالبا ما يتم الهتاف بحياة مرشد الثورة من خلال الشعار الذي يردد دوما في الخطبة والذي يقول "مرك بر أمريكا، مرك بر إنكليز، مرك بر إسرائيل، مرك بر ضد ولايت فقيه، مرك بر منافقين" معنى هذا الشعار بالعربية: الموت لأمريكا، الموت للإنكليز، الموت لإسرائيل، الموت لكل من ضد ولي الفقيه، الموت للمنافقين"، حيث تعتبر شوارع طهران حرما لهذه الساحة، والمعزى أن دولة القلب المذهبي تريد التشبه بالحرم المكي، تجسيدا لفكرة أم القرى التي تريد إيران تجسيدها، وفي كثير من الأحيان ما تتم الإمامة من جانب شخصيات سياسية مثل: مرشد الثورة خامنئي، رفسنجاني، أو نخب دينية مرموقة).



خيفة منهم، وهذا الخوف من السنة دفعها إلى أن تضع وتحصر جميع القوى العسكرية والثروات الاقتصادية والصناعية تحت قبضة الشيعة دون أدنى مراعاة لحقوق السنة كمواطنين في هذا البلد، لذا ليس من المستغرب أن تمنع الحكومة السنة من الالتحاق ببعض مؤسساتها العسكرية كقوات الأمن أو الجيش، ولو على شكل رتب صغيرة وإن وجد فإنه - أي السني - يكون في موقع لا يملك أدنى صلاحية، أو يكون موظفاً على هوامش الأمور الإدارية، بل إنه حتى أثناء الخدمة العسكرية يتوجسون خيفة من السنة بحيث يكونون طوال مدة الخدمة في أماكن منزوعة السلاح.

أما بالنسبة لوزارة حرس الثورة - وهي الوزارة الوحيدة التي لها سلطات فوق القانون، وتمتلك كل أسلحة الدولة الحديثة - فإنها لا تقبل ولا تعين أي موظف سني لديها ولو بمستوى حارس أو حتى مراسل.

وينطبق نفس الأمر على وزارة المخابرات والتي يذكرنا إجرامها بمحاكم التفتيش، حيث إنها الوزارة الوحيدة من بين مثيلاتها في العالم أجمع التي يرأسها دوماً رجل دين شيعي متعصب، ويكفي للمرء أن يدرك ما يعني ذلك من أن هذه الوزارة مخصصة فقط لتصفية المخالفين لمذهبهم وعلى رأسهم السنة.

كل هذا حتى تبقى القوة العسكرية في البلاد وتبقى الأسلحة والقرارات الصادرة بشأنها بيد الشيعة فقط، وذلك تحسباً من أن يحصل لإيران ما حصل للاتحاد السوفيتي من التفكك والانحيار، وذلك لوجود الأسباب والمبررات القوية من الاختلافات المذهبية والعرقية غير المتجانسة والتي لو تفجرت فإنه من الصعب جداً التحكم بها؛ لأن إيران تنقسم إلى ولايات كثيرة وشاسعة ومتعددة المذاهب والأعراق، ولكل منها لهجة خاصة تتحدث بها، وعرق مغاير ومختلف من ولاية لأخرى، وتحسباً من هذا التفكك والانقسام المحتمل الحدوث فإن الحكومة قد وضعت جميع القوة العسكرية والصناعية تحت سيطرة الشيعة، بحيث أنه لو تم هذا التفكك والانقسام فإنه سيكون لصالح الشيعة ضد أعدائهم من السنة، وذلك



تماماً كما حدث مع المسلمين البوسنويين في يوغسلافيا السابقة، ولئن كان المسلمون في البوسنة يشكلون (٢٪) من قوات الجيش في يوغسلافيا فإن السنة في إيران لم يسمح لهم أن يشكلوا حتى (١٪) من الجيش أو حرس الثورة أو قوات الأمن، كما أن الحكومة وضعت في حساباتها أن السنة قد يقوموا بانتفاضة جراء الظلم الواقع عليهم، أي أن السنة - ولو على سبيل الافتراض - استطاعوا أن يعبروا خندق التصنيفات الجسدية ويجتازوا أسلاك قوانين تحديد النسل الشائكة والقاتلة، فإن وجود القوة العسكرية بيد الشيعة واحتكارهم لها ستسحق الباقي منهم إذا فكروا بالمواجهة للمطالبة بحقوقهم المسلوقة من الفئة الحاكمة من الشيعة.

وفي الفقرات التالية سوف نقوم في هذا الجزء من الدراسة، بالاعتماد على دراسات وآراء السنة في إيران للتعبير من خلال أنفسهم عن حجم الظلم الواقع عليهم، حيث سنقوم بنقل آرائهم بشكل كامل دون نقص أو زيادة حتى لا نتهم بالتحيز وعدم الموضوعية^{٥٢٤}.

إن الخطر الذي يحدق بأهل السنة اليوم وتحجيم نسبتهم يبرز من خلال سعي دولة ولي الفقيه إلى فرض القوانين الداعية إلى سياسة تحديد النسل والحد من النمو السكاني للسنة.

وما دنا في سياق موضوع التصنيفات والإبادة الجسدية للسنة، فإننا يجب علينا ألا ننسى النوع الآخر من التصنيفات والتي تمارسها الحكومة بحق السنة عن طريق فرض قوانين تحديد النسل ومحاربة النمو السكاني لدى السنة، وسن القوانين الصارمة بهذا الصدد إلى حد جعل الجرائم التي ترتكبها الحكومة في هذا الصدد لا

٥٢٤ - (أثناء حضورنا مؤتمرا دوليا في طهران، صرخ أحد المشاركين في المؤتمر، وهو من الأكاديميين المرموقين السنة في إيران، قائلا: نناشدكم بالله أن تقنونا نحن سنة إيران من الظلم الواقع على إخوانكم هنا. كررها أربع مرات، ثم انفجر بالبكاء، ثم تم إخراجه عنوة من قاعة المؤتمر. لقد استغربنا جميعا من هذا الصديق والجرأة والعفوية من جانب شخصية أكاديمية، وهي بالتأكيد لسان حال جميع إخواننا السنة في إيران أعانهم الله تعالى).



تقل ضراوة وشناعة عن مثيلاتها من التصفية الجسدية، والسبب الذي دعا الحكومة إلى انتهاج هذه السياسة هي تلك المعدلات المطردة والمخيفة بالنسبة للحكومة للنمو السكاني للسنة والذي يبلغ (١٣٪) نسبة للنمو السكاني لدى الشيعة، والذي لا يتجاوز عن (٣٪)، إن هذا الفارق الكبير في المعدل لو استمر على ما هو عليه الآن فإنه سيؤثر في المستقبل القريب في التوازن السكاني بين السنة والشيعة في البلد مما يزيد من نسبة السنة على ما هي عليه الآن.

ونتيجة لهذا الأمر فقد قامت الحكومة بسن قانون تحديد النسل، وكون غالبية السنة من الأميين - خاصة النساء منهم - فإن حيلة تحديد النسل كادت تنظلي عليهم، حيث تقوم وزارة الصحة الآن ببناء مراكز في شتى القرى والأرياف والمدن - أيضاً - لتطبيق ومتابعة البرامج التي وضعتها الدولة بهذا الصدد، بل إن موظفي هذه الوزارة يقومون بزيارات دورية على البيوت لتوزيع حبوب منع الحمل وترويجها على نساء السنة بحجة أنها مقويات وفيتامينات، ولم يقتصر الأمر على ذلك - فقط - بل تعداه إلى إجبار كثير من الأمهات إلى إجراء عمليات استئصال الرحم، والذي أصبح العلاج الوحيد الذي تمارسه الحكومة لجميع الأمراض النسائية، وكثيراً ما تجري هذه العملية دون علم أو رضا المرضى، والذين كما أشرنا أن غالبيتهم من الأميين الذين لا يعلمون شيئاً عن هذه المؤامرات، ونتيجة لذلك فقد فرضت الحكومة عقوبات لمن لا يمثل لهذه القوانين، كالحرمان من البطاقات التموينية، وشهادات الميلاد، والحرمان من التعليم، وغيرها من العقوبات لمن لا يلتزم ببرامج تحديد النسل.

وتلجأ دولة الحلم الإمبراطوري كذلك إلى سياسة التهجير والاستيطان، فلم تكثف الحكومة بتطبيق سياسة تحديد النسل لإيقاف التوازن السكاني الذي يقوده النمو المطرد في مناطق السنة - كما ذكرنا سابقاً - بل سعت إلى جانب ذلك بتطبيق سياسة التهجير والاستيطان في مناطق السنة، والذي يخدم - إضافة إلى هذا الهدف - هدفاً حيويًا آخر ألا وهو إخلاء المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة



للحكومة من السنة كالموانئ البحرية المهمة كميناء بندر عباس في هرمزكان، وميناء جابهار في بلوشستان، والمناطق الحدودية التي تربط إيران بالدول السنية المجاورة وذلك لإيجاد سد بشري من الشيعة في مناطق الحدود التي يسيطر على غالبيتها السنة للسيطرة على الحدود من جهة، وللحيلولة دون اتصال السنة بإخوانهم في الخارج كالخليج وباكستان وأفغانستان^{٥٢٥} من جهة أخرى.

ولقد طبقت هذه السياسة فعلاً في بعض مناطق السنة كخراسان وبلوشستان وهرمزكان، حيث قامت الحكومة بتهجير أفواج كثيرة من الشيعة إلى مناطق السنة للاستيطان فيها كي تعادل نسبة السنة إلى الشيعة حتى في مناطق الأغلبية السنية^{٥٢٦} المختلفة كخراسان والتي صودرت فيها قرى كاملة وأراض زراعية كبيرة من أهلها الأصليين السنة وذلك على الحدود الإيرانية الأفغانية وسلمت للمستوطنين الشيعة، ولم تكتمف الحكومة بذلك - فقط - بل أجبرت أهل هذه القرى المصادرة بالعمل كأجراء عند المستوطنين الشيعة، وتكررت نفس العملية - أيضاً - في كردستان حيث دمرت قرى كاملة واقعة على الحدود التركية العراقية مع إيران، وذلك بعد طرد أهاليها السنة منها، كما قامت الحكومة في بلوشستان بتوطين قرى كاملة من الشيعة بعد إحضارهم من مناطق الشيعة في وسط قرى ومدن السنة وغيرها من مناطق السنة، أما بالنسبة للموانئ فقد قامت الحكومة في

٥٢٥ - (عبرت القيادات السياسية والعسكرية والدينية في إيران عن خوفها من ما يعرف بتأسيس مليشيات طالبان جدد في إيران، وكثيراً ما يتم التعبير عن مفهوم الإسلام السني وإطلاق اسم الطالبان تشبيهاً لطالبان باكستان. تصريح رحيم صفوي "قائد الحرس الثوري الإيراني السابق" تعتبر أصدق تعبير عن ذلك، حيث يقول: إن من أهم واجبات حرس الثورة الإسلامية منع قيام أي تنظيم أو فكر طالباني، وسنقطع لسان كل من لا يدين لولي الفقيه بالسمع والطاعة. جريدة كيهان الإيرانية، ٢٥/١/٢٠٠١).

٥٢٦ - (تمارس إيران بشكل دوري استراتيجية ديموغرافية تقوم على الإحلال المذهبي الشيعي في المناطق السنية لدعم مصداتها الحدودية وتقويتها مذهبياً وديموغرافياً للحفاظ على تواصل خطوط إمدادها المذهبي).



السنوات الأخيرة بتعيين موائى تكون مراكز تجارية معفية من الجمارك؛ وذلك لجلب التجارة والتجار إليها، ولما لم يكن هناك إلا الموائى السنية كونها أقرب إلى المضيق وإلى المحيط فقد وقع الاختيار عليها لهذه المهمة، ولكن بقيت مشكلة أمام الحكومة في كيفية تهجير السنة منها حتى لا يكون لهم دور لا في التجارة ولا في السيطرة عليها^{٥٢٧}.

لذا عمدت إلى فرض ضرائب باهظة على السنة من أهل المنطقة عوضاً على بقائهم في بيوتهم، وفي مقابل ذلك وضعت تسهيلات كثيرة أمام الشيعة لجلبهم إلى هذه الموائى التجارية والاستحواذ على جميع الغرف التجارية فيها، وهؤلاء المستوطنون توفر لهم الحكومة كل الإمكانيات والمرافق العامة والسكنية، هذا عدا توفير فرص العمل لهم، وهذا الاستيطان جعل السنة وهم في مناطقهم الذين يشكلون فيها الأكثرية تحت رحمة هؤلاء المستوطنين؛ إذ إن كل الأمور الإدارية تحت تصرفهم وفقاً للصلاحيات التي أعطيت لهم من قبل الحكومة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى تبني سياسة تدمير القرى السنية وإغلاق المدارس الدينية السنية، فهناك قرى سنية عديدة أريدت ومساجدها عن بكرة أبيها، واضطر الأهالي للهجرة إما إلى خارج البلد- وهو بالضبط ما تريده الدولة الإيرانية وتسعى إلى تحقيقه- وإما إلى القرى الشيعية ليعيشوا أذلاء وهم يشهدون الإهانة المتواصلة، أو ليتشيعوا بعد ذلك كما حدث منذ (٥٠) سنة في بعض قرى بير جند وقرى زابل.

٥٢٧ - (هذه الاستراتيجية سوف تسهل على دولة القلب الإمبراطوري عملية السيطرة على خطوط الملاحة المذهبية، وبالتالي سوف تتمكن إيران من بناء مصدات تسهل على رعاياها الانتقال والاحتكاك بنظرائهم في المذهب على الضفة الأخرى من الخليج الذي يعتبرونه فارسياً، وبالتالي إيهام الخصوم، وإبراز الكثافة الشيعية على جوانب الدولة الإيرانية على الصعيد الخارجي، وهذا الأمر سوف يعزز كذلك فكرة كثافة شيعية دولة القلب المذهبي ديموغرافياً ومذهبياً).



ونذكر على سبيل المثال القرى التالية التي أبيدت حديثاً في شرق خراسان:
دولي جلال، دولي بهلول، بل خشتي، خطابي شنغل، ناري، قلعة غيري، هشتان. كما أن هناك مناطق بلوشية أبيدت عن بكرة أبيها - أيضاً - ودمرت القرى التالية وهجرتها أكثر من ألفي أسرة منذ (٩٢ - ٩٣) وهي: حصاروية، رودماهي، جناوية، شاه رحمان ملوسان، غرتوت، حول، أسبي. كما أنهم ردموا قنوات المياه بالجرافات وقلعوا أشجار التوت والعنب وغيرهما، وقتلوا أكثر من (١٠) آلاف رأس غنم^{٥٢٨}، وهذه القرى تبعد قرابة (١٠٠) كيلو متر عن مدينة زاهدان عاصمة بلوشستان، وأما الآن في بلوشستان الإيرانية فقد بدأت المخبرات تبحث بشدة عن لهم علاقات أو ارتباط أو أي اتصال بالعلماء الذين اضطروا تحت ضغط الحكومة للهجرة من البلد لتتمكن من القبض على هؤلاء وأولئك، وتلفق لهم بعد ذلك التهمة الجاهزة وهي الوهابية أو التجسس تمهيداً لإعدامهم وتصفيتهم كما فعلت في بلوشستان مع الشيخ عبد العزيز القنطاري، وكانت تهمته أنه درس العقيدة الواسطية والعقيدة الطحاوية للطلاب، وبإلها من تهمة.

وتعاني مناطق أهل السنة اليوم من الحرمان الاقتصادي والصناعي المبرمج، وقياساً على القوة العسكرية فإن الثروة الصناعية والاقتصادية هي في قبضة الشيعة كذلك، وحين أقول في قبضة الشيعة أعني بذلك توفير كل الفرص لجعل هذه الثروات في متناول الإنسان العادي لا موظف الدولة من الشيعة، فلقد دأبت الحكومة منذ توليها زمام الأمور على حرمان السنة ومناطق السنة من جميع أنواع المصانع والصناعات الثقيلة والخفيفة، كما حرمتهم من إعطائهم أي ترخيص لبناء أو مساهمة في أي مصنع أو حتى شركة وطنية، وإن وجد في مناطق السنة فإنه يكون لشيوعي، بل حتى المدن السنية الساحلية حرم أهاليها من الحصول على

٥٢٨ - (ما أشبه اليوم بالأمس، نرجو مقارنة ما تقوم به إيران الثورة الشيعية اليوم، وما تناولناه سابقاً عند الحديث عن استراتيجية الدولة الصفوية، والأساليب الدموية التي لجأت إليها لتشجيع المجتمع السني).



ترخيص مصانع لتعليب السمك أو شركات لصيد السمك، بل أعطيت هذه التراخيص للشيعة، مما جعل أهل الساحل من السنة يصيدون قوت يومهم من السمك على خوف من أن تقبض عليهم السلطات، والتي عادة ما تصادر كل ما بحوزة هؤلاء الصيادين الفقراء بتهمة الصيد بلا ترخيص، وكل هذه الثروة السمكية تذهب إلى المدن الرئيسية، والتي يقطنها الشيعة كطهران وغيرها، في حين أنك تجد أقرب الناس إلى الساحل من السنة كثيراً ما يعانون من قلة الأسماك إلى درجة الحرمان، مع الخوف من معاقبة الحكومة لهم إذا قبضت عليهم متلبسين بتهمة صيد السمك.

وأما عن مجال التجارة والاستيراد والتصدير فإن السنة ممنوعون من الحصول على جميع أنواع الرخص التجارية، لذا فإن غالبية المواد الغذائية في مناطق السنة لا تكاد تصل إليهم إلا عن طريق التهريب كالسمن والأرز والسكر من الدول المجاورة كالخليج وباكستان^{٥٢٩}، ولولا الله عز وجل ثم قرب هذه الدول لاجتاحت المجاعة مناطق السنة في إيران، كل هذا التشديد في إعطاء الرخص التجارية للسنة يقابله التسهيل - بلا حدود - للشيعة في هذا المجال، خاصة أولئك الذين يعيشون في مناطق السنة. وهذه الضغوط لم تقتصر فقط في منع السنة من الحصول على تراخيص للتجارة، بل تجاوزتها إلى فرض أشد الضغوط على أصحاب البقالات - أيضاً- كتحسين ضرائب باهظة جداً على أصحاب هذه المحلات تصل إلى (٥٠) ضعفاً نسبة إلى تلك التي تؤخذ من أصحاب البقالات من الشيعة، هذا عدا

٥٢٩ - (حدثنا بعض الإخوة السنة في إيران بأن السلطات الإيرانية تحاول دوماً أن تنتقم من السنة جميعاً، من خلال ممارسة سياسة حرمانهم من كثير من السلع والمواد الضرورية على مستوى الحاجات والمستلزمات الغذائية التموينية، وحتى تعتمد عدم إرسال الأدوية واللوازم الطبية إلى المستشفيات، والمراكز والعيادات، خصوصاً عند بروز بعض الأعمال الاحتجاجية والتي تقابل بعنف كبير من جانب الدولة ومؤسساتها الأمنية والعسكرية المنتشرة وبقوة في المناطق السننية، فيتم على إثرها الانتقام من قطاعات السنة جميعاً، لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة).



الضغوط التي تمارسها إدارة البلدية على أصحاب البقالات من السنة ابتداء من تعبئة استمارة الطلب، حيث يسأل التاجر عن مذهبه - والتي أصبحت في إيران اليوم من ضروريات العمل التجاري والإداري والتعليمي... إلخ - وعلى حسب الجواب تكون إجراءات المعاملة، ومروراً بالمشاكل الروتينية التي تختلقها الحكومة عادة باسم النظافة - أحياناً- وتبديل الديكورات بين حين وآخر، وتارة باسم التأمين - أيضاً- وهلم جراً، تضع العراقيل حتى يسأم أصحاب البقالات من العمل فيها مما يفتح المجال أكثر وأكثر للشيعة للسيطرة على الاقتصاد السني. بقي أن نقول: إن العمل التجاري والتجار في مناطق السنة يعاملون نفس معاملة تجار المخدرات من حيث الضغوط التي تمارس بحقهم والتضييق عليهم بشتى الوسائل والطرق.

وتمارس دولة الحلم الإمبراطوري استراتيجية الغزو الفكري بهدف محو الشخصية السنية، ولقد شكلت الحكومة مع بدايات الثورة وزارة باسم وزارة الجهاد والتعمير^{٥٣٠}، وهي بمثابة العمل التبشيري في أواسط أهل السنة، إذ تختدي في عملها حذو المنصرين في أسلوبهم ووسائلهم، حتى استطاعت أن تصل من خلال هذا الأسلوب إلى جميع القرى والأرياف النائبة لأهل السنة، كما أصدرت هذه الوزارة مجلة باسمها تتحدث عن نشاطاتها وإنجازاتها، حيث إنها كثيراً ما تكتب وتقول إنها استطاعت أن تدخل عشرة أو خمسة من أهل السنة إلى الإسلام.

إضافة إلى ذلك فقد شكلت الحكومة - أيضاً- إدارة محو الأمية، ومهمتها الغزو الفكري والعقائدي للأمين من السنة من الرجال والنساء، كما رافق هذين الجهازين - أيضاً- الجهاز الإعلامي بجميع أقسامه المرئية والسمعية والمقروءة من

٥٣٠ - (تعرف هذه الوزارة باللغة الفارسية وزارت جهاد وسازندكي، وهي من الوزارات التي يشرف عليها مكتب مرشد الثورة علي خامنئي بنفسه نظراً للدور المهم الذي تضطلع به هذه الوزارة في التبشير بالمذهب الشيعي داخليا أو خارجيا، تحت غطاء إقامة المشاريع المختلفة، حيث تنشط حالياً وبقوة في العراق ولبنان).



الصحف والمجلات، حيث يقوم عمل الجهازين السابقين على غسيل أدمغة السنة خاصة الأطفال. ومن الغزو الفكري الذي تمارسه الدولة - أيضاً - فتح مكاتب لترويج زواج المتعة بين شباب السنة، والتي أطلقت عليها الحكومة اسم مكاتب العفة، حيث تقوم الدولة بتشجيع شباب السنة بالزواج من فتيات الشيعة، وهذا الزواج لا يزيد عادة عن يوم أو يومين بقصد إبعاد شباب السنة عن عقيدتهم، واستغلال هذه الرذيلة كشباك صيد لإيقاع شباب السنة في براثن الفكر الشيعي.

كما تقوم الحكومة بتشجيع شباب السنة - أيضاً - على الزواج الدائم من بنات الشيعة بقصد مسح الهوية السننية لدى الجيل الجديد الناشيء من هذه الزيجات، وأخيراً قامت الحكومة بعمل أشد وأقبح مما ذكر حيث تقوم من جانبها بإطلاق سراح المسجونين من السنة، والذين قد حكم عليهم بالإعدام شريطة تزويج أحد الآيات من بنات السنة، وذلك بغية توسعة نفوذهم الاجتماعي في مناطق السنة^{٥٣١}، والسيطرة على القبائل من خلال هذه العملية الدنيئة.

أما عن التعليم، فإن الضغوط التي تُمارس ضد السنة في هذا المجال تنقسم إلى شقين: الأول: شق المناهج، حيث الغزو الفكري الشيعي، والذي ركزت الحكومة عليه في مناهج الدراسة الابتدائية إلى الثانوية العامة، وذلك من حيث تزوير التاريخ خاصة العهد الأموي والعباسي، وإظهار الخلفاء أمام الطلبة بمظهر استخفاف وسخرية يجعل الطالب يكره كل ما يمت لهذا العصر بصلة.

ومن ناحية أخرى تمجيد يصاحبه غلو في رجالات وأئمة الشيعة إلى درجة أن الطالب يتخرج من الثانوية العامة وقد حفظ أسماء جميع أئمة الشيعة الاثني عشر كأئمة معصومين للإسلام والمسلمين، لا يصل إلى مرتبتهم ملك مقرب أو نبي مرسل إلى يوم الدين، في حين لا تكاد تجد أحداً من هؤلاء الطلبة يحفظ أسماء العشرة المبشرين من الصحابة أو الخلفاء الأربعة، هذا عدا تشجيع الطلبة

٥٣١ - (الملحق رقم ٢٠١ في الدراسة تبرز بعضاً من الرسائل التي أرسلها أهل السنة إلى علي خامنئي لإبراز بعض بسيط من مطالبهم).



على حفظ ما صدر من أئمة الشيعة من الخطب والدروس، والتي يفرضون حفظها على الطلبة على غرار حفظ الأحاديث النبوية الشريفة في بلاد المسلمين، إضافة إلى التركيز على التشويه والطعن في عقائد أهل السنة والجماعة من خلال الأناشيد المقررة على الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة، ومن خلال المواضيع المطروحة في كتب القراءة والتي تدعو إلى الشرك الصريح من خلال تمجيد مزاراتهم والتي يسمونها حرم على غرار الحرم المكي والمدني، والدعوة إلى تقديس هذه الأماكن بشكل يحتقر معه الطالب الأماكن المقدسة لدى المسلمين كالحرمين الشريفين.

وأما الشق الثاني في التعليم: فهو أسلوب إدارة المدارس، وكيفية معاملة السنة في السلك التعليمي من حيث كونهم مدرسين أو طلبة. إن وزارة المخابرات قامت بتعيين مدرسين في جميع المدارس الحكومية في المدن والأرياف تحت اسم المشرف التربوي، ووظيفة هذا المشرف تنحصر في متابعة المدرسين والطلبة من حيث انتمائهم ونشاطهم المذهبي، كالمواظبة على الصلوات مع الجماعة في المدرسة، أو حث الآخرين من السنة للصلاة أو على الأقل لفت أنظارهم إلى ما يحدث على الساحة من مؤامرات بحق السنة من ظلم وغير ذلك من الأمور التي يرقبها ويتابعها المشرف التربوي، والذي بدوره يفتح هذا الملف عند أي أمر إداري آخر كالتسجيل في الجامعة بالنسبة للطلبة، أو تقديم طلب نقل مكان العمل بالنسبة للمدرسين، حيث إنه ترفض كل هذه الطلبات بناء على التقارير المعدة من قبل المشرف التربوي، ونتيجة لذلك يحرم (٩٠٪) من طلبة أهل السنة من دخول الجامعة بحجج واهية، وعلى رأسها كالعادة تهمة الوهابية.

وأخيراً نلفت النظر إلى أن الحكومة إمعاناً منها في محو هوية أهل السنة فقد عمدت إلى سن قوانين تحرم على أهل السنة اختيار الأسماء السننية والأسماء المركبة كعبد الله وعبد الرحمن بحجة أنها أسماء عربية وليست فارسية إيرانية، وبناء على ذلك فإن الحكومة وضعت قائمة من أسماء الأولاد والبنات - والتي غالباً ما تستخدمها الشيعة - لدى مكاتب البلدية المختصة بإصدار شهادات الميلاد؛ وذلك



حتى يختار منها السني - مجبراً- اسماً لأولاده وبناته، إذ إن كل من يصر على اختيار اسم سني مميز لأولاده كعمر ومعاوية وعائشة فإنه يحرم من إعطاء ابنه شهادة الميلاد.

تحاول كذلك دولة الحلم الإمبراطوري إبعاد الشباب السني وتهميشهم عن كل مؤسسات الدولة الاجتماعية، العلمية، السياسية، الاقتصادية. . وإذا أضفنا إلى مجال التضييق في التحصيل العلمي التضييق في مجال العمل - أيضاً - بنفس الأسباب المذكورة آنفاً، فإنه لا يمكن تصور الكم الهائل من شباب السنة الذين منعوا من مواصلة دراستهم في الجامعة وحرموا من فرص العمل والتجارة، كل ذلك أسباب رئيسية دفعت بالشباب إما إلى الهجرة بحثاً عن لقمة العيش، أو إلى الإدمان على المخدرات، مما يقلل من دور الشباب في تغيير الواقع المأساوي للسنة، وهذا هو بيت القصيد الذي تريد الحكومة الوصول إليه من وراء كل هذه التضيقات، إذ بإبعاد الشباب عن ساحة المعركة وتقليص دوره يكون قد فتح المجال أكثر للحكومة لتنفيذ مخططاتها وتحقيق مطالبها بشأن السنة الباقين.

وعند تعرضنا لموضوع شباب أهل السنة والجماعة هنا يجب أن نشير إلى نقطة مهمة سوف تبقى وصمة عار في جبين الحكم الشيعي إلى الأبد، وهي تلك الإعدامات والمذابح الجماعية بحق شباب السنة، والتي لم يسبق لها مثيل في العهود السابقة في إيران سوى العهد الصفوي، وعادة ما تتم هذه المذابح تحت غطاء محاربة المخدرات، والتي أصبحت مبرراً مشاعاً لقتل هؤلاء الشباب، في نفس الوقت الذي أصبحت فيه الوهابية مبرراً آخر لقتل العلماء، ولم تنج ولاية من ولايات السنة من هذه المذابح الجماعية منذ بدء ثورة الخميني، وذلك ابتداء بمذبحة الأكراد في أوائل الثورة، والتي كان يشرف عليها القوات الجوية لحرس الثورة، حيث حصدت المئات من السنة في كردستان، ومروراً بمذبحة التركمانيين والذين قامت الدبابات والمصفحات المجنزرة لحرس الثورة بمداومة بيوتهم لتجعلها قبوراً على من فيها.



وكما حدث - أيضاً- بولاية خراسان من هدم مسجد الشيخ فيض المسجد الجامع لأهل السنة هناك، وقام المصلون بمواجهة بلدوزرات الحكومة للحيلولة دون هدم المسجد، ولكن جهودهم باءت بالفشل حين أمطرتهم قوات حرس الثورة بوابل نيرانها، وسقط العشرات من القتلى جراء هذا العمل. وتكررت هذه المذابح مرة أخرى حين اعتصم المصلون ببلوشستان بالمسجد الجامع لمركز ولايتهم بزاهدان احتجاجاً على قيام الحكومة بهدم مسجد الشيخ فيض المذكور وقتل العشرات من السنة، فما كان من الحكومة إزاء ذلك إلا أن داهمتهم في المسجد وفتحت النيران عليهم وأسقطت ما يزيد على (٢٠٠) من شباب السنة بين قتيل وجريح، بل إن هناك مدناً للسنة لا يكاد يرى فيها المرء رجلاً من كثرة ما قتل منهم كمدينة نصرت آباد ببلوشستان، وقس على ذلك جميع المدن والقرى السنية في الولايات الأخرى السنية، إن ما يزيد على (٤٠٪) من شباب السنة هم في القبور أو في الزنازين تحت سياط جلادي الحكومة، وهنا نغتنم هذه الفرصة لدعوة كل الهيئات المختصة بالدفاع عن حقوق الإنسان لتقضي أوضاع السنة في السجون، ابتداء من سجون طهران وانتهاء بسجون مناطق السنة، ومراجعة سجلاتهم وقوائم المحكوم عليهم بالإعدام، إن عدم وجود محاكم عادلة أو على الأقل علنية أو تغطية إعلامية هي التي دفعت بالدولة إلى أن تفعل ما تشاء دون علم أو معارضة أحد^{٥٣٢}.

٥٣٢ - (أبو سلمان البلوشي، معاناة أهل السنة في إيران ١ - ٤. حسن الرشدي، الديموغرافيا وأثرها على التنمية السياسية، ٢٠٠٧/٧/١٠. محمد الحسنوي، المخطط الإيراني للنفوذ والهيمنة، مجلة البيان، لندن، العدد ١٢٣، ص ١٧. مجلة البيان - المنتدى الإسلامي - لندن - العدد ١٢٣). همام عبد المعبود، المستقبل الاستراتيجي لأهل السنة في إيران، موقع مسلم، ٢٠٠٧/٣/٢٤. صباح الموسوي، تنصيب الطائفية في دستور الجمهورية الإيرانية، السنة في إيران. وتوجهات أحمددي نجاد، مجلة السنة. صباح الموسوي سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران مفكرة الإسلام/ ١٧ - ١ - ١٤٢٨هـ، عبد الرحيم ملا زاده البلوشي المصدر: مجلة السنة - العدد ٧١. أهل السنة في إيران بين الإرهاب الحكومي، أبو سلمان البلوشي. معاناة أهل السنة في إيران، الحلقة الثانية، مجلة السنة - العدد ٦٨. أبو سلمان البلوشي، معاناة أهل السنة في إيران، الحلقة الثانية، مجلة السنة - العدد ٦٨).



باختصار نرى أن دولة الحلم الإمبراطوري الشيعية تُمارس اليوم أبشع أشكال التمييز والعنف المذهبي ضد أهل السنة فيها، في حين أن الطائفة اليهودية في إيران تتمتع بحقوق أكثر بكثير من المسلمين السنة، ولدى سؤال المرجع الشيعي آية الله مصباح يزدي - مرجع رئيس الجمهورية الرئيس نجاد، صاحب النفوذ في النظام الإيراني - عن سبب امتناع الحكومة بالسماح لبناء مسجد لأهل السنة في طهران أجاب قائلاً: متى ما سمح لنا ببناء حسينية في مكة عند إذن سوف يسمح لهم ببناء مسجد في طهران^{٥٣٣}. وغيرهم من المراجع والسياسيين الذين استهزأوا بالسنة في إيران، ووصفوهم بأقبح الصفات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

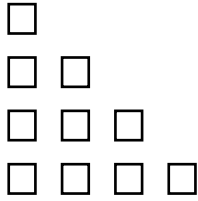
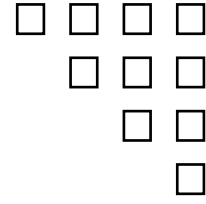


٥٣٣ - (جريدة كيهان، ٢٠٠٠/٢/١٩).



الفصل الرابع

إستراتيجية الإمبراطورية الشيعة الموعودة



المبحث الأول

أهداف دولة الحلم الإمبراطوري



نستطيع القول إننا اليوم نقف أمام جملة أهداف إستراتيجية لدولة الحلم الإمبراطوري الشيعة على ضوء المتغيرات الخارجية الإقليمية والدولية، حيث إن حدود هذه الإمبراطورية ونطاقها الجغرافي واسع لسبب بسيط - حسب الاعتقاد الشيعي - وهو أن العقيدة الشيعة أصح العقائد والمذاهب على وجه البسيطة، وهي عقيدة خاصة بالناس بمعنى عالميتها، إذن الكرة الأرضية كلها هدف إستراتيجي للعقيدة الإمامية، لسنا نحن الذين نقول بهذا بل يقوله فقهاء الشيعة أنفسهم، من هنا يتضح لنا أن (ولاية فقهية) ما هي إلا (مرحلة انتقالية) ذات طبيعة تكتيكية من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف الإستراتيجي الذي يسعى إلى تحقيق عقيدة الإمامية، لقد كانت إيران إحدى الدولتين اللتين كانتا تقتسمان العالم طوال القرون الطويلة، وهي - أيضا - واحدة من أهم المناطق الجغرافية على طول الرقعة الجغرافية الإسلامية التي شهدت تشكيل إمبراطوريات ممتدة الأطراف كما يحلو للمؤرخين أن يستخدموا مثل هذه الأوصاف: الإمبراطورية العثمانية، الإمبراطورية الصفوية، والدولة التيمورية في الهند، وكانت هذه هي الدول - أو

الأسر الثلاث- التي تحكم وتتحكم في أمر المسلمين بداية من القرن التاسع الهجري وحتى الربع الأول من القرن العشرين، فهل اتضحت لنا أوجه الشبه أو العلاقة بين إيران وبين المذهب الشيعي؟

إن القاسم المشترك الأول والرئيسي بين هذين العنصرين - إيران والمذهب الشيعي - يتمثل فيما أسميناه وأطلقنا عليه الطموح الاستراتيجي، نعم إن الطموح الاستراتيجي هو الذي زواج بين هذين العنصرين.

ونكاد نجزم - أيضا - بأن هذا الطموح الاستراتيجي هو العامل الوحيد الذي سهل ويسر من أن تصبح إيران وطنا قوميا للشيعه، تساؤلات عدة تطرح نفسها في هذا الصدد، وهي ما مدى التسليم - من جانب الآخرين - بهذا الطموح الاستراتيجي؟ ومن هم هؤلاء الآخرون؟ وما موقف كل فئة منهم؟ والى أي مدى يمكن استثمار هذا الطموح الاستراتيجي لخدمة قضايا المنطقة ولخدمة التطور الإنساني والبشري؟ وهل يرى هؤلاء أن هذا الطموح الاستراتيجي مشروع أو لا؟ وهل يرون أنه يمثل إضافة أو أنه قد صار عبئا؟ وإن كان إضافة فلصالح من؟ وإن كان عبئا فعلى من؟ وما هي آليات التعامل في كلا الاحتمالين؟

نتصور أن هناك خططاً استراتيجية قد باتت جاهزة للتطبيق الفعلي من جانب إيران في هذا الصدد، وهي الخطط التي بدأوا بإظهارها بما أطلق الإيرانيون عليه الخطة العشرية لتنمية وتحديث إيران، لكن هل لدينا إدراك حقيقي بهذا الطموح الاستراتيجي القائم على أساس عنصري (نشر التشيع وبناء الإمبراطورية الإيرانية)؟^{٥٣٤} وهنا نجد أننا أمام شبه تطابق بين مشروع الأقلية اليهودية والشيعية اللتين تعيشان ضمن الإقليم الجغرافي الذي نعيش فيه " المشروع الإيراني الشيعي

٥٣٤ - (مدحت أحمد حماد، ماذا بعد أن صارت إيران وطنا " قوميا " للشيعه؟ مختارات إيرانية - العدد ٤٦ - مايو - ٢٠٠٤، ص ٤٥ - ٤٦. حوار مع د. محمد يحيى، خفايا مشروع الهلال الشيعي، موقع الإسلام أون لاين. أبو الفضل الفاسي، إيران وإحياء التشيع، مجلة الفجر، العدد ٥٣، إبريل ٢٠٠٥، ص ١٠).



والمشروع الصهيوني"، فشعار الصهيونية " من الفرات إلى النيل " أصبح مُستبعداً ضمن مفهوم الاحتلال العسكري والفكري بعد أن مضت أكثر من (٦٠) عاما على تأسيس إسرائيل، ولو أن كافة يهود العالم البالغ عددهم حوالي (٨) مليون تم جلبهم إلى فلسطين ما استطاعوا السيطرة على هذه المساحة الشاسعة، لكن واقع الحال هو أن إسرائيل ترى في المشاريع الاقتصادية والثقافية أملا ولو بسيطا لتحقيق هذا الأمر^{٥٣٥}.

أما المشروع الشيعي فهو يستند على أساس تمدد شيعي إيراني هذه المرة ليس قاصرا على دول الخليج العربية التي يعيش فيها أقليات من أصل فارسي أو شيعية عربية فقط؛ لأن إيران ومذهبها الشيعي حاضر اليوم في كثير من الدول العربية، وهي تبتكر وسائل جديدة لنشر التشيع في الدول الخالية من الوجود الشيعي، لكن محطات إيران هنا تكمن من خلال التمدد القبوري أولاً، حيث يبدأ النشاط في البقعة المختارة بالإعلان عن وجود جثمان لأحد الصالحين أو الأولياء في نظر الشيعة، فيشيد فوقه الضريح بدعم مالي إيراني أو بوسائل أخرى لكن من خلال ارتباط بعض الأسماء أو الشركات بدولة ولي الفقيه، ليبدأ الإيرانيون بشد الرحال إليه - تحت عنوان السياحة الدينية (المذهبية) - ليست الغاية الآنية أو الهدف من هذا التمدد القبوري هو التبشير بالمذهب الشيعي، ولكن الظروف الاقتصادية المتدهورة تلعب دورا في تحول الضريح إلى مركز اقتصادي، ومجال للتبادل التجاري، وسرعان ما يتحول المكان بقدرة قادر وبدعم إيران إلى مكان تنشط فيه المؤسسات الصحية والعون الاجتماعي، وزواج المتعة أو الدائم للزواج بفتيات من جنسيات عربية سنية، وقد ذكر لنا أحد الشخصيات الإيرانية أن إيران تحاول التركيز الآن على الأردن وفلسطين، وتجمع معلومات عن قبور الأولياء المفترضين حتى وإن لم

٥٣٥ - (نقصد هنا المشاريع الشرق أوسطية التي طرحها شيمعون بيريز في كتاب الشرق الأوسط الجديد، دمشق، دار الرازي، ١٩٩٩، أو بنيامين نتيناهو في كتاب مكان تحت الشمس، بيروت، دار المنار، ٢٠٠١).



يكن لبعضهم وجود، فهي تسعى الآن إلى بناء قبر في مدينة يافا التي تقع تحت الاحتلال الإسرائيلي، ويعرف هذا الضريح اليوم بقبر الشيخ علي العجمي^{٥٣٦}.

لقد وجدت دولة الحلم الإمبراطوري في فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية الأخيرة فرصة تاريخية لتمرير سياستهم وأجندتهم غير المعلنة في فلسطين التي لم تشهد على مدار تاريخها أي ظاهرة طائفية مذهبية، سوى مذهب أهل السنة والجماعة، ونعتقد أنه وعلى الرغم من محاولات إيران احتواء حركة الجهاد الإسلامي مذهبيا إلا أن القيادة في حركة الجهاد فطنت وأدركت طبيعة المجتمع الفلسطيني وتركيبته المذهبية، فلم تنجر وراء الأهواء الإيرانية، ولم تعلن في أدبياتها أي توجهات مذهبية، وذلك من خلال إدراكها السياسي والاجتماعي بأن الشعب الفلسطيني سيلفظهم، ولن يقبلهم، لما سيشكله ذلك من هدم للبناء المذهبي الديني السني للشعب الفلسطيني، ونلاحظ من خلال المشهد السياسي الفلسطيني خاصة بعد حصد حركة المقاومة الإسلامية حماس، السنة المذهب، للأغلبية في الانتخابات التشريعية أن من التجليات التي تصاعدت وتيرتها هي الدور الإيراني، الذي يحاول أن يقوم بدور الراعي والحاضن لحركة حماس، التي لم تجد من يقف بجانبها ماليا وسياسيا في ظل المقاطعة العربية والدولية لها، سوى

٥٣٦ - تنتسب الأسرة الصفوية إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (٦٥٠ هـ - ٧٣٥ هـ)، والذي كان في بداية عهده من مريدي الشيخ (تاج الدين الزاهد الكيلاني). كان واعظا صوفيا شافعي المذهب في مدينة أردبيل، ثم أسس فرقة صوفية تسمى الإخوان، وقد كثرت هذه الفرقة في إقليم أذربيجان، وبعد وفاته أخذ مشيخة طريقته والتي سميت الطريقة الصفوية ابنه صدر الدين موسى (٧٠٤ هـ - ٧٩٤ هـ) ولما توفي صدر الدين تولى ابنه "خواجه علي" الذي كانت له لقاءات مع تيمور لنگ، وتولى مشيخة الطريقة مدة (٣٦) سنة ومات في فلسطين سنة ٨٣٠ هـ وقبره المعروف في يافا باسم قبر الشيخ علي العجمي، وكان للخواجه علي ميل للتشيع، ولم يكن تعصبا بل تشيعا خفيفا (كمال حسنين، التمدد الشيعي في فلسطين، مجلة الأنوار، العدد ٤٦، أغسطس ٢٠٠٦، ص ٨).



الدولة الفارسية التي فتحت أذرعتها لها في محاولة لاغتنام الفرصة الذهبية والمتمثلة بتسخيرها لحماس - وهي القوة الأكثر تأثيرا فلسطينيا وإسلاميا - من أجل تحقيق أجندتها الخفية في المنطقة العربية، وذلك من خلال الدعم المالي والسياسي لها بحجة فك الحصار الذي يهدد به الكيان الصهيوني وأمريكا والدول الأخرى.

ومن اللافت للنظر - كذلك - ما رصدته الدراسة من تصريحات تتماهى مع المخطط الاستراتيجي الإيراني، والتي تزداد وتيرتها للأسف تباعا_ وكان أغربها التصريح الذي أطلقه رئيس المكتب السياسي لحماس السيد خالد مشعل^{٥٣٧} خلال لقائه حفيد الخميني بالقاهرة، قال خالد مشعل: "إن حماس هي الابن الروحي للإمام الخميني"^{٥٣٨}. هذا التصريح أثار التساؤل: منذ متى كانت حركة الإخوان المسلمين تتخذ من الخميني مرشدا روحيا لها رغم التباعد الكبير مذهبيا وسياسيا بين الاتجاهين؟ أم أن القضية لا تعدو كونها "تشيعا سياسيا"^{٥٣٩} كما حصل مع بعض أعضاء الإخوان المسلمين في بعض الدول العربية، والذين أبدوا تعاطفهم مع لغة خطاب زعيم حزب الله اللبناني الشيعي، وأعلنوا عن تشيعهم السياسي وليس المذهبي^{٥٤٠}، حيث أفاض مشعل في وصف مآثر الخميني، فهو يقول: "ما أصعب الكتابة عن رجل مثل الإمام الخميني، رجل أحيا الله به أمة، وأزال به عرش الطاغوت، رجل أشرق كالشمس في رابعة النهار لبيد به ظلمات الظالمين والمستكبرين، وينير به دروب المستضعفين والحائرين، وتعجز الكلمات أن توفيه حقه في التقدير. وأضاف مشعل - قاصدا الخميني: "لقد كان حديثه طوال سنوات إبعاده عن وطنه لا يخلو من الحديث عن فلسطين وشعبها المظلوم

٥٣٧ - (لقد شاهدنا في إحدى المؤتمرات التي عقدت في طهران السيد خالد مشعل وهو يحني رأسه ويقبل يد علي خامنئي).

٥٣٨ - (جريدة كيهان الإيرانية، جريدة انتقاد الإيرانية، ٢٢/٢/٢٠٠٦).

٥٣٩، ٥٤٠ - (حاولت بعض المراجع الفارسية إيجاد القواسم المشتركة بين حركة الإخوان المسلمين والثورة الإيرانية الشيعية، انظر: عباس خامه يار، تأثير انقلاب إسلامي إيران بر جنبش إخوان المسلمين، بايان نامه فوق ليسانس، طهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٠).



ومقدساتها الإسلامية، وكان يفتي للشباب المسلم الإيراني وغيرهم بالانخراط في صفوف الثورة الفلسطينية، وللأغنياء بالدفع للمجاهدين من زكاة أموالهم، ومن الأحماس والندور، وظل يحذر العرب والمسلمين من خطر هذه "الغدة السرطانية إسرائيل" كما سماها بحق، ويدعو الأمة إلى الوحدة الإسلامية بمختلف قومياتها ومذاهبها؛ لأن الوحدة هي طريق العزة والنصر والتحرير^{٥٤١}.

لكن القضية لم تقف عند حد لغة المجاملة المذهبية والسياسية فحسب؛ فالتشيع قد بدأ بالتمدد في فلسطين على الرغم من عدم وجود أية أرقام محددة لقياس وزن وحجم الشيعة بين الفلسطينيين، لكن لا بد من الإشارة إلى خطورة تأسيس المجلس الشيعي في فلسطين الذي ينشط حالياً هناك بصورة علنية، ليبدأ الحراك الشيعي عمله الرسمي تحت مظلة هذا المجلس في محاولة للإيحاء بوجود عدد كبير من أتباع المذهب الشيعي في فلسطين، وهناك العديد من الأسماء التي يتم تداولها في إطار الشخصيات الفلسطينية الشيعية الوهمية - لا داعي لذكرها في هذا المقام - إلا أن تلك الشخصيات لم يتم التأكد من تشيعها من مصادر مستقلة، ولكن يتم تسويق مثل هذه الأسماء بغية تشجيع الآخرين على أن هناك قيادات فلسطينية بارزة اعتنقت المذهب الشيعي. واستكمالاً للدور الذي تقوم به إيران في نشر التشيع السياسي مظللاً بالتشيع المذهبي برزت هناك ظاهرة التشيع الإلكتروني، وبرزت هناك نوافذ إعلامية على شبكة "الإنترنت" مجهولة المصدر أو الأشخاص الذين يديرونها حيث تتبنى لغة خطاب وأسلوب الشيعة ونهجهم الفكري، وتطرحة كمادة إعلامية يومية على المواطن الفلسطيني، بدعم مادي من إيران، وتحت إشرافها المباشر.

وقد ظهر من خلال النوافذ الإعلامية مؤخراً موقع "أمة الزهراء" التابع لما أطلق عليه اسم شبكة الأبدال العالمية، والذي بدأ بثه على شبكة الإنترنت انطلاقاً

٥٤١ - (مقالة كتبها رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل تحت عنوان: نظرة إلى المسيرة الجهادية للإمام الخميني، صحيفة انتقاد الإيرانية، ٢٠٠٦/٨/١٢).



من غزة. كذلك لا بد من الإشارة إلى حجم المنح الكبير الذي تمنحه إيران للطلاب الفلسطينيين سواء من داخل فلسطين، أو من خلال الفلسطينيين المقيمين في الخارج من أبناء المخيمات الفلسطينية خصوصا من سوريا^{٥٤٢}. وتسعى دولة القلب المذهبي إلى إقامة عشرات الندوات والمؤتمرات سنويا، وقد لفت نظرنا أسلوب جديد يتعلق بأهمية نشر ثقافة عاشوراء وإعادة إحيائها خارج إيران في دول العالم الإسلامي، وجمهوريات آسيا الوسطى. ومما يثير الضحك أننا طالعنا دراسة باللغة الفارسية تحت عنوان " نهضة عاشوراء عند أهل السنة "، حيث حلل الكاتب انشغال أهل السنة وعلمائها قديما بموضوع الثورة الحسينية، واستعرض الروايات الهامة التي نقلها الإمام أحمد بن حنبل، والشافعي، وعلماء التاريخ كالطبري، وأبو الفرج الأصفهاني، والزمخشري... وفي ختام دراسته توصل الباحث إلى نتيجة بلورها في مقولة للخميني يقول فيها: " إن البكاء على سيد الشهداء، وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام أربعة عشر قرنا^{٥٤٣}. وتحاول دولة القلب المذهبي إرسال حججها للطواف حول أضرحة آل البيت المنتشرة في الدول العربية السنية بالتزامن مع ذكرى إحياء عاشوراء، بهدف التأثير على السنة المقيمين في هذه المناطق من خلال هذه المراسيم، وتقديم الهدايا، وإقامة الولائم وتوزيعها على الأهالي، مستغلين حالة الفقر والفاقة التي يعاني منها سكان هذه المناطق للتبشير بالمذهب الشيعي.

إن تغيير المعادلة الإقليمية جاء هذه المرة من إيران في العام ١٩٧٩ عندما سقط الشاه الذي أراد أن يجعل من نفسه شرطيا للخليج، ودولة تمتلك ترسانة أسلحة قوية، وبدأت الاتجاهات الإقليمية تتبلور على نحو جديد وخطير قاد إلى التصادم الإقليمي ضمن أجندة دولية، وكانت الحرب العراقية الإيرانية التي تعد من

٥٤٢ - (نقوم حاليا بإعداد دراسة شاملة حول التشيع في فلسطين، حيث سنقوم بنشرها قريبا بعون الله).

٥٤٣ - (مرتضى ذكائي، نهضة عاشوراء وأهل تسنن، كنفرا نس إمام خميني وفرهنك عاشوراء، تهران، ١٣٧٨، ص ١١٦ - ١١٧).



أقصى الحروب الإقليمية التي شهدها العالم إبان الثمانينيات، حيث اندلعت واستمرت، ثم وضعت أوزارها من دون أن تسأل دول الإقليم نفسها وخصوصا دول الحزام الشمالي: لماذا الصراع الإقليمي؟ ولمصلحة من؟ وبدل أن يبقى العرب كتلة جيوسراتيجية قوية في الإقليم بدأ أشنع انقسام من الناحية الاستراتيجية بغزو الكويت عام ١٩٩٠، مما مهد لأن يصبح الإقليم كله مخترقا دوليا، وانسحق العراق منذ العام ١٩٩١، وغدا صاحب أكبر سجل من المشاكل ليس الإقليمية فحسب، بل الدولية أيضا، وبقيت الولايات المتحدة تطمح أن يكون لها دورها من خلال ما سمته بـ"الاحتواء المزدوج" لكل من إيران والعراق، إلا أنها لم تفلح، بدأت سياسات جديدة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.^{٥٤٤}

وبالمقابل فقد مارست إيران استراتيجية مضادة لمواجهة السياسة الأمريكية من خلال احتوائها للعراق، حيث تزايد اليوم النفوذ الإيراني هناك، وتسارعت وتيرة الغلو الطائفي والمذهبي لتبرز إلى السطح أصوات الرفض لقيم الجمود الفكري والعقائدي والسياسي، ومنطق الولاء للمذهب على حساب الوطن، والانقياد الأعمى وراء الدولة الطائفية ممثلة في الجمهورية الصفوية الإيرانية، وكان الرفض في هذه المرة نابعا من حرص وطني على سلامة وأمن واستقرار ومستقبل بلد عربي كان له دور محوري عبر التاريخ في مواجهة الموجة الصفوية الطائفية الصفراء القادمة من بلاد فارس، والمستهدفة لوحدنة الأمة العربية ونهضتها، ذلك أن تأثير هؤلاء على الوضع العام في المنطقة قد يكون أكثر فعالية من تأثير غيرهم من المتفضين والثائرين ضد السطوة الصفوية والهيمنة الإيرانية المتخفية بغطاء مذهبي، فهم في المنطلق والنهاية يحملون راية التشيع^{٥٤٥}.

٥٤٤ - (سيار الجميل، ندوة حول المسألة الإقليمية وخطورة مصطلح الحزام الشمالي، المنتدى العربي، ٢٣/٦/٢٠٠٧).

٥٤٥ - (عزالدين حسين القوطالي، التشيع الأصلي والتشيع المزيف: ملاحظات لا بد منها، مجلة القلم، العدد ١٤٦، حزيران/تموز ٢٠٠٧، ص ٢٣ - ٢٤).



لذلك سنجد بأن السلوك الإيراني الخارجي الحالي تجاه الدول العربية والدول الإسلامية السنية الأخرى - خاصة العراق وأفطار الخليج العربي - لم يكن نتيجة لعوامل آنية مؤقتة ولا مبعثه عامل الغطرسة الفارسية وعدم خبرتها السياسية فحسب، بل تداخل معها مزيج متوارث من الخلفية المذهبية والفكرية والثأرية التاريخية، التي كان ينادي بها الخميني، وهي مزيج من القومية الفارسية، ومحاولته بعثها، وما تحركه من بغض وعداء للأمة العربية والإسلامية، كذلك فإن مشاريع تقسيم دول العالم الإسلامي إلى دول فئات، والذي نقرأ عنها منذ سنوات كثيرة لم تكن محض خيال أو طموح يائس لدى واضعي هذه المشاريع والخطط، بل إنها خطط حقيقية تتخذ موقعها في التنفيذ عندما تحين الفرص وتتهيأ الظروف لفعل ذلك، وفعلا بدأت هذه الأحلام من خلال المدخل العراقي كما هي استراتيجية الدولة الصفوية التي اتجهت إلى العراق سابقا، والذي تحدثنا عنه سابقا، إذ يمثل العراق بالنسبة للشيعة بصفة عامة ولإيران بصفة خاصة أهمية كبيرة، وذلك نظرا للمكانة الدينية للعراق بالنسبة للشيعة، فالمزارات والأماكن الشيعية المقدسة موجودة في جنوب العراق، وتمثل هذه المزارات أهمية كبيرة لهم، حيث يشدون إليها الرحال من مختلف بلدان العالم الإسلامي، كما يعتقد معظمهم أن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة المكرمة، ولن يقر لهم قرار ما دامت هذه الأماكن لا تخضع لسلطانهم.

لقد كانت السيطرة على العراق عبر التاريخ هو مفتاح إيران " الثورة الشيعية " الطامحة للسيطرة على دول الخليج ومن ثم بقية العالم العربي .



المبحث الثاني

تفتيت العراق: أوجه التشابه في إستراتيجية دولة الحلم الإمبراطوري وأمريكا وإسرائيل



إن الخطط الأمريكية الساعية إلى تقسيم دول العالم الإسلامي - ومن بينها العراق - لم تكن وليدة الوقت الحاضر، بل هي مشاريع حاضرة في مراكز الأبحاث الأمريكية وأذهان السياسيين الأمريكيين منذ القديم، حتى إن "هنري كيسنجر" أحد أشهر السياسيين الأمريكيين كتب في مذكرته: "من يريد السيطرة على الأمة العربية والإسلامية عليه أن يدمر إرادة الأمة العراقية فهي الحلقة الرئيسية فيها"^{٥٤٦}. وفي عدة لقاءات مع "بول بريمر" إبان توليه الحكم الأمريكي للعراق أكد أن مشروع الفيدرالية يجب تنفيذه. وفي هذا الإطار يقول: "إن الفيدرالية هي من الأولويات التي تسعى واشنطن لتحقيقها في العراق، وهي الضمان لتكريس الديمقراطية للشعب العراقي، ولتحقيق مفهوم العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين الأقاليم العراقية المختلفة"^{٥٤٧}.

بالتأكيد فإن هذه الفيدرالية لا يقصد منها في حقيقة الأمر إلا تقسيم العراق وتفتيته، وبالتالي إخراجه من معادلة القوة السنية، ولذلك لم يعد سرا أن خطة أمريكا لاحتلال العراق كانت حبلية بثلاثة مشاريع مكنتها من النجاح، وبدونها مجتمعة لما كان الاحتلال ممكناً: الأول: إسقاط العراق كدولة بغض النظر عن يحكمه، وأسلوبه ومنهجيته في إدارة الدولة. والثاني: هدم الدولة وكيانها السني بالكامل بحيث أصبحت عينا بعد أثر. والثالث: إقامة دولة شيعية جديدة مختلفة

٥٤٦ - (مذكرات هنري كيسنجر، ترجمة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥٦).

٥٤٧ - (واشنطن بوست، ٢٣/١١/٢٠٠٤).

المعالم بالكامل، وهذه مصلحة إقليمية أمريكية - إيرانية - إسرائيلية مشتركة. وقد دخلت إيران في هذا النوع من المشاريع ثلاث مرات منذ وصول آيات الله العظام إلى الحكم، وبصرف النظر عن الشريك: مرتان في أفغانستان التي تعتبرها إيران جزءاً تاريخياً منها، الأولى مع شريك شيوعي ملحد هو الاتحاد السوفياتي، والثانية مع الإدارة الأمريكية التوراتية بقيادة التيار الصهيوني - مسيحي، وبعد أن أنجز الطور الأول، اتجهت كل دولة صوب مشروعها: الولايات المتحدة نحو إيجاد الشرق الأوسط الكبير الذي تتزعم فيه إسرائيل بضغط من الوصاية الأمريكية، المعتمد على الضعف العسكري والسياسي والاقتصادي للدول العربية، والحيلولة دون وجود محاور قوية في المنطقة، بعد تصفية العراق عسكرياً. والمشروع الإيراني الذي يريد عراقاً شيعياً يشكل أولى خطوات هلالها المذهبي، وهو عراق يهيمن فيه التشيع الصفوي على المؤسسة السياسية، والدينية، والثقافية، والأمنية، ويقضي فيه عن انتمائه العربي السني. ومن هنا فإن الاختلاف في المصالح النهائية للشركاء الثلاث - أمريكا وإيران وإسرائيل - تقاطعت من خلال مداخل الأزمات على تقاسم النفوذ، وقد لعب كل طرف بأوراقه من خلالها لانتزاع أكبر قدر من المكاسب النهائية على حساب الآخر، ومن ذلك توظيف إيران الناجح لملفاتها العالقة مع الولايات المتحدة وإسرائيل من خلال الأزمة العراقية واللبنانية والفلسطينية للموازنة بين مشروعها النووي ومكاسبها الإقليمية في العراق والمنطقة، وقد أثبتت الدبلوماسية الشيعية - وبمباركة فتاوى آيات الله العظام - براعتها في هذا النوع من الصفقات للوصول إلى تسويات ناجحة بامتياز^{٥٤٨}.

ولطالما كانت إيران تسعى إلى توسيع محورها الذي تشكل الآن، وبات يضمّ طهران ودمشق وبيروت، ولطالما كانت العراق تلك الحلقة المفقودة في هذا الحلف، واعتقاد طهران أنّ احتلال بغداد موقعها سوف يضاعف قوتها ونفوذها في

٥٤٨ - (نور الدين الشامي، الدبلوماسية الشيعية بين النجاح إلى البراعة، المجلة، العدد ٨٩، ابريل، ٢٠٠٦، ص ٧).



هذا المحور^{٥٤٩}. فالموقف الإيراني تجاه الأحداث الأخيرة في المنطقة تبدو فيه معالم الاستراتيجية الإيرانية القديمة الجديدة تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تمنع الجدل حول الإصلاحات على الصعيد الخارجي ليمتد إلى العلاقات مع أمريكا كما يعلن عن ذلك بعض مسؤوليها صراحة^{٥٥٠}.

كذلك فإن رفسنجاني أشار خلال لقائه مع ممثلي الأحزاب إلى هذا حيث يقول: " ليس هناك ما يمنع من وجود علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية بين إيران والولايات المتحدة، لكن العلاقات الدبلوماسية تعود إلى احترام الشروط المعلنة من جانب إيران"^{٥٥١}. هذه التصريحات المضحكة تفترض أساسا وكأنه ليس هناك علاقات سرية إيرانية أمريكية، وهي تطلق على أمل إشغال الرأي العام الإيراني عن التعاطي مع الكوارث التي جلبتها الحكومات الإيرانية المتعاقبة للشعب الإيراني، كما يحاول بعض الإيرانيين تخفيف التوتر مع الولايات المتحدة، وفي هذا المجال يقول علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني: " إن الهجوم الأمريكي على إيران احتمال بعيد، بشرط أن تكون أمريكا قد تعلمت من دروس الماضي، وأن إيران لن تنظر إلى أي انتهاك أمريكي غير مقصود لحدودها على أنه عمل عدائي، بشرط ألا يضر بمصالح البلاد، وأن تكون هناك أدلة واضحة على عدم التعمد في هذا السلوك"^{٥٥٢}.

وتأسيسا على ما سبق لا يمكن وصف الاجتماعات التي تمت بين المسؤولين الإيرانيين وممثلين للولايات المتحدة الأمريكية في بغداد إلا أنه حوار على تركة العراق " تركة الرجل المريض"، وبداية فإن الأوساط الإيرانية كانت ولا تزال تتهم

٥٤٩ - (ممدوح عثمان، المحاولات الإيرانية لتصدير الثورة والمذهب، مفكرة الإسلام، ١٠ - ١٤٢٧/١١، ص ١٠).

٥٥٠ - (محسن آرمين نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي في حديثه لوكالة الأنباء الإيرانية في ٢٠٠٢/٤/٦).

٥٥١ - (صحيفة إطلاعات ٢٠٠٢/٤/١٦).

٥٥٢ - (صحيفة كيهان، ٦/١٠/٢٠٠٢).



الولايات المتحدة بأنها الشيطان الأكبر، ومع ذلك فهي مستعدة للحوار معها، بل وإبرام الاتفاقات على حساب الآخرين وتحديدًا أفغانستان والعراق، ولعل ذلك يكشف نوعاً من البراغمية الإيرانية التي تعدت بها كل مصداقية حول المبادئ القوية، نحن بالطبع لا نمانع من أن تفعل إيران ما تشاء من أجل مصلحتها، ولكن شريطة أن تقول للآخرين إنها تتحرك وفق المصالح الوطنية الإيرانية، وهنا فليس من حقها أن تطلب من مسلم أن يقف معها، فهذا شأن إيراني لا يخصه.

المفارقة أن لقاءات بغداد المتكررة بين إيران وأمريكا اتفقت على ضرورة دعم الحكومة العراقية وتسليح الجيش والشرطة العراقية، وهذا يعني أن إيران تقف مع حكومة بغداد الموالية للأمريكان، وتُجرّم الوقوف مع حكومة السنيورة في لبنان، وهي - بالتأكيد - أقل في موالاتها للأمريكان من حكومة المالكي، وإيران تطلب تسليح الجيش والشرطة العراقية والقضاء على "المقاومة السنية" في حين أنها تجرم الموقف ذاته في لبنان، المهم أننا أمام ملامح خطيرة لبراغماتية إيرانية وشيعية في العراق، وينبغي هنا أن ندعم جميعاً المشروع غير الطائفي الذي تمثله قطاعات مهمة من المقاومة العراقية، وإلا أصبح العراق والمنطقة مقسمة بين أمريكا وإيران^{٥٥٣}.

لا شك بأن أمريكا حققت لإيران هدفاً استراتيجياً من خلال الإطاحة بالحكومة العراقية السابقة الذي اعتبرته دولة القلب المذهبي السبب في وقف تمددها^{٥٥٤}، وقد احتاجت الولايات المتحدة راضخة للتفاوض مع إيران حول العراق، ولا يمكن القول إنها مفاوضات معزولة عن الوضع الإقليمي بعامّة والعلاقات الإيرانية الأمريكية، فلن تستطيع الولايات المتحدة تحقيق تفاهات مع إيران بشأن العراق بدون تسويات مرضية لإيران، ودون التفاهم على جملة من

٥٥٣ - (محمد مورو، اللقاء على جثة العراق، مرجع سابق).

٥٥٤ - (أطلقت بعض الصحف الإيرانية تسمية سقوط جدار برلين السني بعد احتلال العراق، مجلة شلمجة، ٢٥/١١/٢٠٠٤).



القضايا العالقة وفي مقدمتها الملف اللبناني وموضوع حزب الله، ولا يعدو الحديث المتكرر للمسؤولين الأميركيين عن الفصل بين الموقف الأمريكي العام من إيران وبين التفاوض حول العراق ولبنان وفلسطين لمجرد الاستهلاك الإعلامي لإشغال الرأي العام الإقليمي والدولي.

فإيران مُستعدة من موقع الشعور بالثقة بأنها قادرة على الإمساك بخيوط إدارة الأزمات الإقليمية، للتفاهم على تسويات سياسية واقتصادية وإقليمية مرضية ومغرية لها وللولايات المتحدة من أجل الفوز بالعراق، أولاً^{٥٥٥}، تمهيدا لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة القاضية بتكوين إمبراطوريتها الشيعية، وهذا الواقع أدى إلى سقوط منافس إقليمي قوي بالنسبة للدولة الإيرانية، حيث كان حائط صد منيع أمام محاولات إيران لتدعيم نفوذها الإقليمي في منطقة الخليج العربي، وقد ألغى سقوط الحكومة العراقية والنظام البعثي (حسب الرؤية الإيرانية) أحد مصادر تهديد الأمن القومي الإيراني عبر فترة تاريخية طويلة، وبالإضافة إلى ذلك فإن القضاء على هذه الحكومة يعني بالنسبة لإيران زوال أحد الأنظمة العلمانية التي كانت أطروحاتها الفكرية تمثل خطراً على أيديولوجية الثورة الشيعية، وفي الوقت نفسه فإن سقوطها يفسح الفرصة أمام تواصل إيران مع الطائفة الشيعية المحرومة خلال أكثر من ستة قرون في العراق والمنطقة^{٥٥٦}.

ومع أن سقوط العراق يُعد مكسباً لإيران إلا أن بعض المحللين والأكاديميين العرب غير العارفين بخفايا السياسة الإيرانية يرون أن احتلال العراق يضع إيران على طرف هاوية لأسباب كثيرة أبرزها أن نجاح الولايات المتحدة في القضاء على الحكومة العراقية يشكل تهديداً مباشراً لإيران كونها تحتل المرتبة الثانية فيما يسمى

٥٥٥ - (نبيل العتوم، ندوة: إلى أين تمضي المواجهة بين إسرائيل وحزب الله، الأردن، عمان، ١٣/١٠/٢٠٠٦).

٥٥٦ - (عنايت افتخاري، مناسبات إيران وعراق، سياست خارجي، شماره ٢١٣، ٢٠/١٠/٢٠٠٥، ص ١٩ - ٢٠).



بدول محور الشر^{٥٥٧}، ومما يضاعف من خطورة هذا الجانب أن الولايات المتحدة قد قامت بشن حرب بلا شرعية دولية، ودون الرجوع إلى مجلس الأمن الدولي، الأمر الذي يعني إمكانية إعادة المغامرة مرة أخرى وبلا أدنى تردد مع إيران، ورغم أن إيران قد تخلصت من الجدار العراقي الذي كان يقف أمام طموحاتها وأحلامها الإقليمية، لكن سيطرة الولايات المتحدة على العراق بكامله يمثل تحدياً كبيراً على نفوذها وتمدها الإقليمي، صحيح أنها تخلصت من قوة إقليمية لكنها الآن وجدت نفسها أمام قوى دولية أكثر التزاماً بأمن الخليج والمنطقة، مع تصاعد حدة البيئة الصراعية بين إيران والولايات المتحدة لأسباب عديدة، ومن أبرزها: زيادة التدخل الإيراني في الأزمات الإقليمية في المنطقة، ومسألة الملف النووي الإيراني، والترتيبات الأمنية في الخليج... كذلك فإن غياب الحكومة العراقية السابقة عن المشهد السياسي بتفصيلاته المؤسسية يعطي الفرصة أمام تفعيل دور شيعة العراق في صناعة القرار العراقي والإقليمي سياسياً ومذهبياً، إلا أنه لا يمكن التقليل من وجود خلاف تقليدي بين إيران وبعض الفصائل الشيعية في العراق التي يرفض بعضها تطبيق مبدأ ولاية الفقيه^{٥٥٨}.

وفي السياق نفسه فإن الازدهار المتوقع لمرجعية النجف وكربلاء بعد انتهاء حكم البعث في العراق سيؤثر كثيراً على مرجعية قم، التي سوف تفقد مكانتها

٥٥٧ - (كان هذا المحور يضم كلا من العراق وإيران وكوريا الشمالية، وقد تمكنت كوريا الشمالية من التوصل إلى صيغة تفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، مكنتها من الحصول على صفقة من الحوافز والامتيازات، الأمر الذي جعل دولة الحلم الإمبراطوري تطمح إلى تحقيق صفقة مع أمريكا على غرارها).

٥٥٨ - (هذا الأمر ليس صحيحاً على إطلاقه، فالشخصيات السياسية الشيعية قد نجحت الولايات المتحدة في تسليمها مواقع صنع قرار مهمة، لكنهم خرجوا بعد نقمة المراجع والقطاعات الشيعية عليهم، وكأن الإدارة الأمريكية كانت راغبة في ذلك لتعطيم شعبية هذه النخب السياسية تمهيداً لتسليم العراق للقوى التي تمثل التيارات الدينية، لأهداف وغايات تنصيب النخب التي تمثل تيارات شيعية متعصبة، لإشغال الدول العربية بالأزمة العراقية عقوداً قادمة).



كمرجعية أولى للشيعنة في العالم، وهذا الأمر سيؤثر بدوره على زعامة إيران على شيعة العالم، كذلك فإن نجاح العراق في إحداث تحول ديمقراطي حقيقي - إذا ما تم ذلك فعليا - فإنه سوف يؤثر سلبا على الوضع السياسي في إيران التي يعاني نظامها السياسي من تآكل شرعية مؤسساته الدستورية التي سيطرت على النظام السياسي برمته بفعل تهميش دور المؤسسات المنتخبة^{٥٥٩} لصالح المؤسسات المعينة التي يسيطر عليها التيار المحافظ (المؤسسات الثورية)، وبالإضافة إلى ذلك فإن سيطرة الولايات المتحدة مباشرة على العراق وخيراته تعني سيطرتها على نفطه المكتشف وغير المكتشف، وبالتالي التحكم في سوق النفط العالمية وأسعاره، الأمر الذي سوف يؤدي إلى حدوث خسائر كبيرة للاقتصاد الإيراني إذا ما قامت الإدارة الأمريكية اللعب بهذه الورقة الخطيرة؛ حيث تعتمد الموازنة الإيرانية على سيادة قطاع النفط والغاز بشكل أساسي.

لا شك بأن العراق تحديداً كان منذ الأزل يُمثل الجدار الأمني الأول الذي يُمثل خطراً استراتيجياً على إيران، فإيران تسعى إلى خلق وإيجاد منطقة أكبر للتأثير ربما تكون مشابهة أو قريبة من المفهوم الروسي "المجال القريب"، وضمن منطقة تمثل فيها إيران مركزاً لقطب الطاقة. وتقوم وجهة نظر طهران على أن الجنوب العراقي ربما يكون مجالاً مناسباً لإظهار قوة ومكانة إيران الاستراتيجية في المنطقة خوفاً من أن يصبح خنجراً في خاصرة إيران. ومن هنا يجب على إيران أن تضع جنوب العراق على أولوية أجندتها الأمنية والسياسية^{٥٦٠}.

٥٥٩ - (لاحظنا مؤخراً أن مجلس صيانة الدستور الإيراني قد قام بإلغاء ترشيحات نصف المتقدمين للترشح للانتخابات التشريعية التي ستجري في شهر آذار من هذا العام، بيان التيار الإصلاحي، ٢٤/١/٢٠٠٨. ويعرف مجلس صيانة الدستور باللغة الفارسية بشوراي نكهبان، وله صلاحيات واسعة تتمثل من خلال مراقبته للانتخابات وإشرافه عليها، وتصديقه على أسماء المرشحين، إضافة إلى ضمان مطابقة ما يصدر عن مجلس الشورى من قرارات لمعايير الشريعة الإسلامية، قانون أساسي، المواد ٩١ - ٩٩).

٥٦٠ - (جواد سعيدي، روابط إيران وعراق ٢٠٠٣ - ٢٠٠٦، مجلة سياست دفاعي، =



وتقوم الاستراتيجية الإيرانية في العراق اليوم على هدف أساسي، وهو ضمان عدم عودة العراق كمُهدد لإيران، ويأتي هذا الهدف على رأس أولويات الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد ومعظم قيادات الحرس الثوري، حيث يرون أن هدوء العراق يعد هدفاً استراتيجياً مهماً لإيران، ويرون أن العراق تحت القيادة الشيعية سيكون أكثر أماناً لهم، وذلك على اعتبار إن الدول الشيعية لا تحارب بعضها البعض، وبما أن العراق المُوحد والقوي كان يقف حائلاً دون تحقيق الرغبة الإيرانية فإن إيران حاولت عبر تاريخها الطويل السيطرة على العراق، فمنذ الحرب العالمية الأولى وضمن اتفاقيات أضروروم وما تلاها، كانت إيران تقضم جزءاً من الإقليم العراقي من سهل شهرزور، الذي يعد امتداداً لمنطقة السليمانية بشمال العراق، وحتى حوض نهر الكارون ومنطقة (خوزستان) (خرمشهر) مقابل البصرة الجنوبية، وبالتالي فإن بسط سيطرتها على البر في الجنوب العراقي سوف يقرب من نفوذها وتأثيرها من خلال منفذ بوابة الخليج التي سعت الحكومات الإيرانية المتعاقبة إلى ولوجها بطرق متعددة^{٥٦١}.

لقد سقطت الدولة العراقية التي كانت تشكل قوة رئيسية في منطقة الخليج، ونتيجة لذلك حصل فراغ على المستوى الاستراتيجي العربي، هذا الفراغ ملأته إيران في الوقت الذي لم يستطع العرب ملأه بسبب الحالة المتردية للأمة العربية عموماً. وفي هذا الإطار حاولت إيران الاستفادة من الورقة العراقية - كأحد الأوراق التي تلعب بها سواء مع محيطها الإقليمي والعربي أو مع الدول الغربية وخاصة أمريكا - وهي لن تتخلى عن هذه الورقة وسوف تلعب بها، لتعظيم مكاسبها وللتفاوض بها من أجل الحصول على مكاسب في أمور أخرى أهمها الملف النووي - حماية المحطات النووية الإيرانية- وتطبيع العلاقات مع أمريكا والغرب، ووجود ضمانات بعدم السعي لتهديد أمن النظام الإيراني أو الإطاحة به.

=شماره ١٨٩، ٢٠٠٧، ص ١٦ - ١٧. مصطفى علوش. تفتيت العراق ومطامع إيران

في الخليج، جريدة الحياة الخليجية ٢٠٠٦/١١/١.

٥٦١ - (إيران والنفوذ إلى البصرة، موقع الأهواز الإلكتروني).



وبذلك تخلصت إيران من القوة الإقليمية العظمى، وفي المنطقة والتي منعت الخمينية من التوسع، بعد ذلك تقوم باستغلال ورطة أمريكا في العراق لإجبارها على التساوم معها وعقد صفقة تمنح إيران بموجبها نفوذا في العراق والخليج العربي والجزيرة العربية، وهكذا تحل إيران أصعب مشكلة وأكبر تحد واجهها منذ بدأت تنفيذ خطة إقامة إمبراطورية فارسية تتبرقع باسم الإسلام الصفوي. إذن اللقاء الأمريكي الإيراني ضد العراق تم بناء على اتفاق الطرفين على أن خلافاتهما الثنائية ما هي إلا خلافات ثانوية قياسا بطبيعة خلافات كل منهما مع العراق وحاجة كل منهما لتدمير العراق، أمريكا تريد دماره لأجل استعمارها، وإيران تريد دماره لأجل التخلص من أخطر عقبة أمام توسعها الإمبراطوري، وتحويله إلى قاعدة انطلاق عظمى لغزو الوطن العربي، ثم العالم الإسلامي، وإقامة إمبراطورية صفوية عنصرية^{٥٦٢}.

لقد أثبتت الوقائع والأحداث وتصريحات المسؤولين الإيرانيين أنهم شركاء فاعلين في احتلال العراق، وأن علاقاتهم مع الولايات المتحدة وبريطانيا أقوى وأعمق من كل ما تتصور أطراف إقليمية فاعلة، ونشير هنا إلى ملاحظة مهمة توضح نوع العلاقة الاستراتيجية بين أمريكا وإيران، وهي العلاقة التي جعلت من إيران تعيد بناء كل قدراتها العسكرية، وبالذات إنجاز المفاعلات النووية تحت مرأى ومسمع المسؤولين الأمريكيين، ولم تحرك الإدارات الأمريكية ساكناً لمنع النظام الإيراني من إكمال كل مشاريعه العسكرية، إلى أن وصلت المرحلة الخطيرة التي تمكنت فيها إيران من تخصيب اليورانيوم، بشكل أصبح الرجوع فيه عن مشروعها النووي شبه مستحيل.

هذه الجوانب تبقى وجهة نظر يجب طرحها واحترامها على فرض أن هناك علاقة صراعية دائمة وحقيقية بين دولة القلب المذهبي والولايات المتحدة، وكان

٥٦٢ - (حسام سويلم. إسرائيل وإيران من حرب الكلام إلى الكلام عن الحرب، الحلقة الأولى، دراسات استراتيجية، العدد ١٢٢، فبراير، ٢٠٠٧).



لهذا النوع من الدراسات نتائجه السلبية في قياس حدة وخطورة التوجه الإيراني، وثبت عدم صحتها على الأرض من خلال الأزمة العراقية على سبيل المثال لا الحصر، فإيران التوسعية وسياسة تمددها كانت - ومنذ فترة طويلة - مورد توجس كثير من المحللين والمتابعين للشأن الإيراني والعربي، لكن الدول العربية عموماً والمجاورة لإيران خصوصاً لم تعط لهذا التوجه الإيراني الاهتمام الذي يستحقه، وابتعدت عن أية محاولة لمنع هذا التمدد في بدايته، وهاهي اليوم ما زالت تبتعد حتى عن طرح المخاطر بحجمها الحقيقي ولو على شعوبها، هذه المخاطر التي أصبحت تهدد كياناتهم السياسية وبنيتهم التحتية على حد سواء.

فالساسة الإيرانية القائمة على التدخل في العراق وسيطرة الحرس الإيراني بقواته المسلحة واستخباراته وميليشياته على البصرة خصوصاً والجنوب عموماً هو مقدمة لتمدد بري إيراني فعلي، إن لم تتحرك الدول العربية والخليجية خصوصاً لإيقافه اليوم، وخصوصاً أن التواجد الإيراني بهذه القوة في البصرة سيمنحه من الحصول على تواجد عسكري منظم هناك، وبشكل علني مستقبلاً، وبذلك ستكون الجزر الكويتية مثل: ورهب، وبوبيان، وحفر الباطن، ومدينة خالد العسكرية، والقواعد وأنابيب النفط في المملكة تحت مرمى نيران الأسلحة المتوسطة الإيرانية^{٥٦٣}.

أفرز الصعود الشيعي اليوم داخل العراق تساؤلات عدة حول نتائج هذا الصعود وتداعياته على المستقبل السياسي للعراق، وتأثير هذا كله على إيران، ومدى قدرتها على الاستفادة من كل هذه التطورات التي تمت بالأساس بأيدٍ أمريكية، وكان آخرها الحرب بين حزب الله اللبناني وإسرائيل والتي خرج منها حزب الله منتصراً عسكرياً، الأمر الذي يصب في النهاية لمصلحة إيران، ويقوي

٥٦٣ - (محمود أحمد الأحوازي، الاحتلال الإيراني للبصرة هو بداية لتطويق دول الخليج العربية، الحوار المتمدن، العدد ٢٠١ - ٢٠١، ص ١٢ - ١٣. مجيد زاده. إيران والدخول من بوابة الجنوب العراقي، الموجز، العدد ٢٥٨، ٢٠٠٧، ص ٥٦).



من فكرة الصعود الشيعي ليس داخل العراق فحسب، وإنما في بعض الدول العربية الأخرى .

وبدأ التلاقي الإيراني مع أمريكا مع انهيار الحكم ومؤسساته في العراق، حيث شجعت إدارة بوش وساعدت على انطلاق وتقوية الغلبة الشيعية في العراق، وقد أحل بشكل واسع بالتوازن الطائفي في العراق وفي منطقة الشرق الأوسط لسنوات طويلة قادمة، هذا التطور أثار قلق بعض الحكومات العربية السنية، ولكن هذا التطور مثل فرصة لواشنطن لبناء جسور وعلاقات قوية مع الشيعة في المنطقة عموماً وبشكل خاص مع إيران^{٥٦٤}. وكعادة هذه الدولة في التحالف مع الدول الصليبية ضد الدول السنية، والتجربة التاريخية للدول الشيعية والدولة الصفوية ما زالت ماثلة للعيان .

إن للحزام المذهبي الشيعي استراتيجية متدرجة لدى إيران والدائرين بفلكتها المذهبي والأيديولوجي، ووجه الشبه هنا كبير جداً مع طبيعة المشروع الصهيوني واستراتيجيته السياسية والفكرية التي تأخذ شكل طوق المستعمرات الآمنة حول المدن الكبرى بهدف إيجاد طوق دفاعي لتسهيل الدفاع عنها في وجه الأعداء . وتتسابق الميليشيات الإيرانية في عملية التطهير المذهبي داخل مدن التماس الطائفي في بغداد والوسط والجنوب والشرق كما تعمل بكل الوسائل على تخطيم طوق المدن والقرى السنية عسكرياً ومذهبياً، كل ذلك بهدف إيجاد ممر جغرافي مذهبي يصل الكيان الشيعي (الممر الشيعي الآمن) في الجنوب بشيعة بغداد والوسط والشرق، علماً بأن أهل السنة يعيشون في هذه المدن أصلاً، والمجازر التي ترتكب ضدهم من قبل فرق الموت الإيرانية وأجهزة استخباراتها هي أكبر مثال على استراتيجية الأحزمة المذهبية التي تبنيها إيران .

٥٦٤ - (سمير بسيوني، عندما يصعد الشيعة: رؤية أمريكية، مختارات إيرانية، العدد ٧٤، سبتمبر ٢٠٠٦، ص ٦٦ - ٦٧).



وتلجأ إيران إلى سياسة التغلغل والنفوذ داخل المناطق الحصينة والرخوة (الهلامية) في العراق، حيث تدرك أن نظرة لواقع دول الهلال الخارجي الإقليمي، وطريقة توزيع السكان وفق انتماءاتهم المذهبية هي الوسيلة المثلى لدراسة ديموغرافية دول الهلال الخارجي (العربية) وجغرافيتها، ويمكن تقسيم دول الهلال الخارجي الهلامية إلى ثلاث حلقات حسب السلوك الخارجي الإيراني تجاه الأزمات الإقليمية وفي مقدمتها الأزمة العراقية، وهي كما يلي:

الحلقة الأولى:

الدول غير الحصينة "الهلامية" "العراق" وهي الدولة المجاورة لدولة القلب المذهبي (إيران) وتمتد هذه الحلقة غرباً، وتبدأ من الحدود العراقية، وداخل هذه الحلقة هناك العديد من الأحزمة والمناطق بعضها تضم غالبية سكانية من مذهب واحد (الجيب الجنوبي في العراق، أو ما اصطلح عليه بالفيدرالية الشيعية)، أما داخل العراق فيسير هذا الحزام ليضم شرقاً مدينة الصدر (الثورة سابقاً) مروراً بحي الحسينية في بغداد، ويتوقف هذا الحزام عند الطريق العام الدولي بين محافظة بغداد وواسط، وسكان هذه المناطق هم في الغالب من الشيعة، ويستمر باتجاه خط هذه الحلقة من جهة جنوب بغداد ليصل إلى مناطق جسر ديالي، أما من جهة الشرق فهناك حزام يوصل مناطق شرق العاصمة والمحافظات من جهة الشرق وهي مناطق شيعية لعشائر تسكن في محافظة ديالي.

وقد نجحت دولة القلب المذهبي (إيران) في خلق مواقع مرشحة للانفجار باتجاه تثوير الشيعة، وذلك نظراً للحجم الكبير للسكان الشيعة في هذه المناطق، وكذلك أسهمت الميليشيات الصدرية وفرق الموت بالهيمنة على العاصمة، وذلك من خلال حملة اغتياالات منظمة ومجازر جماعية استهدفت العرب السنة، إضافة إلى عمليات ترحيل جماعي استهدفت السنة، وذلك لإيجاد ممر آمن بين مناطق الجنوب ومركز العاصمة، وتعد المناطق التي يسيطر عليها الشيعة مناطق صناعية تقع فيها أهم المصافي وخطوط نقل النفط ومحطات إنتاج الطاقة الكهربائية.



وقد سعت إيران إلى دفع قسم كبير من الشيعة للانتقال إلى محافظة المدائن؛ وذلك كونها من المناطق الزراعية المهمة، ودعمها هذا للشيعة بالسيطرة على المدائن له مغزى استراتيجي كونها تربط مناطق جنوب العراق (الفيدرالية الشيعية) مع بغداد العاصمة.

ويسعى الصدر وأعوانه للسيطرة الكاملة على أحياء واسعة من بغداد، انسجاماً مع سياسة التطهير المذهبي، إما بالعنف المباشر، أو باللجوء إلى عمليات القصف العشوائي لمناطق السنة بهدف خلق الذعر والخوف، لا يفرقون بين المرأة والشيخ، كل ذلك بهدف إيجاد جيوب غير آمنة تمشط الأرضية لتصفية مذهبية واسعة تمهيداً للسيطرة عليها، ومن هنا فإن المخطط الإيراني يستهدف إنشاء هلال شيعي آمن يبدأ من جنوب العراق باتجاه الشمال والشرق، تمهيداً لحصر السنة في غرب العراق، وعلى هذا الأساس يمكن تصور طبيعة أو شكل السلوك الخارجي الإيراني تجاه الأزمة العراقية من خلال نفوذهم الواسع في العراق.

كل هذا يحدث تحت سمع وبصر الإدارة الأمريكية التي وجدت أن تفكيك العراق إلى أقاليم، سيزيح عن كاهلهم عبئاً ثقيلاً يمتد من إقليم الجنوب وحتى بغداد، وسوف تُترك فيه المسؤولية الأمنية لميليشيات الحكيم والصدر التي سوف تتفرغ بدورها للسنة.

وتسعى إيران إلى محاولة إعادة تجنيد الرجال الشيعة المنتمين لهذه المناطق، الذين خدموا في الجيش العراقي المنحل، والذين كانوا يشكلون العمود الفقري لقوات الحرس الجمهوري وأجهزة الأمن- في ميليشيات وفرق خاصة بالشيعة^{٥٦٥}.

٥٦٥ - (لا توجد دراسة تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر، لكن تم الاستفادة من بعض المعلومات حول الوجود الشيعي، والنفوذ الإيراني في العراق، من خلال مراجع عدة. نوري المرسومي، الحرب الأهلية في العراق، إصدارات المعهد العربي للبحوث والدراسات السياسية، ٢٠٠٥، ص ٧ - ٢٥، حارث الضاري، لقاء منشور في جريدة الرأي، ٢٠٠٧/٢/١٥، وزير الدفاع العراقي السابق حازم الشعلان، لقاء مع فضائية العربية، ٢٠٠٦/٥/١٢، ولقاء - أيضا - مع رئيس الوزراء السابق إياد علاوي تناول=



ومنذ احتلال العراق سعت إيران إلى ترسيخ وجودها في الجنوب العراقي ليس عبر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة فحسب، ولكن عبر الآلاف من عناصر المخابرات الإيرانية والطلاب الإيرانيين، وعبر مظاهر عديدة. وتتحدث المصادر المختلفة عن دخول آلاف من رجال الحرس الثوري ووزارة الاستخبارات الإيرانية إلى العراق منذ سقوط بغداد، وآلاف من رجال فيلق بدر والمتطوعين العراقيين الذين كانوا في قوات التعبئة العامة الإيرانية (نيروهايي بسيج) ممن تلقوا تدريبات ليست عسكرية فحسب؛ بل في مختلف القطاعات^{٥٦٦}، وكانت بما يتيح لهم الاستيلاء على مقاليد الأمور في العراق. كما اشترت أجهزة الأمن الإيرانية واستأجرت آلاف العقارات في أنحاء متفرقة من العراق لتصبح محطات آمنة لعمل عناصر المخابرات الإيرانية. وبتشجيع ودعم من مكتب المرشد الأعلى

=فيه حجم النفوذ الإيراني في العراق،، تم أخذه من موقع bbc، هيئة الإذاعة البريطانية، ٢٣/١/٢٠٠٧).

٥٦٦ - (مثل القطاعات السياسية، الدينية، الأمنية، حيث استطاعت إيران دمج عشرات آلاف العراقيين في مؤسسات تنظيمية، ولم يسلم من ذلك حتى الطلبة العراقيين الدارسين في إيران، حيث كانت ومازالت تركز إيران على إعطائهم منحا في حقل دراسة تخصص الشريعة(الإلهيات) للذكور والإناث، وكانت هناك حوزات يشكل فيها الطلبة العراقيون أكثر من (٥٠ - ٦٠٪) من مجموع الطلبة فيها، إضافة إلى تخصصات العلوم الإنسانية المختلفة خصوصا تخصص اللغة الفارسية " أدبيات فارسي "، أما المثير للانتباه أن إيران لم تكن تمنح الطلبة العراقيين دراسة تخصصات طبية (علوم بزشكي) مثل الطب والتمريض، وهذا له مغزاه المهم، إذ لم تكن لتسمح بأن يكون النشاط الصحي الخيري في العراق إلا بيدها مستقبلا، على غرار أسلوب الصليب الأحمر في التبشير للديانة المسيحية، وكانت حريصة على دعم الطلبة العراقيين المتمين حزبيا وتنظيميا إلى الأحزاب والمليشيات العراقية، وتمنحهم بطاقة للعون الاجتماعي، والتي تسهل عليهم الحصول على السلع بأسعار مدعومة من الدولة، إضافة إلى توفير السكن لهم (خوابگاه)، والذي هو صعب المنال في إيران التي تعاني من محدوديته خصوصا للطلبة المتزوجين.



في إيران - الذي يدير هذه الأجهزة- توجه أكثر من ألفي طالب إيراني وأفغاني وباكستاني من طلاب قم إلى النجف وكربلاء، وأغلب هؤلاء الطلاب من المرتبطين بأجهزة المخابرات الإيرانية. وتتولى إيران كذلك دفع رواتب شهرية لما يزيد عن سبعة آلاف طالب ومدرس في الحوزة الشيعية العراقية، وذلك من أجل كسب ولاء هؤلاء وأمثالهم لإيران^{٥٦٧}.

وهناك قضية أخرى تتعلق بممارسة سياسات تطهير طائفية منظمة ضد أهل السنة، استهدفت الأدباء، أساتذة الجامعات، العلماء، العسكريين، والطيارين العراقيين على اعتبار أنهم شاركوا في غارات جوية على إيران أثناء الحرب العراقية الإيرانية^{٥٦٨}.

ومن الأمور المثيرة في هذا المجال أن فيلق بدر قد اشترك مع الإيرانيين في تفكيك الطائرات العراقية المقاتلة ونقلها إلى إيران، خاصة طائرات ميغ وسوخوي، وللنكتة كتب على قطع الطائرات فارس فورس بدلاً من إير فورس^{٥٦٩}.

وفي كثير من شهادات العراقيين تأكيد على أن عمليات قتل منهجية تتم لرموز عراقية فنية وعلمية وأدبية وحتى رياضية، وبفتاوى آيات الله العظام^{٥٧٠} فقط

٥٦٧ - (وليد أنور، السعودية والهلل الشيعي الفارسي، موقع البينة الإلكتروني).

٥٦٨ - (ذكر لنا بعض علماء الطاقة النووية العراقية أنه قد لجأ بعضهم للخارج، واغتيل بعضهم على أيدي الموساد الإسرائيلي، والمخابرات الإيرانية. أما اللافت للنظر فهو اختطاف أكثر من (١٢٧) عالماً نووياً عراقياً إلى إيران، وإجبارهم للعمل في المنشآت النووية الإيرانية، وحتماً بعد أن تنتهي مهمتهم سوف يتم تصفيتهم. ومن هنا فإن التقدم الذي أحرزته إيران في برنامجها النووي يعود الفضل لقسم منه مهم لعلماء نوويين عراقيين، وقد رفض هذا العالم ذكر اسمه خوفاً على حياته).

٥٦٩ - (سلطان الجبوري، سلاح الجو العراقي يغرد في أجواء طهران، جريدة الضياء، ١٩/٥/٢٠٠٦. عبد الرحمن الراشد، هل يبيع الأمريكيون العراق لإيران؟ الشرق الأوسط، ٢٠٠٧/٣/١٥).

٥٧٠ - (سنقوم بعون الله بعمل دراسة موسعة حول ما يصدره علماء الشيعة في دولة الحلم الإمبراطوري والعراق من فتاوى تبيح قتل السنة في العراق وغيره، وتحليل محتوى هذه=



لكونها سنية، أو كانت مشهورة بشكل ما في زمن النظام السابق، والهدف المباشر هو تفرغ العراق من طاقاته، والضغط المتتالي على قطاع السنة العرب العراقيين باتجاه الهروب إلى الخارج. وكم من هذه النخب طلبت اللجوء السياسي بعد مغادرتها العراق ضمن وفود رسمية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ حيث لم نسمع رأياً واضحاً لمراجع الشيعة العظام في ما يتعرض له أهل السنة في العراق، ذلك أنه لا يعقل أن يقف الجميع متفرجين إزاء الدعوات التي يروج لها البعض هناك لإبطال الزواج المختلط بين السنة والشيعة، بزعم أن استمرارها " يغضب الله "، وهي المفاجأة التي تثير الاستهجان، حيث ورد خبر يقول إن سيدة عراقية شيعية تزوجت من مسلم سني منذ (١٨) عاماً، أقاما خلالها حياة مستقرة أثمرت أربعة أطفال، لكن عائلتها أجبرتها مؤخراً على الطلاق منه بدعوى أن العيش معه " يغضب الله ". ثمة تهديد مماثل لأكثر من مليوني أسرة عراقية قائمة على الزواج المختلط بين السنة والشيعة، وهو ما يمثل نحو ثلث عدد أسر المجتمع العراقي. كما نقلت الشبكة التي تتبع الأمم المتحدة - بشكل شبه رسمي - عن جمعية "السلام للعراقيين" الأهلية في بغداد، أن حالات الطلاق تلك تعرض الأطفال لما يشبه "غسيل المخ"، الذي يجعلهم يتقبلون العنف بشكل عام، والطائفي منه على وجه الخصوص، وإن ثمة حالات حاول فيها بعض الأطفال الانتحار لمنع وقوع الطلاق بسبب اختلاف المذهب بين الأب والأم^{٥٧١}.

إن القيادات الشيعية في العراق تتحمل مسؤولية أكبر إزاء ما يجري، باعتبار أنها في الموقف الأقوى في المرحلة الراهنة؛ فييدها السلطة، ولديها ما يكفي من

=الفتاوى، ومن يصدرها، وأهدافها، ولمن يتم توجيهها...، وسيكون عنوان هذه الدراسة: تحليل محتوى فتاوى علماء الشيعة، ودورها في إباحة دم أهل السنة: الحالة العراقية).

٥٧١ - (فهمني هويدي، مراجع الشيعة يجب أن يتكلموا، جريدة الشرق الأوسط اللندنية ٢٢/٢٠٠٦/١١).



الميليشيات والعناصر المسلحة وفرق الموت، ثم إنها مطمئنة إلى الدعم الأمريكي من ناحية، والغطاء الإيراني من ناحية ثانية.

إيران ليست بعيدة عما يجري في العراق؛ حيث من الثابت أن ذراعها- أو أذرعها- طويلة هناك، إلا أن الدور السياسي يصبح لعبة خطيرة إذا اعتمد على البعد الطائفي المذهبي، ويتعين عليها أن تجلي الغموض في ذلك الجانب، حتى لا يفهم الصمت بحسابه تحييداً أو رضاً^{٥٧٢}.

وبجوار كل هذا، لا نستطيع أن نتجاهل أن المئات من العاملين في الحكومة العراقية، بل إن عدداً من الوزراء العراقيين الموالين للاحتلال الأمريكي هم من أصول إيرانية، أو على أقل تقدير يعترفون بالفضل الإيراني عليهم، مما يجعلهم يسعون إلى تحقيق الأحلام الفارسية الساعية لإنشاء هلال شيعي يمثل العراق فيه حجر الزاوية^{٥٧٣}.

فقد تمخض الدمار الأمني والعسكري والسياسي الذي لحق بالعراق جراء الغزو عن الإخلال بموازن القوى لصالح إيران، ومما أسفر عنه الغزو - أيضاً - ترجيحه لكفة الشيعة على كفة السنة، مما أثار مخاوفهم وقلقهم. وبدلاً من أن يسهم الدستور الذي أجري حوله الاستفتاء الشعبي في تعزيز الوحدة الوطنية بين العراقيين يلاحظ أنه زاد من حدة الاستقطاب، ومن انقسام العراقيين فيما بينهم على أساس طائفي ديني عرقي. والحاصل اليوم في الساحة العراقية أن الأكراد ما انفكوا يحلمون بانفصال إقليمهم، في حين يزداد نهم الشيعة للحصول على المزيد من السلطة، بصرف النظر عن مطالب ومصالح الآخرين، بينما يواصل المسلمون السنة القتال، استماتة في الحفاظ على ما تبقى لهم من نفوذ يكاد لا يذكر في عراق ما بعد الغزو.

٥٧٣ - (سعيد خليل، إيران فكرة الهلال الشيعي: هل هي ممكنة؟ جريدة الديار، ٧/٢٥/٢٠٠٧).



وفي ظل غياب أي نوع من الإجماع الوطني كما نرى اليوم، فإن المرجح أن يتواصل هذا الانزلاق السريع نحو الانهيار الوطني العنيف إلى هوة جهنم، وإن كان أقل ما يوصف به الوضع العراقي أنه "كارثي" بملء الكلمة، فإن هناك مؤشرات قوية على أنه سينزلق أكثر فأكثر باتجاه الفوضى والعنف، فإنه ليس مستبعداً أن يشهد العراق عمليات تطهير مذهبي واسعة النطاق، ربما يطال تهجير وترحيل مجموعات سكانية بكاملها من كبريات المدن العراقية، إلى جانب احتمال نشوب حرب أهلية^{٥٧٤}.

لقد عملت إيران على اتباع سياسة الإغراق عبر جنوب البلاد في الجزء الشيعي من العراق، وقد أصبحت إيران ورقة لا يمكن القفز فوقها بقدرتها على تعقيد مهمة الأمريكين، أو على تسييرها من خلال المساعدة على إعادة بناء العراق، وهي تسعى من وراء ذلك إلى قبولها مجدداً كفاعل إقليمي مهم، لهذا تبحث اليوم عن الحصول على مقابل سياسي لقاء إعادة الوضع العراقي - الخاضع لوصاية شيعية - إلى حالته الطبيعية، وذلك مقابل القبول بقنبلة نووية إيرانية محتملة، وهيمنة استراتيجية في المنطقة العربية^{٥٧٥}.

وما تريده إيران - أيضاً - هو مواطنٌ قدم ثقافة اجتماعية اقتصادية، تتسلل منها إلى قلب المجتمع السني المتبقي، وربط مصالح السنة بالمصالح الإيرانية، ومن هنا فإن بقاء الاحتلال في العراق يعد من مصالح الإيرانيين واستراتيجيتهم طويلة الأمد، فتصعيد الأزمة في العراق، وبقاؤه رهن الفوضى سوف يهيئ أجواء ملائمة لمزيد من التدخل في الأزمة العراقية، وهذا سوف ينعكس بدوره على دول الإقليم الجغرافي السني.

من حيث الظاهر، فللجمهورية الإسلامية الإيرانية أهداف أربعة كبرى في العراق: هدف ذو طبيعة روحية خاص بالعالم الشيعي، وهدف ثان ذو طبيعة

٥٧٤ - (باتريك سيل، الجغرافيا السياسية للكوارث، مرجع سابق).

٥٧٥ - (مقابلة مع حسن الإمام، محطة nbn، ساعة عراقية، تاريخ ٢٠٠٧/١/١٥)



استراتيجيه يتعلق بالسعي إلى تحصيل القوة والهيمنة في الشرق الوسط، وهدف ذو طبيعة سياسية موجها إلى العالم الخارجي؛ لإظهار نية إيران في الحوار البراغماتي مع واشنطن والغرب، وأخيراً هدف رابع ذو طبيعة عسكرية.

طالما كانت إيران تعد نفسها العاصمة السياسية والروحية للعالم الشيعي من دون أن تنجح - في نفس الوقت - في فرض نفسها كمكان مكرس للتشيع العالمي؛ لأن المركز الروحي المقدس في النجف بالعراق وحوزته العلمية قد ظلّا العائق الأكبر أمام طموح دولة الحلم الإمبراطوري، وأن تصبح قم ليست فاتيكان الشيعة فقط بل "أم القرى" حسب تعبيرهم.

لقد بقيت أرض كربلاء العراقية المكان المرجعي الذي كان يتغذى منه المذهب الشيعي لإنتاج رموزه الاستشهادية، ووفق الفكر الديني الشيعي فإن الكوفة - المدينة العراقية القريبة من النجف - ظلت دائماً هي المرجعية الرمزية الكبرى؛ لأن الإمام المختفي حسب زعمهم - المهدي - سيظهر فيها مجدداً، وإذا كانت قد تراجع إشعاعها تحت سلطة الحكم السابق، حيث غادر مدارسها الدينية غالبية أولئك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم علماء، فإن مدينة قم نفسها المنافسة لها في إيران لم تجد الوقت الكافي لتفرض نفسها كمرجعية أمام التشيع العالمي الذي يمثل نسبة بسيطة إلى مسلمي العالم، والذين في أغلبهم من السنة.

لا شك بأن موضوع التمدد الإيراني في العراق والمنطقة العربية والأهداف التوسعية من وراء هذا التمدد أصبحت واضحة ومكشوفة لكل متابع لمجرى الأحداث في المنطقة، وكل من تهمة قضاياها بشكل أو بآخر. وتدخلات إيران المباشرة في سياسة العراق وأمنه واقتصاده وحتى ثقافته ومعتقداته أصبحت تشكل الهاجس لكل العرب، وخصوصاً في منطقة الخليج العربي^{٥٧٦}، هذا بالإضافة إلى

٥٧٦ - (عبرت بعض الدول العربية عن قلقها البالغ مما يجري في العراق وتعاضم النفوذ الإيراني في المنطقة، وتصريحات ملك الأردن الذي تحدث عن الهلال الشيعي، وما عبر عنه الرئيس المصري، ووزير خارجية المملكة العربية السعودية - يندرج في هذا=



تدخلات إيران بما يجري في كثير من دول المنطقة، حيث صرح الجنرال رحيم صفوي - قائد الحرس الثوري الإيراني السابق- أنه: على الأمريكيين أن يدركوا معنى ونتائج تعاضم نفوذنا في العراق وفي لبنان اليوم، وإن على الإدارة الأمريكية أن تعلم أن إيران غدت أقوى من أي وقت مضى^{٥٧٧}.

نلاحظ أن العملية السياسية التي جرت في العراق في ظل الاحتلال لم تكن مصممة بدرجة من التوازن بين فئات المجتمع العراقي، وبحيث تساعد العراق على النهوض في وقت قصير، بل أدت إلى خطأ كبير وإلى فرصة تاريخية استغلتها بعض المنظمات الشيعية العراقية على نحو أخضع المؤسسات السياسية والأمنية الجديدة في العراق إلى نفوذ شيعي صرف، نتج عنه مأس كثيرة، كتلك التي تقوم بها فرق الموت المرتبطة بصورة ما مع وزارة الداخلية العراقية. أو بعبارة أخرى فقد تبلورت ظاهرة هيمنة الشيعة على الجهاز الأمني العراقي. فالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية - الذي يعد أقوى الفصائل السياسية الشيعية بالعراق - يكاد يكون مسيطراً على مجمل السياسة الأمنية العراقية، خاصة بعد انتصاره الانتخابي في ديسمبر ٢٠٠٥م، وقيامه بنسج علاقات استخباراتية مع القوات الأمنية متعددة الجنسية الموجودة على أراضي العراق، لاسيما في الجنوب، وسيطرته على مناصب عليا في وزارة الداخلية العراقية، ووضعه خططاً قلصت من تأثير من يعرفون بحلفاء الولايات المتحدة في داخل الجهاز الأمني العراقي نفسه. ونظراً لعلاقته التاريخية مع إيران، فقد سمحت هذه التطورات لأن يكون للاستخبارات الإيرانية دور متصاعد في الشأنين الأمني والمذهبي في العراق^{٥٧٨}.

=الإطار، لكن لماذا هذا الصمت العربي المطبق حول الخطر الإيراني المتعاظم الذي عبر عنه هنري كسينجر بجملة واحدة - نرجو من العالم العربي والإسلامي إدراك مغزاها - حيث قال كسينجر: "نعم لقد سقط نظام حكم صدام حسين، ولكن أمريكا خسرت للأسف، وربحت إيران". جريدة نيويورك تايمز، ٢٥/١٠/٢٠٠٦).

٥٧٧ - (جريدة كيهان الإيرانية، ٢٩/٨/٢٠٠٦).

٥٧٨ - (حسن أبو طالب، سنة وشيعة - انقسام خطير ومدمر، الأهرام، ٧/٩/٢٠٠٧).



وبعد السيطرة شبه التامة للمخابرات والميليشيات التابعة لمؤسسات مرشد الثورة في العراق، وبعد تنصيب حاكم إيراني للبصرة بعنوان قنصل تابع لاستخبارات حرس الثورة^{٥٧٩} يقود كل النشاط السياسي والعسكري والاستخباراتي والاقتصادي والثقافي الإيراني في الجنوب - أصبح الجنوب العراقي تحت السيطرة شبه الكاملة للحكم الإيراني بعد ما ابتعدت القوات البريطانية من المواجهة المباشرة مع الميليشيات المناصرة أو التابعة لإيران، وانسحبت وتركت الميدان للميليشيات المختلفة التي تتحكم بخيوط لعبتها إيران بشكل مباشر، حيث تسيطر هذه الميليشيات على كل ما يرتبط بالجنوب العراقي من سياسة ومصادر اقتصادية وأمن وقضاء وتشريع وغير ذلك؛ فالقنصل الإيراني يحكم هناك دون منازع، وصور الخميني وخامنئي وقيادات الطائفة الصفوية الشيعية ملصقة في كل مكان من محافظات الجنوب والبصرة، وكذلك التواجد الإيراني على الضفة الثانية من شط العرب^{٥٨٠}، وتوصية قائد الجيش البريطاني هناك للحكومة البريطانية "بضرورة سحب قواتهم من العراق بعدما أصبحت هذه القوات غير قادرة حتى على مغادرة مواقعها لحفظ الأمن والنظام"^{٥٨١}، وفعلا بدأت القوات البريطانية عملية انسحاب منظمة. إن بدء تحرك واتساع حجم نشاط القواعد والمرتكزات الاستخباراتية الإيرانية التي تعمل تحت أغطية مختلفة إنسانية، صحية، مذهبية... انطلاقا من البصرة إلى دول الخليج العربية خاصة دولة الكويت، كلها دلائل ومؤشرات خطيرة على وجود مخطط إيراني يتم تنفيذه على مراحل باتجاه الدول العربية الخليجية، فاتساع النفوذ الإيراني في العراق سياسيا وجغرافيا، واستخباراتيا واستراتيجيا - انطلاقا من الجنوب - هو بداية التمدد الإيراني، حيث ستبدأ من المجال البري باتجاه الساحل الآخر للخليج العربي (رخصة الملاحة المذهبية) بعد ما تمكنت إيران

٥٧٩ - (يعرف هذا الجهاز باللغة الفارسية: ضد إطلاعات، باسدران إنقلاب إسلامي).

٥٨٠ - (سماه الخميني رود اروند).

٥٨١ - (جريدة صندي تايمز ٦/١١/١٣). (٢٠٠٦).



- وخلال الأعوام الماضية - من خلق نقاط ارتكازها الاقتصادية، المذهبية، السياسية... القوية والمؤثرة في الكثير من دول الخليج العربية، وقامت أجهزة الأمن الإيراني بتشجيع سفر الآلاف من العمال والمهاجرين الإيرانيين الذين أقاموا في الدول الخليجية^{٥٨٢}.

إن التغلغل الإيراني الفعلي في العراق، وفي الجنوب خصوصاً، ليس إلا مخططاً استراتيجياً لتواجد قوة إيرانية في الجنوب تقوم بالردع بالمرحلة الحالية، والتدخل في المرحلة القادمة لهذا المخطط، وتستخدم هذه القوة لمنع أي تدخل أمريكي في شؤون إيران الداخلية، وخصوصاً منعها من تخصيصها لليورانيوم، وتخويف الدول الحليفة لها من مساندتها ضد إيران متى ما اقتضت الحاجة، ومن جانب آخر هي بداية لخطة طويلة الأمد لتثبيت أمر جديد تتبعه خطة تنفيذية للتدخل والتأثير والتمدد المستقبلي المباشر باتجاه هذه الدول.

إن المتابعة الدقيقة لأحداث السنوات القريبة الماضية تبين أن حجم التوافق بين المصالح الأمريكية والإيرانية في العراق (وما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط) أكبر بكثير من حجم التناقض بينهم، لذا لا يتوقع أن تسير العلاقة في منحني صراعي، بل إن المسار التعاوني هو الذي سيحكم مستقبل تلك العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران؛ حيث يتبادل الطرفان حالات الاستقواء، ويتقاسمان المصالح والغنائم على حساب القوى الإقليمية والعربية الأخرى.

وإذا كانت المصالح الإيرانية تتلخص بإيجاد ملاذ مذهبي يحمي تواجدتها الآمن في العتبات الشيعية المقدسة- في إيران دولة لن تخرج من شرنقتها الشيعية- كما يحمي أوراق القوى الضاغطة على دول الجوار العربي، ويعطيها امتيازات للمساومة السياسية مع الدول الغربية ذات المصالح في العراق وغيرها من أقطار

٥٨٢ - (عبر أحد الدبلوماسيين الإيرانيين السابقين في الإمارات العربية المتحدة - الذي ترك السلطة ولجأ إلى الخارج مؤخراً - أن هذه القطاعات باتت تشكل خلايا نائمة للنظام في دول الخليج، جريدة الحياة، ٢٨/٩/٢٠٠٦).



الخليج العربي وإماراته، فإن المصالح الأمريكية واضحة خاصة في أبعادها الاستراتيجية. وعلى وقع استمرار ذلك التوافق في المصالح الأمريكية والإيرانية تستمر العلاقة في حدود سقفها وحدها الأعلى، وهو أن تكون المعادلة التي تحكم ذلك الصراع - تجاوزا - مكسبا مع محاولات الولايات المتحدة المستمرة لخفض سقف التوقعات وحتى الطموحات الإيرانية للدور الذي يمكن أن تلعبه في تلك الدائرة الواسعة لما تسميه الولايات المتحدة الشرق الأوسط الكبير^{٥٨٣}.

الحقيقة التي لا تخفى على أحد أن العراق أصبح منذ زمن رهينة للعلاقات الإيرانية الأمريكية، فقد انكشف بعض المستور في أحيان كثيرة، ففي منتصف الثمانينيات من القرن الماضي - وبينما الحرب مستعرة بين طهران وبغداد- انفضح أمر صفقة سرية لأسلحة أمريكية وإسرائيلية من الشيطان الأكبر لصالح إيران عرفت حينها بفضيحة "إيران"، وبعد أن احتل الأمريكيون أسوار بغداد سارعت طهران إلى الاعتراف بمجلس الحكم الانتقالي الذي عينه المحتلون، ثم لم يتردد رئيس مصلحة تشخيص النظام آنذاك هاشمي رفسنجاني في أن يقول قولته المشهورة للتاريخ - كما تناولنا سابقاً-: "لولا طهران لما سقطت بغداد وكابول".

ويبدو - حسب اللعبة السياسية بين الولايات المتحدة وإيران - أن الدبلوماسية والمخابرات الأمريكية تسعى إلى تقزيم إيران ضمن محيطها الإقليمي والدولي بسبب طموحاتها النووية، لكن بالمقابل فإن المخابرات الإيرانية لا تألو جهداً في تحويل العراق إلى مستنقع يغرق فيه الأمريكيون يوماً بعد يوم، دون استخدام ورقة المقاومة الشيعية هناك، وبالتالي تصبح إيران هي قبلة الحل الدبلوماسي لإنقاذ الولايات المتحدة، وعندها يمكن لإيران اللعب بأوراق ضغطها على المكشوف، والمطالبة بحصتها في العراق والمنطقة، وانتزاع موافقة الأمريكيين

٥٨٣ - (محمد أبو رمان، التشيع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله: جدل ديني وسياسي، ١ - ٢ ندوة عقدتها جريدة الغد، ٢٠٠٧/٥/١٥).



على فيدراليات الوسط والجنوب الشيعية، وهذا ما وافقت عليه طهران ضمناً. وبهذا ستكون إيران قد حققت ما لم تحققه منذ زمن الشاه^{٥٨٤}.

الإيرانيون يسعون كذلك من وراء هذا الحوار إلى منح شرعية للتدخل الإيراني في العراق، وأن يصبح أمراً واقعاً، ومعتزفاً به ضمناً، وهو نجاح إيراني على الولايات المتحدة الأمريكية التي تعلن مراراً وتكراراً عن دعم إيراني لمرور عبوات تفجيرية، وألغام مضادة للدروع، وصواريخ، عبر الحدود الإيرانية إلى العراق^{٥٨٥}.

إن السلوك السياسي الخارجي للولايات المتحدة وإيران يجعل المنطقة العربية برمتها ساحة لصراع على تقاسم النفوذ فيما بينهما، وبالتالي فقد نرى أن حدة هذا الصراع سوف تتسع لتتجاوز حدود العراق إلى الأزمات الإقليمية أخرى، خاصة بعد أن سربت بعض الصحف معلومات بشأن قرب ضرب منشآت إيران النووية^{٥٨٦}،

٥٨٤ - (مايكل روبرت، الصفقة الأمريكية مع إيران، جريدة نيويورك تايمز، ٢٨/١٠/٢٠٠٧).

٥٨٥ - (تصريحات وزير الدفاع الأمريكي، تقرير وكالة الإعلام الأمريكية ٢/٨/٢٠٠٧. وكذلك تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية، تقرير وكالة الإعلام الأمريكية، ١٦/٩/٢٠٠٧).

٥٨٦ - (تناولت جريدة الصاندي تايمز أكثر من سيناريو لضرب إيران وعلى مراحل زمنية متعددة، خصوصاً كلما اقترب الحوار الأمريكي - الإيراني " صنادي تايمز، ٥/٢/٢٠٠٧، ٢٠/٢/٢٠٠٧، ٢٤/٥/٢٠٠٧، ١١/١٠/٢٠٠٧. موقع bbc ٢٢/٢/٢٠٠٧. وهذا له مغزاه ودلالاته من حيث تحسين شروط الحوار والتفاوض مع الجانب الأمريكي، ورفع سقف المطالب الإيرانية أثناء التفاوض، وتلجأ إيران كذلك إلى إستراتيجية تسريب شحنات سلاح نوعية تستخدمها بعض عناصر ميليشياتها هناك ضد القوات الأمريكية " جريدة الحياة، ١٠/٢/٢٠٠٧، أو تقوم بالاستعراض في مياه الخليج، وإجراء مناورات تستخدم فيها أسلحة صاروخية لتهديد أمريكا ". إيران تجري مناورة بمعدل كل ٤٥ يوماً "، عادة ما يرافقها إطلاق المسؤولين العسكريين والسياسيين الإيرانيين التصريحات عن سيناريو جهنمي ينتظر المنطقة في حالة الهجوم عليها، هذه التصريحات تم تناولها سابقاً).



فهي ليست سوى وسيلة من وسائل الضغط النفسي الأمريكي على النظام الإيراني لتطويعه وتليين مواقفه، وبالتالي فإن تهديد بوش الأخير باللجوء إلى الخيار العسكري ضد إيران للدفاع عن إسرائيل يصبح نوعاً من الاستهلاك الإعلامي، والأمر نفسه ربما ينسحب على شعارات النظام الإيراني تجاه القضية الفلسطينية^{٥٨٧}.

تبدو إيران في وضع يسمح لها بالقول إنها تدافع عن مشروعها الطائفي في العراق، ولكنها في النهاية ستقدم خدماتها لأمريكا، وستعمل في إطار توجيهاته ولخدمة مصالحه، مقابل قطعة عظم، قد لا تعدو (كما يوحى أنبوب النفط المزمع مده من حقول جنوب العراق إلى إيران) أكثر من مليون برميل نفط يوميا، لتمويل عملياتها في العراق^{٥٨٨}.

وقد كشفت دراسة دولية جديدة شاملة أن العراق ربما يمتلك كميات ضخمة من احتياطي النفط تعادل نحو ضعف الكميات التي تشير إليها الإحصائيات الحالية. وأكدت أن إنتاج البلد قد يتضاعف في غضون خمسة أعوام.

وذكرت الدراسة التي نشرتها شركة " آي. إتش. إس " الأمريكية لاستشارات الطاقة أن خبراءهم خلصوا إلى تلك النتيجة بعد دراسة وأبحاث مستفيضة بدأت منذ الغزو الذي قاده الولايات المتحدة للعراق في عام ٢٠٠٣.

وتقول الدراسة إن هناك احتياطيا إضافيا من النفط يبلغ مئة مليار برميل يوجد أسفل صحاريه الغربية، ما يعني أن العراق قد يتجاوز بذلك إيران ليصبح في المرتبة الثانية عالميا من حيث الاحتياطي النفطي بعد السعودية، حيث أكدت الدراسة التي تعد واحدة من أكثر الدراسات شمولية منذ احتلال العراق عام

٥٨٧ - (لا شك أن الخوف من الصفقة الأمريكية الإيرانية هو أخطر على الدول العربية السنية من الاحتلال الأمريكي للعراق؛ وذلك لأن نتائج هذه الصفقة ستعترف بتمدد النفوذ الشيعي - على أقل تقدير).

٥٨٨ - (علي الصراف، استراتيجية الذئب والكلاب: تحالف واشنطن وطهران، ميدل إيست أون لاين، ٦/٦/٢٠٠٧).



٢٠٠٣ أن استغلال النفط مرتبط بتحسين الوضع الأمني في العراق الغارق في دوامة أعمال العنف اليومية منذ الغزو الأمريكي وسقوط نظام الرئيس صدام حسين في ٢٠٠٣، مشددة على أن نتائج الدراسة ستزيد من اهتمام شركات النفط بالعراق في حال التغلب على الصراع الداخلي^{٥٨٩}.

أما الحلقة الثانية بعد العراق:

فتشمل الهلال العربي الخليجي، وقد تم تقسيمه إلى المناطق الحصينة وشبه الحصينة، أما دول الخليج العربي شبه الحصينة - وفق وجهة نظر دولة القلب المذهبي "إيران" - فتصدرها البحرين^{٥٩٠}. أما السعودية فتصدر الدول الحصينة في المنظومة العربية الخليجية^{٥٩١}، في حين أن دول الخليج العربية كقطر، الكويت،

٥٨٩ - (تم نشر هذه الوثيقة في جريده الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٢٤/٥/٢٠٠٥ م).
٥٩٠ - (نود الإشارة هنا أن ما نستعرضه من معلومات في هذا الشأن هو ما تذكره المصادر الفارسية، وليست وجهة نظر الدراسة، حيث يشكل الشيعة في البحرين حسب هذه الدراسات حوالي (٨٥٪) حسب وجهة نظر إيران، وهي من الدول شبه الحصينة، وأن ما يحمي النظام الحاكم في البحرين هو تركيز الأسطول الخامس وقيادته بها، ومحاولة استقطاب السنة من الدول العربية ومنحهم الجنسية البحرينية، بعد إسناد الوظائف الحيوية لهم).

٥٩١ - (تشير المصادر الفارسية أن الشيعة فيها حوالي (١٩٪) ويتركز وجودهم في المنطقة الشرقية، وتتوفر في هذه المنطقة كتلة بشرية تشكل خط مسير الهلال الشيعي باتجاه مصادر الطاقة (النفط والغاز)، وتوصف الدراسات الفارسية شيعة السعودية بالفترة المظلومة والمحرومة حتى من عوائد النفط، ولا يوجد لهم تمثيل في مؤسسات صنع القرار السعودي السياسي والاقتصادي، واعترفت بعض المصادر غير الرسمية الإيرانية أن حجم تحويلاتهم المالية لمراجع التقليد ومؤسسة الحوزة أقل من دول الخليج الأخرى، وتعتبر دولة القلب المذهبي شيعة هذه الدول الممول المالي لشريان الهلال الشيعي الاقتصادي، ولم تتمكن الدراسة من معرفة حجم التحويلات المالية من شيعة هذه الدول إلى مراجع التقليد الشيعة، وتحاول إيران دوما ربط الأقليات الشيعية في هذه الدول روحيا بها من خلال إرسال ممثلين من رجال الدين الشيعة، ويعرف باللغة الفارسية نماينده ولي فقيه " ممثل ولي الأمر، المرشد".



عمان، والإمارات العربية المتحدة - فهي دول شبه حصينة^{٥٩٢} حسب الرؤية الإيرانية. ونستطيع القول بأن إضعاف السعودية يمثل أحد أهم أهداف دولة الحلم الإمبراطوري؛ وذلك لأن السعودية تُمثل دولة "أم القرى" بالنسبة للعالم السني، وهذه الدولة تمثل مكامن الطاقة، وفي الوقت نفسه تضم مصدرا بشريا لمذهب ديني واحد (المنطقة الشرقية)، أما البحرين فلا زال ساسة دولة القلب المذهبي يعتبرونها إحدى مقاطعات ولي الفقيه على اعتبار أن بريطانيا هي التي ضغطت حتى تتنازل عنها إيران^{٥٩٣}.

حاليا تسعى إيران لاستغلال الظروف السياسية، وتحقيق أكبر قدر من الانتشار والمكاسب الإقليمية للوصول إلى الهدف النهائي، وهو السيطرة العقائدية والسياسية على المنطقة، وهي تشمل الدول التي تقع ضمن المجال الجنوبي المذهبي الإيراني وتشمل الدول التي تمثل مكامن الطاقة المادية والروحية.

٥٩٢ - (لاشك أن هذه الدول هي حصينة، لكنها تمثل في الوقت نفسه بيئة خصبة لنفوذ الشيعة من خلال دعم نفوذهم إلى مؤسسات صنع القرار السياسي والاقتصادي في هذه الدول، وتحاول الدراسات الفارسية تضخيم حجم الشيعة في هذه الدول، وتشمل الدول التي يمثل الشيعة فيها أقلية مذهبية، ولكنها بالمقابل تمتلك مؤسسات اقتصادية تلعب دوراً مهماً في العصب الاقتصادي لهذه الدول، وخصوصية الشيعة في هذه الدول تكمن في أنهم يقومون بمد دولة القلب المذهبي بتبرعات وهبات، عدا عن ضريبة الخمس لدعم دولة القلب المذهبي ومراجع تقليدها وحوزاتها، وتوظف دولة الحكم الإمبراطوري هذا المال لدعم خطوط إمدادها في الخارج، وهذه البرجوازية الشيعية تشكل في الوقت نفسه لوبي اقتصادي، لكن هل يمكن للبرجوازية المالية الشيعية السيطرة على عصب بعض دول الخليج العربية؟).

٥٩٣ - (جميع المراجع الفارسية التي تتحدث عن دولة البحرين تذكر أنها كانت جزءاً من إيران، حيث ضمت إليها في عهد الشاه عباس سنة ١٥١٤، وترى أن الشاه محمد رضا بهلوي عندما طالب بها منحه الإنجليز الجزر الثلاث: طناب الكبرى، وطناب الصغرى، وأبوموسى. محمد رضا نيا، خليج فارس ونقش استراتييك تنك هرمنز، مرجع سابق، ص ٢٥٥، وهذا الأمر كما تقوم به إسرائيل من تلقين أبنائها حدود أرض الميعاد).



إذا فهذه النوايا العدوانية لم تكن وليدة اليوم أو وليدة ثورة الخميني، بل لقد ظهرت مع ظهور الدول الشيعة الفارسية في إيران وما حولها، فمنذ ذلك الوقت يحاول الشيعة مد نفوذهم إلى دول الخليج العربي والمنطقة، ولم تتغير هذه الخطط الفارسية في يوم من الأيام، وإن تغيرت الأساليب بين الصراع والدبلوماسية، غير أن صعود محمود أحمددي نجاد إلى الرئاسة الإيرانية قد عزز المخاوف الخليجية والعربية من معاودة إيران أحلام الهيمنة، ومحاولتها التأثير في الشيعة في الدول العربية، وخاصة أن إيران المتشددة والمعتدلة على السواء لم تتراجع عن احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث، ولم توقف نهائيا تطلعها إلى ممارسة أدوار داخلية وخارجية في دول الخليج والمنطقة، سواء عبر الامتداد الأيديولوجي، أو عبر تحقيق تفوق عسكري استراتيجي من خلال المشروع النووي^{٥٩٤}.

وسوف تتطور إيران مثل الصين، ساعية لتقديم نفسها في الإقليم كشريك دبلوماسي وقطب جاذب للاستثمارات الخارجية المباشرة"، وذلك بالتناسب مع التقارير التي تفيد بأن إيران قد وضعت لنفسها هدفا بأن تصبح القوة الأكبر في الاقتصاد والطاقة في منطقة غرب آسيا خلال العشرين عاما المقبلة، لكن حقائق الجغرافيا السياسية تشير إلى أن القوة الإيرانية الحالية إذا ما أرادت أن تتجه فإن مسارها لن يكون الشمال أو الشرق؛ ففي الشرق هناك القوى النووية الآسيوية الكبرى مثل: الهند والباكستان والصين، وفي الشمال هناك روسيا، وبالتالي فإن إمكانية التمدد المتاحة لإيران هي في الغرب أي منطقة الخليج؛ حيث يمثل الخليج منطقة رخوة، ولذلك لم تتوقف المحاولات الإيرانية للتمدد غربا للسيطرة الجغرافية والسياسية، بل وحتى الدينية على منطقة الخليج العربي.

وبرغم الفارق الظاهر فإن فكرة "استراتيجية الهلال الشيعي" في الأجندة الإيرانية تثير الكثير من القلق من السياسة الخارجية الإيرانية، وللإيرانيين وجهة نظر في قضية الهلال الشيعي. ومحاولات التوسع الإيرانية التي تمثل واحدة من

٥٩٤ - (وليد نور، السعودية والهلال الشيعي؛ دراسة سابقة، ص ٢).



الأهداف الرئيسية لسياسته الخارجية في مساعدة الشيعة في كل مكان على المطالبة بحصتهم في مؤسسات السلطة السياسية، وذلك هو السياق الذي عملت فيه إيران طوال (٢٥) عاماً على إيواء، وتنظيم، وتدريب، وتسليح الجماعات الشيعية المعارضة لأنظمة الحكم، خصوصاً في دول الخليج، ومن هنا يمكن فهم أسباب وأهداف توجه إيران لصناعة القنبلة النووية، كل ذلك بهدف تعزيز نفوذ الشيعة في دول المنطقة والعالم، لذلك فإن الحكومة الإيرانية دعمت فوز شيعة العراق في الانتخابات، وأسهمت بقوة كذلك في إدماج شيعة لبنان، وفرض تمثيلهم في مؤسسات صناعة القرار اللبناني وأكثرها حساسية، وما زالت ماضية في المطالبة بدعم حصول الشيعة في دول الخليج الأخرى على مزيد من المكتسبات السياسية، تمهيداً لضمهم للمحور القائم الآن، الذي يضم طهران ودمشق وبيروت^{٥٩٥}، وهذا ما يطرحه منظرو السياسة الخارجية الإيرانية.

ويمكننا أن ندرك من خلال ما سبق أن السياسة الخارجية الإيرانية تعمل على إقامة حزام أمني ومذهبي شيعي حول إيران في مواجهة التهديدات. وفي ضوء فكرة الحزام الشيعي يعمل قادة الشيعة في إيران على سياسة زرع النفوذ وتعزيزه، فأيران تزرع لها جذورا في كل أرض تنبت فيها بذور التشيع، وهي تتعهدا على الدوام، وفي كل الظروف، وتحت أي مسمى، ولدى أي نوع من الحكومات، منتظرة يوم تأتي الغنيمة، لكنه ربما ترى أن الشيعة كقوة إقليمية يمكن أن تمثل قطاعا واضحا المعالم في الخريطة الجديدة للمنطقة، ولأنه يحقق مصلحتها على المدى البعيد(الصحة المذهبية الشيعية العالمية)، وهذا يتوافق مع الخطط اليهودية العالمية التي تسعى إلى إثارة الطائفيات لتوسيع حدودها الجغرافية والمذهبية، بل يؤدي إلى نوع من الاتحاد والأخوة بين مفهوم الأخوة الشيعية، ويجعل من نظرية

٥٩٥ - ندوة حول الأمن القومي في إيران، عقدت بشكل مغلق بتاريخ ١٦/١٢/٢٠٠٦، وتم تداول بعض الأفكار التي تخص الأمن القومي لإيران بعد التطورات في العراق ولبنان، نشرت مقتطفات منها في دورية سياست خارجي، جلد ١٤٢، ٢٠٠٧، ص ١٤ - (١٦).



الهلال الشيعي أمراً قابلاً للتصديق والتطبيق بعد أن أصبح قم فاتيكان الشيعة، ليس فقط في إطاره السياسي، بل والاجتماعي والثقافي، فالعلاقات بين الإخوة الشيعة لا ينبغي أن تقوم على محور المنفعة فقط، بل على محور وحدة المذهب والتطلعات والمصير، ومن ثم فإن المضي في تحقيق الهلال الشيعي يتطلب خطة تبدأ بإثبات عجز الولايات المتحدة في إدارة شؤون العراق والمنطقة أمنياً، وأن تنتهي بالانتماء إلى الرابطة التي يحكمها تاج ولي الفقيه ووصولاً له.

إن طبيعة دولة إيران الشيعية سمحت لها باكتساب القدرة على حسن التعامل مع حركات المقاومة، وإمكانية التواصل الخلاق معها، كما تسمح لهم بالتعامل بمصداقية معها، وفي هذه الحالة يمكن لمبدأ الثقة السياسية أن تقوم بدور فعال في حل المشاكل التي قد تطرأ بين الطرفين أصحاب المصلحة، والتقارب مع الآخرين لن يكون على حساب مكاسب حققتها إيران في المنطقة أو في غيرها، أو حتى داخل إيران، قبل الثورة أو بعد انتصارها، وتعي إيران أن مستقبل التعاون الإيراني - العربي رهن بالتحركات الإيرانية، ومن ثم فهي لا تقف عند محاولات تحسين العلاقات التقليدية، وإنما تبادر لتعميق وتطوير سبل التقارب لتشمل كافة المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية رغم الاختلافات الجوهرية في هذا المجال، وتسعى لابتكار وسائل وأساليب جديدة في هذا الصدد، وما جمعيات الصداقة التي تنشئها إلا حلقة من سلسلة محاولاتها المستمرة لتسهيل مهمة تمددها داخل المنطقة. إن مشكلتنا تكمن مع إيران، ومن ثم مع الشيعة، فلأنهم استفادوا من الظروف والمتغيرات، يحاولون ملء الفراغ بدلاً من الدول العربية في المنطقة والعالم الإسلامي^{٥٩٦}.

وبصفة عامة يُمكن للمرء أن يشير إلى مخاوف بين بعض حكومات الإقليم من عدم الاستقرار الداخلي الذي تغذيه إيران، كما تكمن مشكلة أخرى للدور

٥٩٦ - (محمد السعيد عبد المؤمن، حقيقة الزحف الشيعي، مختارات إيرانية، العدد ٧٥، ٢٠٠٦/٦/١٠).



الإيراني في صعوبة التسليم بالقيادة الإقليمية لدولة غالبية سكانها من الشيعة ومذهبها الرسمي التشيع وسط إقليم يمثل الشيعة فيه أقلية^{٥٩٧}.

لا شك أن انتشار التشيع في إيران والعراق ومنطقة الخليج العربي جعل العلاقات الإيرانية - العربية شديدة التعقيد، وتسعى إيران لإيجاد الفرص في المنطقة، وتنشط لكي تطرح نفسها كواحدة من الدول المؤثرة في مستقبلها، رغبة في الاحتفاظ بمصالحها، مستعينة بما لديها من مرتكزات عقائدية وفكرية وسياسية مع ما تيسر من الحركة الاقتصادية، إضافة إلى ركائزها الشيعية ومن استقطبته من الدول الصديقة في المنطقة، باعتبار أن من حق إيران - بما لديها من مبررات تاريخية وجغرافية وبشرية وسياسية وعقائدية - أن تضع نظرية إقليمية تحقق مصالحها وطموحاتها، وتكون قابلة للتطبيق من خلال اتخاذ الأساليب المناسبة وفق المتغيرات الدولية، ولاشك أن متغيرات القوة الخليجية بعد حرب الخليج الثانية قد أتاحت الفرصة لإيران كي تمد جسور العلاقات إلى الدول الخليجية، وأن تطرح مشروعات لحل المشاكل المعلقة مع كل منها، وفيما يتعلق بأمن الخليج أيضا، واكتسبت العراق أهمية دينية خاصة لدى الإيرانيين حيث توجد بها العتبات المقدسة لديهم، مما جعل لإيران استراتيجية خاصة تجاه العراق منذ قيام ثورتها الإسلامية، حيث تقر إيران لنفسها حق التدخل في شؤون العراق من خلال تلك الاستراتيجية المعقدة التي تتخذها إزاء هذه البلاد، ولكنها من ناحية أخرى لا تقر أبدا بل تناهض أي تدخل أجنبي فيها، وتعتبره من وجهة النظر الأمنية مساسا بأمنها القومي، ومن وجهة النظر الدينية مساسا بمقدساتها مهما كانت العلاقة بينها وبين الحكومة العراقية.

٥٩٧ - (إيران والمد الرافضي داخل اسيا الوسطى، ٢/١٠/١٠ إيران وأمريكا وتقاسم النفوذ في العراق. إيران وفكرة الحزام المذهبي، دراسة منشورة على موقع البينة الإلكتروني).



وتأسيساً على ذلك نستطيع القول إنه قد أصبحت لدى إيران سيناريوهات جاهزة للأوضاع المحتملة، وخطط عمل لها، من أجل دعم الإسلام الشيعي، وتقوية قراءة الأصول الشيعية، ورسم حزام أمني مع الدول الشيعية أو التي بها أغلبية شيعية، وإحباط الحركة الصهيونية في المنطقة، وتقديم بديل قوي للإسلاميين السنة، ولكن مع دعوة المنظمات والحكومات الشيعية بالتدبير والحكمة في المقاومة ومواجهة الضغوط الأجنبية. وتعمل إيران اليوم على الاتفاقيات الأمنية التي تعقدتها مع دول المنطقة في مبادرة جديدة من نوعها، في إطار سياسة رسم خريطة للمنطقة، وإن نظرة سريعة إلى التقارير الإخبارية التي وردت عن التحركات الإيرانية الحالية تبين أن الدول التي تم التوجه إليها تشترك في شيء يهم إيران أيديولوجيا، وهو وجود قاعدة جماهيرية شيعية مثل اليمن والبحرين، أو مراكز ضغط شيعية مثل حزب الله في لبنان، أو عنصر عاطفي تجاه آل بيت النبوة مثل مصر، فضلا عن حزب الوحدة الشيعي والحالية الشيعية الكبيرة في أفغانستان.

يمكننا أن ندرك أن السياسة الخارجية الإيرانية تعمل حاليا وتدرج على إقامة حزام أمني شيعي حول إيران في مواجهة التهديدات، وفي ضوء فكرة الحزام الشيعي يعمل قادة الشيعة في إيران، لكنها ربما ترى أن الشيعة كقوة إقليمية يمكن أن تمثل قطاعا واضحا المعالم في الخريطة الجديدة للمنطقة، أمام العالم العربي يسهم في القضاء نهائيا على ما يسمى بالقومية العربية، والاستعاضة بالتوجه المذهبي عن التوجه القومي.

أما دول سوريا الطبيعية فهي تقع ضمن ترتيب الهلال الأول بالنسبة لدولة القلب المذهبي، وتضم كل من سوريا ولبنان. وهنا لا بد من الإشارة إلى دولة قابلة للانضمام إلى هذا المحور، خاصة بعض الدول الإفريقية العربية التي تنشط فيها حركات تشيع، بالإضافة إلى ميل شعوب بعض هذه الدول إلى التصوف، وفي مقدمتها السودان. وقد استعرضنا في السابق دور الدولة الصفوية في عملية التصوف في بعض المناطق تمهيدا لتشيعها لاحقا، أما الدول الحصينة في هذه



المنظومة مثل الأردن^{٥٩٨}، فتشكل في نظر دولة القلب المذهبي حاجزاً يمكن تطويعه مستقبلاً من خلال سياسة الدولة الصفوية التاريخية، وفي مقدمتها سياسة التمدد القبوري.

إن قضية تطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول العربية وإيران، ومحاولة إشغالها بمشاكلها الداخلية أو مع العدو هي أساليب جديدة تلجأ إليها السياسة الإيرانية في علاقاتها مع الدول العربية، فدولة القلب المذهبي تدعي أنها تدعم القضية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه تقوم بتوجيه أكبر هجرة ليهود إيران إلى إسرائيل، حيث ذكرت التقارير أن إيران قد أعطت الضوء الأخضر لأكبر هجرة ليهود إيران باتجاه إسرائيل، ولتسهيل هذه المهمة قامت إسرائيل بالمقابل بمنح اليهود الإيرانيين امتيازات جديدة^{٥٩٩}، وهذا الأمر له خطورته البالغة على الأردن ومصر والفلسطينيين أنفسهم، ومن شأن دعم دولة القلب المذهبي للهجرة إلى إسرائيل التأثير سلباً على الأمن القومي لهذه الدول جميعها على حد سواء، ولكن هدف إيران النهائي هو إشغال هذه الدول عن التعاطي الإقليمي مع مسائل المنطقة، خصوصاً تجاه الوقوف ضد المشروع الإيراني في المنطقة.

٥٩٨ - (حاول الأردن بناء علاقات جيدة مع إيران، وقد قام العاهل الأردني بزيارة إلى طهران، ولقاء نجاد في مقر الأمم المتحدة لإثبات حسن النية من جانب الطرف الأردني، ولم تقابل المبادرة الأردنية على نفس المستوى؛ لأن إيران هدفها الأول والنهائي هو تشييع المنطقة فقط، وقد أسهمت مؤسسات الحرس الثوري التي تسيطر على مؤسسات صنع القرار الإيراني - وبدعم لا محدود - في إحباط التقارب بين البلدين، ويبدو أن هناك أطرافاً عربية ومن ضمنها الجانب السوري الذي أسهم في بقاء العلاقات العربية الإيرانية ضمن هذا التوجه، لكن دولة القلب المذهبي تحاول توظيف هذه العلاقات لإحداث اختراقات على الساحة الأردنية، ومن أبرزها محاولة نشر المذهب الشيعي، ومحاولة استغلال وجود أضرحة آل البيت في الأردن للتبشير بالمذهب الشيعي، وقد رفض الأردن محاولات إيران إعمار الأضرحة على نفقة الحكومة الإيرانية؛ لأن الجانب الأردني أدرك مخاطر ذلك).

٥٩٩ - (جريدة الحياة اللندنية، ٢٥/١٢/٢٠٠٧).



إن صعود الشيعة في المنطقة العربية أصبح واقعاً لا يمكن إنكاره، فالشيعة في حالة نادرة منذ قرون، يعيشون حالة صعود في كثير من الجوانب، صعود مذهبي وسياسي واقتصادي، ولا شك بأن إيران نجحت في مد نفوذها إلى مناطق عربية جديدة سنوية وليست شيعية، ومن ضمنها فلسطين التي نحن بصدد الحديث عنها، ودخولها كطرف مؤثر على الأحداث هناك، خصوصاً في علاقتها المشروطة مع بعض الفصائل الفلسطينية.

وبالنسبة للبنان فقد وجدت إيران أن الحلم يقترب من التحقيق، فقامت بعدة إجراءات لتدعيم جبهتها العراقية شملت:

أولاً: تقوية حزب الله عسكرياً أكثر فأكثر بمده عبر سوريا بالآلاف الصواريخ، ومنها صواريخ جديدة تصل إلى العمق الإسرائيلي، وأسلحة جديدة غير تقليدية من طائرات استطلاع، إلى أجهزة الحرب الإلكترونية، والأسلحة المضادة للسفن وغيرها.

ثانياً: إنشاء جيش محترف شيعي لبناني- إيراني يستخدم كورقة ضغط ضد إسرائيل.

ثالثاً: إنشاء دولة حزب الله، وسيطرتها بمساعدة سوريا على باقي لبنان، أي منظمة لبنان في دولة حزب الله كما يقال.

رابعاً: إزاحة الرموز الوطنية المعارضة للسرطان الشيعي الإيراني - السوري - اللبناني في لبنان، وتصفيتهم جسدياً خاصة الزعامات السنوية.

لقد استثمرت إيران-بأنانية شديدة، وبدرجة عالية من النفعية والبراجماتية - النفوذ الواسع لحزب الله اللبناني في المعادلة اللبنانية الداخلية غير المتوازنة، لتحرق لبنان بأسره، وتستعمله كخزان وقود متفجر، لتحقيق أهدافها بأيدي غير إيرانية وبخبط شديد. ولو أرادت إيران محاربة "الغرب المستكبر" فعلاً كما تقول، فإن



أمام سواحلها تقف البوارج والقواعد الأمريكية، التي يمكنها منازلتها مباشرة إن أرادت أو رغبت. لكن الأمر الواضح للجميع هو أن عقلية النظام السياسي الإيراني تحاول تحقيق المكاسب دون الدخول إلى المواجهة بشكل مباشر.

إن الذين يتحدثون عن أن إيران تستغل لبنان وشعبه منذ أكثر من عشرين عاماً، تحت شعار الدفاع عن المستضعفين لبناء إمبراطوريتها العقائدية، مستغلة ضعف السلطة المركزية في هذا البلد، هو كلام لا يمكن تكذيبه، بل تشهد عليه دلائل وشواهد الواقع، فقد استطاعت إيران أن تبني قواعدها العسكرية وتنقل صواريخها وكل ما تريد من تجهيزات لتأسيس امتداد لها في لبنان، ولهذا الغرض تم تكديس أطنان من السلاح الإيراني لحساب حزب الله، حيث نجحت إيران في تسليح طائفة وميليشيا تابعة لها، وجعلتها أكبر وأقوى من الدولة اللبنانية بأسرها، وتلك معادلة غريبة ومشوّهة، فمهما بالغ أهل الخطاب الوطني في الدفاع عن استقلالية ووطنية قرارات قادة حزب الله، فإن ذلك لا يمنع من تأكيد أن مرجعية حزب الله هي في طهران وقم أولاً وأخيراً، وأن كلمات وتوجيهات خامنئي هي أوامر مقدسة لا ترد مهما كانت الذرائع^{٦٠٠}.

خامساً: الحفاظ على سوريا المحاصرة من الجميع بعد مقتل الحريري بإقامة معاهدة دفاع استراتيجي بينهما، واستعمال الاثنين للبنان كمسار أمان لتخفيف الضغط عن برنامج إيران النووي أو المحكمة الدولية لرموز النظام السوري عندما يلزم.

وأمام هذه المعطيات نسأل، هل حزب الله مخير أم مسير؟ أي هل هو حزب وطني لبناني أم شيعي ولو تخبأ وراء ستار المقاومة وتحرير الأسرى؟ وأمام كل المعطيات السابقة والتمويل المالي العملاق الإيراني والذي تسمسر عليه سوريا،

٦٠٠ - (ممدوح عثمان، المحاولات الإيرانية لتصدير الثورة والمذهب، مفكرة الإسلام/ ١١ -

١٠ - ١٤٢٧هـ).



والدعم اللوجستي الإيراني عبر سوريا، والجنود الإيرانيين الذين يشاركون في مختلف قطاعات الحزب، فإننا نستطيع أن نقول إن حزب الله هو قطعة عسكرية إيرانية على حدود إسرائيل^{٦٠١}. وفي هذا الإطار أعلن محسن رضائي - القائد السابق للحرس الثوري الإيراني، وأمين عام مجمع تشخيص مصلحة النظام الذي يترأسه رفسنجاني: "إن إيران تدعم حزب الله ليس من أجل لبنان فقط، بل لأن أمنها القومي مرتبط بالأمن القومي لفلسطين، ولبنان، وسوريا. إن إيران ذات أهمية قصوى في الشرق الأوسط، وحزب الله في لبنان سيتمدد من دون شك إلى سوريا وفلسطين، لهذا تساعد إيران حزب الله الآن، نتيجة التضامن بين المسلمين وخصوصاً بين الشيعة^{٦٠٢}.

وثمة حقيقة أخرى برزت في لبنان، وهي أن هذا الإرهاب ينطق من مفهوم تفكيري لأتباع المذهب السني، ما يعني أن مسرح عملياته سيضم السنة، ويحاول أن يفرض معادلة "الجهاد التفكيري" بهدف التفرغ لمواجهة السنة المذهبية والسياسية^{٦٠٣}.

ويعتز الإيرانيون اليوم كثيراً بنفوذهم المتصاعد في لبنان، ويفخر صناع القرار في قم والنجف بأن المواقع المهمة في الأحياء الشيعية في بيروت كما في المدن الجنوبية من لبنان، حيث ترتفع صور ضخمة لمرشد الثورة الإيراني، علي خامنئي، تحت عنوان ضخم "ولي أمر جميع مسلمي العالم"، في ما يوحي بادعاء إعادة الخلافة على مجمل العالم الإسلامي. غير أن محاولة فرض مرشد الثورة الإيراني كمرجع على جميع المؤمنين الإيرانيين، لم يلق نجاحاً في لبنان أكثر منه في إيران. ولم يخف محمد حسين فضل الله - الوجه البارز بين رجال الدين الشيعة اللبنانيين - امتعاضه في مواجهة الاستهدافات التسلطية للمرشد الإيراني، فلم

٦٠١ - (لؤي الدسام، حزب الله شيعي أم وطني؟، جريدة الحياة، ٢٠٠٦/٨/٤).

٦٠٢ - (صحيفة كيهان الإيرانية، ٢٠٠٧/٦/٣).

٦٠٣ - (عبد الله إسكندر، الشيعة السياسية و"أفغنة" لبنان، الحياة، ٢٠٠٧/٦/٦).



يتورع عن انتقاد نظرية ولاية الفقيه، مشدداً على ضرورة الحفاظ على استقلالية مؤسسة المرجع، وفرض احترام حرية اختيار المؤمنين مرجعهم الملائم.

إن نظرية ولاية الفقيه باتت تشكل في ظل هذه الظروف مبعث شقاق؛ وذلك بسبب خلطها إلى أقصى حد بين السياسي والديني، ولأنها عاجزة عن جمع شمل أطراف الشيعة في العالم حول مشروع الدولة الإسلامية، فحتى في إيران - حيث مهدها - تقوم ضدها حركة معارضة واسعة وحيوية تحت شعار الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، فالبعض يفتشون عن خلاصهم في الدين، وآخرون عن تحرهم عبر السياسة^{٦٠٤}، وهذا ما سوف نبحث فيه من خلال تناول الحركة الدينية الإصلاحية في إيران من خلال السيناريوهات الاستشرافية القادمة على إيران والقابلة للتطبيق في أية لحظة.

فالتظاهرات الموسمية التي نفذها ملايين الشيعة الغاضبين في إيران ولبنان والبحرين وباكستان والعراق باسم الدفاع عن العتبات الشيعية في كربلاء والنجف والكوفة، حيث دارت عمليات عسكرية طاحنة هناك أدت إلى تدمير المراقد التي يعتبرها الشيعة مقدسة دون أن تحرك إيران ساكناً للانتقام من استهداف مراقد الشيعة ورموزهم، ولذلك لم نكن بحاجة إلى الكثير من التأمل والتحليل لفهم خلفيات وأبعاد ما وصفته مراجع الشيعة العظام في إيران بوصف الحالة في العراق بـ"الانتفاضة الأئمية الشيعية" فالسياسة الشيعية الإيرانية كانت تتمحور كلها حول وجود مخطط إيراني متكامل لاستغلال الأوضاع في العراق لتعزيز نفوذ إيران وهيمتها في العراق لكن دون أن تخسر إيران شيئاً، بل لا يعدو الأمر عن تحريك أوراقها هناك، وتكريس موقعها في قيادة شيعة العالم والدفاع عنهم، حتى إن المعلومات الواردة من إيران تتحدث عن خطة إيرانية سرية يجري تنفيذها بصمت لاختراق الدول ذات التواجد الشيعي، والعمل على بناء ما وصفه بـ"إمبراطورية

٦٠٤ - (أحمد سلاماتيان، الشيعة الممزقون بين طهران وبغداد، صحيفة لوموند دبلوماسيك الفرنسية - يوليو ٢٠٠٥).



شيعة " تمتد من باكستان إلى لبنان، حيث إن مشروع استعادة الهيمنة والنفوذ الإيراني عبر الشيعة في العالم العربي أقر منذ ما قبل الغزو الأمريكي للعراق في اجتماع استراتيجي وسري جدا لمجلس الأمن القومي برئاسة المرشد علي خامنئي، وتضيف هذه المصادر أن كل معارك الكر والفر والمفاوضات السرية والعلنية بين الأمريكيين والإيرانيين وأساليب التهيب والترغيب التي يمارسها الطرفان هي جزء من المخطط التنفيذي لاستراتيجية التوسع الإيراني في العراق والخليج وعلى امتداد العالم العربي^{٦٠٥}، وكجزء من تبادل الأدوار بين الطرفين الإيراني والأمريكي.

إن السياسة الخارجية الإيرانية تجاه المنطقة العربية قد تأثرت بفعل التطورات الكثيرة المتلاحقة سواء على الصعيدين الإقليمي والدولي، وحاولت إيران الثورة الشيعة أن تنهج سلوكاً صراعياً تجاه الدولة العربية تجسد بافتعالها أزمات مختلفة أثرت في مسار العلاقات العربية الإيرانية وخلقت تبايناً فيها، حيث تراوحت هذه الأزمات على مقياس متعدد الدرجات وصلت إلى حد اندلاع الحرب، والتدخل في الشؤون الداخلية العربية، ودعم التنظيمات الشيعية للإطاحة ببعض أنظمة الحكم العربية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل استغلت موسم الحج^{٦٠٦} في بعض السنوات لزعزعة الأمن والاستقرار في دول الخليج العربي خصوصاً العربية السعودية والبحرين. وهذا التنوع في أنماط التفاعل الإيراني العربي ارتبط بشكل كبير بتطور مستجدات البيئة الداخلية والخارجية على حد سواء، حيث استفادت السياسة الخارجية الإيرانية بشكل مباشر من هذه الظروف ومعطياتها، خاصة ما تتعلق بالتطورات الدولية التي أدت إلى بروز أمريكا كقوة متفردة تسعى للسيطرة على النظام الدولي الجديد، وبالمقابل أظهرت إيران - وفق مبدأ التقية الذي توظفه

٦٠٥ - (سعد القيسي، خطة خامنئي لإقامة إمبراطورية شيعية، الوطن العربي، العدد ١٤٢٤، ٢٠٠٤/٦/٤).

٦٠٦ - (لاحظ تأكيد الخميني على أهمية موسم الحج لإعلان البراءة من المشركين، على اعتبار كونه طقساً سياسياً عبادياً ثورياً. صحيفة نور، جلد ص ٢٢٨ - ٢٢٩).



دوماً، وتحاول من خلاله أن تظهر أنها الدولة المؤهلة للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى الصفقة الشاملة. أثبتت الأحداث والوقائع أن إيران من أكثر الدول التي ترتبط بعلاقات وطيدة مع واشنطن، وتخدم سياستها في المنطقة، وفق ما يعرف بدبلوماسية اصطلاح عليها باللغة الفارسية "بشت برده" أو دبلوماسية ما وراء الستار^{٦٠٧}.

قامت إيران كطرف لصيق بالدول العربية بأدوار خطيرة ومختلفة من خلال سلوكها تجاه المحيط العربي الذي يمثل من خلال بيئته الإقليمية الأكثر التصاقاً والأكثر تأثراً وتأثراً بها، ولحساسية وضع إيران وسعيها إلى بناء مجال حيوي مذهبي يستهدف تكوين إمبراطورية شيعية، فقد مثلت السياسة الخارجية الإيرانية مصدر قلق كبير بالنسبة للشعوب العربية. وهنا لابد من الإشارة أن للمتغيرات النابعة من البيئة الداخلية أو الخارجية أو التغيير في حالة النظام العربي أثر واضح على سياسة إيران الساعية إلى بناء مجالها الحيوي، إذا أخذنا كذلك بعين الاعتبار أن الطبيعة الثنائية لنظام الحكم في كلا الطرفين مختلف تماماً.

وهذا يشكل حالة من الازدواجية في السلوك السياسي للدول العربية ما بين الوحدة كتوجه، وتكريس القطرية كسلوك فعلي للسياسة الخارجية العربية، وهنا لا ينبغي إغفال أو التقليل من أهمية الخصائص القطرية على هذا السلوك، فبيما ركزت الدول العربية على الوحدة القومية في سياستها الخارجية في الخمسينيات والستينيات، جاءت مرحلة السبعينيات لتشهد تراجع السمة القومية والتركيز على الواقعية القطرية منهاجاً للعمل السياسي العربي، في حين لم يخل النظام العربي في أي مرحلة من مراحل ظهور العديد من الأزمات سواء بين أعضاء النظام أو داخل الدول نفسها وصلت إلى حد اندلاع الحروب، وبهذا شهد هذا النظام حالات من الصراع والتضامن على حد سواء. وتجزم الثورة الشيعية الإيرانية أن الابتعاد عن الإسلام الشيعي الحقيقي هو السبب الرئيسي لفشل المشاريع العربية في

٦٠٧ - (سوف نتحدث بشكل مفصل حول هذا الموضوع).



التحرر والوحدة^{٦٠٨}؛ فحكومة الولي الفقيه في إيران هي وحدها التي تملك مهمة إنقاذ العالم الإسلامي، وتعتبر أن لديهم مهمة إلهية في هذا المجال، لأن الحكومة الإيرانية هي حكومة القانون الإلهي، كما سوف تكون إلى جانب جميع المظلومين، وسوف تسعى إلى إزالة الظلم عنهم ما زال قائماً، ومن هنا برزت نظرية "أم القرى" التي تهدف إلى إنقاذ العلم العربي وشعبه من الظلمات والتخلف، وبالتالي فإن نظرية "أم القرى" تستهدف نقله من درك الشقاء إلى غنيمة النور والنجاة، ليعود الإسلام الذي بشر به الخميني إلى العالم من جديد^{٦٠٩}.

ومن هنا سعت إيران وتسعى لتحقيق الحلم الفارسي بإقامة إمبراطورية شيعية في العالم الإسلامي، هذا الهدف الذي يمثل حلم إيران الشيعية الحديثة منذ حدوث ما يعرف بالثورة الإيرانية.

وفي وثيقة حديثة تم نشرها، أوضحت الغاية العظمى لهذه الدولة الشيعية، فقد أرسل مجلس شورى الثورة الثقافية الإيرانية رسالة إلى المحافظين في الولايات الإيرانية، وكتب عليها: (خيلي محرماته) بمعنى: سري للغاية. وسنذكر منها ما يهم الدراسة، فقد كان مما جاء فيها: "الآن بفضل الله، وتضحية أمة الإمام الباسلة قامت دولة الاثنى عشرية في إيران بعد عقود عديدة، ولذلك فنحن - وبناء على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين - نحمل واجباً خطيراً وثقيلاً وهو تصدير الثورة، وعلينا أن نعترف أن حكومتنا - فضلاً عن مهمتها في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب - فهي حكومة مذهبية، ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات. لكن نظراً للوضع العالمي الحالي والقوانين الدولية - كما اصطلح على

٦٠٨ - (خميني، حكومت إسلامي، تهران، مؤسسة نشر آثار حضرت إمام، ١٩٩٢، ص ٤١، خميني، صحيفة نور، تهران، مركز مدارك انقلاب إسلامي، ١٣٦١، جلد ٢، ص ٢٦٣، جلد ٢، ص ٩٢، جلد ٤، ص ٢٢٩ جلد ١١، ص ١١٦، ١٢١، ٢٠١، جلد ١٣ ص ٤٥، جلد ٢٢، ص ٢٦٥).

٦٠٩ - (سوف نتحدث عن النظرية بشكل مفصل، ونحلل أبعادها).



تسميتها - لا يمكن تصدير الثورة، بل ربما اقترن ذلك بأخطار جسيمة مدمرة، ولهذا فإننا من خلال ثلاث جلسات وباراء شبه إجتماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسينية تشمل خمس مراحل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات؛ لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول، ونوحد الإسلام أولاً، لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب؛ لأن هؤلاء (أهل السنة والوهابيين) يناهضون حركتنا، وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي مذهباً رسمياً ودستوراً للبلاد أمراً مخالفاً للشرع والعرف. وإن سيطرتنا على هذه الدول تعني السيطرة على نصف العالم، ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقاتنا مع الجوار، ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصدقة بيننا وبينهم، حتى إننا سوف نحسن علاقاتنا مع العراق بعد الحرب؛ وذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد. إن الهدف هو فقط تصدير الثورة، وعندئذ نستطيع رفع لواء هذا الدين الإلهي، وأن نظهر قيامنا في جميع الدول، وستتقدم إلى عالم الكفر بقوة أكبر، ونزين العالم بنور الإسلام والتشيع حتى ظهور المهدي الموعود" ٦١٠.

وتذكر هذه الوثيقة بوثيقة سبق أن وضعها حزب الدعوة الشيعي العراقي في بداية الثمانينات، عندما انتصرت ثورة الخميني في إيران، أشار فيها إلى ما وصف في ذلك الوقت بالهلال الشيعي الممتد من شمال أفغانستان حتى جبل عامل في جنوب لبنان.

٦١٠ - (وثيقة منشورة على الإنترنت على عدة مواقع إلكترونية، وتم نشرها وتداولها في الإعلام بشكل موسع، انظر مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن، العدد ١٢٣، ص ١٨ - ٢٠، النص الفارسي تم ترجمته على عدة مواقع إلكترونية، وتم المقارنة بين النصين للتأكد من صحة الترجمة).



إن الهلال الشيعي الذي تريد بسطه إيران هو الذي سيكون جدارا حاميا لإسرائيل وهذه الحقيقة، وما تسمعونه من هرطقات سياسية وإعلامية من قبل السياسيين الإيرانيين هي للاستهلاك المحلي الإيراني، ولكن الخلاف بين إيران وإسرائيل هو على قيادة المنطقة بعد تفتيتها؛ لأن إسرائيل تريد أن تكون هي المؤسسة السياسية والاقتصادية والإغائية العليا في المنطقة، ومن خلالها يتم كل شيء في الدويلات التي ستتشكل، وإن إيران ترفض ذلك، وتريد أن تكون هي لهذا الموقع، أي تحويل العرب إلى عبيد انتقاما منهم كونهم أسقطوا الدولة الساسانية^{٦١١}.

وفي الواقع فإنه يصعب على المتابع لتطور الأحداث التي شهدتها إيران والمنطقة أخيرا، عدم الربط بين ما يجري في العراق اليوم، وتصاعد الأزمة بين إيران والولايات المتحدة خصوصا حول ملفها النووي، حيث كشفت الأزمة الأخيرة عددا من الحقائق، أبرزها أن الاستراتيجية السياسية الإيرانية الجديدة تتجاوز ظاهريا شعارات الهيمنة الفارسية على المنطقة أو الصراع المذهبي الشيعي - السني "التقية السياسية"، وإنها تسعى بطرق متعددة لتحقيق السيطرة وإعادة الحلم الشيعي والقديم ببسط نفوذها على المنطقة، بدليل أن المطلب الإيراني الجدي الوحيد الذي قدم لأوروبا عن طريق إيطاليا كان ضرورة اعتراف النظام العالمي أولا بالدور الإقليمي الإيراني قبل الدخول مع الولايات المتحدة في أي حوار بشأن المستقبل، وفي تقرير أعدته مجموعة من الباحثين المهتمين بشؤون المنطقة إشارة إلى أنه لا يزال يُراود الإيرانيين ويدغدغ أحلامهم عودة الإمبراطورية الفارسية القادرة على منافسة الدول المهيمنة اليوم في منطقة الشرق الأوسط، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية. ويقول أحد الباحثين الغربيين: إن إيران سوف تتطور بسرعة لتقديم نفسها في الإقليم كشريك دبلوماسي وقطب جاذب للاستثمارات الخارجية المباشرة، وهذا ما تشير إليه معظم التقارير الغربية التي تفيد بأن إيران قد وضعت

٦١١ - (سمير عبيد. بعض أسرار المخطط الإيراني في الأردن. الجزيرة نت ٢٠٠٧/٥/٧).



لنفسها هدفاً أن تصبح القوة الأكبر في الاقتصاد والطاقة في منطقة غرب آسيا خلال العشرين عاماً المقبلة^{٦١٢}.

وتبرز ازدواجية السلوك الخارجي الإيراني البراغماتي المذهبي في تعامله مع الأزمات غير العربية وخصوصاً مع الدول التي فيها أقليات شيعية والواقعة ضمن مجالها الجغرافي، وتأتي طاجاكستان كمثال في هذا السياق، فقد أقامت إيران مخيمات للاجئين الطاجيك، ودعمت ظاهرياً عبد الله نوري زعيم حزب النهضة الإسلامية في وجه السلطات السياسية هناك^{٦١٣}، والتي اتهمتها إيران بمواصلة الخط الشيوعي، وقد اتهمت الحكومة الطاجيكية إيران بدعم محاولة انقلابية هناك قام بها الإسلاميون، إلا أنه خلال العامين الأخيرين انضمت إيران لجهود الأمم المتحدة لتوسط بين الحكومة الطاجيكية والمعارضة الإسلامية الديمقراطية، واستضافت عدة جولات للمحادثات بين الطرفين، وعلى مراحل عديدة^{٦١٤}، وحاولت تصوير نفسها كحكم محايد، وكان الرئيس الإيراني قد التقى بنظيره الطاجيكي، وقد قاطعت الفصائل الإسلامية تلك المحادثات، ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين: رغبة إيران في التخلص من عبء تواجد اللاجئين الطاجيك على

٦١٢ - (البصرة مدخل إيران على الخليج، موقع البصرة الإلكتروني. جاسم الغامدي، إيران واستعمار المنطقة، الوطن العربي - ٢٩/١١/٢٠٠٦. عمر سعداوي، مستقبل الصراع الأمريكي الإيراني على العراق، جريدة الحياة).

٦١٣ - (استقبلت إيران مئات الطلبة في جامعاتها ومعاهدها، لكن جهود إيران كما يذكر لنا الدارسون فيها منيت بالفشل، ولم تقف عند هذا الحد؛ حيث تم عزل الطلاب الطاجيك ضمن سكن خاص بالطلاب الأجانب بعد حدوث كثير من المشاكل مع المسؤولين الإيرانيين الذين شعروا بخطرهم، خاصة بعد رفض الطلاب الطاجيك لإمامة رجال الدين الشيعة الذين أرسلوا للإمامة في شهر رمضان المبارك، الأمر الذي استدعى من المسؤولين الإيرانيين في وزارة التعليم العالي إعادة النظر في أعداد المقبولين في الجامعات الإيرانية).

٦١٤ - (تفصيلات هذا الموضوع، مجيد كاظمبور، إيران وحوزه جنوبي شوروى سابق، تهران، انتشارات دانش، ١٣٧٧، ص ٢٥٤).



أراضيها، ورغبتها في تطوير صورة معتدلة جديدة لنفسها على المستويين الإقليمي والدولي. أما في أذربيجان فقد لعبت إيران دورا في حشد فئات المعارضة ضد الجبهة الشعبية الحاكمة^{٦١٥}، خاصة في ضوء إدراك إيران بأن رجال الدين الشيعة التقليديين في أذربيجان ليسوا متحمسين للنموذج الإيراني، على ضوء ذلك قامت إيران بدعم الدولة الأرمنية المسيحية ضد دولة أذربيجان التي يشكل الشيعة أغلبية في نزاعهم على إقليم ناغورنوكرباخ، ولولا الدعم الإيراني لما تمكن الأرمن المسيحيون من سحق القوات الأذربيجانية.

لا شك بأن انهيار الاتحاد السوفييتي واستقلال جمهورياته السابقة - حسب رؤية صانع القرار السياسي الإيراني - قد أتاح فرصاً جديدة أمام إيران من ناحية الجغرافيا السياسية والاستراتيجية للتفرغ للدول العربية السنية.

وأخيراً كان تعاضم دور الجغرافيا السياسية لإيران في العلاقات الدولية واحداً من أهم النتائج المترتبة على انهيار الإمبراطورية الشرقية العظمى أي الاتحاد السوفييتي، والقسم الغربي من الصين، وجزءاً من منغوليا وآسيا الوسطى والقوقاز، وتواصلهم جميعاً بالمياه والمعابر الدولية.

إن التمسك بالأصالة والحكمة والمصلحة والعزة في السياسة الخارجية الإيرانية سيكون سبباً في قوة الدول، ويجعل إيران قادرة على أن تلعب دوراً سياسياً بارزاً في ساحة السياسة الدولية، بشرط أن تستفيد من الفرص المتاحة بشكل أفضل. والحقيقة هي أن أمم آسيا الوسطى والقوقاز لا زالت حتى الآن تعيش ظروفًا اقتصادية صعبة، وسيضعون يدهم في يد من يقدم لهم العون في التنمية الاقتصادية التي يمثل التنقيب واستخراج ونقل البترول والغاز جوهرها في معظم دول المنطقة.

٦١٥ - (ميزكرد. تحولات جديد زئوبوليتيك منطقتها وامنيت ملي جمهوری اسلامی ایران، فصلنامه مطالعات خاورميانه، شماره دوسه، تابستان و بايز، ١٣٧٧، ص ١٨. شيرين اکتير. تهديدات وتصور تهديدات در آسيای مرکزی، ترجمة: مرضية ساتيامة، مطالعات آسيای مرکزی و قفقاز، شماره ١٢، ١٣٧٥، ص ١٠٠).



وستتحول البيئة الأمنية في منطقة بحرالخرز(بحر قزوين) - بسبب عدم التقدم والتطور، وعدم التحالف بالشكل المطلوب - إلى بيئة ملتهبة جبلى بانفجار؛ نتيجة الزيادة السكانية، ، وزيادة التضخم والبطالة، وتخلف الصناعة والزراعة، وانتشار المخدرات، والأهم من كل هذا عدم وجود رأس المال اللازم لعملية التنمية الاقتصادية، كل هذا يعتبر من أهم أسباب عدم الاستقرار في المنطقة، لذلك ستسعى الجمهورية الإسلامية لأن يكون لها نفوذ ووجود في المنطقة، كما ستسعى لأن تكون المنتصر في اللعبة الكبرى^{٦١٦}.

وقد قال تقرير صادر عن هيئة البحوث للكونغرس الأمريكي: " إن أبرز الأخطار الأمنية التي تُحدد المعالم الأساسية للتعاون الخليجي - الأمريكي هي ارتفاع نفوذ إيران الإقليمي بعد احتلال العراق، إضافة إلى رفع المجتمع الشيعي الخليجي لمطالب جديدة متأثرا بوصول الشيعة إلى سدة الحكم بالعراق " فرغم الخطورة التي تشكلها إيران على المنطقة الخليجية فإن إيران لا تخفي طموحها، وقد ذكرها عدد من رجال الدين الكبار في إيران، حيث ذكر آية الله جنتي أن البحرين جزء لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية، وهي تشكل الإقليم الرابع عشر في إيران بموجب الدستور الجديد. . وأن الشاه المخلوع تنازل للعراق عن مناطق شاسعة جنوبي إيران بموجب اتفاق الجزائر ١٩٧٥، وإننا نشعر بالحاجة الآن لإيضاح وضع البحرين، لأن بعض الدول العربية وبينها العراق تطالب بثلاث جزر بالخليج^{٦١٧}.

٦١٦ - (أبو الفضل صدقي، آفات وموانع تأييد الحركات التحررية في آسيا الوسطى والقوقاز، سياسة روز، ٢٠٠١/٦/١٨، بهرام أمير أحمددي، تهديد هيا امنيتي در قفقاز، مطالعات آسيابي مركزي وقفقاز، شماره ١٢، بهار ١٣٧٥، ص ١٩٢. مهرداد محسن، محمد صادق عابدين، بحرانهايي منطقه اي وتلاشهاي سازندهء جمهوري إسلامي إيران / مطالعات آسيابي مركزي وقفقاز، شماره ٦، ١٣٧٣، ص ٤).

٦١٧ - (جريدة اطلاعات، ١٩٨٠/٥/١٥).



طالبت إيران قطر بتبثئة معدل استغلالها لاحتياطات حقل الشمال وحقل بارس الشمالي التي تشترك فيها الدولتان، محذرة إياها من أنها قد تلجا " لإيجاد طرق ووسائل أخرى لحل القضية"، هذا بالإضافة إلى احتلالها الجزر الإماراتية الثلاث: طناب الكبرى، وطناب الصغرى، وأبو موسى منذ عام ١٩٧١م، ورفضها الدائم حل القضية عبر المحكمة الدولية، وأن لديها العديد من الخيارات إذا لجأت إيران إليها^{٦١٨}.

وفي سبيل ممارسة دور إقليمي بارز لا تزال إيران ترفض مخاطبة مجلس التعاون الخليجي بوصفه منظمة تمثل دول الخليج العربية الست، وإنما تتعامل مع هذه الدول بشكل فردي، وترفض إيران مجرد الاعتراف باللجان التي شكلها مجلس التعاون الخليجي لحل قضية الجزر الإماراتية الثلاث التي تحتلها إيران، وتعتبر أن تفاوضها مع اللجنة يعني الإقرار بوجود قضية خلافية ليس مع الإمارات وإنما مع الدول الخليجية الست من خلال اللجنة المشار إليها، وهو ما ترفضه إيران تماما، وترى أن السبيل الواحد لبحث تلك القضية هو التفاوض المباشر بين البلدين^{٦١٩}.

وخلال الربع القرن الماضي قدمت إيران الدعم لعديد من القوى الشيعية والمليشيات الشيعية، وأعمال التمرد في البحرين، العراق، الكويت، لبنان، باكستان، والمملكة العربية السعودية. وقد عملت الثورة الإيرانية على تأسيس لهوية شيعية، الأمر الذي انعكس في أزمة الرهائن عام ١٩٧٩ م، وقصف الثكنات البحرية الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣، ودعم طهران المستمر للإرهاب الدولي^{٦٢٠}.

٦١٨ - (جريدة شلمجة الإيرانية ٥/٥/٢٠٠٤).

٦١٩ - (مهدي موسى، مشكلات إيران باشوراي همكارى خليج فارس، ميزكرد أمنيت در خليج فارس، تهران، ١٢/٨/٢٠٠٦).

٦٢٠ - (مصطفى علوش: تفتيت العراق ومطامع إيران في الخليج، جريدة الحياة، ١/١١/٢٠٠٦).



وهناك - بدرجة ثانية - عامل ديني مهم لا ينبغي إغفاله، فمنذ سنوات العشرينيات من القرن الماضي - الفترة التي ضمت فيها إيران إقليم خوزستان الغني بالنفط، والذي يسكنه العرب وليس الفرس - ظلت تلك المنطقة تمثل جزءا مهما من الاقتصاد الإيراني، ولكن في نفس الوقت مصدر إزعاج بالنسبة لتهران؛ فطيلة المرحلة الماضية لم تكف المنطقة عن تأكيد خصوصيتها الاثنية والثقافية، وكانت هناك فترات نشطت فيها الدعوة إلى الانفصال بل الاستقلال الذاتي، وفترات أخرى فترت فيها تلك الدعوات، ولكن الخصوصية في جميع الأحوال لم تُمنح. والعلاقات ما بين القبائل العربية في جنوب العراق والقبائل في إقليم خوزستان على الحدود - حيث تسود لهجات محلية متشابهة تقريبا - هي علاقات جد قوية.

هذا هو السبب الذي يثبت أن استقرار العراق غير المؤكد مع نظام فيدرالي أو شبه مركزي محتمل يمكن أن يؤدي إلى بروز مطالب عرب إيران ومجموعات إثنية أخرى هامشية (الأكراد، الأذريون، البلوش، التركمان، وآخرون)، وهو ما يفسر الجولات المتعددة التي يقوم بها عدد من المسؤولين الإيرانيين للمنطقة، والزيارة التي قام بها المرشد الروحي الأعلى للجمهورية آية الله علي خامنئي لإقليم خوزستان في شهر فبراير الماضي، وهو حدث نادر، حيث ألقى خطابا حماسيا باللغة العربية، نوه فيه بالمواطنة الإيرانية للسكان العرب المحليين. إن فيدرالية في جنوب العراق - حيث يسيطر الشيعة - لا يكون فيها تأثير كبير لتهران - ستكون بالنسبة لإيران حلا سيئا للغاية؛ بسبب عدم القدرة على مواجهة أمريكا عسكريا.

لا شك بأن أمريكا مدركة تماما لطموح وأبعاد الحلم الإمبراطوري الإيراني، والذي ربما لا يختلف عن الحلم الأمريكي والإسرائيلي، إلا من حيث الإمكانيات والقدرات والاستراتيجيات، إلا أن الإيرانيين يحاولون تعويض هذا الفارق بالطاقة الآرية القومية الطبوغرافية، والمتمثلة أفقيا حسب قدسية الموقع وطبيعة الترسيم المتمثلة بالإرث التاريخي الطبيعي الذي يشكل المكنون المتأصل في عقول الفرس



وچيناتهم الوراثية بالتحديد لإعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية القديمة، وهذا ما وجدته في العراق الذي كان ولا زال يمثل امتدادها الجيوبولتيكي الطبيعي، وقد برز ذلك من خلال مؤشرات تجسدت على الأرض تمثلت بمدخل الأزمة العراقية الذي عكس اهتمام الإيرانيين بالنجف وكربلاء (المكنون المذهبي)، ومنطقة المدائن العراقية (المكنون الآري الإمبراطوري) التي مازالت أطلال قصور كسرى ماثلة فيها إلى اليوم ٦٢١.

لقد قامت دولة القلب المذهبي خلال فترات تاريخها الحديث بدور مهم ومحوري في تقديم العون والمساعدة للولايات المتحدة الأمريكية ضد دول المنطقة العربية السنية، ففي عهد الشاه محمد رضا بهلوي عرفت إيران بشرطي أمريكا في المنطقة، وفي عهد الثورة وقفت إلى جانب أمريكا في حربها ضد العراق وأفغانستان، وهي تشبه في هذا الدور الوظيفي لإسرائيل، وتتفاوض اليوم للتوصل إلى عقد صفقات مع أمريكا على حساب المنطقة والعراق بهدف الحصول على اعتراف دولي بأنها الدولة المحورية في الإقليم.

إن الخطاب الإيراني السياسي الرسمي اليوم يفيض ويُغدق على وصف الولايات المتحدة بالشیطان الأكبر ٦٢٢، وكثيرا ما تقوم مظاهرات تحتشد في شوارع المدن الإيرانية منددة بممارسات العنجهية الأمريكية في بلاد المسلمين ٦٢٣، ولكن

٦٢١ - (تم تناول هذه الجوانب بالتفصيل مداخل الأزمات الإقليمية التي تحدثنا عنها سابقا).

٦٢٢ - (الزائر لطهران يجد عبارة مرك بر أمريكا في الميادين الرئيسة مثل ميدان: انقلاب، فردوسی، فلسطين، ونك، وحتى على البنايات الرئيسة كواجهات دعائية قد تصل طول هذا الشعار إلى أكثر من ٨٠٠ متر، هذا بالإضافة إلى الولايات الأخرى، ويعتبر شعار مرك بر أمريكا، مرك بر إسرائيل "الموت لإسرائيل"، مرك بر ضد ولايت فقيه "الموت لمن ضد ولي الفقيه" من أكثر الشعارات التي ترددها المؤسسات والقطاعات الثورية).

٦٢٣ - (تعتمد السياسة الإيرانية على أسلوب ما يعرف باللغة الفارسية بـ "بسيج مردمی" ومعناه باللغة العربية أسلوب التعبئة الشعبية وحشد الناس للتظاهر والاحتجاج، وإخراجهم إلى الشوارع كلما دعت الحاجة السياسية لذلك، سواء كانت داخلية أو=



قليل من الناس يدركون طبيعة العلاقات الخفية بين الثورة الخمينية منذ قيامها عام ١٩٧٩ والولايات المتحدة الأمريكية، فلولا الدعم الأمريكي لها ما كان لها أن تنجح وأن يصل آيات الله إلى حكم إيران، فإدارة الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر قد قامت بتعمد هادئ وتدبير مسبق خبيث لمساعدة الحركة الإسلامية التي نظمت الإطاحة بشاه إيران، واشتركت إدارة كارتر في كل خطوة ابتداءً من الاستعدادات الدعائية إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة، ومن الصفقات التي تمت خلف (الكواليس) مع القادة في جيش الشاه إلى الإنذار النهائي الذي أعطي للشاه في يناير ١٩٧٩م ضرورة مغادرة إيران.

وربما تكون إيران اليوم كما يظهر في زيارة رئيسها لدولة الإمارات العربية المتحدة مستعدة من موقع الشعور بالثقة والقوة لتسوية سياسية واقتصادية وإقليمية مرضية ومغرية للدول العربية والخليجية من أجل الفوز بالعراق، بل إنها مستعدة من أجل تحقيق هذا الهدف لدفع ثمن كبير، ولكنه الثمن الذي يدفعه القوي المنتصر وليس المهزوم الخاسر.

وكما استفادت إيران سياسياً واستراتيجياً من الاحتلال الأمريكي للعراق، فصفت بقايا النظام من السياسيين والعلماء والقادة العسكريين والطيارين - أيضاً - وسيطرت على المشهد العراقي، فقد استفادت اقتصادياً بسبب ارتفاع أسعار النفط، وأصبحت شريكاً نفطياً عملاقاً في الخليج العربي وفي بحر قزوين الذي يشكل المصدر الرئيسي للنفط بعد الخليج العربي^{٦٢٤}.

=خارجية، وقد تحدث لنا بعض الإخوة الدارسين في إيران بأن القطاعات المكونة لهذه التظاهرات هي من الفئات المحسوبة على الشرائح الثورية، وهي متخصصة فيما يعرف باللغة الفارسية بـ "راهبمائي" بمعنى تخصصه هو التظاهر، ومن من كبار السن من الرجال والنساء الذين يقبضون رواتب شهرية منتظمة من المؤسسات الثورية المختلفة التي ينتمون إليها تتراوح بين (٩٠ ألف تومان - ٢٠٠ ألف تومان)، وهي تعادل مئتي دولار تقريباً).

٦٢٤ - (إيران تحقق تقدماً سياسياً، الشرق الأوسط ٢٢/١١/٢٠٠٦).



هنا لا بد من الإشارة إلى أنه لمن المضحك أن تُنسب فكرة إجراء حوار بين أمريكا وإيران إلى عبد العزيز الحكيم - رئيس ما يسمى بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية- والمثير للسخرية أكثر هو تظاهر الطرفين بقبول دعوة الحكيم، وكأن مثل هذا الحوار لم يكن له وجود من قبل، في حين أن أمريكا وإيران ارتبطتا بتحالف وثيق فيما يخص احتلال العراق مثلما تحالفتا عند احتلال أفغانستان، وإذا كان هناك من يشكك بهذه الحقيقة ويعتقد بوجود عداة بين أمريكا وإيران فعليه أن يعود إلى جملة من الحقائق العنيدة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن عددا من الكتاب الأمريكيين اعتبروا أنه لولا المساعدة الإيرانية اللوجستية والتكتيكية للأمريكيين لفشل غزوهم لأفغانستان^{٦٢٥}.

وكما هو الحال في أفغانستان، فقد أعلن العديد من القادة الإيرانيين بأنه لولا إيران لما تمكنت أمريكا - أيضاً - من احتلال بغداد، والمقصود طبعاً الإشارة إلى تعاون أحزابها مثل المجلس الأعلى وحزب الدعوة مع أمريكا قبل الاحتلال، وتقديم إيران لاحقاً الدعم اللوجستي والتكتيكي للقوات الأمريكية خلال غزو العراق، وأخيراً وليس آخراً الدور الذي لعبه السيستاني رجل إيران في دعم وتكريس الاحتلال.

وجراء ذلك نالت إيران حصتها من الاحتلال في كلا البلدين؛ ففي أفغانستان تخلصت من حركة طالبان التي تعتبرها إيران عدوة لكونها تنتمي إلى المذهب السني، وحصلت شيعتها هناك على حصة في السلطة، أما في العراق فقد تخلصت من الرئيس العراقي صدام حسين الذي جرع الخميني كأس السم، وقبل بوقف الحرب لينتهي حلمه ببناء الجمهورية الإسلامية العالمية وعاصمتها النجف الأشرف، ثم حصول شيعتها على حصة الأسد في السلطة العراقية، والسماح

٦٢٥ - (وفي هذا الصدد يقول علي أكبر هاشمي رفسنجاني: إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها، ولو لم تساعد قواتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أن تسقط طالبان. جريدة كيهان، ٢٠٠٣/١١/٨).



لإيران بمد نفوذها في جنوب العراق. وعلى هذا الأساس ظل التعاون والتنسيق قائماً بين الطرفين وبكل الأشكال سواء في السر أو العلن. ولم تكن إسرائيل بعيدة عن هذا التحالف غير المقدس، ولكن دون أن تظهر في الصورة؛ لأن للضرورة أحكامها^{٦٢٦}.

إن الموقف الإيراني تجاه الأحداث الأخيرة في المنطقة تبدو فيه معالم الاستراتيجية الإيرانية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم تمنع الجدل حول الإصلاحات السياسية أن تمتد إلى العلاقات مع أمريكا، حيث وجد تيار كبير من النخبة يؤكد أن الدعوة لإعادة العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة أو عدم إعادتها ليس دليلاً على الالتزام بأسس ومبادئ الثورة، وإنما يتعلق ذلك بتحقيق المصلحة الوطنية في وقت معين، بحيث يمكن أن تكون المطالبة بإعادة هذه العلاقات ضد المصلحة الوطنية، بينما تكون في وقت آخر عين هذه المصلحة^{٦٢٧}، ولقد أكد رفسنجاني في لقائه مع ممثلي الأحزاب السياسية بأنه: " ليس هناك ما يمنع من وجود علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية بين إيران والولايات المتحدة، لكن العلاقات السياسية ترجع إلى احترام الشروط المعلنة من جانب إيران^{٦٢٨}."

وهذا التصريح الإيراني يعتبر إشارة ضمنية من جانب إيران أنها ستغض الطرف عن الانتهاكات الأمريكية للأراضي الإيرانية، في الوقت الذي تقوم الولايات الأمريكية بعمليات خاصة نوعية لمحاربة تنظيم القاعدة من خلال الحدود الباكستانية الإيرانية.

إن الاستراتيجية الإيرانية الحالية في العراق تبدو مختلفة عما كانت عليه في أفغانستان، فبعد سقوط طالبان تعاونت طهران مع واشنطن بشكل كبير لعودة

٦٢٦ - (محمد نورالدين، كذبة الحوار وحقيقة التحالف الأمريكي - الإيراني - الصهيوني، القدس العربي، ٢٨/٤/٢٠٠١).

٦٢٧ - (محسن آرمين نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي في حديثه لوكالة الأنباء الإيرانية في ٦/٤/٢٠٠٢م).

٦٢٨ - (صحيفة كهيان ١٦/٤/٢٠٠٢م).



الاستقرار لأفغانستان، وللمساعدة في تشكيل حكومة جديدة، وإدماج العنصر الشيعي في هذه الحكومة، والسبب في هذا أن استقرار الأوضاع كان لمصلحة إيران التي كانت تحتاج في هذا الوقت بشكل كبير إلى بناء مؤسسات جديدة تقودها نخب تابعة لإيران والشيعية لحماية مصالح إيران داخل أفغانستان، ولكن حسابات طهران اختلفت في الحالة العراقية، فطهران لم تسع مثلما كان الوضع في أفغانستان، وذلك لأن لطهران وجوداً لمؤسسات ونخب وأجهزة استخباراتية متكاملة في العراق أقوى من الوجود الأمريكي نفسه، وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية: " إن طهران مستعدة للعمل مرة أخرى مع الولايات المتحدة لضمان الاستقرار في الشرق الأوسط حينما تتلاقى مصالحهما " .

ولا توجد حسب الزعم الإيراني والأمريكي روابط دبلوماسية بين طهران وواشنطن منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، والعلاقات العلنية بينهما حالياً متوترة، غير أن الدبلوماسية الإيرانية اعترفت بتعاونها مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال القنوات الدبلوماسية لدول أخرى من بينها بريطانيا لتعزيز مصالحهما المشتركة في إجراء انتخابات ناجحة في العراق^{٦٢٩}، ومن أجل الانتخابات الأخيرة كان هناك تعاون ضمني ومباشر بين إيران والولايات المتحدة من أجل ضمان انخراط الشيعة في العملية السياسية، وعدم التحاقهم بالمعارضة المسلحة^{٦٣٠}، من هنا فإن التقارب الأمريكي - الإيراني في العراق لم يعد سرا، وقد اتضح ذلك جليا إبان أزمة مقتدى الصدر حين أعلن وزير الخارجية الإيراني منوجهر متكي أن الولايات المتحدة الأمريكية طلبت من طهران مساعدتها في تسوية الأزمة العراقية، وقد أرسلت الأخيرة بالفعل وفدا للتأثير على الشيعة العراقيين لدفعهم للتهديئة وعدم إثارة العنف^{٦٣١}.

٦٢٩ - (حميد ذكري، سياسه خارجي إيران وعراق، فصلنامه مطالعات سياسي، ٣/١٧/

٢٠٠٥، شماره ١٢٤، ص ٢٣).

٦٣٠ - (وكالة الأنباء الإيرانية ١٦/١٢/٢٠٠٦).

٦٣١ - (صحيفة افتاب امروز، ١٨/٢/٢٠٠٦).



ويبدو أن لكل طرف أوراقه وحساباته التي يجب أن يظهرها في الوقت المناسب لكي يجعل الطرف الآخر يقبل بمطالبه ويحققها، فإيران لها مشروعها النووي الطموح، ولها مشروعها الإمبراطوري الذي تسعى لتحقيقه، ولن تتخلى عنهما بسهولة؛ ولذلك تسعى إيران بكل قوة لامتلاك أوراق على الساحة الدولية من خلال مداخل الأزمات الموجودة في المنطقة، تقايض بها لاستمرارها في هذين المشروعين. ومنذ الاحتلال الأمريكي للعراق في أبريل ٢٠٠٣م لعبت إيران دوراً براغماتياً انتهازياً ومذهبياً في المسألة العراقية، وتشير كثير من المصادر والمعلومات بأن هناك مجالاً مفتوحاً للحوارات والجلسات السرية بين الولايات المتحدة وإيران بخصوص العراق، والتي تعقد في الغرف الخلفية، والتي يديرها رفسنجاني من إيران، والدكتور علي أكبر ولايتي "مستشار قائد الثورة الإسلامية للشؤون الدولية" من خلال قيادته لدبلوماسية غير معلنة تتم في بريطانيا وسويسرا والإمارات العربية المتحدة والكويت.^{٦٣٢} وقال رفسنجاني: إنه يمكن للولايات المتحدة أن تقيم علاقات مع إيران - فقط - في حال غيرت من طبيعتها القمعية واختارت طريق التسوية^{٦٣٣}. ونقلت وسائل الإعلام الإيرانية عن رفسنجاني قوله لضباط البحرية الإيرانية: لا أحد يستطيع ضمان الأمن في الخليج من دون موافقة إيران، وبالتالي فإن الأمن سيظل قائماً في الخليج ما دامت إيران تريد ذلك. وأضاف: إن كانت الولايات المتحدة تعتقد أنها بمجيئها إلى الخليج ستضمن أمنها فإنها مخطئة؛ لأنها لن تصل إلى هدفها^{٦٣٤}؛ بل ستسبب بزعة أمن المنطقة التي قد تتطور فيها مجريات الأمور لاندلاع أزمة جديدة تعصف بالأمن الإقليمي برمته^{٦٣٥}.

٦٣٢ - (نقلت وسائل الإعلام ومصادر دبلوماسية عن لقاءات وحوارات بين إيران والولايات المتحدة تمت في جنيف ولندن ودبي بموافقة ودعم مرشد الثورة، صحيفة الشرق الأوسط (٢٠٠٧/٢/١٧).

٦٣٣ - (جريدة كيهان الإيرانية، ٢٦/٥/٢٠٠٦).

٦٣٤ - (تصريحات رفسنجاني، جريدة كيهان، ١٧/٨/٢٠٠٧).

٦٣٥ - (تصريحات وزير الدفاع الإيراني، وكالة الأنباء الإيرانية، ٤/٩/٢٠٠٧).



إن الغزل الأمريكي الإيراني في العراق وصل إلى حد ما صرح به نائب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية آدم إرلي الذي نفى تورط إيران فيما يجري في العراق في بعض الأحيان^{٦٣٦} وأكد أن الحوار بينهما سينحصر - فقط - في حل قضايا العراق دون التطرق إلى موضوعات جدلية أخرى مثل: الأمن في الخليج العربي، والتدخل الإيراني في شؤون المنطقة، بالإضافة إلى أزمة البرنامج النووي الإيراني التي وصلت إلى أروقة الأمم المتحدة، حيث أدركت الولايات المتحدة أن إحالة الملف إلى مجلس الأمن لن يحقق لها النصر الذي تبتغيه من عدوها المفترض، وستزيد من حجم إخفاقاتها، ولذلك ربما أثمرت اتصالاتها السرية تحريك النفوذ الإيراني في العراق بهدف الإسهام في وقف العنف المتصاعد هناك، وتوفير المبررات التي تضيف على مفاوضات البلدين بعدا إنسانيا بحكم أن هناك شبه دولة أوشكت على الانهيار.

لا شك بأن العراق أصبح منذ زمن رهينة للعلاقات الإيرانية الأمريكية، حيث انكشفت العلاقات السرية بين الدولتين في أحيان كثيرة، ففي منتصف الثمانينيات من القرن الماضي - وبينما كانت الحرب مستعرة بين طهران وبغداد- انفضح أمر صفقة سرية لأسلحة أمريكية وإسرائيلية من الشيطان الأكبر لصالح إيران، عرفت حينها بفضيحة "إيران غيت"، وبعد أن احتل الأمريكيون أسوار بغداد سارعت طهران إلى الاعتراف بمجلس الحكم الانتقالي الذي عينه المحتلون، ثم لم يتردد رئيس مصلحة تشخيص النظام آنذاك هاشمي رفسنجاني في أن يقول - كما ذكرنا سابقا-: " لولا طهران لما سقطت بغداد وكابول".

ويبدو أنه بقدر سعي الدبلوماسية والمخابرات الأمريكية إلى عزل إيران عن محيطها الإقليمي والدولي بسبب طموحاتها النووية، فإن المخابرات الإيرانية لا تآلو جهداً في تحويل العراق إلى مستنقع يغرق فيه الأمريكيون يوماً بعد يوم، وبالتالي يصبح طوق النجاة الإيراني هو المنقذ الوحيد، وعندها يمكن لإيران اللعب

٦٣٦ - (وكالة الإعلام الأمريكية ٤/٨/١١ ٢٠٠٤).



بأوراق ضغطها على المكشوف، والمطالبة بأن تحصل أغلبيتها البرلمانية في العراق على حصة الأسد من المناصب الحساسة، وانتزاع موافقة الأمريكيين على فيدراليات الوسط والجنوب الشيعية، وبالتالي تكون قد حققت ما لم تحققه خلال ثلاثة عقود خلت. الإيرانيون يسعون كذلك من وراء هذا الحوار إلى جعل التدخل الإيراني في شؤون العراق أمراً واقعاً حتى وإن رفضته قوى سياسية عراقية مهمة، وهو نصر على الإرادة الأمريكية التي ما فتئ مسؤولوها يتهمون النظام الإيراني في أكثر من مناسبة بالسماح بمرور أسلحة ومقاتلين من الميليشيات الشيعية التي تدعمها إيران التي تقف وراء فرق الموت المنتشرة في أنحاء العراق، والتي تمارس التصنيفية الطائفية والمذهبية.

لذلك فإن معظم ما وقع في السنوات التي أعقبت غزو العراق، من مواجهات وتفجيرات واغتيالات، وربع مليون إنسان من القتلى، كان هدفه الجلوس إلى طاولة التنازلات في بغداد، فواشنطن وطهران تريدان العراق. إيران بدأت تجني ثمرَ سياستها، وواشنطن تدفع اليوم ثمن فشلها^{٦٣٧}. ولتعزيز التعاون بين الولايات المتحدة ودولة الحلم الإمبراطوري قامت إدارة بوش باستبدال وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد، وجيء بغيتس وهو أحد المطالبين بفتح حوارات مع إيران من أجل عقد صفقة معها، وقد ضمن تقريره المرفوع إلى مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية هذا الأمر^{٦٣٨}، كذلك رحبت الإدارة الأمريكية بـ "تقرير لجنة بيكر - هاملتون" حول العراق، والذي أوصى بفتح حوارات وقنوات اتصال مع إيران وسوريا حول العراق^{٦٣٩}.

من المؤكد أن دولة القلب المذهبي قد نشطت الذاكرة العربية التاريخية عن صورتها القبيحة التي علقت في أذهاننا، وطموح استراتيجتها التوسعية لبناء دولة

٦٣٧ - (عبد الرحمن الراشد، هل يبيع الأمريكيون العراق لإيران، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٧/٣/١٥).

٦٣٨ - (وكالة الإعلام الأمريكية، ٢٠٠٧/١/١٢).

٦٣٩ - (نص تقرير بيكر هاملتون، جريدة الرأي، ٢٠٠٦/٣/١٥).



الحلم الإمبراطوري في عالمنا العربي، وأكدت لنا من أنها مصممة في سعيها للهيمنة والتسيد على حساب أمننا ومصالحنا، فمن تصريحات الأدميرال علي شمخاني - مستشار مرشد الثورة خامنئي، ووزير الدفاع السابق- من أن إيران ستستهدف أهدافا حيوية في دول مجلس التعاون كالمشآت النفطية، والأهداف الاستراتيجية والحيوية الأخرى^{٦٤٠}، أعقب ذلك ما ذكرته وزارة الخارجية الإيرانية من امتلاك إيران (١٠٠) كغم من اليورانيوم المخصب، وإصرار إيران في تحدٍ للمجتمع الدولي على تخصيص اليورانيوم في إطار سعيها لامتلاك قدرات نووية^{٦٤١}.

من خلال تحليل للأحداث والوقائع التي عصفت بالمنطقة، تبرز العديد من التساؤلات المهمة والخطيرة الأخرى حول الشيعة التي تقودهم إيران، وهي: لماذا لم يشارك الشيعة في مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان؟ ولماذا لم تبرز حركات مقاومة مسلحة، أو حركات احتجاج تلجأ إلى العنف للتعبير عن غضبها ضد السياسة الأمريكية من رحم المذهب الشيعي، على عكس المذهب السني الذي جاءت منه معظم الحركات التي هدت مصالح أمريكا، والغرب وإسرائيل؟ وهل من مصلحة الغرب دعم الأقليات الشيعية، والدول التي تدعمها " إيران " بهدف الحد من ظاهرة العنف التي باتت تهدد دعائم وأسس الاستقرار في المنطقة، وتعديل الميزان المذهبي، وبالتالي تحقيق أهداف أمريكا والغرب في المنطقة؟ وهل من مصلحة أمريكا تبني هذه الاستراتيجية، ولماذا؟ من الواضح للعيان أن الولايات المتحدة بدأت تسمح لإيران بممارسة استراتيجية تسهل بموجبها لإيران التمدد مذهبيا في الدول العربية، فالولايات المتحدة الأمريكية عانت من الحركات الإسلامية المسلحة التي ولدت من رحم المذهب السني، وباتت تضرب أمريكا في عقر

٦٤٠ - (جريدة اطلاعات الإيرانية ١٢/٦/٢٠٠٦).

٦٤١ - (جريدة كيهان الإيرانية ١٢/٤/٢٠٠٧).



دارها، وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة من جانب حركات سنية، هذا عدا ضرب مصالح الغرب في مناطق مختلفة من دول العالم، هذه الجوانب طرحت تساؤلات مهمة، لماذا لم تنشأ حركات إسلامية مسلحة أو احتجاجية من المذهب الشيعي - مع استثناء ظاهرة حزب الله الذي كان عبارة عن ردة فعل طبيعية للاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان؟ ولماذا مارست إيران والأقليات الشيعية في العالم العربي سياسة ضبط النفس تجاه استهداف الغرب للمنطقة العربية، ولم تخرج عن إطار ضبط النفس وتحاول التعبير عن نفسها عن طريق التظاهرات الاحتجاجية؟

إن أمريكا قد أدركت بما لا يدع مجالاً للشك أهمية الدور المستقبلي للطائفة الشيعية في العالم، وضرورة تعزيز دورها داخل هذه المجتمعات، وهذا بدوره يحقق لها عدة مكاسب:

١- ستكون الطائفة الشيعية بديلاً عن أهل السنة للتعامل معها للحد من نفوذ الحركات الإسلامية السنية التي تمثل الوعي والصحة الإسلامية.

٢- لن تمثل الطوائف الشيعية في المنطقة والعالم خطراً حقيقياً على مصالح أمريكا ومصالح الغرب عموماً، وهذا ما أثبتته التجارب العملية من خلال التعامل معها كطوائف وكفئات شيعية أو تنظيمات، وليس لدى هذه الطوائف أية امتدادات مقاومة لتمارس من خلالها عنفاً مسلحاً ضد الغرب وأمريكا، على عكس الحركات السنية تماماً.

٣- إذا كان السنة هم قادة المواجهة الخارجية فإن الشيعة عرفوا كمعارضة داخلية في الدولة الإسلامية على مدار التاريخ (كما مر معنا سابقاً)، والصبغة الثورية للأدب الشيعي الذي أغرى بعض القراء كان في الحقيقة موجهاً باستمرار ضد السلطة الحاكمة على أي شكل كانت وليس ضد الاستعمار والغزو الخارجي، وكان العنف يمثل ركناً هاماً من سلوكهم داخل جسد الدولة الإسلامية السنية، وهذا أفرز أجيالاً معبأة ضد العدو الداخلي انسجاماً مع شعارهم: "كل يوم



عاشوراء، وكل أرض كربلاء، ولكل زمان ظالم كيزيد "٦٤٢. وقد أورد الشيعة آراء كثيرة حول رأي أئمة الشيعة بمقاومة أعداء الأمة، وهم يوردون فتوى غريبة تقول: (إن الغرب لم يغتصبوا الخلافة، ولم يتآمروا على الإمام علي، ولم يقتلوا الإمام الحسين عليهما السلام) ٦٤٣، إذًا من هم أعداء الشيعة الحقيقيون في نظر هؤلاء؟.

٤- لتحقيق ذلك سوف تسعى أمريكا إلى تبني مجموعة من

الاستراتيجيات:

- الضغط على الأنظمة والحكومات العربية الإقليمية التي يتواجد فيها أقليات شيعية لمنحهم مزيداً من الحريات والحقوق.

ب- توجيه هذه الحكومات لدعم مطالب الشيعة في الدول لضمان مشاركتهم الفاعلة في مؤسسات الحكم، ولنشر مذهب الشيعي والتبشير به، وإعطائهم هامشاً أكبر لممارسة طقوسهم وشعائرهم المذهبية، وتوسيع قاعدتهم.

ج- دعم تمثيل الشيعة في الدول التي أصبحت تشكل بشكل مباشر مناطق النفوذ الأمريكي، وهذا ما حصل بالفعل في العراق وأفغانستان وبعض

٦٤٢ - (المعركة مع السنة داخل دول العالم السني هي عاشوراء الشيعة الذين يفرغون مظلوميتهم الكربلائية، ويستبيحون من خلالها حرمة أهل السنة وأعراضهم، وكربلائهم هي أراضي أقاليم الدول الإسلامية السنية، واليزيدون هم حكومات أهل السنة الذين كفرهم آيات الله العظام).

٦٤٣ - (يعتز مراجع الشيعة بأن لهم دوراً مهماً للإطاحة بأنظمة الحكم من خلال إصدار فتاوى تبين براغماتية هذه المراجع، وخروجهم عن أبسط قواعد المذهب الشيعي، الذي يقول: إن مراجع التقليد يتميزون بالعدل والتقوى، وتذكر المراجع الفارسية أنه أثناء مراحل الثورة الدستورية في إيران أصدر مراجع التقليد العظام فتاوى شبهت مظفر الدين شاه بأنه يزيد بن معاوية الذي قتل الإمام الحسين بن علي، وأن القاجار كانوا منخرطين في الجيش الأموي في معركة كربلاء، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فزعموا أن الخنجر الذي استخدم في قطع رأس الإمام الحسين بحوزة حكام القاجار... مجيد سعيدي، تاريخ دولت قاجار، تهران، انتشارات كتاب، ١٣٥٨، ص ٨٩ - ٩٠).



الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، والتي تنشط فيها أقليات شيعية مختلفة، ومحاولة استرضائهم بمختلف السبل، من خلال إسناد وظائف مرموقة لهم في مؤسسات الحكم في كلتا الدولتين بالضغط، والشروع بالضغط على حكومات دول الخليج العربي وسائر الدول الأخرى التي يوجد فيها حضور للشيعة، وهذا ما حدث فعلاً.

د- إن الضغط على هذه الدول قد أوجد حالة من المصالحة بين الولايات المتحدة وإيران، حيث نجحت الولايات المتحدة جراء ذلك في تعديل السلوك الإيراني، وإن كان هذا التصالح يقوى ويضعف بين فترة وأخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار إرضاء إيران لبيئتها الداخلية، وتفهمها لمشكلات أمريكا الأمنية ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة، والاتفاق الضمني بين كل طرف لمصالحه.

هـ- الضغط على الدول الأوروبية لإعطاء هامش واسع من الحركة للأقليات الشيعية الموجودة على أراضيها، ودعم مؤسساتها الثقافية والدينية، وعلى هذا الأساس يلاحظ أن أمريكا والغرب لم يبدوا حرصهم على إخضاع هذه المؤسسات لنوع من المراقبة الدقيقة، أو تجفيف مصادر تمويلها على غرار ما حدث بالنسبة للحركات والجمعيات الإسلامية السنية^{٦٤٤}.

النتيجة أن إيران والشيعة عموماً سيحققون كثيراً من المكاسب، إذا نجحوا في التعامل مع أمريكا وفق المنظور السابق، وسوف يُعزز نجاح هذا السيناريو مفهوم الطوق الشيعي الذي تحاول إيران تحقيقه، ولكنها لن تنجح إذا لم تعزز أواصر التفاهم مع أمريكا، ومن المؤكد أن إيران قد أدركت فعلاً مغزى السياسة الأمريكية، وتبنى استراتيجية غير معلنة لتحقيق مكاسبها، وكذلك فإن تحقيق إيران لهذا الهدف هو رهن باستمرار سلوكها ولدبلوماسيتها الهادئة في تعاملها مع الملفات المتفجرة في أفغانستان والعراق، وكذلك في تعاملها مع الملفات الشائكة

٦٤٤ - (نبيل العتوم، المصالحة الأمريكية مع إيران لدعم نفوذ الشيعة في المنطقة، جريدة الرأي الإيرانية، ٢٠٠٢/٧/٢٠).



خصوصاً مسيرة السلام في الشرق الأوسط، والتنظيمات المعارضة لها، هذا عدا قضايا أخرى مثل: الملف النووي، وحقوق الإنسان.

وبعيداً عن نظرية المؤامرة، وللمؤامرة فعلها في السعي لإجهاض مشاريع المقاومة على الأرض العربية، فإننا لا بد أن نواجه الأسئلة الأخرى التي تدور داخل رأس الشارع العربي بصراحة: وهي تتساءل حول دور الشيعة في العراق، ولماذا تقف إيران في العراق إلى جانب الفئة السياسية المهادنة للاحتلال؟ ولماذا لا تقوم إيران بدعم المقاومة هناك، رغم أنها تدعم مقاومة حزب الله في لبنان؟

وقد نختصر الأسئلة أعلاه بالسؤال هكذا: لماذا المعادلة مُختلة في ميزان الموقف من جنوب العراق إلى جنوب لبنان؟ مما يؤدي إلى كسر الحلقات في سلسلة المقاومة التي تنجز عملها على أفضل وجه في العراق وفلسطين ولبنان؟ ولماذا تكسر إيران عن " وعي مسبق " حلقة الوصل في العراق مساهمة في تكريس صورة العراق الجديد القائم على الإقليمية الطائفية الشيعية؟ هل لأن حدود مصالحها الإقليمية تمتد إلى جنوب العراق، تاركة وسطه إلى مصالح أخرى؟^{٦٤٥}.

إن إيران وأمريكا تسعيان إلى تحقيق مصالحهما، وفي سبيل ذلك تعاوناً سوياً في كثير من الأزمات والمجالات، إلا أن الذي يحدد قوة كل طرف هو ما يمتلكه من أدوات القوة للتساوم، لذلك لا يكون غريباً أن تتصارع الدولتان بشأن الملف النووي، لأنه ورقة تضيف لمن يمتلكها قوة في الصراعات التي يتعاونان فيهما سرا، وضمن حدود مرسومة للدور الإيراني^{٦٤٦}.

٦٤٥ - (هنا العزاوي، من جنوب العراق إلى جنوب لبنان: المقاومة بين المعادلة الموضوعية والمعادلة المختلفة، جريدة الدستور ٦/٦/١٥ - ٢٠٠٦).

٦٤٦ - (عبد الحق إدريس. صراع الأدوار بين واشنطن وطهران، مجلة الهلال، العدد ٤٥ / ٤٦، نوفمبر/ديسمبر، ٢٠٠٦، ص ١١).



ونستطيع القول إنه ومنذ الثورة الخمينية وحتى الآن والسلوك الإيراني الظاهري تجاه أمريكا يتميز بالصراع والمواجهة الظاهرة^{٦٤٧}، وبالمقابل وجدنا الإدارة الأمريكية تضم إيران في سلسلة "محور الشر"، غير أنه ورغم هذه التصريحات العدائية المتبادلة كان الأمر على الأرض مختلفاً، حيث تصاعد التعاون بينهما بدءاً من "إيران جيت"، ومحاولة إيران شراء أسلحة من أمريكا وإسرائيل أثناء حربها مع العراق، ثم التعاون الإيراني في الحرب الأمريكية على أفغانستان^{٦٤٨}، فإذا ما تجاوزنا الحرب الإعلامية بين إيران "الثورة" والولايات المتحدة الأمريكية "الشیطان الأكبر" واتجهنا إلى معطيات الواقع الحالي، فإنها بالتأكيد ستُعطينا تصوراً مختلفاً تماماً، هذه المعطيات التي ينبغي استحضارها باستمرار كلما حاولنا أن نفهم طبيعة العلاقة بين هاتين الدولتين، فالذي اتضح من خلال ما سبق أن الاستراتيجية الأمريكية تهدف إلى إنهاء العراق كدولة محورية في المنطقة وبالتعاون مع إيران وإسرائيل - هذا ما اعترف به المسؤولون الإيرانيون كما ذكرنا سابقاً - وهذا ما يؤكد السيناريو الذي خطط له، والقائم على إشغال العدو بنفسه لمنع من التعاطي مع الدول الطامحة إلى بناء إمبراطوريتها، وإذا كان هناك عبر التاريخ سنة وشيعة، وأن الشيعة هي الأقلية المسالمة والمهادنة.

تلعب الدول الغربية دوراً على وتر مظلومية الشيعة، وتتهم الحكومات السنية بالتهميش المتعمد لهم وحرمانهم من العدالة الاجتماعية والتوزيعية، وتضخيم جدلية استبعادهم عن مؤسسات صنع القرار السياسي والاجتماعي، وحرمانهم من أبسط الحقوق الإنسانية في الدول العربية السنية^{٦٤٩}. ولا بأس هنا - حسب

٦٤٧ - (أحمد إسكندر، حقيقة العلاقات الأمريكية الإيرانية: عقد من الصراع الظاهري، جريدة الحقائق، ٢٠٠٥/١/١٢).

٦٤٨ - (تحدثنا عن هذا الموضوع بشكل مفصل سابقاً).

٦٤٩ - (تقارير حقوق الإنسان، أوضاع الشيعة في العالم العربي، المنظمة الدولية لحقوق الإنسان، الأعوام ١٩٩٩ - ٢٠٠٦).



"الاستراتيجية الغربية" - من إحداه نوع من "توازن الردع المذهبي" من خلال مد الشيعة بأسباب القوة التي تمكنهم من مواجهة الأكثرية السنية.

لهذا كانت الولايات المتحدة من أكثر دول العالم التي أسهمت في دعم إيران لإيجاد مصدات دفاع مذهبي في العراق، فدفعت نحو إيجاد الركائز المصلحية المشتركة بين الطرفين، فالمرجعيات ذات الأصول الإيرانية، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة آية الله محمد باقر الحكيم الذي تم اغتياله، ثم تولي شقيقه عبد العزيز الحكيم الذي يعاني من السرطان، وفيلق بدر الجناح العسكري للمجلس وحزب الدعوة (تناولنا هذه الأمور سابقاً)، وتأسيس دولة القلب المذهبي لفرق الموت لإبادة السنة - كل هؤلاء ساعدتهم أمريكا وإيران، وزودتهم إلى اليوم بشتى أنواع الدعم والتأييد، وهؤلاء أنفسهم محط الثقة لدى الجانب الأمريكي، ومن الواضح أن المشروع الأمريكي والإيراني في العراق والمنطقة بات يرتكز على هذه المصدات أكثر من سواها.

وفي الوقت الذي تتعامل فيه الإدارة الأمريكية بهذه الثقة مع المصدات الشيعية في العراق نراها تحاصر المعارضة الإيرانية المسلحة ممثلة بمجاهدي خلق - أقوى التنظيمات الإيرانية المعارضة - وتصنفها بالإرهاب، وتستصدر القوانين لتفكيكها^{٦٥}. وهذا يدعونا إلى التساؤل: وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية تعلن مرارا وتكرارا أنها تريد الإطاحة بالحكومة الإيرانية، فلماذا وقفت ضد حركة مجاهدي خلق، وقامت بحصرها في العراق، وتفكيك ألتها العسكرية، ودعمت إصدار قرارات لمحاصرتها وملاحقتها إقليميا ودوليا؟ بالتأكيد إن هناك اتفاقا أمريكيا إيرانيا بهذا الخصوص. كذلك لماذا لم تحاول الولايات المتحدة - ومن ورائها أوروبا، ومنظمات حقوق الإنسان المدعومة منها - أن تتحدث عن أوضاع الأقليات

٦٥ - (تم إدراج هذه المنظمة على لائحة الإرهاب، نبيل العتوم، مجاهدو خلق نهاية منظمة إرهابية، جريدة الرأي، ٢٢/١١/٢٠٠٥).



في إيران (السنة على سبيل المثال لا الحصر)، ومطالبة السنة الدول والمنظمات الضغط على الحكومة الإيرانية للحصول على حقوقهم المسلوبة.

النتيجة أن دولة القلب المذهبي مشاريعه وأحلامه مشاكل كثيرة وخطيرة للدول العربية والإسلامية السنية بمجموعها، وسوف تتخذ صفة الديمومة، مما يجعل هذه الدول منشغلة عن المشروع الآخر الذي تقوده الولايات المتحدة وإسرائيل لتفتيت المنطقة، الأمر الذي سيدفع هذه الدول للتوجه أكثر إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي اتفقت ضمنا مع إيران لتقاسم النفوذ في المنطقة، ولذلك فإن من مصلحة أمريكا وإسرائيل التنسيق مع إيران، وتسخيرها لخدمة مشروعها الإمبراطوري القائم على فكرة: كيف يكون هذا القرن قرنا أمريكيا؟ أما إيران وإسرائيل فلكل منهما مشاريعه وأحلامه الإمبراطورية الخاصة به، لكن من غير المسموح لدولة القلب المذهبي "إيران" أن تخرج عن قواعد اللعبة التي تديرها الولايات المتحدة الأمريكية، هذا إذا افترضنا على أسوأ تقدير أنها ملتزمة بها.

وما جرى مؤخراً بعد إعلان الرئيس الإيراني رسمياً عن تمكن بلاده من الدخول إلى النادي النووي، الأمر الذي يؤكد أن الولايات المتحدة ليست جادة في مواجهة إيران، فها هي دولة القلب المذهبي تنجح في تخصيص اليورانيوم بنسبة تتراوح ما بين (٥, ٣ - ٤٪)، وهذه النسبة - إذا كانت صحيحة حسب الزعم الإيراني - لا تؤهل إيران من الناحية العلمية لإنتاج السلاح النووي، ومع هذا فقد أثار تخوفاً كبيراً إقليمياً ودولياً^{٦٥١}، بل إن جهات أوروبية وأمريكية قدمت لإيران المساعدات التقنية والاستخباراتية، على الأقل بالسكوت على شراء إيران معدات نووية خصوصاً من أوروبا الشرقية ودول الاتحاد السوفياتي السابق، والآن وقد تفجرت الأزمة النووية الإيرانية لأسباب لا صلة مباشرة لها بذلك، بل لوجود

٦٥١ - (تمخض ذلك عن إصدار مجلس الأمن الدولي قراراتين دوليين ضد إيران هما القرار ١٧٣٧ و ١٧٤٧، وبموجب هذين القرارين تم فرض عقوبات دولية عليها).



مخطط أمريكي وآخر إيراني في العراق والمنطقة، وتريد أمريكا وإيران التمهيد لخطواتها التالية^{٦٥٢}.

إن الذين توقعوا مواجهة حتمية بين الولايات المتحدة وإيران - سابقا - قد أخفقوا في ذلك؛ فبواطن الأمور وخفاياها، والعارفين بطبيعة الدبلوماسية الإيرانية القائمة على التقية السياسية، والمتحالفة تاريخيا مع أعداء السنة، يدرك أن هناك اتفاقيات وتعهدات، ولذلك ينبغي عدم تصديق التصريحات الرسمية الصادرة من نيابوران وشارع جمهوري إسلامي من مختلف مؤسسات القرار، ولنتذكر - فقط - تصريحات نجاد وقائد حرسه الثوري حول إبادة إسرائيل، وهولكوست إيراني من نوع جديد سيستهدف الدولة العبرية^{٦٥٣}، حيث قامت دولة القلب المذهبي توجيه أكبر هجرة لدعم إسرائيل ديموغرافيا، وزادت حجم المساعدات الأمريكية سواء كانت عسكرية، اقتصادية، أو حتى في مجال دعم الاستيطان اليهودي^{٦٥٤}، وازداد حجم الوجود العسكري والاستخباري الأمريكي في المنطقة^{٦٥٥}، إضافة إلى دخول لاعبين دوليين جدد إلى المنطقة العربية، بحيث أصبح هناك تقاسم للنفوذ وكأن الاستعمار يعيد نفسه من جديد^{٦٥٦}.

ولقد مثل إعلان قادة الجيش الإيراني والحرس الثوري عن رد إيراني منزل على أية ضربة أمريكية أو إسرائيلية أو كليهما معا - تصعيدا نوعيا يضاف إلى

٦٥٢ - (صلاح المختار، ما هي صلة أمريكا وإسرائيل بإيران؟ هل توجد برتوكولات حكماء الفرس - صهيون؟ الحلقة الثالثة، البصرة نت).

٦٥٣ - (نبيل العتوم، إسرائيل والخوف من هولكوست إيراني جديد، جريدة الديار، ١٥/٧/٢٠٠٦).

٦٥٤ - (سوف نبحت هذا الموضوع بشكل مفصل لاحقا).

٦٥٥ - (مجددي عارف، الوجود الأمريكي في العراق: أهداف ودلالات، دراسات استراتيجية، العدد ١٢٤، ٢١/٦/٢٠٠٦، ص ١٤ - ١٥).

٦٥٦ - (كان آخرها دخول فرنسا إلى المنطقة العربية، وقد تجسد ذلك من خلال توقيع اتفاق إقامة قاعدة عسكرية بحرية فرنسية تبعد (٤٠) كم عن مضيق هرمز، جريدة الاتحاد الإماراتية، ١٧/٨/٢٠٠٨).



التوتر الحاصل في المنطقة، خاصة مع التصريحات الإيرانية النارية التي تحدثت عن أن هناك رداً إيرانياً نوعياً سيذهل العالم^{٦٥٧}. وهذه التصريحات فتحت شهية التحليلات الغربية بأن إيران تثبت من خلال هذه المواقف التصعيدية أنها تمتلك أسلحة تدميرية (أسلحة الدمار الشامل)، والتي قد تصل إلى أوروبا، خاصة بعد نجاح الحرس الثوري الإيراني بإجراء تجارب إطلاق ناجحة لصواريخ بعيدة المدى قد تصل إلى أكثر من (١٥٠٠) كم، وبالتالي فإن تصديق القدرات الإيرانية أصبح أمراً واقعاً لا محالة. أما الغرب فقد قام بتضخيم وتهويل هذا الموضوع، وهذا يدخل ضمن سياسة معينة ولأهداف معروفة، وهنا نتساءل ما دامت الولايات المتحدة مهتمة بتدمير قدرات إيران، لماذا سمحت لإيران أولاً ببناء منشآتها النووية الخطرة بالقرب من دول الخليج العربية - على افتراض أن أهم مفاعل نووي إيراني (بوشهر) قامت ألمانيا بالشروع في بنائه زمن الشاه بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية وهو أقرب المفاعلات إلى دول الخليج منه إلى الأراضي الإيرانية. ولكن السؤال المحوري لماذا سمحت الولايات المتحدة حالياً لإيران بالوصول إلى هذه المرحلة التقنية في برنامجها النووي، حيث يوجد في منطقة الشرق الأوسط أربعة برامج نووية " البرنامج النووي الإسرائيلي، العراقي، الليبي، الإيراني "، ولماذا تم تدمير البرامج النووية السنوية، وبالمقابل سمح - فقط - ببقاء البرنامجين النوويين الإسرائيلي والإيراني؟ ولماذا لم يتم قصف المفاعلات الذرية قبل وصول إيران إلى تقنية التخصيب (شحن المفاعلات باليورانيوم)، وفيما عرف بنجاح إيران في تكنولوجيا دورة الوقود الكامل^{٦٥٨}؟ وهل يعقل أن تقوم أمريكا بقصف إيران الآن وتلويث المنطقة بالإشعاعات التي ستنتقل لحظة تدمير المنشآت النووية الإيرانية،

٦٥٧ - (تصريحات قائد الحرس الثوري رحيم صفوي، جريدة قدس الإيرانية، ١٢/٥/٢٠٠٦، تصريحات وزير الدفاع علي شمخاني، جريدة كيهان، ٢٤/٣/٢٠٠٥).

٦٥٨ - (نصبت إيران أكثر من (٣٠٠٠) جهاز طرد. تجدر الإشارة إلى أن القرارات الدولية التي أصدرت ضد إيران، وهما القراران: (١٧٣٧ و ١٧٤٧) لم ينصا على عقوبات ضد مفاعل بوشهر أضخم المفاعلات الإيرانية، الأمر الذي يثير الدهشة والاستغراب).



وتلويث أهم بقعة جغرافية بالنسبة للعالم؟ أم تريد من احتفاظ إيران ببرنامجها
إحكام سيطرة إيران وإسرائيل على المنطقة، حيث تريد الولايات المتحدة إدخال
إسرائيل كمظلة أمنية توفر المظلة النووية لإجبار الدول العربية للتطبيع معها لموازنة
التوازن الردعي ضد إيران؟ وبالتالي فلا يصح أن نقول إن هناك حالة صراع حقيقية
بين البيت الأبيض في واشنطن وبين بيت الرهبر في طهران^{٦٥٩}.

كذلك لن يكون السلاح النووي الإيراني - إن صنعته إيران - يشكل تهديداً
لإسرائيل أو أمريكا. وفي هذا الإطار يؤكد الساسة الإسرائيليون: "إن إيران من
ناحية عملية لا تعتبر إسرائيل العدو الأول لها، ولا حتى الأكثر أهمية من بين
أعدائها، وعلى الرغم من الخطاب السياسي الإيراني المناكف لإسرائيل إعلامياً، إلا
أن الاعتبارات التي تحكم الاستراتيجية الإيرانية ترتبط بمصالحها ووضعها في الخليج
العربي، وليس بعداها لإسرائيل، وهي تبدي حساسية كبيرة لما يجري في دول
الجوار، وخاصة في العراق. وذكرت الدراسات والمقالات الإسرائيلية منذ فترة
ليست بعيدة، أنه لا ينبغي فتح مواجهة مع إيران على اعتبار أن إيران دولة إقليمية
لها مقومات أكبر من إمكانيات إسرائيل، وتمتلك امتداداً ونفوذاً واسعاً من شأنه
التأثير على الدولة العبرية^{٦٦٠}. وأعلنت إسرائيل عن ذلك صراحة في المؤتمر
الخاص الذي عقد في شهر فبراير في تل أبيب، بأن إيران إذا صنعت السلاح
النووي فلن تستخدمه ضد إسرائيل؛ لأنها ستكون أكثر عقلانية. وتضيف الدراسة
أن السلاح النووي سيزيد - فقط - من الدور الإقليمي الإيراني المتعاظم^{٦٦١}.

٦٥٩ - (تعرف مؤسسة المرشد في إيران ببيت القيادة).

٦٦٠ - (رئيس شيف، صحيفة هآرتس الإسرائيلية، ١٩٩٦/٥/٢٧، غاي بيخور، هآرتس،
١٩٩٦/٣/١٢.ياهو سلبتر، هآرتس، ١٩٩٦/٣/٢٧). تسفي هرئيل، هآرتس، ٣/١٥/
٢٠٠٠. رونن برغمان، ملحق هآرتس الأسبوعي، ١٩٩٩/٣/١٥، دايفيد منشري،
ملحق هآرتس الأسبوعي، ٢٠٠٢/٣/٢٢، نيتسان هوروفيتش، هآرتس، ٢٠٠٢/٥/١٧.
تسفي هرئيل، هآرتس، ٢٠٠٥/٨/٢، إيهود يعري، معاريف، ٢٠٠٦/٨/١٨. بيرح
طال. هآرتس، ٢٠٠٦/٩/٢٢. كاتساف مونشه، معاريف، ٢٠٠٧/٨/١٢).

٦٦١ - (استعرضنا سابقاً الأزمة الأفغانية، والعراقية، وكيف تعاون الطرفان في هذا المجال =



ومع تواصل التصريحات الإيرانية حيال كل من إسرائيل والولايات والتي تضع المتابع لتلك التصريحات في حيرة وشك كبيرين، وقد جاء آخرها على لسان الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني بعد تفقده صاروخا طوره الحرس الثوري الإيراني، ويبلغ مداه حوالي ٢٠٠٠ كيلو متر، فقد قال إنه "إذا هاجم الأمريكيون إيران فسيغير العالم"، وقال: إن الولايات المتحدة والنظام الصهيوني هما أعداؤنا كما وصفهما رفسنجاني، بل تحذاهم أن يملكوا الجرأة على تنفيذ تهديداتهما ضد إيران، وتحديات قائد الحرس النووي السابق، رحيم صفوي^{٦٦٢}، والحالي محمد جعفرى^{٦٦٣} كلها تندرج ضمن هذا الإطار^{٦٦٤}.

وبحكم أهمية إسرائيل في سياسات الولايات المتحدة، فإن إيران استغلت هذه الأهمية لتحقيق شكلاً من أشكال الضغط على الولايات المتحدة خاصة، والمجتمع الدولي عامة من خلال التهديد بإزالة إسرائيل من الوجود، وتهدف إيران من خلال هذه التصريحات إلى الضغط من أجل الإفراج عن ودائعها المجمدة في البنوك الأمريكية والمقدرة بحوالي (١٤) مليار دولار منذ عام ١٩٧٩، أما بالنسبة لأهدافها الإقليمية فدولة الحلم الإمبراطوري تسعى إلى التخفيف من الضغوط فيما يتعلق بدعمها لحزب الله في لبنان، الذي يمثل إحدى نقاط الارتكاز في بناء مجالها الحيوي المذهبي، وضمنان الصمت الدولي من خلال الدعم الإسرائيلي

=سياسة خارجي إيران در قبال أمريكا، سياست دفاعي، جلد ١٣١، ص ١٤ - ١٥.
أوليفر نورث، تحت النار، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٨. افرايم كام، الخطر الإيراني على إسرائيل وهل هو جدي، يديعوت أحرونوت، ٢٠٠٦/٣/١٧. ندوة عقدت في إسرائيل بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٤ حول التحديات التي تواجه الأمن القومي الإسرائيلي تم نشر هذه الدراسة على موقع جريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية).

٦٦٢ - (صحيفة اطلاعات الإيرانية، ٢٠٠٧/٩/٧).

٦٦٣ - (صرح قائد الحرس النووي الإيراني السابق رحيم صفوي، بأنه إذا تمت مهاجمة إيران فسوف يتم حرق إسرائيل، صحيفة كيهان، ٢٠٠٥/٦/٤).

٦٦٤ - (صرح قائد الجيش النووي الحالي بأن إسرائيل ستدفع الثمن إذا تم توجيه ضربه ضد المنشآت الإيرانية، صحيفة كيهان، ٢٠٠٧/١٠/٣).



الذي يمتلك نفوذاً واسعاً داخل منظمات حقوق الإنسان لضمان السكوت على انتهاكات الحكومة الإيرانية ضد القوميات المختلفة خصوصاً السنة، والضغط بالمقابل على الولايات المتحدة لمطالبة الدول العربية والأوروبية التي تعيش في كنفها لمنح الأقليات الشيعية امتيازات جديدة.

ومن هنا لا يمكن القول بأن إيران تُشكل خطراً على أمن إسرائيل، فالأمن "الإسرائيلي" من ناحية لا يزال يشكل التزاماً ثابتاً في استراتيجية السياسة الأمريكية^{٦٦٥}، وفعلياً لا يمكن أن تسمح بوجود منافس لها إلا إذا كان يحقق لها أهدافها في المنطقة، فهي قد تحالفت مع الشاه محمد رضا بهلوي الذي أصبحت إيران في عهده خامس أكبر قوة في العالم، وفي عهده سهلت أمريكا له توقيع اتفاقيات تشمل بناء أكثر من (٢٠) محطة نووية، وبدعم إسرائيلي مارسته على الدول الكبرى وفي مقدمتها أمريكا، وألمانيا، وسويسرا، وفرنسا، لتنفيذ هذه المشاريع^{٦٦٦}. وكل ما يقال عن التقارب التاريخي بين الفرس واليهود وتحالفها المعلن وغير المعلن مع الصليبية والتوراتية هي صحيحة بالتأكيد، وها هي الشواهد والدلائل التاريخية تعيد نفسها من جديد؛ لأن التحالف مشروط بتقاسم دولة القلب المذهبي دائرة النفوذ مع أمريكا وإسرائيل، لا أن تنافسها عليه، وذلك ضمن

٦٦٥ - (جدد الرئيس الأمريكي أثناء زيارته مؤخراً لإسرائيل هذا الأمر، وتجاوز ذلك من خلال إعلانه بأن الولايات المتحدة تدعم يهودية الدولة العبرية" لما لهذا الإعلان من مخاطر على الدول العربية وإعادة إحياء حلم الدولة اليهودية، ونحن لسنا بصدد بحث هذا الموضوع حالياً"، خطاب الرئيس الأمريكي، وكالة الإعلام الأمريكية، ١٥/١/٢٠٠٨).

٦٦٦ - (عبد الرضا هوشنك مهدوي، سياست خارجي إيران در دوران بهلوي ١٣٣٠٠ - ١٣٥٧، تهران، نشر يكان، ١٣٧٧، ص ٢٦٧ - ٢٧٣، ٢٨١ - ٢٩١ - (كمال الدين هاديان، سياست خارجي أمريكا ومناع ملی ایران، تهران، انتشارات هاد - فرس، ١٣٧٦، ص ١٣٠ - ١٣٤. حسين عنایت، روابط ایران وأمريكا، تهران، نشر كتاب، ١٣٦٨، ص ٢٣٣ - ٢٣٥).



سياسة مرسومة تحدد سقفا لأدوار اللاعبين وعدم تجاوزها، بل على العكس من ذلك فقد تطورت العلاقات بين إسرائيل وإيران، لدرجة جعلت ننتياهو - عندما كان رئيسا لوزراء إسرائيل - يصدر أمراً يقضي بمنع نشر معلومات عن أي تعاون عسكري أو تجاري أو حتى زراعي بين إسرائيل وإيران، وقد جاء هذا الأمر لكي يمنع محامي الدفاع في قضية رجل الأعمال اليهودي ناحوم منبار^{٦٦٧} المتهم بتصدير مواد كيماوية إلى إيران من كشف معلومات خطيرة تلحق الضرر بأمن إسرائيل وعلاقتها الخارجية.

وقد ذكرت إسرائيل أن جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية (الموساد) ساعد إيران على شراء عتاد كيماوي في وقت كان يقود حملة استخباراتية دولية لإحباط خطط إيران، لكن في الوقت ذاته عمل الموساد سرا وبمفرده، من دون علم الأطراف الأخرى وبالتعاون مع الإيرانيين، لعقد صفقة تهدف إلى مساعدة الإيرانيين في جهودهم لإنشاء مصنع للأسلحة الكيماوية في مقابل إطلاق الطيار الإسرائيلي «رون أرا» الذي قبض عليه في لبنان بعد سقوط طائرته^{٦٦٨}، لذلك لا يبدو العداء بين كل من إسرائيل وأمريكا ضد إيران بأنه ذو جذور أصيلة، فكل مشكلة تظهر على السطح وتتناقلها أجهزة الإعلام، يسارع رجال سياسة الأبواب الخلفية في حلها حتى لا تعيق نمو العلاقات، وما وضع إيران في لائحة الإرهاب أو محور الشر إلا كونها تطالب بأكثر مما ينبغي لها، فهي مهما تطورت في علاقاتها ودعمها لأمريكا أو إسرائيل لن تصل إلى درجة الشريك، وإنما ستبقى تنال حصتها كما يحددها لها السيد الأمريكي.

عموماً يمكن وصف العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بأنها متطورة في مختلف المجالات، حيث نشرت الصحافة أن مواطناً إيرانياً - يدير مؤسسة مقربة من مرشد

٦٦٧ - (باسل النيرب، حين تتعاون الشياطين إيران مع إسرائيل وأمريكا، موقع البينة، ١٧/٢٠٠٦).

٦٦٨ - (نشرت الصحافة الإيرانية هذا الموضوع بشكل مفصل، انظر: صحيفة هآرتس، ١٧/٢٠٠٤).



الثورة الإيرانية - قام بزيارة سرية إلى إسرائيل في محاولة لفحص إمكانية تجديد عمل أنبوب النفط إيلات- أشكلون الذي تعود ملكيته إلى الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية، وخلال الزيارة غير الرسمية، التقى رجل الأعمال الإيراني مع صاحب رؤوس أموال إسرائيلي، في تل أبيب، ونسق اللقاء، يهود شوع مثيري، أحد رؤساء الجمعيات التي تعنى بإقامة علاقات إسرائيلية - عربية، وقد طرح خلال اللقاء إمكانية التعاون مع الشركة التي يديرها المندوب الإيراني، واتفقت الأطراف على أن تقوم الشركة الإيرانية بتحميل النفط على ناقلات النفط ونقله إلى ميناء مدينة إيلات الواقعة في جنوب إسرائيل، ومن ثم سينقل عبر الأنبوب إلى مدينة أشكلون، حيث سيسوق من هناك إلى الدول الأوروبية.

ومنذ أن انقطعت العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، تمر ناقلات النفط الإيرانية عبر الخليج العربي إلى قناة السويس في طريقها إلى أوروبا، حيث تصل بعد عدد من الأسابيع إلى وجهتها، أما نقل النفط الإيراني إلى أوروبا عبر خط أنبوب النفط إيلات - أشكلون - حسب ما قاله الحاضرون في اللقاء- سيستغرق مدة أسبوع واحد فقط، وسوف تقلص تكاليف النقل^{٦٦٩}. وكانت الاتصالات السرية بين أطراف إسرائيلية وإيرانية تستأنف بين فترة وأخرى، واتفقت كل من إيران وإسرائيل على أنها ستواصل إجراء لقاءاتها في أوروبا من أجل بلورة وثيقة تقدم للحكومتين الإيرانية والإسرائيلية، وقال المدير العام لخط أنبوب النفط إيلات - أشكلون: "لا تعد الملكية الإيرانية- الإسرائيلية المشتركة على أنبوب النفط إيلات- أشكلون أمراً سرياً، لسنا مسؤولين عن اللقاءات التي يجريها رجال الأعمال بخصوص هذا الخط"^{٦٧٠}.

إن حقيقة التصريحات الإيرانية حول إسرائيل وأكذوبة تدميرها، يجب فهمها في إطارها الصحيح من قبل المتابعين جيداً للسياسة الإيرانية وطبيعتها وأدواتها

٦٦٩ - (صحيفة "يديعوت أحرونوت"، ٢٣/٣/٢٠٠٦).

٦٧٠ - (المصدر: صحيفة "يديعوت أحرونوت" ١٣/١٢/٢٠٠٢، ١٧/٦/٢٠٠٦).



ووسائلها. وفي هذا الإطار، فقد بات جلياً وواضحاً لكن محلل متابع، أن إيران تعتمد أسلوبين في سياستها الخارجية، ولا ينطبق ذلك - فقط - على الموقف من إسرائيل، بل يمتد ليشمل قضايا أخرى أبعد بكثير. وتعتمد إيران على خطابين رئيسيين: الأول، يتم توجيهه إلى العوامل والسذج من الناس، خاصة أصحاب التوجه العنفواني، الثوري، العشوائي، يعني عموم الجماهير، والخطاب الموجه لهؤلاء يكون ثورياً حماسياً تدميرياً، والهدف منه كسب تعاطف الناس وحشدهم، كورقة رابحة في أية مساومة، وعادة ما يتم طرح هذا الخطاب في المنابر المفتوحة أو في الحشود والمناسبات. أما الثاني، فيتم توجيهه على مستوى رسمي في الجلسات الخاصة، العلنية منها والسرية، خلف الأبواب المغلقة (وما أكثرها)، وهذا الخطاب يكون مناقضاً للخطاب المذكور أعلاه حول نفس الموضوع الذي يتناوله الطرح، أي كان، والهدف منه نقل صورة واقعية عقلانية عن الموقف الحقيقي، بعيداً عن سياسة البروبغندا الإعلامية والجماهيرية، وإرسال إشارات بالاستعداد لفتح اتصالات أو لقاءات غالباً ما تكون سرية، تلافياً للإحراج^{٦٧١}.

من يفهم هذه المعادلة يسهل عليه هضم السياسة الإيرانية "البازارية"، وطريقة تعاطي طهران مع الملفات الحساسة التي تتطلب موقفاً ثابتاً مبدئياً^{٦٧٢}، فالإمبراطورية الإيرانية - وكما حصل في التاريخ - قد تحالفت مع اليهود عدة مرات ضد العرب، وأبرز مثال هو تدمير بابل من قبل الإمبراطور قورش، وإنقاذ الأسرى اليهود من الأسر البابلي. أما إمبراطورية الفرس الخمينية اليوم فهي تخدم أهداف إسرائيل الكبرى، ففي أثناء الحرب العراقية الإيرانية وجدت مع قتلى إيرانيين خارطة تشير إلى أن الحدود بين إيران وإسرائيل تقع عند نهر الفرات، فغرب النهر لإسرائيل وما يقع شرق النهر لإيران، معنى هذا أن كلا من إسرائيل

٦٧١ - (الشواهد القديمة والحديثة على ذلك كثيرة).

٦٧٢ - (علي حسين باكير، إيران تريد تدمير إسرائيل... لا نريد تدمير إسرائيل، مجلة العصر، ١٤٢٨/٥/٢١، ص ٣ - ٤).



اليهودية الهرمجدونية، وإيران الشيعية وإسرائيل التوراتية تعرفان حدودهما المستقبلية، وأن هناك اتفاقاً ضمناً رسمياً سرياً على تقاسم الدور والنفوذ والسيطرة في المنطقة.

من هنا فإن إيران عملت وفق قناعة تقول: إن العراق هو العدو الرئيس، وهذا يتطلب تدميره أولاً بواسطة التعاون مع أمريكا وإسرائيل وبمساعدة جوهريّة منهما، وبذلك تتخلص من القوى الإقليمية العظمى في المنطقة، والتي منعت إيران الخمينية من التوسع مذهبياً.

تريد أمريكا تدمير العراق لأجل استعمارها، انسجاماً مع أفكار الرئيس بوش وإدارته التي تنتمي إلى حركة المسودت^{٦٧٣}، أما إيران أحمددي نجاد فهي تنتمي

٦٧٣ - (ينتمي الرئيس بوش لهذه الحركة حيث يعاني من مرض نفسي يدعى الهذيان الموسوي التوراتي، والميسوديت حركة تجمع بين الأفكار المسيحية والمعتقدات التوراتية، حيث تعتقد هذه الحركة بعودة المسيح من جديد، لإعادة بناء الهيكل، وبناء عرش داوود من جديد، ولهذا تمت دراسة الدول والحضارات التي أسهمت في قتال اليهود منذ الأزل، فوجدوا أن العراق هو الذي سيعيق بناء الهيكل وعودة مملكة إسرائيل سابقاً ولاحقاً، فالسبي البابلي الأول، واستهداف اليهود كان من العراق (نبوخذ نصر)، والذي أعاد بيت المقدس جاء - أيضاً - من العراق (صلاح الدين الأيوبي)، لذلك وفق أفكار حركة "الميسوديت" سميت العراق بـ"قاهرة الشعب المختار، بابل الزانية، المرأة الزانية، بابل المعونة". ويبشرون بالمعصرة الكبرى التي تسبق عودة المسيح (حرب عالمية) والتي سوف تمهد لعودة المسيح وسيأتي بعد تدمير بابل، وسبي نساؤها، وقتل جنودها وأطفالها، ولذلك يجب تهيئة الأرضية لعودة المسيح الرب بالقضاء على أهم أعدائه ممثلاً ببابل العراق، ولهذا فإن الرئيس الأمريكي جورج بوش يعتبر من أهم من تأثروا بفكر "الميسوديت"، ويقول إنه يتحرك في سياسته الخارجية بموجب رسالة ربانية، وذكر أن الرب أرسل له رسالة بالبريد المسجل، وفحوى هذه الرسالة: يا بوش ضع حداً للتسلط في العراق. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل يعتبر بوش نفسه بأنه حامل أختام المسيح، والمخلص، رسول المهمة الإلهية، ويعتبر الأب بيل غرهام هو الأب الروحي للرئيس بوش، وكان هذا الأب أحد أعمدة حركة "الميسوديت" في الولايات المتحدة=



لحركة الحجّية ٦٧٤ التي تسعى لتدمير العراق وفق رؤية مهدوية ستمهد لبناء الإمبراطورية الشيعية.

=الأمريكية. يقوم مركزنا حاليا بدراسة مفصلة تحت عنوان: تأثير الفكر التوراتي والشيعي على مؤسسات صنع القرار في أمريكا وإسرائيل وإيران).
٦٧٤ - (وهي حركة ينتمي لها الرئيس أحمدى نجاد وأعوانه في مؤسسات صنع القرار الإيراني، وهي تبشر بقرب ظهور إمام الزمان، إذ سوف ينقذ العالم من الجور والظلم، لكن ميزة هذه الحركة تقول بأن الإمام المهدي لن يظهر إلا عندما تملأ الأرض جورا وظلما وقتلا ودمارا، ولذلك ينبغي أن نسهم في القتل والفساد للتسريع والتعجيل في ظهور إمام الزمان، وحتى نعجل في خلاص الشيعة وبسرعة يجب نشر الفساد والخراب، لأن من أبرز علامات ظهور الإمام المهدي خراب البصرة، وتدمير مسجد العسكريين في سامراء، وحكم إيران من جانب سيد يأتي من خراسان، وتزامن يوم عاشوراء مع يوم الجمعة).

(وقد حدث ذلك كما يقول الشيعة، أما خراب البصرة ففرق الموت التي تقوم يوميا بالقتل والتدمير وتعيث فسادا وتدميرا في العراق، وهي مدعومة من إيران وبفتوى ومباركة آيات الله العظام في إيران، أما الرئيس الإيراني الحالي أحمدى نجاد فهو من بركات المهدي، إذ أسهم آية الله محمد مصباح يزدي في وصوله، حيث أعلن أن الإمام المهدي قد جاء في المنام لأحد تلاميذه وأوصاه بأن ينتخبوا الرئيس أحمدى نجاد، ويعتبر نجاد نفسه مرسلا لإنقاذ العالم من الظلمات، فهو يصف نفسه بمردم يار ومعناه باللغة العربية: صديق الشعب، ودائما ما يصف نفسه بأنه القائد الملهم الذي تأتيه إلهامات الإمام عندما يخاطب العالم. وفي دراسة لـ (٢٠٠) خطاب للرئيس نجاد وجدنا في تحليل محتوى الخطاب أن الرئيس نجاد استخدم لفظ الإمام المهدي في أكثر من (٥٨٤) مرة بمشتقاتها المختلفة: " الإمام المهدي، الإمام المنتظر، الموعود، المخلص، إمام الزمان، ولي عصر، القائم، قائم آل محمد، منجي آخر الزمان، حجة الله، بقية الله ". وفي المعتقد الشيعي بأن المهدي عندما يأتي سيكون مسلحا بعصاة موسى، وتابوت السكينة حتى يقنع اليهود، ومن هنا يبدو أنه سيكون هناك تحالف ضمني بين الشيعة واليهود، وعندما نجح الرئيس نجاد، اجتمعت الحكومة الإيرانية التي يتكون معظم أعضائها من تيار الحجّية، فقاموا بالإتفاق على كتاب الولاء والنصرة للإمام المهدي، وأرسلوا الوزير محمد صفار هرندی لإلقاء كتاب النصرة في بئر جمكران بالقرب من=



وتأسيساً لما سبق فإن أمريكا وإسرائيل وإيران يريدون دمار العراق، حتى يظهر مهدي كل دولة ومخلصها، والقضاء على أخطر عقبة أمام توسعها الإمبراطوري، وتحويل بابل إلى قاعدة انطلاق لغزو الوطن العربي ثم العالم الإسلامي، ومن ضمنها إيران التي تسعى إلى إقامة إمبراطورية صفوية شيعية عنصرية.

إن بروتوكولات التوسع الإيرانية تحتاج أولاً وقبل كل شيء لقواعد ارتكاز داخل الوطن العربي تمهد لها الطريق، ولذلك بذلت إيران وريثة الخميني جهوداً جبارة لإعطاء انطباع بأنها حامية حمى المسلمين، وأنها تقف بوجه الاستكبار العلمي المعادي لهم لقد تكونت قناعة واسعة النطاق في الوطن العربي، وهو المجال الحيوي الأهم والأول للاستعمار الإيراني، ومن هنا فإن نخب إيران الحاكمة ما هي إلا مجموعات براغماتية وانتهازية تمارس كل أنواع الخداع باسم الدين خدمة لأهدافها العنصرية التوسعية، لقد تحالفت إيران بشكل رسمي وكامل مع أمريكا ضد العراق، وكانت وما تزال الطرف الأخطر في تنفيذ المخطط الأمريكي الرامي إلى تدمير العراق وتغيير هويته العربية، وتحويله إلى قطر (متعدد الأعراق والطوائف والأديان)، كما ورد في الدراسة التي وضعها اليهودي الأمريكي توج فيلدمان، حيث اقترحت الدراسة تقسيم العراق إلى (٣) دويلات تحت اسم الفيدرالية، والتي تخفي نظاماً آخر هو الكونفدرالية، لأنه سوف تنشأ دول متحدة وليس نظم حكم ذاتية في دولة واحدة. ويتجلى التعاون الأمريكي - الإيراني ضد العراق في أوضح وآخر مظاهر التلاقي الكامل في دعم بوش وخامنئي لحكومة المالكي وتعاون ميليشيات إيران في العراق مع الاحتلال الأمريكي رغم طبول

=قم، وهذا المكان يمثل نقطة الاتصال بين الشيعة والإمام المهدي، ويتوقع ظهور المهدي في العاميين القادمين، حيث بدأت حركة بناء الفنادق في كل إيران لاستقباله. ونود الإشارة إلى أن مسألة الإمام المهدي قد ثبتت في الدستور الإيراني في المادة الخامسة، ومثبتة معها الآية القرآنية: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [التقصص].



الحرب التي تفرع بين إيران وأمريكا منذ ربع قرن دون إطلاق رصاصة واحدة على إيران^{٦٧٥}.

نحن إذاً أمام ثلاثة مشاريع إيرانية وأمريكية وإسرائيلية، فجميعها يريد صياغة المنطقة حسب مصالحه الخاصة، وإن كان المشروع الإيراني يبدو ضعيفاً خارج نطاق العراق مقارنة بالمشروع الأمريكي، لكنه يلتقي مع نظيره الأمريكي في أن استغلال وتوجيه الأقليات المذهبية والطائفية يمثل بنداً ثابتاً في أجندتهما، فهل تكرر الإدارة الأمريكية خطأها وتقدم دولاً عربية أخرى على طبق من ذهب للإيرانيين^{٦٧٦}؟ ولم تكن الخطط الأمريكية الساعية إلى تقسيم دول العلم الإسلامي ومن بينها العراق وليدة الوقت الحاضر، بل هي مشاريع حاضرة في مراكز الأبحاث الأمريكية وأذهان السياسيين الأمريكيين منذ القدم، حتى إن "هنري كيسنجر" أحد أشهر السياسيين الأمريكيين كتب في مذكراته: "من يريد السيطرة على الأمة العربية والإسلامية عليه أن يدمر إرادة الأمة العراقية فهي الحلقة الرئيسية فيها". وقد أعلن هنري كيسنجر عبر برنامج حوار في هيئة الإذاعة البريطانية أن العراق يسير باتجاه مصير يوغوسلافيا السابقة. ودعا كيسنجر في مرات عديدة بعد احتلال العراق إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات: كردية في الشمال، وسنية في الوسط، وشيعية في الجنوب^{٦٧٧}.

وفي عدة لقاءات مع "بول بريمر" إبان توليه الحكم الأمريكي للعراق أكد أن مشروع الفيدرالية هو من الأولويات التي تسعى واشنطن لتحقيقها في العراق، وبالتأكيد فإن هذه الفيدرالية لا يقصد منها في حقيقة الأمر إلا تقسيم العراق إلى إمارات أكبرها الإمارة الشيعية، وبينما انشغل الجميع بمعركة الدستور ومسودته، لم

٦٧٥ - (صلاح المختار. بعد بروتوكولات حكماء صهيون: هل توجد بروتوكولات حكماء الفرس؟ (٢) قواعد التقويم: من هو العدو الأول؟).

٦٧٦ - (أحمد الحسن، الهلال الأمريكي والهلال الإيراني، أيهما يظهر أولاً؟ مرجع سابق).

٦٧٧ - (لقاء حوار مع هنري كيسنجر مع BBC، نشر على موقع المحطة على الإنترنت، ٢٠٠٤/٢/١٢).



يبتبه الكثيرون إلى الواقع والحقائق التي يحاول الشيعة فرضها على الأرض، حتى يصبح تقسيم العراق أمراً واقعاً لا بد منه.

وتبدأ هذه الوقائع مع الحملة الإجرامية التي شنّها فيلق بدر على أهل السنة في الجنوب من أجل تصفيته منهم، محققاً بذلك رغبة الإدارة الأمريكية، غير أن هناك بعض الوقائع يجب أن نشير إليها حتى نعرف ما يخطط له، فقد توجه رئيس الوزراء العراقي السابق - والمدعوم من واشنطن - "إبراهيم الجعفري" أثناء ولايته إلى إيران، وتم الاتفاق خلال هذه الزيارة على إقرار خطة توطين ما يقرب من مليوني شيعي إيراني في الأراضي العراقية، وبالتأكيد فإن أهداف مثل هذا الاتفاق لا تحتاج إلى شرح أو توضيح، وإذا كان هناك مليونان سيدخلون بطريق رسمي فبالأكيد سبقهم مئات الآلاف وسيلحق بهم آلاف آخرون. كذلك عقدت عدة ندوات ومؤتمرات في العراق - وبدعم وتحريض من إيران - لتشكيل فيدرالية من ثلاث محافظات جنوبية في العراق: (البصرة، الناصرية، العمارة)، وكان الداعم لهذا المؤتمر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ومنظمة بدر، وحزب الدعوة بأجنحته المختلفة، وأعضاء في مجالس المحافظات الثلاث، ورؤساء بعض الإدارات فيها، وكان هدف هذه المؤتمرات مناقشة العمل على وحدة إقليم الجنوب اقتصادياً، واستغلال أكبر نسبة من الثروات والموارد النفطية فيه لصالح المحافظات الثلاث، وتحديد شكل العلاقة الإدارية والمالية مع الحكومة المركزية. هذا بعض ما ظهر من وقائع على الأرض تسعى إلى تفتيت العراق وإنهاء وحدته، وما خفي كان أعظم^{٦٧٨}.

لا شك بأن إيران تنسجم مع المخططات التفتيتية الدولية؛ فقد تم نشر خريطة جديدة للشرق الأوسط الكبير الجديد، وفقاً للرؤية الأمريكية، وتبرز هذا المشاريع رؤيتها للمنطقة من خلال سيناريو تفتيتي، حيث ترى أن: "الحدود

٦٧٨ - (تقسيم العراق بين الأحلام الفارسية والخطط الأمريكية، مقالة منشورة على الإنترنت،

١١ أكتوبر، ٢٠٠٦)



الدولية لا تكون أبداً عادلة بشكل كامل، وتختلف درجة الظلم التي توقعها هذه الحدود على الجماعات البشرية التي يفرض عليها الانفصال أو الاندماج بموجبها، بنفس درجات الاختلاف بين الحرية والقهر، وحكم القانون والإرهاب، والحرب والسلام. ووفق هذه الدراسة، تعد أكثر الحدود الدولية تحكمية وتشوها في العالم، هي تلك القائمة في إفريقيا وفي الشرق الأوسط؛ فالحدود الإفريقية التي رسمها الأوروبيون تبعاً لمصالحهم الخاصة - رغم ما كان بينهم أنفسهم من مشاكل كافية في ترسيم حدود دولهم من جديد - تعتبر من أهم أسباب وفاة الملايين من الأفارقة حتى الآن، والحدود "الظالمة" في الشرق الأوسط تسبب من الأزمات ما يفوق قدرة المنطقة على مسألة الحدود الدولية، ما بين جمود ثقافي، وعدم مساواة كارثية، وتطرف ديني، إلا أن المفتاح لفهم الفشل الشامل الذي تعانيه هذه المنطقة ليس الإسلام، وإنما الحدود المرسومة بشكل سيء، والمقدسة في نفس الوقت إلى أبعد حد، تلك الحدود التي يحميها دبلوماسيون.

رغم ذلك فإن تعديل الحدود لن يحل مشكلات الأقليات الموجودة في المنطقة، لكن الحدود المقترحة في هذا المقال تصحح الأخطاء المرتكبة بحق جماعات عانت كثيراً مثل: الأكراد والبلوش والشيعة العرب، لكنها لا تفيد كثيراً مسيحيي الشرق الأوسط، أو البهائيين، أو أقليات أخرى كثيرة أقل عدداً، ومع هذا، فإن غياب مثل هذه المراجعات للحدود لن يمكننا أبداً من أن نرى شرق أوسط ينعم بالسلام".

وتقدم الدراسة خطة لتفتيت المنطقة بأكملها، فعندما يتكلم عن فرصة تقسيم العراق تقول الدراسة: "إن هناك فرصة عظيمة لتصحيح هذا الظلم، ضيعتها الولايات المتحدة وشركاؤها في التحالف بعد سقوط بغداد؛ فالعراق الدولة التي تشبه شبخ فرانكنشتاين دولة مكونة من أجزاء يصعب دمجها، كان يجب تقسيمها مباشرة إلى ثلاث دول بعد سقوط بغداد، إلا أننا فشلنا في ذلك بدافع الخوف وغياب الرؤية، وأجبرنا الأكراد على تأييد الحكومة العراقية الجديدة. والحقيقة أنه



إذا أجري استفتاء عام في ذلك الوقت، فإن ١٠٠٪ من الأكراد كانوا بلا شك سيصوتون لصالح الاستقلال.

ووفق هذه الخطة سيتم تقسيم العراق وإنشاء ثلاث دويلات: كردستان، وسنيستان، وشيعستان):

- (دولة كردستان الكبرى): وستشمل على كردستان العراق، وبضمنها - طبعاً- كركوك النفطية، وأجزاء من الموصل، وخانقين، وديالى، وأجزاء من تركيا، ومن إيران وسوريا وأرمينيا وأذربيجان، وستكون أكثر دولة موالية للغرب والأمريكا.

- (دولة شيعستان): وستشمل على جنوب العراق، والأجزاء الشرقية من السعودية، والأجزاء الجنوبية الغربية من إيران (الأهواز)، وستكون بشكل حزام يحيط بالخليج العربي.

- (دولة سيستان): ستنشأ على ما تبقى من أرض العراق، وربما تدمج مع سوريا^{٦٧٩}.

وحديثاً جاء في التقرير السابع الذي يصدره صندوق السلام عن العراق، والذي حمل عنوان "مخرج: اتحاد دول عراقية" أن "تقسيم العراق إلى ثلاث دول قد يخفض مسؤولية القوات الأمريكية، معتبراً أن هذا الخيار يتطلب قيادة دبلوماسية أمريكية قوية". وكانت وثيقة أمريكية نشرت مؤخراً طالبت - أيضاً - بما أطلق عليه "التقسيم السهل للعراق"، حيث دعت إلى "تقسيم العراق لثلاث مناطق: كردية، وسنية، وشيعية، تتمتع كل منها بالحكم الذاتي"^{٦٨٠}.

٦٧٩ - (الرف بيترز: حدود الدم. نحو نظرة أفضل للشرق الأوسط. عن مقال بنفس العنوان. عرض وتعليق وترجمة: الأستاذ طلعت رميح. شبكة البصرة. ٢٠٠٧/١٠/١).
ونص الخطة بعنوان: رؤيا الدكتور خليل السعيد. أعيد نشره في: مركز العروبة للدراسات الاستراتيجية، بغداد. ٢٠٠٧/١٠/٦).

٦٨٠ - (رئيسة صندوق السلام بولين بيكر، التقرير السابع الذي أصدره صندوق السلام عن العراق، المخرج: اتحاد دول عراقية، وثيقة مترجمة تم نشرها في جريدة الرأي، ٢٤/٥/٢٠٠٧).



وفي ظل الجدل المثار حول تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم أصدر معهد بروكينجز دراسة حول مدى إمكانية تطبيق الفيدرالية في العراق، ونسبة النجاح مقارنة بالظروف الحالية التي يعيشها العراق، إلى جانب الصعوبات التي ستواجه الأطراف المختلفة إذا تم تطبيق هذا الخيار الذي أطلقت عليه الدراسة "الخطة ب". ويقول الباحثان جوزيف إدوار - الباحث الزائر في معهد بروكينجز، ومايكل هانلون - الباحث المتخصص في شؤون الأمن القومي الأمريكي بمعهد بروكينجز: "إن الواقع الحالي في العراق من اقتتال داخلي يجعل التقسيم أفضل الخيارات المتاحة، كما أن التجربة أثبتت عدم صحة المبدأ القائل بأن العراقيين يريدون العيش معاً داخل دولة واحدة ذات حكومة مركزية؛ حيث صوت العراقيون في الانتخابات في السنوات الأخيرة وفقاً لمصالح الطوائف التي يدينون لها بالولاء، إلى جانب أن العنف الطائفي كشف أن العراقيين يشعرون بالأمان حين يعيشون في منطقة معظم سكانها من نفس الطائفة، وهذا ظهر بوضوح خلال حركات النزوح التي قام بها آلاف العراقيين هرباً من العنف^{٦٨١}.

إن تقسيم العراق سوف يحقق الكثير من الفوائد والمكاسب بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل وإيران؛ فالعراق في نظر هؤلاء جميعاً سيقى مصدر تهديد لتنفيذ الأطراف الثلاثة لمشاريعها التوسعية مستقبلاً وعدم الإخلال بموازين القوى والمعادلات القائمة فيها، وفقاً لتوجهات هذه الدول، وتقسيم العراق هو الذي يضع حداً نهائياً لفكرة عودة الدولة العراقية السنية كمهدد محتمل. فهذه الدول الثلاث ليست بحاجة إلى عراق موحد، وقد سارعت إسرائيل إلى الكشف عن أن فكرة تقسيم العراق لأربع ولايات مستقلة هي فكرة إسرائيلية، وأن هذا التقسيم تم بمباركة قادة الأحزاب العراقية وأعضاء من مجلس الحكم المنحل"، وذكرت أن "فكرة تقسيم العراق إلى أربع ولايات كانت من ضمن المقترحات التي تقدم بها

٦٨١ - (حالة التقسيم السهل للعراق، مركز تسابان بمعهد بروكينجز للدراسات السياسية والاستراتيجية، وثيقة مترجمة تم نشرها، جريدة الحياة ٦/١٥/٢٠٠٧).



وفد إسرائيلي للإدارة الأمريكية من أجل تعزيز الاستقرار في العراق من جانب، ومن جانب آخر لإضعافه من ناحية التحرك الخارجي مستقبلاً".

ومن هنا فإن الإدارة الأمريكية وافقت على هذا التقسيم^{٦٨٢}، كل هذا تزامن مع إعلان عبد العزيز الحكيم - المدعوم من إيران - عن اقتراحه القاضي بتقسيم العراق إلى فيدراليات، وإعلان إيران - على عجل - مباركته لهذا التوجه.

وتشير دراسة أخرى^{٦٨٣} تتناول المناطق والجيوب الاستراتيجية التي يسكنها السنة والشيعة، إلى ما قاله وزير الداخلية الفرنسي السابق "جان بيار شوفانمان" في كتابه الأخضر والأسود" من أن مركز الثقل في العالم العربي قد انتقل من حوض البحر المتوسط إلى دول الخليج العربي، فإن ذلك يعني في رأيه أنه انتقل من المناطق السنية الخاصة إلى المناطق التي هي خليط من السنة والشيعة، وفي هذا الاتجاه فإن العلاقة بين العروبة والنزعة الشيعية في مفهوم الجغرافيا السياسية لن تكون بالأمر الذي يستهان به؛ إذ لإيران دور مركزي، فكثير من أولئك الشيعة يعيشون في مناطق بترولية دون أن يكون لهم أية عوائد من تلك المنابع.

لا شك أننا في تحليل الباحث نرى مظاهر ذلك كله في العراق اليوم، وكأنا يستجيب لما يخطط الاستعمار في استدراج تمليه سياسة دولية إسرائيلية تهدف لتفتيت المنطقة.

إن التسليم بمفهوم الأقليات - كما تُوحى به الدراسات القائمة في السياسة الاستعمارية الجيو سياسية - هو خيانة ثقافية وفكرية لمنطلقات حضارية إسلامية عربية تجاوزت الثقافة فيها العهود السلطانية المتعاقبة، حين رسخت وحدة ثقافتها بقوة الروح التي أنشأت بالمؤسسات الوقفية صعيداً من العمل الفكري والثقافي

٦٨٢ - (شاول ليفي، فكرة تقسيم العراق فكرة إسرائيلية، يديعوت أحرنوت، ١٢/٥/٢٠٠٧).

٦٨٣ - (جيف غبسون، مستقبل الصراع المذهبي في العالم العربي والإسلامي، ترجمة علا يوسف، مجلة السياسة، العدد ٢٩٨، إبريل، ٢٠٠٨، ص ١٩ - ٢٠).



اجتمع له العلماء على اختلاف منطلقاتهم ومذاهبهم شيعة أو معتزلة أو سنة، وقد أثرى ذلك الحياة الاجتماعية وطابعها في جغرافيا الثقافة الإسلامية، فتفتيت العراق إلى حدود كردية وشيعية وسنية هو تسليم مفتاح القلعة لإسرائيل^{٦٨٤}.

إن المتابع لما يجري في عالمنا العربي اليوم قد لا يحتاج إلى ذكاء خارق لإدراك مدى التشابه الشديد بين واقعنا وماضيينا قبل البعثة؛ فبالرجوع لتلك الأيام نرى ما عاشته الأمة من ذل وهوان واضطهاد من الجيران، حيث كان الفرس يتحكمون في الأجزاء الشرقية من المنطقة أو أغلبها، ولا يحتاجون لإخماد أية ثورة تقوم ضدهم إلا بمجرد إيعاز لوكلائهم من العرب في المنطقة كي يقمعوها، في حين كان بنو الأصفر مسيطرين على الناحية الغربية، يفعلون فيها ما حلا لهم. أما اليهود فقد كانوا دوماً في الوسط يحتكرون جل الاقتصاد والمعارف. وظل هذا الحال سائداً حتى بعثة النبي محمد ﷺ ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ، وخلط أوراق اللعبة، وحول الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم.

وهكذا فإن التاريخ يُعيد نفسه، ومعه يعود السادة القدماء الجدد كما الوكلاء أيضاً، وإذا بنا نعيش تلك اللحظة التي تخيلنا أنها ذهبت إلى غير رجعة مع تغير بسيط في المفاهيم والأدوار، فمع تحول اليهود من مجرد تجار ورهبان إلى ملاك لأعتى الأسلحة التي لا يدخرون جهداً في ترويع الأبرياء بها دونما حساب أو رقيب، نرى دخول الفرس الحلبة هذه المرة تحت شعار الدين والمذهب، حيث حولوا بلاد الرافدين بين عشية وضحاها عن طريق وكلائهم الجدد إلى مسلخة لأهل السنة، فهم يرون - وحسب اعتقادهم - أن العراق أرض مقدسة يجب تطهيرها من أهل السنة، غير أنهم لا يجدون حرجاً في أن تكون مرتعاً لعبدة الصلبان إلا من حين لآخر، ما قد يكسب الضحية تعاطفاً من أبناء جلدتها قد

٦٨٤ - (صبري نصر الدين، تحليل دراسة حول الجغرافيا والسياسة: النزعة الشيعية، الشرق،

العدد ٢٣٤، ٢٠٠٤/٣/٢٤).



يؤخر ذبحها، فإذا بهم يوعزون إلى وكلائهم وهذه المرة في لبنان بتصعيد الموقف مع الصهاينة تحت شعار نصررة الفلسطينيين الذين هم- أيضاً- يذبحون في العراق، حتى إذا تشاغل الناس بأخبار لبنان، عاود الفرس ووكلاؤهم الإجهاز على من تبقى من إخوتنا السنة في العراق؛ تمهيداً لإعلانه منطقة خالية من أهل السنة^{٦٨٥}.

لا شك بأن الأدبيات الصهيونية غنية بالمواد والدراسات التي تؤكد مراهنة الكيان الصهيوني على استغلال وجود طوائف دينية وعرقية لتقسيم بلدان الوطن العربي والقضاء على فكرة الدولة القومية المتناسكة، وعملية تحريض الأقليات الطائفية والدينية والعرقية على الانسلاخ عن الأوطان الأم لإقامة كانتونات وكيانات انعزالية، وهذا النهج يسمى في القاموس الصهيوني "مدرسة الأقليات"، ولا نأتي بجديد إذا ما حزمنا أن ثلاث ركائز أساسية تقوم عليها الاستراتيجية الصهيونية، لتوفير الحماية لإسرائيل كدولة عسكرية عرقية مغتصبة ومحتلة في بيئة استراتيجية وجغرافية غريبة عنها، وهذه الركائز تتمثل بـ: التفوق العسكري من خلال الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، وتوفير قدرة رادعة ضد الجيوش النظامية، وكذلك الدعم الأمريكي اللا محدود لجميع أعمال إسرائيل العدوانية والتوسعية، ولو على حساب المصالح الأمريكية العليا نفسها، إضافة إلى استغلال حالة الانقسام في الوطن العربي من أجل تفتيته إلى كيانات ودويلات عرقية متنازعة.

من الواضح أن إسرائيل تروج لأفكار خطيرة، وهي تريد ضمان- ولو إلى حين- تحقيق الهدفين الأولين: تفوق نوعي وتكنولوجي على جميع الجيوش العربية النظامية، ودعم أمريكي متواصل ومتزايد من عهد إلى عهد، وأما الهدف الثالث - وهو العمل على تفتيت بلدان الوطن العربي امتداداً لمعاهدة سايكس- بيكو- فهذا في طور الإنجاز كما نشهد الآن في العراق والسودان ولبنان... إلخ.

٦٨٥ - (شريف بلقاسم نافع، الفرس واليهود وبنو الاصفر يعاودون اقتسام الكعكة، مفكرة الإسلام، ١٤٢٧/٦/٢٧).



إن جميع الدول العربية الواقعة شرقي إسرائيل مجزأة وممزقة ومفككة داخليا أكثر مما هي عليه الحال في دول المغرب، فسورية لا تختلف من حيث الجوهر عن لبنان الطائفي، إلا بنظام الحكم العسكري القوي، بيد أن الحرب الأهلية الفعلية الدائرة اليوم بين الأكثرية السنية والأقلية الشيعية - العلوية الحاكمة (١٢٪ فقط من مجموع السكان)، تشهد على خطورة المشكلة الداخلية. والعراق لا يختلف جوهريا عن جارتها، وبراعم الانفصال والحرب الأهلية تبرز فيه منذ اليوم، بعد تسلّم الخميني السلطة، إذ يعتبره الشيعة في العراق زعيمهم الطبيعي.

أما جميع إمارات الخليج والسعودية فهي قائمة على بناء واه من الرمل ليس فيه إلا نפט. ففي الكويت، يشكل الكويتيون ربع السكان، وفي البحرين يشكل الشيعة الأكثرية لكنهم يفتقرون إلى السلطة، ويشكل الشيعة في دولة الإمارات العربية الأكثرية، في حين أن الحاكمين هم من السنة. وكذلك - أيضاً - في عُمان، واليمن الشمالي، هناك شريحة سكانية شيعية كبيرة^{٦٨٦}.

وفي وثيقة أخرى نشرت بعنوان "استراتيجية إسرائيلية للثمانينيات". وقد نشرت الوثيقة باللغة العبرية، وتم ترجمتها إلى اللغة العربية، ومثل تقسيم العراق أحد الأفكار الرئيسية الواردة في الوثيقة المذكورة.

وجاء في هذه الوثيقة بأن:

١- العراق لا يختلف كثيراً عن جارتها، ولكن الأغلبية فيه من الشيعة والأقلية من السنة، إن (٦٥٪) من السكان ليس لهم أي تأثير على الدولة التي تشكل الفئة الحاكمة فيها (٢٠٪) إلى جانب الأقلية الكردية الكبيرة في الشمال.

٢- لولا القوة العسكرية للنظام الحاكم وأموال البترول، لما كان بالإمكان أن يختلف مستقبل العراق عن ماضي لبنان وحاضر سوريا.

٦٨٦ - (سمير جبور، تقسيم بلدان الوطن العربي إلى كيانات متنازعة. شهادة صهيونية على استراتيجية ناجزة، ٣٠/١٠/٢٠٠٧).



٣- إن بشائر الفرقة والحرب الأهلية تلوح فيها اليوم، خاصة بعد تولي الخميني الحكم، والذي يعتبر في نظر الشيعة العراقيين زعيمهم الحقيقي وليس صدام حسين.

٤- إن العراق الغنية بالبتروول، والتي تكثر فيها الفرقة والعداء الداخلي، هي المرشح التالي لتحقيق أهداف إسرائيل.

٥- إن تفتيت العراق هو أهم بكثير من تفتيت سوريا؛ وذلك لأن العراق أقوى من سوريا.

٦- إن في قوة العراق خطورة على إسرائيل في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أية دولة أخرى.

٧- وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق إلى مقاطعات إقليمية طائفية كما حدث في سوريا في العصر العثماني.

٨- وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات (أو أكثر) حول المدن العراقية: دولة في البصرة، ودولة في بغداد، ودولة في الموصل، بينما تنفصل المنطقة الشيعية في الجنوب عن الشمال السني الكردي في معظمه.

أما لبنان فإنه مقسم ومنهار اقتصاديا لكونه ليس به سلطة موحدة، بل خمس سلطات سيادية: (مسيحية في الشمال تؤيدها سوريا، وتزعّمها أسرة فرنجية، وفي الشرق منطقة احتلال سوري مباشر، وفي الوسط دولة مسيحية تسيطر عليها الكتائب، وإلى الجنوب منها وحتى نهر الليطاني دولة لمنظمة التحرير الفلسطينية هي في معظمها من الفلسطينيين، ثم دولة الرائد سعد حداد من المسيحيين، وحوالي نصف مليون من الشيعة).

أما ما يتعلق بالسعودية والخليج:

١- إن جميع إمارات الخليج - وكذلك السعودية - قائمة على بناء هش ليس فيه سوى البتروول.



٢- وفي البحرين يشكل الشيعة نسبة كبيرة من السكان ولكن لا نفوذ لهم .
٣- وفي دولة الإمارات العربية المتحدة يشكل الشيعة أغلبية السكان .
٤- وكذلك الحال في عمان .
٥- وفي اليمن الشمالية، وكذلك في جنوب اليمن، توجد أقلية شيعية كبيرة .

٦- وأما في الكويت فإن الكويتيين يشكلون ربع السكان فقط .
٧- إن دول الخليج والسعودية وليبيا تعد أكبر مستودع في العالم للبترو
للمال، ولكن المستفيد من كل هذا هي أقليات محدودة لا تستند إلى قاعدة عريضة
وأمن داخلي، وحتى الجيش ليس باستطاعته أن يضمن لها البقاء .

٨- إن شبه الجزيرة العربية بكاملها يمكن أن تكون خير مثال للانهايار
والتفكك كنتيجة لضغوط من الداخل ومن الخارج، وهذا الأمر في مجمله ليس
بمستحيل على الأخص بالنسبة للسعودية، سواء دام الرخاء الاقتصادي المترتب على
البترو أو قل في المدى القريب . إن الفوضى والانهايار الداخلي هي أمور حتمية
وطبيعية على ضوء تكوين الدولة القائمة على غير أساس^{٦٨٧} . وفي ضوء ما تقدم
فإن معرفة إيران الآن بأن أمريكا قوية ومهيمنة عالميا يجعل نخب الشوفينية الفارسية
الحاكمة في النهاية تفهم أن تحقيق أهدافها كلها غير ممكن، لذلك ستقبل بحصة
تقررها موازين القوى، تستقطع من المنطقة خصوصا في العراق والخليج والجزيرة
العربية، مقابل أن تؤدي إيران دور الشرطي الصديق لإسرائيل وأمريكا في المنطقة .
وهذا يتطلب تغيير الوجه الحاكم في إيران، بطرق سلمية - على الأرجح -

٦٨٧ - (الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية . المصدر الذي أخذت منه وهو " ملف محدود
التوزيع " صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة ١٩٨٣ تحت عنوان "
تطور العقيدة الإسرائيلية العسكرية خلال ٣٥ عاما " من إعداد سمير جبور، وإشراف
محمود سويدان، ونشرت نفس الوثيقة في كتاب: النزاعات الأهلية العربية: العوامل
الداخلية والخارجية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٥٢ - ١٨٥).



لتسهيل تحقيق هذا الهدف، وهنا يكمن سر اعتبار إيران خصماً يمكن حل المشاكل معه بالحوار والضغط وليس بالحرب.

وإذا أردنا أن نعرف هل يوجد تناقض رئيسي بين المشروع الاستعماري الأمريكي والمشروع القومي الخميني، فإننا يجب أن ننظر للحاضر لنستطيع تقديم جواب مقنع، وعلى الرغم من الصراع بين أمريكا وإيران وإسرائيل إلا أنها اتفقت على أن إيران ليست هدفاً معادياً لأمريكا بالأصل، بل هي - حسب رؤية أمريكا - دولة كبرى في المنطقة التي تعدها أمريكا ضمن نطاق أمنها القومي - أي الخليج العربي حسب مبدأ كارتر، وإنما هي مهمة بالنسبة للأمن القومي الأمريكي من زاوية محددة: وهي أن قربها قد ينشيء خلافات قد تكون مهمة جداً أحياناً، ولكنها - على وجه العموم - من النوع الذي يمكن السيطرة عليه وحله بالوسائل غير الحربية أو بالضغط العسكري لمصلحة الطرفين. من هنا فإن المشروع الإيراني لا يشكل تهديداً رئيسياً للمشروع الاستعماري الأمريكي، بل هو مشروع متعاون ومتلاق في الأهداف، وفي تحديد العدو لكل منهما وهو العراق والأمة العربية.

إذن فإن إيران سواء كانت تحت ظل الشاه أو الخميني فهي لا تشكل خطراً أساسياً على الغرب والصهيونية، وإنما ثمة خلافات موجودة بينهم كما يحصل بين كل الدول، وهي خلافات تختلف تماماً عن التناقضات التي توجد مع العراق قبل الغزو وبعده.

من هنا نلاحظ أن الغرب وإسرائيل لم تلجأ إلى القوة ضد إيران، رغم أنها تتحدى العالم كله في مشروعها النووي^{٦٨٨}، وفي استخدام أذرعها العربية

٦٨٨ - (أكدت إيران مراراً ولا تزال تؤكد على أن برنامجها النووي مقتصر على الأغراض السلمية، وعلى عدم مخالفتها معاهدة انتشار الأسلحة النووية، وقد وقّعت في الحادي والعشرين من تشرين أول ٢٠٠٣ مع كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا على اتفاقية وقف تخصيب اليورانيوم، وعلى البروتوكول الملحق بمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، وهو ما يمكن الوكالة الدولية للطاقة الذرية من القيام بعملية التفتيش على منشآت إيران=



للضغط على الغرب لعقد مساومات معها حول تقاسم المنطقة والعراق بالذات . وهذا الأمر يثير الدهشة والاستغراب فهل توجد لأمريكا وإسرائيل مصلحة مشتركة لسيطرة إيرانية على العراق؟ نقول نعم؛ لأن العراق - وفق الرؤية التلمودية - هو مصدر الشرور السابقة والقادمة، ووجود العراق تحت السيادة الإيرانية سيكبح جماح الخطر القادم من الشرق الذي كان يتزعمه العراق، ولكن المحور الشيطاني المكون من أمريكا (الموجودة في الوسط) وإسرائيل (الموجودة في الشمال والمتحالفة مع الحزبين الكرديين ومع إيران في نفس الوقت) وإيران (التي تتواجد في كل العراق) - في مستنقع كبير بسبب المقاومة الوطنية العراقية، والتي وضعت الأطراف الثلاثة في مصيدة تهدد بنسف مشروع القرن الأمريكي والإيراني والإسرائيلي معا^{٦٨٩}.

إن فشل الجميع في القضاء على المقاومة العراقية قد أكد أن أمريكا - كما وصفها رفسنجاني - "نمر جريح"^{٦٩٠}، ويترتب على ذلك أن إسرائيل التي تحميها أمريكا وتتواجد - أي إسرائيل - في العراق سوف تعزز نفوذها - أيضا - هناك . وحسب وجهة نظر إيران فهي وحدها التي تستطيع إنقاذ أمريكا في العراق عن طريق ضمان عدم انخراط الشيعة هناك في مقاومة الاحتلال الأمريكي على أقل تقدير .

=النووية، غير أن إيران تمكّنت من كسب المزيد من الوقت لتعلن في السابع والعشرين من تموز ٢٠٠٤ استئنافها عمليات تخصيب اليورانيوم وتصنيع أنابيب الوقود النووي الخاصة بالتخصيب في الوقت ذاته، وقد صاحب إعلانها تحذير بارد شديد على أيّ هجوم استباقي على منشآتها النووية إسرائيلية كان أم غيره - كما عبّر وزير الدفاع الإيراني السابق في الثلاثين من تموز ٢٠٠٤، وترى الولايات المتحدة أن إيران غير ملتزمة بتعهداتها التي قطعتها على نفسها في وقف تخصيب اليورانيوم).

٦٨٩ - (حازم السعيد، أمريكا - إيران - إسرائيل: التحالف ضد العراق، العالم، العدد

٩٨، نوفمبر ٢٠٠٦، ص ١١).

٦٩٠ - (جريدة كيهان، ١٦/٨/٢٠٠٧).



ومن هنا فإن الانسحاب من العراق مرتبط بالتعاون الأمريكي الإيراني والإسرائيلي، لكن إيران رتبت ملفاتها حسب الأولويات، لجني المكاسب من خلال التسويات التي ستصل لها من خلال مداخل الأزمات الإقليمية الموجودة في المنطقة^{٦٩١}.

إذن من السهل التوصل إلى استنتاج مركزي وجوهري، وهو أن الصراع بين إيران من جهة، وأمريكا وإسرائيل من جهة ثانية، هو صراع تقاسم مكاسب والحصول على نفوذ، وليس صراع وجود كما هو حال صراع العرب مع الطرفين المذكورين. والآن تبسط إيران سلطتها في العراق على حساب النفوذ الأمريكي، وأمريكا لا تجد مخارج مشرفة، وأقلها إذلالا هو تقديم قطعة من كعكة الخليج والعراق لإيران. كما أن أمريكا تستفيد من إيران في إشعال حروب قادمة بين المسلمين أنفسهم - خصوصا العرب - عن طريق زرع وتنمية فتنة طائفية في الأقطار العربية لن تستفيد منها إلا إيران وأمريكا وإسرائيل^{٦٩٢}.

ولكن السؤال الأبرز هو: لماذا لا يتعارض المشروع الإيراني مع المشروعين الإسرائيلي والأمريكي؟ إن المشروع الإيراني - إضافة إلى ما ذكر سابقا - لا يتناقض جذريا مع المشروعين الآخرين، حتى وإن كان يختلف معهما حول مواقع النفوذ وحدودها؛ فالمشروع الإيراني - سواء كان قوميا آريا كما كان أيام الشاه، أو كان فارسيا يتظاهر باسم الإسلام الشيعي - لا يتناقض من حيث الجوهر مع المشروعين الأمريكي والإسرائيلي، بل على العكس من ذلك تماما، فهذه المشاريع تتلاقى مع هدف مشترك، وهو منع قيام كيان عربي سني موحدا، وإبقاء العرب السنة مجزأين وضعفاء خاضعين للدول التي تنفذ أحلامها الإمبراطورية على أنقاض هذه الدول، ومآسي أزماتها.

٦٩١ - (نبيل العتوم، العلاقات العربية الإيرانية في عهد الرئيس نجاد، جريدة الديار، ٤/١٥/٢٠٠٧).

٦٩٢ - (المختار صلاح، بروتوكولات حكماء صهيون: هل توجد بروتوكولات حكماء الفرس؟ موقع البصرة الإلكتروني).



تأسيساً على ما سبق فإن المصالح الإيرانية تتلخص بإيجاد متكاً مذهبي يحمي تواجدنا الأمن في العتبات الشيعية المقدسة - فإيران دولة لن تخرج من شرنقتها الشيعية - كما يحمي أوراق القوة الضاغطة على دول الجوار العربي، ويعطيها امتيازات للمساومة السياسية مع الدول الغربية ذات المصالح في العراق وغيره من أقطار الخليج العربي وإماراته، فإن المصالح الأمريكية واضحة خاصة في أبعادها الاستراتيجية، وعلى وقع استمرار ذلك التوافق في المصالح الأمريكية والإيرانية تستمر العلاقة في حدود سقفها وحدها الأعلى، وهو أن تكون المعادلة التي تحكم ذلك الصراع - تجاوزاً - مكسباً، مع محاولات الولايات المتحدة المستمرة لخفض سقف التوقعات وحتى الطموحات الإيرانية للدور الذي يمكن أن تلعبه في تلك الدائرة الواسعة لما تسميه الولايات المتحدة الأمريكية - عرفاً - بالشرق الأوسط الكبير^{٦٩٣}.

أما إيران "دولة القلب المذهبي" فقد استفادت من المعطيات الجديدة على الساحتين الإقليمية والدولية؛ فعلى الصعيد الدولي غرقت أمريكا في المستنقع العراقي، وارتفعت موازنة دفاعها من (٤٤٦) مليار دولار في العام ٢٠٠٠ إلى (٩٤٦) مليار دولار بعد احتلال العراق، وأصبحت الآلة العسكرية عبئاً على الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني كساداً وتضخماً كبيراً^{٦٩٤}، في حين فقد الرئيس الأمريكي شعبيته، حيث وصلت هذه الشعبية إلى الحضيض؛ إذ قدرت استطلاعات الرأي العام شعبية بوش بأدنى مستوياتها، فوصلت إلى معدل قياسي بلغ (٤٤٪)، الأمر الذي انعكس بدوره على شعبية الحزب الجمهوري الحاكم الذي مني بأكبر تدني لشعبيته في تاريخه الحديث، وكان ذلك بسبب الأزمة العراقية بالدرجة الأولى، حيث تصاعدت المطالبات الشعبية المنددة بسياسة الرئيس بوش،

٦٩٣ - (محمد أبو رمان، التشيع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله: جدل الديني والسياسي ١ - ٢، مرجع سابق).

٦٩٤ - (أحمد عزيز، أثر حرب العراق على الاقتصاد الأمريكي، مجلة دراسات، العدد ٢٣٧، أيلول ٢٠٠٦، ص ٦١).



وطالبته بانسحاب فوري للقوات الأمريكية من العراق، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قن الكونغرس المخصصات المالية لدعم العمليات الحربية في العراق^{٦٩٥}. ولكن كيف تستثمر إيران ظروف الإدارة الأمريكية لبناء إمبراطوريتها الشيعية؟ وماذا لو فرضنا على أسوأ احتمال أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بشن عملية عسكرية ضد إيران - على الرغم من أننا نستبعداها في الظرف الراهن؟ نستطيع القول بأن هناك اليوم في العراق ما يزيد عن (١٠٠) ألف جندي أمريكي، وهؤلاء - كما وصفهم رفسنجاني - الرهائن المحتجزون^{٦٩٦}، وهذا جعل الإدارة الأمريكية في حالة تهديد مباشر وحقيقي؛ حيث يمكن أن يتحول كل هؤلاء فعلاً إلى أهداف سهلة للضربة الإيرانية وللعناصر الموالية لإيران داخل العراق في حالة نشوب مواجهة عسكرية محتملة، كما أن مجرد انشغال كل هذا العدد من القوات الأمريكية في العراق لن يُتيح القدرة للإدارة الأمريكية أن تناور بباقي قواتها^{٦٩٧}؛ فإيران أكبر مساحة من العراق^{٦٩٨}، وقد تحتاج الإدارة الأمريكية إلى خمسة أضعاف جنودها في العراق للقيام بمغامرة من هذا النوع، على اعتبار أن قواتها ستكون

٦٩٥ - (جون إدوارد، سياسة الرئيس بوش تجاه العراق: سياسة تعظيم الأخطاء، جريدة الرأي، ٢٠٠٦/١١/١٩).

٦٩٦ - (جريدة اطلاعات، ٢٦/٩/٢٠٠٥).

٦٩٧ - (شريف بلقاسم نافع، الفرس واليهود وبنو الأصفر يعاودون اقتسام الكعكة، مفكرة الإسلام، ١٤٢٧/٦/٢٧، ص ٣ - ٤).

٦٩٨ - (تبلغ مساحة إيران ٦٤٨١٩٥ كم، وهي تعادل ١١,٧ من مساحة الدول العربية، و١,٣ من مساحة العالم، وهي الدول السادسة عشرة من حيث الترتيب عالمياً، والثالثة في قارة آسيا بعد إندونيسيا والسعودية. ووفق المعايير الدولية المتعلقة بتصنيف الدول، تعتبر إيران من الدول ذات الكيان الكبير من حيث المساحة وحجم الموارد البشرية والاقتصادية، وبالتالي فإن سلوك السياسة الخارجية الإيرانية يشكل معياراً مهماً في تحديد هذا الحجم من حيث المشاركة الفاعلة في الشؤون الإقليمية والدولية، ومستويات عالية من العلاقات التي تربطها بالدول الأخرى، وهامش مُتسع من الاهتمام بنشاطات السياسة الخارجية والمشاركة الفاعلة في المؤسسات الدولية).



موزعة بين العراق وإيران. أمام كل هذه المعطيات فإن الخيارات الأمريكية تبدو محدودة تجاه إيران وبرنامجها النووي، وهي تحاول الضغط عليها ظاهرياً بوسائل وطرق مختلفة لرفع سقف المساومة، وتحسين شروط الحوار.

فالمشروع الإيراني وإن كانت لهم مطامع ونفوذ في العراق والخليج العربي تمهيداً لبناء الحكم الإمبراطوري الشيعي، إلا أنه يقبل - مؤقتاً - بحصة صغيرة من هذه المنطقة مقابل دعمه وتعاونه مع الغرب وإسرائيل - مبدئياً - تمهيداً لتحقيق أهدافه الكبرى، والأخيران لا يمانعان - من حيث المبدأ - إعطاء إيران حصة مقابل دعمها للمشروعين الأمريكي والإسرائيلي.

من هنا بدأت تتكشف وتخرج إلى العلن أسباب وأهداف الشراكة بين إيران الثورة الشيعية اليوم والإدارة الأمريكية، فالمساحة المشرقية - وليست العراقية وحدها - كأنما أضحت مكشوفة ومفتوحة لعقد الصفقات المشبوهة على حساب شعوب المنطقة، وهناك من يجزم بأن ما تريده إيران بات واضحاً كل الوضوح: تطالب غريمها - صديقها بوش - بإعطائها حق الوصاية الفعلية الشاملة على العراق في إعادة ترتيب أوضاعه كلها ما إن يتم الانسحاب الأمريكي العسكري منه، كأنما المسألة ليست سوى عملية إبدال الاحتلال الأجنبي بوصاية الجار الأمين. فلا يتعلق الأمر بالفراغ الأمني وحده، ومن سيملاه بعد أن يخلفه وراءه الانسحاب الأمريكي المحتوم. بل ماذا عن الفراغ الآخر الأدهى الأيديولوجي الذي يرى أتباع الخمينية أنهم أمسوا المسؤولين عن تغطيته في مواجهة الإسلام السني، وهناك مشكلات كثيرة لا زالت مستعصية، أهمها بالنسبة للعلاقة الأمريكية الإيرانية لا تزال هي القضية النووية^{٦٩٩}.

ومن خلال التحليل السابق تتضح الأهداف المتعلقة بالحلم الإمبراطوري الشيعي، وأدوات تنفيذه، بهدف تنشيط حركة الشيعة إلى دول المجال الحيوي

٦٩٩ - (مطاع صفدي، إيران بين الممانعة والصفقة، القدس العربي، ٢٠٠٧/٦/٤)



لإيران، وتوجيه شيعة الشتات الجدد بصورة منهجية ومخططة نحو مشروعات ذات أبعاد اقتصادية وعلمية واجتماعية تساعد على سرعة دمجهم في المجتمعات التي ينضون تحت لوائها، وبما يساهم في تنفيذ خطط التنمية ودعم المشروع الشيعي، ويعوض الفجوة البشرية بين دولة القلب المذهبي إيران وبين الدول العربية بتفوق نوعي، هذا مع السعي إلى إعادة إنشاء حركة شيعية شعبية في الخارج تؤمن استعادة المضامين الروحية للمذهب الشيعي، والتي تآكلت بفعل انغماس شيعة الشتات في المجتمعات الأخرى، وإعادة ربطهم بدولة القلب المذهبي الأم بصور وأساليب مذهبية مختلفة، إضافة إلى تنشيط مناهج وطرق توجيه وتنظيم شيعة الشتات ٧٠٠.

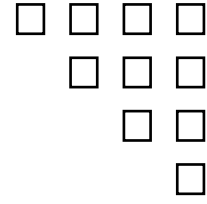
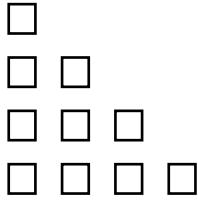


٧٠٠ - (هذا الأمر يتضح من خلال المخططات الشيعية التي صدرت بعد نجاح الثورة الإسلامية، وجميع هذا المخططات وضعت كملاحق للدراسة).



الفصل الخامس

الإمبراطورية الشيعية الموعودة بين إشكاليات الواقع وآفاق المستقبل



المبحث الأول

دولة الحلم الإمبراطوري بين إستراتيجية التطبيق وآليات المواجهة



وضعت إيران العديد من الاستراتيجيات بهدف تنفيذ فكرة الحلم الإمبراطوري الشيعي، حيث ابتكرت جملة من السياسات والمخططات لتنفيذ الغايات والأهداف القومية للإمبراطورية الشيعية الموعودة على المدى الطويل عبر ثلاثة مسارات فرعية عكست السلوك الخارجي الإيراني الطامح للهيمنة والنفوذ، وهي تتمثل بما يلي:

أولاً: إستراتيجية لبننة المنطقة، وخلق الكيانات الشيعية تمهيداً لبلقنة المنطقة (سيناريو المذهبة): وهو يستهدف تكريس حالة التفتت والتجزئة الحالية للعالم العربي وتعميقها نحو مزيد من تفتت الدول العربية الخليجية، أولاً إلى جيوب ومناطق نفوذ وكانتونات صغيرة على أسس مذهبية، وذلك باستغلال مشاكل الأقليات الشيعية المنتشرة في دول الخليج العربية، والتي تدعو للاتحاق بدولة القلب المذهبي إيران التي تشكل القومية (الأم) بالنسبة للشيعية^{٧٠١}، إذاً فإيران

٧٠١ - (تصريحات رئيس تحرير جريدة كيهان الإيرانية حسين شريعت مداري وأحد المقربين من الرئيس أحمددي نجاد الذي دعا إلى عودة البحرين إلى إيران، هذا=

تسعى في هذه المرحلة إلى إقامة "كومنويلث شيوعي" تكون فيه إيران القوة الإقليمية العظمى، والتي تدور في فلكها دويلات عربية ضعيفة مقسمة على أسس مذهبية، كما نجد لهذا المخطط أساسا في شيعة حاكمة على العالم العربي السني، وتترجم هذه السياسات على الأرض من خلال سياسات إيران الدموية من خلال الأزمات الموجودة في العالم العربي خاصة في العراق، والتي تجد هذه الدعوة جيشا من مثقفي الشيعة العراقيين الذين يبثون سمومهم من خلال دراسات تكتب للمراكز البحثية الغربية القريبة من مواقع صنع القرار في أوروبا والولايات المتحدة. ومما لفت نظرنا دراسة لباحث شيوعي عراقي يضع سيناريو لكيفية تقسيم العراق، حيث ترجمت هذه الدراسة إلى اللغة الفارسية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية، ومما أثار الاستغراب والتساؤل هو: لماذا أعطيت هذه الدراسة المشبوهة هذا الاهتمام الكبير؟ وما هي أسباب وأهداف ذلك؟ وهل يتم تطبيقها الآن؟ وما هي الدوافع الكامنة وراء هذا السيناريو؟ ولمصلحة من يتم هذا الأمر؟ لا بد في البداية من تناول القضايا والمسائل التي ركزت عليها هذه الدراسة، إن الكاتب يتناول آلية وكيفية إقامة دولة شيوعية من خلال اتحاد محافظات الشيعة، وإقصاء السنة على اعتبار أنهم أقلية. ويدعم الكاتب قوله بعدة أسباب لذلك، على اعتبار أن هذا القرن سيكون قرن حروب، ولكن من شكل جديد تتمثل بالحرب من أجل الحصول على الماء^{٧٠٢}.

=بالإضافة إلى استغلال إيران للخلافات المذهبية والطائفية وتغذيتها بإثارة النزعات الانفصالية التي تؤدي إلى حروب أهلية، وأبرز الأمثلة على الدور الذي تلعبه إيران في هذا الخصوص: الأزمة العراقية، اللبنانية، البحرين، محاولة النفوذ إلى المنطقة الشرقية في السعودية، ومحاولات الفتنة في اليمن " ثورة الحوثيين المدعوم من إيران " .

٧٠٢ - (لاحظ أن ما يطرحه الكاتب هو أشبه بدوافع التوسع الفارسي، والذي كانت أهم أسبابه التوجه شرقا أي نحو العراق بهدف الحصول على المياه. وقد ناقشنا هذا الموضوع سابقا بشكل مفصل).



ولذا سوف يشهد العراق أول تلك الحروب، ويعتبر هذا الكاتب أن البيان المنسوب إلى هيئة علماء السنة وإعلانهم عن استخدام الماء كوسيلة معادية يعني فيما يعني إعلان الحرب على الشيعة في نظره، الأمر الذي يستدعي اتباع استراتيجية جديدة، ويعلل الكاتب هذا الأمر من خلال بيان صادر عن هيئة علماء المسلمين بمناسبة الذكرى الثالثة لاحتلال العراق، ويجد أن هذا البيان يشكل الذريعة لاستباق حسم موضوع الدولة الشيعية، وإقصاء السنة من اللعبة السياسية.

وفي مجال الموارد يعتبر الكاتب أن بيان هيئة علماء المسلمين من الأمور التي ينبغي أن تعجل في السيناريو التقسيمي للعراق، ويورد الكاتب ما يلي: (. . . أما الأرض التي يعيش عليها العراقيون فهي الأخرى لا تقبل التجزئة؛ فالثروات موزعة في كل أنحاء العراق، فإذا كان النفط في الجنوب - مثلاً - فالماء في الوسط والشمال، ويمكن حسبه حتى يُبادل برميل من النفط ببرميل من الماء، ويمكن أن ينفرد عقده فيغرق الجنوب كله، وإذا كان الشمال يملك الطبيعة الخلابة فلا قيمة لهذه الطبيعة ما لم تحظ بأمن جيرانها وتفتح لها المسالك لحركة السياحة والتجارة وهكذا). وعندما راجعنا بيان الهيئة اتضح لدينا أن الكاتب قد أضاف بعض العبارات العنصرية والكاذبة من عنده، وربطها بأحداث مذهبية لتبرير إبادة أهل السنة^{٧٠٣} ولتسويق مشروع الشيعة الطموح للانفصال تمهيدا لتكوين امتداد لإمبراطورية شيعية تابعة لدولة ولي الفقيه في إيران.

ويضيف كاتب هذه الدراسة الخطيرة قائلاً: " إن دعاة مقايضة الماء بالنفط بطرحهم هذا إنما يجبرون الشيعة على العمل بخيار الاستقلال الذي طالما طالبنا العمل به، وإقامة دولتهم العتيدة على أراضيهم التاريخية التي بات من اللازم التثقيف عليها وإعلانها شاء من شاء أو أبى من أبى، فالتهديد بقطع الماء، والتلويح باستخدامه كسلاح هو منهج متأصل لدى السنة، فقد فعلوها مرات ومرات،

٧٠٣ - (بيان هيئة علماء المسلمين في العراق، ٢٠٠٦/٣/٣ لاندري مدى صحة هذا البيان الذي يعتمد عليه الكاتب).



والتاريخ يشهد على ذلك؛ فقد قطع أسلافهم (أهل السنة والجماعة) الماء عن أجداد أهل الجنوب الشيعة مرات عديدة أشهرها في معركة الطف يوم مات الحسين ابن بنت رسول الله وأهل بيته وشيعته بما فيهم الأطفال الرضع عطاشاً، وأما التهديد بإغراق مدن الشيعة فقد عانى منه أهل الوسط والجنوب على مر العصور، وهو ديدن القوم السنة، وما زالت كتب التاريخ تحدثنا كيف أن المتوكل العباسي ومن قبله الرشيد فتحوا الماء على قبر الحسين ليغرقوه فحار عنه الماء، ومن هنا راحت أرض الحسين توصف بالخائر، والسؤال هو كيف يستطيع الشيعة تلافي وقوع هذا السيناريو الخبيث؟ الحل - في نظر هذا الكاتب - يكمن في تحديد جغرافية الدولة الشيعية، بكلمة أخرى بإعلان الشيعة صراحة سيادتهم على أراضيهم التاريخية دون حياء أو موارد، ومن ثم تم تناول معالم تلك الدولة وشكل نظامها السياسي، وما زلنا نُردد إذا لم ينجز الشيعة عاجلاً تحديد جغرافية أراضيهم فإنهم مأخوذون لا ريب، ووقتها حددنا تلك الجغرافية من سامراء إلى الفاو، وهذا ما يُعرف بالعراق التاريخي أو العراق الشيعي على حد تعبير عالم الاجتماع حنا بطاطو، اعتماداً على ما جاء في كتاب الخوارزمي الذي كان أول من رسم تلك الخارطة. ويتوسل الكاتب بدلائل تاريخية وجغرافية ما أنزل الله بها من سلطان، ويصل إلى نتائج خطيرة تتمثل بمطالبة شيعة العراق بالتوسع باتجاه حقهم التاريخي والمذهبي حفاظاً على إرثهم المذهبي، ويضيف الكاتب: ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر نقول إن الخارطة الإدارية للعراق الحالي مرت بعدة مراحل. ونحن بدورنا ننقلها كما هي نظراً لخطورة ما يطرحه الكاتب من أفكار ورؤى، خاصة أنه يتم تبنيها بحذافيرها الآن من جانب ساسة العراق الذين نصبتهم دولة الحلم الإمبراطوري "إيران".

- المرحلة الأولى: وهي مرحلة العهد الملكي أو العهد الإنكشاري الأول، حيث تتجسد المساحة الجغرافية الطبيعية لكل إقليم أو ولاية من ولايات العراق آنذاك، حيث تمتد جغرافية شيعة العراق من سامراء إلى الفاو، وتستمر هذه



الحدود اعتماد هذا التصور حتى في العهد القاسمي، إذ لم تتلاعب حكومة الزعيم قاسم بتلك الحدود إلى أن بدأت المرحلة الثانية، وهي مرحلة الحكم العارفي أو العهد الإنكشاري الثاني، حيث بدأ التلاعب بتلك الحدود لدوافع طائفية محضة، وهو ما يُمكن تسميته بالطائفية الجغرافية؛ إذ عمد عبد السلام عارف إلى توسيع رقعة الجغرافية السنية على حساب الأرض الشيعية، حيث بدأت الخارطة العراقية تشهد توسع أراضي السنة، يومها ظهرت الرمادي بمساحة ضعف مساحتها الأصلية في العهد الملكي، والرمادي هي عاصمة محافظة الأنبار، حيث ولد عبد السلام عارف الجميلي في إحدى قرأها النائية والغائرة في عمق الصحراء المنسية.

بعد ذلك بدأت المرحلة الثالثة حيث حكم البكر - أو العهد الإنكشاري الثالث- الذي لم يتردد في الاستمرار بمنهج الطائفية الجغرافية الذي وضعه سلفه عارف، حيث شهدت هذه المرحلة ولادة ما يُسمى بمحافظة صلاح الدين، والتي عاصمتها تكريت، فابتلعت هذه سامراء، وقضمت جزءاً من بغداد. وسبب ظهور هذه المحافظة على الخريطة يعود لكون البكر من مواليد تكريت، وفي نفس الوقت تمددت الأنبار أكثر لتتضمم هي الأخرى أجزاء من بغداد ومن مدينة كربلاء، ولتبتلع ثلثي مساحة بحيرة الرزازة، في محاولة مكشوفة للسيطرة على مصادر المياه، وحرمان الشيعة منها أيضاً.

غير أن الطامة الكبرى- حسب زعم الكاتب- وقعت في المرحلة الرابعة، والتي ابتدأت رسمياً في العهد الصدامي، حينها تمددت الأنبار جنوباً في عمق الأراضي الشيعية لتتضمم ما تبقى من الصحراء الشمالية والجنوبية التي تمتد من النجف الأشرف وحتى السماوة، ولتصبح مساحتها وحدها ثلث مساحة العراق تقريباً، وتوسعت صلاح الدين حتى وصلت حدودها إلى تخوم كركوك، حيث أُلحقت بعض الأراضي الشيعية - كقضاء طوزخورماتو - بصلاح الدين.

ويصل الكاتب إلى نتيجة مؤداها أن الأنظمة السنية المحتلة التي تعاقبت على حكم العراق أمعنّت في تطبيق منهج الطائفية الجغرافية بحق الشيعة إلى حد



التطرف، وقد قرنت هذه السياسة بطائفية اقتصادية، وبذلك نجحت إلى حد كبير في تقويض كل مقومات الدولة الشيعية، ووضعت الشيعة بين فكي كماشة، هما: الطائفية الجغرافية، والطائفية الاقتصادية. والتي تمثلت بسياسة التأميم التي طبقت في العهد العراقي الأول تحت يافطة الاستعداد للاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، وضربت هذه السياسة اقتصاد الشيعة بالصميم.

كل ذلك من أجل إفراغ الشيعة من مصادر القوة المالية والاقتصادية والجغرافية، حيث لا يمكن تفسير الطائفية الجغرافية التي اتبعت ضد الجغرافية الشيعية إلا من منطلق عقدة الأقلية التي يعاني منها السنة في العراق، فهم - ولأجل التخلص من هذه العقدة - راحوا يحتلون أراضي الشيعة والأكراد من أجل مقايضة المساحة الجغرافية بالكثرة السكانية لكل من الشيعة والأكراد، وكأنهم كانوا يحسبون حساب اليوم الذي يزول فيه ملكهم الذي بنوه على حساب الآخرين. ويصل الكاتب إلى نتيجة أن السنة العرب يشكلون أقلية لا تتجاوز نسبتهم الـ (١٢) بالمئة.

كيف الخروج من هذا المأزق الذي يواجه الشيعة في نظر الكاتب؟ يجب قائلاً: أعتقد أنه يتحتم على شيعة العراق - باعتبارهم الأكثرية البرلمانية - تشريع قانون يلغي التغييرات التي حصلت في الخارطة الإدارية للعراق أيام الاحتلال السني الإنكشاري، ويلزم الجميع باعتماد خارطة الزعيم قاسم هذا أولاً. وستكون مناطق بوفر زون للشيعنة التركمان، حيث ستكون هذه المناطق تابعة سياسياً للدولة الشيعية.

بهدف وضع حجر الأساس لدولة شيعة العراق المرتقبة، وذلك بالإسراع في تشكيل فيدرالية الوسط والجنوب، بالإضافة إلى فيدرالية بغداد والتي سوف تبقى للأبد عاصمة الدولة الشيعية هذا ثانياً، كذلك إزالة الجيوب والمستوطنات السنية التي تحاصر بغداد، والتي جيء بها ضمن سياسة الاستيطان التي اتبعتها الأنظمة السنية المحتلة؛ لتطويق بغداد بحزام سني، وللفصل بين الأراضي الشيعية وبغداد،



وتقطيع الجسد الشيعي الواحد، كما فعلت إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة هذا ثالثاً.

وبهذه الطريقة يكون الشيعة أبعداً عن أنفسهم شبح حرب المياه؛ حيث سيكون القسم الأكبر من نهري دجلة والفرات يمر عبر أراضيهم وفي أراضي حلفائهم الاستراتيجيين الأكراد، وبذلك يكونون قد أسقطوا ورقة المياه من أيدي متطرفي السنة التي أرادوا اللعب بها ضد الشيعة، فالماء مأوئنا، والنفط نفطنا، وللآخرين رمل الصحراء، إنها قسمة السماء^{٧٠٤}.

ويجتهد مُنظرو الدولة الشيعية -الآخرون- في الحديث والتحليل حول الدولة الشيعية مقوماتها، وأهدافها الحقيقية، فثقافة الكيانية الشيعية "الإمبراطورية الشيعية" - حسب رؤيتهم - يجب أن تتواصل مع الكيان الشيعي ككل بهدف بناء الوحدة الكيانية الواحدة (الإمبراطورية الشيعية)، ككيان يُريد تحقيق وجوده الاجتماعي والاقتصادي والحقوقى، فليست ثقافة للتطرف الفكري، وليست ثقافة تشييق وتفصيل عقائدين، بل ثقافة حقوق مهضومة، على مستوى البيان والمطالبة والتحصيل والتحقيق، فالشيعة بحاجة إلى ثقافة نظام يُنسق المسؤولية والحركة بين العناصر الكيانية، بين المرجعية والأحزاب والجمعيات والشخصيات الشيعية، الشيعة بحاجة إلى ثقافة قوة، قوة اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية، قوة تمارس دورها الفاعل في بناء الوطن، وتمتين النسيج الاجتماعي، ثقافة تأصيل للذات الشيعية في الحياة، تأصيلها لمقاومة تزويرها وتضييعها وتشريدتها، تأصيلها في مواجهة تلك المحاولات المشبوهة التي تهدف إلى إخراجها من دائرة العقيدة والتاريخ والوطنية، ومواجهة سياسة الحذف الثقافية المذهبية المفصلة ليست من شأن الكيانية الشيعية، تلك من شأن الجهد الشخصي، بل إن الإغراق في التفصيل

٧٠٤ - (محمد حسن الموسوي، الماء مقابل النفط: بداية إعلان دولة شيعة العراق، دراسة منشورة على الموقع الإلكتروني للكاتب، وقد استدلّت بها بعض الدراسات الغربية بعد ترجمتها).



العقدي قد يلهينا عن مواجهة المصير والهدف الكلي، مصير حياتنا ومستقبلنا كبشر، وتلك حقيقة يشهد لها التاريخ، فالثقافة العقدية في الكيانية الشيعية لا تعدو الخطوط العريضة، الخطوط الكليّة، التي يتميز بها المذهب الجعفري، وليس لها شأن في تلكم التفاصيل النظرية.

فالثقافة التاريخية مهمة على هذا الصعيد، ولكن بمقدار خدمتها للأهداف العينية، الأهداف التي تتجسّد في توكيد الكيان الشيعي كحقيقة بشرية نظامية قوية على كافة الأصعدة، إنّ التزوّد بالحقائق التاريخية التي من شأنها إبراز المظالم التي لحقت بهذا الكيان، ومن ثم دور الكيان بالذات في خدمة الإسلام والمسلمين، هذه الثقافة جزء مهم في هيكلية ثقافة الكيانية الشيعية، على شرط أن تكون في خدمة الأهداف الكبيرة، وتطهير الدم الشيعي المباح طيلة عقود بل عشرات العقود من السنين، والثأر من المجازر الجماعية، وللقبور التي تملأ الساحات منذ استشهاد الحسين وإلى هذه اللحظة، هذه ثقافة مهمة ما زالت وستبقى في العقل والموروث الشيعي، ولكن هناك فقه يتعلّق بحقوق الفرد والجماعة، فقه يتعلّق بحقوق المظلومين، فقه يتعلّق بالحقوق المسلوّبة، كل هذه الثقافة مطلوبة في بناء كيانية شيعية تسعى لتحقيق الوجود الشيعي، فإن مثل هذه الثقافة الفقهية تلهمن القوة الفكرية، تلهمن المعرفة البرهانية، نتحرك على ضوئها بصلاية، نتحرك على هديها بقوة، هي كتاب منير. كذلك فإن الثقافة السياسية من أهم ما نحتاجه في ثقافة الكيانية الشيعية، السياسية بمعنى فهم العالم وما يجري فيه، وما يستتبع الحدث من آثار، وتصويب الموقف المطلوب، هذه الثقافة هي ثقافة بنيوية حراكية، ترسم لنا كيفية التعامل مع الأحداث من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة^{٧٠٥}.

٧٠٥ - (شباب آل محمّد، نحو نظرية عمل شيعية عراقية بنية الكيانية الشيعية النظامية في خطوطها العريضة: ثقافة الكيانية الشيعية، الجزء الرابع، ص ٢ - ٣. عندما استقصينا عن مؤلف هذه الدراسة، ولماذا استعار هذا الاسم وجدنا من خلال مصادرنا البحثية والعلمية أن هذه الدراسات يشرف عليها عبدالعزيز الحكيم بنفسه، وذلك للتمهيد لإقامة الفيدرالية الشيعية بدعم إيراني منقطع النظر).



إن الكيانية الشيعية - حسب أعوان دولة القلب المذهبي "إيران" - هي طريق الشيعة - كما يقول منظروهم - إلى التحرر من الإهمال، إلى التحرر من الحذف، طريقنا إلى البناء الذاتي، إلى الارتقاء بالذات والجماعة، وهي بلا شك مطلوبة بذاتها أولاً؛ لأن القوة مصلحة، القوة تفرض احترامك، وتفرض عدم إهمالك (أنا قوي إذن أنا موجود)، وبطبيعة الحال لا نعني بالقوة هنا - فقط - السلاح المادي والرصاص والبارود، وإن كان ذلك مطلوباً في كثير من الأحيان، بل القوة النظامية المشفوعة بالتربية والعمل والفكر أيضاً، ولا نستبعد أن هيجان النظام الإقليمي ضدنا واستهانته بنا لأننا لا نملك كيانية منظمة، كيانية علمية فكرية مرنة، كيانية تقوم على التآزر والتآلف والتعاقد في سياق نظرية نظامية، وليس من شك أن الاستهتار بنا لهذا السبب بالذات. كن قويا يحترمك الآخر، إنه منطق، وقوتنا ليس في المرجعية الدينية، ولا في عددنا، ولا في تاريخنا فقط، بل إن قوتنا في نظمنا قبل كل شيء، إذن الكيانية الشيعية مطلوبة في حد ذاتها، وهي مطلوبة لغيرها، غاية ووسيلة في آن واحد، ما الهدف، ولماذا؟

أ- لأن "الشيعة" تتعرض لأزمة قيم عالمية، والفرد الشيعي لا يمكنه الحفاظ على أقل مستوى من القيم التي نؤمن بها، من دون نظام كيان يلمه ويحتضنه.

ب- الساحة العراقية ساحة صراع - لا نسخر من الحقيقة - ولا يمكننا أن نخوض حلبة الصراع بدون نظام كيان قوي يتحدى الإهمال.

ج- الذين ينادون (دولة إسلامية) من الشيعة، وهو وإن كان هدفاً خرافياً في هذه المرحلة، ولكن نعتقد أن هؤلاء يحتاجون لهذه الكيانية كمجال للحركة نحو تحقيق الهدف المذكور.

د- وحتى دعاة الحقوق الوظيفية والخدمية يحتاجون إلى الكيانية كأداة مطالبة وضغط، ضغط حسب مقتضيات الحق والعدل بطبيعة الحال.



هـ - الكيانية الشيعية سوف ترغم بعض الأنظمة الإقليمية التي تريد ابتلاعنا وتحطيمنا، سوف ترغمهم على التفاهم معنا، وترغمهم على احترامنا.
و- الكيانية الشيعة ستكون ملجأً للشيعي من الضياع العقدي والمذهبي، والضياع السياسي، والضياع الأخلاقي، والضياع الاجتماعي.
ز- والكيانية الشيعية سوف تضع حداً للمستهترين بنا، المستهترين بتاريخنا وشرفنا ونضالنا عبر التاريخ الدامي^{٧٠٦}.

لا شك بأن هذه الرؤى المختلفة لا تستهدف - فقط - تقسيم العراق؛ بل إقامة عراق شيعي بشكل كامل بعد القضاء على السنة أو تهجيرهم قسراً إلى الخارج، وهذا الأمر سوف يُمهّد إلى تكريس حالة التفتت والتجزئة الحالية للعالم العربي، وتعميقها نحو مزيد من تفتت الدول العربية الخليجية "أولاً" إلى جيوب ومناطق نفوذ، وكاتنونات مذهبية شيعية على أسس عنصرية، وهذا لن يتم إلا عن طريق استغلال أوضاع الأقليات الشيعية المنتشرة في دول الخليج العربية، حيث إن المنظرين العراقيين السابقين سوف يدعون بعد تصفية الجولة المذهبية في العراق لصالح إيران، سيدعون الجيوب الشيعية التي تشكلت إلى الالتحاق بدولة القلب المذهبي إيران التي سوف تُشكل الوطن الأم بالنسبة لشيعية الشتات.

ثانياً - استراتيجية خلخلة العلاقة بين الدول العربية، وإشغالها عن التعاطي مع الخطر الإيراني الشيعي المتعظم: وذلك بإقحام الدول العربية في صراعات جانبية مع بعضها البعض في دائرة الجوار الجغرافي الذي يمثل المجال الحيوي للحلم الإمبراطوري الشيعي الإيراني، وهذا يهدف - أيضاً - إلى جذب هذه الدول العربية ومن ورائها دول القلب العربي الفاعلة - وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية، ومصر - إلى صراعات جانبية بعيداً عن الصراع الرئيسي بين العرب

٧٠٦ - (شباب آل محمد. نحو نظرية عمل شيعية عراقية بُنية الكيانية الشيعية التنظيمية في خطوطها العريضة، الجزء الثاني، ص ٢ - ٣).



وإسرائيل، وبما يُخفف الضغط على دولة القلب المذهبي إيران حتى تتفرغ لتنفيذ مخططاتها التدميري في المنطقة. وقد وجدنا تطبيقاً لهذا المخطط من خلال التدخل الإيراني السافر في الأزمات الإقليمية العربية مثل: الأزمة الفلسطينية، الأزمة اللبنانية، الأزمة السودانية، والأزمة اليمنية، وبالتالي أشغلت الدول العربية المحورية عن التعاطي مع محيطها الخارجي، وسياسة الاستفراد مع دول عربية أخرى لتسهيل مهمة النفوذ للمنطقة العربية^{٧٠٧}.

ثالثاً - استراتيجية إعادة تكثيف الاستيطان الشيعي، وتشجيع عودة رؤوس الأموال وشيعة الشتات إلى أرض الإمبراطورية الشيعية الموعودة: ويستهدف هذا المخطط تكريس الاحتلال المذهبي الحالي للإقليم الذي يمثل المجال الحيوي لإيران، واستكمال تشييع المناطق التي يسهل بها إيجاد بيئة صالحة للتشييع، وبما يخلق أمراً واقعاً يصعب تغييره مستقبلاً، أو حتى التفاوض بشأنه. وبحيث تشكل هذه الكانتونات أو الفيدراليات أرضاً رحبة لاستيعاب مزيد من المهاجرين الشيعية، وبما يخفف وطأة المشكلة الديموغرافية التي تعاني منها إيران من خلال تعديل الميزان الشيعي في المنطقة، وخلق حافز للتدخل الإيراني بشكل أفضل حماية للشيعية مستقبلاً ضد المناطق السنية.

٧٠٧ - (لاحظ الاستفراد الإيراني ببعض دول الخليج مثل قطر، حيث تحاول قطر خلق خصوصية واضحة من خلال علاقات مميزة مع إسرائيل وإيران، لكن ميزة العلاقة مع دولة القلب المذهبي لها نكهة خاصة، ففي الوقت الذي تظهر فيه قطر علاقاتها المميزة مع إيران، إلا أن إيران تمارس عنجهية واضحة، وهذا يبرز منذ خلال عدم نجاح مساعي قطر في بناء الأنبوب الأخضر لنقل المياه من إيران إليها. تم تناول هذا الموضوع بشكل مفصل في مؤتمر العلاقات العربية الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، والذي رعته جامعة قطر في العام ١٩٩٦، كذلك محاولة تحييد دول خليجية أخرى مثل: سلطنة عمان. ومن هنا فإن الدبلوماسية لدولة القلب المذهبي تتعامل مع دول الخليج العربية ليس ككتلة واحدة بل فرادى، وهذا هو من أبرز أخطاء دول مجلس التعاون الخليجي).



ويرتبط بمخطط الاستيطان المكثف مخطط آخر هو "الترانسفير السني" والذي يسعى إلى تفريغ المناطق التي يتواجد فيها السنة العرب، وأكبر مثال على ذلك ما تقوم به إيران في العراق، حيث تُقر إيران لنفسها حق التدخل في شؤون العراق من خلال استراتيجية معقدة إزاءه، ليس بسبب الجغرافيا السياسية فحسب، بل بسبب العمق العقائدي المتمثل في وجود العتبات المقدسة والامتداد الشيعي به أيضاً، ولكنها لا تُقر أبداً - بل تناهض - أي تدخل أجنبي فيه، وتعتبره مساساً بأمنها القومي، وبمقدساتها، مهما كانت العلاقة بينها وبين الحكومة العراقية - كما صرح غلام رضا آصفي، المتحدث الرسمي الإيراني، عندما علق على فكرة التخطيط لإقامة حكومة عسكرية أمريكية في العراق - بأن من يخطط لذلك لا يعرف واقع الأمر في المنطقة^{٧٠٨}.

ومن هنا فإن إيران تتوسل بالأداة السكانية، والتي تقوم على نقل قسم من سكانها ومواردها إلى العراق للاستقرار فيه، وقد استخدم الاحتلال الإيراني في جنوب العراق مختلف أنواع العنف والإرهاب لتصفية الخصوم، وممارسة أشكال التطهير المذهبي، بدءاً من الجنوب باتجاه الوسط والشمال، بصورة منظمة ومنهجية، بهدف تحويل البلد المحتل إلى أولى المصدات المذهبية لحمايتها من الأعداء السنة داخل العراق وخارجه تمهيداً لتصفيتهم، أو تهجيرهم للخارج، وكذلك التوسل بالأداة المذهبية والاقتصادية، إذ تحاول إيران نشر الثقافة الفارسية مستفيدة من الترابط المذهبي مع الجنوب العراقي، فقامت بالاستثمار في مجال بناء الفنادق، بهدف تسهيل إقامة ضباط الاستخبارات والحرس الثوري الذين ينشطون لاستكمال مهمة استعمار العراق، وتنشيط السياحة المذهبية؛ وذلك لخلق اعتماد الشعب العراقي على الموارد القادمة من هذه السياحة، وقامت ببناء الأسواق، وإغراقها بالسلع الإيرانية، وشراء الأراضي، والبنائات الاستثمارية، وتأسيس عدد من المؤسسات الخيرية التي تعمل بدعم من مؤسسة المرشد في إيران، وإدارة

٧٠٨ - (جريدة كيهان الإيرانية، ١٥/١٠/٢٠٠٢).



مباشرة من مؤسسات الحرس الثوري، وهي على غرار المؤسسات التي قامت بإنشائها في جنوب لبنان^{٧٠٩}.

وكذلك توظيف المتغير الأمني الاستخباري والعسكري والذي تتركز أهميته في محاولة ضمان سيطرته على المناطق ذات القيمة الاستراتيجية الكبرى؛ لتسهيل مهمة تمدها المختلف الوجوه^{٧١٠}، وقد وُجد لهذه الفكرة أعوان كثر من الشيعة الذين يصفون أنفسهم بالمتقنين والمنظرين الشيعة، حيث يرون " أن الكيانية الشيعية هي نظام جماهيري يضم الأحزاب والهيئات والجماعات والقواعد التي تنتمي إلى هذه الدائرة العقديّة المذهبية التاريخيّة، نظام محكوم بقواعد مرنة، لا تعتمد السريّة، بل هي نظام علني، يتوسّل بآليات العمل السياسي والإعلامي والاجتماعي المعروفة، التي لا تتعارض مع الأخلاق الإنسانيّة، والقواعد الدينيّة، والمباديء الوطنيّة، في سياق الانتماء للوطن العزيز، وتهدف هذه الكيانية إلى النهوض بالفرد الشيعي فكرياً وتربوياً وسياسياً، وتهيء الشيعة للمساهمة في صناعة القرار السياسي بأعلى المستويات، وبمستويات عميقة من التأثير والتفاعل، تحرّر الإنسان الشيعي من الشعور بالضعف، وتلصقه بكيانه البشري عقيدياً ومصيرياً " تأسيس دولة شيعية كبرى "، تجعل صوته مسموعاً محترماً، تدمجه في العالم بقوة، بفاعلية، تنقذه من الهامشية، تعزّز فيه روح المبادرة، تنقذه من مشروع العطاء المجاني، تتعامل بقانون النديّة، تنقذه من فكرة الاستشهاد العفوي، توجه أنظاره للمستقبل. وفي الحقيقة أن الشيعة إذا انتظموا في كيان نظمي مُقنّن هادف يجعل منهم نقطة جذب، وليس مجال استغلال. إنّ مرجعية الشيعي سوف لا تكون رجل سياسة أو عالم دين اسمه المرجع، بل مرجعيته ستكون هي هذه

٧٠٩ - (فهمني علم الدين، أنقذوا العراق من عباءة ولي الفقيه، مجلة الإسلام المعاصر، العدد ٢٤٥، أبريل، ٢٠٠٦، ص ٤١ - ٤٢).

٧١٠ - (تصريحات وزير الدفاع العراقي السابق حازم الشعلا، جريدة الحياة اللندنية، ١/٢١/٢٠٠٤).



الكيانية بكلها، بنظمها، بعلاقتها، بخطابها، وستكون هذه الكيانية هي مرجعية حتى للمرجع الديني^{٧١١}.

بعد هذا العرض والتحليل للأهداف القومية للحلم الإمبراطوري الإيراني؟ ما هي النتائج التي توصلنا إليها؟ نستطيع القول بأن إيران كانت ومازالت عبر تاريخها الطويل ولغاية الآن تشكل خطر الدولة التوسعية، وهذا يعود إلى أكثر من ألفي عام. فإيران تُمارس احتلالاً مباشراً لأراض عربية مثل احتلال الجزر الإماراتية الثلاث، ودمجها في أراضيها، وتحت سيادتها مثلها كمثل إسرائيل التي ما تزال تحتل جنوب لبنان، والأراضي الفلسطينية، وتكرار ادعائها بحقها التاريخي في البحرين، وبعض الأراضي الخليجية، وهي تشبه إسرائيل التي ما زالت إلى اليوم تُردد مقولة الحق التاريخي في أراضي الدول العربية^{٧١٢}، وفي ضوء ذلك يتضح أن إيران تحاول بناء المصد المذهبي العراقي من خلال الأداة الدبلوماسية التي تقوم على احتكار قرار السلم والحرب في هذه الدول، فهي تتدخل في الشؤون الداخلية العراقية، حيث وصل التدخل مرحلة التفاوض باسم الحكومة العراقية، وبتفويض من القيادات التي نصبها إيران، كما حصل عند استعدادها للتفاوض مع أمريكا حول الأزمات العربية الأخرى - غير الأزمة العراقية - كالأزمة اللبنانية

٧١١ - (شباب ال محمد، نحو نظرية عمل شيعية عراقية: بنية الكيانية الشيعية التنظيمية في خطوطها العريضة، دراسة سابقة).

٧١٢ - (أعلن حسين شريعتمداري - رئيس تحرير جريدة كيهان الإيرانية المحافظة، ومستشار مرشد الثورة - أن البحرين جزء لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية، ٢٠٠٧/٦/١٢. بالنسبة لإسرائيل وسياستها في هذا المجال انظر: إسرائيل شاحك. التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح سوداح، بيروت، دار بيسان، ١٩٩٥، ص ١٥٩ - ١٦٦. كولن ششيندلر، إسرائيل والليكوود والحلم الصهيوني، ترجمة مصطفى الزر، القاهرة، دار مدبولي، ١٩٩٤، ص ٧٧ - ٩٧. عبد الفتاح ماضي، العسكرية والسياسة في إسرائيل، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص ٨٩ - ١٠٤).



والفلسطينية، واليمنية، وهذا التدخل في شؤون الآخرين - ليس فقط - لزعة الأوضاع في هذه الدول بل لإيجاد مواطني قدم ونفوذ (مصدات جديدة)^{٧١٣}.

وتوظف إيران أراضي هذه الدول، ومجالها الجغرافي كمواقع استراتيجية لتصفية خلافاتها مع الآخرين - كما نرى في العراق ولبنان اليوم - وهي تلتقي بذلك مع إسرائيل، والتي تقوم استراتيجيتها العسكرية والأمنية على نقل حروبها وصراعاتها خارج عمقها الجغرافي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد في إيران تحاول تغيير الهوية الثقافية للعراق؛ فاللغة الفارسية أصبحت على وثائق المعابر الحدودية إلى جانب اللغة العربية^{٧١٤}، وسياسة التفريس ماضية في جنوب العراق على قدم وساق، ومحاولة الدفع بهجرات من دولة القلب المذهبي تجاه العراق، والتوطين هناك بعد منحهم جوازات سفر عراقية من جانب الداخلية، وبتوصية من الأجهزة الأمنية التي تسيطر إيران على معظمها^{٧١٥}.

وتقوم كذلك بتوظيف سلاح الأقليات من خلال دعمها للأقليات الإثنية والدينية داخل العراق، والتي يُراد استغلالها ضد وطنها الأصلي مثلها مثل سياسة إسرائيل التي تقوم استراتيجيتها تجاه العرب على دعم الأقليات في الوطن العربي من أجل استنزاف الدول العربية ونفيتها من الداخل - كما ذكرنا سابقاً - إذ تقوم إيران بالتحالف مع الأكراد والأرمن وذوي الأصول الإيرانية في العراق والخليج العربي، إضافة إلى سعي دولة الحلم الإمبراطوري لتنظيم الشيعة في العديد من

٧١٣ - (لقاء متكي وزير الخارجية الإيرانية مع محطة الجزيرة الفضائية، برنامج عين على إيران، ٢٠٠٧/١/١٢). علي لاريجاني، إظهارات دبیر شورای امنیت ملی ایران، روزنامه كيهان، ٢٠٠٦/٧/١٩). (المفاوضات الإيرانية مع الولايات المتحدة الأمريكية حول العراق، نشر قسم من بعض تفاصيلها على موقع شبكة العالم الإخبارية، الموقع الإلكتروني للشبكة باللغة الفارسية، ٢٠٠٦/٢/١٣، ٢٠٠٦/٦/٢٣).

٧١٤ - (جريدة القبس الكويتية، ٢٠٠٦/١/١١).

٧١٥ - (ندوة حول الأوضاع السياسية في العراق، القاهرة، ١١/٣٠ - ٢٠٠٦/١٢/٣).



الدول، حيث تُعطي لنفسها حجة الوصاية والقيومية على " شيعة الشتات " ،
وتصدر الدفاع عنهم على اعتبار أنها الدولة الوحيدة في العالم صاحبة الولاية
عليهم، وهي بذلك تشبه تدخل إسرائيل للدفاع عن " يهود الشتات " تحت نفس
الحجج والذرائع .

إيران اليوم - وعلى ضوء هذه المتغيرات - تسعى إلى إنشاء إمبراطورية
فارسية- شيعية تسيطر لاحقاً على مناطق واسعة من الخليج العربي، ولاشك بأن
توفر كافة المقومات العسكرية والاقتصادية والسكانية سوف يساعد هذه
الإمبراطورية على التمدد والمواجهة أو الارتقاء إلى مصافي الدول الكبرى مع
احتكار لمعظم موارد واحتياطيات النفط العالمية، وامتلاكها للردع والضغوط
النووي، وهذه الإمكانيات سوف تساعدها إلى حد كبير، لكن ما يعترض عليه هو
أن الدول العربية تلوم إيران على هذا التوجه، وتسعى إلى الضغط غير المنهجي
والمنظم لوقفه، والمفروض أن يلوموا أنفسهم أولاً لأنهم لم يتوحدوا لمواجهة
المشروع الإيراني، وأمريكا ثانياً التي قدمت العراق لإيران على طبق من ذهب،
وسهّلت لإيران السيطرة وبسط النفوذ بهذا الشكل الذي نراه اليوم .



المبحث الثاني

السيناريوهات المحتملة لمواجهة بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة



هناك العديد من السيناريوهات القادمة على إيران والمنطقة، وهنا ينبغي علينا أن نستفيد منها لتحقيق نصر استراتيجي، وهذا بالطبع لن يكون من خلال الانخراط في عمل عسكري مباشر ضد إيران، بل علينا توظيف الظروف والمتغيرات سواء الداخلية لدولة القلب الإمبراطوري أو الخارجية، خاصة القرارات الدولية، والتهديدات الأمريكية التي تستهدفها لجعل هذه الدول تنكفيء، وتنشغل داخليا عن التعاطي مع الخارج، وبالتالي منعها من تنفيذ استراتيجياتها التي تسعى إلى تدمير كيانات الدول العربية السنية، حتى نتجاوز خطرنا بحول الله تعالى. وعلى هذا الأساس على الدول العربية أن تستفيد من المتغيرات السابقة، وكذلك أن تسعى إلى تنظيم جهودها وتنسيق سياستها لتحقيق الأهداف التي تحدثنا عنها، وإلا ستكون العواقب وخيمة لا سمح الله.

أولا: سيناريو المواجهة العسكرية بين الغرب ودولة الحلم الإمبراطوري:

أ - سيناريو المواجهة الشاملة:

يكثُر الحديث في أروقة السياسة والإعلام وحتى تصريحات العسكريين ورجال الدين في دولة القلب المذهبي عن الموقف الإيراني من المواجهة القادمة، وما ستفعله إيران خلالها. بداية لا بد من القول إن النظام الإيراني يدرك تمام الإدراك أن سيناريو المواجهة في حال حدوثه - سيكون ذا هدف معلن هو إسقاطه واستبداله بنظام تابع للولايات المتحدة، أو تعديل سياسات هذا النظام.

هذا الهدف مرهون بحجم العمليات العسكرية ونطاقها، وطبيعة أهدافها المعلنة وغير المعلنة، فهناك آراء تعتبر أن المواجهة حتمية بين الولايات المتحدة ودولة القلب المذهبي استنادا إلى عدد من المعطيات، ومن أبرزها: تشديد العقوبات على إيران من قبل مجلس الأمن، وبإقرار جميع أعضاء المجلس من خلال قراري مجلس الأمن الدولي رقم ١٧٣٧ و ١٦١٧٤٧^{٧١٦}، وإرسال عدد من حاملات الطائرات الأمريكية حمل على متنها جناح الطيران التاسع، المكون من خمسة آلاف ضابط وبحار وعنصر من مشاة البحرية، والتي ستنتضم مع أربع سفن حربية وثلاث مدمرات إلى القوات العاملة في منطقة الخليج^{٧١٧}، ومنح القوات الأمريكية في العراق رخصة لاعتقال أو قتل عملاء إيران الناشطين في العراق، والذي أعلنت حركة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة لائحة بأسماء أكثر من (٣١) ألفا منهم، إضافة إلى مدهمة القوات الأمريكية لمبنى القنصلية الإيرانية في مدينة أربيل، حيث اعتقلت خمسة من العاملين بالمبنى، وصادرت العديد من الوثائق السرية الخطيرة^{٧١٨}، واعتقال عدد من الدبلوماسيين الإيرانيين في العراق، ومن بينهم اثنان ممن قيل إنهم ضباط في الحرس الثوري، من أجل التحقيق معهم^{٧١٩}.

٧١٦ - (وكالة الإعلام الأمريكية، الاستعدادات الأمريكية في الخليج، ٢٠٠٦/٥/١٢).

٧١٧ - (وكالة الإعلام الأمريكية، ٢٠٠٧/١/١٢).

٧١٨ - (وكالة الإعلام الأمريكية، ٢٠٠٧/٤/١٠، ٢٠٠٧/٦/١٢، ٢٠٠٧/٧/٢٥).

٧١٩ - (لا يمكن فصل اعتقال الدبلوماسيين الإيرانيين وإطلاق سراحهم عن التطورات المتسارعة التي تحصل على الساحة العراقية، وارتباطها بالملفات الساخنة في المنطقة. وكما أشارت مصادر أمريكية أن الاستخبارات الأمريكية لديها معلومات في أن للموقوفين ارتباطا قويا بقوات القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني. الاعتقال الأخير جاء على خلفية اتهام القوات الأمريكية للمعتقلين بأنهم على صلات بالعمليات الإرهابية التي تستهدف قوات الأمن العراقية ومتعددة الجنسيات. وقال المتحدث باسم الأمن القومي الأمريكي غوردن جوندرو: إن اثنين من المعتقلين قد تبين أنهما يعملان في السلك الدبلوماسي، وهما يحملان وثائق تؤكد صحة ادعائهما، وقد أطلقت السلطات العراقية سراحهما بعد إظهار تلك الوثائق، فيما تم الإبقاء على المعتقلين الآخرين لحين استكمال التحقيق بشأنهم =



من هنا يُمكن القول إن دولة القلب المذهبي لا بد أن تلقي بكل أوراقها في المواجهة، وأنه حال وجدت نفسها أمام طريق مسدود، فستستخدم خيار "شمشون" التدميري إن ملكت القدرة فعلا على استخدامه^{٧٢٠}، بيد أن المصادر الإيرانية - وتحديدًا الدبلوماسية والعسكرية - لازالت تتحدث عن آمال عريضة بالقدرة على مواجهة الضربة العسكرية الأمريكية، ومنعها من تحقيق أهدافها المختلفة.

لم يعد السؤال المطروح عند أكثر المراقبين السياسيين وحتى العسكريين هو "هل ستقع الحرب الأمريكية على إيران؟"، بل "متى وكيف؟" و"ما النتائج المتوقعة؟" ذلك أن جملة التصريحات والتحركات - فضلا عن المنطق التحليلي للأسباب والأهداف، على افتراض عدم اتفاق الولايات المتحدة مع إيران على الصفقة الشاملة لسبب أو لآخر، على أن ذلك لا يمكن أن ينفي بحال من الأحوال أن الاحتمال الآخر وهو المواجهة العسكرية يبقى ممكنا، ولو على نحو محدود، ذلك أن أحدا لا يمكنه التكهن بطبيعة المفاجآت التي يمكن أن تحدث خلال الفترة القادمة التي تفصلنا عن بدء الموعد المفترض للحرب على إيران، وهو الموعد الذي ربما لم يحدد بعد، وإذا تحدد فهو لا يزال سرا عند الإدارة الأمريكية والإسرائيلية.

المفاجآت المشار إليها لا تنطبق على موضوع العقوبات الدولية التي سيتم تشديدها على العراق، ذلك أن بعض الدراسات لا تميل إلى أن قبول إيران بتقديم مختلف الضمانات الدولية، وإشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية على مختلف النشاطات الذرية الإيرانية سيجنبها الضربة، على اعتبار أن لدولة القلب المذهبي برنامجا سرريا غير متفق عليه مع الولايات المتحدة مسبقا، الأمر الذي تتجاوز فيه

=ورغم بعض التسريبات التي تؤكد حصول القوات الأمريكية على معلومات ووثائق تدين المعتقلين في تورطهم بدعم بعض الأطراف التي تعمل على تدهور الوضع، رغم كل هذا فقد تم الإفراج عنهم، وكالة الإعلام الأمريكية، ٢١/٦/٢٠٠٦).

٧٢٠ - أعلنت القيادات العسكرية الإيرانية أنه في حال مهاجمة إيران سترد إيران ردا سيذهل العالم، تم تناول الموضوع بشكل مفصل سابقا).



دولة الحلم الإمبراطوري الحدود المسموح بها، وهذا سيغير في مواقف الأطراف الدولية الرئيسية المتفقة مع الولايات المتحدة منها، وهو ما سيؤثر بالضرورة على التداعيات السياسية قبل وأثناء اندلاع المواجهة العسكرية، وبعد وضوح نتائجها في تدمير نشاطات إيران النووية الحساسة.

وقد يكون التحليل عن دوافع الحرب الأمريكية على إيران مبررا، ولذلك وضعت هناك سيناريوهات متعددة وردود الأفعال المتوقعة إيرانيا وإقليميا ودوليا، بيد أن من المناسب التذكير به هنا أن ما يدفع الإدارة الأمريكية نحو تلك الحرب هو أكثر قوة من قدرته على المواجهة، وثمة بعد إسرائيلي في موضوع الحرب على إيران لا يمكن إنكاره على الإطلاق، ليس من باب قابلية الإدارة الأمريكية العالية للتراجع أمام المطالب الإسرائيلية، فهذا من نافلة القول، وإنما من زاوية المصالح الإسرائيلية الحيوية والمتوجسة من المشروع الإيراني المتعاضم الذي يهدد مشروعها، والتي تنسجم في أكثرها مع المصلحة الأمريكية، وإن على نحو يتفاوت في أهميته، فالتخلص من البرنامج النووي الإيراني السري أصبح عنوانا يطرح في دوائر صنع القرار في أمريكا وإسرائيل، بيد أنه لا يزال قائما، خصوصا ما يتصل بالقدرات الإيرانية على صناعة الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية، وعلى هذا الصعيد تتوحد الإرادة الإسرائيلية والأمريكية على ملاحقة التسلح الإيراني وإمكاناته المستقبلية، واعتبارات أمريكا منصبة على مشروعها ومصصلحة إسرائيل أولا، في حين أن عين هذه الأخيرة على إبقاء الخلل في التوازن العسكري لصالحها دوما.

أما ترتيبات المنطقة ما بعد الضربة فلن تكون لهدف تغيير النظام في إيران فهي ليست مصلحة إسرائيلية أمريكية، فهما يسعيان نحو تهيئة الأجواء لتسوية وفق الأجندة المعروفة والمتفق عليها، وهذه لا يمكن تحقيقه إلا بعد ضرب إيران، فأمریکا وإسرائيل ترى في النتيجة المذكورة مصلحة حيوية لها في منطقة ذات بعد استراتيجي، فضلا عما تحققه الضربة من تسريع الحلول في الأزمات الإقليمية في حال حاولت إيران زيادة سقف مطالبها من خلال هذه الأزمات.



إن إعادة رسم خريطة المنطقة وفق أسس جديدة - بعد تحجيم القدرات الإيرانية - سوف تزيد من ضعف الإقليم العربي وشرذمته، وهي مصلحة حيوية إسرائيلية أمريكية أيضا، وهو ما يحلم الطرفان بتحقيقه بعد ضرب إيران، لكن الإدارة الأمريكية في حاجة ماسة لانتصار كبير في إيران لأكثر من سبب، لعل أهمها، الانخفاض الحاد في شعبية بوش والحزب الجمهوري من خلفه جراء استمرار فشله في تحقيق الأهداف المعلنة للحرب في العراق وأفغانستان، سواء لجهة اعتقال أسامة بن لادن والملا محمد عمر، أو لجهة ترتيب الوضع الداخلي كي يكون محطة امتداد وسيطرة على آسيا الوسطى والقوقاز وثرواتها الهائلة، فضرب إيران وتحجيم قدراتها، وإخضاعها للإرادة الأمريكية هي جانب آخر من الحرب، فمحاصرتها من العراق إلى جانب أفغانستان سيجعلها أكثر قابلية للابتزاز والمساومة، وفي هذا مصلحة إسرائيلية أمريكية لا تخفى على أحد، خصوصا إذا حاولت دولة القلب المذهبي التوجه إلى المدار الشمالي الذي تريده أمريكا ملحقا بمشروعها.

والأهم أن حرب "الإرهاب" التي أعلنتها إدارة بوش، ما زالت تشكل خسارة سياسية معنوية واقتصادية للدولة الأمريكية، بدليل الركود الواسع والتضخم في الاقتصاد الأمريكي، وتراجع الدولار...، وكل ذلك لا يمكن علاجه إلا بانتصار كبير على إيران، هذا من زاوية الانتصار العسكري وتداعياته، فكيف إذا أضيف له وضع اليد على ثاني أكبر احتياطي نفطي وغازي في العالم ومعه نفط العراق، فضلا عن عقود إعادة الإعمار التالية التي ستقوم بها شركات روسية وصينية بعد الاتفاق على العوائد والمكاسب الاقتصادية لهذه الدول جراء ضربة إيران، وليس ثمة عائق حقيقي يقف في وجه الإدارة الأمريكية وإرادتها في إعلان الحرب على إيران سوى سؤال النتائج العسكرية في ميزان الربح والخسارة، فأسئلة السياسة ومواقف الأطراف المختلفة من الحرب لا تشير اهتمام قادة الإدارة الأمريكية، فهي جميعها من النوع الذي يسهل التعامل معه قياسا على الحالة العراقية وسياسة خلق الذرائع والظروف التي تبرع فيها أمريكا بامتياز.



أما على الصعيد الدولي فيمكن القول أن أحدا - باستثناء بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى حد ما - لا يشجع الحرب، بيد أن ذلك لا يتجاوز حدود التحذير من تداعياتها، أو طلب التشاور مع الأطراف الإقليمية والدولية، ولا ينطبق هذا - إلى حد كبير - على مجمل مواقف الدول الأوروبية الأخرى التي تطالب باللجوء إلى الخيار الدبلوماسي للتعامل مع إيران، ولا ينطبق هذا - إلى حد ما - على روسيا التي أخذ صوتها يعلو للمطالبة بتبني الخيار الدبلوماسي، ولكن في الوقت نفسه تمارس دبلوماسية التنسيق مع أعضاء مجلس الأمن الدولي في مجال فرض العقوبات^{٧٢١}، وتقوم بمساعدة إيران في الوقت نفسه في المجال النووي^{٧٢٢}، بيد أنه لا يصل حد الوقوف في وجه الإرادة الأمريكية. أما الصين فهي وإن كان رفضها أعلى نبرة، إلا أنها لن تدخل في مواجهة مع واشنطن من أجل الملف الإيراني لاعتبارات سياسية، اقتصادية، واستراتيجية كثيرة.

أما عربيا فيمكن القول إن أحدا لم يعلن الموافقة على الحرب، بيد أن أحدا - أيضا - لم يعلن موقفا سياسيا لتحديها، فالكل ينأى بنفسه عن المشاركة في الحرب بشكل مباشر وغير مباشر، ومن هنا أعلنت دول الخليج أنها لن تكون طرفا فيها، واستبعد بعضهم المواجهة، وركز على ضرورة تبني الخيار الدبلوماسي^{٧٢٣}.

٧٢١ - (أسلوب دبلوماسي روسي عرف بالمساومة مع إيران، اصطلحت الدراسة تسميته دبلوماسية شراء الفيتو).

٧٢٢ - (قامت بإرسال شحنات الوقود النووي إلى إيران).

٧٢٣ - (تتجه أنظار دول مجلس التعاون الخليجي بقلق شديد نحو الأنشطة النووية الإيرانية السرية منها أو العلنية، وكذلك نحو الدور الإيراني في العراق المضطرب أمنيا، وترى هذه الدول أن السعي الإيراني لامتلاك السلاح النووي يندرج في إطار المشروع النووي المتلازم مع المشروع الإمبراطوري القديم الجديد، وكلا المشروعين يدعم الآخر صعوداً نحو فرض الأمر الواقع، وأنه ليس وارداً في السياسات الاستراتيجية الإيرانية التخلي عن أيٍّ منهما بسهولة؛ لذلك تسعى إيران بكلّ قوة لامتلاك أوراق اللعبة السياسية على الساحتين الإقليمية والدولية تقايض بها استمرارها في هذين المشروعين، وفي ذات الوقت تروج لضرورات حصولها على السلاح النووي كضمان للدفاع عن نفسها في=



من هنا فإن المواقف العربية لن تغير كثيرا في أسئلة الحرب، اللهم إلا في ما يتصل بالدول التي ستشارك فيها على هذا النحو أو ذلك، سواء كان بإرادتها أو رغما عنها، ومواقف هذه الدول من الضربة على العراق ما زال ماثلا للعيان. وتبقى المواقف الإقليمية وأهمها الموقف التركي، الذي سيقف على الحياد على غرار موقفه من الحرب على العراق، خصوصا بعدما سيحصل على تأكيدات من أمريكا بشأن عدم السماح بدولة كردية في إيران تكون امتدادا للجيب الكردي في العراق. والقيادة التركية تعول كثيرا على الفوائد التي ستجنيها من تلك الحرب بتحجيم حركة إيران الشيعية النشطة في الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، ومحاصرة التبشير بالمذهب الشيعي الذي يقف عائقا أمام العثمانية السنية^{٧٢٤}.

هذا الموضوع سيدخلنا مباشرة إلى موقف الداخل العراقي ومن ضمنه المعارضة الشيعية من الحرب، ذلك أن أحدا لا يستطيع الاستهانة في أن موقف الاحتلال الأمريكي في العراق سيكون صعبا إلى حد كبير، فدولة القلب المذهبي قادرة على إحداث مشاكل كبيرة للجيش الأمريكي هناك، غير أن موقف السنة في العراق ينبغي أن يتركز على وقف العمليات ضد الجيش الأمريكي حتى يكمل مهمته مع دولة الحلم الإمبراطوري ومع شيعة العراق، انسجاما مع القاعدة الفقهية التي تقول: "الجزء من جنس العمل"، فعلى شيعة دولة الحلم الإمبراطوري والعراق أن يدفعوا ثمن تواطئهم مع الولايات المتحدة وإسرائيل، وأن يوجهوها لتصفية مناطق النفوذ والمصدات المذهبية التي بنتها إيران في العراق.

=وجه ما تراه تهديداً نووياً أمريكياً متمثلاً في الوجود العسكري الأمريكي في كلٍّ من أفغانستان والعراق وبعض دول الخليج العربي، وإمكانية استخدام هذه الدول إذا اقتضت الضرورة، إضافة إلى التواجد العسكري المكثف في المياه الدولية، واستعداد إسرائيل لتسخير إمكاناتها النووية في خدمة السياسات الأمريكية إذا طلب منها ذلك، محمد الغامدي، أبعاد زيارة بوش للمنطقة، الشرق الأوسط، ١١/٥/٢٠٠٦

٧٢٤ - (مصطلح تطلقه الدراسات الإيرانية على توسع النفوذ التركي في الجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي).



لا يبدو الموقف الإسرائيلي ذا أثر كبير في المعادلة الحربية القادمة، اللهم إلا من الزاوية الاستخبارية والدعم اللوجستي، ذلك أن التدخل المباشر لن يكون في صالح العمليات، بل سيدفع نحو انفجار أكبر في الشارع الشيعي، خصوصاً زيادة احتمالات تدخل حزب الله من خلال توجيه دفعات صاروخية إلى إسرائيل^{٧٢٥}، والثابت أن واشنطن ستخبر تل أبيب بموعد انطلاق العمليات كي تستعد لهجمات صاروخية إيرانية محتملة عليها، ومن هنا قد تكون الضربة ضد إيران متزامنة مع توجيه ضربة تتعهد بها إسرائيل لضرب حزب الله في جنوب لبنان. وثمة بعد آخر للموقف الإسرائيلي يتصل بالوضع في الأراضي المحتلة، ذلك أن انطلاق الحرب الأمريكية على العراق في ظل تصعيد إسرائيلي يقابله تصعيد في أعمال المقاومة المدعومة من إيران خاصة تنظيم الجهاد الإسلامي، الذي تشيع بعض قاداته، حيث توقفت عملياته ضد إسرائيل منذ فترة طويلة انسجاماً مع التوجيهات الإيرانية.

أما سيناريوهات المعركة فلا يبدو سؤال توقيت الحرب مهماً إلى حد كبير، سوى من زاوية زمن وقوعها، وفي العموم فإن إعلان انطلاقها خلال الأشهر القادمة، وقبل انتخابات الرئاسة الأمريكية، وفق قراءة "سيناريو" الحرب الأكثر تداولاً يبرز "سيناريو" العراق المعدل، وهو القائم على الضربات الجوية المكثفة للمنشآت النووية الحساسة، حيث سيتم اختيار الهجمات ليلاً؛ وذلك نظراً لعدم وجود خبراء نوويين من روسيا والصين وكوريا الشمالية في هذا التوقيت. وتشير المصادر أن هناك أكثر من (٣) آلاف خبير يعمل في هذه المنشآت، لكن قد تلجأ إيران إلى سياسة احتجاز هؤلاء العلماء كرهائن داخل هذه المنشآت لحمايتها.

في النتيجة نستطيع القول إنه على الرغم من هذه الضربة في حال حصولها ستبقى المعادلة النووية في عقول العلماء النوويين الإيرانيين، الأمر الذي من شأنه أن يخفف من الصدمة الإيرانية إثر هذه الضربة^{٧٢٦}، كذلك سيتم استهداف

٧٢٥ - (تصريح حسن نصر الله، جريدة الحياة، ٢٠٠٧/٣/٢).

٧٢٦ - (البرنامج النووي الإيراني، وجهة نظر تقرير وكالة dw الألمانية، مترجم إلى اللغة العربية، على موقع المحطة الألمانية على الإنترنت).



معسكرات الجيش، مع التركيز على الحرس الثوري الذي صنفته الإدارة الأمريكية على لائحة الإرهاب، إلى جانب المنشآت الحيوية المساندة للعمليات الحربية الإيرانية، إلى جانب ذلك ستكون هناك حرب نفسية محدودة النطاق تستهدف التأثير على النظام من الداخل للتخفيف من ردة فعله على الضربة العسكرية الأمريكية، ستستخدم فيها بعض الأدوات المتاحة، من إذاعات موجهة ومنشورات، وهدف هذه الحرب هو دفع الشعب الإيراني والتيارات الإصلاحية المعارضة بكل فئاته إلى التحرك للتغيير باتجاه تعديل سلوك النظام الحاكم دون تغييره أو إسقاطه، ويتوقع أن تتركز هذه الحرب على الحرس الجمهوري الذي يشكل عصب النظام، ومصانع إنتاج الصواريخ البالستية، ومراكز تجمعات القطاعات البحرية، ووسائل الدفاع الجوي بشكل رئيسي، إضافة إلى ما يعرف باستهداف بعض المؤسسات الثورية الخطيرة، كذلك يتوقع أن يبدأ الحديث من الأيام الأولى على بدء العمليات العسكرية عن مقتل قياداته لتشجيع هذه الفئات على التمرد قياساً على الحالة العراقية.

ب - سيناريو المواجهة الجزئية (سيناريو العمل الجراحي العسكري):

كذلك هناك احتمال للتحرك على نطاق مختلف دون الحاجة إلى قصف جوي طويل، مثلما جرى في أثناء استهداف إسرائيل للمفاعل النووي العراقي "مفاعل أوزيراك"، هذا في حال نجحت الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية في الحصول على معلومات من الداخل الإيراني تفيد بضعف القدرة الردعية الإيرانية، بعد قياس نتائج فعل الضربة الأولى في حال توجيه ضربة للمنشآت النووية الإيرانية الرئيسية، وهو الأمر الذي سيتوافق - أيضاً - مع الحرب النفسية الواسعة التي أشرنا إليها. أما السيناريو الآخر فهو "سيناريو الاجتياح البري" وهو مستبعد، وفي حال تبنيه سيعتمد بالضرورة على الضربات الجوية والصاروخية التي تشمل قدرة القوات الإيرانية على إحداث خسائر في القوات المهاجمة. ومن المفترض أن تتحرك تلك القوات حسب هذا السيناريو من بعض الدول النووية المجاورة لإيران، إضافة إلى العراق في حال تم الترتيب معها، وهذا له مغزاه



ودلالاته، إذ إن إيران لا تستطيع بأي حال من الأحوال استهداف هذه الدول، خاصة أن هذه الدول هي دول نووية مثل: باكستان، والجمهوريات النووية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، وهذا سيمنع الضربة عن الدول العربية الخليجية في حال لم تنخرط في هذه الحرب.

يبدو من الواضح تماما أن هاجس سرعة إنجاز العمليات العسكرية ضد إيران يبدو حاكما إلى حد كبير على آليات التفكير فيها، ذلك أن الموقف الناقم في المنطقة من جانب الأقليات الشيعية والتنظيمات والخلايا النائمة التي قامت إيران بإنشائها قد يدفع نحو انتشار العنف المنظم إذا استمرت العملية لأسابيع طويلة، بخلاف نجاحها خلال فترة محدودة. والحال أن هذا الاحتمال - أي انفجار "شيعية الشتات" وميلشياتهم - ليس مستبعدا على الإطلاق، لا سيما وأن موقفه من العمليات العسكرية ضد دولة القلب المذهبي (إيران) - على ما يبدو - سيكون موحدا إلى حد كبير، خلافا لما كان عليه الحال في الحالة العراقية، وقد يغدو احتمال الانفجار الشيعي أكبر إذا ما نجحت إيران في الصمود أمام الضربات الأمريكية لأسابيع، خاصة في أولى المصدات الشيعية التي قامت إيران ببنائها في العراق ولبنان. أو إذا قام حزب الله بإطلاق الصواريخ على إسرائيل بعد افتعال مبرر لذلك.

وقد يكون هناك سيناريو معدل عن السيناريو السابق، وهو السيناريو "الياباني" الذي تم اللجوء إليه في الحرب العالمية الثانية، والذي يقوم على أساس إلقاء قنابل نووية تكتيكية، وهذا سيكون بهدف ردع القدرات الإيرانية، وبث الرعب فيها، وبالتالي منعها من الرد على الضربة الأمريكية، وإجبار إيران إلى اللجوء إلى المنظمات الدولية - على أقصى تقدير - للتعبير عن شجبها واستنكارها للضربة الأمريكية، وهذا السيناريو سوف يحقق للولايات المتحدة جملة من الأهداف، أولها: سيكون سببا في استسلام إيران عسكريا وبشكل كامل، ومن ورائها كل أدوات المقاومة الإقليمية من دول ومليشيات، وسوف يوفر على



الولايات المتحدة تكاليف الحرب التقليدية، ويختصر عليها المدة الزمنية التي يتطلبها شن حرب تقليدية.

ج - سيناريو العمليات الاستخباراتية:

هذه العمليات سوف تستهدف المنشآت النووية الإيرانية من خلال عمل تخريبي متعمد داخل بعض المنشآت النووية الحساسة، يؤدي إلى كارثة نووية على غرار مفاعل "تشرنوبل" مما يجبر دولة الحلم الإمبراطوري على التراجع عن برنامجها النووي كلياً، وسوف يراعى قرب هذه المنشآت وبعدها عن المناطق التي تمثل المصالح الأمريكية، ومدى قربها وبعدها عن تواجد القوات الأمريكية، وكذلك مراعاة أن يكون لها تأثير بالغ على الداخل الإيراني، بحيث يشعر الشعب الإيراني أن الطاقة النووية باتت تشكل خطراً عليه، وأن يقوم بتحميل الحكومة الإيرانية المسؤولية كاملة عما جرى له، وبالتالي الإطاحة بالنظام الإيراني.

وأمام كل هذه المعطيات، وبعد استعراض الأوضاع والظروف الإقليمية والدولية العامة، فإن إجراءات دولة القلب المذهبي لسيناريو المواجهة، والسيناريوهات المحتملة تبدو محدودة، ويمكن تلخيصها في الآتي:

يتحدث العسكريون والسياسيون الإيرانيون عن جملة من الإجراءات التي ستتخذها إيران في حال بدء العمليات العسكرية الأمريكية ضدها سعياً إلى إفشالها ومن تلك الإجراءات:

١- الرهان على تدخل روسي - صيني لمنع المواجهة لحظة وصول الأزمة بين الولايات المتحدة وإيران إلى حافة الهاوية.

٢- إغلاق مضيق هرمز للتأثير على عملية نقل النفط والغاز للعالم، وسيناريوهات إغلاق المضيق ستكون من خلال إغراق سفن ضخمة فيه، ووضع ألغام بحرية كبيرة تقدر بمئات الآلاف، وقد تحمل هذه الألغام مواد كيميائية، جرثومية، مشعة، يتبعها مسارعة إيران إلى وقف ضخ النفط فوراً؛ لإحداث هزة عالمية في أسعاره.



٣- توجيه ضربات صاروخية مكثفة إلى القواعد الأمريكية في الخليج العربي، وقد تنتهج سياسة الإغراق الصاروخية في هذا المجال بواسطة استخدام منصات صاروخية تطلق ألف صاروخ دفعة واحدة^{٧٢٧}، والقيام بعمليات كاميكاز جوية وبحرية ضد القوات الأمريكية في الخليج العربي، إضافة إلى استهداف المصالح الأمريكية في الخارج، خصوصاً في الدول التي تعاني من اختراقات أمنية للاستخبارات الإيرانية.

٤- إعادة انتشار القوات والقطاعات العسكرية الإيرانية على شكل وحدات موزعة على جميع الأراضي الإيرانية خوفاً من تدميرها، مع نشر مئات المنصات الجاهزة لإطلاق الصواريخ على الولايات الشرقية، الغربية، الشمالية، والجنوبية، التي ستنتقل منها القوات الأمريكية، إضافة إلى وضع منصات صاروخية بالقرب من المناطق الآهلة بالسكان للحد من استهدافها.

٥- توجيه ضربات صاروخية إلى إسرائيل، وذلك لتحقيق جملة من الأهداف، يأتي في مقدمتها إثارة الرأي العام العربي والإسلامي للتعاطف مع إيران، وبث الرعب في إسرائيل؛ نظراً لضعف العمق الاستراتيجي، وحساسية إسرائيل تجاه الخسائر البشرية، إضافة إلى توجيه رسائل ردعية إلى إسرائيل تستهدف الضغط على الولايات المتحدة لوقف الهجوم العسكري عليها وعدم توسيعه، واستخدام أوراقها وأدواتها في المنطقة.

٧٢٧ - (يطلق عليها باللغة الفارسية "وان بار مصرف مي كند" بمعنى أنها تستعمل مرة واحدة كمنصات إطلاق، وبعدها من المعروف سيتم استهداف هذه المنصات بعد كشفها بأجهزة الاستطلاع الفضائي، لكن بعد أن تكون مهمتها قد انقضت).



وفي إطار سيناريو المواجهة العسكرية قد تقوم الولايات المتحدة بالتنسيق مع إسرائيل لتوجيه ضربة خاطفة، أو تقوم إسرائيل وحدها بتوجيه هذه الضربة، حيث أعلنت إسرائيل أنها قادرة على توجيه هذه الضربة إذا تطلب الأمر ذلك^{٧٢٨}، وستكون شبيهة بالضربة الإسرائيلية لمفاعل تموز العراقي أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، لكن هذا لن يتم إلا إذا كانت إسرائيل متأكدة من قدرتها الردعية على مواجهة رد الفعل الإيراني، إلا أن هذه الضربة الخاطفة لن تتمكن من إنهاء المشروع النووي الإيراني الموزع في بقعة جغرافية شاسعة النطاق.

لا شك بأن قدرة القوات العسكرية الإيرانية هي من النوع الذي لا يستهان به إذا لم يفلح الأمريكيون في الدفع باتجاه حركة تمرد على النظام الإيراني، فتعداد الحرس الثوري - إضافة إلى تعداد الجيش والبسيج - يصل إلى أكثر من مليوني جندي، ثم إن أحدا لا يمكنه الجزم بما لدى القوات الإيرانية من إمكانات، ولعل القدرات التسليحية التي قدمتها إيران إلى حزب الله، والأسلحة الصاروخية والبحرية التي استخدمتها دولة القلب المذهبي في مناوراتها يشير إلى نقلة تكنولوجية في الصناعة العسكرية الإيرانية، مع أن ذلك ليس مؤكدا نظرا لعجز إيران خلال السنوات العشر الماضية عن الحصول على قطع الغيار اللازمة لبعض معداتها خصوصا ما يتعلق بشيخوخة سلاحها الجوي، لكنها تعوض عنه بأسلحة رديئة أخرى، على الرغم من أننا لا نستهن بضعفها في هذا الجانب.

من الواضح أن المخطط الأمريكي يأخذ ذلك كله بعين الاعتبار، وهو يحرص على عدم التورط في سيناريو الحرب البرية مع القوات الإيرانية، بقدر ما يحرص على تعديل سلوك النظام من خلال التحرك الشعبي، ولن يتجاوز إلى مرحلة إسقاطه من الداخل، كما تطالب به المعارضة وبالذات الحركة الملكية وحركة مجاهدي خلق الإيرانية.

٧٢٨ - (جريدة ידיعوت أحرنوت، ١٢/٩/٢٠٠٧).



ولابد من الإشارة أنه ما دام النظام الحاكم في إيران يفرض أمريكا في استقرار واستمرار ضخ النفط وتهديد جيرانها من خلال عرض عضلاتها النووية، ويساعد أمريكا على تنفيذ كل مشاريع التقسيم التي قامت وتقوم بها في أفغانستان والعراق وغيرها من البلدان المجاورة - فهي ليست بحاجة إلى تغيير الأوضاع إلى حالة غير مضمونة من عدم الاستقرار، فلا توجد معارضة إيرانية تستطيع قيادة سفينة إيران بعد القضاء علي مجاهدين خلق؛ لذا فليس من المحتمل أن تقدم أمريكا على مغامرة لا محمودة العواقب، ولا واضحة المعالم والنتائج.

من الممكن أن تقوم أمريكا باستثمار كل الحالات الممكنة، كأن تدعم فصائل المعارضة بكافه طوائفها لاستعمالها كأداة ضغط على إيران لاستنزافها بشكل أشد بدون إحداث أي تغيير جغرافي سياسي، فذلك أفضل لها من الانخراط في المغامرة غير المحمودة العواقب. . كما أنه من الممكن لأمريكا- بعد أن تحصل على تنازلات من إيران - القيام بتسليم كل من تعاملت معهم كمعارضة لإتمام الصفقة، وهذا أمر أثبتته التاريخ من خلال ما قام به ساسة أمريكا.

ولكن التساؤل الذي يبرز هنا: ما هي تداعيات هذه الحرب على دولة الحلم الإمبراطوري والدول العربية؟ لا شك بأن عنوان تداعيات الحرب وآثارها له صلة بالترتيبات اللاحقة لمرحلة ما بعد الحرب، على افتراض نجاح السيناريو العسكري، كما أن له صلة باحتمال الفشل في هذا السيناريو من جهة أخرى، ولكل سيناريو من هذه السيناريوهات تداعياته على دولة القلب المذهبي والإقليم عموماً.

على صعيد الترتيبات الداخلية لدولة القلب المذهبي ما بعد الضربة، يمكن القول إن خيار تغيير سيطرة مسمى ولي الفقيه الشيعي على الدولة سيبقى وارداً ومسموحاً به، وربما يأتي مرشد ثورة أكثر براغماتية، ومستعد لبناء مشروع الحلم الإمبراطوري ضمن قواعد وأسس جديدة تتجاوز حدودها مؤسسية ولي الفقيه سابقاً، وإذا تم ذلك بشكل من الأشكال فإن المواجهة سوف تتوقف، لأن الأصل



هو نظام يتبنى مشروعاً لا يتعارض مع مشروع الولايات المتحدة، وعلى استعداد للتعاون معها بما لا يتعارض مع ذلك.

غير أن سؤالاً حقيقياً يطرح نفسه يتصل بمدى حرص الإدارة الأمريكية الفعلية على وحدة دولة القلب المذهبي، وهو سؤال يمكن الجزم بالإجابة عليه، لا سيما إذا تذكرنا أن نفس الولايات المتحدة الأمريكية لا تفضل خيار التقسيم لما سينطوي على ذلك من مخاطر انفجار ديموغرافي قد يؤثر على الدول العربية الخليجية، وعلى دول الدائرة الشمالية التي تحدها إيران شمالاً (دولة أذربيجان الكبرى، وأرمينيا وتدخلها لحماية الأرمن)، بالإضافة إلى تأثير ذلك على تركيا (قيام دولة كردستان) وباكستان، فقيام دولة بلوشستان من خلال وحدة إقليم بلوشستان باكستان مع إيران^{٧٢٩} سيكون مدخلاً لإعادة رسم خريطة المنطقة برمتها

٧٢٩ - (الدول الأربع المتجاورة: أفغانستان، وإيران، وباكستان، والعراق. نجد عدداً من القواسم المشتركة بين هذه الدول حيث يتألف سكانها من عدة أعراق وطوائف مختلفة ومتباينة ومتصارعة، قد تبلغ مستوى مأساوي كما في أفغانستان، وقد تبدو متماسكة مؤقتاً كما في إيران. وتحظى كل من الدول الأربع بميزات استراتيجية أو اقتصادية أو جغرافية أو دينية أو عسكرية، تجعل منها دولا ذات تأثير بالغ فيما حولها، ويتركز في هذه الدول الثقل الشيعي الأكبر عالمياً. أما النجاح في تفكيك هذه الدول - كما حدث في العراق وأفغانستان - ينتج عنه حقائق سياسية بالغة الخطورة أهمها: أنه لا يمكن بحال إعادة تأسيس الدولة المنهارة بعد تفككها عرقياً وطائفيًا إلا إذا توفرت عدة عوامل لا تجتمع عادة إلا مرات نادرة في التاريخ، والنتيجة الثانية أن الولايات المتحدة ستسيطر على بقعة جغرافية هائلة صالحة في معظم أجزائها لممارسة النفوذ السياسي ونشر التواجد العسكري، والنتيجة الثالثة أن الحصار وعدوى التفكيك سيكون من نصيب الدول العربية في المرحلة التالية. يبدو التدرج واضحاً في تراتبية التفكيك الأمريكي لهذه الدول، فأولاً: كانت أفغانستان هي الأضعف والأخطر لتواجد نظام إسلامي ممثل في طالبان التي فتحت أرجاء البلاد لتنظيم القاعدة، ثم كانت العراق الدولة التالية لتوفر مسوغات كافية لبدء الغزو، ومن ثم فإن إيران تبدو عدواً محتملاً أكثر من غيرها، ويقدم نظام الملالي صورة دعائية سيئة كافية لترويج العداء في الغرب ضد إيران، وأخيراً تأتي باكستان الحليفة، والتي لن يحين دورها إلا بعد انتهاء دورها أو دور مشرف في تقديم كافة سبل الدعم للحرب الأمريكية ضد " الإرهاب).



وفق "سايكس بيكو" جديدة. قصارى القول هو أن نجاح التغيير لن يسمح له أن يفضي إلى تفتيت هذه الدولة، بيد أن ذلك يدخلنا بالضرورة إلى ما بعد ذلك، وهل سيكون الاستقرار في دولة القلب المذهبي هو المسار التالي؟ أم أن التناقضات الكثيرة داخل المجتمع الإيراني ما تلبث أن تتحول إلى عبء على الوجود الأمريكي والمصالح الأمريكية في المنطقة كما حصل نتيجة التناقضات العراقية، الأفغانية؟

وهناك - أيضا - احتمال الفشل الأمريكي في إحداث التغيير في المطلوب من خلال السيناريو العسكري في إيران، وهو احتمال - على ضآلته - يبقى وارداً، وإذا نجح فإن وضعاً لا نعرف ماهيته وأبعاده سيكون بانتظار الدول العربية بمجموعها وبالذات ضمن نطاق الدائرة الخليجية، في حين سيكون إيذاناً ببداية تراجع الولايات المتحدة ومشروعها في المنطقة على اعتبار أنها القوة الوحيدة التي تتحكم بالعالم، وتسيطر على النظام الدولي الذي انبثق بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. على الجانب الآخر، فإن نجاح التغيير الأمريكي في إيران سييسر بمرحلة نهاية مشروع دولة الحلم الإمبراطوري برمته في العراق والدول العربية مجتمعة.

لكن ما هي عوامل استبعاد المواجهة مع الولايات المتحدة؟

أولاً: مهدت الولايات المتحدة الأمريكية لاستراتيجية استبعاد هذه المواجهة من خلال إصدار وكالات الاستخبارات الأمريكية مؤخراً التقرير الاستخباري بشأن الموضوع النووي الإيراني، وترى فيه أن وكالات الاستخبارات الأمريكية تأكدت من أن إيران لا تمتلك فعلاً قدرات نووية ذات طابع عسكري، ويعتبر التقرير الذي أصدرته الاستخبارات الأمريكية بخصوص الملف النووي الإيراني بمثابة صك براءة لإيران؛ حيث أكد التقرير أن إيران توقفت عن صنع السلاح النووي، حيث أوقفت برنامجها النووي ابتداءً من خريف عام ٢٠٠٣، ووفق هذا التقرير فإن احتمال تطوير إيران للسلاح النووي بات مستبعداً، ولكن السؤال المحوري هو ماذا



يريد أنصار بوش من خلال هذا التقرير؟ لا شك بأن هذا التقرير يُمهد قانونياً - وبشكل معلن هذه المرة، وليس من وراء الكواليس - لتعديل السلوك السياسي لإدارة بوش حول إيران، هذا الكلام يعني - مباشرة - أن عملاً عسكرياً أمريكياً ضد إيران في الوقت الراهن أصبح احتمالاً بعيداً، وهذا يتفق مع الرؤية الأوروبية المطالبة باحتواء إيران والتفاوض معها بدلاً من ضربها، وكذلك يتفق - أيضاً - مع الرؤية التي تقول إن ضرب إيران سوف يثير تعاطف العالم معها، ويعيدها إلى مربع الثورة ومقاومة الاستكبار العالمي، ومحاربة الشيطان الأكبر، وهي شعارات تثير السخرية، حيث فقدت إيران الكثير من المصداقية فيها، خاصة بعد دورها المشبوه في الأزمات الإقليمية مثل: الأزمة العراقية، واللبنانية، والأفغانية. ومن هنا فلماذا تقوم الولايات المتحدة الآن - مثلاً - بتطهير الرجس الذي دنس وجه إيران الثوري والذي أظهر براغماتية كبيرة من خلال علاقاتها المشبوهة مع الأعداء لتصفية المذهب السني؟ وهذا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية معنية في تعرية صورة إيران وأيديولوجيتها الثورية، لكن المهم في الأمر أن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تتفاوض مع إيران بخصوص المسألة النووية الإيرانية بدون التوسل بأداة التهديد بالحرب، ومواصلة التعامل دبلوماسياً مع هذه القضية، كذلك فإن إصدار هذا التقرير في مثل هذا التوقيت سوف يمهد الأرضية لمزيد من الظروف الإيجابية بهدف استمرار التعاون بخصوص الملفات والأزمات المتفجرة في المنطقة، ولكن الحقيقة أنه لا مفاجأة على الإطلاق في هذا التقرير بالنظر إلى تطور العلاقات الأمريكية الإيرانية، فالتراجع بهذه الطريقة - في هذا الوقت بالتحديد - هو هدف استراتيجي بالنسبة للمخابرات الأمريكية، وليس نوعاً من تمرد المخابرات على الإرادة السياسية، فهذه الاستخبارات التي كانت تفبرك القصص والمعلومات عن الملف النووي العراقي، لن تصبح جهازاً أخلاقياً بين عشية وضحاها^{٧٣٠}.

٧٣٠ - (نص التقرير: إيران النوايا والقدرات النووية (تقييم الاستخبارات الوطنية الأمريكية)، وكالة الإعلام الأمريكية، ٢٠٠٧/١٢/٣).



٦- إن في يد إيران أوراقا استراتيجية كثيرة في الإقليم، وتدرّك أمريكا تماما أن إيران ستستخدم هذه الأوراق ضدها بشراسة إذا هي ما تعرضت لهجوم عسكري أمريكي، وكذلك تبرز حاجة أمريكا الشديدة إلى إيران في العراق. وكما أسلفنا فإن الحرب على العراق كانت ثمرة تواطؤ بين أمريكا وإيران، ومن المؤكد كذلك أن نتائج الحرب كانت في صالح إيران، فهي الآن تعتبر بمثابة اللاعب الرئيسي في الساحة العراقية.

وفي نفس السياق يمكن القول إن وجود أكثر من (١٢٠) ألف جندي أمريكي في العراق إلى جانب نفوذ إيراني حقيقي وفاعل فيه، سيجعل حياة هؤلاء عرضة للخطر من عناصر الحرس الثوري الموجودين على الأرض في العراق بصورة أو بأخرى، وكذلك من القوى العراقية المعروفة بولائها لإيران. وحسب ما عبّر عنه الرئيس رفسنجاني - كما ذكرنا سابقا - فإن الجنود الأمريكيين الموجودين في العراق هم عبارة عن رهائن بيد إيران. كذلك استهداف المدمرات وحاملات الطائرات الأمريكية في مياه الخليج العربي للهجوم بواسطة القوة العسكرية الإيرانية، وقيام إيران بتوجيه ضربات عسكرية مؤثرة للقواعد العسكرية الأمريكية والمنشآت المدنية لدول الخليج العربي التي تتواجد هذه القواعد على أراضيها، سيجعل الولايات المتحدة في حالة حرج أمام حكومات وشعوب تلك الدول الحليفة أو الصديقة.

ستلجأ إيران كذلك إلى استراتيجية توظيف "شيعية الشتات" الموالين لها في بعض دول الخليج العربي والمنطقة لاستهداف مصالح الولايات المتحدة في هذه الدول مما يجعلها عرضة لخطر حقيقي من طرف إيران، بالتالي فإن توجيه ضربة عسكرية ضد إيران سيسهم في زيادة حدة العنف الطائفي من قبل القوى الموالية لإيران في العراق، وهذا سيكون ضمن استراتيجية مدروسة ستكون بالتناسب مع ازدياد الضغوط الدولية والأمريكية عليها فيما يتعلق بملفها النووي، حتى تمنع الإدارة الأمريكية من تنفيذ سيناريو الضربة العسكرية، مما ينعكس سلبا على شعبية



الإدارة الأمريكية التي يقترن نجاح مشروعها في المنطقة بمدى الاستقرار الأمني في العراق، خاصة أن الولايات المتحدة على أبواب انتخابات رئاسية قادمة.

وتبقى إمكانية إيران وقدرتها عسكريا لاستهداف القواعد الأمريكية الموجودة في مياه الخليج العربي ودوله واردة جدا، على الرغم من إعلان إيران مؤخرا على لسان محمد علي جعفري - قائد الحرس الثوري الإيراني - من أن إيران لن تستهدف شعوب ودول المنطقة في حالة حدوث مواجهة مع الولايات المتحدة^{٧٣١}،

وسوف تلجأ إلى غلق مضيق هرمز، ومنع مرور النفط وتدفعه عبرها إلى السوق العالمية، مما يهدد أهم مصادر الطاقة، خاصة إذا علمنا بأنّ قسما كبيرا من استهلاك العالم من الطاقة يمرّ عبر هذا المضيق.

يمكننا القول إن أهم المخاطر على الإقليم في حال توجيه ضربة عسكرية ضد إيران هو المخاطر المحتملة من حدوث كوارث بيئية نتيجة هذه الضربة، خاصة التلوث في مياه الخليج العربي الذي تعتمد عليه نفس هذه الدول لتحلية المياه، حيث يكاد يكون هو المصدر الرئيسي لها، والتلوث الإشعاعي نظرا لما ينطوي عليه قصف المفاعلات الذرية الإيرانية من تعاضم هذا الخطر، وهنا ما زالت إيران تراهن أن أكبر مفاعلاتها الذرية (مفاعل بوشهر) تقع على حدود دول لها علاقات تحالفية مع الولايات المتحدة، ومن هنا فإنّ ضربها سوف يؤثر على الدول الصديقة لها. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن قسما كبيرا من المفاعلات النووية الإيرانية تقع إما في مناطق غير آمنة زلزاليا، أو في مناطق غير آمنة على الصعيد الديموغرافي؛ فمفاعل بوشهر يقع في منطقة أغلب سكانها من السنة الإيرانيين المحرومين من أبسط الحقوق الدينية والاجتماعية والسياسية، كذلك فإنّ هناك خطرا يمثله مفاعل بوشهر النووي، وهذا الخطر هو تقني بالأساس، فالمعروف أن مفاعل بوشهر قد بني بنسبة تصل إلى (٦٠٪) من جانب ألمانيا بتقنية السبعينيات، وهو تاريخ الشروع بالبناء الأساسي، ثم جاءت روسيا فيما بعد لتضيف على البناء السابق لتعدل مجرد

٧٣١ - (تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني، جريدة كيهان الإيرانية، ٢٠٠٧/١١/١٩).



تعديل على البناء الألماني، ومن هنا فإننا ربما نكون أمام كارثة "تشرنوبل" جديدة في المنطقة مستقبلا في حالة حدوث أي خطأ تقني في عمل هذا المفاعل.

وفي مقابل أوراق الضغط العديدة الموجودة بحوزة إيران، فإن الخيارات البديلة أمام الولايات المتحدة لتبني سيناريو المواجهة تكاد تكون محدودة.

ويبقى سيناريو استبعاد المواجهة حاضراً وبقوة، ليتم التعامل دبلوماسياً مع دولة القلب المذهبي، وذلك بموجب عدد من الظواهر والقرائن والوقائع من بينها صعوبة الانتصار في الحرب على إيران خلال مدة بسيطة، ولا نقول صعوبة البدء في الحرب وإيجاد الذرائع للشروع بها، فما أغرى الولايات المتحدة في تبني سيناريو الحرب ضد العراق - عدا عن الدافع الديني الثوراتي - هو أن النظام الحاكم كان يعيش في حالة عزلة عن الشعب والجيش العراقي الذي أنهك بحروب متواصلة منذ العام ١٩٨١، وكانت وجهة النظر الأمريكية تقول إنه إذا ضرب ذلك النظام لن يدافع عنه أحد، في حين إن الوضع مختلف في إيران، فمهما يكن الرأي في ولي الفقيه وقيادته للنظام الثوري الإيراني، فليس من الواقعية أن يقال إنها تعيش في حالة عزلة عن شعبها المعبأ بثقافة شيعية مهدوية منحرفة، تريد أن تشفي غليلها من مظلومية يتوارثها جيل عن جيل، كذلك فإن الجيش الإيراني بفئاته وقطاعاته المختلفة هو جيش عقائدي، وبمعنى أدق فإن استراتيجيته التعبئة للدفاع عن دولة الحلم الإمبراطوري ستعتمد بالأساس على العقيدة الشيعية المشحونة أصلاً^{٧٣٢}، يفهم من هذا كله إن هناك انسجاماً مذهبياً وأيديولوجياً وقومياً بين النظام الإيراني والجيش الإيراني.

ومن هنا فإن من الجنون أن تتوحد أمريكا في مستنقع عسكري جديد أوسع وأخطر، في ذات الوقت الذي تسعى فيه للخروج من مستنقع العراق، ويشكل التغيير الكبير في الرأي العام الأمريكي مناخاً مناوئاً للحرب، وذلك نتيجة لجملة من الأسباب يأتي في مقدمتها: اكتشاف الأكاذيب التي أحاطت بالحرب على

٧٣٢ - (تم تناول هذا الموضوع بشكل مفصل).



العراق، خصوصا تقارير وزارة الدفاع وجهاز الاستخبارات الأمريكية، هذا عدا عن تشوه صورة الولايات المتحدة في العالم، والخسائر الكبيرة والمستمرة المتمثلة في حجم الخسائر البشرية والاقتصادية. ومن عناصر التغير الواضح في المناخ العام حالات التملل المتزايد في الجيش الأمريكي، والعزوف عن الخدمة العسكرية، والهروب من الجيش، وحالات الأمراض النفسية من الحروب التي يقرها السياسيون، وانتقادات العدد الكبير من جنرالات الجيش الأمريكي لقرار وإدارة الحرب على العراق^{٧٣٣}.

ومما يزيد من هذا الاحتمال أن الولايات المتحدة غير قادرة على التضحية بجنودها الذين سيقون في العراق، وبالتالي لن تستطيع المجازفة من خلال استمرار المواجهة مع إيران وأتباعها، وبقائها في حالة نزيف مستمر، خاصة مع ارتفاع وتيرة الجدل بشأن الوجود العسكري الأمريكي هناك، ومما يؤكد ذلك انقسام آراء السياسيين والعسكريين والمفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين حيال هذه القضية، فبرز هناك سيناريو هان رئيسيان:

١ - سيناريو الانسحاب الكامل من العراق:

ويتبناه معظم المفكرين والسياسيين الأمريكيين المعارضين لشن الحرب على العراق منذ البداية، من أمثال المفكر وعالم اللغويات الشهير "نعوم تشومسكي"، وعضو الكونغرس المعارض الأسبق "ديفد ديوك"، ووزير العدل الأسبق "رمزي كلارك"، حيث يقود هؤلاء الدعوة إلى سحب القوات الأمريكية من العراق فوراً، أو على الأقل وضع جدول زمني معلن لذلك، وتسليم مقاليد الأمور إلى العراقيين، ويبرر هؤلاء دعوتهم هذه بأن الحرب منذ البداية لم تكن شرعية، وبأنها

٧٣٣ - (رسائل الانتقاد من (٢٠) جنرالا أمريكيا، و(١٥) من العلماء الأمريكيين الحائزين على جائزة نوبل، الذين انتقدوا سياسة الرئيس بوش في العراق، وطالبوا بإعادة النظر فيما يسمى بسياسة الدفاع الوقائي والحروب الاستباقية).



قد زادت من كراهية الشعوب للولايات المتحدة، ويقولون إن استنزاف القوات المسلحة الأمريكية في العراق على يد المقاومة يستلزم اتخاذ قرار حاسم وسريع بسحب هذه القوات، وبأن الميزانيات المرصودة للتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية أحق بالبلايين التي أنفقت ولا تزال تنفق على وجود هذه القوات هناك.

لكن هذا الاتجاه لا يلقي لدى صناع القرار في البيت الأبيض أذانا صاغية، كما لا يحظى بالدعم والتأييد الشعبي اللازمين - على الأقل حتى الآن- لكي يتحول إلى رأي عام ضاغط على الإدارة الأمريكية يدفعها إلى المضي قدما في وضع مطلب انسحاب القوات موضع التنفيذ.

٢ - سيناريو البقاء مع التغيير في الاستراتيجية؛

وهو اتجاه يعتقد صحة وأهمية الوجود العسكري الأمريكي في العراق، بل يطالب بزيادة أعداد هذه القوات، وبالاهتمام بتسليحها وتدريبها، لكنه في الوقت نفسه يعارض أسلوب عمل هذه القوات كما ظهر خلال العامين الماضيين، ويني اعتراضه على فكرة جوهرية مفادها أن الوجود الكبير لهذه القوات في مناطق الكثافة السكانية يعرضها للهجمات ويكبتها المزيد من الخسائر، ويقترح أصحاب هذا الاتجاه سيناريو بديلا يعتمد على الانسحاب إلى قواعد عسكرية مجهزة تقع بعيدا عن هذه التجمعات، يفضل أن تكون في مناطق صحراوية، مع الإبقاء على قوة ردع سريعة الحركة قادرة على الوصول إلى أهدافها بحيوية، والتعامل عسكريا معها بخفة وكفاءة.

ويتزعم هذا الاتجاه العديد من العسكريين الأمريكيين، ومعظم الخبراء والمتخصصين في شؤون الأمن والدفاع بالمراكز البحثية الأمريكية الكبيرة، من أمثال الجنرال "بيتر شوماخر" رئيس أركان القوات البرية، " وكيث ماينز" الضابط السابق في القوات الخاصة، الذي كان ممثلا لسلطة الاحتلال في محافظة الأنبار بغرب العراق، والذي يعمل حاليا دبلوماسيا في وزارة الخارجية، و " الميجور ألبري



كريستوفر فارهولا" الذي كان حتى بداية هذا العام يعمل ضمن وحدات الاحتياط في العراق قبل أن ينتقل إلى الحقل الأكاديمي محللاً للشؤون العسكرية، وأمام لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب قال شوماخر في معرض إقناعه أعضاء اللجنة بأهمية تغيير أسلوب عمل القوات الأمريكية في العراق: " أحيانا تكون الطريقة المثلى والأسلوب الذكي للتعامل مع حرب العصابات- التي تدور رحاها في العراق حاليا- هي في حضور عسكري أقل وتركيز أكثر لنقاط تجمع القوات ومحاولات إخفائها عن العيون، وهو ما بدأنا نعمل عليه حاليا من خلال آمري الوحدات الموجودين في الميدان". أما "ألبري فارهولا" فقد أبدى موافقته على هذا الرأي، ودعا من خلال دراسة قام بإعدادها تحمل عنوان " الوجود العسكري الأمريكي في العراق: هل نحن أسوأ أعداء لأنفسنا؟" إلى تخفيف الوجود العسكري الأمريكي المكثف هناك، وإبعاده عن التجمعات السكانية؛ حيث إن ذلك على حد قوله: " يستفزها، ويؤدي إلى نفور بعض شرائح المجتمع العراقي".

وبتحفظ وافق الجنرال "مارك هرتلينغ" - أمر الفرقة المدرعة الأولى التي شاركت في احتلال بغداد - على الخطوط العريضة لسيناريو "البقاء مع تغيير أسلوب العمل"، لكنه بادر إلى القول: "إن هذا السيناريو يميل أكثر إلى اعتبار ما شاهده ماينز في محافظة الأنبار هو مقياس ينطبق بالضرورة على بقية المحافظات العراقية"، لكن "هرتلينغ" أكد عموماً على أن عمل القوات الأمريكية في العراق يتجه بالفعل إلى الأخذ بهذا الاتجاه، مستدلاً على ذلك بقوله: "إنه تم تقليص عدد النقاط الأمامية لتجمع القوات الأمريكية الواقعة في العاصمة العراقية من (٦٠) نقطة عام ٢٠٠٣ إلى (٨) نقاط نهاية ٢٠٠٤"، الغالب إذن على سيناريوهات الوجود العسكري الأمريكي في العراق هو البقاء مع تغيير أساليب العمل، وهو ما استخلصه القادة الميدانيون بعد خبرات متراكمة من وجودهم هناك^{٧٣٤}.

٧٣٤ - (محمد عبد العاطي، سيناريوهات الوجود الأمريكي في العراق، دراسة منشورة على موقع الجزيرة نت).



لاشك بأن هناك آفاقاً للحل لمنع المواجهة العسكرية بين إيران والولايات المتحدة، يأتي في مقدمتها الضغط على إيران للعدول عن مشروعها النووي بالترغيب والترهيب، وهذا ما لاحظناه عبر الدور الأوروبي وما عرف بالصفقات المغربية "الحوافز"، وقد رفضت إيران القبول بتعليق عمليات تخصيب اليورانيوم مستقبلاً، مقابل ضمانات تزويدها باحتياجاتها بسهولة وبأسعار مغرية عن طريق دول أخرى كالصين مثلاً أو روسيا.

إن دبلوماسية إيران النووية تهدف اليوم إلى الحصول على مكاسب أكبر من التي قدمها مجلس الأمن الدولي انسجماً مع دبلوماسية كسب الوقت تمهيداً لسياسة صدمة الخصم من خلال ما يُعرف بسلاح المفاجآت، وانسجماً مع ذلك فهي ماضية لإجراء المزيد من المفاوضات للحصول على مكاسب أخرى في ضوء ما بات يُعرف بعدم كفاية هذه الحوافز.

فدولة القلب المذهبي تسعى للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية محددة، ونفوذ في العراق، ودور في أية ترتيبات سياسية أو أمنية أو عسكرية مستقبلية في الشرق الأوسط، والنظر إليها كقوة إقليمية لا يمكن تجاهلها وهو الأرجح، مع إدراك إيران أن الولايات المتحدة غير قادرة على نزاع عسكري جديد مع دولة الحلم الإمبراطوري ضمن الظروف والمعطيات الراهنة، وقد وصف "علي لاريجاني" - مسؤول البرنامج النووي الإيراني "السابق" - صفقة الحوافز الأوروبية بأنها كمن يستبدل البرنامج النووي بقلب من الجاتو، لكن شواهد التاريخ تؤكد أن هذا لن يحدث، بمعنى أنه لم يحدث لأي أمة طامحة أن تنسحب في وسط الطريق وتتخلى عن برنامجها الواعد، (يقول الرئيس نجاد: إن الأمة الإيرانية قد وصلت إلى الذروة في برنامجها النووي ولا مجال للتراجع)^{٧٣٥}، وفي وقت سابق صرح "أن البرنامج النووي الإيراني قطار بلا كوابح"^{٧٣٦}.

٧٣٥ - وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، (٢٠٠٨/١/٣٠).

٧٣٦ - وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، (٢٠٠٧/٥/٢١).



ثانياً: سيناريو التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية الإيرانية، ونقل الصراع إلى داخل دولة القلب المذهبي؛

تنتهج دولة القلب المذهبي سلوكاً تدخلياً خطيراً في العراق بهدف بناء حلمها الإمبراطوري، فهي تسعى إلى زعزعة الاستقرار الأمني هناك بمختلف الوسائل والطرق، وتمارس سياسة شد وجذب في هذا الاتجاه لإظهار قدرتها لأمریکا ولدول المنطقة أنها باتت تملك معظم خيوط اللعبة السياسية والأمنية هناك، وأنها قادرة على خلق متاعب إضافية للولايات المتحدة بامتياز، إلا أن هناك بالمقابل إمكانية لتدخل عربي يهدف إلى خلق شكل من أشكال التهدئة أو الهدنة بينها وبين المقاومة العراقية بشروط من أبرزها الانسحاب الأمريكي من العراق، وتفكيك الوجود الإيراني فيه، كل ذلك بهدف جعل قوات التحالف للتفرغ من أجل القضاء على النفوذ الإيراني في العراق، لأننا لا نفترض إرسال قوات عربية للقيام بهذه المهمة عوضاً عن الولايات المتحدة التي ورطت نفسها في هذا الموضوع.

هذا السيناريو يفترض إضعاف القوى الموالية لإيران كخطوة أولى، وبالتالي فقدان إيران لإمكانية تهديد جنودها أولاً في العراق، والتخلص تدريجياً من النفوذ الإيراني الذي يتعاضد يومياً، خاصة وأن المقاومة العراقية تقوم باستنزاف قدرات الولايات المتحدة، وإشغالها إلى الحد الذي تجد فيه الولايات المتحدة صعوبة في فتح جبهة ثانية سواء مع إيران أو حتى مع الميليشيات الموالية لها في العراق، ولكن هل من الممكن الاستفادة منها في سياسة بناء المصدات الدفاعية داخل الإقليم الجغرافي الإيراني؟ وهل ستراهن أمريكا على تقسيم إيران؟ وما هي جدوى ذلك بالنسبة لها؟

إن الإسراع بحل المشكلة العراقية وتخليص العراق من الوجود الأمريكي والإيراني والإسرائيلي يكاد يكون سيناريو خيالياً، وهذا لن يكون إلا بنجاح كبير لعملية سياسية الجارية، ولكن المشكلة أن هناك تحالفاً أمريكياً - إيرانياً لدعم



النخب التي تقود هذه العملية، وبالتالي فإن الخطوة الأولى المفترضة إخراج النخب المالية لإيران من مؤسسات صنع القرار، وهذا مستحيل من الناحية العملية بالنسبة للإدارة الأمريكية، وكذلك فإن وجود مراجع التقليد الشيعة التي تشكل كاريزما بالنسبة للقطاعات الشيعية العراقية والمليشيات المسلحة المتعددة وفرق الموت التي توجهها هذه المراجع يعقّد هذا الخيار، ومن هنا فإن على إدارة بوش الحالية - وفق هذا السيناريو - التفاوض مع المقاومة العراقية السنية لإيجاد مخرج للأزمة العراقية الحالية، أما بالنسبة للدول العربية فسوف تحقق هدفا مهما وحيويا من خلال ذلك وهو تدمير مصدات الدفاع المذهبي التي قامت دولة القلب المذهبي " إيران " ببنائها في العراق، وبالتالي محاصرة عدوى إنفلونزا الخطر الشيعي والقضاء عليه في مهده قبل استفحاله في المنطقة.

أما السيناريو الأخطر المنبثق عن ذلك فهو عجز الإثنيات والمذهبيات العراقية عن التعايش معاً، بما يؤدي إلى تقسيم الدولة العراقية إلى عدة دويلات إحداها شيعية سوف تكون مرتبطة عضوياً بإيران، الأمر الذي يزيد من الوزن الإقليمي للأخيرة، وبالتالي فإن أحد محاور الانتقادات التي وجهت إلى العملية العسكرية الأمريكية ضد العراق كانت من زاوية تأثيرها على زيادة النفوذ والدور الإيراني في المنطقة المحيطة بها^{٧٣٧}.

كذلك لا بد من تبني استراتيجية مرتبطة بإيران نفسها والعمل على إثارة قلق داخلي فيها من خلال تحريك المكونات العرقية ضد نظام الحكم هناك، وهو عامل آخر مهم لا ينبغي إغفاله، فمنذ سنوات العشرينيات من القرن الماضي وولايات بلوشستان، كردستان، أذربيجان، وهي تشهد توترات وصدامات بشكل أو بآخر، خاصة في عربستان، حيث اتهمت إيران بريطانيا الحليفة للولايات المتحدة مباشرة بالوقوف وراء تلك الأعمال. وتعاني إيران حالياً من صراع متبادل

٧٣٧ - (خالد السرجاني، إيران وشيعة العراق: التحالف أم الخوف على الدور، مختارات إيرانية - العدد ٤٧ - يونيو ٢٠٠٤م، ص ٤٢ - ٤٣).



بين عدة أطراف، فهناك الصراع الشيعي الشيعي بين المحافظين والإصلاحيين، أو الصراع بين الليبراليين العلمانيين والدينيين، وهناك الصراع مع الأكراد، ومع السنة. ويعاني المجتمع الإيراني من تمزق هائل بين مختلف الأطراف التي تبدو إلى الآن متوازنة في درجة قوتها، وإن كان معدل تنامي الرفض للدولة الدينية في نموذجها الإيراني يبدو ملمحاً إلى المصير الحتمي بنشأة صراع داخلي قد يصل إلى مستوى انتفاضة شعبية شاملة أو حرب أهلية بين الأقليات نفسها أو حتى مع الحكومة الإيرانية التي سلبت هذه الأقليات أبسط حقوقها^{٧٣٨}.

لقد سلطت الأضواء من جديد على مشكلة الأقليات في إيران الخاضعة لحكم العنصر الفارسي، حيث لا تتجاوز نسبته سوى ما يتراوح بين (٣٥ و ٤٥ ٪) من السكان. وإذا كانت تفجيرات الأهواز الواقعة في جنوب غرب إيران على الخليج، قد أثارت مجدداً مطالبة أبناء المنطقة بالحكم الذاتي، حيث يمثل العرب (٤٪) تقريباً من سكان الدولة، وكانت لهم إمارة الأهواز التي يحكمها شيوخ آل خزعل قبل أن يحتلها الفرس، غير أن المشكلة الحقيقية للنظام الإيراني الذي يهيمن عليه الفرس، تكمن في الشمال، وتحديدًا على حدود أذربيجان حيث الأكثرية السكانية هناك من العنصر الأذري التركي الذي يمثل (٣٠٪) من سكان إيران.

كذلك فإن الأهواز تحوي معظم حقول النفط الإيرانية، بالإضافة إلى معادن أخرى، وفيها أهم الأنهار الإيرانية، وهي الواجهة الرئيسية لإيران على الخليج العربي؛ لذلك تتعامل طهران بحزم مع مطالبة عرب الأهواز بدولة مستقلة، وفي الوقت نفسه فإن الحركات السياسية لعرب الأهواز وهي "التيار الوطني بالأهواز"، و"الجبهة الديمقراطية لتحرير الأهواز" تعتبر أنه يمكن الاستفادة من الظروف الدولية والإقليمية الراهنة، لتحقيق الحلم التاريخي لهم، وهو التحرر من الاحتلال

٧٣٨ - (أحمد فهمي، تفكيك إيران: صراع السحالي والملاي، مشكلة الأقليات في إيران والسيناريوهات المستقبلية، إسلام أون لاين).



الفارسي وإقامة دولة عربية مستقلة^{٧٣٩}، ولكن حسب قول المراقبين فإن المشكلة الحقيقية للنظام الإيراني، ذي الطابع الفارسي، هي مع الأقلية الأذرية تقريباً للعرق الفارسي.

٧٣٩ - (اندلعت في الخامس عشر من أبريل ٢٠٠٥ انتفاضة للشعب العربي الأهوازي، وكانت الشرارة لهذه الانتفاضة هي وثيقة سرّبت من مكتب "أبطحي" - المدير السابق لمكتب الرئيس خاتمي - وعُرضت على تلفزيون الأهواز، مفادها أن النظام الإيراني يحاول تغيير التركيبة السكانية في إقليم الأهواز من خلال تهجير العرب وجعلهم أقلية في إقليمهم. في بداية الأمر كانت الانتفاضة مجرد مسيرات سلمية، وسرعان ما حولها عناصر النظام الإيراني إلى مجزرة بحق الشعب العربي الأهوازي، وبين الأهوازيون أن النظام الإيراني استعمل الذخائر الحية وإطلاق الرصاص العشوائي، وقام بعمليات مدمامة للمنازل للاعتقال، وتم اعتقال عدد كبير من أبناء الشعب العربي الأهوازي بشكل عشوائي، ودون أسباب واضحة ومعلنة. كما يتهم الأهوازيون النظام الإيراني بأنه يستعمل طرقاً لا إنسانية في تعذيب المعتقلين، ويعذبهم في الساحات العامة، وينفذ حكم الإعدام بحقهم بدون محاكمة، ووجد الأهوازيون العديد من الجثث لمعتقليهم خلال الانتفاضة ملقاة في نهر كارون. ويدعون أنهم يُمنعون من أخذ جثث قتلاهم إلا إذا دفعوا غرامة مالية باهضة، ويفرض عليهم التعهد بعدم وجود أكثر من (٦) أشخاص في تشييع جنازات القتلى.

وما زالت هناك مشانق عدة تنتظر أحكام الإعدام الصادرة - والتي تنتظر الصدور - من المحاكم الصورية التي يشكلها النظام، فقد بات النظام الإيراني يستعمل التفجيرات التي حصلت في الأهواز بعد الانتفاضة كحجة لإعدام عدد كبير من الأهوازيين منهم من لم يكن أصلاً في إيران وقت التفجيرات، ومنهم من كان معتقلاً وقتها، ومنهم من لم يصل سن الثامنة عشرة.

ويطالب الأهوازيون - حسب ما يقوله عضو قيادي في حزب التضامن الديمقراطي الأهوازي، ممثل الشعب العربي الأهوازي بمنظمة الشعوب غير الممثلة بالأمم المتحدة - UNPO - بحق تقرير المصير، ويطالب الأهوازيون بأن تقوم هيئة من الأمم المتحدة باستفتاء الشعب العربي الأهوازي حول رغبته بالعيش ضمن إيران أو لا، لأنه ضم إلى إيران بمعزل عن إرادته. محسن حميد، مشكلة الأهوازيين في إيران، موقع الأهواز الإلكتروني).



إن المشكلة الأذرية مؤجلة الآن؛ بسبب اضطرار جمهورية أذربيجان المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق تحسين علاقاتها مع نظام طهران لكسب تأييده لحل مشكلة شريط "ناغورنو كارا باخ" الحدودي المتنازع عليه مع جمهورية أرمينيا، وذلك رغم الخلافات العميقة بين باكو وطهران حول نفض بحر قزوين. وتتهم باكو طهران بدعم منظمات إسلامية راديكالية تقوم بنشاطات سرية في جمهورية أذربيجان، وتقول إيران إن أحزاباً قومية متنفذة في جمهورية أذربيجان تساند مجموعات أذرية إيرانية مستقرة في باكو تطالب بتوحيد ما تصفه هذه المجموعات بأذربيجان الشمالية (أي جمهورية أذربيجان) وأذربيجان الجنوبية (ولايات أذربيجان الغربية والشرقية وأردبيل وزنجان التركية الإيرانية)، والأكثر من ذلك احتجت إيران مؤخراً بصورة رسمية - وعن طريق سفيرها في باكو - على حكومة أذربيجان لنشر خريطة لأذربيجان الكبرى تضم علاوة على جمهورية أذربيجان، الولايات الإيرانية المذكورة، وأقساماً أخرى من شمال إيران (جنوب بحر قزوين) يقطنها أتراك إيرانيون. واتهمت إيران الحزب السياسي الذي ينتمي إليه الرئيس "حيد علييف" بنشر وتوزيع هذه الخريطة، غير أن الرئيس الأذربيجاني نفى أي علم له بطبع هذه الخريطة^{٧٤٠}.

وقد دقت العديد من النخب الإيرانية - وفي مقدمتهم إبراهيم يزدي^{٧٤١} - جرس الإنذار في هذا المجال، حيث تنبأ بأن إيران ستفكك جغرافيا واجتماعيا إذا لم تحل أزمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأشار إلى أن المجتمع الإيراني أصبح مُعقداً أكثر من أي وقت مضى بسبب هذه الأزمات. ولكن ما هو لاف للنظر - أيضا - أن ظاهرة انتشار الفكر السني في الأوساط الشيعية الإيرانية تجري بوتيرة ربما تكون أسرع من ظاهرة المتشيعين في بعض الأقطار العربية بكثير؛

٧٤٠ - (محمد عصمت. قنبلة الأقليات. الانفجارات في الأهواز والخطر في أذربيجان.

الوطن العربي - العدد ١٥٠٩ - ١٥٠٦/٢/٣، ص ١٣ - ١٤).

٧٤١ - (إبراهيم يزدي: هو أمين عام حركة آزادي " حركة الحرية في إيران"، لقاء أجرته معه محطة بي بي سي البريطانية، موقع المحطة الإلكتروني، ٢٠٠٧/٥/١٣).



والدليل على ذلك أن إقليم الأهواز العربي إلى ما قبل عشرة سنوات لم تكن نسبة أهل السنة فيه تتجاوز الـ (٢٪) فقط، في حين أن هذه النسبة ارتفعت الآن إلى أكثر من (١٥٪) وقد دفع هذا الأمر السلطات الإيرانية إلى اعتقال زعيم أهل السنة في الأهواز الشيخ عبد الحميد الدوسري، والحكم عليه بالسجن (١٨) عاما بتهمة قيامه بالدعوة للفكر السني. وهذا ما يكشف عمق النفاق في الخطاب الإيراني الداعي إلى التقريب والوحدة بين المسلمين.

وهنا لابد للدول العربية مساعدة السنة في إيران ضمن اتجاهين:

أ - دعم السنة في إيران "دولة القلب المذهبي" ماديا واقتصاديا ومذهبيا لتشجيعهم على زيادة الخصوبة الطبيعية وبالتالي تعزيزهم ديموغرافيا، وكذلك دعم هجرة أهل السنة من الدول العربية إلى الدول التي يمثل فيها الشيعة خطرا ديموغرافيا، وتعزيز النفوذ السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي للسنة في الدول العربية، وربط تحسين أوضاع الشيعة في المنطقة بقيام إيران بتحسين وضعية السنة في إيران، بناء على قاعدة المعاملة بالمثل.

ب - سيناريو دعم إيجاد كاريزما "سنية" إيرانية - يكون من الشخصيات التي تلقى قبولا من السنة داخل إيران بحيث يعهد إلى هذه الشخصية الدينية تنظيم شؤون السنة في إيران سياسيا ومذهبيا وروحيا، وتوجيهها في جميع المجالات، وتوفير الدعم الاقتصادي والمعنوي لها، ومنح هذه الشخصية اعترافا عربيا وإسلاميا ودوليا، بحيث تتمكن من قيادة السنة في إيران، ومن خلال هذه الخطوة سيتم تنظيم السنة في إيران، وجعلهم ورقة ليس فقط للضغط على إيران، بل محاصرتها ونقل الصراع إلى داخل حدودها، وليس المقصود اتخاذ أهل السنة في إيران كأداة، بل مساعدتهم على الخلاص من العنصرية المذهبية، بعد مدهم بأسباب القوة المختلفة.

كذلك لا بد من رعاية المعارضة الإيرانية في الداخل والخارج، وهي معارضة ليست ضعيفة كما يتصور البعض؛ فقد تستطيع أن تجمع حولها كل



الأقليات الإيرانية المضطهدة، بالإضافة إلى استثمارها للتيار الشبابي داخل إيران والذي يشعر بالضييق من القوانين المذهبية الصارمة، وبعض الممارسات لرجال الدين الإيرانيين^{٧٤٢}. وعلى هذا يمكن فهم دعوة الرئيس الإيراني للسماح للبنات الإيرانيات بالحضور على مدرجات الملاعب - والذي كان محظورا عليهن - فقد جاءت هذه المطالبة متزامنة مع تصاعد لهجة التحدي ضد الأمريكان، وفي هذا أكثر من دلالة، ولست أدري إذا كان الرئيس الإيراني قادرا على اتخاذ موقف آخر يسهّل أمامه الانفتاح على الأقليات الإيرانية كأن يسمح للمسلمين من أهل السنة أن يقيموا ولو مسجدا واحدا لهم في إيران.

ولا بد من تحريك الشارع الإيراني لإحداث تغيير شعبي داخلي بديلا عن العمل العسكري باهظ الثمن كما في الحالة العراقية. إن نظرية ولاية الفقيه، وبسبب خلطها إلى أقصى حدّ بين السياسي والديني، ولأنها عاجزة عن جمع شمل أطراف الشيعة في العالم حول مشروع دولة إسلامية - باتت تشكل في ظلّ هذه الظروف مبعث شقاق؛ فحتى في إيران - حيث مهدها- تقوم ضدّها حركة معارضة واسعة وحيوية تحت شعار الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية؛ فالبعض يفتشون عن خلاصهم في الدين، وآخرون عن تحرّهم عبر السياسة^{٧٤٣}.

ولا ينبغي التقليل كذلك من استثمار الخلافات بين الإصلاحيين والمحافظين، والبحث في كيفية استثمارها، بهدف إحداث تغيير داخلي عن طريق دعم القوى الليبرالية والأخرى المعارضة لنظام الحكم، وتفعيل دور منظمة مجاهدي خلق المعارضة، والتي لا تزال الولايات المتحدة تضع عناصر هذه المنظمة في معسكرات خاصة داخل العراق، وتقوم على حمايتها وتحديد نشاطاتها لاستخدامها ساعة

٧٤٢ - (حدثنا بعض الدارسين في إيران أن قطاعات من الشعب الإيراني تعبر عن ذلك بطرق ووسائل مختلفة. فيلم آدم برفي، فيلم مارمولك، أو من خلال قصص تثير السخرية حول إمام الزمان، وكاريكاتيرات).

٧٤٣ - (أحمد سالاماتيان، الشيعة الممزقون بين طهران وبغداد، صحيفة لوموند دبلوماسيك الفرنسية، يوليو ٢٠٠٥، ص ٦ - ٧).



تشاء، وتجميع الشخصيات والقوى الإيرانية المعارضة خارج إيران وفي داخلها، واحتضانها في إطار شبيه بما حصل مع المعارضة العراقية السابقة، ودعمها ماليا وإعلاميا.

ولكي نفهم آلية إدارة الأزمات وإقرار السياسات العليا الإيرانية، لا بدّ من إلقاء بعض الضوء على الخريطة السياسية العامّة في إيران.

حيث إن هناك صورتين تبدوان متناقضتين لكنهما ليستا كذلك، ففي السياسة الإيرانية يوجد ثلاثة اتجاهات تحكمهما أيديولوجية فكرية دينية واحدة، ويتبنيان مشروعاً إمبراطوريا قومياً واحداً، ولهما أهداف حيوية واحدة:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه المحافظ الذي يمثله رجال الدين، الذين يوصفون بالمتشددين أو المحافظين الجدد، ويطلق عليه في إيران تيار "إيثاركران" وهو يعني التيار الذي تقوده النخب التي اشتركت في الحرب الإيرانية العراقية، وقدمت التضحيات الجسام لبقاء إيران صامدة في هذه الحرب، وهم في العادة كانوا ممن انضوا تحت لواء الحرس الثوري الإيراني، ومن أبرزهم الرئيس "أحمدي نجاد"، وقسم لا بأس به من أفراد حكومته، والنخب الأخرى التي أدمجت وتقلدت مناصب هامة في مؤسسات صنع القرار السياسي، العسكري، الأمني، الثوري، الاقتصادي، الثقافي. وقد اضطر الاتجاه المحافظ التقليدي للانصهار داخل التيار الجديد تحت وطأة الضغوطات وللحصول على مكاسب جديدة، خصوصاً بعد تأييد المرشد المطلق للتغييرات التي أجراها نجاد في المناصب القيادية العليا في الدولة^{٧٤٤}.

ولا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن بعض هذه الفئات ترغب بالمزيد من الحوار والانفتاح على الغرب، وتحديدًا مع الولايات المتحدة الأمريكية، على

٧٤٤ - (وصفت الصحف الإيرانية نجاح الرئيس نجاد في الانتخابات الرئاسية بأنه انتصار للطبقة المسحوقة، ووصفتها كذلك بشورة الحفاة، صحيفة بازتاب، ٢٠٠٣/٧/١٥).



قواعد وأسس جديدة غير المبادئ التي كانت في مرحلة الرئيس رفسنجاني وخاتمي، ويتبنى هذا الاتجاه فكرة التفاوض سرا مع الولايات المتحدة، ويوظف هذا الاتجاه الدين في تنفيذ سياساته، ويزوج في أولوياته بين المذهبي بشكل أكبر على حساب القومي لتحقيق فكرة الحلم المذهبي، من خلال إعطاء هامش متسع للمؤسسات الثورية في إيران لتنفيذ هذه الأجندة بكافة الوسائل والسبل.

الاتجاه الثاني: ويتمثل بالاتجاه الإصلاحية الذي كان يمثله الرئيس السابق "هاشمي رفسنجاني"، ثم جاء الرئيس "محمد خاتمي" وبلوره من خلال تأسيس جبهة الثاني عشر من خرداد، وهو يؤمن بالحوار مع الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً، ولكن من خلال دبلوماسية معلنة، ويتبنى مساندة المدارس السياسية المعاصرة، والتعامل مع ما تفرضه المتغيرات التي طرأت على العالم، خاصة انهيار الاتحاد السوفييتي، وأحداث الحادي عشر من أيلول، وما أعقبها من إعلان الحرب الكونية على الإرهاب، وبروز مفهوم الحروب الاستباقية ضمن استراتيجية الدفاع الوقائي الذي أعلنته إدارة بوش، والتي كان من نتائجها الاحتلال المتعدد الجنسيات لأفغانستان بقيادة الولايات المتحدة، والاحتلال الأمريكي للعراق، والدور الإيراني الرسمي المعلن الداعم في كلا الاحتلالين، وتحمل فكرة الحلم الإمبراطوري القومي والمذهبي الأولوية في سياساته، موظفا المشروع المذهبي في خدمته، من خلال تبادل الأدوار بين المؤسسات ٧٤٥.

٧٤٥ - (ذكر لنا مسؤول عربي رفيع له علاقة بالملف الإيراني، أن المؤسسات الثورية قد أخذت مجدها في عهد الرئيس خاتمي، الذي استغلت سياساته المعلنة لتنفيذ الأجندة الثورية في العديد من الدول العربية، لدرجة أن أحد الملوك العرب اتصل بالرئيس خاتمي معاتباً بعد أن تم الكشف عن أحد المخططات التخريبية المدعومة من إحدى المؤسسات الثورية في دولته، فأخبره خاتمي بعدم علمه بالموضوع، وأبلغه بأن هذه المؤسسات ليست تحت سلطته مطلقاً).



الاتجاه الثالث: الخط الذي أخذ بالصعود الآن في إيران هو التيار المهدوي^{٧٤٦}، وكذلك الخط الوطني المتعصب، والذي يطلق عليه في إيران بتيار "ناسيوناليس تندر" ومعناه باللغة العربية (التيار القومي المتطرف)^{٧٤٧}، وهو الخط الذي يحاول تحجيم نفوذ التيارين السابقين علي التيار اليميني من خلال تصريحات قاداته وعناصره النخبوية والمنتشرة تحديدا بين النخب المثقفة خصوصا أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين. . . . والذي يجد شعبية متنامية في جميع طبقات المجتمع الفارسي، خاصة وأنه يحمل أفكارا عنصرية يقدم فيها المصلحة القومية على كل اعتبار، ويسعى إلى إحياء أفكار الشاه التوسعية ضمن إطار ما يعرف بالحقوق التاريخية لإيران في المنطقة خاصة تجاه دول الخليج العربية.

ثالثاً: سيناريو تشديد العقوبات وتضييق الخناق على الاقتصاد الإيراني حتى تنهار إيران اقتصاديا من الداخل:

وهذا سيتم من خلال القيام بسلسلة من الضغوط السياسية والاقتصادية التي تهدف بالنهاية إلى إضعاف إيران وعزلها^{٧٤٨}.

هذا يشمل استهداف ثلاثة أنواع رئيسية من الكيانات الاقتصادية التي تستثمر في إيران: النوع الأول: الشركات التي تستثمر في قطاع النفط الإيراني، وحجم

٧٤٦ - (تحدثنا عن هذا الموضوع سابقا بالتفصيل).

٧٤٧ - (في لقاء قامت به هذه الدراسة مع إحدى القيادات النافذة في إيران التي ينتمي إلى هذا التيار - وفضلت عدم ذكر اسمها - تحدثت عن قوة هذا التيار ورغبته في التوجه نحو الغرب؛ لأن العرب وقضاياهم جلبت المشاكل لإيران. وذكرت بأن أصل العلاقات الدولية يقوم على أساس تنمية التعاون بين الدول المتحضرة على اعتبار أن إيران دولة تمتلك مكنونا حضاريا هائلا، وتستحق التوجه نحو العالم الغربي المتحضر، وأن على الدولة الإيرانية أن لا تخجل من الإفصاح عن خط سير هذه العلاقات، وبالذات مع الولايات المتحدة، وتساءلت لماذا يتم تطويرها في الخفاء؟).

٧٤٨ - (كريم حسيني، سياست أمريكا در جهان امروز، سياست خارجي، شماره ٢١٣، تير ماه، ص ٣٢ - ٣٣).



استثماراتها أكثر من (٢٠) مليار دولار. النوع الثاني: الشركات متعددة الجنسيات، أو ما يطلق عليها الشركات عابرة القارات، وهذا النوع ليس من السهل إقناعه بمبدأ التخلي عن استثماراته في إيران، إلا أنه في الوقت نفسه من الممكن الضغط عليه من خلال فروعه الموجودة على الأراضي الأمريكية عن طريق فرض عقوبات عليها إذا تجاوزت القوانين أو التشريعات، التي تحظر التعاون مع أي كيانات اقتصادية إيرانية. النوع الثالث الذي يجب استهدافه هو: تلك الشركات التي تصدر الذخائر لإيران، ومعظمها شركات يابانية، وصينية، وروسية، وأوروبية. كذلك أولت الولايات المتحدة أهمية كبرى للخيار الدبلوماسي للتعامل مع إيران، فحاولت الإدارة الأمريكية كسب بعض الأطراف الدولية في صفها، مثل روسيا، بمعنى أن تقدم واشنطن تنازلات في بعض الملفات العالقة بين الطرفين، والتي تمثل أهمية أقل من الملف الإيراني عند الولايات المتحدة، وذلك في مقابل تمرير بعض القرارات الدولية داخل مجلس الأمن، وكذلك استغلال المشاكل الرئيسية التي يعاني منها الاقتصاد الإيراني:

الأولى: هي سيطرة المؤسسات الثورية على الاقتصاد وعلى رأسها الحرس الثوري الإيراني، والتي تجني مكاسب سياسية خرافية من جراء نفوذها، مما يعزز الفساد الإداري والمالي داخل المؤسسات الاقتصادية الرئيسية.

أما المشكلة الثانية فهي الاستخدام غير السوي لموارد الحكومة، والتي تنفق معظمها على دعم السلع الاستهلاكية والبنزين.

المشكلة الثالثة تتعلق بالبطالة، والتي تتزايد بشكل مستمر، خاصة في أوساط الشباب الذين يمثلون الأغلبية من التعداد السكاني الإيراني.

أما الرابعة فهي خاصة بالانحدار المستمر في أداء قطاع البترول، والتي تشهد حالة من الانهيار بعد أن أصبحت المصافي النفطية الإيرانية فقيرة للغاية، غير قادرة على توفير الحد الأدنى من احتياجات الشعب الإيراني من الجازولين. واقترح - كلوسون الذي عمل بالبنك الدولي لفترة طويلة - أن تستخدم الولايات المتحدة سياسة العصا والجزرة مع إيران عن طريق استغلال هذه المشاكل الرئيسية، للضغط



على النظام الإيراني لتغيير سلوكه أو لإسقاطه بعد أن يكون الاقتصاد الإيراني قد انهار تماما، فمشكلة الاقتصاد الإيراني ليس أنه يستورد (٤٣٪) من احتياجاته من الجازولين فقط، فإيران لديها الموارد المالية لشراء احتياجاتها، لذلك تجريدها من تلك الموارد سيكون بمثابة عصا سحرية لتدمير الاقتصاد الإيراني ومن ورائه صورة النظام الثوري، خاصة أن إيران لن تستطيع الاستمرار في تقديم الدعم للمواطنين على الجازولين لمدة طويلة^{٧٤٩}.

نحن نتحدث هنا عن سيناريوهات المواجهة العسكرية بين دولة القلب المذهبي "إيران" وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وعن السبل الكفيلة بمحاصرة حدود الإمبراطورية الشيعية الموعودة، لكن ماذا عن سيناريو الصفقة الشاملة بين إيران والولايات المتحدة؟ ولا بد من الإشارة في البداية إلى موضوع على درجة عالية من الأهمية، وهو يتركز على دبلوماسية أمريكا وإيران التي اعتدنا عليها من أن يتم توظيف سيناريو المواجهة العسكرية والترويج له للتغطية على المفاوضات للتبشير بالصفقة الشاملة من خلال الاستعداد المصطنع لسيناريو الحرب القادمة، ولرفع سقف التنازلات المتبادلة بين الطرفين، وهذا سيناريو غير مستبعد لأمرين في الوقت الحالي، الأول هو: وجاهة القرائن والوقائع وكثرتها من خلال التجربة الدبلوماسية بين الطرفين، الأمر الثاني: إنه في ذروة التصعيد بين أمريكا وإيران اعترف الطرفان بوجود مسؤول إيراني كبير في واشنطن ولندن للتفاوض في المسائل والقضايا التي تهم الطرفين.

إن إيران تُمارس دبلوماسية الانتظار بعد تمدها في الجنوب، وهي ماضية في دعم تكوين الجيب الشيعي هناك؛ بمعنى ترقب التطورات الإقليمية وساعة الحسم لتوظيف هذه الورقة الراححة (الأزمات الإقليمية التي لإيران دور فاعل فيها) تجسيدا لسياسة "تخادم الملفات وترتيبها حسب الأولويات والمصالح والأهمية، وموازنة فعالية هذه الأوراق على مقياس متعدد الدرجات من حيث الأزمة وتوقيتها" فعلى

٧٤٩ - (محمد الكبيسي، هل تعدت إيران الخط الأحمر؟ موقع المسلم، ١٤٢٧/٥/٢٢، ص ٢ - ٣).



سبيل المثال ما هي الورقة التي سوف تستخدم أولاً في موازنة الملف الأهم في المشهد الاستراتيجي الإيراني حالياً؟ حتماً سيتمثل بجدلية الصراع بين طهران وواشنطن حول الملف النووي الإيراني. وعلى هذا الأساس شعرت مؤسسات صنع القرار في شارع جمهوري ونيافران بضرورة حشد وتعزيز الأوراق التفاوضية الإيرانية، ولذلك فإن التصعيد في الأزمات الإقليمية خصوصاً العراقية واللبنانية كان زال حسب الحاجة والمصلحة التي تقتضيها الظروف، أما تبني "دبلوماسية الوساطة" إلى حد ومستوى ما حتى في الأزمات الأخرى، فهو يصب في خانة تأكيد قوة النفوذ الذي باتت تتمتع به طهران بعد أن أحكمت الخيوط في يدها.

وبقدر ما أقلق هذا الأمر الدول العربية الإقليمية، بقدر ما بعث الارتياح والنشوة لدى السلطات الحاكمة في إيران، خاصة بعد طلب بعض الدول العربية والنخب السياسية والدينية والأكاديمية من إيران وقف التدهور الحاصل في العراق ولبنان^{٧٥٠}.

من هنا فقد خسرت إيران كثيراً؛ لأنها حتى هذه اللحظة تكاد تحصر استجاباتها للدعوات الهادفة إلى ضرورة توظيف مداخل الأزمات في المنطقة للإسهام في بناء وإعادة الثقة وبعث الدفء في العلاقات مع الدول العربية عموماً والإقليمية خصوصاً في أضيق الحدود.

لكن لماذا تمارس إيران هذه الاستراتيجية؟ نعتقد أنه تحسباً لثلاثة أمور:

أولها: الحفاظ على ما أنجزته في العراق ولبنان من مكاسب حفاظاً على مصالحها التي تتعارض قطعاً مع مصالح جميع الدول العربية، وبسبب تبني إيران لسلوك سياسي يشكل هاجساً يمس أمن الدول العربية واستقرارها نتيجة هاتين الأزميتين على سبيل المثال؛ ولذلك فإن مفاتيح أبواب النجف وكربلاء ومزارع شبعاً معلقة بأستار طهران والنجف وكربلاء.

٧٥٠ - (مناشدة القرضاوي في رسالة موجهة إلى مرشد الثورة علي خامنئي، قناة الجزيرة،

٢٠٠٧/٥/١٢).



ثانيها: سعي الجمهورية الإسلامية الإيرانية لتحويل الحوار حول الأزمة العراقية واللبنانية والفلسطينية إلى مكاسب، وهذا اتضح من خلال مطالبتها بقوة لاستئناف حوارها وتنشيطه مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب فقط، وليس مع الدول العربية، وبالتالي فإن التفاوض حول ما اصطلح عليه مختلف الملفات "جمعا" معناه الأزمات الإقليمية تباعا، و"قصرا" يركز فقط على الملفات المتعلقة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقضاياها ومشاكلها مع المجتمع الدولي؛ ولهذا فإن هذه الرزمة بمجموعها يجب أن توضع على مائدة حوار دائرية، قاعدة نصف قطرها محجوزة لفريقين فقط؛ هما فريقا العمائم من طهران، والأفندية من واشنطن والعواصم الغربية، فطوبى لمن جمع بين الملفات، وأقصر مراده على نفسه لطلب الغنائم والغايات.

ثالثها: إن سعي طهران لجمع هذه الملفات، وإدغامها مع بعضها البعض في إطار رزمة واحدة، يصب بهدف التفاوض والحوار حولها مع واشنطن، ومرد ذلك الحرص الإيراني على تعظيم مكاسب سياستها واستراتيجيتها، وغايته توظيف نفوذها ودورها في الأزمات الإقليمية السالفة الذكر، لتحقيق صفقة شاملة ومربحة تمنحها إياها واشنطن في قرار طهران المكين، حتى تسهل فرضها على الدول العربية، وبالتالي تتمكن طهران من لعب دور إقليمي قائد، كيف لا؟ وهي حاضرة بقوة في هذه الملفات جميعها، ومن هنا فهي تحاول ضبط إيقاع سلوكها السياسي، صعودا وهبوطا حسب المتغيرات، والظروف الداخلية الإيرانية والخارجية، سواء كانت إقليمية أو دولية على حد سواء، وقد ضمن حضورها بشكل دائم في المشهد السياسي تحقيق ذلك، وطهران أدركت الغاية والمنال؛ ولهذا عظم مطلبها في الإقليم واستطال.

وحتماً سوف تسعى طهران من خلال الحوار مع إدارة بوش إلى التفاوض حول ما اصطلح عليه عرفاً مفهوم "الصفقة الشاملة" لتعيين ثمن هذه الصفقة، وطبيعة الدور المستقبلية المناطق بإيران وحدوده، والامتيازات المخولة لها وفق هذا



الدور طبعاً ضمن إطار يشمل مختلف الملفات، وهذا الأمر لم يعد سرا كما نقل ذلك الرئيس العراقي جلال الطالباني وعبد العزيز الحكيم عن مسؤولين إيرانيين، ثم أعلنت إيران بشكل رسمي استعدادها للتفاوض مع واشنطن على جميع القضايا والملفات.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية تدرك اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نجاح الصفقة وتحقيق المكاسب سوف يتم من خلال بوابة الحوار والتفاوض مع البيت الأبيض فقط، وليس مع الدول العربية؛ لأن مجرد القبول الأمريكي بهذا الحوار معناه أن الولايات المتحدة - القوة العظمى في العالم - تقر وتعترف أمام الأشهاد بدور وحجم النفوذ الإيراني في العراق ولبنان وفلسطين، هذا عدا عن دورها الإقليمي في المشاريع المستقبلية في المنطقة، وهذا الإقرار بالنفوذ معناه الاعتراف الغربي - أيضاً - بالمصالح الإيرانية.

لا شك بأن سلوك إيران السياسي كان مبرمجاً من خلال استغلال تطور الأزمات ومساراتها، الأمر الذي جعل الجمهورية الإسلامية تعتبر نفسها طرفاً حاضراً وبقوة في الحسابات والتوازنات التي حكمت أغلب مفاصل الأزمات في المنطقة، فليس خافياً على أحد أن طهران هي التي تتحكم بمسار الأزمة العراقية بعد نجاح حلفائها هناك، وعلى الرغم من مساعي الدول العربية للتقارب مع طهران سواء بشكل ثنائي أو من خلال مؤتمرات جوار العراق، إلا أن هذه الأزمة لم تهيم الأرضية لفتح المجال لحوار إيراني عربي هادف وجاد، على الرغم من صدق النوايا العربية.

والسؤال المطروح بقوة هنا لماذا غابت هذه الرغبة الإيرانية؟؟ هل لأن مؤسسات صنع القرار في طهران تعتقد أن الحوار مع الجانب العربي حول هذه الأزمة وغيرها لن يكون لصالحها في ظل المعطيات الجديدة الإيرانية؟ ومن هنا ركزت السياسة الخارجية الإيرانية على استراتيجية ظاهرها التفاعل بهدف حل الأزمة وباطنها تحويلها جلباً للمصلحة؛ ولذلك انتهجت دبلوماسية الرهان على



دعم الأحزاب الشيعية الرئيسية والمرجعيات الدينية، ونسج خيوط تحالف استراتيجي حتى مع شخصيات شيعية علمانية مثل أحمد الجلبي وغيره، وبهذا نجحت الأطراف الشيعية في الانتخابات من خلال دعم المؤسسة الرسمية والثورية الإيرانية.

وبهذا امتلكت هذه القوى زمام الفعل والمبادرة في الدولة العراقية الجديدة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأصبح آية الله السيستاني بقدرة قادر الزعيم الديني الأول في العراق، على الرغم من احتلاله المرتبة الثانية عشرة من بين مراجع التقليد في مدينة "قم" المقدسة". ولم يقتصر دور القوى العراقية السعي لتنفيذ أجندة تهدد العراق ودول المنطقة عموماً، كالمطالبة بتقسيم العراق إلى فدراليات بهدف ضمان تفصيل جيب إقليمي جديد في الجنوب على المقاس الإيراني فقط، بل تعدى قادة الإقليم المفترضين ذلك إلى لعب دور الوسيط بين طهران وواشنطن لإقناع الثانية بثمار الصفقة الشاملة وبركاتها؛ لأن من لحقها غنم، ومن وقف عنها ورفضها خسر وندم^{٧٥١}.



٧٥١ - (نبيل العتوم، ندوة حول العلاقات العربية الإيرانية في عهد الرئيس نجاد، منتدى الوسطية، الأردن: عمان، ٢٠٠٧/٦/١٥).



ملخص الدراسة



استفادت هذه الدراسة من النظريات السياسية المتعلقة بالدراسات الاستراتيجية، ولكن برؤية ومنهاج جديد في علم السياسة؛ حيث ركزت هذه الدراسة على أهمية المذهب، ودوره في بناء قوة الدولة، وتعزيز نفوذها وهيمنتها الخارجي، ضمن الإطار الأشمل لهذا العنصر من خلال سعيها إلى بناء المجال الحيوي الخاص بها، ووفق أسس "جيوستراتيجية مذهبية" جديدة، وقد ارتئنا الاستفادة من نظرية المجال الحيوي، وتحوير مفاهيمها وأفكارها وأطروحاتها بأسلوب علمي جديد، يتضمن دراسة المذهب الشيعي بمكوناته المختلفة، وما يحويه من أفكار وعناصر، وكيف تحول الشعب الإيراني قسراً من المذهب السني إلى الشيعي، وبالتالي كانت دراسة المذهب تحت هذا العنوان هي مهمة؛ لأن الدولة محل الدراسة (إيران) تريد اتباع استراتيجية جديدة، تسعى من خلالها إلى تحقيق الكثير من الأهداف عن طريق ضمان ضم المحيط الجغرافي المجاور، ولكن هذه المرة ليس عسكرياً بل مذهبياً، وضمن حلقة جديدة من سلسلة العناصر التي تحقق الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ، وكذلك تبني أساليب جديدة غير متعارف عليها في نظريات علم السياسة من خلال البعد المذهبي، وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

بالنسبة للسؤال الرئيسي الأول حول العوامل التي ساعدت دولة القلب المذهبي "إيران" على تبني استراتيجية بناء المجال الحيوي المذهبي الشيعي الخاص بها على الصعيدين الداخلي (الإيراني) والخارجي (الإقليمي والدولي والآليات والوسائل والأطروحات لتأسيس وبناء "قواعد ارتكاز ومداخل نفوذ مذهبية" لها

في العالمين العربي والإسلامي، ومؤشرات هذا المجال ومصدات الدفاع الحيوي المذهبي وأهدافها وغاياتها المعلنة وغير المعلنة من وراء ذلك، وهل استطاعت إيران من خلال اعتبار نفسها دولة القلب المذهبي الشيعي في العالم (مركز المجال الحيوي) نقل المواجهة والصراع بعيداً عن حدودها الجغرافية، بحيث جعلت الدول العربية المحيطة بها هي التي تدفع تكاليف أي مواجهة مفترضة بين إيران والغرب، وعن كيف استفادت إيران من توظيف المتغيرات الإقليمية والدولية للتفرغ لبناء المجال الحيوي المذهبي الشيعي على مراحل متعددة، في الوقت الذي كانت فيه إيران الدولة والثورة تقوم بتأسيس هذه المقتربات، ونقاط الارتكاز المذهبي التي تضمن لها بناء مجالها الحيوي، إذ كان يتم ذلك بصورة هادئة وغير معلنة، ومستفيدة من الظروف والمتغيرات المختلفة، إن شابها الشك أحياناً، كل ذلك بهدف عدم لفت نظر العدو، بسبب إما انشغاله، أو إشغاله بجبهات داخلية وخارجية مختلفة، حيث كان للدولة الإيرانية دور واضح في إثارة بعضه.

توصلت الدراسة إلى أن إيران أرادت من خلال سياستها وسلوكها الخارجي أن توفر لاستراتيجيتها المذهبية عوامل النمو والقوة التي تحقق مفهوم الدفاع عن أمنها القومي خارج حدودها، وهذا الأمر اتضح من خلال تناولنا إحدى أهم وأخطر القضايا التي تواجه العالم الإسلامي اليوم، والمتمثلة بالخطر الناجم عن الزحف المذهبي الشيعي "خطر الشيعة فويبا" القادم إلينا من إيران التي "تفترض" نفسها اليوم "أم القرى" بالنسبة للعالم الإسلامي، حيث توصلت الدراسة إلى أن العامل الجيوبولتيكي فرض على إيران قدراً من الاستمرارية في التأثير على الدول التي تمثل مجالها الحيوي المذهبي لتحقيق جملة أهدافها، إذ حاولت إيران الاستفادة من مداخل الأزمات الإقليمية لتضع أطراً جديدة تسهل عليها عملية التفكير مُجدداً لبناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة، على اعتبار أن إيران تمتلك خصائص المرجعية المذهبية التي أهلتها للاضطلاع بهذا الدور.



ومما ساعدها على ذلك تداخلها الديموغرافي وتواصلها المذهبي مع الأقليات الشيعية التي تُشكل إحدى أهم أدوات إيران لتحقيق أهدافها، إضافة إلى جملة المحددات والمتغيرات الداخلية (الجغرافية، الاقتصادية، العسكرية...) والخارجية (الإقليمية، الدولية)، حيث شكلت كلها عوامل داعمة لإيران. وكغيرها من الدول فقد تأثرت سياسة إيران الخارجية تجاه المنطقة العربية بمعطياتها الداعمة والطامحة إلى الانقضاض على المجال الحيوي الإقليمي مستفيدة في البداية من الجبرية الجغرافية (الموقع، الحدود) التي وضعتها في تماس مباشر مع دول عربية في المنطقة، ومن هنا كان للمعطيات الجغرافية المختلفة دورها الفاعل والمهم؛ إذ دعمت إيران لامتلاك دعائم لسياسة خارجية قوية ومؤثرة تجاه إقليمها.

بشكل عام يمكن القول إن الخصائص العامة للموقع الجغرافي الذي تتمتع به دولة القلب المذهبي جعلت منها دولة متميزة الموقع، بالإضافة إلى ذلك مكّنها هذا الموقع لتكون همزة الاتصال المحوري بين مجموعة من الأقطار العربية التي يتواجد بها أقليات شيعية كبيرة نسبياً بالمقارنة مع دول عربية أخرى، إذ تُشكل فيها هذه الأقليات نسبة بسيطة من الحجم السكاني مقارنة مع الدائرة الأولى، ووفق هذا المنظور فهي معنية بأن تكون نقطة الارتكاز (المصدات، خطوط الإمداد) بالنسبة لدولة القلب المذهبي لتغذية الأطراف، بعد أن صارت همزة اتصال محوري للإمداد الشيعي بين مجموعة من الأقطار العربية مع غير العربية، ولذلك اعتبرت دولة القلب المذهبي "إيران" نفسها معنية بقضايا الشيعة الذين يقطنون في هذه الدول، وقد دعم ذلك امتلاكها لموارد ضخمة عززت موقع إيران المذهبي (الإقليمي والدولي)، الأمر الذي جعلها مؤهلة لممارسة تأثير متعدد الجوانب على القطاعات الشيعية، من هنا فإن إيران تعتقد أنها تمثل مركز الإحياء الشيعي في العالم، وهذه الرؤية تؤهلها للسيطرة على مكامن الطاقة الروحية والمادية التي يمتلكها الإقليم الذي يزخر بالوجود الشيعي.

ولا شك بأن مجموعة العناصر الأساسية التي تمثل عوامل قوة المجال الحيوي المذهبي التي شملت محددات جغرافية تتمثل بفعالية الموقع وأهميته، حيث



دعمت هذه المتغيرات قدرة إيران على بناء دولة القلب المذهبي، وأن تصبح دولة المركز بلا منازع، ومن هنا فإن مرونة الموقع وقوته مكّنت دولة القلب المذهبي لتصبح حلقة الاتصال بين القلب والأطراف (الهلال الإقليمي والخارجي)، هذا عدا عن فعالية هذا الموقع وإمكاناته ومكوناته بغرض دعم بناء مصدات دفاع مذهبي، حيث بات الموقع الجغرافي يلعب دوراً مهماً في تفعيل التمدد المذهبي لإيران، والتأثير على سلوك السياسة الخارجية الإيرانية، إذا أخذنا بعين حساسية هذا الموقع، وبما منحها ذلك من تنوع في الخصائص الجغرافية ووفرة في الموارد والإمكانات، هذا عدا عن امتلاك إيران لحدود طويلة تكاد تكون هي الأطول مقارنة مع الدول الأخرى، الأمر الذي أسهم في زيادة النفقات الدفاعية المخصصة لأمنها من ناحية، وللحفاظ على هيبتها المذهبية الشيعية ضمن محيط يشكل فيه السنة نسبة كبيرة من ناحية أخرى، وقد تحددت أهمية الخصائص الجيوستراتيجية لدولة القلب المذهبي من خلال امتلاكها خصائص الكتلة البرية الواسعة والبحرية الممتدة بحريا التي تكفل لها تحقيق عنصر الغزو والاقترحام المذهبي، إذ إن إيران أقرب لتكوين جزيرة مذهبية إقليمية عظمى، تمهيداً لكي تكون إمبراطورية عالمية.

إن أضلاع هذه الدولة الجغرافية والديموغرافية لا تستطيع أن تقدم إطاراً دفاعياً مذهبياً منيعاً، خصوصاً أن مناطق الأضلاع الإيرانية المختلفة تعاني من وجود أقليات مذهبية سنية لم تستطع إيران - لغاية هذا اليوم - إدماج هذه الفئات مع أهداف الدولة المركزية وبرامجها وسياساتها "الجواستراتيجية العرقية والمذهبية المتنوعة، حيث لم تستطع أن تتوافق مع تطلعاتها الجيومذهبية، بل أصبحت تشكل خطراً على مشروعها الإمبراطوري. وتأسيساً على ذلك فقد اتضح أن دولة القلب المذهبي اعتبرت الدول العربية الإقليمية فريسة سهلة لتحقيق أهدافها التوسعية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن حسابات توازن القوى باتت الآن تميل لصالحها، ومن هنا جعلت من نموها وتمدها المذهبي، وضمان ديمومته لإحكام سيطرتها على الإقليم أمراً ضرورياً وحيوياً.



خلصت الدراسة إلى أن إحدى أهم اهتمامات دولة القلب المذهبي الشيعي لبناء مجالها الحيوي والذي يساعدها على إقامة إمبراطوريتها الشيعية الموعودة هو محاولة السعي للسيطرة على موارد اقتصادية إضافية جديدة من خلال السطو ونهب خيرات بعض دول الهلال الإقليمي التي دخلت فعليا ضمن مجالها الحيوي المذهبي، وفي مقدمتها العراق وبنفطه.

فالعراق يُمثل بالنسبة لإيران "الملجأ الجيوبولوتيكي المذهبي" الأهم الذي يضمن لها الاستقرار وعدم التعرض لمشاكل خطيرة، فغزو العراق عبر التاريخ كان يحل بعض نتائج أزمات القحط في إيران، ويوفر لها ثروات طائلة حينما كانت الزراعة هي المصدر الأساسي للثروة، وهذه الحقيقة الجيوبوليتيكية تفسر دوافع التنافس أو الحرب بين العراق وإيران منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

وعلى الرغم من امتلاك دولة الحلم الإمبراطوري للثروات لكنها تحاول بسط السيطرة على اقتصاديات دول المنطقة بأساليب غير أخلاقية مباشرة وغير مباشرة كسرقة النفط العراقي، وبث المخبرات الإيرانية الخراب في العراق لإعاقة تصدير النفط العراقي، وبث حالة عدم الاستقرار في الدول العربية خاصة الخليجية البترولية، وهذا الأمر سوف يسهم في استمرار الارتفاع الجنوني لأسعار النفط، وبالتالي توفير مداخيل مالية من العملة الصعبة لإيران، فالعراق يتعرض الآن لأكبر سطو على خيراته ومقدراته من جانب دولة الحلم الإمبراطوري، فهي تمارس اليوم سياسة النهب المنظم لثروات بلاد تعتبرها امتدادا لمجالها الحيوي.

وخلصت الدراسة إلى أن دولة القلب المذهبي تتولى انتهاج استراتيجية النفوذ إلى المنطقة من خلال عدة وسائل ومن أبرزها "الغزو الاستثماري"، وهذا يتضح من خلال الدعم الإيراني اللا محدود لسيطرة الاستثمارات ذات الأصول المالية الإيرانية على الاقتصاد في دول الخليج العربية ومعظمها شيعية، تحت شعار خلق المصالح المشتركة، وتوظيف هذه الأموال وغيرها من جديد من خلال التغذية الراجعة للمليارات الدولارات التي تعيد تدويرها باتجاه مراجع التقليد والحوزات من



جانب الأقليات الشيعية العربية سواء في الخليج أو غيره من الدول، وإعادة تدويرها من جديد لخدمتها، بهدف مساعدة شيعة الشتات والتشيع، انسجاماً مع فرضية توسيع المجال الحيوي الذي يهدف إلى بناء الإمبراطورية الشيعية، هذا مع تأمين حصول إيران على المزيد من الموارد غير الموارد النفطية والمعدنية، وبما يُمكنها من الإنفاق على بناء مصدات دفاعية مذهبية جديدة، وبالتالي السعي التدريجي لتقليص اعتماد شيعة الشتات القادمة من دولة القلب المذهبي إلى دول الخليج العربي، وتعميق فكرة الاعتماد على المشاريع الاقتصادية لتغذية دولة القلب المذهبي الأم،

وكل هذا يتضح من خلال تقسيم موارد الشيعة أنفسهم على بعضهم البعض، والشيعة اللبنانيون في دول أمريكا الشمالية واللاتينية أكبر مثال على ذلك.

لا شك بأن دولة الحلم الإمبراطوري الشيعية تمتلك موارد ضخمة لتحقيق هدف بناء هذه الإمبراطورية، وتتبنى سياسة خارجية وسلوكاً تدخلياً في الأزمات الإقليمية والشؤون الداخلية العربية، وتوجيه شيعة الشتات كأداة لتحقيق هذه الغاية، كذلك بهدف توفير حركة إمداد وتغذية باتجاه دولة الحلم الإمبراطوري لضمان ديمومة هذه الموارد لغاية تدويرها خدمة لبناء مجالها الحيوي المذهبي، الذي يُسرّع في النهاية في إحياء وبعث إمبراطوريتها الشيعية، حيث خلصت الدراسة في هذا المجال إلى أن العراق يُمثل بالنسبة لشيعة الشتات بصفة عامة ولإيران بصفة خاصة "الملاذ المذهبي لبداية التمدد الشيعي" تمهيداً لإخضاعه نهائياً لنفوذها وسيطرتها، وذلك نظراً للمكانة الدينية للعراق بالنسبة للشيعة، فالمزارات والأماكن الشيعية المقدسة موجودة في جنوب العراق، وتُمثل هذه المزارات أهمية كبيرة لهم، حيث يشد الشيعة في إيران والشتات إليها الرحال، كما يعتقد معظمهم أن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة المكرمة، ولن يقر لهم قرار ما دامت هذه الأماكن لا تخضع لسلطانهم، وعلى هذا الأساس تبنت إيران استراتيجيتين؛ الاستراتيجية



الأولى: التشجيع باتجاه تقسيم العراق كخطوة أولى، وبالتأكيد فإن دعم إيران للفيدرالية لا يقصد منها في حقيقة الأمر إلا تقسيم العراق وتفتيته، وبالتالي إخراجها من معادلة القوة السنية، الاستراتيجية الثانية: تتمثل بصياغة حركة اقتصادية فعالة بين مركز دولة القلب المذهبي "إيران"، والجيوب الشيعية في العراق (المحافظات الشيعية في الجنوب) بصور وأشكال مختلفة؛ ليكون العراق القاعدة المذهبية التي تمثل مستقبلاً أولى خطوط إمدادها المذهبي، ويشكل في الوقت نفسه أقوى المصدات الدفاعية التي تسعى دولة ولي الفقيه لبنائها هناك، ولتكون في الوقت نفسه بمثابة القواعد للانقضاء على الدول العربية الأخرى التي تقع ضمن المجال الحيوي لإيران.

خلصت الدراسة إلى أن العنصر البشري يُشكل العنصر الحيوي لدولة القلب المذهبي لبناء مجالها الحيوي وإمبراطوريتها الموعودة، حيث لا بد من ترتيب مرحلة لخطة ديمغرافية على منحى متعدد المراحل، بدأت معالمها تتضح من خلال إصدار مراجع الشيعة للفتاوى التي تحث على رفع نسبة النمو السكاني لتعزيز وضعيته ومكانة الأقليات الشيعية ديموغرافياً، مذهبياً، سياسياً... في دول الهلال الإقليمية (الدول الخليجية، لبنان...)، وهذا يثير عدداً من الأسئلة المتصلة بقيمة الزيادة السكانية الشيعية في حد ذاتها، في الوقت الذي تتجه فيه هذه المجتمعات نحو تنظيم التزايد السكاني على مراحل تبعاً لمتطلبات نموها الاقتصادي، وبدرجة باتت تؤثر معه عملية الاختلال بين النمو السكاني الشيعي والسني في هذه المجتمعات لصالح ميزان النمو الشيعي، وبالتالي فإن ذلك سوف يدعم شيعة الشتات الذين يحاولون التعويض ومحاولة التعبير عن أنفسهم من خلال البعد الديموغرافي الذي تعتبره دولة القلب المذهبي "إيران" مهما وحيويًا بالنسبة لها على الأقل في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة.

وقد استنتجت الدراسة كذلك أن دولة القلب المذهبي تسعى إلى دعم شيعة الشتات، ليكونوا ركائز بشرية لدولة القلب المذهبي مستقبلاً لبناء مجالها الحيوي،



ومن هنا فإن إيران تدعم زيادة حجم القوة البشرية لشيعة الشتات ودعم نخبتها المذهبية، الفكرية، الاقتصادية، وتعزيز انخراطها حتى في المؤسسات الخدمية والإنسانية والتعليمية، إضافة إلى دعم تكثيف تواجدها في المناطق التي تُمثل موطنها الأصلي في العالم، وموثلاً للأرض الموعودة التي سيظهر فيها المهدي الشيعي الذي سيقود العالم ويخرجه من الظلمات.

ومن هنا فإن تشجيع نمو النسل الشيعي، وزيادة التواجد الشيعي مذهبياً واقتصادياً وسياسياً في البقعة التي تُمثل المجال الحيوي لدولة الحلم الإمبراطوري، مع السعي لتقوية روابط التماسك المذهبي والاجتماعي والقضاء على الصراعات والتناقضات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تسود المجتمعات التي يتواجد فيها الشيعة والمقصود هنا فيما بينهم، يهدف إلى ترسيخ قواعد التضامن بين فئاته، ورفع المستويات الثقافية والخدماتية في مجالات الصحة والتعليم والإسكان...، وضرورة إحداث خلل في توازن التركيبة السكانية لصالح الشيعة، وبما يحقق وينسجم مع أهداف ومخططات الحلم الإمبراطوري الشيعي.

وتوصلت الدراسة كذلك أنه وفي الوقت نفسه تسعى إيران إلى تبني استراتيجية تهدف إلى تحجيم الوجود السني بأية وسيلة ممكنة في بعض الدول التي تمثل الهلال الحيوي المذهبي الأول، حيث بات هذا الأمر يشكل أولوية قصوى، وفي هذا المضمار أصدر مراجع التقليد الشيعة - بتوجيه إيراني - فتاوى لاجتثاث السنة سواء داخل إيران أو خارجها خاصة في العراق، ولم يسلم من ذلك الفلسطينيين المقيمون في العراق، وهذا الأمر يفضح السياسة الإيرانية التي تدعي أنها تدعم القضية الفلسطينية.

خلصت الدراسة إلى أن للمعطيات المذهبية دوراً داعماً في سعي إيران لبناء حلمها "الإمبراطورية الشيعية"، على أساس اعتبار أن هذا الهدف هو هدف مذهبي مقدس، فالتبشير بالإمبراطورية الشيعية العالمية منطلق بلا ريب من الطبيعة المذهبية للدولة الفارسية؛ لأن المذهب الشيعي مُصمَّم - حسب الزعم الشيعي -



ليكون دين البشرية. ووفق ما طرح في هذه الدراسة فإنه - وحسب الرؤية الشيعية - لا تُعتبر الدول العربية السنية دولاً إسلامية؛ لأن المقياس لإسلامية الدولة الحقيقي مُرتبط بشيوعيتها حسب المذهب الشيعي، فالدول العربية السنية لا تؤمن بمبدأ ولاية الفقيه من أساسها، وبالتالي فإن المعيار الذي تفرضه الرؤية الشيعية للحكم على إسلامية الدولة والحكومة التي تقودها قد أصبحت نتيجة عدم وجود نظرية للحكم تطبق المذهب الشيعي مذهبياً وسياسياً وروحياً، لأن الأصل حسب المفهوم الشيعي أن يتم تنظيم العالم الإسلامي في وحدة دينية واحدة يرأسها ولي الفقيه، على اعتبار أنه ولي أمر المسلمين كافة، وخلاف ذلك سيكون خارجاً عن طبيعة النظرة الشيعية للعالم، وهو مبدأ ثابت لن يتغير.

وهذا الأمر من ثوابت الدستور الإيراني، الذي أسس للدولة الشيعية التي يقودها الولي الفقيه، والتي ستكون بدورها نواة الإمبراطورية الشيعية الموعودة، ومن هنا فإن عدم سيطرة الفقهاء المؤمنين - والموسومة بولاية الفقيه - على الدول العربية والإسلامية - حسب الفهم الشيعي - يُدلل بشكل كامل على عدم إسلامية الدولة وحكومتها. وقد خلصت الدراسة في هذا المجال أننا لو غرضنا الطرف عن هذه المسألة فإن نظرة الشيعة لنظرية الحكم في الإسلام تقوم بالأساس على نظام سياسي يقوم على مذهب محدد هو المذهب الشيعي فقط، حيث يمتلك هذا المذهب رؤية وتصوراً ونظماً يفترض وجود الدولة الإسلامية التي يحتل فيها المذهب الشيعي تلك المكانة في الحكم، وتسير على وحي من هديه المذهبي، لدرجة يعتقد المؤمن بالإسلام - حسب الرؤية الإيرانية - بوجوب اعتناق هذا المذهب والإثم بتركه، وبشكل يفرض خلاله على الأمة الإسلامية جمعاء تنظيم الحكم وإقامة الدولة وفق الرؤية الشيعية، على اعتبار أنها تمثل وحدها - فقط - الإسلام الصحيح. والطريف في الأمر أن هذا معناه الاعتراف بأمرين، الأول: بصحة المذهب الشيعي وعدم صحة أهل السنة، والثاني: أن السلطة هي لخليفة المسلمين ولولي أمرهم ومرجعهم "السياسي" الشيعي الأعلى الذي يقيم في مقر دولة الحكم الإسلامي "إيران".



وبالتالي فإن الحكومة الشيعية العالمية تستمد ولايتها وقدرتها ومبادئها من الشيعة؛ لأنهم أساس الإسلام الخالص والحقيقي، وأصحاب الولاية الحقيقية على العالم الإسلامي، وعلى هذا الأساس فإن المذهب الشيعي سيصير هو الحاكم والمسيطر والمطاع والموجه لشؤون الحياة كافة، وهو الذي سيقع على عاتقه تطبيق شريعة الله في الأرض، وأن يقود عملية الخلاص الكبرى من خلال الإمام المهدي الشيعي الذي سيقود العالم، وأن الشيعة يرون علو الإسلام " الشيعي " من منطلق نفي السبيل على المؤمنين؛ لأن ذلك هو تقرير لحقيقة علو النظام الإسلامي " الشيعي " ولذا لا يبقى أي شك في أن السيادة - في تصورهم - ستكون من خلال تصور الإسلام الشيعي، ووفق نظرية التفويض المطلق لولي الفقيه لإدارة شؤون الإمبراطورية الشيعية الموعودة، ولا يمكن وفق هذا التصور أن يتنازل الشيعة في العالم عن هذا الدور لصالح أهل السنة والجماعة؛ لأن إقامة الدولة الإسلامية غير الشيعية معناه التنازل عن أسس الإسلام الصحيح لصالح فرقة ضالة " السنة " لا تملك الشرعية لبناء الدولة الإسلامية؛ ولذلك فإن وحدة السلطتين الشيعية والسياسية، والقبول بإمامة الإمام الشيعي هو إتمام للدين، وإكمال للنعمة السماوية على الأرض كلها، وأي انفصال في هذه الرؤية يعبر عن تطبيق غير صحيح ومغلوط للإسلام. ووفق هذا التصور فقد خلصت الدراسة إلى أن هذه الرؤية تمثل دعوة انقلاية سوف تمهد لإقامة إمبراطورية شيعية في العالم، لأنها كما ذكرنا لا تؤمن بأي مذهب ولا حتى دين آخر، وهذه رؤية استعمارية جسدها دولة مذهبية أسهم الغرب في نشأتها وقوتها لتفجير العالم الإسلامي.

أما المبدأ الخطير الذي توصلت إليه الدراسة هو ما اصطلح عليه في المذهب الشيعي بسياسة " تأليف القلوب "، حيث يعتبر الشيعة هذا الأمر من أبرز إيجابيات الشريعة الإسلامية، ومعناه أنه في حالة وجود بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام الصحيح " السنة " يلجأ الشيعة إلى انتهاج دبلوماسية تأليف القلوب، حتى تمهد وتسهم في انفتاح النفوس الضالة والمتعددة عن الهداية والحقيقة، وبالتالي



ينبغي أن يتم التقرب إليها، والاستراتيجية لتحقيق هذا المبدأ تتمثل بالاستراتيجية الاقتصادية ممثلة " بسهم المؤلفه قلوبهم " من خلال مصارف الزكاة، وهذا الأمر فتح مجالاً للعمل المنظم لتحقيق هذه الغاية، عبر الوقوف إلى جانب المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، كل ذلك بهدف تسهيل جلب القلوب إلى الإسلام الحقيقي " الشيعي " . والفقهاء الشيعة يختلفون في تعريفهم لطبيعة فئة القلوب المؤلفه، حيث وجدت الدراسة أن هذه الاستراتيجية اختصت بغير الشيعة ووصفتهم بغير المسلمين، بضعيفي الإيمان...، لكن الخميني اعتبر مبدأ تأليف القلوب مبدأ عاماً يتيح للدولة الإسلامية " الشيعية " أن تلحظ مصلحتها أينما تكون، وتسعى لتحقيقها، وبالتالي تقديم المساعدات إلى مختلف الدول والتنظيمات وحتى الشخصيات على شتى مذاهبها، مادام ذلك يحقق الحفاظ على مصلحة الدولة الإسلامية، ويسهم في تأليف قلوبها، وهذا السهم الممنوح للمؤلفة قلوبهم لا يختص مورده بباب الزكاة فقط، وإنما نجد المذهب الشيعي يسمح للإمام أن يقوم بالإنفاق بما يحقق مصلحة الإسلام " الحقيقي " من أموال الدولة، في سبيل تقرب القلوب إليها وإلى مبادئها، وبما يعود بالنفع على القضية الكبرى المتمثلة في تكوين الحكومة الإسلامية العالمية " الشيعية " ، وهذه الرؤية تفضح الأسباب الحقيقية التي تقف وراء دعم إيران لبعض الأحزاب والتيارات الإسلامية السنية (حماس، الجهاد الإسلامي، الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر...) لأن هذا الدعم - وفق رؤية علماء الشيعة وفي مقدمتهم الخميني - يجب أن يحقق مصلحة إيران القومية والمذهبية من ناحية، كذلك على أمل أن يسهم في استمالة قلوب قيادة هذه التيارات وأعضائها تمهيدا لتشيعها من ناحية أخرى.

توصلت الدراسة أنه واستناداً للفقه الشيعي فإن الحكومة الإسلامية مكلفة بالجهاد العسكري، و بجهاد الدعوة ضد أهل السنة عندما تكون لديها الإمكانيات اللازمة للقيام به، وإلا فالجهاد محظور شرعاً. أما بالنسبة للجهاد والمجاهدين والفئة المستهدفة ضمن المفهوم والرؤية الشيعية، فنجد أن أهل السنة هي الفئة



المستهدفة من جانب الجهاد الشيعي؛ لأنه غير معترف بإسلامها وفق ما يقوله الشيعة من خلال تعريفهم للإسلام الحقيقي، وبالتالي فمن المفروض أن يسعى الشيعة لجهاد أهل السنة لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبالتالي تشيعهم عنوةً، على اعتبار أنهم يصنفون ضمن دار الكفر أو العهد، والشيعة هم دار الإسلام الحقيقي.

ووجدت الدراسة أن سعي إيران "دولة الإسلام الحقيقي" في زمن السلام من أجل اكتساب الاقتدار والتفوق العسكري على الأعداء الموجودين بالفعل داخل مجالها الحيوي هو بهدف صدّهم عن الهجوم عليها والتعرض لهم عندما يحين الوقت لذلك.

وتحقيقاً لهذا الهدف فإن إيران تمتلك اليوم أكبر ترسانة عسكرية في منطقة الخليج العربي، حيث يميل الميزان العسكري لصالحها، وهذا يتضح من خلال امتلاكها لأسلحة تقليدية وفوق تقليدية، وفي هذا المجال فإن سعي الحكومة الإسلامية للحصول على التفوق العسكري يهدف بالدرجة الأولى إلى ما يعرف بجهاد الدعوة الذي اعتبره المذهب الشيعي أمراً واجباً شرعاً، والخطورة أن جهاد الدعوة سيُسهم في بناء مصدات مذهبية سوف تحقق "الدفاع الردعي" للدفاع عن الدولة الإسلامية، وهذه الاستراتيجية - حسب الرؤية الشيعية - تُعتبر على أية حال عملاً مشروعاً بغض النظر عن أهدافها وتوجهاتها.

وهذا أمر خطير؛ حيث فتح فقه الشيعة الباب واسعاً للاجتهد الشيعي في هذا المجال؛ لأن جهاد الدعوة معناه من الناحية الواقعية نشر المذهب الشيعي، والتبشير به بأية وسيلة ممكنة، لحماية أهل الإسلام الحقيقي "شيعة الشتات"، حيث أعطاه الفقه الشيعي مبرراً ومظلة شرعية للقيام به.

أما النقطة الأخرى التي توصلت لها الدراسة فتتمثل في استباحة المذهب الشيعي للعمل العسكري لمواجهة أهل السنة "الذين يُمثلون الإسلام غير الحقيقي" تحت بند الدفاع الردعي عن دولة أم القرى "إيران" التي تُمثل الإسلام



"الحقيقي"، وفتحت باب الاجتهاد الشيعي واسعاً - أيضاً - في هذا المجال، واعتبرته دفاعاً ردعياً بغض النظر عن أهدافه وتوجهاته الحقيقية، وهذا يعني أن دولة ولي الفقيه إذا قامت بشن عدوان ضمن مجالها الحيوي فالمفروض ألا تقدم تبريرات وأسباباً وراء شنّها لهذه الحرب، أما إذا كانت الدولة الإسلامية قوية وتحظى بالتفوق العسكري بالدرجة التي تمكنها من تحقيق الانتصار إذا تفجرت الحرب، فعندئذ يجوز لها عقد معاهدة هدنة مع الكفار، لكن لا ينبغي أن تزيد عن أربعة أشهر إلى سنة، وهذا حكم إجماعي عند علماء الشيعة، وهنا ينبغي القول بأن أهم هدف من هذه الهدنة هو بقاء الحكومة الإسلامية وحفظ استقلالها.

وانسجاماً مع هذا الهدف توصلت الدراسة إلى أن إيران استطاعت أن تحقق نوعاً من الاكتفاء الذاتي في التسلح إلى درجة كبيرة من خلال عملية تصنيعها للأسلحة للأغراض الدفاعية والهجومية معاً، حيث تمتلك دولة القلب المذهبي قاعدة سكانية ضخمة، وموارد اقتصادية وتكنولوجية وعلمية دعمت قوتها العسكرية، ونتيجة لذلك نجحت إيران في عملية صناعة السلاح بعيداً عن الضغوطات الخارجية، الأمر الذي مكّنها من تحديث مختلف قطاعاتها المسلحة، التي تجسدت بقدرات الدولة الذاتية، وهذا الأمر عزز وجود البدائل أمام دولة الحلم الإمبراطوري، وبأن الاعتماد على الذات يجب أن يكون أحد الأهداف بعيدة المدى بالنسبة لها، الأمر الذي استلزم منها محاولة تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال إنتاج الأسلحة وتقليل الاعتماد على الخارج، حيث لا تُعاني إيران من خلال التسلح على عدد محدود من المصادر التسليحية، بل على العكس فقد استطاعت تنويع مصادر تسليحها.

ونتيجة لهذه الاستراتيجية التي تبنتها إيران فقد حدث هناك خلل فادح بين دولة الحلم الإمبراطوري ودول الخليج العربية التي تُمثل أولى الأهداف لبناء هلالها الشيعي الموعود، الأمر الذي سيُسهل مهمتها المستقبلية اعتماداً على الفجوة الكبيرة في القوة الذي تترجح كفتها لصالح دولة القلب المذهبي، التي باتت اليوم تمتلك



تفوقاً عسكرياً كميّاً ونوعياً في المجالين التقليدي وفوق التقليدي على جميع الدول العربية السنية، خاصة بعد خروج سوريا من المعادلة العربية العسكرية بعد أن ارتبطت مع إيران باتفاقيات تحالف استراتيجي، وبما يُمكن إيران من تحقيق أهدافها المذهبية والسياسية والاقتصادية، وتفعل سياسة الردع ببعديها النفسي والمادي، وفرض إرادتها على العالم العربي السني .

أما ما يتعلق بالسؤال الثاني وهو حول كيفية مُراهنة إيران لإيجاد " صدع مذهبي شيعي بين شعوب العالم العربي والإسلامي لإنجاح فكرة المجال الحيوي الخاص بها، بحيث لا يمكن لإيران بدونها تحقيق مشاريعها المستقبلية التوسعية الطموحة، من خلال التوسل بنفس الوسائل والأدوات التي مكَّنت الدولة الإيرانية من التحول وتوظيفها للمذهب الشيعي، عبر مراحل تاريخها الطويل، وكيف تحولت دولة خلال فترة زمنية من المذهب السني إلى الشيعي؟ وكيف توظف اليوم نفس الأساليب والسياسات، مستفيدة من اللحظة والفرصة التاريخية بعد سقوط جدار العزلة المذهبية بعد انهيار الحائط السني العراقي، وموظفة الظروف والمتغيرات التي استجدت على العراق والمنطقة، التي هيأت الأرضية لعوامل إيجابية مُحركة تدفع إيران أكثر من أي وقت مضى لتبني فكرة المجال الحيوي المذهبي، وبالتالي بناء إمبراطوريتها الشيعية الموعودة، ومستغلة في نفس الوقت الظروف التي تجمعت وجعلت موضوع المجال الحيوي المذهبي تبرز للتطبيق فوق المستوى العام لمسار التاريخ، بحيث قُدر للبعد المذهبي أن يتصدر اليوم ليصبح أحد أهم المخاطر التي تستهدف المنطقة العربية في الوقت الحالي، ولماذا سمحت الولايات المتحدة لإيران بذلك أو لنقل غضت الطرف عنها لبناء مجالها الحيوي، وما الأهداف الاستراتيجية التي ستحققها واشنطن من جراء ذلك؟ وهل سيمهد ذلك لنشر مفهوم الفوضى الخلاقة التي تُبشر بها الإدارة الأمريكية، والتي تركز على نقل الصراع إلى الداخل العربي الإقليمي أولاً والإسلامي ثانياً، وبالتالي إثارة صراع مذهبي سني شيعي، تقوده إيران خدمة لمصالحها وطموحاتها، بحيث يكون السعي لتصفية هذه الحضارة



(الإسلامية السنية) قبل صعودها من خلال نقل الفوضى الخلاقة إلى داخل الحضارة الإسلامية، تمهيدا للتفرغ للحضارات المنافسة الأخرى هو أحد أهم الأهداف التي رسمها الغرب، ويشارك الشيعة في هذا المشروع بشكل مباشر من خلال دورهم التخريبي في جسد الأمة الإسلامية، إذا سلمنا فعليا بمقولة صراع الحضارات للقضاء على السنة وأهلها، لأن الوجه الحقيقي للأمة الإسلامية في مواجهة الغرب كان بكل تفاصيله، وعبر مراحل التاريخ الطويلة ولغاية كتابة هذه السطور يتزعمه السنة. ومن القضايا الواضحة في هذا المجال وجود ارتباط عضوي بين الصفوية الشيعية والمسيحية وحتى اليهودية، حيث تضامن الثلاثة لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية السنية، وهذا ما يفسر لنا أسباب التقارب بين الشيعة والمسيحية واليهودية.

وفي هذا المجال فقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

بعد أن حللنا تاريخ التوجه الجغرافي للمذهب الشيعي، ورصد هذا الحركة، ومسارها، والجوانب التي أسهمت في تسهيل التمدد المذهبي من خلال التجربة الصفوية التي حوّلت إيران من المذهب السني إلى دولة شيعية - باتت تُمثل اليوم أكبر خطر على العالم السني - فإننا تعرفنا على كيفية نجاح إيران الصفوية من تحويل دولتها الفارسية السنية إلى دولة شيعية، حيث وجدنا أن إيران استطاعت حسم الصراع المذهبي لصالح مذهبية الدولة الشيعية وإلى الأبد - كما يقول دستورها- وبالتالي قامت ببناء مؤسسات الدولة الفارسية على هذا الأساس، ثم وضعت استراتيجية هدفت للتوسع على أسس مذهبية شيعية لتُهدد بذلك كيان الدول السنية.

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف عن ماهية عوامل وعناصر القوة والأدوات التي مكنت الدولة الإيرانية من تحقيق ذلك، والكشف عن أبرز الاستراتيجيات والعوامل والعناصر التي وظفتها وتوسلت بها، وبالتالي سهلت مهمتها لتحقيق فكرة شيعية الدولة الصفوية أولاً، ضمن نظرة تحليلية شمولية، وبذلك استطعنا التأسيس لأرضية تاريخية خدمت عملية البحث والتحليل، وحللنا



ماهية العوامل التي هيأت الأرضية لنجاح تشييع دولة بنظامها وجزء كبير من شعبها، إلى درجة باتت تُشكل معها اليوم الدولة المركزية، أو دولة القلب للمذهب الشيعي في العالم، حيث توصلت الدراسة إلى بناء تصورات حول كيفية نمو القوة المذهبية الشيعية، والأدوار التي اضطلعت بها سابقاً، وهذا اتضح من خلال محاربة الدول السنية سواء كانت عبر تاريخها القديم (الدولة العثمانية) أو حديثة (العالم العربي السني)، ضمن عملية تتابعيه، ووفق ديناميكية ممنهجة تستهدف القضاء على المذهب السني وأهله بكافة الوسائل والأدوات، حيث تستفيد اليوم من نفس الأساليب والاستراتيجيات، إضافة إلى توظيف نفس الظروف والمتغيرات " جيواستراتيجية مذهبية خاصة " تجمعت في دولة القلب المذهبي " إيران "، هيأت لها نفس الظروف والمتغيرات، للثأر مجدداً من السنة، مع فارق التشبيه حسب رؤية مهندسي نظرية المجال الحيوي المذهبي الذين يقودهم آيات الله العظام في طهران وقم ومشهد.

فها هم اليوم يستشعرون أن عملية النمو الذاتي المذهبي أصبحت متاحة أكثر من أي وقت مضى، حيث ترجمتها مؤسسات صنع القرار في إيران إلى تصريحات تُطالب علناً بضم دول أخرى تمهيداً لإلحاقها بإمبراطوريتها الشيعية الموعودة، على افتراض أن فكرة المجال الحيوي المذهبي مهياة الآن بالنسبة لإيران، وهي تسعى في النهاية إلى السيطرة ومد نفوذها، بالتالي التسيد على الأقليات المذهبية الشيعية وأحقية توجيهها.

التاريخ ما زال يُعيد نفسه خصوصاً التجربة مع إيران الإمبراطورية الفارسية قديماً وإيران الثورة الشيعية حالياً، هي أصدق برهان للحكم على أهل الشيعة من خلال الأدوار التي اضطلعت بها الحركات والحكومات الشيعية المتعاقبة داخل جسد الدولة الإسلامية - التي ظهرت على مر التاريخ - في محاربة الدولة الإسلامية والمذهب السني. وهذا يُوضح لنا كنه هذه التجربة وقسوتها فتاريخياً ستظل الدولة الصفوية التي أعلن إسماعيل الصفوي قيامها تمثل نقطة تحول رئيسية في تاريخ



إيران على الإطلاق، حيث شكلت تلك الدولة الإطار الذي كان الإيرانيون يسعون إلى تحقيقه لكي يكونوا شخصيتهم ومكانتهم الإقليمية والدولية ويميزوها، خاصة بعد إقرارهم وتسليمهم بحتمية الدور الإسلامي الناتج عن إقرار إيران بقبولهم الدين الإسلامي ديناً رسمياً لهم بعد الفتح العربي- الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فمنذ تلك اللحظة التاريخية التي دخل الإسلام فيها إيران والإيرانيون في سعي دائم لبلورة نمط ورؤية جديدة، وفكر جديد يكون من أهم نتائجه المحافظة على التميز النوعي- النسبي الذي تتمتع به إيران الشيعية الآرية.

وفي هذا الإطار توصلت الدراسة إلى أن الترحيب الإيراني بالإسلام ظل ينقصه دوماً هدفاً يتوازى مع هذا الترحيب، فقد ظلت إيران طوال تسعة قرون تمضي من أجل بلورة شخصية ذات ملامح وخصائص وسمات مستقلة تتفق- كما سبق القول- مع المكانة الإقليمية والدولية التي كانت تتمتع بها إيران قبل الإسلام، حيث وجدت الدراسة أنه ومنذ بلورة هذا المذهب وهو يعاني حالة من التشتت الجغرافي، وعدم التواصل المذهبي، كذلك ظل هذا المذهب يعاني من فقدان الاعتراف والمشروعية الضمنية بين عامة المسلمين إلا ما يتعلق منها بالاعتراف السياسي الخجول بهدف درء شر هذه الدولة، وهذه العناصر شكلت معاً الدوافع الحقيقية من أجل تحقيق الهدف المقدس لهم، والذي يمكن بلورته في السعي من أجل تحقيق وإيجاد وطن قومي يجمع شيعه إيران مع شيعه الشتات، من هنا فإنه عندما خرج إسماعيل الصفوي - حفيد الشيخ صفي الدين الأردبيلي مؤسس الأسرة الصفوية - ليعلن اتخاذ المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لإيران- هي الأخرى - صارت إيران حاضنة لهذا المذهب، وصارت بالفعل وطناً قومياً للشيعه فيما بعد. لا شك بأن العراق تحديداً كان منذ الأزل يمثل الجدار الأمني الأول الذي كان يمثل خطراً استراتيجياً على إيران، وقد اكتسب العراق أهمية دينية خاصة لدى الإيرانيين؛ حيث توجد بها العتبات المقدسة لديهم، مما



جعل لإيران استراتيجية خاصة تجاه العراق منذ قيام ثورتها الإسلامية، حيث أقرت إيران لنفسها حق التدخل في شؤونه من خلال تلك الاستراتيجية المعقدة التي تتخذها إزاء هذه البلاد، ولكنها من ناحية أخرى لا تُقر أبداً بل تناهض أي تدخل أجنبي فيها، وتعتبره من وجهة النظر الأمنية مساساً بأمنها القومي، ومن وجهة النظر الدينية مساساً بمقدساتها مهما كانت العلاقة بينها وبين الحكومة العراقية، ومن هنا فإن إيران تسعى إلى خلق وإيجاد منطقة أكبر للتأثير والنفوذ الإيراني ضمن مفهوم "المجال الحيوي المذهبي"، وضمن منطقة تُمثل فيها إيران مركزاً لقطب الطاقة المادية والروحية. وتقوم وجهة نظر طهران على أن الجنوب العراقي ربما يكون مجالاً مناسباً لإظهار قوة ومكانة إيران الاستراتيجية في المنطقة خوفاً من أن يصبح خنجرأ في خاصرة إيران. من هنا وضعت إيران جنوب العراق أولاً على أولوية أجندتها الأمنية والسياسية لبناء هذا المجال.

وقد خلصت الدراسة إلى أن إيران اليوم تتبنى نفس الأساليب التي لجأت لها الدولة الصفوية قديماً، فالدولة الصفوية لجأت إلى استراتيجية نشر الفوضى والقلق والاضطرابات والاحتلالات في أراضي الدولة العثمانية، وكذلك لجأت إلى استراتيجية تشجيع الثورات والخارجين على الدولة العثمانية، وإيجاد جيوب شيعية في قلب الأمة السنية، حيث شجعت الفتن والتمردات التي وقعت داخل الدولة العثمانية، ففي سنة ١٥٢٦ م دعمت الحكومة الصفوية تمرداً شيعياً رافضياً قاده رجل اسمه "بابا ذوالنون" في شرق الأناضول، وتمرداً آخر بقيادة "قلندر جلبي" في منطقة قونية ومرعش، وكلفت هذه التمردات المتتابة والمدعومة من الصفويين الدولة العثمانية الكثير من المال والجهد، وكان من بين الأساليب التي استخدمها الشاه إسماعيل لمحاربة العثمانيين وزعزعتهم نشر الفوضى والقلق والاضطرابات والاحتلالات في أراضي الدولة العثمانية، إضافة إلى سياسة نشر المذهب الشيعي، حيث كان الصفويون والشاه إسماعيل يهدفون من وراء هذه الحركات، إضافة إلى نشر المذهب الشيعي، والقضاء على الدولة العثمانية السنية.



وما أشبه اليوم بالأمس عندما نقارن ذلك بما قامت به إيران وتقوم به في العراق، لبنان، دول الخليج العربية، ومصر...، وما تقوم به في اليمن مؤخراً من دعم الحركة الحوثية التي تشيعت في اليمن، الأمر الذي اضطر اليمن إلى استدعاء سفيرها من طهران، بعد اتهام إيران بدعم هذه الحركة، التي كانت تستهدف الإطاحة بنظام الحكم هناك، والتمهيد لعودة الإمامة لحكم اليمن). وكذلك عملت هذه الحكومة الصفوية على محاربة أهل السنة أينما وجدوا، وكانت هذه السياسة تُمثل مرتكزاً أساسياً لكل حكام هذه الدولة (لاحظ أوضاع السنة في إيران، ومحاربة إيران لأهل السنة في العراق...).

وفي هذا الإطار خلصت الدراسة إلى أنه وانطلاقاً من أرض إيران نجح الاستعمار الحديث طوال القرون الماضية في تغذية العداة التاريخية بين السنة والشيعة، وهو العداة الذي أراق دماء إسلامية أكثر مما سببته العناصر الخارجية الأخرى، وقد كان الشاه إسماعيل أول حكام هذه الدولة، الذي تجرأ وبادر إلى مهاجمة الدولة العثمانية، بعد تأسيس دولته مباشرة، حيث دخلت الدولة الصفوية منذ نشأتها في حروب دائمة وطاحنة مع الدولة العثمانية السنية زعيمة العالم الإسلامي في وقتها - كما ذكرنا سابقاً-، وقامت بعقد اتفاقيات وتحالفات مع أعداء الإسلام؛ حيث تحالفت مع الدول الأوروبية الصليبية، ومع ألد أعداء الإسلام في حينها وهم البرتغاليون، وبرز ذلك من خلال تقرب الشاه إسماعيل الصفوي إلى البرتغاليين قبل معركة "جالد يران" سنة ٩٢٠ هـ، ووافق على احتلالهم لعدة أجزاء من جنوب الخليج العربي مع علمه المسبق وإدراكه بأن البرتغاليين كانوا يخططون لاحتلال المدينة ومكة، ونش قبر الرسول ﷺ للمساومة بجسده الشريف ﷺ على القدس، ونجد ذلك صراحة في الخطاب الذي أرسله "البوكيرك" قائد الأساطيل البرتغالية إلى الشاه إسماعيل الصفوي.

كما كان الشاه عباس الكبير يحمي ويدعم مستشاريه من علماء ورجال الدين الشيعة الذين كان يختارهم. وأهم شيء في هذه المرحلة هو أنه أصبح للدولة



الصفوية شيخ للإسلام وهو محمد باقر المجلسي (نصبت إيران علي خامنئي واعتبرته ولي أمر المسلمين عامة، ونصبت إيران السيستاني مرجعا أعلى للشيعة في العراق، وهو من أصول إيرانية كما ذكرنا سابقا، وهذا الأمر سيحقق لإيران وجود كاريزما شيعية جامعة للشيعة لتسهيل تحقيق أهدافها في العراق، هذا عدا عن إرسالها لمراجع شيعة إلى دول الخليج العربية لتحقيق الهدف سالف الذكر).

خلصت الدراسة بأن وصول النظام الصفوي إلى سدة الحكم في إيران كان نتاج توازنات دولية، حيث وجدت روسيا القيصرية أن أمنها الاستراتيجي يقتضي وجود نظام سياسي في إيران يكون حاجزا يقطع الاتصال الجغرافي بين الجزيرة العربية " السنية " وجمهوريات آسيا الوسطى المسلمة " السنية " ، فدعمت وصول الصفويين للحكم الذي نشروا التشيع في إيران بالقوة، وأخرجوها من دائرة التفاعل مع العالم السني كما كانت سابقاً، أما على الصعيد الدولي فقد كانت إيران كما لاحظنا، وعلى مر السلاطات التي حكمتها منذ نشأتها ولغاية اليوم، حاضرة إلى جانب أعداء الأمة في جميع حروبها ضد أعدائها من الدول السنية (نلاحظ اليوم وقوف إيران مع الولايات المتحدة ضد العراق، أفغانستان . . . ، المفاوضات السرية بين واشنطن وطهران للوصول إلى صفقة شاملة)، حتى وصل الأمر بكثير من المستشرقين الذين درسوا في إيران أن يقولوا: لولا الصفويون لكنا نقرأ القرآن في أوروبا كما يقرأه الجزائريون . ولولا الصفويون لكانت أوروبا وشعوبها تحت سيف الإسلام واستعمار العربية . ثم وجدوا أن أفضل فرصة للانتقام من العرب هي في اختراقهم، وقد جاءتهم الفرصة حين وجد إسماعيل الصفوي أن لا أمل للفرس بالسيطرة على العراق إلا بالتشيع انتقاماً من العثمانيين السنة الذين ينافسونهم عليها .

واليوم فإن التاريخ يُعيد نفسه، فلقد قامت دولة القلب المذهبي خلال فترات تاريخها الحديث بدور مهم ومحوري في تقديم العون والمساعدة للولايات المتحدة الأمريكية ضد دول المنطقة العربية السنية، ففي عهد الشاه محمد رضا بهلوي عرفت إيران بشرطي أمريكا في المنطقة .



وخلصت الدراسة إلى أن الثورة الإسلامية في إيران جاءت لاستكمال الدور المرسوم للدولة الصفوية، حيث اعتبرت هذه الثورة نقطة تحول جديدة في نظرة إيران لعلاقاتها الخارجية، ولكيفية التعامل معها بعد نجاح الثورة في بناء نظام سياسي على الأسس الصفوية والتراث الإمبراطوري الآري، الذي حوّل إيران الحديثة إلى قوة موجهة لدعم التوجه المذهبي الشيعي الذي قسم دول العالم الإسلامي إلى دار السلام ودار الحرب، وهذا التصنيف كان نابغاً بالدرجة الأولى من التوافق مع الثورة الإسلامية والتبعية لها، وأصبحت هذه السياسة الجديدة تمثل ردة فعل قوية على السياسة العلمانية التي تشابكت مع القومية الشوفينية التي اتبعتها الشاه، حيث أنهت الثورة الإسلامية هذا النظام، وأقصت علمانيته، وألغت الدور المرسوم لإيران من مجرد الشرطي الذي يحمي المصالح الاستعمارية إلى الشريك معها في الغرم والغنم استناداً إلى تجاربه السابقة، وإلى دور جديد يستهدف الانقراض على العالم الإسلامي السني، وبلقته مذهبياً بعد الدور الذي اضطلعت به الدولة الصفوية من خلال الإسهام في القضاء على الدولة العثمانية السنية، والدور الذي قامت به لتقطيع أوصالها؛ ولهذا أوكلت الثورة إلى نفسها مهمة إعادة بناء الإمبراطورية الشيعية من جديد، واستكمال استقلال إيران وسيادتها المذهبية، وتحرير الأقليات الشيعية في العالم العربي والإسلامي من مظاهر التبعية إلى أنظمة خارجة عن الملة بنظر مراجع التقليد الشيعة الذين أصبحوا يقودون سفينة النجاة للمهدي الشيعي الموعود، ومن هنا فهي تسعى اليوم إلى إزالة جميع الدكتاتوريات وبناء دولة الحكومة الإسلامية على أساس من تعاليم الإسلام الصحيح "الشيعي" حتى زوال جميع الدكتاتوريات، وعلى مبدأ دور الفقيه العادل المعترف بولايته السياسية والمذهبية على كل الأمة الإسلامية، حيث أشار الدستور الإيراني إلى "أن هدف الثورة الإسلامية التمهيد لهذه الوحدة واستمرارها داخلياً وخارجياً تحت رعاية الولي الفقيه وتوجيهه"، وهو أمر طبيعي وعلى غاية من الأهمية بالنسبة للثورة الشيعية الجديدة. وفي عهد الثورة وقفت إلى جانب أمريكا في حربها ضد العراق وأفغانستان، فدولة القلب المذهبي تتفاوض اليوم للتوصل إلى عقد صفقات



مع أمريكا على حساب المنطقة والعراق بهدف الحصول على اعتراف دولي بأنها الدولة المحورية في الإقليم .

أما المشروع الثاني فهو الإيراني الذي يريد عراقاً شيعياً يشكل أولى خطوات هلاله المذهبي وضمن مجاله الحيوي الذي تم تحديده بحدود مذهبية قائمة على المذهب الشيعي، وليبدأ هذا الهلال من العراق الذي يهيمن فيه التشيع الصفوي على المؤسسة السياسية، والدينية، والثقافية، والأمنية، ويقضى فيه على انتمائه العربي السني . ومن هنا فإن الاختلاف في المصالح النهائية للشركاء الثلاث أمريكا، وإيران، وإسرائيل، تقاطعت من خلال مداخل الأزمات على تقاسم النفوذ، وقد لعب كل طرف بأوراقه من خلال هذه الأزمات لانتزاع أكبر قدر من المكاسب النهائية على حساب الآخر، ومن ذلك توظيف إيران الناجح لمفاتها العالقة مع الولايات المتحدة وإسرائيل من خلال الأزمة العراقية واللبنانية والفلسطينية للموازنة بين مشروعها النووي ومكاسبها الإقليمية في العراق والمنطقة، وقد أثبتت الدبلوماسية الشيعية، وبمباركة فتاوى آيات الله العظام، براعتها في هذا النوع من الصفقات للوصول إلى تسويات ناجحة بامتياز نحو مشاريع خطيرة، كلها تريد صياغة المنطقة حسب مصالح وأهداف كل دولة، وإن كان المشروع الإيراني تزداد قوته يوماً بعد يوم خارج العراق مقارنة بالمشروع الأمريكي والإسرائيلي، لكنه يلتقي مع نظيره الأمريكي والإسرائيلي في أن استغلال وتوجيه الأقليات الشيعية يمثل استراتيجية أساسية وثابتة في أجندة واشنطن وتل أبيب لتحقيق سيناريو تفتيت المنطقة وتجزئتها خدمة لمفهوم الفوضى الخلاقة الموجود أصلاً في المذهب الشيعي قبل أن تطرحه الولايات المتحدة بقرون . ويبقى التساؤل المهم والمحوري: هل تكرر الإدارة الأمريكية خطأها وتقدم دولاً عربية ككبش فداء أخرى بعد العراق على طبق من ذهب للإيرانيين الذين يجلسون دوماً على مائدة التفاوض مع الولايات المتحدة لتقاسم النفوذ والأدوار والمصالح؟ والعراق اليوم هو كبش الفداء السني الذي أصبح منذ زمن رهينة للعلاقات الإيرانية الأمريكية .



توصلت الدراسة كذلك إلى أن المشروع الإيراني وإن كانت له مطامع ونفوذ في العراق والخليج العربي تمهيدا لبناء الحكم الإمبراطوري الشيعي، إلا أنه يقبل مؤقتاً بحصة صغيرة من هذه المنطقة مقابل دعمهم وتعاونهم مع الغرب وإسرائيل مبدئياً تمهيدا لتحقيق أهدافه الكبرى، والأخيران لا يُمانعان من حيث المبدأ إعطاء إيران حصة مقابل دعمها للمشروعين الأمريكي والإسرائيلي، حيث أثبتت الوقائع والأحداث وتصريحات المسؤولين الإيرانيين أنهم شركاء فاعلين في احتلال العراق وأفغانستان، وأن علاقاتهم مع الولايات المتحدة وبريطانيا أقوى وأعمق من كل ما تتصوره أطراف إقليمية فاعلة. ونشير هنا إلى ملاحظة مهمة توضح نوع العلاقة الاستراتيجية بين أمريكا وإيران، وهي العلاقة التي جعلت من إيران تُعيد بناء كل قدراتها العسكرية، وبالذات إنجاز المفاعلات النووية تحت مرأى ومسمع المسؤولين الأمريكيين، ولم تحرك الإدارات الأمريكية ساكناً لمنع النظام الإيراني من إكمال كل مشاريعه العسكرية، إلى أن وصلت المرحلة الخطيرة التي تمكنت فيها إيران من تخصيب اليورانيوم، بشكل أصبح الرجوع فيه عن مشروعها النووي شبه مستحيل.

فالمتابعة الدقيقة لأحداث السنوات القريبة الماضية تبين أن حجم التوافق بين المصالح الأمريكية والإيرانية في العراق والمنطقة أكبر بكثير من حجم التناقض بينها، لذا لا يتوقع أن تسير العلاقة في منحى صراعي، بل إن المسار التعاوني هو الذي سيحكم مستقبل تلك العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل، حيث يتبادل الأطراف الثلاثة حالات الاستفواء والمؤامرة على العالم العربي السني، ويتقاسمون المصالح ومداخل النفوذ على حساب القوى الإقليمية العربية الأخرى التي غاب مشروعها ولو حتى المقاوم للمشاريع الثلاثة سالفه الذكر.

خلصت الدراسة كذلك بأن المشروع الإيراني لطالما سعى إلى توسيع محورها الذي تشكل سابقاً، وبت يضمّ إيران وسوريا ولبنان وحزب الله، والأقليات الشيعية، وأوراق إيران الأخرى مثل التيارات المسلحة المدعومة من إيران والمرتبطة



بأجندتها السياسية والتفاوضية، ولطالما كان العراق تلك الحبة المفقودة في هذا الحلف، ولاشك بأن احتلال بغداد من خلال التعاون الغربي والإسرائيلي معها، قد أسهم في مضاعفة قوتها ونفوذها في هذا المحور، فالموقف الإيراني تجاه الأحداث الأخيرة في المنطقة تبدو فيه معالم الاستراتيجية الإيرانية القديمة الجديدة القائمة على مبدأ التحالف مع الصليبيين لمحاربة العالم السني، وهذا الأمر نجده بكل وضوح من خلال السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم تمنع الجدل حول الإصلاحات على الصعيد الخارجي ليمتد إلى مباركة الجهود للتقارب مع أمريكا، حيث دعا تيار كبير من النخبة الإيرانية الدينية والسياسية والاقتصادية أن هذه العلاقات هي عين المصلحة الوطنية.

وقد توصلت الدراسة أن العلاقات الأمريكية الإيرانية هي علاقات ممتدة، وأن هناك اتفاقاً بين الثورة الإسلامية الشيعية في إيران والولايات المتحدة لتفتيت المنطقة، وأنه لولا الدعم الأمريكي لها ما كانت أن تنجح ويصل آيات الله إلى حكم إيران، فإدارة الرئيس الأمريكي الأسبق "كارتر" قد قامت بتعمد هادئ وتدبير مسبق للإطاحة بشاه إيران، واشتركت إدارة "كارتر" في كل خطوة ابتداءً من الاستعدادات الدعائية إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة، وهذا يمثل فصلاً آخر من فصول التعاون الذي مارسته الإدارة الأمريكية مع الثورة، حيث نظرت الولايات المتحدة لها من زاوية مدى تحقيقها للدور الوظيفي لإيران - لا من زاوية شعاراتها - ورأت أن الثورة لن تغير الدور الوظيفي لإيران الذي يقوم على استمرار التعاون مع الغرب وإسرائيل لتحجيم الدول السنية التي تمثل عبر التاريخ الجناح المقاوم. والحقيقة أن الأزمات التي تحاول إيران توظيفها اليوم، تندرج في خانة تخادم الملفات التي توظف لخدمة المصالح الإيرانية في بناء مجالها الحيوي المذهبي، وفي هذا الإطار حاولت إيران الاستفادة من الورقة العراقية - كإحدى الأوراق التي تلعب بها سواء مع محيطها الإقليمي والعربي أو مع الدول الغربية وخاصة أمريكا، وهي لن تتخلى عن هذه الورقة وسوف تلعب بها - لتعظيم مكاسبها وللتفاوض بها من أجل الحصول على مكاسب في أمور أخرى أهمها الملف



النووي، وتطبيع العلاقات مع أمريكا والغرب، ووجود ضمانات بعدم السعي لتهديد أمن النظام الإيراني أو الإطاحة به، وتظل إيران دولة قومية تسيطر على قطاعات واسعة من نخبتها الحاكمة أو هام الإمبراطورية الفارسية التي تتوارث جينات استعادة أطلال أمجاد كسرى، ولكن هذه المرة باسم الدفاع عن الشيعة وحمائهم.

كذلك خلصت الدراسة إلى أن الدستور الإيراني الحديث قد ترجم فكرة الحلم الإمبراطوري وحدوده الأيديولوجية مجدداً لكن وفق أطر دستورية وقانونية، وبغطاء مذهبي قومي لا يعرف سوى العصبية، وبما أنه يعكس تلك البنية لذلك فإنه يكون نتاجاً للواقع غير المستقر والمتناقض أصلاً، حيث إن المجتمع الإيراني امتاز على مر العصور بعدة خصائص أهمها ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وكذلك ظاهرة الحكم الاستبدادي العسكري على الأغلب، وكذلك كان للبعد التاريخي من خلال تأثير الديانات السابقة للإسلام في إيران واستمرار هذا التأثير في بناء المجتمع الإيراني لغاية اليوم، وبالإضافة إلى ذلك فإن البنى الثقافية في إيران هي نتاج للثقافة الغربية التي تعلق بها الإيرانيون منذ القدم حتى إنهم كانوا يؤكدون على جنسهم الآري الأوروبي، وهذا التعلق خلق نوعاً من التبعية الثقافية الإيرانية للغرب، والأخير حاول ضرب التراث الإسلامي من خلال خلق ثقافة هجينة ومهجنة بديلة عن الثقافة الإسلامية هي الثقافة الفارسية، التي تدعي الإسلام من خلال المذهب الشيعي. وهناك خاصية أخرى امتاز بها المجتمع الإيراني ولا يزال، وهي ظاهرة التخلف، وهذه الظاهرة تؤدي إلى التمسك بالسلفية المذهبية التقليدية الشيعية المتعصبة والمتعطشة للانتقام. وبما يلفت النظر كذلك أن هناك مواضيع أخرى يؤكد الدستور عليها، وهي أمور لا تقل خطورة عما سبق، مثل: حق إيران في التدخل، وهذا الحق الذي يؤكد الدستور مراراً هو اعتراف صريح بأن إيران سواء كانت بويهية، أو عبيدية، أو صفوية، أو شاهنشاهية أو خمينية... تقوم على هدف أساس هو التوسع من أجل السيطرة على العالم



انطلاقاً من السيطرة على العالم الإسلامي والهيمنة عليه . نحن إذا أمام جملة أهداف استراتيجية لدولة الحلم الإمبراطوري الشيعية - حسب الاعتقاد الشيعي - وهو أن العقيدة الشيعية أصح العقائد والمذاهب على وجه البسيطة- حسب الزعم الشيعي- وهي عقيدة خاصة بالناس بمعنى عالميتها، إذن الكرة الأرضية كلها هدف استراتيجي للعقيدة الإمامية، لسنا نحن الذين نقول بهذا، بل يقوله فقهاء الشيعة أنفسهم . ومن المسائل التي أثارها الثورة الشيعية في إيران المرتبطة بذلك هي الدعوة إلى تحطيم الكيانات القائمة، وإزالة جميع الأنظمة، والدعوة إلى خلق ثورة سياسية إسلامية، هذه المبادئ مجملها هي التي حكمت علاقات النظام الجديد بالدول المجاورة . ويمكن القول إن الخميني كان يضع الخطط والاستراتيجيات له ولأتباعه من بعده بهدف إقامة حزام شيعي للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي .

خلصت الدراسة إلى أن الأفكار والنماذج التي تناولت كيفية بناء الإمبراطوريات بشكل عام، وكيف يمكن لدولة القلب المذهبي بناء إمبراطوريتها الشيعية بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، بحيث يمكن توظيف هذه النماذج والأفكار لخدمة هذه الفكرة، الأمر الذي يؤكد اهتمام صناع القرار والقطاعات الأكاديمية، ومراكز الأبحاث والدراسات - وليس فقط مراجع التقليد الشيعية في إيران - بهذا الموضوع إلى درجة كبيرة، وهذا أمر جد خطير، خاصة أن الطرح المتعلق ببناء الإمبراطورية الشيعية لم يعد مطروحاً ضمن السياق المذهبي وفي إطار الحوزة الدينية، بل انتقل إلى الدوائر الأكاديمية، وصياغة البنى الأكاديمية للطلبة الجامعيين والباحثين وهندستها وفق هذه الرؤية .

وقد تناولنا مجموعة من المدارس التي تناولت ذلك، سواء كانت المدرسة البراغماتية في بناء الإمبراطورية الإيرانية التي توظف المذهب مقابل الأيديولوجيا الشيوعية "النموذج الشيعي" . أما النظرية الأخرى فهي المدرسة الدينية "نظرية التكليف الإلهي" ، "نموذج خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه" التي تعتبر أن سعي الثورة الإسلامية الشيعية في إيران يندرج في إطار التكليف الإلهي الذي



تم إيكال مهمة تنفيذه إلى الشعب الشيعي الإيراني، على اعتبار أنه يمثل الإسلام الحقيقي، وهذه النظريات بمجملها هي عبارة عن أطروحات استراتيجية مذهبية تضع الرؤى للإطاحة بأنظمة الحكم السنية في العالم العربي والإسلامي، خدمة لمصالحها القومية والمذهبية الطامحة إلى بناء الإمبراطورية الشيعية، وموظفين بالطبع شيعة الشتات لتحقيق هذا الهدف، وهنا نجد أننا أمام شبه تطابق بين مشروعى الأقلية اليهودية والشيعية اللتين تعيشان ضمن الإقليم الجغرافي الذي نعيش فيه: المشروع الإيراني الشيعي، والمشروع الصهيوني، فشعار الصهيونية " من الفرات إلى النيل " أصبح مستبعداً ضمن مفهوم الاحتلال العسكري والفكري بعد أن مضت أكثر من ٦٠ عاماً على تأسيس إسرائيل، ولو أن كافة يهود العالم البالغ عددهم حوالي ٨ مليون تم جلبهم إلى فلسطين ما استطاعوا السيطرة على هذه المساحة الشاسعة، لكن واقع الحال هو أن إسرائيل ترى في المشاريع الاقتصادية والثقافية أملاً ولو بسيط لتحقيق هذا الأمر، وهذه المرة ليس مقتصرًا على دول الخليج العربية التي يعيش فيها أقليات من أصل فارسي أو شيعية عربيه فقط، بل إلى دول أخرى انسجاماً مع الفكرة الشيعية القائلة إن لإيران دوراً إلهياً مرسوماً لتمهيد لعودة المهدي الشيعي الذي سيكون إمبراطورته بعد أن ينشر الإسلام الشيعي في كل أرجاء المعمورة.

توصلت الدراسة في هذا المجال إلى أن السيطرة على العراق هي مفتاح إيران " الثورة الشيعية " الطامحة للسيطرة على دول الخليج ومن ثم بقية العالم العربي، وهذا سيُمكنها بالتأكيد من بناء مجالها الحيوي، وسيكون بمثابة أولى المصداق لبناء حلمها الإمبراطوري الشيعي، إذ إن خروج العراق عن الدائرة السنية، وانضوائه تحت العباءة الشيعية الفارسية، سيجعل شيعة إيران لا يتواصلون مع الشيعة في الخليج العربي فحسب، بل سيمكن دولة القلب المذهبي " إيران " من الالتفاف لتطويق دول الخليج العربية وسوريا الدولة الحليفة، والشيعة في لبنان، ثم الانطلاق من هلال الخليج إلى هلال بلاد الشام والهلال العربي الإفريقي لجمع



شيعة الشتات. ووفق هذه الرؤية توصلت الدراسة إلى أن إيران سعت وتسعى لتأسيس "قواعد ارتكاز ومداخل نفوذ" ما بين قوية ومتوسطة القوة في هذه المقتربات الجغرافية، بهدف تجنب التعرض المباشر للعدو لحظة اندلاع أية نزاعات جديدة، وعدم التعرض "لمركز المجال الحيوي" في حال تهديده نتيجة نشوب أية أزمة مستقبلية، وهذا الأمر لن يتحقق دفعة واحدة أو بين عشية وضحاها، بل استفادت الجمهورية الإسلامية مرحلياً من الظروف الداخلية الإيرانية، وكذلك المتغيرات الإقليمية والدولية للتفرغ بهدف بناء هذا المجال وعلى مراحل متعددة من خلال تداخلها وتفاعلها مع مداخل الأزمات الإقليمية الموجودة في المنطقة، ومستفيدة في الوقت نفسه من الظروف الدولية التي باتت تستهدف الإسلام السني خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر، وتقديم الشيعة لأنفسهم كبديل، وفي الوقت عينه اتبعت إيران الدولة والثورة أسلوب الدبلوماسية الهادئة لتأسيس مقتربات الارتكاز التي أرادت من خلالها ضمان بناء مجالها الحيوي المذهبي بصورة غير معلنة انسجاماً مع التقية السياسية والمذهبية التي تبرع بتطبيقها، وإن شابها الشك أحياناً، كل ذلك بهدف تأمين عدم لفت نظر العدو من خلال إما انشغاله أو إشغاله بجبهات مختلفة، وبالتالي التفرغ للوصول إلى هذا الهدف، والذي نجحت بتحقيقه بامتياز.

وقد خلصت الدراسة إلى نتيجة حاسمة تتمثل في أن صعود الشيعة في المنطقة العربية أصبح واقعاً لا يمكن إنكاره، فالشيعة الآن في حالة نشوة استثنائية منذ قرون، فهم يعيشون حالة صعود في كثير من الجوانب، وصعود مذهبي وسياسي وإستراتيجي...، ومن هنا وجدت الدراسة إلى أن إيران التي تعتبر نفسها قوة إقليمية محورية ومهمة، ومركزاً للحضارة الفارسية والمذهب الشيعي، هي معنية بدعم الإحياء الشيعي في مناطق عديدة من العالم، وتواصل السعي بشكل حثيث في سبيل تحقيق طموحات النووية التي ستقوي شوكتها، ومن المفروض طبعاً الاعتراف الدولي بمصالحها الحيوية في المنطقة، على اعتبار أنها



أصبحت أقوى دولة دون منازع، وقد ازدادت أهمية إيران بالنسبة لعلاقتها مع الأقليات الشيعية، ولا شك بأن إيران نجحت في مد نفوذها إلى مناطق عربية جديدة سنية وليست شيعية، ومن ضمنها فلسطين، حيث دخلت كطرف مؤثر على الأحداث هناك، خصوصاً في علاقتها المشروطة مع بعض الفصائل الفلسطينية.

أما بالنسبة للبنان فقد وجدت إيران أن الحلم يقترب من التحقيق فقامت بعده إجراءات لتدعيم هلالها الشيعي شملت تقوية حزب الله عسكرياً أكثر فأكثر من خلال مده بوسائل قوة عسكرية، إنشاء جيش محترف شيعي لبناني- إيراني يستخدم كورقة ضغط ضد لبنان التي بات يمتلك فيها قرار الحرب والسلام، إضافة إلى كونه ذراع إيران الطويلة لشن حروب الوكالة نيابة عنها، ودفاعاً عن مجالها الحيوي، وعلى هذا الأساس قامت بإزاحة الرموز الوطنية المعارضة للخطر الشيعي الإيراني في لبنان وتصفيتهم جسدياً. ومن هنا فقد استثمرت إيران وبدرجة عالية من النفعية والبراغماتية النفوذ الواسع لحزب الله اللبناني في المعادلة اللبنانية الداخلية غير المتوازنة، لتحرق لبنان بأسره وتستعمله كخزان وقود متفجر وفق رؤية حسم الجولة لصالح شيعة لبنان الذين يملكون اليوم قرار السلم والحرب، لتحقيق أهدافها بأيدي غير إيرانية، وهذا جعل الغرب يتعاطف مع إسرائيل للحصول على عشرات المليارات بحجة وجود خطر قائم يهددها على حدودها الشمالية، ولولا حزب الله لما حصلت إسرائيل على هذا الحجم الهائل من المساعدات الاقتصادية والعسكرية، ولو أرادت إيران محاربة " الغرب المستكبر " فعلاً كما تقول، فإن أمام سواحلها تقف حاملات الطائرات الأمريكية وبوارج الأسطول الخامس التي تمخر عباب سواحلها، إن كانت هي صادقة في توجهاتها المعادية للغرب، هذا عدا عن أن إسرائيل تقع في مرمى صواريخها التي تجربها كل شهر ونصف من خلال مناوراتها العسكرية.

بالنسبة للسؤال الثالث والمتعلق بالمقصود بنظرية " أم القرى "، وما هي أهدافها، وأبعادها، ومرتكزاتها؟ وحول كيفية توسل الدولة الإيرانية بنظرية " أم



القرى " لإنجاح فكرة المجال الحيوي المذهبي الخاص بها، ومدى إمكانية إحيائها على أرض الواقع الآن من خلال جمع " حبات عقد أم القرى " بهدف إيجاد مجالات داعمة لقوتها، ونظم عقد حباتها مذهبياً وجغرافياً وديموغرافياً، بحيث يصبح العالم الشيعي المفترض بحكم هذه المخططات والنظريات التي وضعت، يتجه لأن يصبح وحده مذهبية شيعية وسياسية واحدة، وعن احتمالية تحقيق هذه الوحدة وفرضها وفق الرؤية الإيرانية، وكيف تتوسل بالعميقة المهدوية لتحقيق هذه الفكرة، ودور الظروف الإقليمية والدولية الحالية لدعم إيران سلباً أو إيجاباً نحو هذا الهدف، والنتائج المتوخاة عن هذه النظرية، وكيف تحاول إيران السعي إلى تطبيق نظرية " أم القرى " وبناء المجال الحيوي المذهبي، واستراتيجيتها في هذا المجال، وعن أبعاد ذلك، ونتائج تداعياتها على العراق وعلى المنطقة عموماً ومخاطرها على العالم العربي والإسلامي؟؟، فقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

أن النظريات المتعلقة بمشروعية حدود سلطة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخارجية، بحيث تؤطر سيادتها على دول خارج نطاق حدودها الجغرافية وفق أسس مذهبية خالصة، إذ تُعتبر أطراً تبيح بناء إمبراطورية شيعية، ذات حدود مذهبية خالصة (نظرية القومية الإسلامية، نظرية تصدير الثورة الشيعية بشكل مطلق وغير مقيد، نظرية أم القرى)، حيث وضعت هذه النظريات تصورات مذهبية، قومية، وسياسية حول كيفية بنائها لإمبراطورية شيعية تكون هي بمثابة المركز والمرجع والسلطة على العالم الإسلامي، حيث منحت هذه النظريات دولة القلب المذهبي "إيران" صلاحيات وسلطات خارج حدودها على اعتبار أنها دولة الإسلام الحقيقي التي تجسد نواة العالم الإسلامي ومركزه القيادي، وقد تم توضيح هذه النظريات الثلاث، وتم التركيز على نظرية " أم القرى " .

دولة أم القرى حسب هذا التصور تعني أن إيران هي نواة مركز الإسلام العالمي، وهي تمثل الدولة القائدة التي تفرز زعيماً تكون له السلطة والصلاحيات والولاية على الأمة الإسلامية جمعاء، على اعتبار أن الدين والعقلانية والوجدانية



تقتضي تشكيل أمة إسلامية واحدة، ووتتطلب اختيار حكومة لتمثيل هذه الأمة، استناداً إلى التجربة التاريخية للدولة الإسلامية، والتي وصلت إلى أوج تقدمها وتفوقها وتمدنها بفضل ذلك، وعلى هذا الأساس ليس من مصلحة الأمة الإسلامية أن يطول التفرق لأن الأصل هو الوحدة، وهذا هدف سيتحقق - حسب نظرية أم القرى - من خلال ضرورة بروز الوعي والاهتمام بهدف إحياء الإسلام (الشيوعي) على اعتبار أنه هو السبيل الوحيد لحياة الإنسان والجماعة، والسعي وبذل الجهود لإقامة الحكومات الإسلامية في الدول المختلفة ووفق تصور المذهب الشيعي كخطوة أولى، وهذا سوف يكون من خلال الدور المحوري للشعوب في تشكيل هذه الحكومات، وتوظيف مختلف الوسائل والطرق سواء كانت انتخابات، استفتاءات...، وفي بعض الأحيان قد تؤدي النهضة وثورة الشعوب (الانتفاضات) والخروج إلى الشوارع إلى هذه النتيجة، ولا ضير في ذلك إذا كان يحقق الهدف المنشود منه، وهو إقامة الحكومة الإسلامية في النهاية التي ستكون تابعة لصولجان ولي الفقيه.

وخلصت الدراسة إلى أنه في الوقت الذي تستطيع فيه الشعوب تحقيق الأهداف سالفة الذكر، وبالتالي تشكيل الحكومات الإسلامية، يجب عليها التوجه بعدها نحو خطوة تكوين حكومة إسلامية واحدة لغرض جمع الأمة الإسلامية، وتوحيدها تحت قيادة دولة "أم القرى"، ومن هنا فإن نظرية "أم القرى" تعتبر أنه في حالة إقامة دولة "أم القرى" فإن إيران ستمثل دار الإسلام ومركزه.

وهذا الأمر يعتبر تعزيزاً للإسلام وتقوية لشوكته، لذلك يجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تحافظ على دولة "أم القرى" على اعتبار أنها مركز للإسلام الحقيقي، وبالتالي فإن انتصار دولة "أم القرى" وعزتها يعتبر انتصاراً للأمة الإسلامية جمعاء، أما هزيمتها أو انهيارها فيعتبر انهزاماً لكل الأمة الإسلامية، لذلك فعلى دول الأمة الإسلامية وشعوبها الحفاظ عليها بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى. وقد ذهب هذه النظرية بعيداً في تقديس "أم القرى" على اعتبار أنها



ليست فقط مركزاً للعالم الإسلامي ونواته، بل أكدت على ضرورة تقديم مصالحها على الآخرين، لدرجة أنه إذا تعارضت مصالح إيران "دولة أم القرى" مع الدول الأخرى، يجب أولاً تقديم مصالح أم القرى "إيران".

أما الخطوة التالية فهي تبرز بعد أن تصبح إيران دولة "أم القرى"، حيث ستكون الخطوة الثانية لانتصار الثورة الإسلامية العالمية ممثلة بتهيئة الأرضية لظهور المهدي الشيعي الذي سيحقق الاستقلال والعدالة والحرية لكل العالم. وفي إطار نظرية "أم القرى" استطاعت الدراسة تقديم تصور واضح حول توظيف إيران مجموعة من الاستراتيجيات لتحقيق الأهداف سالفة الذكر، وقد كان من الأخرى في هذا المجال تناول الحالة العراقية بالوصف والتحليل؛ لأنها شكلت المختبر الجيوبولتيكي لفكرة تطبيق المجال الحيوي والتهيئة لتكون إيران "أم القرى" بالنسبة للعالم الإسلامي، خصوصاً أن الأزمة العراقية حوت وتحوي ميزات استراتيجية هامة، وأكسبت الأزمة العراقية حالة استثنائية دفعت دولة القلب المذهبي لمحاولة تطبيقها، حيث وظفت إيران "المكنون الشعوري" الذي كبت طويلاً في نفوس القطاع الشيعي في العراق، إضافة إلى "الفائض المذهبي الغريزي لمظلومية" حرمت الشيعة - كما يقول قادتها الجدد في العراق - من إفراغه لفترة طويلة، خصوصاً أن شيعة العراق بحاجة إلى تهيئة مذهبية جديدة توجه هذه الطاقة الكامنة والمعبأة على فرضية المؤامرة من العنصر السني الذي استهدفها.

وقد وظفت دولة القلب المذهبي ورقة المراجع الشيعية ذات الأصول الإيرانية (السيستاني) مرادها بسهولة من خلال توجيه هذه القطاعات التي تعتبر قوة كامنة ورصيда شعبيا متحفزا "للبحث عن عدو جديد" لإفراغ هذه الطاقة، والذي أصبح يوفر بعد سقوط الحائط السني العراقي بيئة مناسبة لإيران أكثر من أي وقت مضى لما يعرف بتوفر "رخصة الملاحة المذهبية الموازية"، والقريبة من خط الساحل إلى دول الخليج العربية، التي تُشكل الطائفة الشيعية جزءاً من تركيبهم السكانية، مستمدة قوتها من خلال تصاعد الأصوات الشيعية في هذه الدول لمنحهم حقوقهم



المذهبية والسياسية، وتحت توجيه مراجع التقليد والفتاوى المستوردة من العلماء القاطنين في مدينتي قم ومشهد والمحتكرين للحوزة والإفتاء، والذين طالبوا نظراءهم في المذهب على الضفة الأخرى من الخليج العربي بمنحهم مزيداً من الامتيازات السياسية والمذهبية، ليكونوا من أهم قواعد الارتكاز التي ستسهل مهمة دولة "أم القرى" مستقبلاً.

واستكمالاً للفكرة السابقة فقد توصلت الدراسة إلى أن الاستراتيجية الإيرانية في العراق سعت وتسعى إلى تحقيق هدف أساسي لتجسيد نظرية "أم القرى"، وهو ضمان عدم عودة العراق كمهدد لإيران، ويرون بأن العراق تحت القيادة الشيعية سيكون أكثر أماناً لهم؛ وذلك على اعتبار أن الدول الشيعية لا تحارب بعضها البعض. كذلك أسهمت الظروف الإقليمية - خاصة الحالة اللبنانية - بمدعم بوسائل القوة المستمرة لدعم الحركة والحيوية المذهبية لتسري إلى شيعه الشتات، وقد تنامت القوة المذهبية لهذا الهلال نتيجة التطورات المتسارعة خاصة بعد احتلال العراق، واجتياح الشيعة المرتبطين روحياً ومذهبياً بإيران، وسيطرتهم على مواقع صنع القرار، إضافة إلى التطورات في لبنان بعد حرب تموز واليمن، ودور الأقليات الشيعية في صياغة هذه التحولات، وهذا الأمر يفسر لنا لماذا قدمت إيران الدعم للمليشيات الشيعية خلال الفترة الماضية، التي بثت أعمال التمرد في البحرين، العراق، الكويت، لبنان، السعودية، اليمن، الأردن، مصر، الجزائر. ونظراً لهذه التطورات وجدت إيران نفسها مدعوة للقيام بدور محوري للإسهام في إعادة تشكيل الخريطة المذهبية الإقليمية، بهدف بناء نموذج المجال الحيوي المذهبي والاستثمار الفعال لنتائج التطورات السياسية، ومسار الأزمات والصراعات، حيث أكسبت هذه التحولات إيران خبرات واسعة، ومداخل تريد توظيفها الآن لبناء مجالها الحيوي المذهبي، وهذه الجوانب - حسب نتائج الدراسة - شكلت بمجموعها حزاماً وحدوداً وكتلاً مذهبية شيعية ممتدة من إيران إلى "الهلال الإقليمي الداخلي العربي والخارجي المفترض وفق الرؤية الإيرانية"، وكذلك فإن دول "الهلال أو



الحزام الخارجي " - والذي تضم دولاً إسلامية وغير إسلامية أخرى - تتوزع بين قارتي آسيا وإفريقيا، وعلى أساس هذا التصور فقد أصبحنا أمام دولة لها أجنحة توسعية طموحة، لكن بطرق وأسس جديدة تسعى من خلالها إلى بناء إمبراطورية شيعية عظمى .

ومن هنا فإن الدول العربية - حسب الرؤية الإيرانية - قد شكلت الهلال الإقليمي للدفاع عن دولة القلب المذهبي، بمعنى أنها ستكون عبارة عن المصدات المذهبية للقيام بدور الحاجز أمام الأخطار التي تستهدف قوة القلب المذهبي، ومن هنا سعت إيران إلى تجميع الوحدات المذهبية، وتنظيمها بصور وأشكال مختلفة في هذا الهلال لمحاصرة هذه الدول داخليا تمهيدا لخلخلة تركيبها المذهبية والديموغرافية، وحسم الصراع لصالحها، بحيث تمثل خط الدفاع الأول أمام الهجوم المتوقع على دولة القلب المذهبي، وفي الوقت نفسه ستكون بمثابة خط الهجوم الداخلي على الأنظمة السياسية التي تعتبرها مراجع التقليد الشيعي في دولة القلب المذهبي بأنها قيادات غير شرعية. وقد توصلت الدراسة إلى أن إيران تحاول الاستفادة من أن بعض دول الهلال الإقليمي العربية فسحت المجال أمام الأقليات الشيعية لتكوين مناطق جغرافية خاصة بها للإقامة والسكن (الشيعية في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية في بيروت...).

وقد توصلت الدراسة إلى أن دولة القلب المذهبي اعتبرت هذه المناطق الجغرافية جيوبا صالحة سوف تُسهل تشكيل فدراليات شيعية مستقبلا، بعد محاولة الاستفادة من ظروف البيئة الداخلية لهذه الدول، وحتى المتغيرات الدولية التي تُبشر بنشر الفوضى الخلاقة تمهيدا لتجزئة هذه الدول وتفكيكها. ولم تكن هذه المناطق تُمثل عزلة جغرافية قهرية أو حتى اختيارية تؤدي إلى تجمع الأقليات الشيعية عند الهوامش أو في مناطق العزلة، بل كانت لأسباب تتمثل في دافع الرغبة للحفاظ على كيانها ووجودها الخاص، على عكس الأقلية السنية في إيران التي دفعتها



السلطة للنزوح إلى مناطق جغرافية هامشية نتيجة تعرضها لضغوط عنيفة من العنصر الشيعي باتجاه الهوامش والأطراف، ومناطق العزل النائية والمحرومة، ودفعها عنوة للاستقرار بها، خوفا منها، وخشية من الكيان الشيعي.

توصلت الدراسة إلى أن للحزام المذهبي الشيعي استراتيجية متدرجة لدى إيران والدائرين بفلكها المذهبي، ووجه الشبه هنا كبير جداً مع طبيعة المشروع الصهيوني، واستراتيجيته السياسية والفكرية والاستيطانية التي تأخذ شكل طوق المستعمرات الآمنة حول المدن الكبرى بهدف إيجاد طوق دفاعي لتسهيل الدفاع عنها في وجه الأعداء. وتتسابق الميليشيات الإيرانية في عملية التطهير المذهبي داخل مدن التماس طائفي في بغداد والوسط والجنوب والشرق، كما تعمل بكل الوسائل على تحطيم طوق المدن والقرى السننية عسكرياً ومذهبياً والتي يسمونها "المستوطنات" السننية كل ذلك بهدف إيجاد ممر جغرافي مذهبي يصل الكيان الشيعي (الممر الشيعي الآمن) في الجنوب بشيعة بغداد والوسط والشرق، علماً أن أهل السنة يعيشون في هذه المدن أصلاً، والمجازر التي ترتكب ضد أهل السنة من قبل فرق الموت الإيرانية وأجهزة استخباراتها هي أكبر مثال على استراتيجية الأحزمة المذهبية التي تبنيها إيران، حيث تلجأ إلى سياسة التغلغل والنفوذ داخل المناطق الحصينة والرخوة (الهلامية) في العراق، حيث تدرك إيران أن نظرة لواقع دول الهلال الخارجي الإقليمي، وطريقة توزيع السكان وفق انتماءاتهم المذهبية هي الوسيلة المثلى لدراسة ديموغرافية دول الهلال الخارجي. (العربية) وجغرافيتها، وتقسيم دول الهلال الخارجي الهلامية.

وهذا الأمر اتضح من خلال الأزمة العراقية، وتدخلات إيران المباشرة في سياسة العراق وأمنه واقتصاده، وحتى ثقافته ومعتقداته، إذ أصبحت تشكل الهاجس لكل العرب، وخصوصاً في منطقة الخليج العربي. هذا بالإضافة إلى تدخلات إيران بما يجري في كثير من دول المنطقة، إذ توصلت الدراسة إلى أن دولة القلب المذهبي "إيران" تسعى إلى تحقيق أكبر قدر من الانتشار والمكاسب



الإقليمية للوصول إلى الهدف النهائي، وهو السيطرة المذهبية والسياسية على المنطقة، وهي تشمل الدول التي تقع ضمن المجال الجنوبي المذهبي الإيراني، وتُمثل مكاناً للطاقة المادية والروحية. كذلك توصلت الدراسة إلى أن السياسة الخارجية الإيرانية تعمل على إقامة حزام أمني ومذهبي شيعي حول إيران في مواجهة التهديدات.

خلصت الدراسة - كذلك - إلى أن انتشار الشيعة في العراق ومنطقة الخليج العربي والدول العربية الأخرى جعل العلاقات الإيرانية - العربية شديدة التعقيد، إذ سعت إيران - وما زالت تسعى - لإيجاد الفرص في المنطقة، وتنشط لكي تطرح نفسها كواحدة من الدول المؤثرة في مستقبلها، رغبة في الاحتفاظ بمصالحها، مُستعينة بما لديها من مرتكزات عقائدية وفكرية وسياسية مدعومة بموارد اقتصادية ذاتية وعربية (نهب خيرات العراق) وتدوير الموارد القادمة من شيعة الشتات في العالم لخدمة أهدافها، إضافة إلى ركائزها الشيعية، خاصة دور مراجع التقليد الشيعية المنتشرين جغرافياً في الدول التي تمثل المجال الحيوي المذهبي بالنسبة لإيران، على اعتبار أنه من حق إيران بما لديها من مبررات مذهبية، تاريخية، جغرافية، ديموغرافية، وسياسية... وتعمل إيران كذلك على الاتفاقيات الاقتصادية، الثقافية، السياسية، الأمنية... التي تعقدها مع دول المنطقة في مبادرة جديدة من نوعها، في إطار سياسة رسم خريطة للمنطقة.

إن نظرة تحليلية عن تحركات الدبلوماسية الإيرانية الحالية تبين أن الدول التي تم التوجه إليها تشترك فيما بينها في قاسم مشترك يهم إيران مذهبياً، وهو وجود قاعدة جماهيرية شيعية مثل: اليمن والبحرين، أو مراكز ضغط شيعية مثل: حزب الله في لبنان، أو مصدر اقتصادي ومالي يدعم إيران في بناء مجالها الحيوي المذهبي، وهذا الأمر نجده من خلال سيطرة بعض الفئات الشيعية على مؤسسات مالية وإمبراطوريات مالية ضخمة في دول الخليج على سبيل المثال خاصة في قطر، والكويت، والإمارات... أو عنصر عاطفي تجاه آل بيت النبوة مثل مصر،



والمغرب، وكذلك انتشار الصفوية في بعض الدول العربية الأمر الذي يسهل التمدد المذهبي الشيعي في بعض الدول العربية خاصة في السودان، دول المغرب العربي.، هذه الجوانب أسهمت في أن تضع نظرية توسع إقليمية لتحقيق مصالحها وطموحاتها، وتكون قابلة للتطبيق من خلال اتخاذ الأساليب المناسبة وفق المتغيرات الدولية .

لا شك أن متغيرات القوة الخليجية والعربية بعد احتلال العراق قد أتاح الفرصة لإيران كي تحاول النفوذ إلى المنطقة، فبدأت بمد جسور العلاقات مع الدول العربية خاصة الخليجية، وأن تطرح مشروعات لحل المشاكل العالقة مع كل منها، كل ذلك بهدف التعجيل بتمدها إلى المنطقة بوسائل وطرق جديدة. وضمن هذه الرؤية فقد أصبحت لدى إيران سيناريوهات جاهزة للأوضاع المحتملة، وخطط عمل لها، من أجل دعم الإسلام الشيعي، وتقوية نفوذ الشيعة، ورسم حزام أمني مذهبي يطوق الدول التي بها أغلبية أو حتى أقلية شيعية، فطبيعة الشيعة سمحت لهم باكتساب القدرة على حسن التعامل مع الحركات المقاومة، وإمكانية التواصل الخلاق معها، كما تسمح لهم التعامل بمصادقية معها، وفي هذه الحالة يمكن للتقية السياسية أن تقوم بدور فعال في حل المشاكل التي قد تطرأ بين الطرفين أصحاب المصلحة، والتقارب مع الآخرين لن يكون على حساب مكاسب حقيقتها إيران في المنطقة أو في غيرها أو حتى داخل إيران، قبل الثورة أو بعد انتصارها. وتعي إيران أن مستقبل التعاون الإيراني - العربي رهن بالتحركات الإيرانية، ومن ثم فهي لا تقف عند محاولات تحسين العلاقات التقليدية، وإنما تبادر لتعميق وتطوير سبل التقارب لتشمل كافة المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، رغم الاختلافات الجوهرية في هذا المجال، وتسعى لابتكار وسائل وأساليب جديدة في هذا الصدد، وما جمعيات الصداقة التي تنشئها إلا حلقة من سلسلة محاولاتها المستمرة في ذلك .

خلصت الدراسة إلى أن حركة إيران نحو تفعيل المجال الحيوي المذهبي سوف تؤدي إلى تغيير جذري في علاقات الدول العربية مع إيران؛ لأن " فرضية



الصدام المذهبي " ستكون محققة بامتياز هذه المرة، فالعالم العربي وشعبه تتابع بدقة حركة السياسة الإيرانية، التي ستؤدي إلى تصاعد درجة الصراع على مقياس متعدد الدرجات بين الدول العربية التي يستهدف مجالها الحيوي بصورة خطيرة. وقد توصلت الدراسة في هذا المجال إلى أن سعي إيران ومحاولتها إشغال الدول العربية بمشاكلها الداخلية أو مع العدو، هي أساليب قديمة جديدة في السياسة الإيرانية للتعامل مع الدول العربية، فدولة القلب المذهبي تدعي أنها تدعم القضية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه تقوم بتوجيه أكبر هجرة ليهود إيران إلى إسرائيل، حيث وجدت الدراسة أن إيران قد أعطت الضوء الأخضر لأكبر هجرة ليهود إيران باتجاه إسرائيل، ولتسهيل هذه المهمة قامت إسرائيل بالمقابل بمنح اليهود الإيرانيين امتيازات جديدة، وهذا الأمر له خطورته البالغة على الأردن ومصر والفلسطينيين أنفسهم، ومن شأن دعم دولة القلب المذهبي للهجرة إلى إسرائيل التأثير سلباً على الأمن القومي لهذه الدول جميعها على حد سواء، ولكن هدف إيران النهائي هو إشغال هذه الدول عن التعاطي الإقليمي مع مسائل المنطقة، خصوصاً تجاه الوقوف ضد المشروع الإيراني في المنطقة.

توصلت الدراسة إلى أن إيران تقوم بجهود حثيثة لإحياء وإعادة بعث التشيع من جديد من خلال إعادة إثارة الروح المذهبية الدينية في المجتمعات العربية، تعتبر هدفاً إستراتيجياً لدولة القلب المذهبي، كذلك فإن فكرة ظهور الإمام المهدي " هي أيضاً حاضرة وبقوة لدعم فكرة توجه إيران لتبني فكرة تطبيق المجال الحيوي المذهبي وبسرعة، خصوصاً أن المتابع للشأن الإيراني يجد أن " عقيدة الانتظار " " عقيدة الخلاص " الهذيان المهدي " قد أصبحت هي الشغل الشاغل للنخب التي تقود مؤسسات صنع القرار الإيراني وفي مقدمتهم الرئيس نجاد، وإحياء مراسم يوم ولادة المهدي داخل إيران وخارجها، والتبشير بقرب عودته لتخليصهم.

ويأتي هذا الهدف على رأس أولويات مراجع الشيعة؛ حيث يرون أن هدوء العراق والمنطقة معناه تأخير ظهور المهدي؛ لذلك ينبغي نشر الخراب والدمار في



كل مكان - عدا طبعاً دولة القلب المذهبي "إيران"، وهذا يفسر لنا لماذا قدمت وتقدم إيران الدعم للعديد من القوى الشيعية والمليشيات الشيعية، التي بثت وتبث الدمار في العالم العربي والإسلامي، وأنها مستعدة للتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق هذا الهدف، انسجاماً مع هدفها الطموح في بناء إمبراطوريتها الشيعية، ومن هنا نجد أن إيران تنطلق من خلفيات إمبراطورية مذهبية وخرافية حاكمة على دول العالم السني، والدعوة للإطاحة بالأنظمة السنية العربية بالاعتماد على أقوال خرافية ليس لها أساس من الصحة.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نفهم الأسباب الكامنة وراء دعم دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" اليوم لعدم الاستقرار في الدول التي تمثل مجالاً حيويًا لإمبراطوريتها الموعودة، وقد تم تأطير هذا الرؤية حسب الرؤية الشيعية. أما اليوم فيرتبط ظهور المهدي الذي قرب أوانه بوجود دولة قوية متقدمة تحظى بالمعارف والعلوم الحديثة وعلى رأسها بطبيعة الحال التكنولوجيا النووية، وعلى هذا الأساس يمكن فهم دوافع السياسة الإيرانية الطامحة إلى بناء برنامج نووي عسكري بأنه ذو دوافع مذهبية؛ لأن هذا البرنامج - حسب التصور الإيراني - هو لقوة المهدي. وعلى هذا الأساس فإنه - وفقاً للرؤية الإيرانية - فإن كل التضحيات والعقبات والعقوبات يمكن تحملها.

وخلصت الدراسة إلى أن إيران دائمة التركيز على الدور المحوري لها في دعم قيام إمبراطورية المهدي الشيعية وإنقاذ العالم، حيث إنه ومن العلامات البارزة المتزامنة مع ظهور الإمام المهدي التي يرددها علماء الشيعة في إيران دوماً ما يتعلق بالرايات السود القادمة من خراسان.

ووفق هذا التصور يمكن فهم الأسباب الكامنة وراء إعلان نجاد أن إيران انضمت إلى النادي النووي، حيث كان ذلك أثناء خطاب ألقاه في خراسان (المكان الذي ستأتي منه الرايات السود لإنقاذ العالم حسب الزعم الشيعي). وغالباً ما تركز إيران على الدور الإلهي المنوط بدولة الحلم الإمبراطوري "إيران" وشعبها، وشيعة الشتات"، ويرى مراجع الشيعة في دولة الحلم الإمبراطوري "إيران" في



حرب العراق والدمار الحادث في بغداد أنه ليس إلا مقدمة لظهور المهدي . ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد ظهرت بعض الحركات الخطيرة المدعومة من إيران ومن فتاوى مراجع التقليد فيها، التي تنشر الخراب والدمار، مثل جماعة اليماني الذي شكل ميليشيا من سكان البصرة (من دلائل ظهور المهدي كما يقول الشيعة خراب البصرة)، حيث أعلن اليماني أن جماعته تلقت أوامر - وصفها بالعليا - لتنفيذ عملياتها المسلحة في الناصرية والبصرة، وأنها كانت تنتظر في أثناء ذلك خروج المهدي المنتظر، وإمدادها بعون من السماء .

كما خلصت الدراسة إلى أبرز استراتيجيات تنفيذ الحلم الإمبراطوري الإيراني، حيث وضعت هذه الاستراتيجيات لتنفيذ الغايات والأهداف القومية للإمبراطورية الإيرانية على المدى الطويل عبر ثلاث استراتيجيات هي :

الاستراتيجية الأولى: استراتيجية لبننة المنطقة، وخلق الكيانات الشيعية تمهيدا لبلقنة المنطقة (سيناريو المذبة): وهذه الاستراتيجية تستهدف تكريس حالة التفتت والتجزئة الحالية للعالم العربي وتعميقها نحو مزيد من تفتت الدول العربية - الخليجية أولا - إلى جيوب ومناطق نفوذ وكاتونات صغيرة على أسس مذهبية، وذلك باستغلال مشاكل الأقليات الشيعية المنتشرة في دول الخليج العربية والتي تدعو للالتحاق بدولة القلب المذهبي إيران التي تشكل القومية (الأم) بالنسبة للشيعة .

إذا فإيران تسعى في هذه المرحلة إلى إقامة (كومنولث شيعي) تكون فيه إيران القوة الإقليمية العظمى، والتي تدور في فلكها دويلات عربية ضعيفة مقسمة على أسس ومذهبية، كما نجد لهذا المخطط أساسا في شيعية حاقدة على العالم العربي السني، وتترجم هذه السياسات على الأرض من خلال سياسات إيران الدموية من خلال الأزمات الموجودة .

الاستراتيجية الثانية: هي خلخلة العلاقة بين الدول العربية وإشغالها عن التعاطي مع الخطر الإيراني الشيعي المتعظم، وذلك بإقحام الدول العربية في



صراعات جانبية مع بعضها البعض في دائرة الجوار الجغرافي الذي يمثل المجال الحيوي للحلم الإمبراطوري الشيعي الإيراني، وهذا يهدف - أيضا - إلى جذب هذه الدول العربية - ومن ورائها دول القلب العربي الفاعلة، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ومصر - إلى صراعات جانبية بعيداً عن الصراع الرئيسي بين العرب وإسرائيل، وبما يخفف الضغط على دولة القلب المذهبي إيران حتى تتفرغ لتنفيذ مخططاتها التدميري في المنطقة، وقد وجدنا تطبيقاً لهذا المخطط من خلال التدخل الإيراني السافر في الأزمات الإقليمية العربية مثل: الأزمة الفلسطينية، الأزمة اللبنانية، الأزمة السودانية، والأزمة اليمنية. وبالتالي أشغلت الدول العربية المحورية عن التعاطي مع محيطها الخارجي، وسياسة الاستفراد مع دول عربية أخرى لتسهيل مهمة النفوذ للمنطقة العربية.

أما الاستراتيجية الثالثة: فهي تتمثل باستراتيجية إعادة تكثيف الاستيطان الشيعي، والتشجيع باتجاه عودة رؤوس الأموال وشيعة الشتات إلى أرض الإمبراطورية الشيعية الموعودة، ويستهدف هذا المخطط تكريس الاحتلال المذهبي الحالي للإقليم الذي يمثل المجال الحيوي لإيران، واستكمال تشييع المناطق التي يسهل بها إيجاد بيئة صالحة للتشييع، وبما يخلق أمراً واقعاً يصعب تغييره مستقبلاً، أو حتى التفاوض بشأنه، وبحيث تشكل هذه الكاتنونات أو الفيدراليات أرضاً رحبة لاستيعاب مزيد من المهاجرين الشيعة، وبما يخفف وطأة المشكلة الديموغرافية التي تعاني منها إيران من خلال تعديل الميزان الشيعي في المنطقة، ويخلق حافزاً للتدخل الإيراني بشكل أفضل حماية للشيعة مستقبلاً ضد المناطق السنية، ويرتبط بمخطط الاستيطان المكثف مخطط آخر هو (الترانسفير السني) والذي يسعى إلى تفرغ المناطق التي يتواجد فيها السنة العرب، وأكبر مثال على ذلك ما تقوم به إيران في العراق.

أما السؤال الرابع والمتعلق بالسيناريوهات المحتملة لمواجهة بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة، فقد توصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من السيناريوهات القادمة على إيران والمنطقة، وهنا ينبغي علينا أن نستفيد منها لجعل دولة الحلم



الإمبراطوري إيران "تنكفيء" داخل حدودها الجغرافية والمذهبية؛ بمعنى دعم تحول الدولة الإيرانية من الهجوم - من خلال المجال الحيوي المذهبي الذي بنته، وتأسيس مصدات قوية تضمن لها النمو والتمدد المذهبي - إلى الدفاع عن حدودها الجغرافية، بعد أن يصبح هذا المجال والمصدات التي بنتها عبئاً ثقيلاً عليها، وبالتالي تحليل إمكانية أن تدور الدائرة المذهبية على دولة القلب المذهبي، وبالتالي تبدأ نفس حدودها ومصداتها المذهبية بالانهيار، خصوصاً إذا ما تبنت الدول المستهدفة (العربية والإسلامية) سياسة دفاع جماعية تقوم على "قطع خطوط الإمداد المذهبي للمجال الحيوي" الذي تتوسل به إيران، ومحاصرتها داخلياً من خلال نقل المواجهة إلى العمق الجيوبولتيكي للدولة الإيرانية، مستفيدين من السيناريوهات المحتملة للمواجهة المحتملة بين إيران والغرب، بسبب خروج دولة القلب المذهبي "إيران" عن الدور المرسوم لها وظيفياً، محاولين الاستفادة من تخلخل الخارطة المذهبية الجغرافية والديموغرافية الإيرانية، من خلال دعم إيجاد مصدات دفاع مذهبية داخل دول الهلال الإقليمي العربي والإسلامي، ووضع وسائل الردع الكفيلة للوقوف بوجه نظرية المجال الحيوي المذهبي، ومواجهتها فعلياً ومحاصرتها، فقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

بلورة أبرز السيناريوهات المحتملة لمواجهة بناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة، حيث وجدت أن هناك العديد من السيناريوهات القادمة على إيران والمنطقة، وهنا ينبغي علينا أن نستفيد منها لتحقيق نصر استراتيجي، وهذا بالطبع لن يكون من خلال الانخراط في عمل عسكري مباشر ضد إيران، بل علينا توظيف الظروف والمتغيرات سواء الداخلية لدولة القلب الإمبراطوري: الخارطة الديموغرافية، الأقلية السنية، المشاكل الاقتصادية، الاجتماعية، حركات الاحتجاج والمعارضة...، أو الخارجية: القرارات الدولية، رفض المجتمع الدولي لبرنامجها النووي خاصة ذي الطبيعة العسكرية...، والتهديدات الأمريكية التي تستهدفها لجعل إيران تنكفيء، وتنشغل داخلياً عن التعاطي مع الخارج، وبالتالي منعها من تنفيذ استراتيجياتها



التي تسعى إلى تدمير كيانات الدول العربية السنية، حتى نتجاوز خطرنا بحول الله تعالى. وعلى هذا الأساس فعلى الدول العربية أن تستفيد من المتغيرات السابقة، وكذلك أن تسعى إلى تنظيم جهودها وتنسيق سياستها لتحقيق الأهداف التي تحدثنا عنها. أما السيناريوهات التي من المحتمل أنت تواجه إيران فهي أولاً: سيناريو المواجهة العسكرية بين الغرب ودولة الحلم الإمبراطوري: سيناريو المواجهة الشاملة، سيناريو المواجهة الجزئية (سيناريو العمل الجراحي العسكري)، سيناريو العمليات الاستخبارية. وقد وضعت الدراسة تصورا حول إجراءات دولة القلب المذهبي لسيناريو المواجهة في حال حدوثه إذا خرجت إيران عن الدور الوظيفي المرسوم لها، وطالبت بحصة أكبر مما هو مسموح لها. أما السيناريو الثاني: فيتمثل بسيناريو التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية الإيرانية ونقل الصراع إلى داخل دولة القلب المذهبي، وهنا وجدت الدراسة مجموعة من الاستراتيجيات التي من الممكن أن نستفيد منها مثل:

أ- دعم السنة في إيران "دولة القلب المذهبي" ماديا، معنويا، ومذهبيا. . . .

ب- سيناريو دعم إيجاد كاريزما "سنية" إيرانية، بحيث يكون من الشخصيات التي تلقى قبولا من السنة داخل إيران، ويُعهد إليها تنظيم السنة وقيادتها في إيران، وبالتالي التأثير عليها روحيا، وتنظيميا، وتوجيهيا. . . .

ج- سيناريو تشديد العقوبات وتضييق الخناق على الاقتصاد الإيراني حتى تنهار إيران اقتصاديا من الداخل.



الملاحق

الملحق رقم ١

فهرس الأسماء الواردة في الدراسة



علي خامنئي:

ولد علي خامنئي في عام ١٩٣٩م، وكان والده عالما شيعيا، وقد عاش طفولته في عسرة وضيق شديدين، وبدأ خامنئي رحلته مع العلم منذ الخامسة من عمره، حيث أخذ يدرس العلوم الشيعية حتى وصل إلى سن السادسة عشرة، وفي هذه السن كان مؤهلا لتدريس النحو والصرف والأصول والفقاه لطلاب الحوزات في مدينتي قم ومشهد كما تذكر المراجع الشيعية، وفي سنة ١٩٥٧ رحل خامنئي إلى النجف - وكان في سن الثامنة عشرة - في سبيل المزيد من التبحر في المعرفة الشيعية، حيث تلقى العلم على يد أهم علماء المذهب الشيعي، من أمثال: الخوئي، والشاهرودي، والبجنوردي. ولظروف عائلته عاد مسرعا إلى مشهد بعد عام واحد من إقامته بالنجف، وكان ذلك سببا للبداية الحقيقية لحياته.

وقد كرس خامنئي حياته لنشر أفكار الخميني، فكان مبعوثه إلى خراسان وعلمائها لبث روح الثورة بينهم، فتم اعتقاله في عام ١٩٦٣م لأول مرة، إلا أن كثافة نشاطاته الثورية مثلت عائقا له عن الارتقاء في سلم المراتب العلمية الدينية، حتى إنه ظل إلى وقت اختياره مرشدا عاما للثورة على درجة (حجة الإسلام)، وتم منحه لقب (آية الله) كدرجة شرفية فقط.

وقد اعتقل خامنئي أثناء كفاحه الثوري ست مرات، وعينه الخميني فيما بعد مندوبا عنه في مجلس قيادة الثورة في الجيش بعد اندلاع الحرب مع العراق، كما

عينه نائبا لشؤون الثورة بوزارة الدفاع، ثم عين قائدا لجيش الحرس الثوري. وبعد وفاة آية الله طالقاني، وعزل آية الله منتظري (خليفة الخميني) من منصبه، وعزله نهائيا عن الحياة السياسية بعودته إلى قم - عين خامنئي إماما لجمعة طهران؛ ليوحد الصفوف وراء الخميني بعد ما أثاره منتظري من بلبلة بآرائه المعارضة لنظرية ولاية الفقيه من فوق منبر الجمعة.

انتخب خامنئي رئيسا للجمهورية بعد اغتيال محمد علي رجائي، واستمر في منصبه لفترتين متتاليتين حتى عام ١٩٨٩م، وبعد رحيل الخميني أضحى الحاجة إلى زعيم جديد، وطبقا للدستور يختص مجلس الخبراء باختيار الزعيم، وهو المجلس الذي كان يترأسه آنذاك آية الله مشكيني، وسيطر هاشمي رفسنجاني عليه فعليا. وقد بدأ رفسنجاني حربا ضروسا داخل المجلس للفصل بين مقام المرشد العام للثورة ومقام المرجعية العليا للشريعة في إيران وخارجها، ونجح في ذلك، ثم أعلى من قيم المصلحة، وأعلن أحقية خامنئي في الزعامة؛ نظرا لما قدمه في سبيل نجاح الثورة وتوطيد دعائم النظام، على الرغم من وجود من هم أعلى منه في الدرجة العلمية. وبقراءة خامنئي لوصية الإمام الزعيم في مجلس الشورى الإسلامي أكد خلافته له ليصبح مرشدا عاما للثورة الإسلامية في إيران^{٧٥٢}. ولا بد من الإشارة إلى أن أبسط المواد الدستورية في إيران لا تعطي لخامنئي أحقية في هذا المنصب؛ حيث ينص الدستور الإيراني على السلامة الجسمية للقائد^{٧٥٣}، بينما يعاني خامنئي من شلل في يده اليمنى على إثر محاولة لاغتياله، وبالتالي لا يحقق خامنئي أحد الشروط الدستورية، هذا عدا عن كونه لا يملك القدرة على الإفتاء والاجتهاد؛ لضعفه العلمي في المذهب الشيعي.

٧٥٢ - (مختارات إيرانية، العدد ١، أغسطس ٢٠٠٠ ص ٥٨، ٥٩.

(www.ansaralhojah.com>www.agaed.com).

٧٥٣ - (قانون أساسي، المادة ١٠٧ - ١١٢).



محمود أحمددي نجاد:

ولد الدكتورالمهندس محمود أحمددي نجاد في أسرة توصف بالشيعية المتدينة بالعاصمة طهران عام ١٣٣٥هـ / ١٩٥٧م، وتلقى تعليمه في المرحلة الأساسية بمدارس مدينة طهران، ثم التحق بكلية الهندسة جامعة العلم والصناعة (دانشگاه صنعتی کبیر) بطهران، ودرس في قسم فن العمارة، وتخرج فيها بتفوق، مما جعله يلتحق بالدراسات العليا بنفس الجامعة حتى حصل على درجة الدكتوراة في الهندسة المعمارية، وعين مدرسا بالكلية. ويوصف نجاد بأنه قد شارك في النشاط الثوري فترة دراسته الجامعية، وانضم للجمعية الإسلامية للمهندسين، ولفت نظر زملائه حتى اختاروه عضوا باللجنة المركزية للجمعية. كما انضم إلى جيش حرس الثورة الإسلامية "باسدران انقلاب إسلامي"، وشارك في صفوفهم في الحرب العراقية - الإيرانية، حتى حصل على لقب الفدائي (جانباز)، وأصبح عضوا في جمعية فدائيي الثورة (جانبازان انقلاب إسلامي). اختاره الدكتور مصطفى معين - وزير الثقافة والتعليم العالي في حكومة رفسنجاني - مستشارا له، ثم عينه الرئيس هاشمي رفسنجاني رئيسا لبلدية مدينة أردبيل، بمحافظة أذربيجان الشرقية، حتى انتخابات المجالس المحلية الإسلامية الأخيرة، حيث سيطر الأصوليون على المجالس، واختاره مجلس مدينة طهران رئيسا للعاصمة.

يعتبر نجاد أن الثورة أحدثت قفزة كبيرة لمصلحة الإسلام والمسلمين في كافة أرجاء العالم، وحققت الاستقلال والحرية والثقة في النفس بالنسبة للشعب الإيراني، وأدت إلى ارتفاع الروح المعنوية وزيادة عدد الشباب المتدين في إيران وخارجها^{٧٥}. ويوصف أحمددي نجاد بأنه يميني متطرف نتيجة مواقفه وهجومه المستمر على أصحاب الميول الفكرية الغربية الذين لا يرى لهم موقعا في نظام الجمهورية الإسلامية. ورغم تأكيده على أن القيادة الشابة هي دائما عرضة للغزو الثقافي، إلا أنه في أقواله وأفعاله قد أثبت أنه ثوري من الدرجة الأولى. ويعتبر

٧٥٤ - (مختارات إيرانية، العدد ٥٧، ابريل ٢٠٠٥، ص ٧٨، ٧٩ www.ahmadinejad.ir).



مصباح يزدي بمثابة الأب الروحي لنجاد؛ حيث تسيطر عليه فكرة الهوس المهدوي حتى في خطابه ولقاءاته، حتى بطبيعة انتقائه للشخصيات التي يعهد إليها في المواقع العامة في الدولة الإيرانية، وقد اختار كثيرا من النخب التي شغلت كثيرا من المواقع الأمنية والعسكرية خاصة من الحرس الثوري الإيراني الذي تغلغل في جميع مناصب الدولة الإيرانية.

هاشمي رفسنجاني؛

ولد علي أكبر هاشمي رفسنجاني عام ١٩٣٤، كان الأب الحاج هاشم بهرماني موضع ثقة أهل القرية "رفسنجان" الذين أجبروا على العيش فيها نظرا للتضييق الذي كان يقع عليهم في العصر البهلوي، فكانوا يرجعون إليه في شؤونهم الاجتماعية والدينية، ويفض كثيرا من منازعاتهم، إلى غير ذلك من الأعمال الخيرية والسلوك الديني الذي أثر بشكل من الأشكال في تكوين شخصية رفسنجاني الابن. أما الأسرة، فكانت مكونة من خمسة أخوة وأربع أخوات، مات منهم ثلاثة. ولم يكن مستوى معيشة الأسرة سيئا بالقياس مع أوضاع القرية، بل متوسطا^{٧٥٥}. بدأ علي أكبر هاشمي رفسنجاني تعليمه في سن الخامسة في كتاب القرية مع أخيه، وفي سن الرابعة عشرة اقترح ابن عمه الذهاب إلى قم لاستكمال الدراسة في حوزتها العلمية، لكن والده رفض؛ فقد كان قلقا من أن لا يتمكن من تحمل الوحدة وثقلها. أسس علي أكبر هاشمي رفسنجاني منظمة التشيع؛ بهدف تنظيم معارضة جيل شباب الحوزة للشاه. أما عن ارتباط رفسنجاني بالخميني، فقد تهيأت الظروف لرفسنجاني للتعرف عليه منذ سنوات الدراسة الأولى في قم.

٧٥٥ - يمتلك رفسنجاني أكبر إمبراطورية اقتصادية ومالية في إيران حيث يسيطر على تجارة الفستق والسجاد والكافيار. وللسكتة دائما ما يقول الشعب الإيراني عن نوع الفستق كأفضل فستق في إيران وتسمى "بستعه اكبرى"، أما أولاده فيملكون أغلب وكالات السيارات وقطع الغيار، ومؤسسات وشركات إسكان عملاقة).



خلال الفترة من ١٩٦٣م إلى منتصف ١٩٦٤م كان هاشمي رفسنجاني في سلك التنظيمات وتشكيل الكوادر للكفاح، وكل ذلك كان في ركاب الخميني، واعتقل في منتصف ١٩٦٤ إلى منتصف ١٩٦٥م، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تكررت مرات الاعتقال لأكثر من سبب في الظاهر، ولكنها كلها كانت بسبب النشاط الديني السياسي المؤيد لنهج الخميني ضد نظام حكم الشاه. بعد الثورة شغل هاشمي رفسنجاني عدة مناصب سياسية توجت بتولي مهام الرئاسة في إيران لفترتين متتاليتين، ثم رئيساً لمجلس تشخيص مصلحة النظام، ودخوله البرلمان السادس نائباً، ثم استقالته من عضوية المجلس قبل إجراء جلسات البرلمان السادس^{٧٥٦}، ثم عضواً في مجلس خبراء القيادة، وعهد إليه خامنئي تولى الإشراف على السلطات الثلاث بعد الأزمات المتتالية التي أصابت إيران داخليا وخارجيا وزيادة وتيرة التهديدات لإيران نتيجة ملفها النووي.

الدكتور محمد خاتمي

ولد محمد خاتمي في عام ١٩٤٢ لأسرة مذهبية؛ فوالده هو آية الله خاتمي الذي عرف في مدينة أردكان بمحافظة يزد بالتقوى والاجتهاد، قضى السيد محمد خاتمي سنوات التعليم الأولى في أردكان التي رحل عنها في سن التاسعة عشرة إلى قم لاستكمال مراحل التعليم الديني بها، وفي عام ١٩٦٥ رحل السيد خاتمي إلى أصفهان ليلتحق بالجامعة لدراسة الفلسفة، ثم استكمل دراساته العليا بجامعة طهران ليعود بعدها إلى قم لاستكمال الدراسات العليا في العلوم الدينية وبدايات الاشتراك في العمل السياسي.

يرتبط اسم محمد خاتمي بالثورة منذ سنواتها الأولى؛ ففي العام ١٩٧٨ اختير ليرأس المركز الإسلامي بمدينة هامبرج الألمانية، وفي العام ١٩٨٢ شغل منصب وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي حتى عام ١٩٩٢ حينما استقال، واختاره

٧٥٦ - (مختارات إيرانية، العدد ٤، نوفمبر ٢٠٠٠ ص ٥٧، ٥٨، ٥٩).



الرئيس رفسنجاني ليكون مديرا للمكتبة الوطنية في إيران، وهو المنصب الذي ظل فيه حتى عام ١٩٩٧، حينما اكتسح الانتخابات الرئاسية أمام منافسه المحافظ ناطق نوري، الذي كان مدعوما من علي خامنئي ليصبح خامس رئيس للجمهورية الإسلامية في إيران، فاز الرئيس خاتمي بنسبة وصلت إلى ٦٠,٧٤٪، حيث اعتبر هذا الفوز تكريماً لموقف الأغلبية الإيرانية الداعمة لبرنامج الرئيس خاتمي الإصلاحية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الخارجية^{٧٥٧}، والرافضة لسياسة المرشد خامنئي الداخلية والخارجية.

الدكتور غلامعلي حداد عادل:

ولد الدكتور غلامعلي حداد عادل في طهران عام ١٣٢٤هـ / ١٩٤٥م، في أسرة شيعية متدينة تتمتع بمستوى معيشي جيد، مما مكّنه من تلقي تعليمه العام في أفضل المدارس، حيث استطاع أن يحصل على تعليمه الأساسي حتى الثانوية العامة في مدرسة علوى بطهران عام ١٣٤٢هـ / ١٩٦٣م، ثم التحق بكلية العلوم جامعة طهران، وحصل على بكالوريوس الفيزياء عام ١٣٤٥هـ / ١٩٦٧م، وقد عين معيدا في كلية العلوم جامعة شيراز، وهناك التحق بالدراسات العليا، وحصل على درجة الماجستير في عام ١٣٤٧هـ / ١٩٦٩م. واشتغل الدكتور غلامعلي حداد عادل بالتدريس في مركز التعليم العام التابع لجامعة صنعتى شريف، وهناك مارس نشاطه السياسي والثوري، وتبلورت آراؤه وأفكاره الثورية، ثم انتقل للتدريس في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة طهران. وقد كافأته قيادة الثورة والنظام على نشاطه الثوري فاهتمت به، فكان مرشحا لتولي رئاسة هيئة الإذاعة والتلفزيون عام ١٣٦٠هـ / ١٩٨١م، وتم تعيينه رئيسا للجنة وضع مواد الكتب المدرسية ومناهج وزارة التربية والتعليم في نفس العام، ثم عين مديرا لمؤسسة دائرة المعارف الإسلامية، ثم رئيسا لمجمع اللغة والأدب الفارسي، بل منحتة الفرصة لتدريس

٧٥٧ - (مختارات إيرانية. . العدد ١٥، أكتوبر ٢٠٠١ ص ٧٥، ٧٧ www.president.ir/



علم الكلام الجديد الذي يقوم بتدريسه في سائر الجامعات الإيرانية، خصوصا في الحوزة العلمية في قم.

لقد صار الدكتور غلامعلي حداد عادل المسؤول الأول عن اللغة الفارسية التي اعتبرتها قيادة الثورة والنظام إحدى أهم وسائلها لتبليغ رسالتها الثورية للخارج، فلم يتوقف عن دراسة أوضاع اللغة الفارسية في إيران، بل تخطى الحدود إلى الدول الأخرى الناطقة بالفارسية، وكذلك أوضاع اللغة الفارسية في الدول المهتمة بتدريسها، كما عقد المؤتمرات العلمية لبحث شؤون اللغة، ودعا إليها كافة المهتمين باللغة الفارسية والمعنيين بشؤونها في جميع أنحاء العالم. ويسعى الدكتور حداد عادل إلى بناء دول كمنولث جديد للناطقين باللغة الفارسية.

لقد ارتفع نجم حداد عادل السياسي مع نجاحه في الوصول إلى عضوية مجلس الشورى الإسلامي عن دائرة طهران العاصمة، حيث إنه قلما كان يدخل المجلس خلال فترة شغله منصب وكيل وزارة التربية والتعليم لمدة أحد عشر عاما، على عكس وكلاء الوزراء الآخرين، ومع احترامه للمجلس كأحد أركان النظام، إلا أنه لم يكن راغبا في عضويته، معطيا أولوية للعمل الثقافي. لكنه بعد أحداث الثاني من خرداد، ووصول خاتمي للرئاسة، وتولي الإصلاحيين أمور السلطة التنفيذية - شعر أن المناخ السياسي للمجتمع يتحول عن مسيرة الثورة وينحرف عنها، وأن خطرا يهدد الحفاظ على مباني الثورة، واستطاع من خلال مواقفه السياسية وآرائه أن يصبح زعيم الأقلية المحافظة في الدورة السادسة للمجلس، حيث أثاره أن يتطرق بحث الإصلاحيين إلى مسألة ولاية الفقيه وانتقاد الصلاحيات الممنوحة لمرشد الثورة، وهو ما يخالف فكر الخميني الذي يقده حداد عادل.

لقد قام حداد عادل بقيادة أقلية في المجلس "الأصلاحيون كانوا يشكلون أغلبية"، والتي كانت أغلبية في المجالس السابقة، مما ضاعف مسؤولياته في أن يخرج بها من الضعف إلى القوة مرة ثانية. وقد استطاع أن يقود بضعة وستين عضوا من المحافظين، ويستميل معهم عددا من المستقلين والأصوليين، وكان على



يقين من أن تكتل الإصلاحيين سوف ينهار لعدم تماسكه وكثرة الخلاف بين عناصره وقيادته، كما أنه يدرك - أيضا - أن على اليمين المحافظ البعد عن التطرف، والقيام بالمراجعة المستمرة لمواقفهم وسياساتهم، وفي إطار ذلك استطاع المحافظون أن يحصدوا أغلب مقاعد مجلس الشورى فيما بعد، حيث تم انتخاب حداد عادل رئيسا له^{٧٥٨}.

محمد حسين الطباطبائي:

ولد محمد حسين ابن السيد الطباطبائي في ٢٩ ذي الحجة هـ ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م في مدينة تبريز، وارتحل إلى قم في عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م، وكانت الحوزة العلمية فيها آنذاك تشهد بدايات أحداث تصدى لها آية الله العظمى السيد حسين البروجرودي، وكانت هذه النهضة بحاجة إلى من يرفدها، ولأجل ذلك اكتسى حضور العلامة الطباطبائي إلى قم أهمية خاصة في تبلور تلك النهضة الفكرية القوية التي شهدتها في النصف الثاني من القرن العشرين، والتي يعتز بها علماء الشيعة.

وقد توفي والده عندما بلغ التاسعة من عمره، وفي هذه السنة ذهب إلى المدارس لتعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم والكتب الفارسية المتعارف عليها في ذلك الوقت، ثم باشر بعد ذلك دراسة اللغة العربية والأدب العربي، وأنهى مرحلة السطوح "مرحلة من مراحل الدراسة في الحوزة الدينية الشيعية" عند الأساتذة المعروفين في مدينة تبريز. لم يكتف الطباطبائي بدراسة الفقه والأصول، بل واصل دراسته في العلوم الأخرى، مثل: علم الرجال، والفلسفة، والعرفان، والأخلاق، والرياضيات، والحساب، والجبر، والهندسة المستوية والمجسمة، وغيرها. هاجر إلى مدينة قم، وبدأ بتدريس علم التفسير والفلسفة والعلوم العقلية - وهي علوم لم تكن تدرس من قبل في الحوزة - وذلك جنبا إلى جنب مع العلوم الأخرى مثل الفقه والأصول.

٧٥٨ - (مختارات إيرانية، العدد ٤٧، يونيو ٢٠٠٤، ص ٩٠، ٩١، ٩٢).



شرع منذ سنة ١٣٦٨هـ بتدريس الأخلاق والعرفان، ثم بتدريس رسالة السير والسلوك المنسوبة لرجل الدين الشيعي بحر العلوم.

وقد درس على يديه عدد من الطلاب الذين كان لهم دور بارز في تنمية العلوم العقلية التي كان رجال الدين الشيعة يولونها اهتماما كبيرا، وقد كان لهؤلاء دور مهم في تخريج رجال دين شيعة تقلدوا مواقع مهمة في مؤسسات صنع القرار في إيران، نذكر منهم: محمد حسيني البهشتي مرتضى المطهري، ومحمد تقي مصباح اليزدي، وآية الله مكارم الشيرازي . . .

من مؤلفاته: تفسير الميزان، حاشية على كفاية الأصول، الشيعة في الإسلام، حاشية على كتاب الأسفار للملا صدأ، رسالة في الحكومة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب في مختلف الموضوعات.

كما أن له عشرات المقالات المنشورة في المجلات العلمية المختلفة، وكثير من التقارير والمقدمات المكتوبة لبعض الكتب المعروفة، مثل: المراقبات، وتفسير العياشي، ووسائل الشيعة.

وقد توفي العلامة الطباطبائي بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٠٢هـ، ودفن في مدينة قم^{٧٥٩}.

الدكتور محمد جواد لاريجاني^{٧٦٠}:

ولد لاريجاني في عام ١٩٤٥، كان قد تولى منصب مساعد وزير الخارجية لعدة سنين في عهد الإمام الخميني، وقد أقبل من مهامه بعد دعوته إلى قيام علاقات مع الولايات المتحدة. وخلافاً لشقيقه الأصغر علي لاريجاني فإن جواد لاريجاني يحمل شهادة الدكتوراة في الفيزياء من جامعة MIT الأمريكية المعروفة،

٧٥٩ - (مختارات إيرانية، العدد ٧٣، أغسطس ٢٠٠٦، ص ١١٣، ١١٤، ١١٥

١٦ (www.agaed.com.www.shiastudies.com)

٧٦٠ - (هو أخو علي لاريجاني، مسؤول البرنامج النووي سابقاً).



وهو معجب بالمجتمع الأمريكي وثقافته، ويجيد اللغة الإنجليزية بدرجة ممتازة، وقد ظهرت هناك مشكلة أثناء موضوع رئاسة الوفد الإيراني في مباحثات بغداد مع الولايات المتحدة الأمريكية حول الأمن في العراق، الأمر الذي أربك القيادة الإيرانية لأيام عدة؛ إذ إن قيادة الحرس الثوري المعنية بشأن العراق كانت تعتبر إيفاد رجل مثل محمد جواد لاريجاني المعروف بتوجهاته الليبرالية، وعلاقاته الوثيقة مع الأوساط الإعلامية والجامعية ومراكز الأبحاث المتخصصة بشؤون الشرق الأوسط في الولايات المتحدة، ولا يخفي إعجابه الشديد بالمجتمع الأمريكي - إلى بغداد والتفاوض مع الأمريكيين علناً، سوف يشكل خطراً على مصالحها ودعمها غير مباشر للأطراف الإصلاحية والليبرالية الداعية إلى المصالحة مع الولايات المتحدة، وسوف يفضح السياسة الإيرانية التي تقيم علاقات سرية مع الولايات المتحدة، وإرسال محمد جواد لاريجاني سوف يفضح إيران على الملأ. وقد تمكنت قيادة الحرس من إقناع المرشد بأن محمد جواد لاريجاني لا يصلح لتمثيل «إيران الثورة» أمام ممثلي «الشیطان الأكبر»، وأن لاريجاني غير مناسب لمسؤولية خطيرة كمواجهة مندوب الشيطان الأكبر رايان كروكر في بغداد، وبالتالي قرر المرشد علي خامنئي - وبعد اجتماع مع أحمدني نجاد- رفض إيفاد محمد جواد لاريجاني للتفاوض، لما ينطوي عن ذلك من مخاطر^{٧٦١}.

الدكتور كمال خرازي؛

ولد كمال خرازي - وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية - في طهران في أول ديسمبر عام ١٩٤٤، وقد شغل خرازي منصب المندوب الدائم السابق لإيران لدى الأمم المتحدة، وتم تعيينه في منصب وزير الخارجية الإيراني من قبل مجلس الشورى في ٢٠ أغسطس ١٩٩٧ بعد تصويت المجلس على الحكومة، وكان خرازي قد تعرض لحملة انتقادات عقب إعلان الرئيس محمد

٧٦١ - (تاريخ سياسي واجتماعي شخصيت های برجسته ایران، منشورات بنياد فرهنگ، تهران، ١٣٨٠، ص ١٤ - ١٦)



خاتمي عن ترشيحه لتولي منصب وزارة الخارجية بعد على أكبر ولايتي، حيث شنت صحيفة جمهوري إسلامي هجوماً على خاتمي لأنه عين شخصاً غير مناسب للمنصب. ووصف فريق آخر من المتشددين المتاجرين بالشعارات خرازي بأنه تلوث بفعل تعليمه في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمله مندوباً لبلاده في الأمم المتحدة.

وقد عمل خرازي في عدة وظائف حكومية ودبلوماسية وأكاديمية، فقد شغل منصب المندوب الدائم لدى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٨٩ وحتى قبل تولية منصب وزير الخارجية. وخلال توليه منصب المندوب الدائم رأس الوفد الإيراني في العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية، وتولى بعض المناصب الدولية مثل تعيينه نائب رئيس لعدة لجان دولية تابعة لمنظمة الأمم المتحدة والجمعية العامة للأمم المتحدة، مؤتمر البيئة والتنمية التابع للأمم المتحدة، وفي الفترة من يوليو عام ١٩٨٠ وحتى سبتمبر عام ١٩٨٩ تم تعيين خرازي في منصب رئيس وكالة أبناء الجمهورية الإسلامية (إيرانا)، وفي نفس الفترة كان عضواً بصفة مراقب في مجلس الدفاع الإيراني الأعلى، بالإضافة إلى ترأسه مركز التنمية الذهنية للأطفال في الفترة من أغسطس ١٩٧٩ وحتى يوليو ١٩٨٠. وبسبب عمله في هذه الوظائف الحكومية والدبلوماسية فقد تم تعيينه في منصب نائب وزير الخارجية للشؤون السياسية في الفترة من أغسطس عام ١٩٧٩ وحتى مارس ١٩٨٠. وفي الفترة من سبتمبر ١٩٨٨ شغل منصب رئيس مركز الإعلام الحربي الذي أنشئ خلال سنوات الحرب بين إيران والعراق منذ ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٨. كما تم تعيينه في منصب نائب رئيس التلفزيون الإيراني في الفترة من مارس وحتى أغسطس ١٩٧٩. وبالإضافة إلى وظائفه وخبراته السابقة فإن كمال خرازي هو أستاذ للإدارة وعلم النفس التربوي في جامعة طهران منذ عام ١٩٨٣، وحصل على درجة الماجستير من جامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦ في علوم التربية، والتي قام بالتدريس فيها في الفترة من عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٧٦ عندما عاد إلى طهران.



كما أن خرازي هو عضو في معهد البحوث الإسلامي ومقره في لندن، بالإضافة إلى أنه عضو الجمعية الأمريكية لأساتذة الجامعات، كما انضم إلى أكاديمية العلوم بنيويورك في عام ١٩٩٤^{٧٦٢}. ومن هنا فإن المسؤولين الإيرانيين يعتبرون من أبرز المطبعين للعلاقات مع الولايات المتحدة، في الوقت الذي ترفع فيه إيران شعار محاربة الشيطان الأكبر "الولايات المتحدة الأمريكية".

الدكتور علي لاريجاني:

ولد علي لاريجاني في طهران عام ١٣٣٥هـ / ١٩٥٦م، وتدرج في سلك التعليم العام حتى التحق بجامعة صنعتي شريف في طهران، وتخرج من قسم الرياضيات، ثم التحق بجامعة طهران فدرس الفلسفة وحصل على درجة الدكتوراة فيها. بدأ عمله في إدارة البرامج الخارجية بهيئة الإذاعة أواخر عام ١٣٥٧هـ / ١٩٧٩م، بعد نجاح الثورة الإيرانية، ثم انتقل إلى المكتب المركزي للأخبار، وبعد إصدار قانون الإذاعة والتلفزيون عام ١٣٥٩هـ / ١٩٨٠م عين كأول مدير تنفيذي في مجلس الإشراف على هيئة الإذاعة والتلفزيون. ورغم الخلاف بينه وبين رئيس الجمهورية - أبو الحسن بني صدر حول توجيهات الإذاعة - إلا أنه ظل في منصبه بعد عزل بني صدر قرابة الستين، استطاع خلالها أن يعقد المناظرات بين الجماعات التي شاركت في الثورة على اختلافها حول رؤيتها المستقبلية والتنظير والحياة السياسية وبعض موضوعات العقائدية والدينية، وقد تولى رئاسة هيئة الإذاعة والتلفزيون لمدة عشر سنوات، تعرض خلالها لضغوط عنيفة من الجماعات والأحزاب السياسية، ولكنه استطاع أن يحافظ على الخط الأصولي المذهبي لأجهزة الإعلام وقدم عددا من المسلسلات عن أئمة الشيعة مثل: علي الرضا، وعلماء الحوزة.

٧٦٢ - (مختارات إيرانية، العدد ١٧، ديسمبر ٢٠٠١، ص ٥٨ - ٥٩).

(www.mfa.gov.ir.www.ipis.ir)



اختاره الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني وزيرا للثقافة والإرشاد الإسلامي بعد استقالة محمد خاتمي في صيف ١٣٧١ هـ / ١٩٩٢ م، وظل في هذا المنصب لمدة عامين، حتى أصدر خامنئي قرارا بتعيينه رئيساً لهيئة الإذاعة والتلفزيون في ٢٤ بهمن (الشهر الحادي عشر حسب التقويم الإيراني) ١٣٧٢ هـ / ١٣ / ٢ / ١٩٩٤ م، حيث قدم استقالته من وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في نفس اليوم، وظل في رئاسة هيئة الإذاعة والتلفزيون لمدة عشر سنوات، عين خلالها عضواً في المجلس الأعلى للثورة الثقافية، وعضواً بمجمع تشخيص مصلحة النظام، وعضواً بالمجلس الأعلى للأمن القومي حتى اختاره خامنئي ممثلاً له في هذا المجلس، وأمين عام مجلس الأمن القومي، ومسؤولاً عن البرنامج النووي الإيراني وعملية التفاوض مع الترويكا الأوروبية.

وهو من الذين يطرحون فكرة الاستفادة من كل الإمكانيات الوطنية لتحقيق المصلحة القومية^{٧٦٣}.

آية الله مصباح يزدي:

المرجع والأب الروحي للرئيس الإيراني أحمدني نجاد، ولد آية الله محمد تقي مصباح يزدي في الحادي عشر من شهر بهمن ١٣١٣ الموافق ١٧ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ في أسرة شديدة التدين في مدينة يزد. كانت حياة والده تسيير بصعوبة بالغة في منزل موروث عن أمه، كانت أمه تعين والده على متطلبات الحياة بمهنة نسج الجوارب، وكان عائدها ضئيلاً جداً للغاية لدرجة أن والده كان لا بد أن يقترض مبلغاً كل فترة حتى يتمكن من تسيير حياته. من الأمور التي يرددها يزدي أن أمه قبل ميلاده رأت رؤيا أنها أنجبت قرآناً، واستيقظت من نومها قلقة، وذهبت إلى المفسر فأخبرها أنها ستلد ولداً وأنه سيكون عالماً وحاملاً للقرآن؛ ولذلك قرر

٧٦٣ - (مختارات إيرانية، العدد ٥٥، فبراير ٢٠٠٥ ص ٨٨ - ٩٠. وزارت أمور خارجه إيران).



الأب والأم أن يبيعا منزلهما ويهاجرا إلى النجف. ومع أنه كان الاقتراح الأولي لمحمد تقي هو أن يسمحوا له أن يهاجر إلى قم ويواصل دراسته في الحوزة، لكن الأسرة أصرت أن تذهب بداية إلى النجف. وقد توجه في أواخر عام ١٩٥١ إلى النجف، ولكن ساءت الأحوال مما اضطر الأسرة للعودة إلى إيران، وأصر محمد تقي علي أن يسمحوا له أن يظل لفترة وحده في النجف.

تعرف محمد تقي يزدي منذ العام الأول لدخوله قم على الخميني الذي كان أستاذا في الحوزة منذ سنوات سابقة.

عاد يزدي إلى قم، وعندما وصل - وفي مدرسة الحجتية وجوار الساعة الشمسية - لفت انتباهه شخص على رأسه عمامة صغيرة، وكان مظهره ينم عن حياة بسيطة، فسأل محمد تقي عنه فقالوا: إنه القاضي الصغير. وبعد فترة على هذه الحادثة اقترح عليه أحد الأصدقاء أن يحضر درس التفسير الذي يلقيه الأستاذ في أيام الخميس في مسجد سلماسى، وبعد الحضور ورؤية الحالة المعنوية والروحية للعلامة وأسلوبه في التدريس أصبح محمد تقي مولعاً به ويريد أن يكون في صحبته على الدوام. وقد كانت أسئلة محمد تقي قد لفتت انتباه العلامة إليه، وأصبح موضع عنايته الخاصة، وأتاح له هذا الأمر أن يطلع على مجال القضايا الأخلاقية والمعنوية، وكان القاضي الصغير قد أعطاه النسخ الخطية لتفسيره قبل أن تطبع حتى يقرأها ويعدل فيها إذا اقتضى الأمر ذلك.

قام يزدي بدراسة ومطالعة شاملة في مختلف العلوم الإسلامية مثل: الفقه، والأصول، والتفسير، والفلسفة. وقد انخرط يزدي في تيار الحجتية الذي تحدثنا عنه في أثناء هذه الدراسة وبيننا مدى خطورته^{٧٦٤}.

٧٦٤ - (مختارات إيرانية، العدد ٧٤ - سبتمبر ٢٠٠٦ / ص ١٠٢ - ١٠٤).



آية الله محمود هاشمي شاهرودي:

هو آية الله سيد محمود هاشمي شاهرودي، ولد بالعراق عام ١٩٤٩م، وهو أحد تلاميذ آية الله محمد باقر الصدر. ونشأ في مدينة "شهرود" جنوب شرق إيران، وإليه يرجع لقبه. ويعد "شاهرودي" من رموز المدرسة العلمية النجفية التي تميل للمحافظين من دون التورط في الصراعات السياسية، وقد أعلن فور تعيينه رئيساً للسلطة القضائية عن عزمه وقف التدخل السياسي في السلطة القضائية، إلا أنه رغم ذلك عمل على مراعاة التوازنات السياسية القائمة بالفعل، فلقد حاول في عملية تعيين رموز السلطة القضائية أن يوازن بين التوازنات القائمة بين القوى السياسية من جانب، وأن يحتفظ بأبرز رجال "خامنئي" في المؤسسة القضائية من جانب آخر، وحاول أن يرضي قوى الإصلاح. وقد برز التناغم الواضح بين شاهرودي وخامنئي في تناول الأول لقضية "الإصلاح" المطروحة في إيران، فقد جاءت مفردات رؤيته لعملية الإصلاح متطابقة إلى حد كبير مع المفردات الخاصة برؤية خامنئي، ومن هنا فإن آية الله هاشمي شاهرودي لم يبعد إذن عن خط ونهج "خامنئي" بل مضى في خط متواز - ومتطابق في الوقت نفسه - مع المفردات الخاصة بالمرشد. إن الأمر اللافت للنظر أنه لم يصدر أي تكذيب شخصي عن شاهرودي نفسه^{٧٦٥}.

الدكتور علي أكبر ولايتي:

أستاذ بكلية الطب في جامعة طهران قسم طب الأطفال، انتدب للعمل في وزارة الخارجية الإيرانية، تولى الدكتور ولايتي وزارة الخارجية الإيرانية لأول مرة في عهد حكومة ميرحسين موسوي - رئيس الوزراء، وكان علي خامنئي وقتها رئيساً للجمهورية عام ١٩٨٢، وعندما أراد التخلي وتقديم استقالته من منصبه في ١٩٨٤/٨/٧ قال له الخميني: لو استبدلناك لقال العالم إن سياستنا الخارجية قد

٧٦٥ - (مختارات إيرانية، العدد ٣، أكتوبر ٢٠٠٠، ص ٥٢، ٥٣، www.shahrodi.com)



تغيرت خاصة ونحن في هذه الظروف . وقد استطاع ولايتي أن يشغل منصب وزير الخارجية طوال أكثر من ستة عشر عاماً، مع تغيير رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية، وخلال مرحلتين مختلفتين: مرحلة الحرب العراقية الإيرانية، والمرحلة التي تبعتها، بما يعني أن ما يقوم به ولايتي في تطوير السياسة الخارجية لإيران أمر ضروري بالنسبة للنظام الإيراني . ويعلل ولايتي طول فترة مسؤوليته من منطلق أنه كان تكليفاً . وبلغ نشاطه الدبلوماسي حدا جعل رسامي الكاريكاتير في المجلات الإيرانية يصورونه راكبا إحدى الطائرات، ممسكا بنظارة مكبرة، باحثاً عن أية دولة صغيرة مثل دولة الكومور في أفريقيا لكي يزورها ويتباحث معها، مما يعني أنه لم يترك بلدا في العالم لم يزره أو يتباحث معه حتى الولايات المتحدة، وقد عرف عنه أنه قد أدخل في السياسة الخارجية الإيرانية أسلوب المبادأة كأصل إجرائي، وهو أسلوب ضاغط في شكل سلسلة متلاحقة من الأطروحات التي تمثل بالونات اختبار، الواحدة تلو الأخرى، لا ينتظر مبادرات بل يقدمها، وردود أفعاله جاهزة ليس فيها مجال للتردد، وهذا يعني الاستعداد الدائم والاستفسار الكامل لكافة الأدوات المساعدة في مجال المبادأة، فضلا عن وضع الخطط على المدى القريب والبعيد، وأن تتضمن هذه الخطط كافة الاحتمالات، وهذا يعني - أيضاً - وضع احتمال عدم التراجع^{٧٦٦}.

علي شمخاني:

تولي "علي شمخاني" وزارة الدفاع في آب، ١٩٩٧ . وينحدر "شمخاني" من منطقة الأهواز من عشيرة الشماخنة إحدى عشائر عرب خوزستان، التي هي فخذ من أفخاذ بني تميم المنتشرة بين إيران والعراق.

٧٦٦ - (مختارات إيرانية، العدد ٥٤، يناير ٢٠٠٥ ص ٨٤ - ٦٨. تاريخ سياسي واجتماعي شخصيت های برجسته ایران، منشورات بنياد فرهنگ، تهران، ١٣٨٤، ص ٢٥ - ٢٨).



ويحسب شمخاني على تيار مرشد الثورة الحالي علي خامنئي، حيث تعود هذه العلاقة إلى النصف الأول من السبعينيات في عهد محمد رضا شاه بهلوي، فقد التقى خامنئي بعلي شمخاني في خوزستان، وامت وتوطدت بينهما علاقة وصفت بالثورية، ظهرت ثمارها بوضوح بعد انتصار الثورة الإيرانية، حيث تولى شمخاني وزارة الحرس الثوري في فترة رئاسة خامنئي الثانية ١٩٨٥-١٩٨٩ في حكومة "مير حسين موسوي" آخر رئيس وزراء في عهد الجمهورية الإيرانية قبل تعديل الدستور في يونيو ١٩٨٩.

بعد ذلك تولى "علي شمخاني" قيادة القوات البحرية في الفترة من ١٩٩٤-١٩٩٧ محققا كفاءة عالية وتميزا ظاهرا بوضوح في عملية تطوير الصناعة العسكرية البحرية، كما وصفه بذلك خامنئي، وبعد فوز خاتمي برئاسة الجمهورية في مايو ١٩٩٧ اختير "شمخاني" لوزارة الدفاع، وقد حظي هذا الترشيح بموافقة المرشد، وكذلك حظي بأغلبية كبيرة في الاقتراع على الثقة الذي أجره مجلس الشورى الإسلامي في يوليو ١٩٩٧ حيث فاز بموافقة أكثر من ثلثي الأعضاء.

من أهم ما تميزت به وزارة الدفاع الإيرانية في عهد شمخاني اعتماد استراتيجية "الطموح العسكري بهدف تحقيق ردع عسكري أمني استراتيجي للقوى الخارجية المحيطة بإيران. وقد بدأت إيران في "الإفصاح" عن هذا الطموح العسكري بشكل معلن وحاسم، ومن خلال شخص وزير الدفاع "علي شمخاني" حيث قال في كلمته التي ألقاها في ختام "المؤتمر العلمي الأول لتقنيات الفضاء" - والذي حضره جمع من السفراء والملحقين العسكريين في إيران ٩/٩/٢٠٠٠: "بالنظر إلى الوضع العسكري للمنطقة والتهديدات الخارجية المحيطة فإن على إيران أن تقوم بتنمية قدراتها الصاروخية في إطار سياسة الردع العسكري للجمهورية الإسلامية، ونظرا لأن الجمهورية الإيرانية تقع تحت تهديد صاروخي خارجي موسع يعتمد في الأساس على الواردات الغربية، ولأن ضرورة الحفاظ على الأمن القومي الإيراني حال ظهور الأخطاء الإقليمية يستوجب امتلاك نظام دفاعي قوي



يعتمد على القدرات الصاروخية والفضائية لمواجهة التهديدات الخارجية؛ لذلك فإن استراتيجية الردع التي تتبعها الجمهورية الإسلامية تنهض على دعائم أساسية هي: القدرة، والأمن القومي، والتقنيات الفضائية^{٧٦٧}.

مما سبق يدل بوضوح على حقيقة مفادها أن إيران لم تكتف بصناعة الصواريخ متوسطة المدى كوسيلة ردع استراتيجي، بل كانت داخلية بالفعل في استراتيجية الردع التي تعتمد على صناعة الصواريخ بعيدة المدى والفضاء بشكل يماثل ما هو متحقق لدى بعض الدول الإقليمية الكبرى وكذلك القوى العالمية، وبالفعل استطاعت إيران بواسطة هذه الصواريخ بعيدة المدى والتي صنعتها إطلاق أول صاروخ إلى الفضاء، وأطلق عليه اسم "أميد"^{٧٦٨}، وبهذا أصبحت إيران الدولة الحادية عشرة في العالم التي تمتلك هذه التقنية، أما العرب في إيران فهم يكتنون العداوة الشديد لشمخاني على اعتبار أنه قد قاد العمليات العسكرية ضد المعارضة العربية الأهوازية، وارتكب ضدهم أبشع الجرائم.

آية الله مطهري:

ولد آية الله مطهري عام ١٩٢٠ في مدينة فریمان التابعة لمدينة مشهد، وقد أتم دراسته الابتدائية في نفس المدينة، ثم سافر إلى مشهد لإتمام ومواصلة تعليمه، وبعد تحصيله العلوم المتوسطة في الثامنة عشرة من عمره سافر إلى قم، حيث تعلم وأتقن الفلسفة على يد العلماء الشيعة من أمثال آية الله محقق، وآية الله بروجردي، والسيد ميرزا يثربى كاشاني، وآية الله الخونساري، وآية الله طباطبائي، وتعلم على يديه فلسفة ابن سينا.

وكان أبرز طلاب الخميني، وقد سافر إلى طهران بعد وفاة آية الله بروجردي. والجدير بالذكر أنه عين أستاذا في جامعة طهران عام ١٩٥٥، وقد أدى

٧٦٧ - (مختارات إيرانية، العدد ٦، يناير ٢٠٠١، ص ٥٢ - ٥٣. شخصيت های علمی

سیاسی نظامی ایران، وزارت فرهنگ، تهران، ١٣٨٤، ص ١٢٤ - ١٢٥).

٧٦٨ - (تعني كلمة أوميد باللغة العربية الأمل).



نشرة لكتاب " أصول الفلسفة ومذهب الواقعية " إلى تأسيسه " الحسينية الإرشاد " عام ١٩٦٣ ، وكانت الحسينية بمثابة المركز الحادي عشر من المراكز الثقافية ذات التأثير الثقافي الكبير في إيران ، وقد تمكنت من التأثير على فكر الجيل المعاصر آنذاك . بدأ آية الله مطهرى نشاطه السياسي علنا بعد هجوم قوات أمن الشاه على المدرسة الفيضية ، والتي كان يلقي فيها الخميني دروسه العلمية على طلابه قبل الثورة في مدينة قم ، وقد سُجن في هذه الأحداث الخميني ، وجُرح فيها كثير من الطلاب ، وتم تدمير المدرسة الفيضية ، وفي هذه الأحداث - والتي عرفت بأحداث ١٥ خرداد (٤/٦/١٩٦٣) - ألقى جهاز السافاك (جهاز المخابرات الإيراني) القبض على آية الله مطهرى ، وتم إيداعه السجن لأول مرة ، ثم سجن مرة أخرى ١٩٧٢ ، ومنع بشكل نهائي عام ١٩٧٥ من إلقاء محاضراته ، وتوجه إلى النجف في العراق عام ١٩٧٦ فعهد إليه الخميني رئاسة مجلس قيادة الثورة عام ١٩٧٩ ، وقد قتل آية الله مطهرى يوم ١/٥/١٩٧٩ الساعة الثانية قبل الفجر عندما كان خارجاً من منزل يد الله سحابي ، وذلك على يد مجموعة مسلحة أطلقت على نفسها فيما بعد اسم " الفرقان " ٧٦٩ .

اللواء محسن رضائي:

يعتبر اللواء محسن رضائي - أمين عام مجمع تشخيص مصلحة النظام - أحد رموز الثورة الإيرانية الشيعية ، وأحد الذين أسهموا في استقرار النظام الإيراني .

وينحدر محسن رضائي من أصول عربية ، فقد ولد عام ١٣٣٣هـ / ١٩٥٥م في إحدى القرى التابعة لمدينة مسجد سليمان بمحافظة خوزستان ، من أب فقير كان يعمل راعياً للغنم ، وأصبح الآن يمتلك ثروة تقدر بعشرات الملايين ، وقد أكمل رضائي تعليمه الابتدائي ، ثم حصل على منحة من شركة النفط الوطنية بعد نجاحه

٧٦٩ - (مختارات إيرانية ، العدد ٢٥ ، أغسطس ٢٠٠٢ ، ص ٧٥ . شخصيتهای جهانی ایران: كتابخانه ديجيتالى إسلامى ، كتابخانه هاى جهانى آنلاين ، ١٣٨١) .



في امتحان مسابقة معهدھا التعليمي على مستوى محافظة خوزستان، فأتم تعليمه الإعدادي، ثم سافر إلى الأهواز حيث التحق بمدرستها الثانوية، وهناك بدأ يصقل وعيه السياسي، فاطلع على كتب الدكتور علي شريعتي والمهندس مهدي بازرگان، ثم التحق بإحدى الجماعات الفدائية "مجاهدي خلق" عام ١٣٥٠هـ / ١٩٧٢م، إلا أنه اعتقل بعد ذلك بعامين. أدرك محسن رضائي أن أسلوب منظمة مجاهدي خلق يتجه إلى الليبرالية وبعيدا عن المذهبية، مما يجعله ينحرف فكريا وعقائديا عن الإسلام؛ لذلك انفصل عنها، وكون جماعة المنصورين، واتجه بأسلوب هذه الجماعة الفدائية إلى القيم المذهبية الشيعية، وكان يمارس نشاطه الفدائي سرا خلال الفترة ٥٥ / ١٣٥٧ هـ / ٧٧ / ١٩٧٩م، وبعد نجاح الثورة الإيرانية أعاد تشكيل جماعته بمساعدة الشهيد بروجردى لمواجهة الثورة المضادة، وبعد سبعة أشهر أنشأ وحدة للمعلومات والمخابرات في الجيش. كان لها إنجاز واضح في مواجهة منظمة مجاهدي خلق المنشقة على النظام، وتصفية المعارضة في الداخل والخارج، واستهداف علماء السنة، والحركات السنية بعد أن صار قائدا للحرس الثوري.

من أهم إنجازاته - حسب الرؤية الإيرانية - أنه قام في بداية الثورة الإيرانية بتوحيد قوى حرس الثورة (باسدراة انقلاب إسلامي) تحت قيادة واحدة، بعد أن كانت تحت أربع قيادات، حيث وضع لائحة لجيش حراس الثورة مع ممثلي قيادات هذه الجماعات عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٨٠م مع وجود أربعة قادة، حتى أصبح قائدا للحرس الثوري بعد ذلك بعامين ولمدة ستة عشر عاماً متوالية. وعندما تولى قيادة هذا الجيش لم يكن تعداده يصل ثلاثين ألفاً موزعين على بضع كتائب، فقام بتطوير الجيش من كتائب إلى ألوية ومعسكرات قتالية، وأسس ثلاثة أسلحة برية وبحرية وجوية، كما أسس وحدة معلومات واستخبارات في جيش حراس الثورة الإسلامية، ثم عاد بعد عام فأدخل النشاط السياسي للحراس، وقد أصبح بحكم منصبه عضوا في المجلس الأعلى للأمن القومي لمدة ستة عشر عاماً، وخلال توليه قيادة جيش الحراس كان يضع إمكانات الجيش تحت تصرف الدولة.



ترك اللواء محسن رضائي موقعه في جيش حراس الثورة الإسلامية، حيث قدم استقالته لخامنئي عام ١٣٧٣هـ / ١٩٩٥م، لكن خامنئي استمهله ثلاث سنوات، وأشركه في اختيار خليفته حتى يستمر على نهجه، ثم عينه أميناً لمجمع تشخيص مصلحة النظام ورئيساً لجهازه الإداري الذي يرأسه هاشمي رفسنجاني، وبعد حصول رضائي على درجة الدكتوراة في الاقتصاد أسند إليه رئاسة لجنة الاقتصاد الموسعة بالمجمع. وفي إطار السياسة الخارجية طرح فكرة إنشاء اتحاد لجنوب غرب آسيا، باعتبار أن هذه المنطقة لها ثقافة وحضارة وعناصر طبيعية مشتركة مع إيران، وهو يعتبر هذا المشروع مضادا لفكرة الشرق الأوسط الكبير، بحيث يمكن إنشاء سوق اقتصادية مشتركة. كما سيعدل قانون الهجرة لتحقيق استفادة أكبر من وجود الإيرانيين في الخارج وربطهم بالوطن الأم^{٧٧}. ومن الأمور المثيرة أن رضائي كان من أكثر المسؤولين الإيرانيين الذين يهاجمون الولايات المتحدة، إلا أن أحد أبنائه قد طلب اللجوء السياسي للولايات المتحدة، وهو يعيش هناك مثله مثل الكثيرين من المسؤولين الإيرانيين الذين يرسلون أبناءهم للدراسة في أمريكا.

عطاء الله مهاجراني:

ولد عطاء الله مهاجراني في مدين آرك عام ١٩٥٤، وترى تربية مذهبية على يد آية الله مهاجراني أحد كبار علماء الدين، إلا أنه لم ينخرط في سلك الحوزة العلمية، حيث تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدينته، ثم غادرها إلى أصفهان ليلتحق بجامعة، وهناك درس في قسم التاريخ بكلية الآداب فحصل على درجة البكالوريوس، ثم التحق بجامعة شيراز حيث حصل على درجة الماجستير في التاريخ والثقافة الإيرانية عام ١٩٨٣، ثم التحق بجامعة تربيت مدرس في طهران حيث حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ والثقافة الإيرانية، إضافة إلى هذه الدرجة منحه جامعة دوشنبه في جمهورية طاجيكستان الدكتوراة الفخرية

٧٧ - (مختارات إيرانية، العدد ٥٩، يونيو ٢٠٠٥ . www.ketab7.blogfa.com).



في الثقافة الفارسية. وقد أتاح التعليم المدني لمهاجراني أن يجيد اللغة الإنجليزية والعربية والأوردية، وأن تتعدد مؤلفاته في مجالات الثقافة والتاريخ والقضايا السياسية والمذهبية. ومن أهم مؤلفاته: رسالة عاشوراء، حماسة الفردوسي، سلمان الفارسي.

وقد لمع اسم عطا الله المهاجراني في سن السادسة والعشرين، مع انتخابه عضواً بمجلس الشورى الإسلامي عن دائرة شيراز مع أول دورة برلمانية عام ١٩٨٠، ثم انتخب ضمن هيئة رئاسة المجلس، ورأس لجنة التجارة، وصار المسؤول الإعلامي للجنة الدفاع، فضلاً عن انتخابه نائباً لرئيس لجنة الشؤون الخارجية. وقد شارك في وضع أسس مشروع إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين الذين احتجزهم طلاب حزب الله في السفارة الأمريكية في طهران. وبعد انتهاء هذه الدورة البرلمانية عين مستشاراً ثقافياً لإيران في باكستان عام ١٩٨٤، ثم عين نائباً لوزير الثقافة والإرشاد الإسلامي، ومساعداً لرئيس الوزراء للشؤون القانونية والبرلمانية عام ١٩٨٥. وكان قد نال إعجاب الرئيس رفسنجاني خلال رئاسته لمجلس الشورى الإسلامي؛ لذلك أسند إليه - عندما تولى رئاسة الجمهورية - منصب مساعد رئيس الجمهورية للشؤون القانونية والبرلمانية عام ١٩٨٩، كما عينه خامنئي عضواً في لجنة إعداد السياسة الإعلامية الإيرانية عام ١٩٩٢، كما عينه نائباً لرئيس مركز الدراسات الاستراتيجية عام ١٩٩٤، فضلاً عن عضويته في لجنة دعم الثورة في فلسطين. ومع وصول الرئيس خاتمي لمنصب رئيس الجمهورية اختاره لقيادة الحركة الثقافية من خلال إسناد وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي إليه.

ويعتقد مهاجراني أن تقوية البنية الثقافية وتقنين ضوابط النشاط الثقافي والفني والانفتاح مع الخارج والحفاظ على الهوية والاستقلال الثقافي وتحقيق أمان الثورة الإسلامية وتجديد الفكر الديني ورفع الروح المعنوية - ترفع قدر إيران بين الدول.

لقد أحدثت استقالة مهاجراني من وزارة الثقافة دويًا هائلاً في الأوساط السياسية والثقافية، سواء بسبب الضجيج الذي أثاره متقدوه، أو بسبب كلمته التي



ألقاها في مجلس الشورى الإسلامي، ودافع فيها عن منطقته وفكره وأسلوبه في مجال العمل الثقافي، مؤكداً رفضه للإرهاب الفكري والتشدد والتطرف، مشيراً إلى سماحة الإسلام التي أخرجت الثقافة الإسلامية من النفق المظلم الضيق إلى آفاق رحبة ورغبة سمحت لها بالانفتاح على ثقافة ونظريات الآخرين، مبدياً حرصه على ضرورة اختلاف الأساليب وضرورة الحفاظ على المعتقدات والبنى الدينية والثورية^{٧٧١}. لكن تم إقصاؤه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، حيث تم الاعتداء عليه وضربه وتهديده بالقتل من جانب جماعات إيرانية متطرفة؛ مثل منظمة حزب الله الإيراني المدعومة من أجهزة الاستخبارات الإيرانية التي يشرف عليها خامنئي بنفسه. ولا بد من الإشارة إلى أن جميلة كديور - أخت أحد رجال الدين (محسن كديور) الذي زج به في السجن نظراً لمعارضته الشديدة لولاية الفقيه - هي زوجة عطاء الله مهاجراني.

محمد بهشتي؛

اسمه محمد حسيني بهشتي، وأحياناً يكتب خطأ محمد حسين بهشتي، ولد في الثاني من شهر آبان عام ١٣٠٧ هـ / (١٩٢٨ م) في مدينة أصفهان في محلة تسمى لومبان، وهي من المحلات القديمة جداً في المدينة، في بيت متعصب للمذهب الشيعي، إذ كان والده عالماً شيعياً. بدأ تعليمه في سن الرابعة لدى الكتاتيب، وتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، بعدها دخل ثانوية سعدي لمواصلة دراسته المتوسطة والإعدادية، وبينما كان يواصل الدراسة في السنة الثالثة بدأت أحداث شهر يور عام ١٣٢٠ (١٩٤١ م).

وفي عام ١٩٤٢ ترك بهشتي الثانوية والتحق بدراسة العلوم الدينية في مدرسة الصدر بأصفهان؛ لأنه خلال هذه الفترة كان قد قرأ شيئاً من العلوم الإسلامية. وخلال الأعوام ٤٢ - ١٩٤٦ درس في أصفهان الآداب العربية،

٧٧١ - (مختارات إيرانية، العدد ٤٦، مايو ٢٠٠٤/ص ٨٤ - ٨٥. شخصيتهای برجسته ایران، شخصيتهای سیاسی اجتماعی دینی ایران، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٨).



والمنطق، والكلام، ومرحلة سطوح الفقه والأصول بسرعة ملفتة للنظر، أضحت سبباً في أن يحيطه أساتذة الحوزة العلمية باهتمامهم.

أمضى بهشتي عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ في المدرسة الدينية، وكان آنذاك يدرس أواخر مرحلة السطوح^{٧٧٢} عندما قرر الانتقال إلى قم لمواصلة الدراسة فيها، وبالفعل انتقل بهشتي إلى قم سنة ١٩٤٦، وأكمل فيها دراسة بقية المراحل خلال فترة وجيزة، ودرس الفقه والأصول لدى آية الله محقق داماد، كذلك حضر دروس الخميني. وقد تزامن وجود بهشتي في طهران عام ١٩٥١ مع تصاعد وتيرة التطورات السياسية والاجتماعية لحركة النفط بقيادة آية الله كاشاني والدكتور محمد مصدق، وآنذاك كان بهشتي معمماً شارك في التظاهرات والتجمعات والإضرابات.

وفي عام ١٩٦٢ حيث انطلق التحرك للثورة بقيادة الخميني، وبرزت المشاركة الفاعلة للعلماء الشيعة - كان بهشتي حاضراً في صلب الأحداث، وخلال هذه الفترة قام هو ورجال شيعة آخرون بتشكيل مركز الطلبة الذي تولى الدكتور محمد مفتاح مسؤولية الإشراف المباشر على نشاطاته، الأمر الذي أدى إلى سجنه.

واصل بهشتي نشاطه السياسي والاجتماعي بعد إطلاق سراحه، إلى أن انتقل الخميني إلى باريس، عندها ذهب بهشتي للقاء الإمام وبقي في باريس عدة أيام، بعدها تم تشكيل نواة مجلس قيادة الثورة بتوجيهات من الخميني. وكانت النواة الأولى تتألف من: مطهري، وهاشمي رفسنجاني، وموسوي اردبيلي، وباهنر، وبهشتي. وبعد ذلك التحق بمجلس قيادة الثورة إلى أن قتل نتيجة انفجار أطاح بكثير من أعضاء مجلس قيادة الثورة^{٧٧٣}.

٧٧٢ - (الدراسة في الحوزة الشيعية تشمل ثلاث مراحل هي: السطوح، الخارج، المقدمات).
٧٧٣ - (مختارات إيرانية، العدد ٧٢، يوليو ٢٠٠٦، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧
www.fajrweb.net، دفتر تبليغات حوزة قم، شخصيتهاي شيعي، ١٣٧٢، ص ٩٦ -
(٩٩).



الدكتور علي شريعتي:

يعتبر الدكتور علي شريعتي من كبار مفكري إيران في العصر الحاضر؛ فهو صاحب مدرسة فكرية في علم الاجتماع السياسي المعاصر، كما أنه أحد المفكرين المعارضين لنظام الشاه في إيران. ولد علي شريعتي في قرية كاهك إحدى توابع سبزوار الواقعة في محافظة خراسان عام ١٩٣٣م، وهو من أسرة شيعية محافظة، فوالده السيد محمد تقى شريعتي أحد علماء مدينة مشهد. وقد انتقل إلى مشهد مع أسرته وهو في السابعة من عمره، حيث التحق هناك بمدرسة ابن يمين الابتدائية، ثم تابع تعليمه في مدينة مشهد، فالتحق عام ١٩٤٦م بمدرسة الفردوسي الإعدادية.

وقد بدأ شريعتي نشاطه السياسي في سن مبكرة، حيث التحق بجمعية نشر الحقائق الإسلامية بمشهد عام ١٩٤٨م، وكان في الخامسة عشرة من عمره، وبعد أن أنهى فترة دراسته في المعهد العلمي عام ١٩٥٢م التحق بالعمل في المجلس الثقافي بمشهد، وفي عام ١٩٥٧م تم القبض عليه مع ستة عشر عضواً من أعضاء حركة المقاومة الوطنية، وتم نقله معهم إلى سجن "قزل قلعة" في طهران بطائرة عسكرية لتأديبهم وذلك بسبب نشرهم وتأييدهم لأفكار محمد مصدق المعارضة للشاه، ثم خرج من السجن، وأنهى دراسته الجامعية عام ١٩٥٨م، حيث حصل على المرتبة الأولى في قسم اللغة الفارسية وآدابها، ونتيجة لهذا منحته الجامعة بعثة علمية لاستكمال دراسته بالخارج، فتوجه إلى فرنسا عام ١٩٥٩م، والتحق بمدرسة الأليانس لتعلم اللغة الفرنسية، إلا أنه لم يكف عن ممارسة النشاط السياسي هناك، فانضم إلى منظمة تحرير الجزائر، وتم القبض عليه عام ١٩٦٠م، وبعد إطلاق سراحه بدأ تعاونه عام ١٩٦١م مع اتحاد الطلاب الإيرانيين المقيمين في فرنسا، وكذلك مع ممثلي الجبهة الوطنية وحركة التحرير. وفي عام ١٩٦٣م أنهى دراسته في جامعة السوربون، وحصل على الدكتوراة في العلوم الاجتماعية. وفي عام



١٩٦٨م أسس حسينية الإرشاد مع زميله داريوش فروهر^{٧٧٤}. وكان يلقي محاضراته فيها ليالي الجمع أو خلال العطلات الرسمية؛ حتى لا تؤثر بالسلب على الجامعة. وبناء على أوامر شفوية من قبل جهاز الساواك إلى رئيس الجامعة تم منعه رسمياً من إلقاء المحاضرات عام ١٩٧١م، ونقله إلى طهران للعمل في وزارة العلوم والمعارف، كما صدرت إليه الأوامر بعدم دخول الوزارة ومواصلة عمله من داخل منزله، وتم منع الدكتور علي شريعتي من إلقاء المحاضرات والخطب وحددت إقامته.

بعد ذلك اتخذ قراره بالهجرة خارج البلاد، فتوجه في عام ١٩٧٧م إلى بلجيكا، ومن هناك اتجه إلى الولايات المتحدة لزيارة ابنه إحسان، ثم اتجه إلى لندن، وبعد فترة قليلة وافته المنية بشكل مفاجيء عن عمر يناهز الأربعة والأربعين عاماً. وبالرغم من قصر عمره إلا أنه ترك ثروة هائلة من المؤلفات والكتب والتراجم والمحاضرات التي تم جمعها وطبعها في كتب منفصلة^{٧٧٥}. وقد وجه نقداً لاذعاً إلى رجال الدين الشيعة، وانتقد الشيعة، مبدياً عدم إيمانه بالكثير مما ورد في هذا المذهب، الأمر الذي جعل الكثير من علماء الشيعة يكفرونه، ويطالبون بمحاكمته كما تحدثنا عن ذلك سابقاً.

آية الله حسين منتظري:

ولد آية الله حسين علي منتظري عام ١٩٢٢، في أسرة شيعية كادحة بمدينة "نجف آباد" الواقعة على بعد مسافة أربعة وعشرين كيلو متراً غرب أصفهان. وفي

٧٧٤ - (قتل داريوش فروهر في منزله في عهد الرئيس خاتمي من جانب الاستخبارات الإيرانية، على الرغم من كونه طاعناً في السن، حيث تم تصفيته نظراً لمعارضته للنظام الإيراني، الأمر الذي جعل خاتمي يهدد بالاستقالة من منصبه إذا لم يتم كشف الفاعلين الحقيقيين لهذه الجريمة، وبعد التحقيقات اتضح أن المخابرات الإيرانية التي تعمل بتوجيه من خامنئي هي التي قامت بذلك).

٧٧٥ - (مختارات إيرانية، العدد ٧، ديسمبر ٢٠٠٦م. ص ١١١ - ١١٣.

(www.mellimazhabi.org)



عام ١٩٤١ رحل منتظري إلى مدينة "قم" لبدأ مرحلة جديدة من حياته العلمية، مرحلة انضمامه إلى المدارس الدينية بالحوزة. وقد استطاع منتظري نيل إجازة الاجتهاد وهو ما يزال شاباً.

وفي فترة الخمسينيات من القرن الماضي أصبح منتظري من أشهر المدرسين في الحوزة في قم، حيث دعم منتظري الثورة في البداية؛ فبينما تشكك بعض رجال الحوزة في ماهيتها ومستقبلها منذ أن كانت فكرة راح منتظري يقف بجانبها، إذ ظل يكافح مع الخميني وبعض العناصر الأخرى غير الدينية التي شاركت في الثورة ضد استبداد النظام الملكي، وكثيراً ما اعتقل ونفي وسجن.

انتصرت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، وانهار النظام الملكي، وبذلك تغيرت الكثير من الموازنات الإقليمية والدولية والداخلية. ونظراً لجهود منتظري للثورة، وتأيده الشخصي للخميني - تولى رئاسة مجلس قيادة الثورة ومجلس خبراء القيادة، والإمامة المؤقتة لصلاة الجمعة بعد رحيل آية الله طالقاني، وأخيراً توجت تلك المسؤوليات حينما عينه الخميني في خلافة الزعامة " مرشد الثورة القادم "، باعتباره الرجل الثاني في الثورة الإيرانية، وأطلق عليه لقب نائب ولي الفقيه " نائب المرشد ". كان آية الله منتظري من أوائل المنظرين لنظرية " ولاية الفقيه "، ولم يكن مؤيداً لولاية الفقيه المطلقة، حيث كان ينظر إليها من منظور آخر منظور الولي المنتخب من الشعب مباشرة " ولاية الفقيه الانتخابية "، وكما يبدو أن الأخيرة تختلف عن الأولى من حيث الصلاحيات التي تمنح للولي الفقيه أو المرشد، فأراه في ولاية الفقيه الانتخابية كانت تتجسد على أن يتوافر في الحاكم (الزعيم) شروط الفقه الإسلامي " الشيعي "، وانتخاب الحاكم (الزعيم) يتم من قبل الشعب، وتحديد صلاحياته من خلال الدستور. ويرى منتظري ضرورة تحديد فترة زمنية لرئاسة الزعيم (يتم تعيينها بموجب الدستور)، ولمجلس الخبراء الحق في استجوابه وعزله، إذا ما خالف الشروط السابق ذكرها، أو أخل بالتزاماته وفقاً لما ورد في الدستور. ويجد أن الصلاحيات الممنوحة للقائد لا تستوجب استبداده في الحكم، كما أن الولاية المطلقة لم ترد في الدستور، وإنما قد أضيفت



فيما بعد. وفي هذا السياق يذكر منتظري: "لقد أخلوا في الدستور بلفظ " المطلقة " بعد " ولاية الفقيه " ، وهذا عمل غير سليم ، فنحن لا نؤمن بالولاية المطلقة للفقيه ، ولا يجوز للفقيه أن يفعل ما يريد ، فضلاً عن أنهم قد ألقوا بشرط المرجعية عن القائد ، وهو من شروط انتخابه^{٧٧٦} .

وفيما يتعلق بالتعديلات التي أدخلت على الدستور عقب وفاة الإمام الخميني يقول منتظري: إن التعديلات التي أجريت - لا سيما إلغاء منصب رئيس الوزراء، وتوسيع سلطات وصلاحيات الولي الفقيه (مرشد الثورة)- كانت غير ضرورية، وقد كان رأيه هذا من واقع مسؤوليته كرئيس لمجلس الخبراء آنذاك^{٧٧٧} .

ومما سبق، يتضح أن مسألة الجمهورية في رأى منتظري لا تتحقق إلا من خلال تقنين صلاحيات المرشد، وضمان حق المشاركة الشعبية في الانتخاب، والالتزام بالدستور، وتحديد صلاحيات الفقيه في إطار القانون، وكذا تحديد فترة ولايته، ومساءلته أمام مجلس الخبراء المنتخب من قبل الشعب. ومن المؤكد بأن موقف وآراء وانتقادات آية الله منتظري للحكومة الإسلامية - والأهم انتقاداته لنظرية "ولاية الفقيه المطلقة" - كانت سببا في إقالته من جميع مسؤولياته من مرجعية الزعامة، ومجلس قيادة الثورة، ومجلس الخبراء، ليتحول فجأة من نخبة صناع القرار إلى نخبة المعارضة.

وفي مطلع التسعينيات أثرت مجددا مسألة المرجعية، وأدت إلى تنحيته بسبب آرائه حيال تلك المسألة - أدت إلى اندلاع المظاهرات، الأمر الذي أدى إلى وضع آية الله منتظري قيد الإقامة الجبرية منذ عام ١٩٩٧م. ورغم الإفراج عنه مؤخرا، إلا أنه ما زال موزعا للشكوك من قبل الحكومة الإيرانية حيث تفرض عليه عزلة كاملة، وقد تم منع الإعلام من الوصول إليه^{٧٧٨} .

٧٧٦ - (حسين علي منتظري، ولاية فقيه در فقه شيعي، قم، ١٣٦٩، ص ٢٣ - ٢٤).

٧٧٧ - (لقاء مع منتظري، محطة بي بي سي، ١٩٩٦/٩/٢٥).

٧٧٨ - (مختارات إيرانية، العدد ٦٦ - يناير ٢٠٠٦ / ص ٨٢ - ٨٥).



منوشهر متكي؛

ولد في بندر كز عام ١٣٣٢ هـ ش / ١٩٥٤ م، وهو حاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة طهران عام ١٩٩٢، وقد حصل كذلك على درجة الماجستير في علم الاجتماع من جامعة بنجلور الهندية، كما أنه يجيد اللغات الإنجليزية والأوردية والتركية.

تدرج منوشهر متكي في العمل الدبلوماسي منذ بداية السلم الوظيفي، وحتى درجة وكيل وزارة الخارجية، حتى انتخب نائبا في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الأولى ١٣٥٩ ش ١٩٨١ م، واختير عضوا بلجنة السياسة الخارجية، وعين بعد انتهاء فترة عمله كنائب في مجلس الشورى الإيراني رئيسا للإدارة السابعة السياسية بوزارة الخارجية، وبعد عام عين سفيراً لإيران في تركيا، وفي عام ١٣٦٨ ش ١٩٩٠ م عين مديراً عاماً لإدارة غرب أوروبا بوزارة الخارجية، ثم وكيلاً للوزارة للشؤون الدولية بعد أقل من عام، ثم وكيلاً للشؤون القنصلية والقانونية والبرلمانية، ثم سفيراً لإيران في اليابان عام ١٣٧٣ ش ١٩٩٥ م، ثم عاد مستشاراً لوزير الخارجية عام ١٣٧٨ ش ٢٠٠٠ م، ثم عين وكيلاً لشؤون الاتصالات بهيئة الثقافة والاتصالات الإسلامية عام ١٣٨٠ ش ٢٠٠١ م، حتى انتخب نائبا عن طهران في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الحالية عام ١٣٨٣ ش ٢٠٠٥ م، واختير رئيساً للجنة الأمن القومي والعلاقات الخارجية، حتى اختاره الرئيس أحمددي نجاد وزيرا للخارجية^{٧٧٩}.

الدكتور محمد مصدق؛

ولد دكتور محمد مصدق في ١٩ مايو عام ١٨٨٢، ووالده هو هدايت اشتياني الذي كان وزيراً للمالية في عهد الملك ناصر الدين قاجار، ووالدته هي

٧٧٩ - (مختارات إيرانية، العدد ٦٧ - فبراير ٢٠٠٦ / ص ٩٦ - ٩٧.

(www.mfa.gov.ir.www.ipis.ir)



الابنة الكبرى لولي العهد الأمير عباس ميرزا، وأثناء طفولته مات والده عام ١٨٩٢، وقد عين مصدق في شبابه محصلاً للضرائب الحكومية في ولاية خراسان، وبعد الثورة الدستورية في عام ١٩٠٦ انتخب نائباً في البرلمان عن ولاية أصفهان حيث كان عمره وقتها (٣٠) عاماً، ولكن نتيجة للظروف السياسية واستبداد الملك رفض وظيفته كنائب برلماني، وعندما حل الشاه محمد علي البرلمان الأول واعتقل الليبراليين اختفى مصدق وقضى فترة في الخفاء. وفي العام ١٩٠٩ بدأ رحلته العلمية إلى فرنسا عن طريق روسيا، ودرس في معهد العلوم السياسية في باريس لمدة عامين. وبسبب مرضه عاد مصدق إلى إيران، ولكن بعد خمسة شهور ذهب إلى سويسرا حيث التحق بمدرسة القانون في نيوشاتل، وحصل على الدكتوراة في القانون عام ١٩١٣، وفي عام ١٩١٤ عاد إلى إيران وبدأ عمله أستاذاً في معهد العلوم السياسية.

في عام ١٩١٧ أصبح مصدق نائباً لوزير المالية، واتخذ عدة إجراءات لمواجهة الفساد داخل الوزارة، وعندما وقعت الحكومة الإيرانية على معاهدة عام ١٩١٩، انتقد مصدق هذه المعاهدة، ووصفها بالخيانة مع الحكومة البريطانية. وبعد ذلك رحل إلى أوروبا، وبدأ في الدعاية ضد هذه المعاهدة التي جعلت من إيران مستعمرة بريطانية.

وبعد شهور قليلة استقالت الحكومة الإيرانية، وتم تعيين مشير الدولة رئيساً للوزراء الذي بدوره عين د. مصدق وزيراً للعدل، ثم صار مصدق وزيراً للمالية بعد استقالة الحكومة السابقة.

وعندما سقطت حكومة سلطاني عاد مشير رئيساً للوزراء مرة أخرى، وعين مصدق حاكماً لأذربيجان في الفترة من عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٢٢ بشرط السيطرة الكاملة على القوات المسلحة.

وفي مايو ١٩٢٣ أصبح د. مصدق وزيراً للخارجية في حكومة مشير، وعارض بشدة الطلب البريطاني بدفع مليوني جنيه من إيران لإنشاء جهاز شرطة



جنوب إيران لحماية المصالح البريطانية. وأثناء انتخابات المجلس الـ (١٥) - وبسبب تدخل الشاه محمد رضا - لم يستطع مصدق دخول البرلمان، وفي تلك الفترة وقعت بريطانيا وإيران على اتفاقية النفط في عام ١٩٣٣ التي أدت إلى سلب النفط الإيراني لمدة (٦٠) عاما أخرى، وبسبب الضغط الشعبي تم حل المجلس الـ (١٥).

وفي الجولة الثانية لانتخابات المجلس الـ (١٦) انتخب مصدق ومجموعته، وبعد ذلك بقليل انتخب المجلس مصدق رئيسا للوزراء في عام ١٩٥١، وكان أول إجراء قام به هو تقديم لائحة تأميم النفط الإيراني.

وقد عانى مصدق في تلك الفترة من تدخل الجيش في السياسة، فطلب من الشاه عزل وزير الحرب في حكومته، إلا أن الشاه رفض، فاستقال مصدق في عام ١٩٥٢، فثار الشعب ضد الحكومة، ولم تستطع الحكومة أو جيش الشاه احتواء ثورة الشعب، فأعادوا مصدق إلى منصب رئيس الوزراء. ومن خلال سيطرته على وزارة الدفاع (الحرب سابقا) نجح مصدق في تطهير الجيش.

وبسبب النزاع بين البرلمان ومجلس الوزراء أعلن مصدق عن استفتاء قومي لتخيير الشعب بين حل البرلمان أو مجلس الوزراء، وفي الاستفتاء كانت النتيجة حل المجلس في أغسطس عام ١٩٥٣.

وفي ١٦ أغسطس عام ١٩٥٣ - وبالتعاون مع المخابرات الأمريكية والبريطانية - تم التعاون لإسقاط مصدق، فقرر الشاه عزل مصدق، وأمر قائد الحرس الملكي باحتلال منزله، ولكن عندما وصلت قوات الحرس الملكي إلى منزل مصدق ألقى حراسه القبض على قائد الحرس، واحتتوا القوات، وعندما فشلت هذه الخطة هرب الشاه إلى إيطاليا. وفي ١٧ و ١٨ أغسطس ١٩٥٣ خرج الشعب الإيراني إلى الشارع لتأييد ودعم مصدق.

وفي ١٩ أغسطس عام ١٩٥٣ دبرت المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية عملية انقلاب أخرى ضد مصدق، وبالفعل نجحت في خلعه في هذا



اليوم بعد رشوة بعض ضباط الجيش، وأطلق مدبرو الانقلاب بعض مؤيديهم داخل الشوارع الإيرانية لاحتواء الحركة القومية التي أسسها مصدق، وقد حاصرت قوات الانقلاب منزل مصدق، وبعد عدة ساعات من الاشتباك مع القوات الموالية له اقتحموا المنزل، وبعد تفتيشه أضرمو فيه النار. وقد احتفى مصدق ومؤيدوه بالمنازل المجاورة، وكان المثير للدهشة أن بعض مؤيدي مصدق كانوا ضمن مدبري الانقلاب.

وفي اليوم التالي قام مصدق ومؤيدوه بتسليم أنفسهم، وبعد أيام قليلة عاد الشاه إلى إيران من إيطاليا وبدأ (٢٥) عاماً أخرى من حكمه، وحكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات، وبعد انتهاء فترة السجن ذهب إلى مسقط رأسه في أحمد آباد، وعاش هناك. وفي ٤ مارس ١٩٦٧ توفي الدكتور مصدق متأثراً بمرض السرطان عن عمر يناهز ٨٤ عاماً^{٧٨٠}.

مهدي كروبي:

ولد مهدي كروبي عام ١٩٣٧ في مدينة السيجودرز، وهي إحدى المدن الإقليمية التابعة لإقليم لورستان إحدى الولايات الإيرانية.

كان والده يعمل بتدريس العلوم الدينية والإرشاد والدعوة، حيث اعتبر من علماء الدين الكبار في إقليم لورستان، فكان من الطبيعي أن يتلقى كروبي دروساً دينية على يد أبيه في طفولته المبكرة. ثم التحق بالمدارس الدينية، وأكمل دراساته في الحوزة العلمية الدينية بمدينة قم، حيث تتلمذ على يد الخميني، وتأثر به كثيراً، وكان من تلامذته المجاهدين قبل الثورة، وقد تخرج كروبي من الحوزة العلمية بدرجة الخارج، وهي أولى الدرجات الدينية في سلك علماء الدين خريجي الحوزة العلمية.

٧٨٠ - (مختارات إيرانية، العدد ٢٠، مارس ٢٠٠٢ ص ٥٣ - ٥٤. مجيد حسيني، تاريخ

زندكى شريعتي، تهران، انتشارات علمي، ١٣٧١، ص ١٢ - ١٤)

(www.burath.com>www.shiastudies.com)



يحمل كرويي درجة الليسانس في الإلهيات^{٧٨١}. وقبل الثورة قام بزيارات متكررة للنجف وكربلاء، حيث مارس خلالها أعمال الدرس والتدريس، والدعوة والإرشاد في الحوزة العلمية بالنجف.

ويعتبر مهدي كرويي من الشخصيات الدينية البارزة التي التفت حول الخميني قبل الثورة وساهمت في قيامها، وقبل الثورة كانت له كتابات كثيرة في الصحف الدينية والنشرات الخاصة، مما عرضه للاعتقال والسجن أكثر من مرة في عهد الشاه، ولمدد تتراوح بين خمس أو ست سنوات. وقام كرويي بتأسيس تنظيم ديني أطلق عليه اسم العلماء المجاهدين المناضلين (روحانيون مبارز) حيث شغل فيه منصب الأمين العام، وكان يضم معظم الشخصيات الشهيرة والوجوه الإصلاحية عن دائرة طهران، وكان من بينهم شخصيات ووجوه عديدة استطاعت أن تحقق فوزا كبيرا وتفوز بمقاعد مجلس الشورى في إيران.

وبعد الثورة تولى كرويي عدة مناصب قيادية كان أشهرها رئاسة لجنة خميني للإغاثة، وكذلك رئاسة مؤسسة الشهيد^{٧٨٢}. وعن علاقاته بمجلس الشورى الإسلامي الإيراني فقد فاز بعضوية المجلس في دورته الأولى، التي بدأت بعد الثورة الإيرانية؛ ولذلك عن دائرة الجودرز بإقليم لرستان مسقط رأسه^{٧٨٣}.

٧٨١ - (تعني باللغة العربية العلوم الفلسفية والكلامية وعلم الشريعة).

٧٨٢ - (تعتبر مؤسسة الشهيد من أضخم المؤسسات الخيرية التي تعنى بأسر الشهداء، وما زالت منوطة برعاية أسر الشهداء الذين استشهدوا في أحداث الثورة الإسلامية، وكذلك أثناء الحرب العراقية الإيرانية، بل ويمتد نشاطها - أيضا - إلى رعاية أسر الشهداء خارج إيران في كل من إيران ولبنان فلسطين ودول البلقان والسودان، وتقديم العون لهم من خلال شبكة خدمية، صحية، تعليمية، خيرية واسعة النطاق، ويطلق على هذه المؤسسة للفكاهة في إيران بمؤسسة كرويي وعائلته، حيث يتسلم أعضاء عائلة كرويي "زوجته، أبنائه وبناته وإخوانه وأولادهم... مواقع قيادية في هذه المؤسسة، حتى إن كرويي عندما أصبح رئيسا لمجلس الشورى الإيراني رفض الاستقالة من إدارة هذه المؤسسة التي تقدر موازنتها بمليارات الدولارات).

٧٨٣ - (مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد الثاني، سبتمبر ٢٠٠٠ ص ٥٤).



الدكتور مصطفى معين:

ولد الدكتور مصطفى محمد معين في الحادي عشر من شهر فروردين عام ١٣٢٠هـ. ش. ٣١/٣/١٩٥١م في أسرة شيعية في مدينة نجف آباد بمحافظة أصفهان، وكان أبوه الدكتور محمد معين أحد رموز الثقافة في إيران وصاحب معجم معين^{٧٨٤} الذائع الصيت، وأستاذ اللغة والأدب والثقافة الفارسية. وقد هيات نشأة مصطفى معين لأن يتعرف إلى علماء الدين والثوريين في هذه المدينة، ويلم منذ صغره بالمسائل الثقافية والاجتماعية المذهبية والسياسية، ويشارك في مظاهرات الاعتراض على نفي الخميني من إيران. وقد تلقى دراسته الابتدائية وحتى الثانوية في بلدته، وحصل على الثانوية العامة من مدرسته سعدي في أصفهان بتفوق، مما أهله للالتحاق بجامعة شيراز عام ١٣٤٥هـ. ش. ١٩٦٦م والحصول على منحة لدراسة الطب العام، حيث تفوق ليصبح معيدا بكلية الطب، ويتخصص في طب الأطفال. وخلال ذلك كان نشطا في مشاركته الوطنية وانغماسه في العمل السياسي مما أدى إلى اعتقاله عدة مرات. كما تولى العديد من المسؤوليات في القطاعات الجامعية والعلمية والثقافية والتنفيذية خلال السنوات التالية حتى عين رئيسا لجامعة شيراز عام ١٣٦١هـ. ش. ١٩٨٢م، وخلال ذلك نجح في انتخابات مجلس الشورى الإسلامي في أول دورة له عن دائرة شيراز، ثم صار أمين اللجنة المركزية لجهاد الجامعات لمدة ثلاث سنوات، ورئيس مجموعة التخطيط الطبي التابعة لقيادة الثورة الثقافية، ثم عضوا في اللجنة المركزية لمدة عشرين سنة. وصار نائبا عن شيراز في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الثالثة عام ١٣٦٧هـ. ش. ١٩٨٩م، ثم صار وزيرا للثقافة والتعليم العالي في حكومة هاشمي رفسنجاني عام ٦٨ / ١٣٧٢هـ. ش. ٩٠ / ١٩٩٣م، ثم صار نائبا لأصفهان في مجلس

٧٨٤ - (يعتبر معجم معين من أهم المعاجم الفارسية، ويتكون هذا المعجم من ستة أجزاء ضخمة، وهو معجم فارسي - فارسي، بالإضافة إلى وجود جزئين خاصين لترجمة سير الأعلام).



الشورى الإسلامى عام ١٣٧٦هـ. ش ١٩٩٨م. وقد اختاره الرئيس خاتمي وزيرا للثقافة والتعليم العالى في حكومته عام ١٣٧٦هـ. ش ١٩٩٧م، ثم وزيرا للعلوم والتقنية والبحث العلمى عام ١٣٧٩هـ. ش ٢٠٠٠م، وبعد استقالته من الحكومة عينه مستشارا له. وكان معين قد استقال من الوزارة مرتين: الأولى اعتراضا على حادث اقتحام قوات الأمن للمدينة الجامعية^{٧٨٥} في كل من طهران وتبريز، والثانية اعتراضا على رفض مجلس صيانة الدستور للائحة إعادة تنظيم وزارة التعليم العالى.

أصبح الدكتور مصطفى معين المرشح الأساسى في انتخابات رئاسة الجمهورية التاسعة لكل من جبهة المشاركة ومنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية والجمعية الإسلامية للمجتمع الطبى في إيران، حيث خاض الانتخابات ضد الرئيس نجاد الذى كان - قبل مدة ليست ببعيدة - مستشارا لمصطفى معين. ويتمسك معين بأن تكون صلاحيات رئيس الجمهورية كما وضحها الدستور، على اعتبار أنه أول مسؤول تنفيذى في البلاد، وليس مجرد موظف حكومى بدرجة أقل من رئيس وزراء، لأن هذا هو السبيل الوحيد للاستفادة من جميع الطاقات والإمكانات في إيران^{٧٨٦}.



٧٨٥ - (عرفت هذه الأحداث في إيران بحادثه هاى كوى دانشگاه تهران).

٧٨٦ - (مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٦، مارس ٢٠٠٥ ص ٨٨، ٨٩)

. (mostfamous person websites)



الملحق رقم ٢

تاريخ إيران

السلالات والحكومات التي تعاقبت على حكم إيران



- * حضارات قبل علامة (٣٢٠٠-٢٧٠٠ ق.م).
- * حضارة جيوروفت (٣٠٠٠- ق.م).
- * سلالات عيلام (٢٧٠٠- ٥٣٩ ق.م).
- * مملكة ماني (١٠ ق.م).
- * الإمبراطورية الميدية (٧٢٨-٥٥٠ ق.م).
- * الإمبراطورية الإخمينية (٦٤٨-٣٣٠ ق.م).
- * الإمبراطورية السلوقية (٣٣٠-١٥٠ ق.م).
- * الإمبراطورية الفرثية (٢٥٠ ق.م).
- * الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦-٦٥٠ ق.م).
- * عصر الخلافة الإسلامية (٦٣٧-٦٥١ م).
- * الخلافة أموية (٦٦١-٧٥٠ ق.م).
- * الخلافة عباسية (٧٥٠-١٢٥٨ م).
- * الدولة الطاهرية (٨٢١-٨٧٣ م).
- * السلالة العلوية (٨٦٤-٩٢٨ م).
- * الدولة الصفارية (٨٦١-١٠٠٣ م).
- * الدولة السامانية (٨٧٥-٩٩٩ م).

- * السلالة الزيارية (٩٢٦ - ١٠٤٣ م).
- * الدولة البويهية (٩٣٤ - ١٠٥٥ م).
- * الدولة الغزنوية (٩٦٣ - ١١٨٧ م).
- * السلالة الغورية (١١٤٩ - ١٢١٢ م).
- * الإمبراطورية السلجوقية (١٠٣٧ - ١١٩٤ م).
- * الدولة الخوارزمية (١٠٧٧ - ١٢٣١ م).
- * سلالة إلخانات (١٢٥٦ - ١٣٥٣ م).
- * المظفرون (١٣١٤ - ١٣٩٣ م).
- * السلالة الشوبندية (١٣٣٧ - ١٣٥٧ م).
- * السلالة الجللائية (١٣٣٩ - ١٤٣٢ م).
- * الإمبراطورية التيمورية (١٣٧٠ - ١٥٠٦ م).
- * تركمان قاراقيونلو (١٤٠٧ - ١٤٦٨ م).
- * تركمان أق قويونلو (١٣٧٨ - ١٥٠٨ م).
- * الإمبراطورية الصفوية (١٥٠١ - ١٧٢٢/١٧٣٦ م).
- * سلالة هوتاكي غيلزاي (١٧٢٢ - ١٧٢٩ م).
- * سلالة أفشاريد (١٧٣٦ - ١٨٠٢ م).
- * الزنديون (١٧٥٠ - ١٧٩٤ م).
- * قاجاريون (١٧٨١ - ١٩٢٥ م).
- * السلالة البهلوية (١٩٢٥ - ١٩٧٩ م).
- * الثورة الشيعية الخمينية (١٩٧٩ م).
- * الحكومة الانتقالية (١٩٧٩ - ١٩٨٠ م).



الملحق رقم ٣ (أ)

أمثلة على بعض رسائل أهل السنة إلى القيادة السياسية في إيران



هذا هو النص المّرب لرسالة سنة إيران إلى علي خامنئي

إلى مقام القائد المعظم حضرة آية الله الخامنئي - دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد تقديم الاحترام والإعلان عن وفائنا لنظام الجمهورية الإسلامية،
وتمسكنا بوحدة الأمة الإسلامية "خصوصا الشيعة والسنة"، وفي ظل هذه المرحلة
الحساسة، فإننا نلفت نظر عناية القائد جليل الشأن إلى الأمور التالية:

١ - يعبر أهل السنة عن انزعاجهم الكبير جراء التمييز الطائفي الذي يمارس
ضدهم ومنعهم من الحصول على المناصب في مؤسسات الدول المختلفة.

٢ - بسبب الوظائف الإدارية والأعمال التجارية يتواجد العديد من أهل
السنة في مدينة أصفهان، بالإضافة إلى وجود أعداد كبيرة من الأفغان السنة؛ لذا
فإن منع إقامة صلاة الجمعة لأهل السنة في أصفهان - منذ شهر رمضان الفائت -
ومنع صلاة الجمعة لأهل السنة في طهران - والتي لها سابقة تاريخية تمتد إلى
أربعين عاماً، وكانت تقام في المدرسة الباكستانية؛ لذا، فإن منع صلاة الجمعة في
هذا الظرف الحساس قد أزعج أهل السنة، وزاد من قلقهم، وأثار استغرابهم،
حيث في دار أم القرى إيران الإسلامية - ومنذ شهرين - والإخوة أهل السنة في
طهران محرومون من أداء صلاة الجمعة، كما أنهم قد حرّموا من صلاة عيد
الأضحى أيضاً.

لذا فإننا نأمل من القائد المظفر، ومن أجل قطع الطريق على الاستغلال
السيء من قبل الأعداء لهذه الأمور، ومن أجل إسعاد قلوب أهل السنة، وكسب
رضا الخالق، نأمل إصدار الأوامر العاجلة بشأن المواضيع أعلاها.

٣ - منذ مدة تم قطع اتصال علماء أهل السنة بسيادتكم ورئيس الجمهورية
المحترم؛ لذا نرى من الأفضل اتخاذ إجراء يتم فيه نقل مشاكل أهل السنة إلى
سيادتكم ورئيس الجمهورية الموقر مباشرة، ومن دون وساطة، لكي يتم إيجاد
الحلول المناسبة لها.

ختاماً ندعو الله السلامة والتوفيق لسيادتكم

علماء أهل السنة المشاركين في اللقاء الفكري السني الشيعي الأول

طهران - ٢٥ ديماء ١٣٨٥ ش

١٤ كانون الثاني ديسمبر ٢٠٠٧ م



الملحق رقم ٣ ب البيان الأول والمطالب العشرة لأهل السنة في إيران



داخليا وجه النواب السنة في البرلمان رسالة هي الأولى من نوعها - بعد الغزو الأمريكي للعراق - إلى أربعة من المراجع الشيعة الكبار، نددوا فيها بما وصفوه بـ "التمييز الفاضح" ضد أهل السنة في إيران من قبل أجهزة الحكم، وقد وجهت الرسالة إلى اثنين من المراجع المعارضين، وهما: آية الله حسين على منتظري وآية الله عبد الكريم موسوي أردبيلي، واثنين آخرين من المرتبطين بالسلطة العليا في طهران وهما: آية الله فاضل القوقازي- الملقب بلنكراني- وناصر مكارم الشيرازي.

ذكرت الرسالة أن أهل السنة يشكلون ما يزيد على ٢٠٪ من سكان إيران، وتساءلوا عما إذا كان تولي أصحاب الكفاءة والمؤهلات العلمية من السنة الوظائف القيادية والمسؤوليات الكبرى، كالوزارة ونيابة الوزراء والسفارة - فضلا عن قيادة القوات المسلحة والمسؤوليات الرئيسة في القضاء - أمرا مخالفا للمذهب الشيعي المسيطر على البلاد. وأشاروا إلى أن أهل السنة محظور عليهم تولي تلك المناصب؛ حيث لا يوجد سني واحد في مجلس الوزراء والمناصب الرئيسة في الوزارات والمؤسسات الكبرى، كما أن المحافظين ورؤساء الدوائر الرسمية في المدن والمحافظات التي يشكل أهل السنة الأغلبية المطلقة فيها مثل: كردستان، وبلوشستان، وطالش، وبندر عباس، والجزر الخليجية، وبوشهر، وتركمن صحرا، وشرقي خراسان - هم جميعا من الشيعة..

واشتكى النواب الإيرانيون السنة من عدم موافقة السلطات العليا على إقامة مسجد لهم في طهران رغم انتماء ما يزيد على نصف مليون من سكان العاصمة إلى المذهب السني، وقالوا في رسالتهم: "بينما هناك معابد وكنائس للأقليات الدينية مثل الزرادشتيين واليهود والنصارى في العاصمة، تواصل السلطات الحاكمة رفضها لبناء مسجد لأهل السنة في طهران". . كما ذكرت الرسالة أموراً أخرى عديدة يعاني منها السنة في البلاد. وللحق فإنه رغم هذه التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيران، فإن السنوات الأخيرة من حكم الرئيس السابق محمد خاتمي، شهدت بعض التغييرات في أوضاع أهل السنة، حيث يمثل المسلمون السنة في البرلمان (١٤) نائباً، كما شكل الرئيس خاتمي لجنة لمتابعة شؤونهم مشكلة من رئيس (شيعي) وهو ابن شقيقة الرئيس خاتمي، والذي كان مديراً للمخابرات قبل ذلك في أحد الأقاليم ذات الأغلبية السنية، واثنين من المسلمين السنة، وهؤلاء النواب يطالبون بتحسين أحوال أهل السنة، وهذا المؤشر يتبنى تغيير أوضاع أهل السنة في إيران للأحسن.

وقد أصدرت جماعة "الدعوة والإصلاح" السنية في إيران بيانها السياسي الأول في ٣٠ مايو ٢٠٠٥م، طالبت فيه الحكومة الإيرانية بتطبيق العدالة، ورفع جميع أشكال التمييز المذهبي والقومي، التي تمارس ضد أهل السنة. وحمل البيان - الذي جاء عشية بدء الحملة الانتخابية لمرشحي الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية، التي فاز بها أحمددي نجاد - عشر نقاط طالبت فيها بتطبيق البنود المعطلة من الدستور الإيراني، ورفع جميع الممارسات والسياسات التمييزية.

وأضافت الجماعة أنه وعلى الرغم من دخول البلاد في مرحلة الإعمار والتنمية فما زال الوضع على ما هو عليه، وها هي النخب من أهل السنة تعيش إما في السجون أو المنافي، فيما بعضهم الآخر يموت بطرق وحوادث مشكوك فيها!، وأن الغرض من هذه السياسة إنما هو تحجيم دور أهل السنة ودفعهم إلى الانزواء.



وشددت الجماعة على ضرورة أن تراعى جميع الحقوق الإنسانية والدينية والقومية لأهل السنة وفق البنود الثالث والخامس عشر وما نص عليه في الفصل الثالث من الدستور الإيراني، وما نصت عليه المادة الثانية والعشرين والمادة الثالثة والعشرين من المنشور الإسلامي لحقوق الإنسان الصادر عن إعلان القاهرة في عام ١٩٩٠م، والتي تؤكد جميعها على ضرورة أن يتمتع جميع المواطنين بحقوقهم الأساسية.

وطالبت الجماعة في بيانها بـ:

- ١- تحقيق مطالب عامة الشعب الإيراني، ووحدة التضامن الوطني لا تتحقق إلا بمشاركة الجميع.
- ٢- إجراء حوار متساوٍ وعادل بين الأقوام والمذاهب في البلاد، وذلك بعد رفع الإجراءات التمييزية وتطبيق البنود المعطلة من الدستور.
- ٣- تنفيذ المادة (١٢) من الدستور، والتي تنص على أنه في كل منطقة يتمتع أتباع أحد المذاهب بالأكثرية، فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب، مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى وعدم التدخل في شؤونهم المذهبية.
- ٤- حماية الهوية القومية واحترام ومراعاة الأقليات، وتنفيذ المادة (١٥) من الدستور التي تنص على وجوب تدريس لغات تلك القومية في مختلف المراحل التعليمية.
- ٥- عدم حرمان أهل السنة من استلام الحقائق الوزارية، طالما منع الدستور المسلم السني من الوصول لمنصب رئيس الجمهورية.
- ٦- إعمال التنمية والتوسعة الثقافية في مناطق أهل السنة، ومنح التراخيص لإصدار النشرات، ورفع الرقابة عن الكتب الخاصة بهم.



٧- تفويض شؤون الأوقاف السنية وإدارة سائر الأمور الدينية ومنها على الأعم انتخاب أئمة الجمعة والجماعة، وإدارة المدارس الدينية، وإقامة الأعياد - لأهل السنة أنفسهم .

٨- التنمية الاقتصادية لمناطق أهل السنة بإقامة البنى التحتية، وبناء المؤسسات الصناعية، واستخراج الثروات الطبيعية، وإيجاد فرص عمل من أجل القضاء على معضلة البطالة، وتعيين ميزانية خاصة لتلك المناطق .

٩- الاستفادة من طاقات أهل السنة في المناصب الإدارية في الوزارات والسفارات وحكام الأقاليم والمحافظات والمراكز العلمية والثقافية والجامعات، وذلك بهدف تطبيق العدالة في توزيع المناصب الإدارية .

١٠- إعادة النظر في محتوى الكتب والتعاليم الدينية، والاهتمام بأصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وفقه الإمام الأعظم والإمام الشافعي .



الملحق رقم ٤



الملاحق الخاصة بالدراسة قامت بها وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي العراقية، والتي تثبت فيها هذه الدراسة أن أعداد السنة في العراق يزيد عن أعداد الشيعة بنسبة تصل إلى (٢٧٥, ٤٢٠, ٢٪). وقد تمت هذه الدراسة في العام ٢٠٠٤م، حيث أشرف عليها وزير التخطيط والتعاون الإنمائي العراقي مهدي الحافظ الذي تعرض لعدة محاولات اغتيال نتيجة لذلك. وقد أخفيت هذه الدراسة عن الرأي العام الإقليمي والدولي. وفيما يلي نص هذه الدراسة كاملة كما هي، حيث ذيلت بتوقيع وزير التخطيط العراقي



جمهورية العراق
وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي
إلى: الهيئة العليا لإعداد المؤتمر الوطني، المكتب الخاص
م: تقرير حول بدائل توزيع عدد أعضاء الهيئة العليا للمؤتمر الوطني

تهديكم وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي تحياتها.

إشارة إلى كتابكم المرقم ب(٢١) م/خ في ٢٣/٦/٢٠٠٤.

نشير إلى أن تقديرات عدد من سكان العراق لسنة ٢٠٠٤، المعتمدة على أساس الفرضيات الإحصائية للمؤشرات الأساسية (الولادات، الوفيات، ...) هو (٢٧١٣٩,٥٨٥) توزع على المحافظات بالنسب الواردة في الجدول المرفق فيما مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف معدلات النمو بين الحضر والريف، وكذلك بين المحافظات، كما نشير إلى أن عدد السكان حسب مخطط وزارة التجارة لنظام البطاقة التموينية هو (٢٧٤٨٧١٧٠) موزعة على المحافظات كما وردت في الجدول المذكور.
واعتماداً على البدائل الواردة في كتابكم المشار إليه في الأعلى نود أن نبين ما يلي:
١- يعكس الجدول الأول الوارد في الجدول توزيع عدد أعضاء الهيئة (١٠٠٠ عضو) بأسلوب متناسب مع عدد سكان كل محافظة (حسب النسب الواردة في الجدول) وبموجب كل من تقديراتنا لسكان وتقديرات وزارة التجارة.
وهي مقارنة جيداً.

وهذا البديل من وجهة نظر التمثيل الإحصائي هو الأفضل.

٢- يعكس البديل اعتماد التوزيع الثابت عدد محافظة بغداد بحيث تكون حصة محافظة بغداد (٢٥٢) مقعداً لأن نسبة السكان فيها إلى سكان العراق هو (٢٤,١٥) ووزعت المقاعد المتبقية بشكل ثابت على كل المحافظات وبواقع (٤٤) مقعداً لكل محافظة.
وهذا البديل ينتظر أن مراعاة الاختلاف في عدد سكان المحافظات.

٣- أما البديل الثالث فيعتمد على توزيع ثلاث فئات كالتالي:

فئة أ: بغداد ٢٤٣ مقعداً باعتبارها تشكل (٢٤,٢) %.

فئة ب: البصرة والموسل والسليمانية ٧٥ مقعداً (حيث اعتمدت مجسوع اوزان المحافظات الثلاثة لتسلي ٢٦٥ مقعداً وزعت بالتساوي بينها).

فئة ج: بقية المحافظات (٣٨) مقعداً لكل محافظة مثل الأوزان المتبقية موزعة بالتساوي.

وهذا البديل ينتظر أيضاً أن مراعاة التوزيع السكاني لأن المحافظات في الفئة (ب) غير متساوية نسبياً عدداً. وكذا الحال بالنسبة لمحافظة الفلوجة (ج).

د. مهدي الحافظ
وزير التخطيط والتعاون الإنمائي
2004/7/

قراءة في

إحصائية وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي

تعتبر النسب السكانية وتوزيعها الطائفي في العراق من الأمور التي أصبحت ضرورية لمعرفة حجم كل طائفة وبالرغم من أن الكلام في مثل هذه المواضيع يثير نوعاً من الحساسية باعتباره لا يتسجم مع تطلعات الانتماء الوحد للبلد، لكن هذه الحساسية أصبحت لا معنى لها لأنها تتضخم مع رغبة كل طائفة لمعرفة وزنها الحقيقي في البلد وادعاء كل طائفة من طوائف العراق، الرئيسية أنها تمثل الأغلبية السكانية فيه.

إضافة إلى ذلك فإن المشاركة السياسية في العراق خطت لها مساراً طائفيًا محاصصياً في كل النشاطات السياسية بعدد غزو العراق، ونأمل أن لا تستمر هذه الحالة باعتبارها حالة انقسام لا توجد.

فيل بيان من هي الطائفة التي تمثل الأغلبية يجب أن نشير إلى أن ما يقال من أن الطائفة الشيعية تمثل الأغلبية السكانية جاءت نتيجة عمل لمن أهدمها:

١. الإعلام الشيعي المنظم

حيث برزت حملة منظمة تدور من قبل مؤسسات وشخصيات شيعية بارزة ادعت أن الشيعة هم الأغلبية السكانية وفتت بشيرير هذه لدعاية في كل الميادين وفي كل مجالات الإعلام منها على سبيل المثال قولهم أن مدينة الثورة يسكنها ثلاثة ملايين شيعي وإن الخسة تأتي أكبر محافظات العراق كثافة ويعيش فيها أربعة ملايين شيعي.

وعندما إحصائيات تساند حملاتهم الدعائية تبين أن عدد الشيعة أكثر من عدد السنة بقرابة كبير، كما جاء في الإحصائيات التي أجرتها مؤسسة لشيرازي والتي 'وتمتحت فيها أن شيعة العراق يمثلون ٨٥٪ من مجموع سكان العراق؟

٢. التوجه الأمريكي السابق لغزو العراق

حيث نعت لدوائر الحكومية والمؤسسات الإعلامية الأمريكية دوراً كبيراً في توسيع هذه الدعاية لأنها تستخدم التوجهات الأمريكية لاحتلال العراق.

إن لولايات المتحدة الأمريكية قامت من خلال مؤسساتها الحكومية والغير حكومية بتصريحات مؤكدة فيها أن شيعة العراق محرومون من ممارسة كل حقوقهم السياسية والدينية والثقافية وغيرها بالرغم من أنهم يمثلون أغلبية ساحقة في المجتمع العراقي ونهم أي لشيعة يتعرضون للإبادة على يد صدم حسين، وعلى هذا الأساس يجب على المجتمع الدولي التدخل لوقف هذه الانتهاكات لحقوق شيعة العراق.

وقد جاء على لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش أن شيعة العراق يمثلون ٨٠٪ من سكان العراق وتحكمهم أقلية سنوية تحرمهم من ممارسة جميع حقوقهم وعلينا التدخل لوضع حد هذه الجريمة.

■ أراء الشيرازي جون - مكة المكرمة في العراق - وهو كالتالي: [http://www.shirazi.com](#)

المحافظة	السنة		الشيعة	
	النسبة	لعدد	النسبة	العدد
دهوك	٪٩٩	٤٦٧,٥١٥	٪١	٤,٧٧٢
نينوى	٪٩٧	٢,٤٧٧,٦٤١	٪٣	٧٦,٦٢٨
السليمانية	٪٩٨	١,٦٨١,٢٧٣	٪٢	٣٤,٣١١
التأميم	٪٩٠	٧٦٩,٠٢٣	٪١٠	٨٥,٤٤٧
أربيل	٪٩٨	١,٣٦٤,٢٥١	٪٢	٢٧,٨٤١
ديالى	٪٦٥	٩٢١,٩٩٥	٪٣٥	٤٩٦,٤٥٩
الأنبار	٪٩٩	١,٣١٥,٤٨٨	٪١	١٣,٢٨٧
بغداد	٪٥٠	٣,٢٧٧,٠٦٣	٪٥٠	٣,٢٧٧,٠٦٣
بابل	٪٣٠	٤٤٨,١١٥	٪٧٠	١,٠٤٥,٦٠٢
كربلاء	٪٤	٣١,٤٨٢	٪٩٦	٧٥٥,٤٨٩
واسط	٪٢٠	١٩٤,٢٥٦	٪٨٠	٧٧٧,٠٢٤
صلاح الدين	٪٩٧	١,٠٨٥,٧٨٧	٪٣	٣٣,٥٨١
السنجف	٪١	٩,٧٨٤	٪٩٩	٩٦٨,٦١٦
القادسية	٪١	٩,١١٦	٪٩٩	٩٠٢,٥٣٤
الثنى	٪٣	١٣,٦٤٩	٪٩٧	٥٣٨,٣٤٤
ذي قار	٪٥	٥٧٣,٦٢٠	٪٩٥	١,٣٩٨,٧٨٤
ميسان	٪١	٧,٦٢٨	٪٩٩	٧٥٥,٢٤٣
البصرة	٪٣٥	٦٢٩,٢٣٧	٪٦٥	١,١٦٨,٥٨٣

• العدد الإجمالي لنسبة أهل السنة هو: ١٤,٧٧٩,٩٢٣

• العدد الإجمالي لنسبة الشيعة هو: ١٢,٣٥٩,٦٤٨

- أي أن السنة أكثر من الشيعة بمقدار: ٢,٤٢٠,٢٧٥

وبحذف نسبة الأقليات البالغة ٪٣ تقريباً من المجموع الكلي

تكون نسبة السنة في العراق: ٥٢,٩٥٪ ونسبة الشيعة في العراق: ٤٤,٠٤٪

إن إبراز هذه الحقيقة السندة بالدلائل الإحصائية على أن أهل السنة يمثلون الأغلبية السكانية في العراق ليس لغرض منها أن يكون

لأهل السنة حقوق أو قوانين تميزهم عن باقي الطوائف الأخرى وإنما لغرض منها هو سد كل منافذ على يدور التفرقة والظلمة التي لا

تجد لها منفذاً إلا من خلال إثارة الجبهات التي تنادي بأغلبية الشيعة وأحقيتها في حكم العراق ودلوها على باقي الطوائف.

إن الأمة لا تستطيع أن تحقق حربها أو وجودها وأمنها من دون وجود رغبة حقيقية بين طرفي المجتمع كافة بالاتساء الواحد والآخر

المشترك



المحافظة	عدد السكان لسنة ٢٠٠٤				التوزيع حسب الأهمية النسبية للسكان (تقديرات وزارة التخطيط وأرقام وزارة التجارة).
	التقدير	التقدير	التقدير	التقدير	
دهوك	٤٧٢٢٣٨	٤٧٢٢٣٨	١,٧٤	١٧	١٧
نينوى	٢٥٥٤٢٧٠	٢٦٢٦١٦٨	٩,٤١	٩٥	٩٤
السليمانية	١٧١٥٥٨٥	١٧١٥٥٨٥	٦,٣٢	٦٢	٦٣
التاسيم	٨٥٤٤٧٠	٨٩٧٧٧٣	٣,١٥	٣٣	٣٢
أربيل	١٣٩٢٠٩٣	١٣٩٢٠٩٣	٥,١٣	٥١	٥٦
ديالى	١٤١٨٤٥٥	١٢٦٩٧٤٠	٥,٢٣	٤٦	٥٢
الأنبار	١٣٢٨٧٧٦	١٢٧٤١٩٠	٤,٩٠	٤٦	٤٩
بغداد	٦٥٥٤١٢٦	٦٤٧٥٩٢٤	٢٤,١٥	٢٣٥	٢٤٢
بابل	١٤٩٣٧١٨	١٤٤١٤١٢	٥,٥٠	٥٣	٥٥
كربلاء	٧٨٧٠٧٢	٧٨٦٣٥٣	٢,٩٠	٢٩	٢٩
واسط	٩٧١٦٨٠	٩٥٦٧٠٧	٣,٥٨	٣٥	٣٦
صلاح الدين	١١١٩٣٦٩	١٠٧٢٦٤٧	٤,١٢	٣٩	٤١
النجف	٩٧٨٤٠٠	١٠٠٩٠٦٤	٣,٦١	٣٧	٣٦
القادسية	٩١٦٤٤١	٩٥٥٦٠٤	٣,٣٦	٣٥	٣٤
الثنى	٥٥٤٩٩٤	٥٦٨٢٣١	٢,٠٤	٢١	٢١
ذي قار	١٤٧٢٤٠٥	١٥٣٨٥١٥	٥,٤٣	٥٦	٥٤
ميسان	٧٦٢٨٧٢	٨٥٥١٣٨	٢,٨١	٣١	٢٨
البصرة	١٧٩٧٨٢١	٢١٦٩٦٨٨	٦,٦٢	٧٤	٦٦
مجموع القطر	٢٧١٣٩٥٨٥	٢٧٤٨٧١٧٠	١٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠

التوزيع حسب الأهمية النسبية للسكان (تقديرات وزارة التخطيط وأرقام وزارة التجارة).	البيدول لأول
التوزيع متساو لجميع المحافظات عدا بغداد.	البيدول الثاني
لتوزيع بثلاث مستويات: أ- بغداد، ب- تبصرة والموصل والسليمانية، ج- باقي المحافظات بنسب متساوية.	البيدول الثالث

التوزيع السكاني على محافظات القطر حسب ما جاء في إحصائية وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي

المحافظة	عدد السكان	المحافظة	عدد السكان	المحافظة	عدد السكان
دهوك	٤٧٢٢٣٨	بغداد	٦٥٥٤١٢٦	القادسية	٩١١٦٤١
نينوى	٢٥٥٤٢٧٠	بابل	١٤٩٣٧١٨	المتن	٥٥٤٩٩٤
السليمانية	١٧١٥٥٨٥	كربلاء	٧٨٧٠٧٢	ذي قار	١٤٧٢٤٠٥
الناheim	٨٥٤٤٧٠	واسط	٩٧١٢٨٠	ميسان	٧٦٢٨٧٢
أربيل	١٣٩٢٠٩٣	صلاح الدين	١١١٩٣٦٩	البصرة	١٧٩٧٨٢١
ديالى	١٤١٨٤٥٥	النجف	٩٧٨٤٠٠	المجموع	٢٧١٣٩٥٨٥
الأنبار	١٣٢٨٧٧٦				

تبين الإحصائية إلى أن هناك عشرة محافظات ذات كثافة سكانية أكثر من مليون نسمة، مقسمة بين ستة محافظات سنية وثلاثة محافظات شيعية والعاصمة بغداد التي يمكن اعتبارها متساوية لنسب بين الطائفتين.

وهذا يوضح أن المحافظات ذات الكثافة السكانية السنية تفوق المحافظات ذات الكثافة السكانية الشيعية وبفارق الضخم.

المحافظات السنية ذات الكثافة العالية

المحافظة	عدد السكان	المحافظة	عدد السكان
نينوى	٢٥٥٤٢٧٠	ديالى	١٤١٨٤٥٥
السليمانية	١٧١٥٥٨٥	الأنبار	١٣٢٨٧٧٦
أربيل	١٣٩٢٠٩٣	صلاح الدين	٩٧٨٤٠٠

المحافظات الشيعية ذات الكثافة السكانية العالية

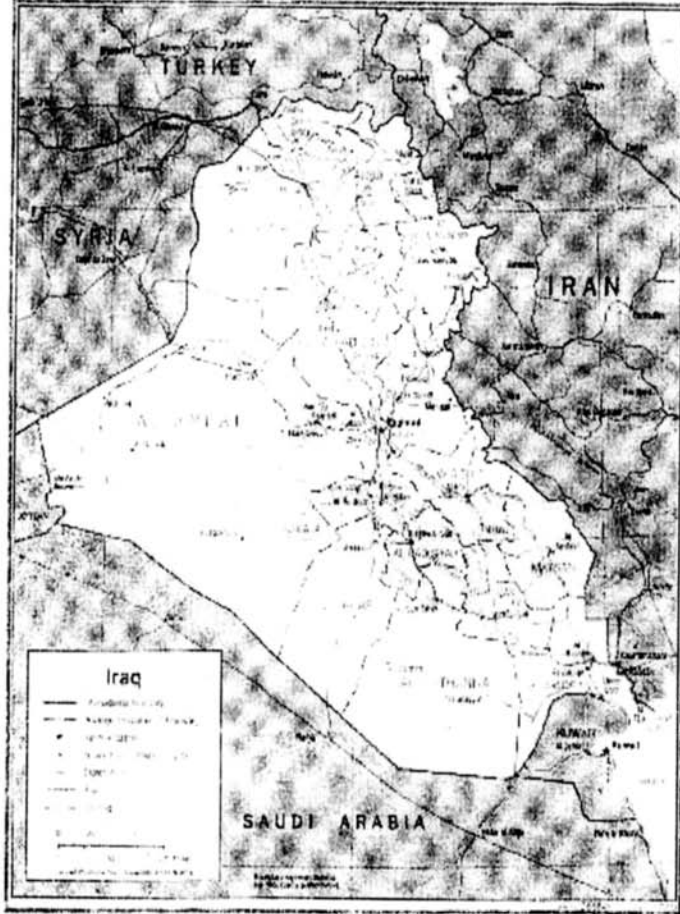
المحافظة	عدد السكان
بابل	١٤٩٣٧١٨
ذي قار	١٤٧٢٤٠٥
البصرة	١٧٩٧٨٢١

محافظات نينوى ذات الأغلبية السنية تفوق مجموع سكان ثلاث محافظات شيعية وهي (المتن - كربلاء - ميسان) وبفارق لهائل

محافظه الموصل وبمقدار ٤٤٩٣٦٢.

أما النسب المتوقعة للسنة ولشيعية في العراق فقد نقلت من دراسة إحصائية قامت بها مجموعة كبيرة من المهتمين بهذا الشأن تزيد

عن ثمانية رجل مفسدين على جميع محافظات القطر وكانت نتائج دراستهم الإحصائية كالآتي.



تأثير الهوية الشيعية

حيث حرص كل شيعي على إبراز هويته من خلال إظهار انتمائه الشيعي في كل الأعراس والمناسبات

يلاحظ هذا الأمر من خلال المناسبات التي توضع على السيارات والفلوات.

المواكب الحسينية

لا يمكن نكران الخروج العفوي والمتعدد لأبناء الطائفة الشيعية في مواكب ومظاهرات تنادية مقومهم الدينية وبالغالب عدم وجود أي تجمع شيعي يبرزي التجمع الشيعي

فإنه تمسك العديد من الباحثين والإعلام العربي والغربي على مصادر إحصائية وديمقراطية مأخوذة من دراسات غير دقيقة

قام بها باحثون أجانب وعرب منها على سبيل المثال كتابات فرهاد إبراهيم الذي شكرك في أحد كتبه^{١٤} التي تتكلم حول هذا الموضوع الذين ساعدوه في إخراج كتابه نذكر منهم موفق الربيعي، هاني لفكيكي، وعبد الكريم الأزري. المعروفون بشعائرهم الشيعية ويمكننا القول إن غلو لساحة السنة من إحصائيات دقيقة ودرسات رسمية في هذا المجال دفع الباحثين ووسائل الإعلام العربي والغربي إلى الأخذ من تلك الدراسات سابقة الذكر.

الدعم الإيراني

من خلال الإعلام والمثاق والتشغل داخل المجتمع العراقي والذي ساعد كثيرا في إبراز هذه الدعاية.

* الخليل وسليمان في 11 من الشهر الأول 1991

المراجع



الكتب العربية:

- أحمد آذري قمي، القيادة والحرب والسلام، طهران، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.
- أحمد شرف الدين، السكان وقوة الدولة، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٢.
- أحمد بن محمد الخرساني، المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، بيروت، مركز الرسالة، ١٩٨٧.
- أحمد بن محمد المقدسي الأردبيلي، زبدة البيان في أحكام القرآن، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٦٨.
- إسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح سوداح، بيروت، دار بيسان، ١٩٩٥.
- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، القاهرة، دار ابن سينا، ١٩٧٣.
- أمير عبد العزيز، تاريخ الإسلام والمسلمين، القاهرة، دار العروبة، ١٩٨٢.
- أوليفر نورث، تحت النار، ترجمة إلياس فرحات، دار الحرف العربي، ١٩٩٣.
- باسل نصار، التسليح العسكري في العالم العربي، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٦.

- بنيامين نتنياهو في كتاب مكان تحت الشمس، بيروت، دار المنار، ٢٠٠١.
- بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد الأصفهاني (الفاضل الهندي)، كشف اللثام، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمة المرعشي النجفي، ١٩٩٠.
- تقي الدين الحلبي، الكافي في الفقه: سلسلة الينايع الفقهية، لبنان، دار التراث، ١٩٩٦.
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، دار العلوم، ١٩٨٢.
- جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي (العلامة الحلبي)، إيضاح الفوائد، قم: مؤسسة إسماعيليان، ١٣٨٩.
- جمال السويدي (محرر) إيران والخليج والبحث عن الاستقرار، أبوظبي، مركز الإمارات للبحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٦.
- جوزيف فرانكل، العلاقات الدولية، القاهرة، ١٩٨٨.
- حسن الخياط، الرصيد السكاني لدول الخليج العربي: قطر - الكويت - البحرين - الإمارات - عمان - السعودية - الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ١٩٨٢.
- حسن بن يوسف بن علي بن مظهر الحلبي، المهدي في الفكر الإسلامي، مشهد، حوزة الإمام الرضا، ١٣٧٢.
- حسين علي منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٩٨٢.
- حسين علي منتظري، ولاية فقيه در فقه شيعي، قم، ١٣٦٩.
- خالد عبد المؤمن: القوة العسكرية والعلاقات الدولية، القاهرة، دار الحرية، ١٩٩٢.



- روح الله خميني، الرسائل، قم، مؤسسة إسماعيليان للطبع، ١٣٨٥.
- روح الله خميني، الكلمات القصار المواعظ والحكم من كلام الإمام، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، تهران، ١٩٩٢.
- روح الله خميني، تحرير الوسيلة، النجف، مطبعة الآداب، ١٣٧٨.
- روح الله خميني، كتاب البيع، قم، مؤسسة إسماعيليان للطبع، ١٣٧١.
- روبرت كانتور، السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة أحمد الظاهر، عمان، مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩.
- زكريا ناصر، العلاقات الدولية من منظور اقتصادي، القاهرة، دار البيرق، ١٩٨٧.
- زين الدين الجبعي العاملي الملقب بالشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، قم، مكتبة الداوري المصورة، عن مطبعة الآداب في النجف في العراق، ١٩٦٧.
- زين الدين الجبعي العاملي، مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام، قم، دار الهدى للطباعة والنشر.
- سامي الرشيد، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس بوش، القاهرة، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦.
- سامي محمود، إيران والخميني، القاهرة، ١٩٨٣.
- سعيد أيوب، المسيح الدجال، القاهرة، دار المنار، ١٩٨٣.
- سعيد بن أبي سعيد البيروتي، الآثار الباقية من القرون الخالية، بيروت، دار العلوم، ١٩٧٣.
- سعيد بن عبد الله الراوندي، فقه القرآن: سلسلة الينايع الفقهية، النجف، ١٩٧٨.



- سعيد محمد حسن، المهدية في الإسلام، القاهرة، المكتبة العلمية، ١٩٨٧.
- سليم واكيم، إيران في الحضارة، بيروت، دار الكتب، ١٩٧١.
- سمير جبور، الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣.
- سويلم العمري، أصول العلاقات السياسية الدولية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥.
- سيار الجميل، الخلافات الحدودية والإقليمية بين العرب والإيرانيين في كتاب العلاقات العربية الإيرانية، عبد العزيز الدوري (محرر)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦.
- شمس الدين محمد المكي العاملي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧١.
- شيمعون بيريز في كتاب الشرق أوسط الجديد، دمشق، دار الرزاز، ١٩٩٩.
- صابر طعيمة، الأصول العقائدية للإمامية، القاهرة، دار العلوم، ١٩٨١.
- الصافي الكلبايكاني، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، قم، ١٩٧٦.
- صبحي جميل، الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الإسلامي، بغداد، نشر مكتبة الجامعة.
- صموئيل هنتغتون، صراع الحضارات، القاهرة، ترجمة دار الكتاب، ١٩٩٨.
- ضياء الدين العراقي، شرح تبصرة المتعلمين، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.



- عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، بغداد، ١٩٨٣.
- عبد الإله بلقزيز، الأمة العربية والتحدي الإيراني، في كتاب: الأمن القومي العربي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩.
- عبد الرحمن علم الدين، الإسلام وأوروبا، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٢.
- عبد الرحمن نصر الدين، تاريخ الدولة الصفوية، القاهرة، دار الكتاب، ١٩٨٦.
- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، القاهرة، دار التاريخ العربي، ١٩٨١.
- عبد الرزاق مصطفى، اقتصاد الدولة، القاهرة، دار النيل، ١٩٩٣.
- عبد العزيز الدوري، دراسات قي العصور العباسية، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٤.
- عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، ١٩٦٩.
- عبد الفتاح ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩.
- عبد الله الجميلي، بذل الجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٢.
- عبد الله الخطيب، الحكم الأموي في خراسان، بيروت، ١٩٧٠.
- عبد الله باقر عبد الله بوكلاه، التركيبة السكانية لدول المجلس مع التركيز على حالة دولة الإمارات العربية المتحدة.، دبي، ندوة الثقافة والعلوم، ١٩٩٧.



- عبد المنعم بيومي، تاريخ السنة في إيران، القاهرة، دار العلوم، ١٩٨٣.
- عبد النعيم حسني، إيران في ظل الإسلام، القاهرة، دار الأنوار، ١٩٨٩.
- علي خامنئي، أجوبة الاستفتاءات، بيروت، دار الحق، ١٩٨٩.
- علي شريعتي، عن التشيع والثورة، ترجمة وتقديم إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، دار الأمين، ١٩٩٦.
- علي المؤمن، أضواء على موقف الجمهورية الإسلامية من أزمة الخليج الثانية، طهران، منظمة الثقافة والإعلام الإيرانية، ١٩٩٣.
- علي بن أبي أكرم الشيباني (المعروف بابن الأثير)، الكامل في التاريخ، دمشق، مكتبة التراث العربي، ١٩٧٤.
- علي محمد، أثر المتغيرات السكانية على اقتصاد الدولة، بيروت، دار المجد، ١٩٨٧.
- علي محمود، العلاقات الدولية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٢.
- عمر رجب، قوة الدولة، دراسات استراتيجية، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢.
- فاضل رسول، هكذا تكلم على شريعتي، بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٢.
- فهمي هويدي، إيران من الداخل، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٧٨.
- فواز جرجس، النظام الإقليمي العربي والدول الكبرى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.



- كامل محمود، الدولة الصفوية تاريخ وأحداث، لبنان، دار الحرية، ١٩٧٤ .
- كولن ششندلر، إسرائيل والليكود والحلم الصهيوني، ترجمة مصطفى الزر، القاهرة، دار مدبولي، ١٩٩٤ .
- محسن الأمين، في رحاب أئمة أهل بيت النبوة، بيروت، دون دار نشر، ١٩٩٥ .
- محمد أبو مغلى، إيران دراسة عامة، القاهرة، دار الكتاب، ١٩٨٩ .
- محمد أحمد حسن، الأحزاب والحركات السياسية في إيران ١٩٥٠ - ١٩٧٨، بغداد، دار الفارابي، ١٩٨٧ .
- محمد باقر المجلسي، كتاب بحار الأنوار، قم، دار الحوزة العلمية، ١٣٦٥ .
- محمد بن إدريس الحلبي، تذكرة الفقهاء، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٦٩ .
- محمد بن الحسن بن علي الطوسي، التبيان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ .
- محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية: المبسوط باللغة الفارسية، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية .
- محمد السامرائي، تاريخ العراق، بغداد ١٩٨٦ .
- محمد السعيد عبد المؤمن، مسألة الثورة الإيرانية، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨١ .
- محمد الموسوي البجنوردي، القواعد الفقهية، طهران، منظمة الثورة الإسلامية للنشر والتعليم، ١٣٧٤ .



- محمد النجار، الموالي في العصر الأموي، القاهرة، ١٩٦٩.
- محمد تسخيرى، الدولة الإسلامية: دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية، طهران، منظمة الإعلام الإسلامى، ١٩٩٤.
- محمد تسخيرى، قانون أساسى إيران، تهران، انتشارات بين المللى هدى، ١٣٧١.
- محمد بن عبد الكرىم أبى بكر أحمد الشهر ستانى، الملل والنحل، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٨.
- محمد بن على بن حمزة الطوسى، (ابن حموة)، "الوسيلة إلى نيل الفضيلة"، سلسلة اليناىع الفقهية، مشهد، ١٣٦٧.
- محمد تقى البروجردى النجفى، نهاية الأفكار (تقرير دروس الشيخ ضياء الدين العراقى الكراس ٢-٣) قم، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، ١٩٧٢.
- محمد حسن النجفى، جواهر الكلام فى شرح شرائع الإسلام، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٩٨١.
- محمد حسنى هىكل، مدافع آية الله: قصة إيران والثورة، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨١.
- محمد حسين الطباطبائى، الميزان فى تفسير القرآن، الجزء الثانى، قم، دار التبلىغ الإسلامى، ١٩٧٩.
- محمد حسين فضل الله، المسائل الفقهية، ج ١، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠١.
- محمد رضا المظفر، أصول الفقه، طهران، منشورات المعارف الإسلامىة، ١٣٨٦.



- محمد زهرة، الأوضاع الجغرافية في إيران والدول العربية، كتاب:
العلاقات العربية الإيرانية، يونان رزق (محرر)، القاهرة، مركز البحوث
والدراسات السياسية، ١٩٩٣.
- محمد طعمة، التاريخ السياسي للبويهيين، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٢.
- محمد كامل، الاقتصاد والسياسة، بيروت، دار الحرية، ١٩٨٩.
- محمد مهدي شمس الدين، الاجتماع السياسي الإسلامي، قم، دار
الثقافة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- محمد ناصر الدين، الشعبية وتاريخها الأسود، القاهرة، ١٩٧٦.
- محمود أيوب، الفرس وحقيقتهم، القاهرة، دار التاريخ، ١٩٨٤.
- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت،
١٩٧٦.
- مصطفى غالب، قائم القيامة: المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي،
بيروت، إصدار مركز الرسالة.
- موسوعة الإمام المهدي، قم، إعداد وتنظيم مركز الأبحاث العقائدية،
١٣٧٦.
- نور الدين السامرائي، تاريخ العراق وإيران، بغداد، ١٩٧٧.
- هنري كيسنجر، ترجمة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
- وليد عبد الناصر، إيران دراسة عن الثورة والدولة، القاهرة: دار
الشروق، ١٩٩٦.
- يوليوس ولهاوزون، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العشي،
القاهرة، دار المعرفة، ١٩٩٤.



الدوريات العربية

- أبو سلمان البلوشي، معاناة أهل السنة في إيران، الحلقة الثانية، مجلة السنة، العدد ٦٨.
- أبو فضل الفارسي، إيران وإحياء التشيع، مجلة الفجر، العدد ٥٣، إبريل ٢٠٠٥.
- أحمد رجب، إيران والتهديد النووي: رؤية استراتيجية، دراسات سياسية، العدد ٢٣٤، أغسطس، ٢٠٠٥.
- أحمد عزيز، حرب العراق على الاقتصاد الأمريكي، مجلة دراسات، العدد ٢٣٧، أيلول ٢٠٠٦.
- أحمد مهابة، إيران وأمن الخليج، السياسة الدولية، العدد ١٠٥، أكتوبر، ١٩٩١.
- إدوارد دوغلاس، الثروة النفطية في إيران، ترجمة أحمد خليل، نشرت في قضايا استراتيجية، العدد ١٨٩، أكتوبر، ٢٠٠٧.
- أشرف كشك، رؤية مجلس التعاون الخليجي للبرنامج النووي الإيراني، مختارات إيرانية العدد ٦٢، ٢٠٠٦.
- أنوشى احتشامي، النظام الإيراني الجديد التطورات المحلية ونتائج السياسة الخارجية، المستقبل العربي، العدد، ٢٥٨ تموز ٢٠٠١.
- حسام سويلم، إسرائيل وإيران من حرب الكلام إلى الكلام عن الحرب، دراسات استراتيجية، العدد ١٢٢، فبراير، ٢٠٠٧.
- حسام سويلم، تطورات البرنامج الصاروخي الإيراني حالياً ومستقبلاً، مختارات إيرانية، العدد ٤٦، مايو ٢٠٠٤.
- حورية مجاهد، سياسة توازن القوى، القاهرة، مجلة مصر المعاصرة، ١٩٨١.



- خالد السرجاني، إيران وشيعة العراق: التحالف أم الخوف على الدور، مختارات إيرانية، العدد ٤٧، يونيو ٢٠٠٤ م.
- ساطع مجلي، الدول النامية ومفهوم النمو، دمشق، المجلة الجغرافية السورية للدراسات، حزيران ١٩٧٧.
- ستيف كيدمان، الحضارة الفارسية تنطفي شعلتها، دراسات تاريخية، العدد ١٢، ١٩٧٤/٣/٢٢.
- سعد الدليمي، إيران تستعمر العراق، مجلة الحرية، العدد ١٤٢، أكتوبر، ٢٠٠٥.
- سعيد ماري، النزاع حول الجزر في الخليج ١٩٢٨-١٩٧٨، مجلة دراسات الخليج، العدد ٦، إبريل، ١٩٧٨.
- سمير زكي البسيوني، عندما يصعد الشيعة.. رؤية أمريكية، مختارات إيرانية، العدد ٧٤- سبتمبر ٢٠٠٦ م.
- شباب آل محمد، نحو نظرية عمل شيعية عراقية: بنية الكيانية الشيعية التنظيمية في خطوطها العريضة، الجزء ١-٤.
- شريف بلقاسم نافع، الفرس واليهود وبنو الأصفر يعاودون اقتسام الكعكة، مفكرة الإسلام، ١٤٢٧/٦/٢٧.
- صادق علم زادة، أوضاع السنة في إيران، مجلة دراسات سياسية، العدد ٥٤، نوفمبر، ٢٠٠٧.
- صباح الموسوي، سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران، مفكرة الإسلام، ١٧-١-١٤٢٨.
- صباح الموسوي، إيران بين تصدير الفكر الشيعي وقمع الفكر السني في الداخل، مجلة النهضة، العدد ١٥٩، أكتوبر، ٢٠٠٦.



- ظافر سليمان: حول مستقبل إيران، المستقبل العربي، العدد ٢٥٨، ٢٠٠٠.
- عبد الحق إدريس، صراع الأدوار بين واشنطن وطهران، مجلة الهلال، العدد ٤٦/٤٥، نوفمبر/ديسمبر، ٢٠٠٦.
- طلال عتريس، جغرافية إيران السياسية، شؤون الأوسط، العدد ٨٤، ١٩٩٩.
- عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، أهل السنة في إيران بين الإرهاب الحكومي، مجلة السنة، العدد ٧١، ٢٠٠٣.
- عبد المنعم الحسيني، السكان والتنمية، بعض المتغيرات السكانية والتنمية في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٨، يونيو، ١٩٩٩.
- عبد المؤمن سعد الدين، المسلمون في روسيا قرون من التنكيل، مجلة الفجر، العدد ٤٣، تموز، ١٩٩٨.
- عبد الملك التميمي، مسمى الخليج: دراسة في العلاقات العربية الإيرانية، مجلة شؤون عربية، العدد ٨٤، ١٩٩٥.
- عز الدين حسين القوطالي، التشيع الأصلي والتشيع المزيف: ملاحظات لابد منها، مجلة القلم، العدد ١٤٦، حزيران/تموز، ٢٠٠٧.
- علي حسين باكير، إيران تريد تدمير إسرائيل... لا نريد تدمير إسرائيل، مجلة العصر، ١٤٢٨/٥/٢١.
- علي عبد العال، السنة في إيران.. وتوجهات أحمددي نجاد، مجلة السنة، العدد ٦٢، ٢٠٠٢.
- عمر رجب، قياس قوة الدولة: دراسة في جغرافية القوة، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ١٩، ١٩٨٥.



- فهمي علم الدين، أنقذوا العراق من عباءة ولي الفقيه، مجلة الإسلام المعاصر، العدد ٢٤٥، إبريل، ٢٠٠٦.
- كاظم حسين، دراسة في الانتفاضة الشعبانية المباركة: الأبعاد والنتائج، مجلة الرسالة، العدد ٢٠١، حزيران، ١٩٩٦.
- كمال حسنين، التمدد الشيعي في فلسطين، مجلة الأنوار، العدد ٤٦، أغسطس، ٢٠٠٦.
- مايكل سيغمان، إيران والسلاح الكيماوي: نموذج الحرب مع العراق، ترجمة باسم خميس، دراسات سياسية، العدد ٥٨، تموز، ١٩٨٨.
- مجدي عارف، الوجود الأمريكي في العراق: أهداف ودلالات، دراسات استراتيجية، العدد ١٢٤، ٢٠٠٦.
- مجيد زادة، إيران والدخول من بوابة الجنوب العراقي، الموجز، العدد ٢٥٨، ٢٠٠٧.
- محمد الحسنوي، المخطط الإيراني للنفوذ والهيمنة، مجلة البيان، لندن، العدد ١٢٣، ٢٠٠٤.
- محمد السعيد عبد المؤمن، حقيقة الزحف الشيعي، مختارات إيرانية، العدد ٧٥، مايو ٢٠٠٦.
- محمد السعيد، من يدافع عنا وله الجنة، مختارات إيرانية، العدد ٨٦، مارس ٢٠٠٦.
- محمد ضياء الدين، أوضاع السنة في إيران، مجلة دراسات دينية، العدد ٢٤، أكتوبر ٢٠٠٥.
- محمد علي التسخيري، "الدولة الإسلامية": كتاب مجلة التوحيد، العدد الأول، ٢٠٠٥.



- محمود أحمد الأحوازي، الاحتلال الإيراني للبصرة هو بداية لتطوير دول الخليج العربية، الحوار المتمدن، العدد ٢٠١، ٢٠٠٧.
- مختارات إيرانية، السنة الثانية، العدد الخامس عشر، أكتوبر ٢٠٠١.
- مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد الثالث، أكتوبر ٢٠٠٠.
- مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد الثاني، سبتمبر ٢٠٠٠.
- مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد الرابع، نوفمبر ٢٠٠٠.
- مختارات إيرانية، السنة الثانية، العدد العشرون، مارس ٢٠٠٢.
- مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٦، مارس ٢٠٠٥.
- مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٧، إبريل ٢٠٠٥.
- مختارات إيرانية، السنة الرابعة، العدد ٤٧، يونيو ٢٠٠٤.
- مختارات إيرانية، السنة الرابعة، العدد ٤٦، مايو ٢٠٠٤.
- مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد الأول، أغسطس ٢٠٠٠.
- مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٤، يناير ٢٠٠٥.
- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٧٤، سبتمبر ٢٠٠٦.
- مختارات إيرانية، السنة الأولى، العدد السادس، يناير ٢٠٠١.
- مختارات إيرانية، السنة الثالثة، العدد ٢٥، أغسطس ٢٠٠٢.
- مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٩، يونيو ٢٠٠٥.
- مختارات إيرانية، السنة الخامسة، العدد ٥٥، فبراير ٢٠٠٥.
- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٧٧، ديسمبر ٢٠٠٦.
- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٧٢، يوليو ٢٠٠٦.



- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٦٧، فبراير ٢٠٠٦.
- مختارات إيرانية، السنة الثانية، العدد السابع عشر، ديسمبر ٢٠٠١.
- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٦٦، يناير ٢٠٠٦.
- مختارات إيرانية، السنة السادسة، العدد ٧٣، أغسطس ٢٠٠٦.
- مصباح الموسوي، سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران، مفكرة الإسلام/ ١٧-١-١٤٢٨هـ.
- ممدوح عثمان، المحاولات الإيرانية لتصدير الثورة والمذهب، مفكرة الإسلام، ١٠-١١/١٤٢٧.
- ميشيل كلارك، النفط والجغرافيا السياسية والحرب القادمة مع إيران، دراسات اقتصادية، العدد، ١٢٧، تموز ٢٠٠٥.

الندوات المنشورة باللغة العربية:

- نبيل العتوم، ندوة إلى أين تمضي المواجهة بين إسرائيل وحزب الله، الأردن، عمان، ١٣/١٠/٢٠٠٦.
- نبيل العتوم، العلاقات العربية الإيرانية في عهد الرئيس نجاد، جريدة الديار، ١٥/٤/٢٠٠٧.
- نبيل العتوم، ندوة حول العلاقات العربية الإيرانية في عهد الرئيس نجاد، منتدى الوسطية، الأردن: عمان، ١٥/٦/٢٠٠٧.

التقارير العربية الصادرة عن المنظمات الإقليمية والدولية:

- التقرير السابع الذي أصدره صندوق السلام عن العراق، وثيقة مترجمة، ٢٤/٥/٢٠٠٧.
- تقارير حقوق الإنسان، أوضاع الشيعة في العالم العربي، المنظمة الدولية لحقوق الإنسان، الأعوام ١٩٩٩-٢٠٠٦.



- تقارير وكالة الإعلام الأمريكية خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩٩٣-٢٠٠٨ .

- تقرير: إيران النويا والقدرات النووية (تقييم الاستخبارات الوطنية الأمريكية). - وكالة رويترز، ٢٠٠٧/١٢/٣ .

المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم يزدي، لقاء أجرته معه محطة بي بي سي البريطانية، موقع المحطة الإلكتروني، ٢٠٠٧/٥/١٣ .

- إبراهيم، قراءة متأخرة للشريعة العرب، موقع البيئة الإلكتروني .

- أحمد فهمي، تفكيك إيران صراع السحالي والملاي، مشكلة الأقليات في إيران والسيناريوهات المستقبلية، إسلام أون لاين .

- البصرة مدخل إيران على الخليج، موقع البصرة الإلكتروني .

- برنامج " زيارة خاصة " على موقع قناة الجزيرة، ٢٠٠٠/١/١٢ .

- المختار صلاح، بروتوكولات حكماء صهيون: هل توجد بروتوكولات حكماء الفرس؟ موقع البصرة الإلكتروني .

- إمام الليثي، أين تراجع الشيعة العراقيون؟ إسلام أون لاين، ٥/٩/٢٠٠٣ .

- إيران والنفوذ إلى البصرة، موقع الأهواز الإلكتروني .

- إيران وأمريكا وتقاسم النفوذ في العراق. إيران وفكرة الحزام المذهبي، دراسة منشورة على موقع البيئة الإلكتروني .

- باسل النيرب، حين تتعاون الشياطين- إيران مع إسرائيل وأمريكا، موقع البيئة، ٢٠٠٦/١٠/١٧ .



- حسن الرشيدى، الثروات الطبيعية لإيران... قوة أم ضعف؟ خاص
بالبيئة/ ٢٨-٦-١٤٢٨هـ.
- رالف بيترز: حدود الدم، نحو نظرة أفضل للشرق الأوسط. عن مقال
بنفس العنوان. عرض وتعليق وترجمة: الأستاذ طلعت رميح. شبكة
البصرة.
- سمير عبيد. بعض أسرار المخطط الإيراني في الأردن، الجزيرة ٥/٧/
٢٠٠٦.
- صادق إسماعيل محمد، الأقليات في الخليج العربي، دراسة منشورة
على موقع إسلام أون لاين.
- صباح الموسوي. هل يصبح إقليم بلوشستان كشمير أخرى؟ مفكرة
الإسلام - السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ - ٢٧ مايو ٢٠٠٦.
- صباح الموسوي، سياسة التمييز الطائفي ضد أهل السنة في إيران، الموقع
-الإلكتروني - مفكرة الإسلام، ١٧-١-١٤٢٨هـ.
- صلاح المختار. بعد بروتوكولات حكماء صهيون: هل توجد
بروتوكولات حكماء الفرس؟ (١-٢) قواعد التقويم: من هو العدو
الأول؟
- صلاح المختار، ما هي صلة أمريكا وإسرائيل بإيران؟ هل توجد
بروتوكولات حكماء الفرس - صهيون؟ الحلقة الثالثة، البصرة نت.
- علي الصراف، استراتيجية الذئب والكلاب: تحالف واشنطن وطهران،
ميدل إيست أون لاين، ٦/٦/٢٠٠٧.
- فؤاد محمد عبد العاطي، سيناريوهات الوجود الأمريكي في العراق،
دراسة منشورة على موقع الجزيرة نت.



- لقاء مع منتظري، محطة بي بي سي، ١٩٩٦/٩/٢٥ .
- محسن آرمين - نائب رئيس مجلس الشورى الإسلامي - في حديثه لوكالة الأنباء الإيرانية في ٢٠٠٢/٤/٦، موقع وكالة الأنباء الإيرانية، www.irna.ir.
- محمد الكبيسي، هل تعدت إيران الخط الأحمر؟ موقع المسلم الإلكتروني، ١٤٢٧/٥/٢٢ .
- محمد يحيى، خفايا مشروع الهلال الشيعي، موقع الإسلام أون لاين .
- مقابلة مع حسن الإمام، موقع محطة nbn، ساعة عراقية، تاريخ ١/١٥/٢٠٠٧ .
- ندوة حول النفوذ الإيراني في القارة الإفريقية، الموقع الإلكتروني لفوضية صانعي القرار، ٢٠٠٧/٤/٢ .
- همام عبد المعبود، المستقبل الاستراتيجي لأهل السنة في إيران، موقع مسلم الإلكتروني .
- وليد أنور، السعودية والهلال الشيعي الفارسي، موقع البينة الإلكتروني .
- www.mellimazhabi.org -
- www.burath.com/ www.shiastudies.com-
- www.mfa.gov.ir. www.ipis.ir .
- www.president.ir/khatami
- mostfamous person websites .
- www.ahmadinejad.ir .
- www.ketab7.blogfa.com .



Kwww.fajrweb.net

www.agaed.com.www.shiastudies.com

www.shahrodi .com

.www.agaed.com>www.ansaralhojah.co

www.mfa.gov.ir.www.ipis.ir .

www.mesbahyazdi.com . www.hawzah.net

المقالات في المجالات والصحف العربية:

- أحمد إسكندر، حقيقة العلاقات الأمريكية الإيرانية: عقد من الصراع الظاهري، جريدة الحقائق، ٢٠٠٥/١/١٢ .
- أحمد الحسن، الهلال الأمريكي والهلال الإيراني، أيهما يظهر أولاً؟ جريدة الحياة، ٢٠٠٧/٣/٢١ .
- أحمد سالاماتيان، الشيعة الممزقون بين طهران وبغداد، صحيفة لوموند دبلوماسيك الفرنسية، يوليو ٢٠٠٥ .
- باتريك سيل، الجغرافيا السياسية للكوارث، جريدة الحياة، ٣/١٢/٢٠٠٧ .
- جاسم الغامدي، إيران واستعمار المنطقة، الوطن العربي - ١١/٢٩/٢٠٠٦ .
- جون إدوارد، سياسة الرئيس بوش تجاه العراق: سياسة تعظيم الأخطاء، جريدة الرأي، ٢٠٠٦/١١/١٩ .
- حازم السعيد، أمريكا - إيران - إسرائيل: التحالف ضد العراق، العالم، العدد ٩٨، نوفمبر ٢٠٠٦ .



- حالة التقسيم السهل للعراق، مركز تسابان بمعهد بروكينجز للدراسات السياسية والاستراتيجية، وثيقة مترجمة تم نشرها، جريدة الحياة ١٥/٦/٢٠٠٧.
- حسن أبو طالب، سنة وشيعة - انقسام خطير ومدمر، الأهرام، ٧/٩/٢٠٠٧.
- حسن الرشدي، الديموغرافيا وأثرها على التنمية السياسية، العالم، ١٠/٢٠٠٧/٧.
- سعد القيسي، خطة خاميني لإقامة إمبراطورية شيعية، الوطن العربي، العدد ١٤٢٤، ٤/٦/٢٠٠٤.
- سعيد خليل، إيران فكرة الهلال الشيعي: هل هي ممكنة؟ جريدة الديار، ٢٥/٧/٢٠٠٧.
- سلطان الجبوري، سلاح الجو العراقي يغرد في أجواء طهران، جريدة الضياء، ١٩/٥/٢٠٠٦.
- سمير جبور، تقسيم بلدان الوطن العربي إلى كيانات متنازعة.. شهادة صهيونية على استراتيجية ناجزة، الشرق، ٣٠/١٠/٢٠٠٧.
- سيار الجميل، المسألة الإقليمية وخطورة مصطلح الحزام الشمالي، جريدة الديار، ٢٣/٦/٢٠٠٧.
- شأوول ليفي، فكرة تقسيم العراق فكرة إسرائيلية، يدعوت أحرانوت، ١٢/٥/٢٠٠٧.
- صبري نصر الدين، تحليل دراسة حول الجغرافيا والسياسة: النزعة الشعبية، الشرق، العدد ٢٣٤، ٢٤/٣/٢٠٠٤.
- عبد الرحمن الراشد، هل يبيع الأمريكيون العراق لإيران، جريدة الشرق الأوسط، ١٥/٣/٢٠٠٧.



- عبد الله اسكندر، الشيعة السياسية و"أفغنة" لبنان، الحياة، ٦/٢٦، ٢٠٠٧.
- عمر سعداوي، مستقبل الصراع الأمريكي الإيراني على العراق، جريدة الحياة، ٢٠٠٧/٣/١٠.
- فهمي هويدي، مراجع الشيعة يجب أن يتكلموا، جريدة الشرق الأوسط اللندنية ٢٠٠٦/١١/٢٢.
- لؤي الدسام، حزب الله شيعي أم وطني، جريدة الحياة، ٢٠٠٦/٨/٤.
- مايكل روبرت، الصفقة الأمريكية مع إيران، جريدة نيويورك تايمز، ٢٨/١٠، ٢٠٠٧.
- محمد أبو رمان، التشيع السياسي ظاهرة تغذيها انتصارات حزب الله: جدل الديني والسياسي، ١-٢، جريدة الغد، ٢٠٠٧/٩/١٢.
- محمد الحميري، هل انكشف المستور بين طهران وواشنطن، جريدة الدستور، ٢٠٠٦/٦/١٧.
- محمد مورو، اللقاء على جثة العراق، جريدة العرب، ٢٠٠٦/٦/٢٣.
- محمد نور الدين، كذبة الحوار وحقيقة التحالف الأمريكي- الإيراني - الصهيوني، القدس العربي، ٢٠٠١/٤/٢٨.
- مصطفى علوش، تفتيت العراق ومطامع إيران في الخليج، جريدة الحياة الخليجية، ٢٠٠٦/١١/١.
- مطاع صفدي، إيران بين الممانعة والصفقة، القدس العربي، ٦/٤، ٢٠٠٧.
- نبيل العتوم، المصالحة الأمريكية مع إيران لدعم نفوذ الشيعة في المنطقة، جريدة الرأي الإيرانية، ٢٠٠٢/٢/٧.



- نبيل العتوم، إسرائيل والخوف من هولكوست إيراني جديد، جريدة الديار، ٢٠٠٦/٧/١٥.
- نبيل العتوم، مجاهدو خلق نهاية منظمة إرهابية، جريدة الرأي، ١١/٢٢/٢٠٠٥.
- نور الدين الشامي، الدبلوماسية الشيعية بين النجاح إلى البراعة، المجلة، العدد ٨٩، إبريل، ٢٠٠٦.
- هدى الحسيني، أي عراق بعد خروج الاحتلال؟ جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٧/٥/١٦.
- هناء العزاوي، العراق إلى جنوب لبنان: المقاومة بين المعادل الموضوعي، والمعادلة المختلفة، جريدة الدستور ٢٠٠٦/٦/١٥.

الكتب الفارسية

- إبراهيم متقى، سياست خارجي إيران، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٨.
- أبو القاسم فردوسي، شاهنامه از روي طبع معروف، تهران، انتشارات أمير بهاور، ١٣٢٩.
- أحمد آذرى قمى، رهبرى جنك وصلح، تهران، بنياد رسالت، ١٣٦٦.
- أحمد بخشايش، أصول سياست خارجي، تهران، امرای نور، ١٣٧٥.
- أحمد خوئى، همكرايهاى استراتزيك در خليج فارس، مجموعة مقالات دومين خليج فارس، تهران، دفتر مطالعات سياسي و بين المللي، ١٣٧٣.
- إسكندر بهبودى، بررسى روابط إيران و عربستان، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٧٦.



- أصغر جعفري، اختلاف مرزي إيران وعراق - ۱۳۵۴-۱۳۳۷، تهران، نشر دانشگاه، ۱۳۷۴.
- أكرم بهرامي، تاريخ إيران اذا انحساز تاسقوط، تهران، انتشارات علمي، ۱۳۷۹.
- آلا سدیر، درایسیدل وجرالد.اج، بلیک، جغرافیایی سیاسی خاورمیانه و شمال إفريقيا، ترجمة دره میر حیدری، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۶۹.
- إمام خمینی، در جستجوی راه از کلام إمام، ونشر بانزهرهم انقلاب اسلامی ازبیانات وإعلامیة های إمام خمینی از سامی ۱۳۴۱-۱۳۶۱ تهران، انتشارات أمير کبیر، ۱۳۶۳.
- إمام خمینی، صحیفة نور، مجموعة رهنمودهای إمام خمینی، جلد سوم، جلد شونزده، تهران، مرکز مدارك فرهنگ انقلاب اسلامی، ۱۳۶۱.
- إمام خمینی، صدور انقلاب، تهران، مؤسسه نشر إمام، ۱۹۹۳.
- إمام خمینی، نهضت عاشوراء، تهران، مؤسسه إمام خمینی، ۱۹۹۵.
- أمير أحمدی، تاريخ دولت صفوي، تهران، انتشارات علمي، ۱۳۶۱.
- ایرج افشار سیستانی، جزيرة أبوموسی وجزایر تنب بزرک و تنب کوچک، تهران، منشورات زارت أمور خارجه، ۱۳۷۴.
- بیروز مجتهدزاده: کشورها و مرزها در منطقه زیوبلتیک خلیج فارس، ترجمة وتنظیم محمد رضا ملک، محمدی نوری، مباحث استراتژیک، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۳۷.
- بیزن ایزدی، در آمدی بر سیاست خارجی ایران، قم، مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، ۱۳۷۷.



- بیروز مجتهد زاده، جزایر تنب و أبو موسی، رهنمونی در کاوش برای صلح و همکاری در خلیج فارس، ترجمه حمید رضا ملک، محمد نوری تهران، منشورات وزارت امور خارجه، ۱۳۷۵.
- تاریخ سیاسی و اجتماعی شخصیت های برجسته ایران، منشورات بنیاد فرهنگ، تهران، ۱۳۸۰.
- تومو ملاسو، نقش خلیج فارس در اهمیت استراتژیک اقیانوس هند، مجموعه مقالات دومین سمینار خلیج فارس، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی.
- جعفر متقی، تاریخ شناخت ادیان، تهران، انتشارات حسینة ارشاد، ۱۳۵۰.
- جلال الدین فارسی، انقلاب اسلامی و سازماندهی اجتماعی، تهران، حوزه هنر، ۱۳۷۷.
- جمشید أنصاری، اهداف و عملکرد شورای همکاری خلیج فارس، تهران. کنفرانس بین المللی خلیج فارس، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۶۸.
- جواد اطاعت، زئوبولتیک و سیاست خارجی ایران، تهران، نشر سیر، ۱۳۷۶.
- جواد بهرامی، موضعگیری جمهوری اسلامی ایران در قبال کشورهای اتحادیه اعراب، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۸۲.
- جواد لاریجانی، مقولاتی در استراتژی ملی، تهران، انتشارات انقلاب اسلامی، ۱۳۶۹.
- جوزیف اُبتون، تاریخ تمدن ایران، ترجمه مریم سعیدی، تهران، انتشارات دانشکاه.



- جیمز موریه، سرگذشت حاجی بابای اصفهانی در ایران، ترجمه میرزا حبیب اصفهانی، تهران، انتشارات حقیقت، ۱۳۵۴.
- حسن علوی، تاریخ ایران از دوران باستان نابایان سده نوزدهم، تهران، انتشارات تاریخ ایران، تهران، انتشارات امیر کبیر، ۱۳۶۷.
- حسن نوری، موقعیت جغرافیایی ایران ۱۲۲۰-۱۳۵۷، تهران، دانشگاه تهران، ۱۳۷۷.
- حسین عنایت، روابط ایران و آمریکا، تهران، نشر کتاب، ۱۳۶۸.
- حسین موسوی، تمدن ایران قدیم، تهران، نشر فریدون، ۱۳۵۸.
- حسین قمی، امام زمان از دیدگاه شیعه، قم، انتشارات نور، ۱۳۵۷.
- حمد الآذری القمی، رهبری جنک و صلح، تهران، انتشارات رساله.
- حمزه الأصفهانی، تاریخ پیامبران و شاهان، تهران انتشارات امیر کبیر.
- حمید احمدی، نظام بین المللی معاصر و نشیبه‌های روابط ایران و مصر، مطالعات آفریقا، شماره دوم، بئیز وزمستان، ۱۳۷۹.
- حمید حسنی، تاریخ ادبیات ایران، تهران، انتشارات سروش، ۱۳۵۷.
- حمید زاده (محرر)، انقلاب فقیه و حکومت، تهران، مؤسسه امام خمینی ۱۳۷۴.
- راجر سیوری، ایران در دوره صفوی، انتشارات فریدون، ۱۳۷۲.
- رضا حسنی، اقتصاد ایران، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۷۸.
- روح الله خمینی، جنک و جهاد: از بیانات و اعلامیه های امام خمینی: دفتر دوم جنک و جهاد، تهران، جابخانه سپهر ۱۳۷۰.
- روح الله خمینی، صحیفه انقلاب: وصیت نامه سیاسی الهی رهبر کبیر انقلاب اسلامی و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایران، تهران، سازمان جاب و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، ۱۳۷۳.



- روح الله خميني، كتاب صحيفه نور، تهران، مؤسسه إمام خميني، ۱۳۷۸.
- روح الله خميني، كشف أسرار، تهران، كتبفروشي علمية إسلامية، ۱۲۴۷.
- روح الله خميني، مواضع ونظريات، تهران، انتشارات سازمان تبليغات، ۱۳۷۵.
- روح الله خميني، آيين انقلاب إسلامي: كزیده ای از اندیشه وآرای إمام خميني، تهران، مؤسس تنظيم ونشر آثار إمام، ۱۳۷۴.
- روح الله خميني، در جستجوی راه از كلام إمام: دفتر هفدهم ويستم، تهران، مؤسسه انتشارات أمير كبير، ۱۳۶۳.
- روح الله خميني، صدور انقلاب، مؤسسه إمام خميني، ۱۳۷۳.
- ريتجارد نيكسون، جنك واقعي وصلح واقعي، ترجمة عليرضا طاهري، تهران، انتشارات كتابسرا، ۱۳۶۳.
- زهرا مجتبی بور، تاريخ كزیده ایران، تهران، انتشارات مؤسسه بزوهش تاريخي، ۱۳۷۱.
- سيد صادق حقيقت، مسئوليت های فراملی در سياست خارجي إسلامي جمهوري ایران، تهران، مركز تحقيقات استراتژيك، ۱۳۷۶، به نقل از مهدي بازرگان، حكومت جهانی واحد، تهران، نشر پیام آزادی، ۱۳۶۱.
- سيد مجيد حسيني، تاريخ حكومت صفوی، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۵۷، جلد سوم.
- شمس الدين رحمانی، لولای سه قاره، تهران، معاونت تحقیقاتی حوزه هنری، سازمان تبليغات إسلامی، ۱۳۷۱.
- صادق نشئت، تاريخ سياسي خليج فارس، تهران، شركت نسبي كانون كتاب، بي تا.



- عباس خامه یار، تأثیر انقلاب اسلامی ایران بر جنبش اخوان المسلمین، پایانامه فوق لیسانس، تهران، دانشکاه تهران، ۱۳۷۰.
- عباس علی عمید زنجانی، فقه سیاسی، جلد سوم، تهران، انتشارات امیر کبیر، ۱۳۶۷.
- عبد الحسین زرین کوب: دو قرن سکوت، تهران انتشارات تهران، ۱۳۳۶.
- عبد الحسین سعیدیان، کشورهای جهان، تهران، انتشارات فجر اسلام، ۱۳۷۱.
- عبد الرضا هوشنک مهدوی، تاریخ روابط خارجی ایران از ابتدای دوران صفوی تا پایان جنگ دوم جهانی، تهران، جابخانه سپهر، ۱۳۷۷.
- عبد الرضا هوشنک مهدوی، سیاست خارجی ایران در دوران بهلوی . ۱۳۳۰-۱۳۵۷، تهران، نشر یکان، ۱۳۷۷.
- عبد الوهاب فراتی، درآمدی بر ریشه های انقلاب اسلامی، تهران، مؤسسه اساتید و دروس معارف اسلامی، ۱۳۷۶ جمعی از نویسندگان، انقلاب اسلامی و جرایب و جکونکی رخداده آن، تهران، مؤسسه اساتید و دروس معارف اسلامی، ۱۳۷۷.
- عبدالله سوری، اختلافات ارضی جمهوری اسلامی ایران و امارات عربی متحده تهران، مؤسسه بروهشی و سیاسی، ۱۳۷۲.
- عزت الله بیات، کلیات جغرافیایی طبیعی و تاریخی ایران، تهران، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، ۱۳۷۹.
- عزت الله عزتی، زببولتیک، تهران، انتشارات سمت، ۱۳۶۸.
- عزت الله عزتی، جغرافیایی نظامی ایران، تهران، انتشارات امیر کبیر، ۱۳۶۶.
- عزت الله عزتی، جغرافیای نظامی ایران، تهران، انتشارات سمت، ۱۳۷۷.



- عزیز الله بیات، کلیات جغرافیایی طبیعی و تاریخی ایران، تهران، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، ۱۳۷۹.
- علی امیدی، تأثیر فروبازی بر ژئوبولیتیک ایران، دانشگاه تهران، ۱۳۷۳، ۸۷-۴۵.
- علی رزم آرا، جغرافیای نظامی شهر استانهای مرزی، تهران، انتشارات شهاب، ۱۳۳۸.
- علی شریعتی، تشیع علوی و تشیع صفوی، خراسان، انتشارات نور، ۱۳۶۴.
- غلامعلی روحانی، بررسی عوامل بهبودی روابط ایران و کشورهای افریقایی، تهران، نشر قدس، ۱۳۷۹.
- فرانسوا توال، جغرافیای سیاسی شیعه، ترجمه مهدی حسینی، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۸۰.
- فریدون هرمداس، تاریخ قدیم ایران، جلد یکم، تهران، انتشارات تاریخی، ۱۳۷۴.
- فیاض مسعودی، تغییرات ژئوبولیتیک عمده در دهه ۱۹۹۰ و تأثیر آن بر امنیت ملی ایران، تهران انتشارات علمی، ۱۳۷۶.
- فیروز کاظم زاده، روس وانکلیز در ایران ۱۸۶۴-۱۹۱۴ بزوهشی درباره امبرالیسم، ترجمه منوچهر امیری، تهران، انتشارات و آموزش انقلاب اسلامی، ۱۳۷۱.
- قانون اساسی ایران، تهران، انتشارات نور، ۱۳۸۱.
- کاظم بهرام، موقعیت آروند رود، تهران، انتشارات تهران، ۱۳۵۶.
- کراهام فولر، قبلهءعالم: رثوبلتیک ایران، ترجمه عباس مخبر، تهران، نشر مرکز، ۱۳۸۲.
- کریم جلالی، تاریخ شاه اسماعیل، تهران، مرکز تحقیقات فارس، ۱۳۷۳.



- کمال الدین هادیان، سیاست خارجی آمریکا و مناع ملی ایران، تهران، انتشارات هاد، ۱۳۷۶.
- مجید حسینی، تاریخ زندگی شریعتی، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۷۱.
- مجید سعیدی، تاریخ دولت قاجار، تهران، انتشارات کتاب، ۱۳۵۸.
- مجید کاظمبور، ایران و حوزه جنوبی شوروی سابق، تهران، انتشارات دانش، ۱۳۷۷.
- مجید کاظمی، تاریخ روابط ایران و چین، تهران انتشارات امیر، ۱۳۵۲.
- محمد تقی فخر داعی، تاریخ فارس، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۳۰.
- محمد جواد لاریجانی، حکومت: بحثی در مشروعیت و کارآمدی، تهران، انتشارات سروش، ۱۳۷۴.
- محمد جواد لاریجانی، نظم بازی کونه، تهران، انتشارات اطلاعات، ۱۳۷۱.
- محمد جواد لاریجانی، کاوشهای نظری در سیاست خارجی، تهران، انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴.
- محمد جواد لاریجانی، مقولاتی در استراتژی ملی، تهران، ۱۳۷۴.
- محمد جواد لاریجانی، تئوری سیاست خارجی ایران، تهران، مرکز مطالعات ملی، وزارت امور خارجه، ۱۳۷۹.
- محمد حافظ نیا، خلیج فارس و نقش استراتژیک تنگه هرمز، تهران، سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاههای سمت، ۱۳۷۱.
- محمد سعیدی، تحولات سیاسی اخیر در خاورمیانه و سیاست خارجی ایران، تهران، مؤسسه بروهشی و اقتصادی بین المللی، ۱۳۷۷.
- محمد شریعتی، مقاله ایرانیها و تفکر شیعی در کتاب، ایران و مذهب شیعه، تهران، انتشارات علمی، ۱۳۶۵.



- محمد علي أمامي، خليج فارس ديدكاهای امنيتی د مجموعه مقالات چهارمين سمينار خليج فارس تهران، مؤسسه جاب وانتشارات وزارت أمور خارجه، ۱۳۷۳.
- محمد مصباح يزدي، اختيارات ولي فقيه در خارج از مرزها، قم، ۱۳۷۴.
- مرتضی ذکائي، نهضت عاشورا وأهل تسنن، کنفرانس إمام خميني وفرهنگ عاشورا، تهران، ۱۳۷۸.
- مرتضی مطهری، خدمات متقابل إسلام وإيران قم، انتشارات قم، ۱۳۷۵.
- مصطفی زنجانی، صدور انقلاب از ديدگاه إمام خميني، تهران، انتشارات دينی، ۱۳۷۱.
- معجم المعين، جلد ۱-۵، تهران، انتشارات فرهنگي، ۱۳۷۲.
- منوچهر فرهنگ، زندکی اقتصادي ایرانة، تهران، أبوريحان، بی تاريخ.
- منوچهر محمدي، انقلاب إسلامي در مقايسه بانقلاب فرانسه وروسية، تهران، انتشارات مهران، ۱۳۷۴.
- نويد شيرازی، إمبراتوري فارسي وعراق، تهران، انتشارات بهرام، ۱۳۵۴.
- همایون إلهی، خليج فارس ومسائل آن، تهران، قومس، ۱۳۶۸.
- همایون إلهی، اهميت استراتژيکی در جنگ جهانی دوم، تهران، مرکز نشر دانشگاهی، ۱۳۶۵.
- هنري ماسه، تاريخ تمدن ایران، تهران، دون دار نشر، ۱۳۳۶.
- ولدانی جعفری، بررسی تاريخي اختلافات ایران وعراق، تهران، مؤسسه جاب وانتشارات وزارت أمور خارجه، ۱۳۷۶.



الدوريات الفارسية:

- أبو الفضل صدقي، آفات وموانع تأييد الحركات التحررية في آسيا الوسطى والقوقاز، سياسة روز، ۱۸/۶/۲۰۰۱.
- بهرام أمير أحمدی، تهديدات أمنیتی در قفقاز، مطالعات آسیایی مرکزی و قفقاز، شماره ۱۲، بهار ۱۳۷۵.
- حمید ذاکری، سیاست خارجی ایران و عراق، فصلنامه مطالعات سیاسی، شماره ۱۲۴، ۱۷/۳/۲۰۰۵.
- جمشید معظمی، الأسرة الصفویة ونشر التشیع في ایران، انتخاب الإيرانية، ۲۰۰۴/۴/۸.
- جهانگیر علمداری، خلیج فارس ونشانه های تغییر در سیاستها، فصلنامه مطالعات خاورمیانه، سال ششم، شماره ۲+۳ دی و اسفند ۱۳۶۶.
- درّه میر حیدری، موقعیت جمهوری اسلامی ایران وزبولتیک منطقه، مجله مطالعات آسیایی مرکزی و قفقاز، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۷۱.
- جواد سعیدی، روابط ایران و عراق ۲۰۰۳-۲۰۰۶، مجله سیاست دفاعی، شماره ۱۸۹، ۲۰۰۷.
- زهرا کاظمی، روابط ایران باکشورهای عربی بعد از فروباشی رژیم عراق، مجله اطلاعات سیاسی واقتصادي، جلد ۱۲۳، ۱۲/۸/۲۰۰۷.
- سعید شکوهی، تأثیر انقلاب اسلامی بر روابط ایران باکشورهای عربی، مجله علوم سیاسی، شماره ۱۴۷، ۱۳۷۴.
- سعید کیوان شکوهی، موقعیت نظامی خلیج فارس، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۶۹.
- شیرین اکتیر، تهدیدات وتصور تهدیدات در آسیایی مرکزی، ترجمه مرضیه ساتیامه، مطالعات آسیایی مرکزی و قفقاز، شماره ۱۲، ۱۳۷۵.



- عنایت افتخاری، مناسبات ایران و عراق، سیاست خارجی، شماره ۲۱۳، ۲۰/۱۰/۲۰۰۵.
- کریم قمی، تاریخ روابط ایران و ترکیه، مجله خاورمیانه، سال چهارم، ۱۳۷۸.
- کریم قمی، تاریخ روابط ایران و ترکیه، مجله خاورمیانه، سال چهارم، ۱۳۷۸.
- کریم حسینی، سیاست آمریکا در جهان امروز، سیاست خارجی، شماره ۲۱۳، تیر ماه.
- هوشنگ امیر احمدی: سیاست خارجی منطقه‌ی ایران، ترجمه علی رضا طیب، اطلاعات سیاسی و اقتصادی، سال هفت، شماره ۱۱، ۱۲ مرداد شهریور ۱۳۷۳.
- مهدی موسوی، مشکلات ایران با کشورهای هم‌کاری خلیج فارس، میزگرد امنیت در خلیج فارس، تهران، ۱۲/۸/۲۰۰۶.
- مهرداد محسن، محمد صادق عابدین، بحران‌هایی منطقه‌ی ای و تلاش‌های سازنده‌ی جمهوری اسلامی ایران، مطالعات آسیایی مرکزی و قفقاز، شماره ۶، ۱۳۷۳.
- میزگرد تحولات جدید ژئوپولیتیک منطقه‌ی امنیت ملی جمهوری اسلامی ایران، فصلنامه مطالعات خاورمیانه، شماره دو و سه، تابستان و پاییز، ۱۳۷۷.
- میزگرد روابط ایران با کشورهای ایفریقیای، تهران، دفتر مطاعات سیاسی، ۱۲/۵/۲۰۰۶.
- کنفرانس بین‌المللی امام مهدی، تهران تیر ۱۳۷۹، وکنفرانس درمرداد ۱۳۸۲.



الصحف والمجلات الفارسية

- اطلاعات . - انتخاب . - انتقاد . - الوفاق .
- بازتاب . - قدس . - كيهان . - همشهری .

التقارير الصادرة باللغة الفارسية:

- اقتصاد إيران، وزارت برنامه ریزی، ۱۳۸۵ .
- بانک ملی ایران، گزارش درباره أوضاع اقتصادی ایران، ۲۰۰۶ .
- بررسی أوضاع اجتماعی ایران، وزارت بزوهش وبرورش، ۲۰۰۶ .
- تاریخ سیاسی واجتماعی شخصیت های برجسته ایران، منشورات بنیاد فرهنگ، تهران، ۱۳۸۴ .
- گزارشات خبرگزاری جمهوری اسلامی ایران، خلال الفترة ما بين ۱۹۹۰-۲۰۰۸ .
- سالنامه آماری کشور، تهران، مرکز آمار ایران، ۱۳۴۸-۱۳۸۳ .
- شخصیت‌هایی جهانی ایران: کتابخانه دیجیتالی اسلامی، کتابخانه های جهانی آنلاین، ۱۳۸۱ .
- شخصیت های علمی سیاسی نظامی ایران، وزارت فرهنگ، تهران، ۱۳۸۴ .
- شخصیت‌هایی شیعی، دفتر تبلیغات حوزه قم، ۱۳۷۲ .
- گزارش أوضاع اقتصادي ایران ۲۰۰۶ .
- گزارش بانک بين المللي درباره ایران، ۲۰۰۶ .
- گزارش أزانس هسته ای بين المللي در مورد ایران، ۲۰۰۶ .

الصحف العبرية:

- هآرتس . - ידיעות أحرنوت .



المراجع الإنجليزية

BOOKS:

- David Long, The impact of Iranian Revolution on the Arabian Peninsula and Gulf State, John Esposito, The Iranian Revolution: Its Global Impact, The Florida International University press, 1990.
- ERF Indicators, Economic Trends in the MENA Region Economic Research Forum For the Arab Countries , Iran and Turkey , Middle East Economies Digest , Vol.162, No 125, April 2006.
- Shreen hunter. Iran and the world: continuity in revolutionary decade, Indiana university press, ,1990.
- Mortaza Ahmadyan, Iranian Foreign Policy between Ideology and Pragmatism, Institute of Middle East Studies, London, 1986

PERIODICALS:

- Jahangir Amuzegar "The Iranian Economy Before And after The Revolution Middle East Journal, vol 46No 3, summer, 1992
- Rohalah K Ramazani, Iran's Foreign Policy: Contend Orientations, Middle East Journal, volume 43, No.2, spring, 1989.
- Rohalah Ramazani, Iran Foreign Policy both North and South, Middle East journal, V ol 46, No3 summer 1992.

NEWSPAPERS:

- Sunday Times-
- New York Times
- Observer
- Washington Post-

